

﴿سورة الفاتحة﴾

سميت هذه السورة بالفاتحة؛ لأنه يفتح بها القرآن العظيم، وتسمى الثاني؛ لأنها تقرأ في كل ركعة، ولها أسماء أخرى.

(١) أبتدئ قراءة القرآن باسم الله مستعيناً به، ﴿الله﴾ علم على الرب - تبارك وتعالى - المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه.

﴿الرحمن﴾ ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، وهما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله تعالى، كما يليق بجلاله.

(٢) الشاء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، ونعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية. وفي ضمنه أمر لعباده أن يحمده، فهو المستحق له وحده، وهو سبحانه المنشئ للخلق، القائم بأمرهم، المربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.

(٣) ﴿الرحمن﴾ ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، وهما اسمان من أسماء الله تعالى.

(٤) وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال.

وفي قراءة المسلم هذه الآية في كل ركعة من

صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحث له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات.

(٥) إنا نخصلك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة. وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة كالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء، والعجب، والكبرياء.

(٦) دُلنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الطريق المستقيم، وثبتنا عليه حتى نلناك، وهو الإسلام الذي هو الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، الذي دل عليه خاتم رسله وأنبياؤه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.

(٧) طريق الذين أتعت عليهم من النبيين والأنبياء والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا عن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق، وهم النصاري، ومن اتبع سنتهم.

وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود والجهل والفضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام، فمن كان أعرف للحق وأتبع له، كان أولى بالصراف المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أولى الناس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام، فدلّت الآية على فضلهم، وعظيم منزلتهم، رضي الله عنهم.

ويستحب للقارئ أن يقول في الصلاة بعد قراءة الفاتحة: (أمين)، ومعناها: اللهم استجب، وليست آية من سورة الفاتحة بانفاق العلماء؛ ولهذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

﴿سورة البقرة﴾

(١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطعة في أوائل السور، فيها إشارة إلى إعجاز القرآن؛ فقد وقع به تحدي المشركين، فعبّروا عن معارضة، وهو مرّكب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدلّ عجز العرب عن الإتيان بسنله - مع أنهم أفصح الناس - على أن القرآن وحى من الله.

(٢) ذلك القرآن هو الكتاب العظيم الذي لا شك أنه من عند الله، فلا يصحّ أن يرتاب فيه أحدٌ لوضوحه، ينتفع به المتقون بالعلم النافع والعمل الصالح، وهم الذين يخافون الله، ويتبعون أحكامه.

(٣) وهم الذين يُصدّقون بالغيب الذي لا تدركه حواسهم ولا عقولهم وحدها؛ لأنه لا يُعرف إلا بوحى الله إلى رسله، مثل الإيمان بالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلك مما أخبر الله به أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، (والإيمان: كلمة جامعة للإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصديق الإقرار بالقول والعمل بالقلب واللسان والجوارح) وهم مع تصديقهم بالغيب يحافظون على أداء الصلاة في مواقيتها أداءً صحيحاً وفق ما شرع الله لنبيه

محمد صلى الله عليه وسلم، ومما أعطيناهم من المال يخرجون صدقة أموالهم الواجبة والمستحبة.

(٤) والذين يُصدّقون بما أنزل إليك أيها الرسول من القرآن، وبما أنزل إليك من الحكمة، وهي السنة، وبكل ما أنزل من قبلك على الرسل من كتب، كالنوراة والإنجيل وغيرهما، ويُصدّقون بدار الحياة بعد الموت وما فيها من الحساب والجزاء، تصديقاً بقلوبهم يظهر على ألسنتهم وجوارحهم. وخص يوم الآخرة بالذكر؛ لأن الإيمان به من أعظم البواعث على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ومحاسبة النفس.

(٥) أصحاب هذه الصفات على نور من ربهم ويتوفّق من خالقهم وهاديتهم، وهم الفائزون الذين أدرَكوا ما طلبوا، ونَجّوا من شرٍّ ما منه هربوا.



(٦) إِنْ الَّذِينَ جَحَدُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ اسْتِكْبَارًا وَطُغْيَانًا، لَنْ يَفْعَ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ، سِوَاءِ أَخَوْتِهِمْ وَحَدْرَتِهِمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، أَمْ تَرَكْتَ ذَلِكَ؛ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ.

(٧) طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غُطَاءً؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، فَلَمْ يَوْفَقِهِمْ لِلْهُدَى، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(٨) وَمِنَ النَّاسِ فَرِيقٌ يَتَرَدَّدُ مَتَحِيرًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْإِسْتِغْنَاءِ: صَدَقْنَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ كَاذِبُونَ لَمْ يُؤْمِنُوا.

(٩) يَعْتَقِدُونَ بِجَهْلِهِمْ أَنَّهُمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِإِظْهَارِهِمُ الْإِيمَانَ وَإِضَارِهِمُ الْكُفْرَ، وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّ عَاقِبَةَ خِدَاعِهِمْ تَعُودُ عَلَيْهِمْ. وَمِنْ فِرْطِ جَهْلِهِمْ لَا يُحِشُّونَ بِذَلِكَ؛ لِفَسَادِ قُلُوبِهِمْ.

(١٠) فِي قُلُوبِهِمْ شُكٌّ وَفَسَادٌ فَانْتَلَوْا بِالْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةِ لِعِقَابِهِمْ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ شُكًّا، وَهُمْ عَقُوبَةٌ مُوَجَّعةٌ؛ بِسَبَبِ كُذْبِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ.

(١١) وَإِذَا تُنْصَحُوا لِيُكْفُوا عَنِ الْإِفْسَادِ فِي

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسِوَاكَ عَلَيْهِمْ أَندَرُ زُجُمَةً أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشُونَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَشْفَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُمَاسُكُوا يَكَادُ بَورُتٌ ﴿١٠﴾ وَلَا ذَقِيلٌ لَهُمْ لَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا لِنَتِمَتَّحَنُّ مُضِلِّينَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَا ذَقِيلٌ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَا الْقَوْمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَوَالَةِ الْكَافِرِينَ، قَالُوا - كُذْبًا وَجَدَالًا -: إِنَّا نَحْنُ أَهْلُ الْإِصْلَاحِ.

(١٢) إِنَّ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُونَهُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِصْلَاحٌ هُوَ عَيْنُ الْفَسَادِ، لَكِنَّهُمْ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ لَا يُحِشُّونَ.

(١٣) وَإِذَا قِيلَ لِلْمُنَافِقِينَ: آمَنُوا - مِثْلَ إِيْمَانِ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ - جَادَلُوا وَقَالُوا: أَنْصَدُقُ مِثْلَ تَصْدِيقِ ضِعَافِ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ، فَتَكُونُ نَحْنُ وَهُمْ فِي السُّفَةِ سِوَاءٍ؟ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ السُّفَةَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ هُوَ الضَّلَالُ وَالْخُسْرَانُ.

(١٤) هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِذَا قَابَلُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: صَدَقْنَا بِالْإِسْلَامِ مِثْلَكُمْ، وَإِذَا انْصَرَفُوا وَذَهَبُوا إِلَى زَعْمَانِهِمُ الْكُفْرَةَ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى اللَّهِ أَكْثَرًا لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ لَمْ يَتْرَكُوها، وَإِنَّا كَانُوا يَسْتَحْفِظُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ.

(١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيُغْمِلُهُمْ؛ لِإِزْدَادِهِمْ ضَلَالًا وَخَيْرَةً وَتَرَدُّدًا، وَيَجَازِيهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمُ بِالْمُؤْمِنِينَ.

(١٦) أُولَئِكَ الْمُنَافِقُونَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي صَفَقَةٍ خَاسِرَةٍ، فَأَخَذُوا الْكُفْرَ، وَتَرَكُوا الْإِيمَانَ، فَمَا كَسَبُوا شَيْئًا، بَلْ خَسِرُوا الْهُدَايَةَ. وَهَذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

(١٧) حال المنافقين الذين آمنوا -ظاهراً لا باطناً- برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تكفروا، فصاروا يتخبطون في ظلماتٍ ضلالهم وهم لا يشعرون، ولا أمل لهم في الخروج منها، تشبّه حال جماعة في ليلة مظلمة، وأوقد أحدهم ناراً عظيمة للدفع والإضاءة، فلما سطعت النار وأثارت ما حوله، انطفأت وأعمت، فصار أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يبتدون إلى طريق ولا مخرج.

(١٨) هم صُمُّ عن سماع الحق سماع تدبر، بكم عن النطق به، عُمي عن إِبصار نور الهداية؛ لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلّال.

(١٩) أَوْ تُثَبِّهَ حَالَ فَرِيقٍ آخَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَظْهَرُ لَهُمُ الْحَقُّ تَارَةً، وَيَشْكُوكُنَّ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى، حَالَ جَمَاعَةٍ يَمْشُونَ فِي الْعَرَاءِ، فَيَنْصَبُ عَلَيْهِمْ مَطَرٌ شَدِيدٌ، تَصَاحِبُهُ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، مَعَ قَصْفِ الرُّعْدِ، وَلَعَانِ الْبَرْقِ، وَالصَّوَاعِقِ الْمَحْرِقَةِ، الَّتِي تَجْعَلُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ يَضَعُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، خَوْفًا مِنَ الْهَلَاكِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَحِيطُ بِالْكَافِرِينَ لَا يَفُوتُونَهُ وَلَا يَعْجِزُونَهُ.

(٢٠) يقارب البرق - من شدة لمعانه - أن يَسْلُبَ أبصارهم، ومع ذلك فكلما أضاء لهم مشواً في ضوئه، وإذا ذهب أظلم الطريق عليهم فيفقدون في أماكنهم. ولولا إمهال الله لهم لَسَلَبَ سمعهم وأبصارهم، وهو قادر على ذلك في كل وقت، إنه على كل شيء قدير.

(٢١) نداءً من الله للبشر جميعاً: أن اعبدوا الله الذي ربّاكم بنعمه، وخافوه ولا تخالفوا دينه؛ فقد أوجدكم من العدم، وأوجد الذين من قبلكم؛ لتكونوا من المتقين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

(٢٢) ربكم الذي جعل لكم الأرض بساطاً؛ لتسهل حياتكم عليها، والسماء محكمة البناء، وأزل المطر من السحاب فأخرج لكم به من ألوان الثمرات وأنواع النبات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله نظراء في العبادة، وأنتم تعلمون تفرده بالخلق والرزق، واستحقاقه العبودية.

(٢٣) وإن كنتم -أيها الكافرون المعاندون- في شكٍّ من القرآن الذي نزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرُونَ عليه مِنْ أعوانكم، إن كنتم صادقين في ادِّعائكم.

(٢٤) فَإِنْ عَجَزْتُمْ الْآنَ - وَتَسْتَعْجِلُونَ مُسْتَقْبَلًا لَا مَحَالَةَ - فَاتَّقُوا النَّارَ بِالْإِيمَانِ يَا نَبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي حَطَّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجُمٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ
إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَفَضَّلُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْتُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ
لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

(٢٥) وأخبر -أيها الرسول- أهل الإيمان والعمل الصالح خبراً يملؤهم سروراً، بأن لهم في الآخرة حدائق عجيبة، تجري الأنهار تحت قصورها العالية وأشجارها الظليلة. كلّمهم رزقهم الله فيها نوعاً من الفاكهة اللذيذة قالوا: قد رزقنا الله هذا النوع من قبل، فإذا ذاقوه وجدوه شيئاً جديداً في طعمه ولذته، وإن تشابه مع سابقه في اللون والمنظر والاسم. ولهم في الجنّات زوجات مطهّرات من كل ألوان الدنس الحسّي كالبول والحبض، والمعنوي كالكذب وسوء الخلق. وهم في الجنة ونعيمها دائمون، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

(٢٦) إن الله تعالى لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قل أو كثر، ولو كان تمثيلاً بأصغر شيء، كالبعوضة والذباب ونحو ذلك، مما ضربه الله مثلاً ليعجز كل ما يُعبد من دون الله. فأما المؤمنون فيعلمون حكمة الله في التمثيل بالصغير والكبير من خلقه، وأما الكفار فيسخرون ويقولون: ما مراد الله من ضرب المثل بهذه الحشرات الحقيرة؟

ويجبهم الله بأن المراد هو الاختبار، وتمييز المؤمن من الكافر؛ لذلك يصرف الله بهذا المثل ناساً كثيرين عن الحق لسخرتهم منه، ويوفق به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية. والله تعالى لا يظلم أحداً؛ لأنه لا يضرّف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

(٢٧) الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكّده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبخالفون دين الله قطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٢٨) كيف تنكرون -أيها المشركون- وحدانية الله تعالى، وتشركون به غيره في العبادة مع البرهان القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم غير مخلوقين فأوجدكم ونفخ فيكم الحياة، ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم التي حددها لكم، ثم يعيدكم أحياء يوم البعث، ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء.

(٢٩) الله وحده الذي خلق لأجلكم كل ما في الأرض من النعم التي تنتفعون بها، ثم قصد إلى خلق السموات، فسوّاهن سبع سموات، وهو بكل شيء عليم. فعلمه -سبحانه- محيط بجميع ما خلق.

(٣٠) واذكر -أيها الرسول- للناس حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴿٣١﴾ وعلمهم ما لا يعلمون على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴿٣٢﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴿٣٣﴾ قال يادم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿٣٤﴾ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿٣٥﴾ وقلنا يتأدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴿٣٦﴾ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتنع إلى حين ﴿٣٧﴾ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴿٣٨﴾

(٣١) وبياناً لفضل آدم عليه السلام علمه الله أساء الأشياء كلها، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلاً لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات، إن كنتم صادقين في أنكم أولى بالاستخلاف في الأرض منهم.

(٣٢) قالت الملائكة: ننزهك يا ربنا، ليس لنا علم إلا ما علمتنا إياه. إنك أنت وحدك العليم بشؤون خلقك، الحكيم في تدبيرك.

(٣٣) قال الله: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجزوا عن معرفتها. فلما أخبرهم آدم بها، قال الله للملائكة: لقد أخبرتكم أني أعلم ما خفي عنكم في السموات والأرض، وأعلم ما تظهرونه وما تخفونه.

(٣٤) واذكر -أيها الرسول- للناس تكريم الله لآدم حين قال سبحانه للملائكة: اسجدوا لآدم إكراماً له وإظهاراً لفضله، فأطاعوا جميعاً إلا إبليس امتنع عن السجود تكبراً وحسداً، فصار من الجاحدين بالله العاصين لأمره.

(٣٥) وقال الله: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعاً بشاهاها متعاً هنيئاً واسعاً في أي مكان تشاءان فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله.

(٣٦) فأوقعها الشيطان في الخطيئة: بأن وسوس لها حتى أكلت من الشجرة، فتسبب في إخراجها من الجنة ونعيمها. وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضاً -أي آدم وحواء والشيطان- ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانفراع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم.

(٣٧) فتلقى آدم بالقبول كليات، ألهمه الله إياها توبة واستغفاراً، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فتاب الله عليه، وغفر له ذنبه. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

فَلَمَّا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَبْتَغِيكُمْ مَبًى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَآيَاتِي فَازْهَبُوا بِهِنَّ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَا يَخْلَعُونَ بَيْنَ يَدَيْيَ ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونُ ﴿٤٠﴾ وَلَا تَلْسَنُوا الْحَقَّ بِالْكَذِبِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ خَالِدِينَ ﴿٤١﴾ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا الْكَبِيرَةُ إِلَاءَ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي وَأَتُوا لَكُمْ مَبًى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٨﴾

(٣٨) قال الله لهم: اهبطوا من الجنة جميعاً، وسيأتيكم أنتم وذرياتكم المتعاقبة ما فيه هدايتكم إلى الحق. فمن عمل بها فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا.

(٣٩) والذين جحدوا وكذبوا بآياتنا المثلثة ودلائل توحيدنا، أولئك الذين يلازمون النار، هم فيها خالدون، لا يخرجون منها.

(٤٠) يا ذرية يعقوب اذكروا نعمي الكثيرة عليكم، واشكروا لي، وأتموا وصيتي لكم: بأن تؤمنوا بكتبي ورسلي جميعاً، وتعملوا بإشرافي. فإن علمتم ذلك أنعم لكم ما وعدتكم به من الرحمة في الدنيا، والنجاة في الآخرة. وإياي - وحدي - فخافوني، واحذروا نعمتي إن نقصتم العهد، وكفرتكم بي.

(٤١) وآمنوا - يا بني إسرائيل - بالقرآن الذي أنزلته على محمد نبي الله ورسوله، موافقاً لما تعلمونه من صحيح التوراة، ولا تكونوا أول فريق من أهل الكتاب يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي ثمنًا قليلاً من حطام الدنيا الزائل، وإياي وحدي فاعملوا بطاعتي واتركوا معصيتي.

(٤٢) ولا تخططوا الحق الذي بيّنته لكم بالباطل الذي افترتموه، واحذروا كتمان الحق الصريح من صفة نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم التي في كتبكم، وأنتم تجدونها مكتوبة عندكم، فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

(٤٣) وادخلوا في دين الإسلام: بأن تقيموا الصلاة على الوجه الصحيح، كما جاء بها نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتؤدوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، وتكونوا مع الراكعين من أمته صلى الله عليه وسلم.

(٤٤) ما أقيح حالكم وحال علمائكم حين تأمرون الناس بعمل الخيرات، وتتركون أنفسكم، فلا تأمرونها بالخير العظيم، وهو الإسلام، وأنتم تقرأون التوراة، التي فيها صفات محمد صلى الله عليه وسلم، وجوب الإيمان به!! أفلا تستعملون عقولكم استعمالاً صحيحاً؟

(٤٥، ٤٦) واستعينوا في كل أموركم بالصبر بجميع أنواعه، وكذلك الصلاة. وإنها لشاقة إلا على الخاشعين، الذين يخشون الله ويرجون ما عنده، ويوقنون أنهم ملاقو ربهم جلّ وعلا بعد الموت، وأنهم إليه راجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٤٧) يا ذرية يعقوب تذكروا نعمي الكثيرة عليكم، واشكروا لي عليها، وتذكروا أنني فضّلْتُكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء، والكتب المنزلة كالنوراة والإنجيل.

(٤٨) وخافوا يوم القيامة، يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً، ولا يقبل الله شفاعة في الكافرين، ولا يقبل منهم فدية، ولو كانت أموال الأرض جميعاً، ولا يملك أحد في هذا اليوم أن يتقدم لنصرتهم وإنقاذهم من العذاب.

(٤٩) واذكروا نعمتنا عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه، وهم يُدَيِّقونكم أشدَّ العذاب، فيكثر من دَبْحِ آبائكم، ويستبقون نساءكم للخدمة والامتهان. وفي ذلك اختبار لكم من ربكم، وفي إنجائكم منه نعمة عظيمة، تستوجب شكر الله تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

(٥٠) واذكروا نعمتنا عليكم، حين فصلنا بسبيكم البحر، وجعلنا فيه طرقاً يابسةً، فعبّرتُم، وأنقذناكم من فرعون وجنوده، ومن الهلاك في الماء. فلما دخل فرعون وجنوده طرقكم أهلكناهم في الماء أمام أعينكم.

(٥١) واذكروا نعمتنا عليكم: حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونوراً لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبوداً لكم من دون الله - وهذا أشنع الكفر بالله - وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهاً. (٥٢) ثم تجاوزنا عن هذه الفعلة المنكرة، وقبّلنا توبتكم بعد عودة موسى؛ رجاء أن تشكروا الله على نعمه وأفضاله، ولا تتبادوا في الكفر والطغيان.

(٥٣) واذكروا نعمتنا عليكم حين أعطينا موسى الكتاب الفارق بين الحق والباطل - وهو التوراة -؛ لكي تهتدوا من الضلالة.

(٥٤) واذكروا نعمتنا عليكم حين قال موسى لقومه: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً، فتوبوا إلى خالفكم: بأن يقتل بعضهم بعضاً، وهذا خير لكم عند خالفكم من الخلود الأبدي في النار، فامتثلتم ذلك، فمنَّ الله عليكم بقبول توبتكم. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

(٥٥) واذكروا إذ قلتم: يا موسى لن صدقك في أن الكلام الذي نسمعه منك هو كلام الله، حتى نرى الله عياناً، فنزلت نار من السماء رأيتُها بأعينكم، فقتلتكم بسبب ذنوبكم، وجرأتكم على الله تعالى.

(٥٦) ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة؛ لشكروا نعمة الله عليكم. فهذا الموت عقوبة لهم، ثم بعثهم الله لاستيفاء آجالهم.

(٥٧) واذكروا نعمتنا عليكم حين كنتم تبهون في الأرض؛ إذ جعلنا السحاب مظلاً عليكم من حرِّ الشمس، وأنزلنا عليكم المُنَّ، وهو شيء يشبه الصَّمْغ طعمه كالعسل، وأنزلنا عليكم السَّلْوَى وهو طير يشبه السَّيَّانِي، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تخالفوا دينكم، فلم تمتلوا. وما ظلمونا بكفران النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ لأن عاقبة الظلم عائدة عليهم.

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَنَا عَلَيْكُمْ حِينَ قُلْنَا: ادْخُلُوا
مَدِينَةَ «بَيْتِ الْمَقْدَسِ» فَكُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِهَا فِي
أَيِّ مَكَانٍ مِنْهَا أَكَلًا نَهِيًا، وَكُونُوا فِي دُخُولِكُمْ
خَاضِعِينَ لِلَّهِ، ذَلِيلِينَ لَهُ، وَقُولُوا: رَبَّنَا صُنْ عَنَّا
ذُنُوبَنَا، نَسْتَجِبْ لَكُمْ وَتَغْفِرْ عَنكُمْ وَنَسْتَزِهَا
عَلَيْكُمْ، وَنَسْتَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا
وَتَوَابًا.

(٥٩) فَبَدَّلَ الْجَانُّونَ الصَّالِحِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
قَوْلَ اللَّهِ، وَحَرَّفُوا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ جَمِيعًا، إِذْ
دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتِهَاثِهِمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي
شُعْرَةٍ، وَاسْتَهْزَوْا بِدِينِ اللَّهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ بِسَبَبِ تَمَرْدِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ
طَاعَةِ اللَّهِ.

(٦٠) وَادْكُرُوا نِعْمَتَنَا عَلَيْكُمْ - وَأَنْتُمْ عَطَاشٌ فِي
النَّيَّةِ - حِينَ دَعَانَا مُوسَى - بِضِرَاعَةٍ - أَنْ نَسْقِي
قَوْمَهُ، فَقُلْنَا: اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَضْرَبَ،
فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، بَعْدَ الْقِبَالِ،
مَعَ إِعْلَامِ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِالْعَيْنِ الْخَاصَّةِ بِهَا حَتَّى لَا
يَتَنَازَعُوا. وَقُلْنَا لَهُمْ: كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ،
وَلَا تَسْعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.

(٦١) وَادْكُرُوا حِينَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الطَّعَامَ الْخَلُوقَ،

وَالطَّيْرَ الشَّهِي، فَيُطِيرُ تَمَّ النِّعْمَةَ تَعَادَتِكُمْ، وَأَصَابَكُمْ الضِّيقُ وَالْمَلْلُ، فَقُلْتُمْ: يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ ثَابِتٍ لَا يَتَغَيَّرُ مَعَ
الْأَيَّامِ، فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ طَعَامًا مِنَ الْبَقُولِ وَالْخَضِرِ، وَالْقَتَاءِ، وَالْحَبِوبِ الَّتِي تَوْكُلُ، وَالْعَدَسِ،
وَالْبَصْلِ. قَالَ مُوسَى - مُسْتَنْكَرًا عَلَيْهِمْ -: أَنْتُمْ لَبُونَ هَذِهِ الْأَطْعِمَةَ الَّتِي هِيَ أَقْلُ قَدْرًا، وَتَتَوَكَّنُ هَذَا الرِّزْقُ النَّافِعُ الَّذِي
اخْتَارَهُ اللَّهُ لَكُمْ؟ أَهْطُوا مِنْ هَذِهِ الْبَادِيَةِ إِلَى أَيِّ مَدِينَةٍ، تَجِدُوا مَا اسْتَهْتَمْتُمْ كَثِيرًا فِي الْحَقُولِ وَالْأَسْوَاقِ. وَلَمَّا هَاطُوا بِتَبَيَّنْ لَهُمْ
أَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ اخْتِيَارَهُمْ - فِي كُلِّ مَوْطِنٍ - عَلَى اخْتِيَارِ اللَّهِ، وَيُؤْثِرُونَ شَهَوَاتِهِمْ عَلَى مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهُمْ؛ لِذَلِكَ لَزِمَتْهُمْ صِفَةُ
الذُّلِّ وَفَقْرُ النُّفُوسِ، وَانْصَرَفُوا وَرَجَعُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَلَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ عَصِيَانِهِمْ وَتَجَاوُزِهِمْ حُدُودَ رَبِّهِمْ.

(٦٢) إِنْ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، وَالَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئِينَ - وَهُمْ قَوْمٌ بَاقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ، وَلَا دِينَ مَقْرَرٌ لَهُمْ يَتَّبِعُونَهُ - هَؤُلَاءِ جَمِيعًا إِذَا صَدَّقُوا بِاللَّهِ تَصَدِّقًا صَحِيحًا خَالِصًا، وَبِیَوْمِ الْبَعْثِ وَالْجِزَاءِ، وَعَمِلُوا عَمَلًا مَرْضِيًّا عِنْدَ اللَّهِ، فَتُؤَاهِبُهُمْ ثَابِتٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. وَأَمَّا بَعْدُ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا لِلنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَ مَا جَاءَ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

(٦٣) وَاذْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - حِينَ أَخَذْنَا الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ مِنْكُمْ بِالْإِبْرَانِ بِاللَّهِ وَإِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَرَفَعْنَا جَبَلَ الطُّورِ فَوْقَكُمْ، وَقُلْنَا لَكُمْ: خُذُوا الْكِتَابَ الَّذِي أَعْطَيْنَاكُمْ بِحَبْدٍ وَاجْتِهَادٍ وَاحْفَظُوهُ، وَلَا أَطْبِقْنَا عَلَيْكُمْ الْجَبَلَ، وَلَا تَنْسُوا التَّوْرَةَ قَوْلًا وَعَمَلًا، كَيْ تَتَّقُونِي وَتَخَافُوا عِقَابِي. (٦٤) ثُمَّ خَالَفْتُمْ وَعَصَيْتُمْ مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ اخْتِذِ الْمِيثَاقِ وَرَفْعِ الْجَبَلِ كَسْأَلِكُمْ دَائِمًا. فَلَوْلَا فَضْلُ

إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَآخِلَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَؤُلَاءِ قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

الله عليكم ورحمته بالتوبة، والتجاوز عن خطاياكم، لصرتم من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

(٦٥) وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ - يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ - مَا حَلَّ مِنَ الْبَاسِ بِأَسْلَافِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى الَّتِي عَصَتْ أَمْرَ اللَّهِ، فِيمَا أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ السَّبْتِ، فَاحْتَالُوا لِاصْطِيَادِ السَّمَكِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ بِوَضْعِ الشَّبَاكِ وَحَفْرِ الْبَرَكِ، ثُمَّ اصْطَادُوا السَّمَكَ يَوْمَ الْأَحَدِ؛ حِيلَةً إِلَى الْمَحْرَمِ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، مَسَخَهُمُ اللَّهُ قِرَدَةً مَبْذُورِينَ.

(٦٦) فَجَعَلْنَا هَذِهِ الْقُرْبَى عِبْرَةً لِمَنْ يَحْضُرُهَا مِنَ الْقُرَى، يَبْلُغُهُمْ خَبَرُهَا وَمَا حَلَّ بِهَا، وَعِبْرَةً لِمَنْ يَعْمَلُ بَعْدَهَا مِثْلَ تِلْكَ الذُّنُوبِ، وَجَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً لِلصَّالِحِينَ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَيُتْبِعُوا عَلَيْهِ.

(٦٧) وَاذْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - جَنَایَةَ أَسْلَافِكُمْ، وَكَثْرَةَ تَعَتُّبِهِمْ وَجَدَاهُمْ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حِينَ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً، فَقَالُوا - مُسْتَكْبِرِينَ -: أَتَجْعَلُنَا مَوْضِعًا لِلْمَسْخَرَةِ وَالِاسْتِخْفَافِ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مُوسَى بِقَوْلِهِ: أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.

(٦٨) قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يوضح لنا صفة هذه البقرة، فأجابه: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكُمْ: صَفَتُهَا أَنْ لَا تَكُونَ مَسْنَةً هَرِمَةً، وَلَا صَغِيرَةً قَتِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ مَتَوَسِّطَةٌ بَيْنَهُمَا، فَسَارِعُوا إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِ رَبِّكُمْ.

(٦٩) فَعَادُوا إِلَى جِدَاهُمْ قَاتِلِينَ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يوضح لنا لونها. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ شَدِيدَةُ الصُّفْرِ، تُسَرُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا.

قَالُوا أَنْعِنَا رَبَّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنْ أَلْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْهِ نَاوَلْنَا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَهْتَدُوا ۖ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ أَذَلُّ
 تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لِأَشْيَئَةٍ فِيهَا قَالُوا
 أَتَنْ جَنَّتْ بِالْحَقِّ قَدْ يَجْعَلُهَا وَمَا كَادُوا يَقْعَلُونَ ۖ وَإِذَا
 قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَدْ رَأَيْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرَجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
 ۖ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِمَعْضَاهُ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
 آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَهِيَ كَالْحِجَارِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَأَنَّ الْحِجَارَ لَمَّا تَبَجُرُ
 مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
 مِنْهَا لَمَّا يَهْطِلُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ۖ أَفَتَعْصَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا الْكُفْرَ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْجِرُونَ ۖ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ۖ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا
 خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا آلَهُم بِمَافَاحَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ لِيُحَاجُّوكم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ

(٧٠) قال بنو إسرائيل لموسى: ادع لنا ربك
 يوضح لنا صفات أخرى غير ما سبق؛ لأن البقر
 - بهذه الصفات - كثير فاشتبه علينا ماذا نختار؟
 وإننا - إن شاء الله - لمهتدون إلى البقرة المأمور
 بذبحها.

(٧١) قال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة
 غير مذلة للعمل في حراثة الأرض للزراعة،
 وغير معدة للسقي من الساقية، وخالية من
 العيوب جميعها، وليس فيها علامة من لون غير
 لون جلدها. قالوا: الآن جئت بحقيقة وصف
 البقرة، فاضطروا إلى ذبحها بعد طول المراجعة،
 وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لعنادهم. وهكذا
 شددوا فشد الله عليهم.

(٧٢) واذكروا إذ قتلتم نفساً فتنازعتم بشأنها،
 كلٌ يدفع عن نفسه تهمة القتل، والله خرج ما
 كنتم تخفون من قتل القتل.

(٧٣) فقلنا: اضربوا القليل بجزء من هذه
 البقرة المذبوحة، فإن الله سيعثه حياً، ويخبركم
 عن قاتله. فضربوه ببعضها فأحياء الله وأخبر

بقاتله. كذلك يُحيي الله الموتى يوم القيامة، ويربكم - يا بني إسرائيل - معجزاته الدالة على كمال قدرته تعالى؛ لكي تفكروا
 بعقولكم، فتمتنعوا عن معاصيه.

(٧٤) ولكنكم لم تمتنعوا بذلك؛ إذ بعد كل هذه المعجزات الحارقة اشتدت قلوبكم وغلطت، فلم ينفذ إليها خير، ولم تلب
 أمام الآيات الباهرة التي أريتكموها، حتى صارت قلوبكم مثل الحجارة الصماء، بل هي أشد منها غلظة؛ لأن من الحجارة
 ما يتسع وينفج حتى تنصب منه المياه صبا، فتصير أنهاراً جارية، ومن الحجارة ما يتصدع فينشق، فتخرج منه العيون
 والينابيع، ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال من خشية الله تعالى وتعظيمه. وما الله بغافل عما تعملون.

(٧٥) أيها المسلمون أنسيتم أفعال بني إسرائيل، فطمعت نفوسكم أن يصدق اليهود بدينكم؟ وقد كان علماءهم يسمعون
 كلام الله من التوراة، ثم يحرفونه يضرفه إلى غير معناه الصحيح بعد ما عقلوا حقيقته، أو بتحريف ألفاظه، وهم يعلمون
 أنهم يحرفون كلام رب العالمين عمداً وكذباً.

(٧٦) هؤلاء اليهود إذا لقوا الذين آمنوا قالوا بلسانهم: آمناً بدينكم ورسولكم المبشر به في التوراة، وإذا خلا بعض هؤلاء
 المنافقين من اليهود إلى بعض قالوا في إنكار: اتحدون المؤمنين بها بين الله لكم في التوراة من أمر محمد؛ لتكون لهم الحجة
 عليكم عند ربكم يوم القيامة؟ أفلا تفقهون فتحدروا؟

(٧٧) أَيْفَعْلُونَ كُلَّ هَذِهِ الْجَرَائِمِ، وَلَا يَعْلَمُونَ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَخْفَوْنَهُ وَمَا يَظْهَرُونَهُ؟
(٧٨) وَمَنِ الْيَهُودُ جَمَاعَةٌ يَجْهَلُونَ الْقِرَاءَةَ
وَالْكِتَابَةَ، وَلَا يَعْلَمُونَ التَّوْرَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ
صِفَاتِ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَمَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَكَاذِيبٌ وَظُنُونٌ
فَاسِدَةٌ.

(٧٩) فَهَلَاكَ وَوَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَحْبَارِ السُّوءِ
مَنِ الْيَهُودَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ
يَقُولُونَ: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ خَالِفٌ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِيَأْخُذُوا
فِي مَقَابِلِ هَذَا عَرْضِ الدُّنْيَا. فَلَهُمْ عَقُوبَةٌ مَهْلَكَةٌ
بِسَبَبِ كِتَابَتِهِمْ هَذَا الْبَاطِلَ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَهُمْ عَقُوبَةٌ
مَهْلَكَةٌ بِسَبَبِ مَا يَأْخُذُونَهُ فِي الْمَقَابِلِ مِنَ الْمَالِ
الْحَرَامِ، كَالرَّشْوَةِ وَغَيْرِهَا.

(٨٠) وَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَنْ تَصِينَا النَّارَ
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلَةً الْعِدَّةِ. قُلْ لَهُمْ
-إِيهَا الرُّسُولُ مَبْطَلًا دَعَاؤُهُمْ-: أَعِنْدَكُمْ عَهْدٌ
مِنَ اللَّهِ بِهَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ عَهْدَهُ؟ بَلْ

أَوَّلًا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أَقْيَمُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ وَابِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا
قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ وَمِمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ
أَتُخَذَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَخْطَأَ بِهَا حَظِيئَةً، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَآلِ الَّذِينَ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

إِنكُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بِإِفْرَاطِكُمُ الْكُذْبِ.

(٨١) فَحُكْمُ اللَّهِ ثَابِتٌ: أَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ الْإِثَامَ حَتَّى جَرَّته إِلَى الْكُفْرِ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ -وَهَذَا لَا يَكُونُ
إِلَّا فِيمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ- فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَالْكَافِرُونَ الَّذِينَ يَلْزَمُونَ نَارَ جَهَنَّمَ مُلَازِمَةً دَائِمَةً لَا تَنْقَطِعُ.

(٨٢) وَحُكْمُ اللَّهِ الثَّابِتُ فِي مَقَابِلِ هَذَا: أَنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ تَصَدِّيقًا خَالِصًا، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الْمُتَّفِقَةَ مَعَ شَرِيعَةِ اللَّهِ
الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَى رَسَلِهِ، هَؤُلَاءِ يَلْزَمُونَ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ مُلَازِمَةً دَائِمَةً لَا تَنْقَطِعُ.

(٨٣) وَادْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ عَهْدًا مُّوَكَّدًا: بِأَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَحْسِنُوا لِلْوَالِدَيْنِ،
وَلِلْأَقْرَبِينَ، وَلِلْأَوْلَادِ الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ دُونَ بُلُوغِ الْحُلُمِ، وَلِلْمُحْتَاجِينَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ مَا يَكْفِيهِمْ وَيَسُدُّ حَاجَتَهُمْ،
وَأَنْ تَقُولُوا لِلنَّاسِ أَطْيَبَ الْكَلَامِ، مَعَ آدَاءِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ثُمَّ اعْرَضْتُمْ وَنَقَضْتُمْ الْعَهْدَ -إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ نَبَتْ عَلَيْهِ-
وَأَنْتُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِي إِعْرَاضِكُمْ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٥﴾
 ثُمَّ أَنْشَأَ هَؤُلَاءَ قَتْلَانِ أَنْفُسِكُمْ وَخُجِرْتُمْ قَرِيبًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرُومُونَ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٨﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مِمَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾

(٨٤) واذكروا - يا بني إسرائيل - حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً في التوراة: يحرم سفك بعضكم دم بعض، وإخراج بعضكم بعضاً من دياركم، ثم اعترفتم بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

(٨٥) ثم أنتم يا هؤلاء يقتل بعضكم بعضاً، ويُخرج بعضكم بعضاً من ديارهم، ويتقوى كل فريق منكم على إخوانه بالأعداء بغياً وعدواناً. وإن يأتوكم أسارى في يد الأعداء سعيتم في تحريرهم من الأسر، بدفع الفدية، مع أنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم. ما أفتيح ما تفعلون حين تؤمنون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعضها! فليس جزاء من يفعل ذلك منكم إلا ذلاً وفضيحة في الدنيا. ويوم القيامة يردهم الله إلى أقطع العذاب في النار. وما الله بغافل عما تعملون.

(٨٦) أولئك هم الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، فلا يخفف عنهم العذاب، وليس لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله.

(٨٧) ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسول من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى بن مريم المعجزات الواضحات، وقوينا بجبريل عليه السلام. أفكلما جاءكم رسول بوحى من عند الله لا يوافق أهواءكم، استعليتم عليه، فكذبتم فريقاً وتقتلون فريقاً؟

(٨٨) وقال بنو إسرائيل لنبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قلوبنا مغطاة، لا ينفذ إليها قولك. وليس الأمر كما ادَّعَوْا، بل قلوبهم ملعونة، مطبوع عليها، وهم مطرودون من رحمة الله بسبب جحودهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

(٨٩) وحين جاءهم القرآن من عند الله مصدقاً لما معهم من التوراة جحدوه، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا قبل بعثته يستنصرون به على مشركي العرب، ويقولون: قَرَّبَ مبعث نبي آخر الزمان، وستنبه ونقاتلكم معه. فلما جاءهم الرسول الذي عرفوا صفاته وصِدْقَه كفروا به وكذبوه. فلنعن الله على كل من كفر بنبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابه الذي أوحاه الله إليه.

(٩٠) قَبَّحَ ما اختاره بنو إسرائيل لأنفسهم؛ إذ استبدلوا الكفر بالإيمان ظُلماً وحسدًا لئلا يزال الله من فضله القرآن على نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فرجعوا بغضب من الله عليهم بسبب جحودهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بعد غضب الله كذلك عليهم بسبب تحريفهم التوراة. وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عذابٌ يذُهم ويخزيهم.

(٩١) وإذا قال بعض المسلمين لليهود: صدقوا

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْمَا أَشْرَؤَ بَيِّنَةٍ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿٩٠﴾ فَبَاءُوا وَبَغَضُوا عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نؤمن بما أنزلَ عَلَيْنَا وَيكْفرونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ طُورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا أَلْوَسِمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾

بما أنزل الله من القرآن، قالوا: نحن نصدق بما أنزل الله على أنبيائنا، ويحجدون ما أنزل الله بعد ذلك، وهو الحق مصدقاً لما معهم. فلو كانوا يؤمنون بكتبهم حقاً لآمنوا بالقرآن الذي صدقها. قل لهم -أيها الرسول-: إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم، فلماذا قتلتم أنبياء الله من قبل؟

(٩٢) ولقد جاءكم نبي الله موسى بالبراهين الواضحات الدالة على صدقه، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع، وغير ذلك مما ذكره الله في القرآن العظيم، ومع ذلك اتخذتم العجل معبوداً، بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه، وأنتم متجاوزون حدود الله.

(٩٣) واذكروا حين أخذنا عهداً مؤكداً بقبول ما جاءكم به موسى من التوراة، فنقضتم العهد، فرفعنا جبل الطور فوق رؤوسكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بجهد، واسمعوا وأطيعوا، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا قولك وعصينا أمرك؛ لأن عبادة العجل قد امتزجت بقلوبكم بسبب تماديكم في الكفر. قل لهم -أيها الرسول-: قَبَّحَ ما يأمركم به إيمانكم من الكفر والضلال، إن كنتم مصدقين بما أنزل الله عليكم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ
دُوبِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا بِالْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ
يَسْتَمْتَوْا أَبَدًا يَمَّا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِآظِلِّمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أُشْرَكُوا
يَوْمَ أَحْدَهُمْ لَوْ يَعْمُرُ لَأَف سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحَةٍ مِنْ
الْعَذَابِ أَنْ يَعْمرُوا وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ
كَانَ عَدُوًّا لَجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ
اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدَ ابْنِ دَاوُدَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

(٩٤) قل - أيها الرسول - لليهود الذين يدعون أن الجنة خاصة بهم؛ لزعيمهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم أبناءه وأحبابه: إن كان الأمر كذلك فادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم بالموت، إن كنتم صادقين لما دعواكم هذه.

(٩٥) ولن يفعلوا ذلك أبدا؛ لما يعرفونه من صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن كذبهم وافترائهم، وبسبب ما ارتكبه من الكفر والعصيان، المؤذنين إلى حرمانهم من الجنة ودخول النار. والله تعالى عليم بالظالمين من عباده، وسيجازيهم على ذلك.

(٩٦) ولتعلمن - أيها الرسول - أن اليهود أشد الناس رغبة في طول الحياة أيًا كانت هذه الحياة من الذلة والمهانة، بل تريد رغبتهم في طول الحياة على رغبات المشركين. يتمنى اليهودي أن يعيش ألف سنة، ولا يتعبه هذا العمر الطويل - إن حصل - من عذاب الله. والله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها بما يستحقونه من العذاب.

(٩٧) قل - أيها الرسول - لليهود حين قالوا: إن جبريل هو عدونا من الملائكة: من كان عدوا لجبريل فإنه نزل القرآن على قلبك بإذن الله تعالى مصدقا لِمَا سبقه من كتب الله، وهاديا إلى الحق، ومبشرا للمصدقين به بكل خير في الدنيا والآخرة.

(٩٨) من عادى الله وملائكته، ورسله من الملائكة أو البشر، وبخاصة الملاك جبريل وميكائيل؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكائيل ولهم، فأعلمهم الله أنه من عادى واحدا منها فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضا، فإن الله عدو للجاحدين ما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٩٩) ولقد أنزلنا إليك - أيها الرسول - آيات بينات وواضحات، تدل على أنك رسول من الله صدقا وحقا، وما ينكر تلك الآيات إلا الجاحلون عن دين الله.

(١٠٠) ما أفحح حال بني إسرائيل في نقضهم للعهد!! فكلما عاهدوا عهدا طرح ذلك العهد فريق منهم، ونقضوه، فتراهم يترمون العهد اليوم وينقضونه غدا؛ بل أكثرهم لا يصدقون بها جاء به نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠١) ولما جاءهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن الموافق لما معهم من التوراة طرح فريق منهم كتاب الله، وجعلوه وراء ظهورهم، شأنهم شأن الجهال الذين لا يعلمون حقيقته.

(١٠٢) واتبع اليهود ما تَحَدَّثَ الشَّيَاطِينُ بهِ
السَّحَرَةُ عَلَى عَهْدِ مَلِكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ. وَمَا
كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَمَا تَعَلَّمَ السَّحَرُ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ
هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ حِينَ عَلَّمُوا النَّاسَ السَّحَرَ؛
إِفْسَاداً لَدِينِهِمْ. وَكَذَلِكَ اتَّبَعَ الْيَهُودُ السَّحَرَ
الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ،
بِأَرْضِ «بَابِلَ» فِي «الْعِرَاقِ»؛ امْتِحَاناً وَابْتِلَاءً
مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَمَا يَعْلَمُ الْمَلَكَانِ مِنَ أَحَدٍ حَتَّى
يَنْصَحَاهُ وَيُحْذِرَاهُ مِنَ تَعَلُّمِ السَّحَرِ، وَيَقُولَا لَهُ:
لَا تَكْفُرْ بِتَعَلُّمِ السَّحَرِ وَطَاعَةِ الشَّيَاطِينِ. فَيَتَعَلَّمُ
النَّاسُ مِنَ الْمَلَكَيْنِ مَا يُجَدِّثُونَ بِهِ الْكِرَاهِيَةَ بَيْنَ
الزَّوْجَيْنِ حَتَّى يَتَفَرَّقَا. وَلَا يَسْتَطِيعُ السَّحَرَةُ أَنْ
يَضُرُّوهُ بِأَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ. وَمَا تَعْلَمُ
السَّحَرَةُ إِلَّا شَرّاً يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَقَدْ نَقَلْتَهُ
الشَّيَاطِينُ إِلَى الْيَهُودِ، فَشَاعَ فِيهِمْ حَتَّى فَضَّلُوهُ
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ. وَلَقَدْ عَلِمَ الْيَهُودُ أَنَّ مِنْ اخْتَارَ
السَّحَرَ وَتَرَكَ الْحَقَّ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ
فِي الْخَيْرِ. وَلَبِثَ مَا بَاعُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ السَّحَرِ
وَالْكَفْرِ عَوْضاً عَنِ الْإِيمَانِ وَمَتَابَعَةِ الرَّسُولِ، لَوْ

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
الْيَسِيرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بِيِذْنِ اللَّهِ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ
اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَمَكُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعُوا وَقُولُوا انْظُرْنَا
وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكَ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٦﴾

كان لهم عِلْمٌ يثمر العمل بها وعظوا به.

(١٠٣) ولو أن اليهود آمنوا وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خير لهم من السَّحَرِ ومما اكتسبوه به، لو كانوا يعلمون ما يحصل
بالإيمان والتقوى من الثواب والجزاء علماً حقيقياً لآمنوا.

(١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للرسول محمد صلى الله عليه وسلم: راعنا، أي: راعنا سمعك، فافهم عنا وأفهمنا؛
لأن اليهود كانوا يقولونها للنبى صلى الله عليه وسلم، يلوون ألسنتهم بها، يقصدون سبّه ونسبته إلى الرعونة، وقولوا -أيها
المؤمنون- بدلاً منها: انظرنا، أي انظر إلينا وتعهّدنا، وهي تؤدى المعنى المطلوب نفسه، واسمعوا ما يتلى عليكم من كتاب
ربكم وافهموه. ولللجاحدين عذاب موجه.

(١٠٥) ما يجب الكفار من أهل الكتاب والمشركين أن يُنْزَلَ عليكم أدنى خير من ربكم قرآنًا أو علماً، أو نصراً أو بشارة.
والله يختص برحمته من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.

* مَا تَسْخَرُونَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنشِئُهَا نَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ فِئْهَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
 اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْتُلْزِمَ رُسُلَكُمْ
 كَمَا سَلَّمْنَا مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَوْ رَدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارِئٍ حَسِداً
 مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا نَبَيَتْ لَهُمُ الْحَقُّ قَاعُقُوا
 وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا
 أَوْ نَصْرَانِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ
 أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

(١٠٦) ما نبذل من آية أو نزلها من القلوب والأذهان نأت بأنفع لكم منها، أو نأت بمثلها في التكليف والثواب، ولكل حكمة. ألم تعلم -أيها النبي- أنت وأمتك أن الله قادر لا يعجزه شيء؟

(١٠٧) أما علمت -أيها النبي- أنت وأمتك أن الله تعالى هو المالك المتصرف في السموات والأرض؟ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويأمر عباده وينهاهم كيفما شاء، وعليهم الطاعة والقبول. وليعلم من عصي أن ليس لأحد من دون الله من ولي يتولاهم، ولا نصير يمنعهم من عذاب الله.

(١٠٨) بل أتريدون -أيها الناس- أن تطلبوا من رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم أشياء بقصد العناد والمكابرة، كما طُلب مثل ذلك من موسى. واعلموا أن من يختر الكفر ويترك الإيمان فقد خرج عن صراط الله المستقيم إلى الجهل والضلال.

(١٠٩) تمنى كثير من أهل الكتاب أن يرجعوك بعد إيمانكم كفاراً كما كنتم من قبل تعبدون

الأصنام؛ بسبب الحقد الذي امتلأت به نفوسهم من بعد ما تبين لهم صدق نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ، واصفحوا عن جهلهم، حتى يأتي الله بحكمه فيهم بقتالهم (وقد جاء وقوعه، وسيعاقبهم لسوء أفعالهم. إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء).

(١١٠) واشتغلوا -أيها المؤمنون- بإداء الصلاة على وجهها الصحيح، وإعطاء الزكاة المفروضة. واعلموا أن كل خير تقدمونه لأنفسكم تجدون ثوابه عند الله في الآخرة. إنه تعالى بصير بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

(١١١) ادَّعى كل من اليهود والنصارى أن الجنة خاصة بطائفتهم لا يدخلها غيرهم، تلك أوهاهم الفاسدة. قل لهم -أيها الرسول-: أحضروا دليلكم على صحة ما تدَّعون إن كنتم صادقين في دعوكم.

(١١٢) ليس الأمر كما زعموا أن الجنة تخص بطائفة دون غيرها، وإنما يدخل الجنة من أخلص لله وحده لا شريك له، وهو متبع للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في كل أقواله وأعماله. فمن فعل ذلك فله ثواب عمله عند ربه في الآخرة، وهو دخول الجنة، وهم لا يخافون فيها يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْبَقَرَةُ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
مَتَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَأْوَاهُ إِنَّهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشْدَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ شَيْخَرًا وَذَيْبَرًا وَلَا تَكُنْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

عنه منها شيء.

(١١٣) وقالت اليهود: ليست البقرة: ليست النصارى على شيء من الدين الصحيح، وكذلك قالت النصارى في اليهود وهم يقرؤون التوراة والإنجيل، وفيها وجوب الإيمان بالأنبياء جميعاً. كذلك قال الذين لا يعلمون من مشركي العرب وغيرهم مثل قولهم، أي قالوا لكل ذي دين: ليست على شيء، فإله يفصل بينهم يوم القيامة فيها اختلفوا فيه من أمر الدين، ويجازي كلًّا بعمله.

(١١٤) لا أحد أظلم من الذين منعوا ذكر الله في المساجد من إقام الصلاة، وتلاوة القرآن، ونحو ذلك، وجدوا في تحريقها بالهدم، أو الإغلاق، أو بمنع المؤمنين منها. أولئك الظالمون ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد إلا على خوف ووجل من العقوبة. لهم بذلك صغار وفضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد.

(١١٥) والله جهتا شروق الشمس وغروبها وما بينهما، فهو مالك الأرض كلها. فأى جهة توجهتم إليها في الصلاة بأمر الله لكم فإنكم مبتغون وجهه، لم تخرجوا عن ملكه وطاعته. إن الله واسع الرحمة بعباده، عليم بأفعالهم، لا يغيب

(١١٦) وقالت اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله لنفسه ولداً، تنزه الله - سبحانه - عن هذا القول الباطل، بل كل ما في السموات والأرض ملكه وعبده، وهم جميعاً خاضعون له، مستخرون تحت تدبيره.

(١١٧) والله تعالى هو خالق السموات والأرض على غير مثال سبق. وإذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: «كن» فيكون.

(١١٨) وقال الجاهلة من أهل الكتاب وغيرهم لنبى الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل العناد: هلاً يكلمنا الله مباشرة ليخبرنا أنك رسوله، أو تأتينا معجزة من الله تدل على صدقك. مثل هذا القول قالته الأمم من قبل لرسولها عناداً ومكابرة؛ بسبب تشابه قلوب السابقين واللاحقين في الكفر والضلال. قد أوضحنا الآيات للذين يصدقون تصديقاً جازماً؛ لكونهم مؤمنين بالله تعالى، متبعين ما شرع لهم.

(١١٩) إنا أرسلناك - أيها الرسول - بالدين الحق المؤيد بالحجج والمعجزات، فبلغه للناس مع تبشير المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة، وتخويف المعاندين بما ينتظرهم من عذاب الله، ولست - بعد الإبلاغ - مسؤولاً عن كفر من كفر بك؛ فإنهم يدخلون النار يوم القيامة ولا يخرجون منها.

(١٢٠) ولن ترضى عنك -أيها الرسول- اليهود ولا النصارى إلا إذا تركت دينك واتبعت دينهم. قل لهم: إن دين الإسلام هو الدين الصحيح. ولئن اتبعت أهواء هؤلاء بعد الذي جاءك من الوحي ما لك عند الله من ولي ينفعك، ولا نصير ينصرك. وهذا الخطاب وإن كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو موجه إلى الأمة عامة.

(١٢١) الذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى، يقرؤونه القراءة الصحيحة، ويتبعونه حق الاتباع، ويؤمنون بما جاء فيه من الإيمان برسول الله، ومنهم خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يحرفون ولا يبدلون ما جاء فيه. هؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، وأما الذين بدّلوا بعض الكتاب وكتّموا بعضه، فهؤلاء كفار بنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، ومن يكفر به فأولئك هم أشد الناس خساراً عند الله.

(١٢٢) يا ذرية يعقوب اذكروا نعمتي الكثيرة عليكم، وأني فضّلتم على عالمي زمانكم بكثرة أنبيائكم، وما أنزل عليهم من الكتب.

(١٢٣) وخافوا أهوال يوم الحساب إذ لا تغني نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل الله منها فدية تنجيها من العذاب، ولا تنفعا وساطة، ولا أحد ينصرها.

(١٢٤) واذكر -أيها النبي- حين اختبر الله إبراهيم بما شرع له من تكاليف، فأذاها وقام بها خير قيام. قال الله له: إني جاعلك قُدوة للناس. قال إبراهيم: رب اجعل نسلي أئمة فضلاً منك، فأجابه الله سبحانه أنه لا تحصل للظالمين الإمامة في الدين.

(١٢٥) واذكر -أيها النبي- حين جعلنا الكعبة مرجعاً للناس، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم، ثم يعودون إليه، وتجمعاً لهم في الحج والعمرة، والطواف، والصلاة، وأمناً لهم، لا يُغيّر عليهم عدو فيه. وقلنا: اتّخذوا من مقام إبراهيم مكاناً للصلاة فيه، وهو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عند بنائه الكعبة. وأوحينا إلى إبراهيم وابنه إسماعيل: أن تطهرا بيتي من كل رجس ودنس؛ للمتعبدين فيه بالطواف حول الكعبة، أو الاعتكاف في المسجد، والصلاة فيه.

(١٢٦) واذكر -أيها النبي- حين قال إبراهيم داعياً: رب اجعل «مكة» بلداً آمناً من الخوف، وازرق أهله من أنواع الثمرات، وخصّ بهذا الرزق من آمن منهم بالله واليوم الآخر. قال الله: ومن كفر منهم فأزقه في الدنيا وأمّعه متاعاً قليلاً، ثم ألجّته مرغماً إلى عذاب النار. وبش الرجوع والمقام هذا المصير.

(١٢٧) واذكر - أيها النبي - حين رفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يدعوان الله في خشوع: ربنا تقبل منا صالح أعمالنا ودعائنا، إنك أنت السميع لأقوال عبادك، العليم بأحوالهم.

(١٢٨) ربنا واجعلنا ثابتين على الإسلام، متقادين لأحكامك، واجعل من ذريتنا أمة مفقادة لك، بالإيمان، وبصّرنا بمعالم عبادتنا لك، وتجاوز عن ذنوبنا، إنك أنت كثير التوبة على عبادك، واسع الرحمة بهم.

(١٢٩) ربنا وابعث في هذه الأمة رسولاً من ذرية إسماعيل يتلو عليهم آياتك ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من الشرك وسوء الأخلاق. إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها. (١٣٠) ولا أحد يعرض عن دين إبراهيم - وهو الإسلام - إلا سفيه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم في الدنيا نبياً ورسولاً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات.

(١٣١) وسبب هذا الاختيار مسارعته إلى الإسلام دون تردد، حين قال له ربه: أخلص

وَأَذْرِفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ مُنْقَسَةٍ وَلَقَدْ صُطِّفَتْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْمِعْ قَالَ أَسَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَاللَّهُ آبَاءُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآكُمُ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَلِمَةً وَلَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

نفسك لله متقاداً له. فاستجاب إبراهيم وقال: أسلمت لرب العالمين، إخلاصاً وتوحيداً ومحبة وإنابة.

(١٣٢) وحث إبراهيم ويعقوب أبناءهما على الثبات على الإسلام قائلين: يا أبناءنا إن الله اختار لكم هذا الدين - وهو دين الإسلام - فلا تفارقوه أيام حياتكم، ولا يأتكم الموت إلا وأنتم عليه.

(١٣٣) أكنتم - أيها اليهود - حاضرين حين جاء الموت يعقوب، إذ جمع أبناءه وسألهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، ونحن له متقادون خاضعون.

(١٣٤) تلك أمة قد مضت، لهم أعمالهم، ولكم أعمالكم، ولا تُسألون عن أعمالهم، وهم لا يُسألون عن أعمالكم، وكلٌ سيجازى بما فعله، لا يؤخذ أحد بذنوب أحد، ولا ينفذ أحد إلا بإيأته وتقواه.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
 رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَسَمَّ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَمِعَ لَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣٧﴾ صَبَّأَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
 أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ
 اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَوْنَ عَنْهَا كَاوُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

(١٣٥) وقالت اليهود لأمة محمد صلى الله عليه وسلم: ادخلوا في دين اليهودية تجدوا الهداية، وقالت النصارى لهم مثل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: بل الهداية أن تنبغ -جميعاً- ملة إبراهيم، الذي مال عن كل دين باطل إلى دين الحق، وما كان من المشركين بالله تعالى.

(١٣٦) قولوا -أيها المؤمنون- هؤلاء اليهود والنصارى: صدقنا بالله الواحد المعبود بحق، وبما أنزل إلينا من القرآن الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل من الصحف إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب والأسباط -وهم الأنبياء من ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة- وما أعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أعطي الأنبياء جميعاً من وحي ربهم، لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان، ونحن خاضعون لله بالطاعة والعبادة.

(١٣٧) فإن آمن الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، بمثل الذي آمنتم به، مما جاء به الرسول، فقد اهتدوا إلى الحق، وإن أعرضوا فإننا

هم في خلاف شديد، فسيكفيك الله -أيها الرسول- شرهم وينصرك عليهم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. (١٣٨) الزموا دين الله الذي فطركم عليه، فليس هناك أحسن من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالزموها، وقولوا: نحن له خاضعون مطيعون لرَبِّنا في اتباعنا ملة إبراهيم.

(١٣٩) قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب: لا تجدولونا في توحيد الله والإخلاص له، وهو رب العالمين جميعاً، لا يختص بقوم دون قوم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة لا نشرك به شيئاً، ولا نعيد أحداً غيره؟

(١٤٠) بل أنقول مجادلين في الله: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب- كانوا على دين اليهود أو النصارى؟ وهذا كذب، فقد بعثوا وماتوا قبل نزول التوراة والإنجيل. قل لهم -أيها الرسول-: أنتم أعلم بدينهم أم الله تعالى؟ وقد أخبر في القرآن بأنهم كانوا حنفاء مسلمين، ولا أحد أظلم منكم حين تخفون شهادة ثابتة عندكم من الله تعالى، وتدعون خلافها افتراء على الله. وما الله بغافل عن شيء من أعمالكم، بل هو مُحْصٍ لها ومجازيكم عليها.

(١٤١) تلك أمة من أسلافكم قد مضت، هم أعمالهم ولكم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم، وهم لا يسألون عن أعمالكم. وفي الآية قطع للتعليق بالخلقين، وعدم الاعتراض بالانتساب إليهم، وأن العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتباع رسله، وأن من كفر بروسول منهم فقد كفر بسائر الرسل.

(١٤٢) سَيَقُولُ الْجُهَالُ وَضَعَفَ الْعُقُولُ مِنَ الْيَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ، فِي سَخَرِيَّةٍ وَاعْتِرَاضٍ: مَا الَّذِي صَرَفَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى جِهَتِهَا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ؟ (وهي «بيت المقدس») قل لهم -أيها الرسول-: المشرق والمغرب وما بينهما ملك لله، فليست جهة من الجهات خارجة عن ملكه، يهدي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَايَةِ الْقَوِيمِ. وَفِي هَذَا إِشْعَارٍ بِأَنَّ الشَّأْنَ كُلَّهُ لِلَّهِ فِي امْتِنَالِ أَوَامِرِهِ، فَحَيْثُمَا وَجَّهْنَا تَوَجَّهْنَا.

(١٤٣) وكما هديناكم -أيها المسلمون- إلى الطريق الصحيح في الدين، جعلناكم أمة خياراً عدولاً؛ لتشهدوا على الأمم في الآخرة أن رسلهم بلغتهم رسالات ربهم، ويكون الرسول في الآخرة -كذلك- شهيداً عليكم أَنَّهُ بَلَّغَكُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ. وما جعلنا -أيها الرسول- قبلة «بيت المقدس» التي كنت عليها، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة بـ«مكة»، إلا ليطهر ما علمناه في الأزَل، علماً يتعلق به الثواب والعقاب؛ لنميز مَنْ يَتَّبِعُكَ وَيَطِيعُكَ وَيَسْتَقْبِلُ مَعَكَ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ، وَمَنْ هُوَ ضَعِيفُ الْإِيمَانِ فَيَتَقَلَّبُ مَرْتَدّاً عَنْ دِينِهِ

لشكِّه ونفاقه. وإن هذه الحال التي هي تحوُّل المسلم في صلاته من استقبال «بيت المقدس» إلى استقبال الكعبة، لثقلية شاقة، إلا على الذين هداهم الله وَمَنْ عَلَيْهِمُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى. وما كان الله ليضع إيمانكم به وأتباعكم لرَسُولِهِ، ويَظِلُّ صِلَاتَكُمْ إِلَى الْقِبْلَةِ السَّابِقَةِ. إنه سبحانه وتعالى ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم.

(١٤٤) قد نرى تحوُّل وجهك -أيها الرسول- في جهة السماء، مرة بعد مرة؛ انتظاراً لنزول الوحي إليك في شأن القِبْلَةِ، فلنصرفك عن «بيت المقدس» إلى قبلة تحبها وترضاها، وهي وجهة المسجد الحرام بـ«مكة»، فوَلَّ وجهك إليها. وفي أي مكان كنتم -أيها المسلمون- وأردتم الصلاة فتوجهوا نحو المسجد الحرام. وإن الذين أعطاهم الله علم الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويلك إلى الكعبة هو الحق الثابت في كتبهم. وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعتضون المشككون، وسيجازيهم على ذلك.

(١٤٥) ولئن جئت -أيها الرسول- الذين أعطوا التوراة والإنجيل بكل حجة وبرهان على أن توجَّهك إلى الكعبة في الصلاة هو الحق من عند الله، ما تبعوا قبلك؛ عناداً واستكباراً، وما أنت بتابع قبلتهم مرة أخرى، وما بعضهم بتابع قبلة بعض. ولئن اتبعت أهواءهم في شأن القِبْلَةِ وغيرها بعد ما جاءك من العلم بأنك على الحق وهم على الباطل، إنك حينئذ لمن الظالمين لأنفسهم. وهذا خطاب لجميع الأمة، وهو تهديد ووعد لمن يتبع أهواء المخالفين لشرعية الإسلام.

الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُعَذِّبُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ يَعْزِزُوهُ كَمَا يَعْزِفُونَ أَيْتَاءَهُمْ
وَأَنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيْسَ لَهُمْ الْحَقُّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ
هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَغْفِرُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا يَاتٍ بِكُمْ اللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا تِلْكَ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرْكُمْ
وَأَشْكُرْكُمْ أَلَى وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

(١٤٦) الذين أعطيتهم التوراة والإنجيل من أبحار اليهود وعلماء النصارى يعرفون أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم، مثل معرفتهم أبناءهم. وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون صدقه، وثبت أوصافه.

(١٤٧) الذي أنزل إليك -أيها النبي- هو الحق من ربك، فلا تكوننَّ من الشاكين فيه. وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو وجهه للأمة.

(١٤٨) ولكل أمة من الأمم قبله يتوجه إليها كل واحد منها في صلته، فبادروا -أيها المؤمنون- متسابقين إلى فعل الأعمال الصالحة التي شرعها الله لكم في دين الإسلام. وسيجمعكم الله جميعاً يوم القيامة من أي موضع كنتم فيه. إن الله على كل شيء قدير.

(١٤٩) ومن أي مكان خرجت -أيها النبي- مسافراً، وأردت الصلاة، فوجه وجهك نحو المسجد الحرام. وإن توجهك إليه هو الحق الثابت من ربك. وما الله بغافل عما تعملونه، وسيجازيكم على ذلك.

(١٥٠) ومن أي مكان خرجت -أيها النبي- فوجهك إلى المسجد الحرام، وحيثما كنتم -أيها المسلمون-، بأي قطر من أقطار الأرض فولُّوا وجوهكم نحو المسجد الحرام؛ لكي لا يكون للناس المخالفين لكم احتجاج عليكم بالمخاصمة والمجادلة، بعد هذا التوجه إليه، إلا أهل الظلم والعناد منهم، فيسبطلون على جداهم، فلا تخافوهم وخافوني بامتنال أمري، واجتناب نهيي؛ ولكي أتم نعمتي عليكم باختيار أكمل الشرائع لكم، ولعلكم تهتدون إلى الحق والصواب.

(١٥١) كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم الآيات المبينة للحنن من الباطل، ويظهركم من دنس الشرك وسوء الأخلاق، ويعلمكم الكتاب والسنة وأحكام الشريعة، ويعلمكم من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم السابقة ما كنتم تجهلونه.

(١٥٢) أمر تعالى المؤمنين بذكره، ووعد عليه أفضل الجزاء، وهو الثناء في الملأ الأعلى على من ذكره، وخصوني -أيها المؤمنون- بالشكر قولاً وعملاً، ولا تجحدوا نعمي عليكم.

(١٥٣) يا أيها المؤمنون اطلبوا العون من الله في كل أموركم: بالصبر على النوائب والمصائب، وبالصبر على ترك المعاصي والذنوب، وبالصبر على الطاعات والقربات، وبالصلاة التي تطمئن بها النفس، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر. إن الله مع الصابرين بعونه وتوقيفه وتسديده. وفي الآية إثبات معية الله الخاصة بالمؤمنين، المنتضية لما سلف ذكره؛ أما المعية العامة، المنتضية للعلم والإحاطة فهي لجميع الخلق.

(١٥٤) ولا تقولوا لمن قُتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء - فيمن يُقتلون مجاهدين في سبيل الله: هم أموات؛ بل هم أحياء حياة خاصة بهم في قبورهم، لا يعلم كيفيتها إلا الله - تعالى -، ولكنكم لا تحسون بها. وفي هذا دليل على نعيم القبر.

(١٥٥) ولنتخبرنكم بشيء يسير من الخوف، ومن الجوع، وبنقص من الأموال بتعسر الحصول عليها، أو ذهابها، ومن الأنفس: بالموت أو الشهادة في سبيل الله، وبنقص من ثمرات النخيل والأعناب والحبوب، بقلّة ناتهاها أو فسادها. وبشر - أي النبي - الصابرين على هذا وأمثاله بما يفرحهم ويُسّرهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

(١٥٦) من صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه قالوا: إنا عبيد لمولوكون الله، مذبّرون بأمره وتصريفه، يفعل بنا ما يشاء، وإننا إليه راجعون بالموت، ثم بالبعث للحساب والجزاء.

(١٥٧) أولئك الصابرون لهم ثناء من ربهم ورحمة عظيمة منه سبحانه، وأولئك هم المهتدون إلى الرشاد.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَاعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَفَعَ خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ مَا نَزَّلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ أُولَئِكَ أُولُوا نَارٍ أَلْوَنَ ﴿١٦٠﴾ وَإِنَّا لِلْأَرْحَامِ ﴿١٦١﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُ كَرِيمٌ ﴿١٦٤﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾

(١٥٨) إن الصفا والمروة - وهما جبلان صغيران قرب الكعبة من جهة الشرق - من معالم دين الله الظاهرة التي تعبد الله عباده بالسعي بينهما. فمن قصد الكعبة حاجاً أو معتمراً، فلا إثم عليه ولا حرج في أن يسعى بينهما، بل يجب عليه ذلك، ومن فعل الطاعات طوعية من نفسه، مخلصاً بها لله تعالى، فإن الله تعالى شاكر يثيب على القليل بالكثير، عليم بأعمال عباده فلا يضيعها، ولا يبغض أحداً متقال ذرة.

(١٥٩) إن الذين يُخفون ما أنزلنا من الآيات الواضحات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم ممن يكتم ما أنزل الله من بعد ما أظهرناه للناس في التوراة والإنجيل، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم باللعنة جميع الخليقة.

(١٦٠) إلا الذين رجعوا مستغفرين الله من خطاياهم، وأصلحوا ما أفسدوه، وبَيَّنَّاهُمْ ما كتموه، فأولئك أقبل توبتهم وأجازيهم بالمغفرة، وأنا التواب على من تاب من عبادي، الرحيم بهم؛ إذ وفقتهم للتوبة وقبلتها منهم.

(١٦١) إن الذين جحدوا الإيثار وكتموا الحق، واستمروا على ذلك حتى ماتوا، أولئك عليهم لعنة الله بالطردهم من رحمته، وعليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين.

(١٦٢) دائمين في اللعنة والنار، لا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يُمهّلون بمعذرة يعتذرون بها.

(١٦٣) وإلهمكم - أيها الناس - إله واحد متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبودية خلقه له، لا معبود بحق إلا هو، الرحمن المتصف بالرحمة في ذاته وأفعاله لجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَأَلْفَاكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَأَ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا رَيْثَ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْتَخْرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنْ لَكُمْ قُلُوبٌ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ سِئَرًا لِدَارٍ عَلَيْهِمْ أَعْلَمُوا إِذْ تَبَرَّأَ
الْعَذَابُ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٧١﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَزْوَاجَ الْعَذَابِ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٧٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا لِمَنَا كَذَلِكَ يَريهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٧٣﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٥﴾

(١٦٤) إن في خلق السموات بارئتها
وتناسعها، والأرض بجلالها وسهولها وبحارها،
وفي اختلاف الليل والنهار من الطول والقصر،
والظلمة والنور، وتعاقدتهما بأن يخلف كل
منهما الآخر، وفي السفن الجارية في البحار،
التي تحمل ما ينفع الناس، وما أنزل الله من
السما من ماء المطر، فأحيا به الأرض،
فصارت مخضرة ذات بهجة بعد أن كانت يابسة
لا نبات فيها، وما نشره الله فيها من كل ما دب
على وجه الأرض، وما أنعم به عليكم من تقلب
الرياح وتوجيهها، والسحاب المسير بين السماء
والأرض، إن في كل الدلائل السابقة آيات
على وحدانية الله، وجليس نعمه، لقوم يعقلون
مواضع الحجج، ويفهمون أدلته سبحانه على
وحدانيته، واستحقاقه وحده للعبادة.

(١٦٥) ومع هذه البراهين القاطعة يتخذ فريق
من الناس من دون الله أصناماً وأوثاناً وأولياء
يجعلونهم نظراء لله تعالى، ويعطونهم من المحبة
والتعظيم والطاعة، ما لا يليق إلا بالله وحده.
والمؤمنون أعظم حبا لله من حب هؤلاء الكفار
لله ولاهنتهم؛ لأن المؤمنين أخلصوا المحبة كلها

لله، وأولئك أشركوا في المحبة. ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك في الحياة الدنيا، حين يشاهدون عذاب الآخرة، أن
الله هو المتفرد بالقوة جميعاً، وأن الله شديد العذاب، كما اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم من دونه، ويتقربون بهم إليه.

(١٦٦) عند معاينتهم عذاب الآخرة يتبرأ الرؤساء المتبوعون ممن اتبعهم على الشرك، وتقطع بينهم كل الصلات التي
ارتبطوا بها في الدنيا: من القرابة، والائتباع، والدين، وغير ذلك.

(١٦٧) وقال التابعون: ياليت لنا عودة إلى الدنيا، فنعلن براءتنا من هؤلاء الرؤساء، كما أعلنوا براءتهم منا. وكما أراهم الله
شدة عذابه يوم القيامة يريم أعمالهم الباطلة ندامات عليهم، وليسوا بخارجين من النار أبداً.

(١٦٨) يا أيها الناس كلوا من رزق الله الذي أباحه لكم في الأرض، وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ولا تتبعوا
طرق الشيطان في التحليل والتحريم، والبدع والمعاصي. إنه عدو لكم ظاهر العداوة.

(١٦٩) إنما يأمركم الشيطان بكل ذنب قبيح يسوءكم، ويكل معصية بالغة القبح، وبأن تفترؤا على الله الكذب من تحريم
الحلال وغيره بدون علم.

(١٧٠) وإذا قال المؤمنون ناصحين أهل الضلال: اتبعوا ما أنزل الله من القرآن والهدى، أصروا على تقليد أسلافهم المشركين قائلين: لا نتبع دينكم، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. أينعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون عن الله شيئاً، ولا يدركون رشداً؟

(١٧١) وصفة الذين كفروا وداعيتهم إلى الهدى والإيمان كصفة الراعي الذي يصبح باليهائم ويزجرها، وهي لا تفهم معاني كلامه، وإنما تسمع النداء ودوي الصوت فقط. هؤلاء الكفار صُمِّ سُدُوا أسعاهم عن الحق، بكم أحرصوا ألتستهم عن النطق به، غُمِّي لا ترى أعينهم براهينه الباهرة، فهم لا يعملون عقولهم فيما ينفعهم.

(١٧٢) يا أيها المؤمنون كلوا من الأطعمة المستلذة الحلال التي رزقناكم، ولا تكونوا كالكفار الذين يجرمون الطيبات، ويستجلون الخبائث، واشكروا الله نعمه العظيمة عليكم بقلوبكم وألستكم وجوارحكم، إن كنتم حقاً متقادين لأمره، سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

(١٧٣) إنما حَرَّمَ الله عليكم ما يضركم كالميتة التي لم تذبح بطريقة شرعية، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والذبائح التي ذبحت لغير الله. ومن فَضَّل الله عليكم وتيسره أنه أباح لكم أكل هذه المحرمات عند الضرورة. فمن أَلْجَأَتْهُ الضرورة إلى أكل شيء منها، غير ظالم في أكله فوق حاجته، ولا متجاوز حدود الله فيها أُبِيحَ له، فلا ذنب عليه في ذلك. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(١٧٤) إن الذين يُخْفُونَ ما أنزل الله في كتبه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الحق، ويحرصون على أخذ عوض قليل من عرض الحياة الدنيا مقابل هذا الإخفاء، هؤلاء ما يأكلون في مقابلة كتاب الحق إلا ناز جهنم تتأجج في بطونهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة لغضبه وسخطه عليهم، ولا يظهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم، وهم عذاب موجه.

(١٧٥) أولئك المتصفون بهذه الصفات استبدلوا الضلالة بالهدى وعذاب الله بمغفرته، فما أشد جرأتهم على النار بعملهم أفعال أهل النار!! يعجب الله من إقدامهم على ذلك، فاعجبوا! -أيها الناس- من جرأتهم، ومن صبرهم على النار ومكثهم فيها. وهذا على وجه الاستهانة، بهم والاستخفاف بأمرهم.

(١٧٦) ذلك العذاب الذي استحقوه بسبب أن الله تعالى نَزَّلَ كتبه على رسله مشتملة على الحق المبين، فكفروا به. وإن الذين اختلفوا في الكتاب فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، لفي منازعة ومفارقة بعيدة عن الرشد والصواب.

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَآثَرَ السَّبِيلِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَعَمِلَ فِي الْمَوْثِقَاتِ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّبْرَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتْلُ الْخَرَاءُ وَالْعَبْدُ وَالْأَنْثَى
بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى عَنْهُ فَمِنْ آخِيهِ شَيْءٌ فَأَتَابُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَذَانُ
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّكُمْ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
فَإِنَّمَا أَنِامَةُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنِ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

(١٧٧) ليس الخير عند الله - تعالى - في التوجه في الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، وإنما الخير كل الخير هو إيمان من آمن بالله وصدق به معبوداً وحده لا شريك له، وآمن بيوم البعث والجزاء، وبالملائكة جميعاً، وبالكتب المنزلة كافة، وبجميع النبيين من غير تفریق، وأعطى المال تطوعاً - مع شدة حبه - ذوي القربى، واليتامى المحتاجين الذين مات آبائهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين الذين لا يملكون ما يكفهم ويسد حاجتهم، والمسافرين المحتاجين الذين بعدوا عن أهلهم ومالهم، والسائلين الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، وأنفق في تحرير الرقيق والأسرى، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة المفروضة، والذين يوفون بالعهود، ومن صبر في حال فقره ومرضه، وفي شدة القتال. أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك هم الذين اتقوا عقاب الله فجنبوا معاصيه.

(١٧٨) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره فرض الله عليكم أن تقتصوا من القاتل عمداً بقتله، بشرط المساواة والمائلة: يُقتل الحر بمثله، والعبد بمثله، والأنثى بمثلها. فمن ساعه ولي المقتول بالعفو عن الاقتصاص منه والانتفاء بأخذ الدية - وهي قدر مالي محدد يدفعه الجاني مقابل العفو عنه - فليلتزم الطرفان بحسن الخلق، فيطالب الولي بالدية من غير عنف، ويدفع القاتل إليه حقه بإحسان، من غير تأخير ولا نقص. ذلك العفو مع أخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة بكم؛ لما فيه من التسهيل والانتفاع. فمن قتل القاتل بعد العفو عنه وأخذ الدية فله عذاب أليم بقتله قصاصاً في الدنيا، أو بالنار في الآخرة. (١٧٩) ولكم في تشريع القصاص وتنفيذه حياة آمنة - يا أصحاب العقول السليمة -؛ رجاء تقوى الله وخشيته بطاعته دائماً.

(١٨٠) فرض الله عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت ومقدماته - إن ترك مالا - الوصية بجزء من ماله للوالدين والأقربين مع مراعاة العدل؛ فلا يدع الفقير ويوصي للغني، ولا يتجاوز الثلث، وذلك حتى ثابت يعمل به أهل التقوى الذين يخافون الله. وكان هذا قبل نزول آيات الموارث التي حدد الله فيها نصيب كل وارث.

(١٨١) فمن غير وصية الميت بعدما سمعها منه قبل موته، فإنما الذنب على من غير وبدل. إن الله سميع لوصيتكم وأقوالكم، عليم بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق والعدل أو الجور والحيف، وسيجازيكم على ذلك.

(١٨٢) فَمَنْ عَلِمَ مِنْ مَوَاصِي مَيْلًا عَنِ الْحَقِّ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَا أَوْ الْعَمَدِ، فَنَصَحَ الْمَوْصِي وَفَتِ الْوَصِيَّةَ بِمَا هُوَ الْأَعْدَلُ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ فَأَصْلَحَ بَيْنَ الْأَطْرَافِ بِتَغْيِيرِ الْوَصِيَّةِ؛ لِتَوَافُقِ الشَّرِيعَةِ، فَلَا ذَنْبَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْإِصْلَاحِ. إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

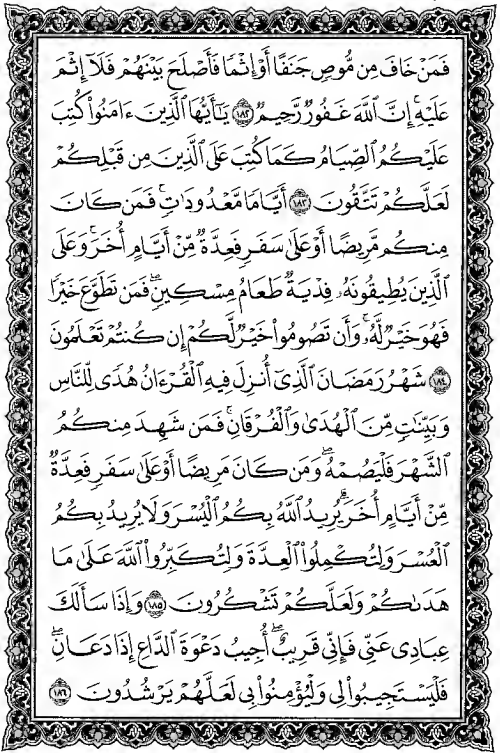
(١٨٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، فَارْضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الصِّيَامَ كَمَا فَرَضَهُ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ رَبَّكُمْ، فَتَجْعَلُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي وَقَايَةً بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ.

(١٨٤) فَارْضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَ أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ الْعِدَّةِ وَهِيَ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا يَشْقَى عَلَيْهِ الصَّوْمُ، أَوْ مُسَافِرًا فَلَهُ أَنْ يَفْطُرَ، وَعَلَيْهِ صِيَامُ عِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ بِقَدَرِ النَّاسِ أَفْطَرُ فِيهَا. وَعَلَى الَّذِينَ يَتَكَلَّفُونَ الصِّيَامَ وَيَشْقَى عَلَيْهِمْ مَشَقَّةٌ غَيْرَ مُحْتَمَلَةٍ كَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ، وَالْمَرِيضِ الَّذِي لَا يُزْجَى شِفَاؤُهُ، فَدِيَّةٌ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ يَفْطُرُهُ، وَهِيَ طَعَامٌ مُحْتَاجٌ لَا يَمْلِكُ مَا يَكْفِيهِ

وَيَسُدُّ حَاجَتَهُ، فَمَنْ زَادَ فِي قَدْرِ الْقَدِيَّةِ تَرْعَاءً مِنْهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَصِيَامُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ - مَعَ تَحْمُلِ الْمَشَقَّةِ - مِنْ إِعْطَاءِ الْقَدِيَّةِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لِلصَّوْمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

(١٨٥) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي ابْتَدَأَ اللَّهُ فِيهِ أَنْزَالَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ هِدَايَةً لِلنَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، فِيهِ أَوْضَحَ الدَّلَائِلَ عَلَى هُدَى اللَّهِ، وَعَلَى الْفَارِقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. فَمَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ وَكَانَ صَاحِبًا مُقْبِيًا فَلْيَصُمْ نَهَارَهُ. وَارْخُصْ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ فِي الْفِطْرِ، ثُمَّ بِقَضِيَّانِ عِدَّةِ تِلْكَ الْأَيَّامِ. يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ الْيُسْرَ وَالسَّهُولَةَ فِي شَرَاتِعِهِ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَالْمَشَقَّةَ، وَلِتَكْمَلُوا عِدَّةَ الصِّيَامِ شَهْرًا، وَلِتَخْتَمُوا الصِّيَامَ بِتَكْبِيرِ اللَّهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ، وَلِتَعْظُمُوهُ عَلَى هِدَايَتِهِ لَكُمْ، وَلِكِي تَشْكُرُوا لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّيْسِيرِ.

(١٨٦) وَإِذَا سَأَلْتُ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عِبَادِي عَنِّي فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي، فَلْيَطِيعُونِي فِيهَا أَمْرَهُمْ بِهِ وَنَهْيَهُمْ عَنْهُ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ إِلَى مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنْخِبَارٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَنْ قَرْبِهِ مِنْ عِبَادِهِ، الْقَرَبُ اللَّاتِقُ بِجَلَالِهِ.



أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقُبُ إِلَى نَسَائِكُمْ هُنَّ
لِيَاْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاْسَ لَهُنَّ عِلْمُ اللَّهِ أَنْكُمْ كُنْتُمْ
تُخَاتِنُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ
بَكْشِرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ وَأَمَّا كِتَابُ اللَّهِ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ
الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ
عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ ذِكْرُ اللَّهِ فَلا تَقْرُبُوهُا ذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَفِيٌّ
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالطَّيْلِ وَتَدُلُّوْا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِمَّنْ آوَلِ النَّاسُ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٨٨﴾ يَتْلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ
وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْوُلِ الْبُيُوتِ مِنْ طُهورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ أَتَقَى اللَّهَ وَأَتَوَلَّى الْبُيُوتِ مِنْ أَوْأَلِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

(١٨٧) أباح الله لكم في ليالي شهر رمضان
جماعاً لنسائكم، هن ستر وحفظ لكم، وأنتم
ستر وحفظ لهن. علم الله أنكم كنتم تخونون
أنفسكم؛ بمخالفة ما حرمه الله عليكم من
جماعة النساء بعد العشاء في ليالي الصيام - وكان
ذلك في أول الإسلام -، فتاب الله عليكم ووسع
لكم في الأمر، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما
قدّره الله لكم من الأولاد، وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم ضياء الصباح من سواد الليل؛ بظهور
الفجر الصادق، ثم أتموا الصيام بالإمساك عن
المفطرات إلى دخول الليل بغروب الشمس. ولا
تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يفضي إلى جماعهن
إذا كنتم معتكفين في المساجد؛ لأن هذا يفسد
الاعتكاف (وهو الإقامة في المسجد مدة معلومة
بنيّة التقرب إلى الله تعالى). تلك الأحكام التي
شرعها الله لكم هي حدوده الفاصلة بين الحلال
والحرام، فلا تقربوها حتى لا تقعوا في الحرام.
يمثل هذا البيان الواضح بين آياته وأحكامه
للناس؛ كي يتقوه ويخشوه.

(١٨٨) ولا يأكل بعضكم مال بعض بسبب
باطل كاليمين الكاذبة، والغضب، والسرقة،
والرّشوة، والربا ونحو ذلك، ولا تلقوا إلى
الحكام بالحجج الباطلة؛ لتأكلوا عن طريق
التخاصم أموال طائفة من الناس بالباطل،
وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم.

(١٨٩) يسألك أصحابك - أي النبي - عن الأهلة وتغير أحوالها، قل لهم: جعل الله الأهلة علامات يعرف بها الناس
أوقات عبادتهم المحددة بوقت مثل الصيام والحج، ومعاملاتهم. وليس الخير ما تودعتم عليه في الجاهلية وأول الإسلام
من دخول البيوت من ظهورها حين تُخرمون بالحج أو العمرة، طائنين أن ذلك قرينة إلى الله، ولكن الخير هو فعل من
اتقى الله واجتنب المعاصي، وادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة، واخشوا الله تعالى في كل أموركم؛
لتفوزوا بكل ما تحبون من خيري الدنيا والآخرة.

(١٩٠) وقتلوا - أيها المؤمنون - نصرة دين الله الذين يقتلونكم، ولا تركبوا المناهي من المثلة، والغلول، وقتل من لا
يحل قتله من النساء والصبيان والشيوخ، ومن في حكمهم. إن الله لا يحب الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرم الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم.

(١٩١) واقتلوا الذين يقاتلونكم من المشركين حيث وجدتموهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه وهو «مكة». والفتنة - وهي الكفر والشرك والصد عن الإسلام - أشد من قتلهم إياهم. ولا تبدؤوهم بالقتال عند المسجد الحرام تعظيماً لحرماته حتى يبدؤوكم بالقتال فيه، فإن قاتلوكم في المسجد الحرام فاقتلوهم فيه. مثل ذلك الجزاء الرادع يكون جزاء الكافرين.

(١٩٢) فإن تركوا ما هم فيه من الكفر وقتلهم عند المسجد الحرام، ودخلوا في الإيمان، فإن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(١٩٣) واستمروا - أيها المؤمنون - في قتال المشركين المعتدين، حتى لا تكون فتنة للمسلمين عن دينهم ولا شرك بالله، ويبقى الدين لله وحده خالصاً لا يُعْبَدُ معه غيره. فإن كفوا عن الكفر والقتال فكفوا عنهم؛ فالعقوبة لا تكون إلا على المستمرين على كفرهم وعدوانهم.

(١٩٤) قتالكم - أيها المؤمنون - للمشركين في الشهر الذي حُرِّمَ الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام. والذي يعتدي على ما حُرِّمَ الله من المكان والزمان، يعاقب بمثل فعله، ومن جنس عمله. فمن اعتدى عليكم بالقتال أو غيره فأنزلوا به عقوبة مماثلة لجنايته، ولا حرج عليكم في ذلك؛ لأنهم هم البادئون بالعدوان،

وخافوا الله فلا تتجاوزوا المائلة في العقوبة، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه ويطيعونه بأداء فرائضه وتحجب محارمه.

(١٩٥) واستمروا - أيها المؤمنون - في إنفاق الأموال لنصرة دين الله تعالى، والجهاد في سبيله، ولا توفعوا أنفسكم في الممالك بترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق فيه، وأحسنوا في الإنفاق والطاعة، واجعلوا عملكم كله خالصاً لوجه الله تعالى. إن الله يحب أهل الإخلاص والإحسان.

(١٩٦) وأدوا الحج والعمرة تأتئين، خالصين لوجه الله تعالى. فإن منعكم عن الذهاب لإتمامها بعد الإحرام بها مانع كالعدو والمرض، فالواجب عليكم ذنب ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقرباً إلى الله تعالى؛ لكي تخرجوا من إحرامكم بخلق شعر الرأس أو تقصيره، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم مُحْضَرِينَ حتى ينحر الْمُحْضَرُ هديه في الموضع الذي حُصِرَ فيه ثم يجل من إحرامه، كما نحر النبي صلى الله عليه وسلم في «الحديبية» ثم حلق رأسه، وغير الْمُحْضَرِ لا ينحر الهدى إلا في الحرم، الذي هو محله في يوم العيد، اليوم العاشر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق - وهو مُحْرَمٌ - حلق، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاة لفقراء الحرم. فإذا كنتم في أمن وصحة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّمَ عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذنب ما تيسر من الهدى، فمن لم يجد هدياً يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهدى وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتنب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب ما عنه زجر.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الشَّفَقَىٰ وَأَتَقُوا لِلَّهِ الْأَبْأَتَ ۖ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۖ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصَ النَّاسِ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَفْوًَّا رَحِيمًا ۖ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا فَمَنْ الْتَأَسَّ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ۚ وَقَدْ آتَاكَ النَّارُ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝

(١٩٧) وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. فمن أوجب الحج على نفسه فيهن بالإحرام، فيحرم عليه الجماع ومقدماته القولية والفعلية، ويحرم عليه الخروج عن طاعة الله تعالى بفعل المعاصي، والجدال في الحج الذي يؤدي إلى الغضب والكراهية. وما تفعلوا من خير يعلمه الله، فيجازي كلاً على عمله. وخذوا لأنفسكم زاداً من الطعام والشراب لسفر الحج، وزاداً من صالح الأعمال للدار الآخرة، فإن خير الزاد تقوى الله، وخافوني يا أصحاب العقول السليمة.

(١٩٨) ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقاً من ربكم بالربح من التجارة في أيام الحج. فإذا دفعتم بعد غروب الشمس راجعين من «عرفات» -وهي المكان الذي يقف فيه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة- فاذكروا الله بالتسبيح والتلبية والدعاء عند المشعر الحرام -«المزدلفة»-، واذكروا الله على الوجه الصحيح الذي هداكم إليه، ولقد كنتم من قبل هذا الهدى في ضلال لا تعرفون معه الحق.

(١٩٩) وليكن اندفاعكم من «عرفات» التي أفاض منها إبراهيم عليه السلام مخالفين بذلك من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واسألوا الله أن يغفر لكم ذنوبكم. إن الله غفور لعباده المستغفرين الثانيين، رحيم بهم.

(٢٠٠) فإذا أتممت عبادتكم، وفرغتم من أعمال الحج، فأكثروا من ذكر الله والثناء عليه، مثل ذكركم مفاخر آباءكم وأعظم من ذلك. فمن الناس فريق يجعل همه الدنيا فقط، فيدعو قائلاً: ربنا آتنا في الدنيا صحة، ومالاً، وأولاداً، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب، لرغبتهم عنها وقصر همهم على الدنيا.

(٢٠١) ومن الناس فريق مؤمن يقول في دعائه: ربنا آتنا في الدنيا عافية ورزقاً وعلماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، وفي الآخرة الجنة، واصرر عذاب النار. وهذا الدعاء من أجمع الأدعية، ولهذا كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في الصحيحين.

(٢٠٢) أولئك الداعون بهذا الدعاء هم ثواب عظيم؛ بسبب ما كسبوه من الأعمال الصالحة. والله سريع الحساب، مُحْصٍ أعمال عباد، ومجازيهم بها.

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ مَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَوْا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهِهَآ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْصَاتٍ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلْ مَآءَاثِرُكُمْ لَا تُبَلِّغُوا اللَّهَ عَنِّي رِجْزٌ كَبِيرٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

(٢٠٣) واذكروا الله تسبيحاً وتكبيراً في أيام قلائل، وهي أيام التشريق: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة. فمن أراد التعجل وخرج من «منى» قبل غروب شمس اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمار فلا ذنب عليه، ومن تأخر بأن بات بـ«منى» حتى يرمي الجمار في اليوم الثالث عشر فلا ذنب عليه، لمن اتقى الله في حجه. والتأخر أفضل؛ لأنه تزود في العبادة واقتداء بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وخافوا الله -أيها المسلمون- وراقبوه في كل أعمالكم، واعلموا أنكم إليه وحده تُحْشَرُونَ بعد موتكم للحساب والجزاء.

(٢٠٤) وبعض الناس من المنافقين يعجبك -أيها الرسول- كلامه الفصيح الذي يريد به حظاً من حظوظ الدنيا لا الآخرة، ويحلف مستشهداً بالله على ما في قلبه من محبة الإسلام، وفي هذا غاية الجرأة على الله، وهو شديد العداوة والخصومة للإسلام والمسلمين.

(٢٠٥) وإذا خرج من عندك أيها الرسول، جَذَّ

وتشبط في الأرض ليفسد فيها، وتلف زروع الناس، ويقتل ماشيتهم. والله لا يحب الفساد.

(٢٠٦) وإذا نصبح ذلك المنافق المفسد، وقيل له: اتق الله واحذر عقابه، وكُفَّ عن الفساد في الأرض، لم يقبل النصيحة، بل يحمله الكبر وحمية الجاهلية على مزيد من الآثام، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وكافيته عذاباً، ولبس الفراش هي.

(٢٠٧) وبعض الناس يبيع نفسه طلباً لرضا الله عنه، بالجهاد في سبيله، والتزام طاعته. والله رؤوف بالعباد، يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم، فيجازيهم أحسن الجزاء.

(٢٠٨) يا أيها الذين آمنوا بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً، ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، عاملين بجميع أحكامه، ولا تركوا منها شيئاً، ولا تتبعوا طرق الشيطان فيا يدعوكم إليه من المعاصي. إنه لكم عدو ظاهر العداوة فاحذروه.

(٢٠٩) فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد ما جاءكم الحجج الواضحة من القرآن والسنة، فاعلموا أن الله عزيز في ملكه لا يفوته شيء، حكيم في أمره ونهيه، يضع كل شيء في موضعه المناسب له.

(٢١٠) ما ينتظر هؤلاء المعاندون الكافرون بعد قيام الأدلة البينة إلا أن يأتهم الله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه في ظُلل من السحاب يوم القيامة؛ ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وأن تأتي الملائكة، وحينئذ يقضي الله تعالى فيهم قضاءه. وإليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَلَكُمَ الْآيَاتُ أَنَّمَا يُبَدِّلُ نِعْمَةَ
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ رُبُّنَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَوَاةُ الدُّنْيَا وَسَخَّرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ
 وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
 مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِلْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِلْبَنِيِّ وَالْمَسْكِينِ
 وَأَتَى السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

(٢١١) سل - أيها الرسول - بني إسرائيل المعاندين لك: كم أعطيتهم من آيات واضحات في كتبهم تهديهم إلى الحق، فكفروا بها كلها، وأعرضوا عنها، وخرّفوها عن مواضعها. ومن يبذل نعمة الله - وهي دينه - ويكفر بها من بعد معرفتها، وقيام الحجة عليه بها، فإن الله تعالى شديد العقاب له.

(٢١٢) حَسَّنَ للذين جحدوا وحدانية الله الحياة الدنيا وما فيها من الشهوات والملذات، وهم يستهزئون بالمؤمنين. وهؤلاء الذين يخشون ربهم فوق جميع الكفار يوم القيامة؛ حيث يدخلهم الله أعلى درجات الجنة، وينزل الكافرين أسفل درجات النار. والله يرزق من يشاء من خلقه بغير حساب.

(٢١٣) كان الناس جماعة واحدة، متفقين على الإيمان بالله ثم اختلفوا في دينهم، فبعث الله النبيين دعاء لدين الله، مبشرين من أطاع الله بالجنة، ومخذرين من كفر به وعصاه النار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الذي اشتملت عليه؛ ليحكموا بها فيها بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه ظلماً وحسداً إلا الذين أعطاهم

الله التوراة، وعرفوا ما فيها من الحجج والأحكام، فوق الله المؤمنين بفضلِهِ إلى تمييز الحق من الباطل، ومعرفة ما اختلفوا فيه. والله يوفق من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم.

(٢١٤) بل أظنتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة، ولمَّا يصيبكم من الابتلاء مثل ما أصاب المؤمنين الذين مضوا من قبلكم: من الفقر والأمراض والخوف والرعب، وزُلْزِلُوا بأنواع المخاوف، حتى قال رسوهم والمؤمنون معه - على سبيل الاستعجال للنصر من الله تعالى -: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين.

(٢١٥) يسألك أصحابك - أيها النبي - أي شيء ينفقون من أصناف أموالهم تقرباً إلى الله تعالى، وعلى من ينفقون؟ قل لهم: أنفقوا أي خير يتيسر لكم من أصناف المال الحلال الطيب، واجعلوا نفقتكم للوالدين، والأقربين من أهلكم وذوي أرحامكم، واليتامى الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والمسافر المحتاج الذي يُعَدُّ عن أهله وماله. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى به عليم.

كَيْتَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَاتِلٍ فِيهِ قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَيْفَ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيمْتِ وَهُوَ كَافِرٌ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَآجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْصُ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(٢١٦) فرض الله عليكم -أيها المؤمنون- قتال الكفار، والقتال مكره لكم من جهة الطبع؛ لمشقتة وكثرة مخاطره، وقد تكرهون شيئاً وهو في حقيقته خير لكم، وقد تحبون شيئاً لما فيه من الراحة أو اللذة العاجلة، وهو شر لكم. والله تعالى يعلم ما هو خير لكم، وأنتم لا تعلمون ذلك. فبادروا إلى الجهاد في سبيله.

(٢١٧) يسألك المشركون -أيها الرسول- عن الشهر الحرام: هل يحل فيه القتال؟ قل لهم: القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه، ومنعكم الناس من دخول الإسلام بالتعذيب والتخويف، ووجودكم بالله ورسوله وبدينه، ومنع المسلمين من دخول المسجد الحرام، وإخراج النبي والمهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه، ذلك أكبر ذنباً، وأعظم جرماً عند الله من القتال في الشهر الحرام. والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام. وهؤلاء الكفار لم يرتدعوا عن جرائمهم، بل هم مستمررون عليها، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك. ومن يطغهم منكم -أيها المسلمون- ويريدون عن دينه فيمت على

الكفر، فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبداً. (٢١٨) إن الذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه والذين تركوا ديارهم، وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يطمعون في فضل الله وثوابه. والله غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم ورحمة واسعة.

(٢١٩) يسألك المسلمون -أيها النبي- عن حكم تعاطي الخمر شرباً وبيعاً وشراءً، والخمر كل مسكر خامر العقل وغطاه مشروباً كان أو مأكولاً، ويسألونك عن حكم القمار -وهو أخذ المال أو إعطاؤه بالمقامرة وهي المغالبات التي فيها عوض من الطرفين-، قل لهم: في ذلك أضرار ومفاسد كثيرة في الدين والدنيا، والعقول والأموال، وفيها منافع للناس من جهة كسب الأموال وغيرها، وإثمها أكبر من نفعها؛ إذ يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويتلفان المال. وكان هذا تمهيداً لتحريمها. ويسألونك عن القدر الذي يتفقونه من أموالهم تبرعاً وصدقة، قل لهم: أنفقوا القدر الذي يزيد على حاجتكم. مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم الآيات وأحكام الشريعة؛ لكي تفكروا فيها ينفعكم في الدنيا والآخرة.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَحْتَمِلُ قُلُوبُ أَصْلَاحِهِمْ
خَيْرٌ وَإِنْ نَحْنُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ خَوَّنَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدِينَ
الْمُضِلِّينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَسْكَبُوا الْمُسْرِكَةَ حَتَّى يُوْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ
خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أَجْنَبِيَّةٌ كَرُّ وَلَا تَسْكَبُوا الْمُسْرِكِينَ
حَتَّى يُوْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أَجْنَبِيَّةٌ كَرُّ
أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي
الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ
مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ
﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَقُوا حَرْثَكُمْ أَنْ يَشْتَرُوا وَقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوْنَ وَيُشِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

(٢٢٠) ويسألكم - أيها النبي - عن اليتامى الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ كيف يتصرفون معهم في معاشهم وأموالهم؟ قل لهم: إصلاحكم لهم خير، فافعلوا الأنفع لهم دائماً، وإن تخالطوهم في سائر شؤون المعاش ففهم إخوانكم في الدين. وعلى الأخ أن يرى مصلحة أخيه. والله يعلم المضيع لأموال اليتامى من الخريص على إصلاحها. ولو شاء الله لضيق وشق عليكم بتحريم المخالطة. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في خلقه وتديره وتشريعه.

(٢٢١) ولا تتزوجوا - أيها المسلمون - المشركات عابدات الأوثان، حتى يدخلن في الإسلام. واعلموا أن امرأة مملوكة لا مال لها ولا حسب، مؤمنة بالله، خير من امرأة مشركة، وإن أعجبتكم المشرقة الحرة. ولا تزوجوا نساءكم المؤمنات - إماء أو حرائر - للمشركين حتى يؤمنوا بالله ورسوله. واعلموا أن عبداً مؤمناً مع فقره، خير من مشرك، وإن أعجبتكم المشرقة. أولئك المتصفون بالشرك رجالاً ونساءً يدعون كل من يعاشرهم إلى ما يؤدي به إلى النار، والله سبحانه يدعو عباده إلى دينه الحق المؤدي بهم إلى الجنة ومغفرة ذنوبهم بإذنه، ويبين آياته وأحكامه للناس؛ لكي يتذكروا، فيعتبروا.

(٢٢٢) ويسألكم عن الحيض - وهو الدم الذي يسيل من أرحام النساء جيلةً في أوقات مخصوصة -، قل لهم - أيها النبي -: هو أذى مستقذر يضر من يقربه، فاجتنبوا جماع النساء مدة الحيض حتى ينقطع الدم، فإذا انقطع الدم، واغتسلن، فجامعوهن في الموضع الذي أحله الله لكم، وهو القبل لا الدبر. إن الله يحب عباده الكثيرين من الاستغفار والتوبة، ويجب عبادته المتطهرين الذين يبتعدون عن الفواحش والأقذار.

(٢٢٣) نسأوكم موضع زرع لكم، تضعون النطفة في أرحامهن، فيخرج منها الأولاد بمشيئة الله، فجامعوهم في محل الجماع فقط، وهو القبل بأي كيفية شئتم، وقدموا لأنفسكم أعمالاً صالحة بمراعاة أوامر الله، وخافوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه للحساب يوم القيامة. وبشر المؤمنين - أيها النبي - بما يُفريحهم ويسرهم من حسن الجزاء في الآخرة.

(٢٢٤) ولا تجعلوا - أيها المسلمون - حلفكم بالله مانعاً لكم من البرّ وصلة الرحم والتقوى والإصلاح بين الناس: بأن تدعوا إلى فعل شيء منها، فتحثجوا بأنكم أقسمتم بالله ألا تفعلوه، بل على الخالف أن يعدل عن حلفه، ويفعل أعمال البر، ويكفر عن يمينه، ولا يعتاد ذلك. والله سميع لأقوالكم، عليم بجميع أحوالكم.

(٢٢٥) لا يعاقبكم الله بسبب أيانكم التي تحلفونها بغير قصد، ولكن يعاقبكم بما قصدته قلوبكم. والله غفور لمن تاب إليه، حلیم بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة.

(٢٢٦) للذين يحلفون بالله أن لا يجامعوا نساءهم، انتظار أربعة أشهر، فإن رجعوا قبل فوات الأشهر الأربعة، فإن الله غفور لما وقع منهم من الحلف بسبب رجوعهم، رحيم بهم. (٢٢٧) وإن عقدوا عزمهم على الطلاق، باستمرارهم في اليمين، وترك الجماع، فإن الله سمیع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم، وسيجازيهم على ذلك.

(٢٢٨) والطلاق ذوات الحيض، يجب أن ينتظرن دون نكاح بعد الطلاق مدة ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات على سبيل العدة؛ ليتأكدن من فراغ الرحم من الحمل. ولا يجوز هن تزوج رجل آخر في أثناء هذه العدة حتى تنتهي. ولا يحل هن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض، إن كانت المطلقات مؤمنات حقاً بالله واليوم الآخر. وأزواج المطلقات أحق بمراجعتهن في العدة. وينبغي أن يكون ذلك

بقصد الإصلاح والخير، وليس بقصد الإضرار؛ تعذيباً هن بتطويل العدة. وللنساء حقوق على الأزواج، مثل التي عليهن على الوجه المعروف، وللرجال على النساء منزلة زائدة من حسن الصعبة، والعشرة بالمعروف، والقوامة على البيت، ومثلک الطلاق. والله عزيز له العزة القاهرة، حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب.

(٢٢٩) الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان، واحدة بعد الأخرى، فحكم الله بعد كل طلاق هو إمساک المرأة بالمعروف، وحسن العشرة بعد مراجعتها، أو تخليع سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها، وألا يذكرها مطلقاً بسوء. ولا يحل لكم -أيها الأزواج- أن تأخذوا شيئاً مما أعطيتموهن من المهر ونحوه، إلا أن يخاف الزوجان ألا يبقوا بالحقوق الزوجية، فحينئذ يعرضان أمرهما على الأولياء، فإن خاف الأولياء عدم إقامة الزوجين حدود الله، فلا حرج على الزوجين فيها تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها. تلك الأحكام هي حدود الله الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله تعالى فأولئك هم الظالمون أنفسهم بتعريضها لعذاب الله.

(٢٣٠) فإن طلق الرجل زوجته المطلقة الثالثة، فلا تحل له إلا إذا تزوجت رجلاً غيره زوجاً صحيحاً وجامعها فيه، ويكون الزواج عن رغبة، لا بنية تحليل المرأة لزوجها الأول، فإن طلقها الزوج الآخر أو مات عنها وانقضت عدتها، فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتزوجا بعقد جديد، ومهر جديد، إن غلب على ظنهما أن يبقيا أحكام الله التي شرعها للزوجين. وتلك أحكام الله المحددة بينها لقوم يعلمون أحكامه وحدوده؛ لأنهم المتفنعون بها.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَٰلِيَةَ اللَّهِ هُرُوفًا
 وَذَكِّرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَيْهِ كُومًا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ
 لِيُعْظَمَ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ يَكُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ۖ وَإِذَا
 طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
 أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
 كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِصَ الرِّضَاعَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
 وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا ضَرَّ
 وَلَدٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ
 أَرَادَ اِفْصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ
 أَرَدْتُمْ أَنْ تُنْقِصُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
 ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ يَجْمَعَ لَكُمْ بَصِيرًا ۝

(٢٣١) وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فلابن انتهاء عدتهن، فراجعوهن، وبنينكم القيام بحقوقهن على الوجه المستحسن شرعاً وعرفاً، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن. واحذروا أن تكون مراجعتهن بقصد الإضرار بهن لأجل الاعتداء على حقوقهن. ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه باستحقاقه العقوبة، ولا تتخذوا آيات الله وأحكامه لعباً وهواً. واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتفصيل الأحكام. واذكروا ما أنزل الله عليكم من القرآن والسنة، واشكروا له سبحانه على هذه النعم الجليلة، يُذكركم الله بهذا، ويخوفكم من المخالفة، فخافوا الله وراقبوه، واعلموا أن الله علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلأ بما يستحق.

(٢٣٢) وإذا طَلَّقْتُمُ نِسَاءَكُمْ دون الثلاث وانتهت عدتهن من غير مراجعة لمن، فلا تنقضوا -أيها الأولياء- على المطلقات بمنعهن من العودة إلى أزواجهن بعقد جديد إذا أردن ذلك، وحدث التراضي شرعاً وعرفاً. ذلك يوعظ به من كان منكم صادق الإيمان بالله واليوم الآخر. إن ترك

العضل وتمكين الأزواج من نكاح زوجاتهم أكثر ناء وطهارة لأعراضكم، وأعظم منفعة وثواباً لكم. والله يعلم ما فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك.

(٢٣٣) وعلى الوالدات إرضاع أولادهن مدة سنتين كاملتين لمن أراد إتمام الرضاعة، ويجب على الآباء أن يكفلوا للمرضعات المطلقات طعامهن وكسوتهن، على الوجه المستحسن شرعاً وعرفاً؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا قدر طاقتها، ولا يحل للوالدين أن يجعلوا المولود وسيلة للمضارة بينهما، ويجب على الوارث عند موت الوالد مثل ما يجب على الوالد قبل موته من النفقة والكسوة. فإن أراد الوالدان فطام المولود قبل انتهاء السنتين فلا حرج عليها إذا تراضيا وتشاورا في ذلك؛ ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود. وإن اتفق الوالدان على إرضاع المولود من مرضعة أخرى غير والدته فلا حرج عليها، إذا سلم الوالد للأُم حقها، وسلم للمرضعة أجرها بما يتعارفه الناس. وخافوا الله في جميع أحوالكم، واعلموا أن الله بها يعملون بصير، وسيجازيكم على ذلك.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ أَنَّ أَنْفُسَهُنَّ
 أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَحَقُّهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ
 أَوْ أَكْتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَ وَهِنَّ
 وَلَٰكِنْ لَا تَوَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَلَا تَعْرَضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
 وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
 مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى
 الْمُوسَعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْفَقِيرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ
 فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِضْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ
 أَوْ عَفَا الَّذِي بَيْنَهُمَا عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
 وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

(٢٣٤) والذين يموتون منكم، ويتركون زوجات بعدهم، يجب عليهن الانتظار بأنفسهن مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، لا يخرجن من منزل الزوجية، ولا يتزينن، ولا يتزوجن، فإذا انتهت المدة المذكورة فلا إثم عليكم يا أولياء النساء فيما يفعلن في أنفسهن من الخروج، والتزين، والزواج على الوجه المقرر شرعاً. والله سبحانه وتعالى خبير بأعمالكم ظاهرها وباطنها، وسيجازيكم عليها.

(٢٣٥) ولا إثم عليكم -أيها الرجال- فيما تُلَمَّحون به من طلب الزواج بالنساء المتوفى عنهن أزواجهن، أو المطلقات طلاقاً باتناً في أثناء عدتهن، ولا ذنب عليكم أيضاً فيما أضمرتموه في أنفسكم من نية الزواج بهن بعد انتهاء عدتهن. علم الله أنكم ستذكرون النساء المعتدات، ولن تصبروا على السكوت عنهن، لضغفكم؛ لذلك أباح لكم أن تذكروهن تلميحاً أو إضماراً في النفس، واحذروا أن تواعدوهن على الزواج في أثناء سرّاً بالزنى أو الاتفاق على الزواج في أثناء

العدة، إلا أن تقولوا قولا يفهم منه أن مثلها يرغب فيها الأزواج، ولا تعزموا على عقد النكاح في زمان العدة حتى تنقضي مدتها. واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فخافوه، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من ذنوبه، حلیم على عباده لا يعجل عليهم بالعقوبة.

(٢٣٦) لا إثم عليكم -أيها الأزواج- إن طلقتم النساء بعد العقد عليهن، وقبل أن تجامعوها، أو تحددوا مهرأ لهن، ومتَّعوهن بشيء ينتفعن به جبراً لهن، ودفعاً لو حشنة الطلاق، وإزالة للأحقاد. وهذه المتعة تجب بحسب حال الرجل المطلق: على الغني قدر سعة رزقه، وعلى الفقير قدر ما يملكه، متاعاً على الوجه المعروف شرعاً، وهو حق ثابت على الذين يحسنون إلى المطلقات وإلى أنفسهم بطاعة الله.

(٢٣٧) وإن طلقتم النساء بعد العقد عليهن، ولم تجامعوها، ولكنكم ألزمت أنفسكم بمهر محدد لهن، فيجب عليكم أن تعطوهن نصف المهر المتفق عليه، إلا أن تُسامِح المطلقات، فيترك نصف المهر المستحق لهن، أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله، وتسامحكم أيها الرجال والنساء أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تنسوا -أيها الناس- الفضل والإحسان بينكم، وهو إعطاء ما ليس بواجب عليكم، والتسامح في الحقوق. إن الله بها يعملون بصير، يُرَغِّبكم في المعروف، ويحثُّكم على الفضل.

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّيْسُطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ
قَلْبَيْنِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَرْسَبْنَا قَادًا أَمْسَمُ
فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
۝ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
وَصِيَّةً لَا زَوْجَهُمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي مَا فَعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَمَّا طَلَقْتَ مَتَّعَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمَتَّقِينَ ۝ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُتُولا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝
وَقُلْتُمْ لَوْ أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَنْ
ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً ۝ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

(٢٣٨) حافظوا - أيها المسلمون - على الصلوات الخمس المفروضة بالمداومة على أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، وحافظوا على الصلاة المتوسطة بينها وهي صلاة العصر، وقوموا في صلاتكم مطيعين لله، خاشعين ذليلين.

(٢٣٩) فإن خفتم من عدو لكم فصلوا صلاة الخوف ماشين، أو راكبين، على أي هيئة تستطيعونها ولو بالإيماء، أو إلى غير جهة القبلة، فإذا زال خوفكم فصلوا صلاة الأمن، واذكروا الله فيها، ولا تقصوها عن هيتها الأصلية، واشكروا له على ما علمكم من أمور العبادات والأحكام ما لم تكونوا على علم به.

(٢٤٠) والأزواج الذين يموتون ويتركون زوجات بعدهم، فعليهم وصية هن: أن يمُتُنَّ سنة تامة من يوم الوفاة، بالسكنى في منزل الزوج من غير إخراج الورثة هن مدة السنة؛ جبراً لحاظر الزوجة، وبراً بالمتوفى. فإن خرجت الزوجات باختيارهن قبل انقضاء السنة فلا إثم عليكم - أيها الورثة - في ذلك، ولا حرج على الزوجات فيما فعلن في أنفسهن من أمور مباحة.

والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره ونهيه. وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَىٰ بِأَنْفُسِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَشْهُرَ عَشْرًا﴾.

(٢٤١) وللمطلقات متاع من كسوة ونفقة على الوجه المعروف المستحسن شرعاً، حقاً على الذين يخافون الله ويتقونه في أمره ونهيه.

(٢٤٢) مثل ذلك البيان الواضح في أحكام الأولاد والنساء، يبين الله لكم آياته وأحكامه في كل ما تحتاجون إليه في معاشكم ومعادكم؛ لكي تعقلوها وتعملوا بها.

(٢٤٣) أيها الرسول - قصة الذين فرّوا من أرضهم ومنازلهم، وهم أُلُوف كثيرة؛ خشية الموت من الطاعون أو القتال، فقال لهم الله: موتوا، فإتوا دفعة واحدة عقوبة على فرارهم من قدر الله، ثم أحياهم الله تعالى بعد مدة؛ ليستوفوا آجالهم، وليتغظوا ويتوبوا؟ إن الله لذو فضل عظيم على الناس بنعمه الكثيرة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم.

(٢٤٤) وقالوا - أيها المسلمون - الكفار لنصرة دين الله، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم.

(٢٤٥) من ذا الذي ينفق في سبيل الله إنفاقاً حسناً احتساباً للأجر، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة لا تحصى من الثواب وحسن الجزاء؟ والله يقبض ويبسط، فأنفقوا ولا تبالوا؛ فإنه هو الرزاق، يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي الرِّزْقِ، ويوسعهم على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك، وإليه وحده ترجعون بعد الموت، فيجازيكم على أعمالكم.

(٢٤٦) ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الأشراف والوجهاء من بني إسرائيل من بعد زمان موسى؟ حين طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكاً، يجتمعون تحت قيادته، ويقاتلون أعداءهم في سبيل الله. قال لهم نبيهم: هل الأمر كما أتوقعه إن فرض عليكم القتال في سبيل الله أنكم لا تقاتلون؟ فاني أتوقع جُنُكم وفراركم من القتال، قالوا مستنكرين توقع نبيهم: وأي مانع يمنعنا عن القتال في سبيل الله، وقد أخرجنا عدونا من ديارنا، وأبعدنا عن أولادنا بالقتل والأسر؟ فلما فرض الله عليهم القتال مع الملك الذي عينه لهم جبنوا وفرّوا عن القتال، إلا قليلاً منهم ثبتوا بفضل الله. والله عليم بالظالمين الناكثين عهدهم.

(٢٤٧) وقال لهم نبيهم: إن الله قد أرسل إليكم طالوت ملكاً إجابة لطلبكم، يقودكم لقتال عدوكم كما طلبتم. قال كبراء بني إسرائيل: كيف يكون طالوت ملكاً علينا، وهو لا يستحق ذلك؟ لأنه ليس من سبط الملوك، ولا من بيت النبوة، ولم يعط كثرة في الأموال يستعين بها في ملكه، فنحن أحق بالملك منه؛ لأننا من سبط الملوك ومن بيت النبوة. قال لهم نبيهم: إن الله

اختاره عليكم وهو سبحانه أعلم بأمور عباده، وزاده سعة في العلم وقوة في الجسم ليجاهد العدو. والله مالك الملك يعطي ملكه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بحقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء.

(٢٤٨) وقال لهم نبيهم: إن علامة ملكه أن يأتيكم الصندوق الذي فيه التوراة -وكان أعداؤهم قد انتزعوه منهم- فيه طمأنينة من ربكم تثبت قلوب المخلصين، وفيه بقية من بعض أشياء تركها آل موسى وآل هارون، مثل العصا وفئات الألواح تحمله الملائكة. إن في ذلك لأعظم برهان لكم على اختيار طالوت ملكاً عليكم بأمر الله، إن كنتم مصدقين بالله ورسله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَهْمُ اعْبُدُونَا لَنَا مَلِكٌ نَقُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَتَنَا أَفْقِدُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا إِنَّ يَكُونُ لَهُ أَلْمَلِكُ عَلَيْهِ تَا وَدَعْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَكِنْ نَرَاكَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

فَلَمَّا قَاصَلْ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهُوا فِتْنَةَ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ صَبْرًا وَعَزِّزْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

(٢٤٩) فلما خرج طالوت بطالوته لقتال العماليق قال لهم: إن الله ممتحنكم على الصبر. ينهر أمامكم تعبرونه؛ ليميز المؤمن من المنافق، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس مني، ولا يصلح للجهاد معي، ومن لم يذوق الماء فإنه مني؛ لأنه مطيع لأمري وصالح للجهاد، إلا من ترخص واغترف غُرْفَةً واحدة بيده فلا لوم عليه. فلما وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء، وأفرطوا في الشرب منه، إلا عددًا قليلًا منهم صبروا على العطش والحرق، واكتفوا بغُرْفَةٍ اليد، وحينئذ تخلف العصاة. ولما عبر طالوت النهر هو والقلة المؤمنة معه - وهم ثلاثمائة بضعة عشر رجلاً - للملاقاة العدو، ورأوا كثرة عدوهم وعدتهم، قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده الأشداء، فأجاب الذين يوقنون ببقاء الله، يُذَكِّرُونَ إِخْوَانَهُمْ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ قَاتِلِينَ: كم من جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت بإذن الله وأمره جماعة كثيرة كافرة باغية. والله مع الصابرين بتوفيقه ونصره، وحسن مثوبته.

(٢٥٠) ولما ظهروا لجالوت وجنوده، ورأوا

الخطر رأي العين، فزعوا إلى الله بالدعاء والضراعة قاتلين: ربنا أنزل على قلوبنا صبراً عظيماً، وثبت أقدامنا، واجعلها راسخة في قتال العدو، لا تتغير من هول الحرب، وانصرنا بعونك وتأييدك على القوم الكافرين.

(٢٥١) فهزمهم بإذن الله، وقتل داود - عليه السلام - جالوتَ قائدَ الجبابرة، وأعطى الله عز وجل داود بعد ذلك الملك والنسبة في بني إسرائيل، وعلمه بما يشاء من العلوم. ولولا أن يدفع الله ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له والإيمان به - بعضاً، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بغلبة الكفر، وتمكَّن الطغيان، وأهل المعاصي، ولكن الله ذو فضل على المخلوقين جميعاً.

(٢٥٢) تلك حجج الله وبراهينه، نقضها عليك - أيها النبي - بالصدق، وإنك لمن المرسلين الصادقين.

(٢٥٣) هؤلاء الرسل الكرام فضّل الله بعضهم على بعض، بحسب ما من الله به عليهم: فمنهم من كلمه الله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله، ومنهم من رفعه الله درجات عالية كمحمد صلى الله عليه وسلم، بعموم رسالته، وختم النبوة به، وتفضيل أمته على جميع الأمم، وغير ذلك. وأتى الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام البينات المعجزات الباهرات، كإبراهيم من ولد آدمى بإذن الله تعالى، ومن به برص بإذن الله، وكإحسانه الموتى بإذن الله، وأيده بجبريل عليه السلام. ولو شاء الله ألا يقتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما جاءتهم البينات ما اقتتلوا، ولكن وقع الاختلاف بينهم: فمنهم من ثبت على إيمانه، ومنهم من أصر على كفره. ولو شاء الله بعد ما وقع الاختلاف بينهم، الموجب للاقتتال، ما اقتتلوا، ولكن الله يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به، ويخذل من يشاء، فيعصيه ويكفر به، فهو يفعل ما يشاء ويختار.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ عَدُوِّ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَنَّهُمْ يَوْمٌ لَا يَبْتَغِ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٦﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٧﴾

(٢٥٤) يا من آمنتم بالله وصدّقتم رسوله وعلمتم بهديه أخرجوا الزكاة المفروضة، وتصدّقوا بما أعطاكم الله قبل مجيء يوم القيامة، حين لا يبيع فيكون ربح، ولا مال تفتنون به أنفسكم من عذاب الله، ولا صداقة صديق تُنقذكم، ولا شافع يملك تخفيف العذاب عنكم. والكافرون هم الظالمون المتجاوزون حدود الله.

(٢٥٥) الله الذي لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، الحي الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء، لا تأخذه سنة أي: نعاس، ولا نوم، كل ما في السموات وما في الأرض ملك له، ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، يحيط علمه بجميع الكائنات ماضيتها وحاضرها ومستقبلها، يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلية، وما خلفهم من الأمور الماضية، ولا يطّلع أحد من الخلق على شيء من علمه إلا بما أعلمه الله وأطلعه عليه. وسع كرسيه السموات والأرض، والكرسي: هو موضع قدمي الرب - جل جلاله - ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، ولا ينقله سبحانه حفظها، وهو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء. وهذه الآية أعظم آية في القرآن، وتسمى: (آية الكرسي).

(٢٥٦) لكمال هذا الدين واتضاح آياته لا يحتاج إلى الإكراه عليه لمن تقبل منهم الجزية، فالدلائل بينة تبضح بها الحق من الباطل، والهدى من الضلال. فمن يكفر بكل ما عُد من دون الله ويؤمن بالله، فقد ثبت واستقام على الطريقة المثلى، واستمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع له. والله سميع لأقوال عباده، عليم بنبائهم وأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

اللَّهُ وَلِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَ الْأَوْثَانِ وَالظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ
 النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءَ إِِبْرَاهِيمَ فِي رِيزِهِ
 أَنِ اتَّخِذِ اللَّهَ تَعَالَىٰ إِلَهًا ۚ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
 وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
 بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
 كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَكَالَّذِي
 مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي
 هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
 قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
 لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
 وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ
 الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَاءَ فَلَمَّا
 تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(٢٥٧) الله يتولى المؤمنين بنصره وتوفيقه وحفظه، يخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان. والذين كفروا أنصارهم وأولياؤهم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، يُخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، أولئك أصحاب النار الملائمون لها، هم فيها باقون بقاء أبدياً لا يخرجون منها.

(٢٥٨) هل رأيت -أيها الرسول- أعجب من حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته؛ لأن الله أعطاه الملك فتجبرَّ وسأل إبراهيم: مَنْ ربُّكَ؟ فقال عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلق فتحيًا، ويسلبها الحياة فتموت، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال: أنا حيي وأميت، أي أقتل مَنْ أَرَدْتُ قَتْلَهُ، وأستحيي مَنْ أَرَدْتُ اسْتِغْنَاءَهُ، فقال له إبراهيم: إن الله الذي أعبدته يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير هذه السُّنَّةَ الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؟ فتحرَّ هذا الكافر وانقطعت

حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب.

(٢٥٩) أو هل رأيت -أيها الرسول- ومثل الذي مرَّ على قرية قد تهدمت دورها، وخَوَّتْ على عروشها، فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأَمَاتَهُ اللهُ مائة عام، ثم رَدَّ إِلَيْهِ روحه، وقال له: كم قَدَّرَ الزمان الذي لَبِثْتَ ميتاً؟ قال: بقيت يوماً أو بعض يوم، فأخبره بأنه بقي ميتاً مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظها الله من التغير هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظاماً متفرقة، وقال له: ولنجعلك آية للناس، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحماً، ثم يعيد فيها الحياة، فلما اتضح له ذلك عياناً اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس.

وَلَدَقَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ
تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِنَّا كُنَّا نُجْعَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ بِأَنبِئِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ وَمِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ
يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مِمَّا وَلَا
أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ
يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ بَيِّنَاتٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَطْلُوعُ صَدَقَتِهِمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُفِقُّ مَالَهُ
رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

(٢٦٠) واذكر -أيها الرسول- طلب إبراهيم
من ربه أن يريه كيفية البعث، فقال الله له: أو
لم تؤمن؟ قال: بل، ولكن أطلب ذلك لأزاد
يقيناً على يقيني، قال: فخذ أربعة من الطير
فاضممهن إليك واذبحهن وقطعهن، ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءاً، ثم نادهن بأنتيك
مسرعات. فنادى إبراهيم عليه السلام، فإذا
كل جزء يعود إلى موضعه، وإذا بها تأتي مسرعة.
واعلم أن الله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في
أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

(٢٦١) ومن أعظم ما ينتفع به المؤمنون الإنفاق
في سبيل الله. ومَثَلُ المؤمنين الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله كمثل حبة زُرعت في أرض
طيبة، فإذا بها قد أخرجت ساقاً تشعب منها سبع
شعب، لكل واحدة سنبل، في كل سنبل مائة
حبة. والله يضاعف الأجر لمن يشاء، بحسب
ما يقوم بقلب المنفق من الإيثار والإخلاص
الناس. وفضل الله واسع، وهو سبحانه عليم

بمن يستحقه، مطلع على نيات عباده.

(٢٦٢) الذين يخرجون أموالهم في الجهاد وأنواع الخير، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات مآ على من أعطوه ولا أذى
يقول أو فعل يشعره بالفضل عليه، لهم ثوابهم العظيم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم
يحزنون على شيء فاتهم في هذه الدنيا.

(٢٦٣) كلام طيب يرد به السائل، وعفو عما بدر منه من إلحاح في السؤال، خير من صدقة يتبعها من المتصدق أذى وإساءة.
والله غني عن صدقات العباد، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

(٢٦٤) يا من أنتم بالله واليوم الآخر لا تذهبون ثواب ما تصدقون به بالمن والأذى، فهذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه
الناس، فئسوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثله كمثل حجر أمس عليه تراب هطل عليه مطر
غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أمس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراءون تضمحل أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئاً من
الثواب على ما أنفقوه. والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها.

وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَنَبُّيًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ رِيحٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَتَأْتَى أَكْثَمَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّرُصِبَتْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ
وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَوَدَّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا آخَرُجْنَا
لَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيِّثُ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسَّامُ يَأْخُذْ بِهِ إِلَّا الْآلُ تُغِيضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي
خَبِيرٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

(٢٦٥) ومثل الذين ينفقون أموالهم طلباً لرضا الله واعتقاداً راسخاً بصدق وعده، كمثل بستان عظيم بأرض عالية طيبة هطلت عليه أمطار غزيرة، فتضاعفت ثمراته، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتضاعف، قلَّت أم كثُرَتْ، فالله المُطَّلِع على السرائر، البصير بالظواهر والباطن، يثيب كلًّا بحسب إخلاصه.

(٢٦٦) أيرغب الواحد منكم أن يكون له بستان فيه النخيل والأعناب، تجري من تحت أشجاره المياه العذبة، وله فيه من كل ألوان الثمرات، وقد بلغ الكثير، ولا يستطيع أن يغرس مثل هذا الغرس، وله أولاد صغار في حاجة إلى هذا البستان وفي هذه الحالة هبَّت عليه ريح شديدة، فيها نار محرقة فأحرقته؟ وهكذا حال غير المخلصين في نفقاتهم، يأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم. يمثل هذا البيان بين الله لكم ما ينفعكم؛ كي تأملوا، فتخلصوا نفقاتكم لله.

(٢٦٧) يا من آمنتم بي واتبعتم رسلي أنفقوا من الحلال الطيب الذي كسبتموه وما آخرجنا لكم من الأرض، ولا تقصدوا الردي منه لتعطوه الفقراء، ولو أعطيتهم لم تأخذوه إلا إذا تعاوضتم عما فيه من رداءة ونقص. فكيف ترضون الله ما لا ترضونه لأنفسكم؟ واعلموا أن الله الذي رزقكم غني عن صدقاتكم، مستحق للثناء، محمود في كل حال.

(٢٦٨) هذا البخل واختيار الردي للمصدة من الشيطان الذي يخوفكم الفقر، ويغريكم بالبخل، ويأمركم بالمعاصي ومخالفة الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يعدكم على إنفاقكم غفراناً لذنوبكم ورزقاً واسعاً. والله واسع الفضل، عليم بالنيات والأعمال.

(٢٦٩) يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن أنعم الله عليه بذلك فقد أعطاه خيراً كثيراً. وما يذكركم هذا ويتنفع به إلا أصحاب العقول المستنيرة بنور الله وهدايته.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنَّ بُدْأَ الصَّدَقَاتِ فِعْعَاهُمْ وَإِنْ تَخَفُوهَا وَأُتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدُودُهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَقُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ذلك. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٢٧٣) اجعلوا صدقاتكم لفقراء المسلمين الذين لا يستطيعون السفر؛ طلباً للرزق لا اشتغالهم بالجهاد في سبيل الله، يظنهم من لا يعرفهم غير محتاجين إلى الصدقة؛ لتعففهم عن السؤال، تعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم، لا يسألون الناس بالكلفة، وإن سألوا اضطراباً لم يُلحوا في السؤال. وما تنفقوا من مالٍ في سبيل الله فلا يخفى على الله شيء منه، وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة.

(٢٧٤) الذين يُخرجون أموالهم مرضاة لله ليلاً ونهاراً سرّاً ومعلنين، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. ذلك التشريع الإلهي الحكيم هو منهاج الإسلام في الإنفاق لما فيه من سدّ حاجة الفقراء في كرامة وعزة، وتطهير مال الأغنياء، وتحقيق التعاون على البر والتقوى؛ ابتغاء وجه الله دون قهر أو إكراه.

(٢٧٠) وما أعطيتكم من مال أو غيره قليل أو كثير تتصدقون به ابتغاء مرضات الله، أو أوجبتم على أنفسكم شيئاً من مال أو غيره، فإن الله يعلمه، وهو المُطَّلِع على نياتكم، وسوف يشيكم على ذلك. ومن منع حق الله فهو ظالم، والظالمون ليس لهم أنصار يمنعونهم من عذاب الله.

(٢٧١) إن نظهروا ما تتصدقون به لله فينعم ما تصدقتم به، وإن تسروا بها، وتعطوها الفقراء فهذا أفضل لكم؛ لأنه أبعد عن الرياء، وفي الصدقة - مع الإخلاص - محو لذنوبكم. والله الذي يعلم دقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وسيجازي كلّا بعمله.

(٢٧٢) لست - أيها الرسول - مسؤولاً عن توفيق الكافرين للهداية، ولكن الله يشرح صدور من يشاء لدينه، ويوفقه له. وما تبذلوا من مال يُعَدّ عليكم نفعه من الله، والمؤمنون لا ينفقون إلا طلباً لرضا الله. وما تنفقوا من مال - مخلصين لله - تُوفوا ثوابه، ولا تُنقصوا شيئاً من

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُوا الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّخَذَتْهَا فَاةً مَسْلَفًا وَأَمْرًا إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ بَيَّأْنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا
فَأَذْنُوبُ بَحْرٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكَ رُؤُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

(٢٧٥) الذين يتعاملون بالربا - وهو الزيادة على رأس المال - لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الجنون؛ ذلك لأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا، في أن كلاً منهما حلال، ويؤدي إلى زيادة المال، فأكذبهم الله، وبين أنه أحل البيع وحرم الربا؛ لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات، ولما في الربا من استغلال وضياح وهلاك. فمن بلغه نهي الله عن الربا فارتدع، فله ما مضى قبل أن يبلغه التحريم لا إثم عليه فيه، وأمره إلى الله فيما يستقبل من زمانه، فإن استمر على توبته فله لا يضيع أجر المحسنين، ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(٢٧٦) يذهب الله الربا كله، أو يحرم صاحبه بركة ماله فلا ينتفع به، ويُبْغِي الصدقات ويكثرها، ويضاعف الأجر للمتصدقين، ويبارك لهم في أموالهم. والله لا يحب كل مُصِرٍّ على كفره، مُسْتَجِلٍّ أكل الربا، متعادي الإثم والحرام ومعاصي الله.

(٢٧٧) إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الأعمال الطيبة، وأدوا الصلاة كما أمر الله ورسوله، وأخرجوا زكاة أموالهم، لهم ثواب عظيم خاص بهم عند ربهم ورازقهم، ولا يلحقهم خوف في آخرتهم، ولا حزن على ما فاتهم من حظوظ دنياهم.

(٢٧٨) يأمن أمتهم بالله واتبعت رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولاً وعمالاً.

(٢٧٩) فإن لم تردعوا عياً نهاكم الله عنه فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن رجعتكم إلى ربكم وتركنتم أكل الربا فلكم أخذ ما لكم من ديون، دون زيادة، لا تظلمون أحداً بأخذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ولا يظلمكم أحد بنقص ما أقرضتم.

(٢٨٠) وإن كان المدين غير قادر على السداد فأملهوه إلى أن يبسر الله له رزقاً فيدفع إليكم مالكم، وإن تركوا رأس المال كله أو بعضه وتضعوه عن المدين فهو أفضل لكم، إن كنتم تعلمون فضل ذلك، وأنه خير لكم في الدنيا والآخرة.

(٢٨١) واحذروا - أيها الناس - يوماً ترجعون فيه إلى الله، وهو يوم القيامة، حيث تعرضون على الله ليحاسبكم، فيجازي كل واحد منكم بما عمل من خير أو شر دون أن يناله ظلم. وفي الآية إشارة إلى أن اجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية، تكميل للإيمان وحقوقه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعمل الصالحات.

(٢٨٢) يامن آمنتم بالله واتبعتم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إذا تعاملتم بدين إلى وقت معلوم فكتبوه؛ حفظاً للمال ودفعاً للنزاع. وليُقم بالكتابة رجل أمين ضابط، ولا يمتنع من علمه الله الكتابة عن ذلك، وليُقم المدين بإملاء ما عليه من الدين، وليراقب ربه، ولا ينقص من دينه شيئاً. فإن كان المدين محجوراً عليه لتبذيره وإسرافه، أو كان صغيراً أو مجنوناً، أو لا يستطيع النطق لخرس به أو عدم قدرة كاملة على الكلام، فليتلّ الإملاء عن المدين القائم بأمره، واطلبوا شهادة رجلين مسلمين بالغين عاقلين من أهل العدالة، فإن لم يوجد رجلان، فاطلبوا شهادة رجل وامرأتين ترضون شهادتهم؛ حتى إذا تيسبت إحداها ذكرت الأخرى، وعلى الشهاداء أن يجيبوا من دعاهم إلى الشهادة، وعليهم أداؤها إذا ما دُعوا إليها، ولا تملأوا من كتابة الدين قليلاً أو كثيراً إلى وقته المعلوم. ذلكم أعدل في شرع الله وهديه، وأعظم عوناً على إقامة الشهادة وأدائها، وأقرب إلى نفي الشك في جنس الدين وقدره وأجله، لكن إن كانت

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قَدَّيْنْتُمْ بَيْنَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَمَرَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَحْضُرَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمْلِهُهُ فَليُكْتُبْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشَّاهِدَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّاهِدَةِ وَأَذْنُ الْأَلَّا تَرْضَاؤُا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ

المسألة مسألة بيع وشراء، بأخذ سلعة ودفع ثمنها في الحال، فلا حاجة إلى الكتابة، ويستحب الإشهاد على ذلك منعاً للنزاع والشقاق، ومن الواجب على الشاهد والكاتب أداء الشهادة على وجهها والكتابة كما أمر الله، ولا يجوز لصاحب الحق ومن عليه الحق الإضرار بالكتاب والشهود، وكذلك لا يجوز للكتاب والشهود أن يضاروا بمن احتاج إلى كتابتهم أو شهادتهم، وإن فعلوا ما تُهتَمُّ عنه فإنه خروج عن طاعة الله، وعاقبة ذلك حالة بكم. وخافوا الله في جميع ما أمركم به، ونهاكم عنه، ويعلمكم الله جميع ما يصلح دنياكم وأخراكم. والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء من أموركم، وسيجازيكم على ذلك.

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابَ فَرِهَانَ مِقْبُوضَةً
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيُسْقِ
اللَّهُ رِيبَهُ وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَاللَّهِ يَكْفُرُ عَنْكُمْ فَإِنَّهُ
أَشَدُّ قَلْبًا لِلَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوتُخَفَّفُوهُ
يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ
مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ أَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَقِرُ فِي بَيْنِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكْفِ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا أَثْرَ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا
وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٢٨٣) وَإِنْ كُنْتُمْ مسافرين ولم تجدوا من يكتب لكم فادفعوا إلى صاحب الحق شيئاً يكون عنده ضماناً لحقه إلى أن يردَّ المدين ما عليه من دين، فإن وثق بَعْضُكُمْ ببعض فلا حرج في ترك الكتابة والإشهاد والرهن، ويبقى الدين أمانة في ذمَّة المدين، عليه أدأؤه، وعليه أن يراقب الله فلا يخون صاحبه. فإن أنكر المدين ما عليه من دين، وكان هناك مَنْ حضر وشهد، فعليه أن يظهر شهادته، وَمَنْ أخفى هذه الشهادة فهو صاحب قلب غادر فاجر. والله الْمُطَّلِع على السرائر، المحيط علمه بكل أموركم، وسيحاسبكم على ذلك.

(٢٨٤) لله ملك السموات والأرض وما فيها ملكاً وتدبيراً وإحاطة، لا يخفى عليه شيء. وما تظهره مما في أنفسكم أو تخفوه فإن الله يعلمه، وسيحاسبكم به، فيغفو عمن يشاء، ويؤاخذ من يشاء. والله قادر على كل شيء.

وقد أكرم الله المسلمين بعد ذلك عففاً عن

حديث النفس وخطرات القلب، ما لم يتبعها كلام أو عمل، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٨٥) صدَّق وأيقن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بما أوجي إليه من ربه، وحَقَّ له أن يُوقن، والمؤمنون كذلك صدَّقوا وعملوا بالقرآن العظيم، كُلٌّ منهم صدَّق بالله رباً ولها متصفات الصفات الجلال والكمال، وأن الله ملائكة كراماً، وأنه أنزل كتباً، وأرسل إلى خلقه رسلاً، لأنؤمن - نحن المؤمنين - ببعضهم وننكر بعضهم، بل نؤمن بهم جميعاً. وقال الرسول والمؤمنون: سمعنا ياربنا ما أوحيت به، وأطعنا في كل ذلك، نرجو أن تغفر - بفضلك - ذنوبنا، فأنت الذي ربَّيتنا بما أنعمت به علينا، وإليك - وحذك - مرجعنا ومصيرنا.

(٢٨٦) دين الله يسر لا مشقة فيه، فلا يطلب الله من عباده ما لا يطيقونه، فمن فعل خيراً أنال خيراً، ومن فعل شراً أنال شراً. ربنا لا تعاقبنا إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله، ربَّنا ولا تكلفنا من الأعمال الشاقة ما كلفته مَنْ قبلنا من العصاة عقوبة لهم، ربنا ولا تُحْمِلْنَا ما لا نستطيعه من التكاليف والمصائب، وامح ذنوبنا، واستر عيوبنا، وأحسن إلينا، أنت مالك أمرنا ومدبره، فانصرنا على مَنْ جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، وكذبوا نبئك محمداً صلى الله عليه وسلم، واجعل العاقبة لنا عليهم في الدنيا والآخرة.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يَصُّوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ۝

سورة آل عمران

(١) ﴿الزَّ﴾ سبق الكلام عليها في أول سورة البقرة.

(٢) هو الله، لا معبود بحق إلا هو، المتصف بالحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء.

(٣، ٤) نَزَّلَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ - القرآن بالحق الذي لا ريب فيه، يشهد على صدق ما قبله من كتب ورسول، وأنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل نزول القرآن؛ لإرشاد المتقين إلى الإيثار، وصلاح دينهم ودنياهم، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل. والذين كفروا بآيات الله المنزلة، لهم عذاب عظيم. والله عزيز لا يُعَالَبُ، ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلته، وتفرده بالالوهية.

(٥) إن الله محيط علمه بالخالق، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قُلْ أَوْ كَثُرَ.

(٦) هو وحده الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم

كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، لا معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يُعَالَبُ، الحكيم في أمره وتدبيره.

(٧) هو وحده الذي أنزل عليك القرآن: منه آيات واضحة الدلالة، هن أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ويُردُّ ما خالفه إليه، ومنه آيات أخر متشابهات تحتمل بعض المعاني، لا يتعين المراد منها إلا بضمها إلى المحكم، فأصحاب القلوب المريضة الزائغة، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهات وحدها؛ لبشر والشبهات عند الناس، كي يضلوا، ولتأويلهم لها على مذاهبهم الباطلة. ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله. والمتمكنون في العلم يقولون: آمنا بهذا القرآن، كله قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويردُّون متشابهه إلى محكمه، وإنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة.

(٨) ويقولون: يا ربنا لا تصرف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامتنحنا من فضلك رحمة واسعة، إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء، تطي من تشاء بغير حساب.

(٩) يا ربنا إننا نقرُّ ونشهد بأنك ستجمع الناس في يوم لا شك فيه، وهو يوم القيامة، إنك لا تخلف ما وعدت به عبادك.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْتُمْ عَنْهُمْ أُمُوهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابٌ آلِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا فَأَحَدَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 سَعْتٌ لَبُوءٌ وَتَحْشُرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ النَّصَارَةِ فَقَتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى
 الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَعِزَّةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
 مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ
 أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لَكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
 مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

(١٠) إن الذين جحدوا الدين الحق وأنكروه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً إن وقع بهم في الدنيا، ولن تدفعه عنهم في الآخرة، وهؤلاء هم حطب النار يوم القيامة.

(١١) شأن الكافرين في تكذيبهم وما ينزل بهم، شأن آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين، أنكروا آيات الله الواضحة، فعاجلهم بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعنادهم. والله شديد العقاب لمن كفر به وكذب رسله.

(١٢) قل -أيها الرسول- للذين كفروا من اليهود وغيرهم والذين استهانوا بنصرك في «بذر»: إنكم ستهمزمون في الدنيا وستموتون على الكفر، وتحشرون إلى نار جهنم؛ لتكون فراشاً دائماً لكم، وبئس الفراش.

(١٣) قد كان لكم -أيها اليهود المتكبرون المعاندون- دلالة عظيمة في جماعتين تقابلتا في معركة «بذر»: جماعة تقاتل من أجل دين الله، وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه،

وجماعة أخرى كافرة بالله، تقاتل من أجل الباطل، ترى المؤمنين في العدد مثليهم رأي العين، وقد جعل الله ذلك سبباً لنصر المسلمين عليهم. والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده. إن في هذا الذي حدث لعظة عظيمة لأصحاب البصائر الذين يبتدون إلى حكم الله وأفعاله.

(١٤) حُسْنٌ للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين، والأموال الكثيرة من الذهب والفضة، والخيول الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المتخذة للغراس والزراعة. ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية. والله عنده حسن المرجع والثواب، وهو الجنة.

(١٥) قل -أيها الرسول-: أخبركم بخير مما زُين للناس في هذه الحياة الدنيا، لمن راقب الله وخاف عقابه جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها، وهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفس، وسوء الخلق، ولهم أعظم من ذلك: رضوان من الله. والله مطلع على سرائر خلقه، عالم بأحوالهم، وسيجازيهم على ذلك.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقَسَا عَذَابِ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْمُتَّقِينَ
وَالْمُتَّقَاتِ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَالِمَا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلِّمُونَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِتَايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا
وَأَنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِتَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
يَعْبِرُ حَتَّى وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ
أَتَائِهِمْ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

(١٦) هؤلاء العباد المتقون يقولون: إنا آمنّا بك، واتبعنا رسولك محمداً صلى الله عليه وسلم، فامحُ عنا ما اقترفناه من ذنوب، ونجنا من عذاب النار.

(١٧) هم الذين اتصفوا بالصبر على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى ما يصيبهم من أقدار الله المؤلمة، وبالصدق في الأقوال والأفعال، وبالطاعة التامة، وبالإنفاق سراً وعلانية، وبالإستغفار في آخر الليل؛ لأنه مَظَنَّةُ الْقَبُولِ وإجابة الدعاء.

(١٨) شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقرَنَ شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يتمتع عليه شيء أراد، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(١٩) إن الدين الذي ارتضاه الله خلقه وأرسل به رسله، ولا يقبل غيره هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له

بالعبودية، واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى تختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا يقبل الله من أحد بعد بعثته ديناً سوى الإسلام الذي أرسل به. وما وقع الخلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فنفروا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ بغياً وحسداً طلباً للدنيا. ومن يمحِد آيات الله المنزلة وآياته الدالة على ربوبيته وألوهيته، فإن الله سريع الحساب، وسيجزيهن بما كانوا يعملون.

(٢٠) فإن جادلَكَ -أيها الرسول- أهل الكتاب في التوحيد بعد أن أقمت الحجة عليهم فقل لهم: إني أخلصت لله وحده فلا أشرك به أحداً، وكذلك من اتبعني من المؤمنين، أخلصوا لله وانقادوا له. وقل لهم ولمشركي العرب وغيرهم: إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم والهدى والحق، وإن توليتم فحسابكم على الله، وليس عليّ إلا البلاغ، وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحجة. والله بصير بالعباد، لا يخفى عليه من أمرهم شيء.

(٢١) إن الذين يمحِدون بالدلائل الواضحة وما جاء به المرسلون، ويقتلون أنبياء الله ظلماً بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل واتباع طريق الأنبياء، فبشِّرهم بعذاب موجه.

(٢٢) أولئك الذين بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فلا يقبل لهم عمل، وما لهم من ناصرٍ ينصرهم من عذاب الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيُتَوَكَّلُوا عَلَيْهِمْ فَارْتَضَوْهُم مِّنْ قَبْلِ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسِسَ النَّارَ إِلَّا آيَاتِنَا نَعُدُّ وَدَارَتُ
 وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ
 يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ الْمَلِكُ مَن
 تَشَاءُ وَتَذَرُ الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٦﴾
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَن يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
 نَاقَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَآلِيَهُ الْمُصْطَفَى ﴿٢٧﴾ قُلِ
 إِن تَحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُعْدُوه يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ
 مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨﴾

(٢٣) أَرَأَيْتَ - أيها الرسول - أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين اتاهم الله خطأ من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق، يُدْعَوْنَ إلى ما جاء في كتاب الله - وهو القرآن - ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فإن لم يوافق أهواءهم يَأْب كثير منهم حكم الله؛ لأن من عادتهم الإعراض عن الحق؟

(٢٤) ذلك الانصراف عن الحق سببه اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب؛ بأنهم لن يعدبوا إلا أياماً قليلة، وهذا الاعتقاد أدى إلى جرأتهم على الله واستهانتهم بدِينه، واستمرارهم على دينهم الباطل الذي خَدَعُوا به أنفسهم.

(٢٥) فكيف يكون حالهم إذا جمعهم الله ليحاسبوا في يوم لا شك في وقوعه - وهو يوم القيامة -، وأخذ كل واحد جزءاً مما اكتسب، وهم لا يظلمون شيئاً؟

(٢٦) قل - أيها النبي متوجهاً إلى ربك بالدعاء -: يا مَنْ لَكَ الْمَلِكُ كُلُّهُ، أَنْتَ الَّذِي تَمْنَحُ الْمَلِكَ والمال والتمكين في الأرض مَنْ تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ، وَتَسْلُبُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ، وَتَهَبُ الْعِزَّةَ

في الدنيا والآخرة مَنْ تَشَاءُ، وتجعل الذلَّ على مَنْ تَشَاءُ، بيدك الخير، إنك - وحدك - على كل شيء قدير. وفي الآية إثبات لصفة اليد الله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٢٧) ومن دلائل قدرتك أنك تُدخل الليل في النهار، وتدخل النهار في الليل، فيطول هذا ويقصر ذاك، وتُخرج الحي من الميت الذي لا حياة فيه، كإخراج الزرع من الحب، والمؤمن من الكافر، وتُخرج الميت من الحي كإخراج البيض من الدجاج، وترزق مَنْ تَشَاءُ من خلقك بغير حساب.

(٢٨) ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، وَمَنْ يتولهم فقد برئ من الله، والله بريء منه، إِلَّا أَنْ تكونوا ضعافاً خائفين فقد رَحَّصَ اللهُ لَكُمْ في مهادنتهم اتقاء شرهم، حتى تقوى شوكتكم. ويحذرهم الله نفسه، فاتقوه وخافوه. وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والجزاء.

(٢٩) قل - أيها النبي - للمؤمنين: إن كنتموا ما استقر في قلوبكم من موالات الكافرين ونصرتهم أو تظهروا ذلك لا يُخَفِّ على الله منه شيء، فَإِنَّ علمه محيط بكل ما في السموات وما في الأرض، وله القدرة التامة على كل شيء.

(٣٠) وفي يوم القيامة يوم الجزاء تجد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفراً لتجزي به، وما عملت من عمل سيئ تجد في انتظارها أيضاً، فتتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمناً بعيداً، فاستعدوا لهذا اليوم، وخافوا بطش الإله الجبار. ومع شدة عقابه فإنه سبحانه المتصف بكمال الرحمة بالعباد.

(٣١) قل -أيها الرسول-: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني وأمنوا بي ظاهراً وباطناً، يحبكم الله، ويمحُ ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعاً لنبية محمد صلى الله عليه وسلم حق الاتباع، مطيعاً له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الاتباع.

(٣٢) قل -أيها الرسول-: أطيعوا الله باتباع كتابه، وأطيعوا الرسول باتباع سنته في حياته وبعد مماته، فإن هم عرضوا عنك، وأصروا على ما هم عليه من كفر وضلال، فليسوا أهلاً

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَاكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَتَرُكِ إِنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

لمحبة الله؛ فإن الله لا يحب الكافرين.

(٣٣) إن الله اختار آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

(٣٤) هؤلاء الأنبياء والرسل سلسلة طُهر متواصلة في الإخلاص لله وتوحيده والعمل بوحيه. والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

(٣٥) اذكر -أيها الرسول- ما كان من أمر مريم وأنها وابنها عيسى عليه السلام؛ لترد بذلك على من ادَّعوا ألوهية عيسى أو بنوته لله سبحانه، إذ قالت امرأة عمران حين حملت: يا ربِّ إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي خَالصاً لَكَ، لخدمة «بيت المقدس»، فتقبل مني، إنك أنت وحدك السميع لدعائي، العليم بنبتي.

(٣٦) فلما نَمَّ حملها ووضعت مولودها قالت: ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ، وسوف يجعل لها شأناً -وقالت: وليس الذكر الذي أردت للخدمة كالأنثى في ذلك؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوَم بها، وإني سمَّيتها مريم، وإني حصَّنتها بك هي وذرَّيتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

(٣٧) فاستجاب الله دعاءها وقبل منها نذرَها أحسن قبول، وتولَّى ابنتها مريم بالراعية فأنبثها نباتاً حسناً، وبشَّر لها زكريا عليه السلام كافلاً، فأسكنها في مكان عبادته، وكان كلَّما دخل عليها هذا المكان وجد عندها رزقاً هنيئاً معداً قال: يا مريم من أين لك هذا الرزق الطيب؟ قالت: هو رزق من عند الله. إن الله -بفضله- يرزق من يشاء من خلقه بغير حساب.

هَذَا لَكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكُةُ وَهَوَّاءُ بِمُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيِّنِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْتُكَ الْأَنْكَرَ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَرًّا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحُ بِالْعَنِينِ وَالْأَنْكَرُ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكُةُ يَمْرُؤُكَ اللَّهُ أَصْطَفَكَ وَطَهَّرَكَ وَأَمْطَفَكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُكَ أَفْنَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُةُ يَمْرُؤُكَ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

(٣٨) عندما رأى زكريا ما أكرم الله به مريم من رزقه وفضله توجه إلى ربه قائلا: يا رب أعطني من عندك ولدا صالحا مباركا، إنك سميع الدعاء لمن دعاك.

(٣٩) فنادته الملائكة وهو واقف بين يدي الله في مكان صلاته يدعوه: أن الله يخبرك بخبر يسرك، وهو أنك سترزق بولد اسمه يحيى، يُصَدِّقُ بكلمة من الله - وهو عيسى بن مريم عليه السلام - ويكون يحيى سيدياً في قومه، له المكانة والمنزلة العالية، وحضوراً يأتي الذنوب والشهوات الضارة، ويكون نبياً من الصالحين الذين بلغوا في الصلاح ذروته.

(٤٠) قال زكريا فرحاً متعجباً: رب أنى يكون لي غلام مع أن الشيخوخة قد بلغت مني مبلغها، وامرأتي عقيم لا تلد؟ قال: كذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة المخالفة للعادة.

(٤١) قال زكرياً: رب اجعل لي علامة أستدل بها على وجود الولد مني؛ ليحصل لي السرور

والاستبشار، قال: علامتك التي طلبتها: ألا تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة إليهم، مع أنك سوي صحيح، وفي هذه المدة أكثر من ذكر ربك، وصل له أواخر النهار وأوائله.

(٤٢) واذكر - أيها الرسول - حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لطاعته وطهرتك من الأخلاق الرذيلة، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

(٤٣) يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين؛ شكراً لله على ما أولاك من نعمه.

(٤٤) ذلك الذي قصصناه عليك - أيها الرسول - من أخبار الغيب التي أوحاها الله إليك، إذ لم تكن معهم حين اختلفوا في كفالة مريم أنتم أحق بها وأولى، ووقع بينهم الخصام، فأجروا القرعة بإلقاء أقلامهم، فأصاب زكريا عليه السلام، ففاز بكفالتها.

(٤٥) وما كنت - يا نبي الله - هناك حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبَشِّرُكَ بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: «كن»، فيكون، اسمه المسيح عيسى بن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله يوم القيامة.

(٤٦) ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
الكلام، ويدعوهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت
قوّته وكُتِل شابهة بها أوحاه الله إليه. وهذا تكليم
النّبوة والدعوة والإرشاد، وهو معدود من أهل
الصّلاح والفضل في قوله وعمله.

(٤٧) قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: آتني
يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بغي؟
قال لها المَلَك: هذا الذي يحدث لك ليس
بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجد ما يشاء
من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له:
«كُن» فيكون.

(٤٨) ويعلمه الكتابة، والسداد في القول
والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى
عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

(٤٩) ويجعل رسولاً إلى بني إسرائيل، ويقول
لهم: إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدلّ على
أني مرسل من الله، وهي أني أصنع لكم من
الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
أَلَّفَ بَيْنَافِئَتَيْنِ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ
مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُونُونَ
وَمَا تَذَخَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ مِّنْ مُّوْمِنِينَ ﴿٥٠﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا نَبَّأَتْ بِدَيِّكَ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَاحِلٌ لَّكُمْ
بَعْضُ الَّذِي حُزِمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ تَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

حقيقياً بإذن الله، وأشفي من وُلِد أعمى، ومن به برص، وأحيى من كان ميتاً بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتذخرون
في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلاً على أني نبي الله ورسوله، إن كنتم
مصدّقين حجج الله وآياته، مقرّين بنوحه.

(٥٠) وجئتكم مصداقاً بما في التوراة، ولاحلّ لكم بوحى من الله بعض ما حرّمه الله عليكم تحقّيقاً من الله ورحمة، وجئتكم
بحجة من ربكم على صدق ما أقول لكم، فاتقوا الله ولا تخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله.

(٥١) إن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق
الذي لا عوجاج فيه.

(٥٢) فلما استشعر عيسى منهم التّصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلص: من يكون معي في نصره دين الله؟ قال
أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأننا مستسلمون لله
بالتوحيد والطاعة.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَنَبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ
﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِيَ نِسْرَةَ ابْنِي مُؤْيِقَ وَرَأْفَعُكَ إِلَى مَطْلُوكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَأَعَذُّ اللَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِنَ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَشْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا
نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

(٥٣) ربنا صدقنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا رسولك عيسى عليه السلام، فاجعلنا من شهدائك بالوحدة ولأنبيائك بالرسالة، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون للرسول بأنهم بلغوا أمهم.

(٥٤) ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، بأن وكلوا به من يقتله غيلة، فألقى الله شبه عيسى على رجل دهم عليه فأمسكوا به، وقتلوه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام، والله خير الماكرين. وفي هذا إثبات صفة المكر لله - تعالى - على ما يليق بجلاله وكماله؛ لأنه مكر بحق، وفي مقابلة مكر الماكرين.

(٥٥) ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: إني قابضك من الأرض من غير أن ينالك سوء، ورافعك إليّ بدنك وروحك، ونخلصك من الذين كفروا بك، وجاعل الذين اتبعوك - أي: على دينك وما جئت به عن الله من الدين والبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، بعد بعثته، والتزموا شريعته - ظاهرين على الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة، ثم إليّ مصيركم جميعاً يوم

الحساب، فأفصل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر عيسى عليه السلام.

(٥٦) فأما الذين كفروا بالمسيح من اليهود أو غلوا فيه من النصارى، فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا: بالقتل وسلب الأموال وإزالة الملك، وفي الآخرة بالنار، وما هم من ناصر ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله.

(٥٧) وأما الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الأعمال الصالحة، فيعطيهم الله ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص. والله لا يحب الظالمين بالشرك والكفر.

(٥٨) ذلك الذي نقصه عليك في شأن عيسى، من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين الحق والباطل، فلا شك فيه ولا امتراء.

(٥٩) إن خلق الله لعيسى من غير أب مثله كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم؛ إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: «كن بشراً» فكان. فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فأدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عبد من عباد الله.

(٦٠) الحق الذي لا شك فيه في أمر عيسى هو الذي جاءك - أيها الرسول - من ربك، فدم على يقينك، وعلى ما أنت عليه من ترك الافتراء، ولا تكن من الشاكين. وفي هذا تثبيت وطمأنينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٦١) فمن جادلك - أيها الرسول - في المسيح عيسى بن مريم من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى عليه السلام، فقل لهم: تعالوا نحضر أبناءنا وأبنائكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصيرين على عنادهم.

(٦٢) إن هذا الذي أنبأك به - أيها الرسول - من أمر عيسى هو النبا الحق الذي لا شك فيه، وما من معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله هو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وفعله.

(٦٣) فإن أعرضوا عن تصديقك واتباعك فهم المفسدون، والله عليم بهم، وسيجازيهم على ذلك.

(٦٤) قل - أيها الرسول - لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالوا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعاً: وهي أن نخصص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو غير ذلك، ولا يدبس بعضنا لبعض بالطاعة من دون الله. فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم - أيها المؤمنون -: أشهدوا علينا بأننا مسلمون متقادون لرَبنا بالعبودية والإخلاص. والدعوة إلى كلمة سواء، كما توجّه إلى اليهود والنصارى، توجّه إلى من جرى مجراهم.

(٦٥) يا أصحاب الكتب المنزلة من اليهود والنصارى، كيف يجادل كل منكم في أن إبراهيم عليه السلام كان على ملته، وما أنزلت التوراة

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمِمَّا يَنْزِلُ إِلَيْنَا إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلِي النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّحْيُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا نَبَتْ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

والإنجيل إلا من بعده؟ أفلا تفقهون خطأ قولكم: إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت بعد وفاته بحين؟

(٦٦) ها أنتم يا هؤلاء جادلتم رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم فيما لكم به علم من أمر دينكم، مما تعتقدون صحته في كتبكم، فلم تجادلوه فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم؟ والله يعلم الأمور على خفائها، وأنتم لا تعلمون.

(٦٧) ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، فلم تكن اليهودية ولا النصرانية إلا من بعده، ولكن كان متبعاً لأمر الله وطاعته، مستسلياً لرَبه، وما كان من المشركين.

(٦٨) إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به. والله وليُّ المؤمنين به المتبعين شرعه.

(٦٩) تمثنت جماعة من اليهود والنصارى لو يضلونكم - أيها المسلمون - عن الإسلام، وما يضلون إلا أنفسهم وأتباعهم، وما يدرون ذلك ولا يعلمونه.

(٧٠) يا أهل التوراة والإنجيل لم تجحدون آيات الله التي أنزلها على رسله في كتبكم، وفيها أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الرسول المنتظر، وأن ما جاءكم به هو الحق، وأنتم تشهدون بذلك؟ ولكنكم تنكرونها.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ
وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجِئَتْهُمْ السَّاعَةُ وَالْأَكْثَرُ وَآخِرُهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ كُلُّ أُنثَىٰ
لِلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يَقُولَ أَفَرَأَيْتُمْ لَوِ اتَّخَذَ اللَّهُ مَثَلًا آدَمَ وَنُوحًا وَابْنَ مَرْيَمَ
عِنْدَ رَبِّكَ ۚ قُلْ إِنَ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِذَا تَأَمَّنَ بَقِطَارٍ
يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِذَا تَأَمَّنَ يَدْبِرُ لَآ يُوَدِّيهِ إِلَيْكَ
إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَالِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأُمُورِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

(٧١) يا أهل التوراة والإنجيل لِمَ تَخلطون الحق في كتبكم بها حرفتموه وكتبتموه من الباطل بأيديكم، وتُخفون ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن دينه هو الحق، وأنتم تعلمون ذلك؟

(٧٢) وقالت جماعة من أهل الكتاب من اليهود: صدقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخره؛ لعلهم يتشككون في دينهم، ويرجعون عنه.

(٧٣) ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً إلا لِمَن تبع دينكم فكان يهودياً، قل لهم -أيها الرسول-: إن الهدى والتوفيق هدى الله وتوفيقه للإيمان الصحيح. وقالوا: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم فيساووكم في العلم به، وتكون لهم الأفضلية عليكم، أو أن يتخذوه حجة عند ربكم يغلبونكم بها. قل لهم -أيها الرسول-: إن الفضل والعطاء والأمور كلها بيد الله وتحت تصرفه، يؤتيها مَن يشاء من

أمن به ويرسوله. والله واسع عليم، يَسعُ بعلمه وعطائه جميع مخلوقاته، ممن يستحق فضله ونعمه.

(٧٤) إن الله يختص من خلقه مَن يشاء بالنبوة والهداية إلى أكمل الشرائع. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.

(٧٥) ومن أهل الكتاب من اليهود مَن إن تأمنه على كثير من المال يؤده إليك من غير خيانة، ومنهم مَن إن تأمنه على دينار واحد لا يؤده إليك، إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبته. وسبب ذلك عقيدة فاسدة تجعلهم يستحلون أموال العرب بالباطل، ويقولون: ليس علينا في أكل أموالهم إثم ولا حرج؛ لأن الله أحلها لنا. وهذا كذب على الله، يقولونه بألسنتهم، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

(٧٦) ليس الأمر كما زعم هؤلاء الكاذبون، فإن المتقي حقاً هو من أوفى بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة والإيمان به ويرسله والتزم هديه وشرعه، وخاف الله عز وجل فامتثل أمره وانتهى عما نهى عنه. والله يحب المتقين الذين يتقون الشرک والمعاصي.

(٧٧) إن الذين يستبدلون بعهد الله ووصيته التي أوصى بها في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم، عوضاً وبدلاً خسيساً من عرض الدنيا وحطامها، أولئك لا تنصيب لهم من الثواب في الآخرة، ولا يكلمهم الله بما يشرُّهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة بعين الرحمة، ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر، ولهم عذاب موعج.

(٧٨) وَإِنْ مِنَ الْيَهُودِ لَجَمَاعَةٌ يَجْرِفُونَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَدُلُّونَ كَلَامَ اللَّهِ؛ لِيُوهِمُوا غَيْرَهُمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَنْزُولِ، وَهُوَ التَّوْرَةُ، وَمَا هُوَ مِنْهَا فِي شَيْءٍ، وَيَقُولُونَ: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُوسَى، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُمْ لِأَجْلِ دَنِيَاهُمْ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

(٧٩) مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ وَيَجْعَلَهُ حَكَمًا بَيْنَ خَلْقِهِ وَيُخْتَارَهُ نَبِيًّا، ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ: اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: كُونُوا حُكَمَاءَ فَقَهَاءَ عُلَمَاءَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَهُ غَيْرَكُمْ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِهَا تَدْرُسُونَهُ مِنْهُ حِفْظًا وَعِلْمًا وَفَقْهًا.

(٨٠) وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْمُرَكُمْ بِالْمَلَأَنَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ. أَتَفْعَلُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَأْمُرَكُمْ بِالْكَفَرِ بِاللَّهِ بَعْدَ انْقِيَادِكُمْ لَأَمْرِهِ؟

(٨١) وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِذْ أَخَذَ اللَّهُ سَبِيحَانَهُ

وَأَنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوِزُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابِ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمَاءَ آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَكُمْ إِنْ ضَرَيْتُمْ قَالُوا أَأَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْمَارُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلِيَّهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

العهد المؤكد على جميع الأنبياء: لئِنْ آتَيْتُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِي، مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. فَهَلْ أَقْرَضْتُمْ وَاعْتَرَفْتُمْ بِذَلِكَ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ عَهْدِي الْمَوْثِقَ؟ قَالُوا: أَأَقْرَرْنَا بِذَلِكَ، قَالَ: فَلْيَشْهَدْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَاشْهَدُوا عَلَى أَعْمَكُمْ بِذَلِكَ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ. وَفِي هَذَا أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّةِ الْأَنْبِيَاءِ بِذَلِكَ.

(٨٢) فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ وَهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَحِمِهِ.

(٨٣) أَيْرِيدُ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ غَيْرَ دِينِ اللَّهِ - وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، مَعَ أَنْ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ وَخَضَعَ لِلَّهِ طَوَاعِيَةً - كَالْمُؤْمِنِينَ - وَرَغْبًا عَنْهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِكِ، حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ وَهُمْ الْكَافِرُونَ، كَمَا خَضَعَ لَهُ سَائِرُ الْكَائِنَاتِ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ يَوْمَ الْمَعَادِ، فَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ. وَهَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَخَلْقِهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَلَا سُبُاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ رُكُوعُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن
يُقبَل مِنهُ وَهُوَ فِي الْأُخْرَةِ مِن الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَوَلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَن عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِن الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقبَل تَوْبَتُهُمْ
وَأَوَلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٠﴾ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كَفَّارٌ فَلَن يُقبَل مِن أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ۚ أَوَلَيْكَ لَهُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

(٨٤) قل لهم -أيها الرسول-: صدقنا بالله وأطعنا، فلا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه، وآمنّا بالوحي الذي أنزله الله علينا، والذي أنزله على إبراهيم خليل الله، وابنيه إسماعيل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق، والذي أنزله على الأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشرة من ولد يعقوب- وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل، وما أنزله الله على أنبيائه، نؤمن بذلك كله، ولا نفرق بين أحد منهم، ونحن لله وحده منقادون بالطاعة، مُقرّون له بالربوبية والالوهية والعبادة.

(٨٥) ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والعبودية، ولرسوله النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان به وبمبانيه ومجته ظاهراً وباطناً، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين الذين بخسوا أنفسهم حظوظها.

(٨٦) كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به، وشهدوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم حق وما جاء به هو الحق، وجاءهم

الحجج من عند الله والدلائل بصدقه ذلك؟ والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة، وهم الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل، فاختروا الكفر على الإيمان.

(٨٧) أولئك الظالمون جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مطرودون من رحمة الله.

(٨٨) ماكثين في النار، لا يُرفع عنهم العذاب قليلاً لئلا يستريحوا، ولا يُؤخر عنهم لمعذرة يعتذرون بها.

(٨٩) إلا الذين رجعوا إلى ربهم بالتوبة النصوح من بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحو ما أفسدوه بتوبتهم فإن الله يقبلها، فهو غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

(٩٠) إن الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا على الكفر إلى الممات لن تُقبل لهم توبة عند حضور الموت، وأولئك هم الذين ضلّوا السبيل، فأخطؤوا منهجه.

(٩١) إن الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وماتوا على الكفر بالله ورسوله، فلن يُقبل من أحدهم يوم القيامة مِلءُ الأرض ذهباً، ليفتدي به نفسه من عذاب الله، ولو افتدى به نفسه فعلاً. أولئك لهم عذاب موجه، وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِيهِ لَكُمْ ۖ كُلُّ أَلْفِطَامٍ كَانَتْ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتُورَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَاُولَتِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَكْفُرُوا بِمَا آتَاكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُوا هَذَا عَوَاجِزًا وَأَنَسْتُمْ شُهَدَاءَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن طَعِبُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ۝

(٩٢) لن تدرکوا الجنة حتى تصدقوا عما تحبون، وأي شيء تصدقوا به مهما كان قليلاً أو كثيراً فإن الله به عليهم، وسيجازي كل متفق بحسب عمله. (٩٣) كل الأطفمة الطيبة كانت حلالاً لأبناء يعقوب عليه السلام إلا ما حرم يعقوب على نفسه لمرض نزل به، وذلك من قبل أن تنزل التوراة. فلما نُزلت التوراة حرم الله على بني إسرائيل بعض الأطفمة التي كانت حلالاً لهم؛ وذلك لظلمهم وبغيهم. قل لهم -أيها الرسول-: هاتوا التوراة، وافروا ما فيها إن كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل فيها تحريم ما حرمه يعقوب على نفسه، حتى تعلموا صدق ما جاء في القرآن من أن الله لم يجرم على بني إسرائيل شيئاً من قبل نزول التوراة، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه. (٩٤) فمن كذب على الله من بعد قراءة التوراة ووضح الحقيقة، فأولئك هم الظالمون القاتلون على الله بالباطل.

(٩٥) قل لهم -أيها الرسول- صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه. فإن كنتم صادقين في محبتكم وانتسابكم لخليل الله إبراهيم عليه السلام فاتبعوا ملته التي شرعها الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها الحق الذي لا

شك فيه. وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين بالله في توحيده وعبادته أحداً.

(٩٦) إن أول بيت بُني لعبادة الله في الأرض هو بيت الله الحرام الذي في «مكة»، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، وتنزل فيه الرحمات، وفي استقباله في الصلاة، وقصده لأداء الحج والعمرة، صلاح وهداية للناس أجمعين. (٩٧) في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرّفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسحاق، ومن دخل هذا البيت آمن على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قصد هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجه وعمله، وعن سائر خلقه.

(٩٨) قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: لم تجحدوا حجج الله التي دلت على أن دين الله هو الإسلام، وتكفرون ما في كتبكم من دلائل وبراهين على ذلك، وأنتم تعلمون؟ والله شهيد على صنعكم. وفي ذلك تهديد ووعد لهم. (٩٩) قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: لم تمنعوا من الإسلام من يريد الدخول فيه تطليون له زيفاً وميلاً عن القصد والاستقامة، وأنتم تعلمون أن ما جئت به هو الحق؟ وما الله بغافل عما تعملون، وسوف يجازيكم على ذلك.

(١٠٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إن طعيبوا جماعة من اليهود والنصارى ممن آتاهم الله التوراة والإنجيل، يضلوكم، ويلقوا إليكم الشبهة في دينكم؛ لترجعوا جاحدين للحق بعد أن كنتم مؤمنين به، فلا تأمنوهم على دينكم، ولا تقبلوا لهم رأياً أو مشورة.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ ۖ فَأَنْتُمْ كَرِيمُونَ ﴿١٠٣﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَنْ تَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ بَيِّنَاتٍ ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلَ الْفِرْعَوْنَ آلِيًّا ۖ قَدْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِكُونَ ﴿١٠٩﴾

(١٠١) وكيف تكفرون بالله - أيها المؤمنون - وآيات القرآن تلى عليكم، وفيكم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يبلغها لكم؟ ومن يتوكل على الله ويستمسك بالقرآن والسنة فقد وفق لطريق واضح، ومنهاج مستقيم.

(١٠٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله حق خوفه: وذلك بأن يطاع فلا يُعصى، ويشكر فلا يكفر، ويُذكر فلا ينسى، ودأبوا على تمسككم بإسلامكم إلى آخر حياتكم؛ لتلقوا الله وأنتم عليه.

(١٠٣) وتمسكوا جميعاً بكتاب ربكم وهدى نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرككم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم - أيها المؤمنون - قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضهم لبعض، فأصبحتم بفضلِهِ إخواناً متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجاكم من النار. وكما بين الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذاك بين

لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلخوا عنها.

(١٠٤) ولتكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعاً وعقلاً، وتنهى عن المنكر، وهو ما عُرف بقبه شرعاً وعقلاً، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم.

(١٠٥) ولا تكونوا - أيها المؤمنون - كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذابٍ عظيمٍ موجه.

(١٠٦) يوم القيامة تبيضُّ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتسودُّ وجوه أهل الشقاوة من كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لهم توبوا: أكفرتُم بعد إيمانكم، فاخرتم الكفر على الإيثار؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم.

(١٠٧) وأما الذين ابْيَضَّت وجوههم بنصرة النعيم، وما بُشِّرُوا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبداً.

(١٠٨) هذه آيات الله وبراهينه الساطعة، تتلوها وتفصُّها عليك - أيها الرسول - بالصدق واليقين. وما الله بظالم أحدٍ من خلقه، ولا بمقتص شيئاً من أعمالهم؛ لأنه الحاكم العدل الذي لا يجوز.

(١٠٩) والله ما في السموات وما في الأرض،
مُلكٌ له وحده خلقاً وتديراً، ومصير جميع
الخالق إلى حده، فيجازي كلَّ على قدر
استحقاقه.

(١١٠) أنتم -يا أمة محمد صلى الله عليه
وسلم- خير الأمم وأنفع الناس للناس،
تأمرون بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعاً
وعقلاً، وتنهون عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه
شرعاً وعقلاً، وتصدقون بالله تصديقاً جازماً
يؤيده العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود
والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما
جاءهم به من عند الله كما آمنتم، لكان خيراً لهم
في الدنيا والآخرة، منهم المؤمنون المصدقون
برسالة محمد صلى الله عليه وسلم العاملون بها،
وهم قليل، وأكثرهم الخارجون عن دين الله
وطاعته.

(١١١) لن يضركم هؤلاء الفاسقون من أهل
الكتاب إلا ما يؤذي أسماكم من ألفاظ الشرك
والكفر وغير ذلك، وإن يقاتلوكم يُهزموا،

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَنِيَكُمْ
يُؤَلُّوْكُمْ إِلَّا ذَبَابٌ مُنْهَكٌ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمْ
الذِّلَّةَ إِنِّي أَنَا فَتَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
وَبَاءٌ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ
يَأْتِيهِمْ كَأَنُورٍ يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١١﴾ لَيْسُوا
سَوَاءً مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتَ اللَّهِ
آيَاتِ الْآلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَدِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا
يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾

ويهربوا مولين الأدبار، ثم لا يُنصرون عليكم بأي حال.

(١١٢) جعل الله الهوان والصغار أمراً لازماً لا يفارق اليهود، فهم أذلاء محتقرون أبناء وُجدوا، إلا بعهد من الله وعهد
من الناس يأمنون به على أنفسهم وأموالهم، وذلك هو عقد الذمة لهم وإلزامهم أحكام الإسلام، ورجعوا بغضب من الله
مستحقين له، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، فلا ترى اليهودي إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإبان؛ ذلك الذي
جعله الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وتجاوزهم حدوده، وقتلهم الأنبياء ظلماً واعتداءً، وما جرَّأهم على هذا إلا ارتكابهم
للمعاصي، وتجاوزهم حدود الله.

(١١٣) ليس أهل الكتاب متساوين: فمنهم جماعة مستقيمة على أمر الله مؤمنة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يقومون
الليل مرتلين آيات القرآن الكريم، مقبلين على مناجاة الله في صلواتهم.

(١١٤) يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالخير كله، وينهون عن الشر كله، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك من
عباد الله الصالحين.

(١١٥) وأني عمل قلَّ أو كثر من أعمال الخير تعمله هذه الطائفة المؤمنة فلن يضيع عند الله، بل يُشكر لهم، ويجازون عليه.
والله عليم بالمتقين الذين فعلوا الخيرات وابتعدوا عن المحرمات؛ ابتغاء رضوان الله، وطلباً لثوابه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرَاصَاتٌ حَزَتْ قَوِيْرَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلِكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّمُوا لَدِينِ
ءَامِنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا وَلَا
وَدُوًّا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْثَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰئِنْتُمْ إِلَّا قَوْمٌ يَمُوتُونَ وَلَا يُحْيَوْنَهُمْ وَلَا يُحْيَوْنَهُمْ وَتَوَمَّنْ بِالْكِتَابِ
كُلِّهِ وَإِذَا الْقُوكُرَ قَالُوا أَمَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ عَصَاهُمْ
أَلَا تَأْمِلُ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعِظِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَقْتُلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدُوٌّ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

(١١٦) إن الذين كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله، لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئاً من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك أصحاب النار الملامزون لها، لا يخرجون منها.

(١١٧) مثل ما ينفق الكافرون في وجوه الخير في هذه الحياة الدنيا وما يؤملونه من ثواب، كمثل ربيع فيها يزد شديد هبَّت على زرع قوم كانوا يرجون خيره، وبسبب ذنوبهم لم يبق الرّيح منه شيئاً. وهؤلاء الكافرون لا يحدون في الآخرة ثواباً، وما ظلمهم الله بذلك، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وعصيانهم.

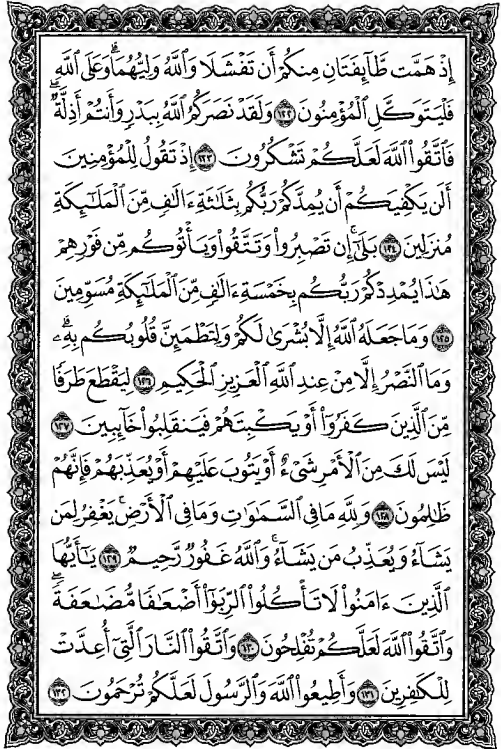
(١١٨) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، تطعنهم على أسراركم، فهؤلاء لا يفترون عن إفساد ألكم، وهم يفرحون بما يصيبكم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلالهم، وما تخفي صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم. قد بينّا لكم البراهين والحجج؛ لتتخطوا وتحذروا، إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه.

(١١٩) ها هو ذا الدليل على خطئكم في محبتهم، فأنتم تجبرهم وتحسنون إليهم، وهم لا يجونكم ويحملون لكم العداوة والبغضاء، وأنتم تؤمنون بالكتب المنزلة كلها ومنها كتابهم، وهم

لا يؤمنون بكتابكم، فكيف تجبرهم؟ وإذا لقوكم قالوا - نفاقاً -: آمنا وصدقنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض بدا عليهم الغم والحزن، فعضوا أطراف أصابعهم من شدة الغضب؛ لما يرون من ألفة المسلمين واجتماع كلمتهم، وإعزاز الإسلام، وإذلالهم به. قل لهم - أيها الرسول -: موتوا بشدة غضبيكم. إن الله مطلع على ما تخفي الصدور، وسيجزي كلاً على ما قدّم من خير أو شر.

(١٢٠) ومن عداوة هؤلاء أنكم - أيها المؤمنون - إن نزل بكم أمر حسن من نصر وغنيمة ظهرت عليهم الكآبة والحزن، وإن وقع بكم مكروه من هزيمة أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات فرحوا بذلك، وإن تصبروا على ما أصابكم، وتقوا الله فيها أمركم به ونهاكم عنه، لا يضركم أذى مكروههم. والله بجميع ما يعمل هؤلاء الكفار من الفساد محيط، وسيجزيهم على ذلك.

(١٢١) واذكر - أيها الرسول - حين خرجت من بيتك لابساً عذّة الحرب، تنظم صفوف أصحابك، وتُنزل كل واحد في منزله للقاء المشركين في غزوة «الأحُد». والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.



(١٢٢) اذكر - أيها النبي - ما كان من أمر بني سلمة وبني حارثة حين حدثتهم أنفسهم بالرجوع مع زعيمهم المنافق عبدالله بن أبي؛ خوفاً من لقاء العدو، ولكن الله عصمهم وحفظهم، فساروا معك متوكلين على الله. وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون.

(١٢٣) ولقد نصركم الله - أيها المؤمنون - بـ«بدر» على أعدائكم المشركين مع قلة عددكم وعددكم، فخافوا الله بفعل أوامره واجتنبواهي؛ لعلمكم تشكرون له نعمه.

(١٢٤) اذكر - أيها النبي - ما كان من أمر أصحابك في «بدر» حين شق عليهم أن يأتي مدد للمشركين، فأوحينا إليك أن تقول لهم: ألن تكفيكم معونة ربكم بأن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُتَرَلِّين من السماء إلى أرض المعركة، يثبتونكم، ويقاتلون معكم؟

(١٢٥) بل يكفيكم هذا المدد. وبشارة أخرى لكم: إن تصبروا على لقاء العدو وتتقوا الله بفعل ما أمركم به واجتنب ما نهاكم عنه، ويأت كفار «مكة» على الفور مسرعين لقتالكم، يظنون أنهم يستأصلونكم، فإن الله يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين أي: قد أعلموا أنفسهم وخيولهم بعلامات واضحات.

(١٢٦) وما جعل الله هذا الإمداد بالملائكة إلا

بشرى لكم بيشركم بها ولتطمئن قلوبكم، وتطيب بوعده الله لكم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وفعله.

(١٢٧) وكان نصر الله لكم بـ«بدر» ليهلك فريقاً من الكفار بالقتل، ومن نجا منهم من القتل رجع حزيناً قد ضاقت عليه نفسه، يظهر عليه الخزي والعار.

(١٢٨) ليس لك - أيها الرسول - من أمر العباد شيء، بل الأمر كله لله تعالى وحده لا شريك له، ولعل بعض هؤلاء الذين قاتلوكم تنشرح صدورهم للإسلام فيسلموا، فيتوب الله عليهم. ومن بقي على كفره يعذبه الله في الدنيا والآخرة؛ بسبب ظلمه وبغيه.

(١٢٩) والله وحده ما في السموات وما في الأرض، يغفر لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء يعذله. والله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

(١٣٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره احذروا الربا بجميع أنواعه، ولا تأخذوا في القرض زيادة على رؤوس أموالكم وإن قلّت، فكيف إذا كانت هذه الزيادة تتضاعف كلها حان موعد سداد الدين؟ واتقوا الله بالتزام شرعه؛ لتفوزوا في الدنيا والآخرة.

(١٣١) واجعلوا لأنفسكم وقاية بينكم وبين النار التي هُيئت للكافرين.

(١٣٢) وأطيعوا الله - أيها المؤمنون - فيما أمركم به من الطاعات وفيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وأطيعوا الرسول؛ لترحموا، فلا تعذبوا.

* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكُفْرَ يُمْسِكُونَ وَالْعِظَّةَ وَالْعَافِينَ
 عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
 فَجِئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا
 فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ فِعْلِهِمْ مَغْفِرَةٌ مِّن
 رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ نَّجْوَى مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِمَا
 أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَبِئَرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
 ﴿١٣٧﴾ هَذِهِ آيَاتُ النَّاسِ وَهَدَى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
 وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
 ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ
 الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

(١٣٣) وبادروا بطاعتكم لله ورسوله لاغتنام مغفرة عظيمة من ربكم وجنة واسعة، عرضها السموات والأرض، أعدّها الله للمتقين.

(١٣٤) الذين ينفقون أموالهم في اليسر والعسر، والذين يمسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر، وإذا قدروا عَفَوْا عَمَّن ظلمهم. وهذا هو الإحسان الذي يحب الله أصحابه.

(١٣٥) والذين إذا ارتكبوا ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا واعد الله ووعده فلجؤوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.

(١٣٦) أولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة جزاؤهم أن يستر الله ذنوبهم، ولهم جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها المياه العذبة، خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً. ونِعَمَ أجر العاملين المغفرة والجنة.

(١٣٧) يخاطب الله المؤمنين لَمَّا أُصيبوا يوم «أحد» تعزية لهم بأنه قد مضت من قبلكم أمم، ابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين فكانت العاقبة لهم، فسيروا في الأرض معتبرين بما آت إليه أمر أولئك المكذبين بالله ورسله.

(١٣٨) هذا القرآن بيان وإرشاد إلى طريق الحق، وتذكير تخشع له قلوب المتقين، وهم الذين يخشون الله، وخصوا بذلك؛ لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم.

(١٣٩) ولا تَضَعُوهَا -أيها المؤمنون- عن قتال عدوكم، ولا تحزنوا لما أصابكم في «أحد»، وأنتم الغالبون والعاقبة لكم، إن كنتم مصدقين بالله ورسوله، متبعين شرعه.

(١٤٠) إن أصابتكم -أيها المؤمنون- جراح أو قتل في غزوة «أحد» فحزنتم لذلك، فقد أصاب المشركين جراح وقتل مثل ذلك في غزوة «بدر». وتلك الأيام يُصَرَّفُهَا الله بين الناس، نصر مرة وهزيمة أخرى؛ لما في ذلك من الحكمة، حتى يظهر ما علمه الله في الأول؛ ليميز الله المؤمن الصادق من غيره، ويُكْرِمَ أقواماً منكم بالشهادة. والله لا يحب الذين ظلموا أنفسهم، وقعدوا عن القتال في سبيله.

(١٤١) وهذه الهزيمة التي وقعت في «أحد» كانت اختباراً وتصفية للمؤمنين، وتخليصاً لهم من المنافقين وهلاكاً للكافرين.

(١٤٢) يا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أظننتم أن تدخلوا الجنة، ولم تثبتوا بالقتال والشدائد؟ لا يحصل لكم دخولها حتى تثبتوا، ويعلم الله علماً ظاهراً للخلق المجاهدين منكم في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.

(١٤٣) ولقد كنتم - أيها المؤمنون - قبل غزوة «أحد» تتمنون لقاء العدو؛ لتناولوا شرف الجهاد والاستشهاد في سبيل الله الذي حظي به إخوانكم في غزوة «بدر»، فها هو ذا قد حصل لكم الذي غنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا.

(١٤٤) وما محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا رسول من جنس الرسل الذين قبله يبلغ رسالة ربه. أفإن مات بانقضاء أجله، أو قُتل كما أشاعه

وَلِمَخْصَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾
حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتَ أَمْوَاتٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِيدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَوَدَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ تَوَفَّيْنَاهُ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

الأعداء رجعتهم عن دينكم، وتركتم ما جاءكم به نبيكم؟ ومن يرجع منكم عن دينه فلن يضر الله شيئاً، إنما يضر نفسه ضرراً عظيماً. أما من ثبت على الإيمان وشكر ربه على نعمة الإسلام، فإن الله يجزيه أحسن الجزاء.

(١٤٥) لمن يموت أحد إلا بإذن الله وقدره وحتى يستوفي المدة التي قدرها الله له كتاباً موجَّلاً. ومن يطلب بعمله عَرَضَ الدنيا، تعطيه ما قسمناه له من رزق، ولا حظَّ له في الآخرة، ومن يطلب بعمله الجزاء من الله في الآخرة تمنحه ما طلبه، ونوته جزاءه وإفرأ مع ما له في الدنيا من رزق مقسوم، فهذا قد شكرنا بطاعته وجهاده، وسنجزي الشاكرين خيراً.

(١٤٦) كثير من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فما ضعفوا لما نزل بهم من جروح أو قتل؛ لأن ذلك في سبيل ربهم، وما عجزوا، ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم. والله يحب الصابرين.

(١٤٧) وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وما وقع منا من تجاوز في أمر ديننا، وثبت أقدامنا حتى لا نفر من قتال عدونا، وانصرنا على من جحد وحادنيتك ونبوة أنبيائك.

(١٤٨) فأعطى الله أولئك الصابرين جزاءهم في الدنيا بالنصر على أعدائهم، وبالتمكن لهم في الأرض، وبالجزاء الحسن العظيم في الآخرة، وهو جنات النعيم. والله يحب كل من أحسن عبادته لربه ومعاملته لخلقه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَهُمْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا وَلَهُمْ النَّارُ وَيَسْأَلُ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ أَخَسَّوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا أَفْشَلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ
بِهِ تَنَجَّيْتُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ ﴿١٥٢﴾ وَمَنْ يُرِيدِ الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ مِنْكُمْ
مَنْ يَرِدْهُمُ يَرْشُدْهُمْ إِلَىٰ طَرِيقٍ مُّبِينٍ ﴿١٥٣﴾ وَإِذْ تَضَعُورُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ
وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي الْأُخْرَىٰ قَاتِبُكُمْ
غَمًّا بَغِيًّا لَّكِنَّا تَحَرَّوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَّا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾

(١٤٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا
بشرعه إن تطيعوا الذين جحدوا ألوهيتي، ولم
يؤمنوا برسلي من اليهود والنصارى والمنافقين
والمشركين فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه،
يضلوكم عن طريق الحق، وترتدوا عن دينكم،
فتعودوا بالخسران المبين والهلاك المحقق.

(١٥٠) إنهم لن ينصروكم، بل الله ناصركم،
وهو خير ناصر، فلا يحتاج معه إلى نصره أحد.
(١٥١) سنقذف في قلوب الذين كفروا أشدَّ
الفرع والخوف؛ بسبب إشارتهم بالله آلهة
مزعومة، ليس لهم دليل أو برهان على استحقاقها
للعباداة مع الله، فحالتهم في الدنيا: رعب وهلع
من المؤمنين، أما مكانهم في الآخرة الذي يأوون
إليه فهو النار؛ وذلك بسبب ظلمهم وعدوانهم،
وساء هذا المقام مقاماً لهم.

(١٥٢) ولقد حقق الله لكم ما وعدكم به من
نصر، حين كنتم تقتلون الكفار في غزوة «أحد»
بإذنه تعالى، حتى إذا جئتم وضعفت عن القتال
واختلقت: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها

لجمع الغنائم مع من يجمعها؟ وعصيت أمر رسولكم حين أمركم ألا تفارقوا أما كنتم بأي حال، حلت بكم الهزيمة من
بعد ما أراكم ما تحبون من النصر، وتبين أن منكم من يريد الغنائم، وأن منكم من يطلب الآخرة وثوابها، ثم صرف الله
وجوهكم عن عدوكم؛ ليختبركم، وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم، والله ذو فضل عظيم على المؤمنين.

(١٥٣) اذكروا - يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - ما كان من أمركم حين أخذتم تصعدون الجبل هاربين من
أعدائكم، ولا تلتفتون إلى أحد لِمَا اعتراكم من الدهشة والخوف والرعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت في
الميدان يناديكم من خلفكم قائلاً: إني عباد الله، وأنتم لا تسمعون ولا تنظرون، فكان جزاؤكم أن أنزل الله بكم المأ وضيقاً
وغمّاً؛ لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من نصر وغنيمة، ولا ما حل بكم من خوف وهزيمة. والله خبير بجميع أعمالكم، لا
يخفى عليه منها شيء.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُلَهِجُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٥٤ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كُنَّا عِدَدًا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦ وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧

(١٥٤) ثم كان من رحمة الله بالمؤمنين المخلصين أن ألقى في قلوبهم من بعد ما نزل بها من هم وغم اطمئناناً وثقة في وعد الله، وكان من أثره نعاس غشي طائفة منهم، وهم أهل الإخلاص واليقين، وطائفة أخرى أهمهم خلاص أنفسهم خاصة، وضعفت عزيمتهم وشغلوا بأنفسهم، وأسأوا الظن برهم وبدينه وبنبيه، وظنوا أن الله لا يهتم أمر رسوله، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة، ولذلك تراهم ناديين على خروجهم، يقول بعضهم لبعض: هل كان لنا من اختيار في الخروج للقتال؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن الأمر كله لله، فهو الذي قدر خروجكم وما حدث لكم، وهم يخفون في أنفسهم ما لا يظهره لك من الحسرة على خروجهم للقتال، يقولون: لو كان لنا أدنى اختيار ما قُتِلنا هاهنا. قل لهم: إن الأجل بيد الله، ولو كنتم في بيوتكم، وقدر الله أنكم تموتون، لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يقتلون، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من

الشك والنفاق، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال. والله عليم بما في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمورهم.

(١٥٥) إن الذين فُروا منكم -يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم- عن القتال يوم التقى المؤمنون والمشركون في غزوة «أحد»، إنما أوقعهم الشيطان في هذا الذنب ببعض ما عملوا من الذنوب، ولقد تجاوز الله عنهم فلم يعاقبهم. إن الله غفور للمدنئين التائبين، حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

(١٥٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون برهم، فهم يقولون لإخوانهم من أهل الكفر إذا خرجوا يبعثون في أرض الله عن معاشهم أو كانوا مع الغزاة المقاتلين قاتلوا أو قُتلوا: لو لم يخرج هؤلاء ولم يقاتلوا وأقاموا معنا ما ماتوا وما قُتلوا. وهذا القول يزيدهم ألماً وحزناً وحسرة تستقر في قلوبهم، أما المؤمنون فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله فيهدي الله قلوبهم، ويخفف عنهم المصيبة، والله يجيئ من قدره الحياة -وإن كان مسافراً أو غارياً- ويميت من انتهى أجله وإن كان مقبياً. والله بكل ما تعملونه بصير، فيجازيكم به.

(١٥٧) ولئن قُتِلْتُمْ -أيها المؤمنون- وأنتم تجهلون في سبيل الله أو متم في أثناء القتال، ليغفر الله لكم ذنوبكم، وليرحمكم رحمة من عنده، فتفوزون بجنات النعيم، وذلك خير من الدنيا وما يجمعه أهلها.

وَلَيْنَ مُتَمَنٍّ أَوْ قَاتِلَةٍ لَّا إِلَى اللَّهِ تَحْتَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ
لَيْتَ لَهُمْ وَوَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَالِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَأَنْفَعُ عَنْهُمْ إِذْ سَأَلْتَهُمْ لَهُورٌ شَاوِزُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ
فَلَا عَالِيَّ لَكُمْ إِنَّ يَحْذَرُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرِكُكُمْ مِنْ
بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ
يَعْلُومَنْ يَغْلِي يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ
اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُوْنُهُ جَهَنَّمُ وَيُشَسُّ الْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُبْصِرُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمْ
أَصْبَحْكُمْ مِصْبَةً قَدْ أَصْبَحْتُمْ مَثَلِيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

(١٥٨) ولئن انفضت آجالكم في هذه الحياة الدنيا، فتمت على قُروشكم، أو قتلتم في ساحة القتال، لإلى الله وحده تُحشرون، فيجازيكم بأعمالكم.

(١٥٩) فبرحه من الله لك ولأصحابك - أيها النبي - من الله عليك فكنتم رفيقاً بهم، ولو كنت سعي الخلق قاسي القلب، لانصرف أصحابك من حولك، فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة «أحد»، واسأل الله - أيها النبي - أن يغفر لهم، وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عزم على أمر من الأمور - بعد الاستشارة - فأفض به معتمداً على الله وحده، إن الله يحب المتوكلين عليه.

(١٦٠) إن يمددكم الله بنصره ومعونته فلا أحد يستطيع أن يغلبكم، وإن يخذلكم فمن هذا الذي يستطيع أن ينصركم من بعد خذلانه لكم؟ وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون.

(١٦١) وما كان لنبي أن يخون أصحابه بأن يأخذ شيئاً من الغنيمة غير ما اختصه الله به، ومن يفعل ذلك منكم يأت بها أخذه حاملاً له

يوم القيامة؛ يُفَضَّح به في الموقف المشهود، ثم تُعطى كل نفس جزاء ما كسبت وإفياً غير منقوص دون ظلم.

(١٦٢) لا يستوي من كان قصده رضوان الله ومن هو مكب على المعاصي، مسخط لربه، فاستحق بذلك سكن جهنم، وبش المصير.

(١٦٣) أصحاب الجنة التابعون لما يرضي الله متفاوتون في الدرجات، وأصحاب النار التابعون لما يسخط الله متفاوتون في الدرجات، لا يستوون. والله بصير بأعمالهم لا يخفى عليه منها شيء.

(١٦٤) لقد أنعم الله على المؤمنين من العرب؛ إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آيات القرآن، ويظهرهم من الشرك والأخلاق الفاسدة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل هذا الرسول لفي غي و جهل ظاهر.

(١٦٥) أو لما أصابتمكم - أيها المؤمنون - مصيبة، وهي ما أصيب منكم يوم «أحد» قد أصبتم مثليها من المشركين في يوم «بدر»، قلتم متعجبين: كيف يكون هذا ونحن مسلمون ورسول الله صل الله عليه وسلم فينا وهؤلاء مشركون؟ قل لهم - أيها النبي - : هذا الذي أصابكم هو من عند أنفسكم؛ بسبب مخالفتكم أمر رسولكم وإقبالكم على جمع الغنائم. إن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْفِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلًا لَا تَنْتَعِزُ كُفْرُهُمْ لِلْكَفَرِ وَمَا يَزِيدُ
 أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ يَا فَوْهَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانَةِ وَقَعَدُوا
 لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتِلُوا قَالُوا فَادْرَأْهُ وَأَعْنِ أَنْفُسَكُمْ الْمَوْتِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٧﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَا يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٩﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
 بِبِعَمَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَقَضِيلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧١﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾

(١٦٦) وما وقع بكم من جراح أو قتل في غزوة «أحد» يوم التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين فكان النصر للمؤمنين أولاً ثم للمشركين ثانياً، فذلك كله بقضاء الله وقدره، وليظهر ما علمه الله في الأول؛ ليميز المؤمنين الصادقين منكم.

(١٦٧) وليعلم المنافقين الذين كشف الله ما في قلوبهم حين قال المؤمنون لهم: تعالوا قاتلوا معنا في سبيل الله، أو كونوا عوناً لنا بتكثيركم سوادنا، فقالوا: لو نعلم أنكم تقتلون أحداً لكننا معكم عليهم، هم للكفر في هذا اليوم أقرب منهم للإيمان؛ لأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. والله أعلم بما يخفون في صدورهم.

(١٦٨) هؤلاء المنافقون هم الذين قعدوا وقالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين يوم «أحد»: لو أطاعنا هؤلاء ما قتلوا. قل لهم -أيها الرسول-: فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في دعواكم أنهم لو أطاعوكم ما قتلوا، وأنكم قد نجوتم منه بقعودكم عن القتال.

(١٦٩) ولا تظننَّ -أيها النبي- أن الذين قتلوا

في سبيل الله أموات لا يُحْيِيهِمْ شيئاً، بل هم أحياء حياة برزخية في جوار ربهم الذي جاهدوا من أجله، وماتوا في سبيله، يجري عليهم رزقهم في الجنة، ويُعْمَوْنَ.

(١٧٠) لقد عَمَّتْهم السعادة حين منَّ الله عليهم، فأعطاهم من عظيم جوده وأوسع كرمه من النعيم والرضا ما تَقَرُّ به أعينهم، وهم يفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين فارقوهم وهم أحياء؛ ليفوزوا كما فازوا، لِيَعْلَمُهم أنهم سينالون من الخير الذي نالوه إذا استشهدوا في سبيل الله مُخْلِصِينَ له، وأن لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(١٧١) وإنهم في فرحة غامرة بما أعطوا من نعم الله وجزيل عطائه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين به، بل ينمِّيه ويزيده من فضله.

(١٧٢) الذين لبَّوا نداء الله ورسوله وخرجوا في أعقاب المشركين إلى «حراء الأسد» بعد هزيمتهم في غزوة «أحد» مع ما كان بهم من آلام وجراح، وبذلوا غاية جهدهم، والتزموا بهدي نبيهم، للمحسنين منهم والمتقين ثواب عظيم.

(١٧٣) وهم الذين قال لهم بعض المشركين: إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، فزادهم ذلك التخويف يقيناً وتصديقاً بوعد الله لهم، ولم يُثْبِتْهم ذلك عن عزهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا، ونعم الوكيل المَفْوض إليه تدبير عباده.

فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لِّرَّ مَسَسَ هُمْ سَوْءَ وَاتَّبَعُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
 يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
 وَلَا يَجْزِيكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَتَهُم لَن يَصُرُوا اللَّهَ
 شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُوا اللَّهَ
 شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا
 نُغَلِّي لَهُمْ خَبِيرًا لَّنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ
 عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ
 عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاتَّبِعُوا أَلِلَّهَ
 وَرُسُلَهُ وَان تَوَّصَّوْا وَاتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ
 بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيطُوفُونَ مَا تَحْسَبُونَ مَا تَحْسَبُونَ وَمَا تَحْسَبُونَ
 مِيراثَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

(١٧٤) فرجعوا من «هراء الأسد» إلى «المدينة» بنعمة من الله بالشواب الجزيل، وبفضل منه بالمنزلة العالية، وقد ازدادوا إيماناً وقيناً، وأذلوا أعداء الله، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، واتبعوا رضوان الله بطاعتهم له ولسوله. والله ذو إحسان وعطاء كثير واسع عليهم وعلى غيرهم.

(١٧٥) إِنَّمَا الْمُشْطُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ جاءكم بخوفكم أنصاره، فلا تخافوا المشركين؛ لأنهم ضعاف لا ناصر لهم، وخافوني بالإقبال على طاعتي إن كنتم مصدقين بي، ومتبعين رسولي.

(١٧٦) لَا يَدْخُلُ الْحِزْنَ إِلَى قَلْبِكَ - أيها الرسول - هؤلاء الكفار بمسارعتهم في الجحود والاضلال، إنهم بذلك لن يضرُوا الله شيئاً، إنما يضرُون أنفسهم بحرمانها حلاوة الإيمان وعظيم الثواب، يريد الله ألا يجعل لهم ثواباً في الآخرة؛ لأنهم انصرفوا عن دعوة الحق، ولهم عذاب شديد.

(١٧٧) إِنَّ الَّذِينَ اسْتَبَدَلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا، بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهم في الآخرة عذاب موجه.

(١٧٨) وَلَا يَفْظَنُ الْجَاهِدُونَ أَنَّمَا إِذَا أَطْلَسْنَا أَعْمَارَهُمْ، ومتعناهم بمُتَع الدنيا، ولم نؤاخذهم بكفرهم وذنوبهم، أنهم قد نالوا بذلك خيراً لأنفسهم، إنما تؤخر عذابهم وآجالهم؛ ليزدادوا ظُلماً وطغياناً، ولهم عذاب يُبَيِّنُهُمْ ويذمُّهم.

(١٧٩) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَدْعَكُمْ أَيُّهَا الْمُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْعَامِلُونَ بِشَرِّهِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّيَّاسِ الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ بِالْمَنَافِقِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، فيُعرف المنافق من المؤمن الصادق. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم - أيها المؤمنون - على الغيب الذي يعلمه من عباده، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق، ولكنه يميزهم بالحن والابتلاء، غير أن الله تعالى يصطفي من رسله مَن يشاء؛ ليطلعهم على بعض علم الغيب بوحى منه، فآمنوا بالله ورسوله، وإن تومنون إيماناً صادقاً وتوقوا ربكم بطاعته، فلکم أجر عظيم عند الله.

(١٨٠) وَلَا يَفْظَنُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ أَنَّ هَذَا الْبَخْلَ خَيْرٌ لَهُمْ، بل هو شرٌّ لهم؛ لأن هذا المال الذي جمعه سيكون طوقاً من نار يوضع في أعناقهم يوم القيامة. والله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وهو الباقي بعد فناء جميع خلقه، وهو خير بأعمالكم جميعها، وسيجازي كلّاً على قَدَرِ استحقاقه.

(١٨١) لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير إلينا يطلب منا أن نقرضه أموالاً، ونحن أغنياء. سنكتب هذا القول الذي قالوه، وسنكتب أنهم راضون بما كان من قتل آبائهم لأنبياء الله ظلياً وعدواناً، وسوف نؤاخذهم بذلك في الآخرة، ونقول لهم وهم في النار يعذبون: ذوقوا عذاب النار المحرقة.

(١٨٢) ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدّمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

(١٨٣) هؤلاء اليهود حين دُعوا إلى الإسلام قالوا: إن الله أوصانا في التوراة ألا نصدّق من جاءنا يقول: إنه رسول من الله، حتى يأتينا بصدقة يتقرب بها إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقها. قل لهم -أيها الرسول-: أنتم كاذبون في قولكم؛ لأنه قد جاء بأبائكم رسولٌ من قبلي بالمعجزات والدلائل على صدقهم، وبالذي قلتم من الإنيان بالقرآن الذي تأكله النار، فلم يقتل آبائكم هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في دعوكم؟

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنْ تَأْتِيَنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ فَقَدْ جَاءَ كُذُوبٌ مِنْ قَبْلِي بِأَلْبَيْتٍ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَهُ بِالْبَيْتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَنَعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لُتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

(١٨٤) فإن كذّبك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كذّب المبطلون كثيراً من المرسلين من قبلك، جاؤوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتاب البين الواضح.

(١٨٥) كل نفس لا بد أن تذوق الموت، وبهذا يرجع جميع الخلق إلى ربهم؛ ليحاسبهم. وإننا نُوَفِّون أجوركم على أعمالكم وافية غير منقوصة يوم القيامة، فمن أكرمهم ربه ونجّاه من النار وأدخله الجنة فقد نال غاية ما يطلب. وما الحياة الدنيا إلا متعة زائلة، فلا تغترّوا بها.

(١٨٦) لتُخَبَّرَنَّ -أيها المؤمنون- في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة والمستحبة، وبالواجبات التي تصيبها، وفي أنفسكم بما يجب عليكم من الطاعات، وما يحل بكم من جراح أو قتل أو فقد للأحباب؛ وذلك حتى يتميّز المؤمن الصادق من غيره. ولتسمعن من اليهود والنصارى والمشرّكين ما يؤذي أسماosكم من ألفاظ الشرك والظن في دينكم. وإن تصبروا -أيها المؤمنون- على ذلك كله، وتتقوا الله بلزوم طاعته واجتناب معصيته، فإن ذلك من الأمور التي يُعزّم عليها، وينافس فيها.

وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكَذِبَ لَا تَجْعَلُونَهُ لِلنَّاسِ
وَلَا لَكُمْ بِهِ عُدَّةٌ وَلَا يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ بَاطِلٌ
قَلِيلًا فَبَشِّرْ مَا بَشَّرْتُمْ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَوْا وَيَحْسَبُونَ أَنَّ حُمْلًا لَا يُغْفَرُ لَهُمْ قَالُوا لَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَقَارِقِنِ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُوهِهِمْ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْ لَنَا الْإِقْرَارَ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

(١٨٧) واذكر - أيها الرسول - إذ أخذ الله العهد الموثق على الذين آتاهم الله الكتاب من اليهود والنصارى، فليهود التوراة وللنصارى الإنجيل، ليعملوا بها، ويبينوا للناس ما فيهما، ولا يكتسبوا ذلك ولا يخفوه، فتركوا العهد ولم يلتزموا به، وأخذوا ثمنًا بخسًا مقابل كتبهم الحق وتحريفهم الكتاب، فبش الشراء يشترون، في تضييعهم الميثاق، وتبديلهم الكتاب.

(١٨٨) ولا تظنن الذين يفرحون بما أتوا من أفعال فيحبه كاليهود والمنافقين وغيرهم، ويجبون أن يُنَبِّئَ عليهم الناس بما لم يفعلوا، فلا تظننهم ناجين من عذاب الله في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب مومج. وفي الآية وعيد شديد لكل آت لفعل السوء معجب به، ولكل مفتخر بما لم يعمل، ليُنَبِّئَ عليه الناس ويمجدوه.

(١٨٩) والله وحده ملك السموات والأرض وما فيهما، والله على كل شيء قدير.

(١٩٠) إن في خلق السموات والأرض على غير

مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، واختلافها طولاً وقصرًا، لدلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة.

(١٩١) الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، وهم يتدبرون في خلق السموات والأرض، قائلين: يا ربنا ما أوجدت هذا الخلق عبثاً، فأنت منزّه عن ذلك، فاضرف عنا عذاب النار.

(١٩٢) يا ربنا نجنا من النار، فإنك - يا الله - من تدخله النار بذنوبه فقد فضحته وأهنته، وما للمذنبين الظالمين لأنفسهم من أحد يدفع عنهم عقاب الله يوم القيامة.

(١٩٣) يا ربنا إنا سمعنا منادياً - هو نبيك محمد صلى الله عليه وسلم - ينادي الناس للتصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، والعمل بشرعك، فأجبنا دعوته وصدقنا رسالته، فاغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وألحقنا بالصالحين.

(١٩٤) يا ربنا أعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك من نصر وتمكين وتوفيق وهداية، ولا تنفضنا بذنوبنا يوم القيامة، فإنك كريم لا تخلف وعداً وعدت به عبادك.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ وَأُنْشِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرًا وَاُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَوُدُّوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَجْزَلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرِبُكَ ثَقَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ يَشَاءُ الْمُحَذَّرُونَ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا سُرُرًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآزْكِرِينَ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْرُونَ بَيِّاتٍ بِاللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوَلَيْكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبَرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطَبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سورة آل عمران

(١٩٥) فأجاب الله دعاءهم بأنه لا يضيع جهد من عمل منهم عملاً صالحاً ذكر أكان أو أنشئ، وهم في أخوة الدين وقبول الأعمال والجزاء عليها سواء، فالذين هاجروا رغبة في رضا الله تعالى، وأخرجوا من ديارهم، وأودوا في طاعة ربهم وعبادتهم إياه، وقتلوا وقُتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، ليسترن الله عليهم ما ارتكبه من المعاصي، كما سترها عليهم في الدنيا، فلا يحاسبهم عليها، ولبدخلتهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار جزاء من عند الله، والله عنده حسن الثواب.

(١٩٦) لا تغتر - أيها الرسول - بما عليه أهل الكفر بالله من بسطة في العيش، وسعة في الرزق، وانتقالهم من مكان إلى مكان للتجارات وطلب الأرباح والأموال، فعملاً قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتنين بأعمالهم السيئة. (١٩٧) متاع قليل زائل، ثم يكون مصيرهم يوم القيامة إلى النار، وبئس الفراش.

(١٩٨) لكن الذين خافوا ربهم، وامتلأوا أمره، واجتنبوا نواهيه، قد أعد الله لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، هي منزلهم الدائم لا يخرجون منه. وما عند الله أعظم وأفضل لأهل الطاعة مما يتقلب فيه الذين كفروا من نعيم الدنيا.

(١٩٩) وإن بعضاً من أهل الكتاب ليصدق بالله رباً واحداً وإلهاً معبوداً، وبما أنزل إليكم من هذا القرآن، وبما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل متدلين لله، خاضعين له، لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً من حطام الدنيا، ولا يكتمنون ما أنزل الله، ولا يخفونه كغيرهم من أهل الكتاب. أولئك لهم ثواب عظيم عند ربهم يوم يلقونه، فيوفيههم إياه غير منقوص. إن الله سريع الحساب، لا يعجزه إحصاء أعمالهم، ومحاسبتهم عليها.

(٢٠٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره أصبروا على طاعة ربكم، وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وصابروا أعداءكم حتى لا تكونوا أشد صبراً منكم، وأقيموا على جهاد عدوي وعدوكم، وخافوا الله في جميع أحوالكم؛ رجاء أن تفوزوا برضاه في الدنيا والآخرة.

﴿سورة النساء﴾

(١) يا أيها الناس خافوا الله والتزموا أوامره، واجتنبوا نواهيه؛ فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، ونشر منها في أنحاء الأرض رجالاً كثيراً ونساءً كثيرات، وراقبوا الله الذي يَسْأَلُ به بعضكم بعضاً، واحذروا أن تقطعوا أرحامكم.

إن الله مراقب لجميع أحوالكم.

(٢) وأعطوا من مات أبائهم وهم دون البلوغ - وكنتم عليهم أوصياء - أموالهم إذا وصلوا سن البلوغ، ورأيتم منهم قدرة على حفظ أموالهم، ولا تأخذوا الحِجْدَ من أموالهم، وتجعلوا مكانه الرديء من أموالكم، ولا تخلطوا أموالهم بأموالكم؛ لتحتالوا بذلك على أكل أموالهم. إن من نجراً على ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً.

(٣) وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت أيديكم بأن لا تعطوهن مهرهن كغيرهن، فاتركوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء من غيرهن: اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فإن خشيتن ألا تعدلوا بينهما فاكفوا بباحدة، أو بما عندكم من

الإماء. ذلك الذي شرعته لكم في اليتيمات والزواج من واحدة إلى أربع، أو الاقتصار على واحدة أو ملك اليمين، أقرب إلى عدم الجور والتعدي.

(٤) وأعطوا - أيها الأزواج - النساء مهرهن، عطية واجبة وفريضة لازمة عن طيب نفس منكم. فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء من المهر فوهبته لكم فخذوه، وتصرفوا فيه، فهو حلال طيب.

(٥) ولا توتوا - أيها الأولياء - من يكثر من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعوها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأنفقوا عليهم منها وأكسوهم، وقولوا لهم قولاً معروفاً من الكلام الطيب والخلق الحسن.

(٦) واختبروا من تحت أيديكم من اليتامى لمعرفة قدرتهم على حسن التصرف في أموالهم، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ، وعلمتم منهم صلاحاً في دينهم، وقدرة على حفظ أموالهم، فسلموها لهم، ولا تعتدوا عليها بإنفاقها في غير موضعها إسرافاً ومبادرة لأكلها قبل أن يأخذوها منكم. ومن كان صاحب مال منكم فليستعفف بغناه، ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً، ومن كان فقيراً فليأخذ بقدر حاجته عند الضرورة. فإذا علمتم أنهم قادرون على حفظ أموالهم بعد بلوغهم الحُلُمَ وسلمتموها إليهم، فاشهدوا عليهم؛ ضماناً لوصول حقهم كاملاً إليهم؛ لئلا ينكروا ذلك. ويكفيكم أن الله شاهد عليكم، ومحاسب لكم على ما فعلتم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۚ وَءَاوُوا الَّتِي مَنَىٰ أَمْوَالُكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَدِيثَ بِالطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الَّتِي مَنَىٰ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ وَثَّقَ ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَجِدْهُ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَذَىٰ ۚ لَا تَعُولُوا ۚ وَءَاوُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ نَفْسًا فَكُوهُ هِيَكَ مَرِيئًا ۚ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَابْتَئُوا الَّتِي مَنَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّهُنَّ مِنْهُنَّ رُسُلًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُنَّ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُنَّ فَأَشْهَدْنَ عَلَيْهِنَّ وَكُنَّ بِاللهِ حَسِيبًا ۚ

(٧) للذكور - صغاراً أو كباراً - نصيب شرعه الله فيما تركه الوالدان والأقربون من المال، قليلاً كان أو كثيراً، في أنصبة محددة واضحة فرضها الله عز وجل لهؤلاء، وللنساء كذلك.

(٨) وإذا حضر قسمة الميراث أقارب الميت ممن لا حق لهم في التركة، أو حضرها من مات أبائهم وهم صغار دون سن البلوغ، أو من لا يملكون ما يفهمهم ويسد حاجتهم فأعطوهم شيئاً من المال على وجه الاستحباب قبل تقسيم التركة على أصحابها، وقولوا لهم قولاً حسناً غير فاحش ولا قبيح.

(٩) وتبخف الذين لو ماتوا وتركوا من خلفهم أبناء صغاراً ضعافاً خافوا عليهم الظلم والضياع، فليراقبوا الله فيمن تحت أيديهم من اليتامى وغيرهم، وذلك بحفظ أموالهم، وحسن تربيتهم، ودفع الأذى عنهم، وليقولوا لهم قولاً موافقاً للعدل والمعروف.

(١٠) إن الذين يبعثون على أموال اليتامى، فيأخذونها بغير حق، إنهم يأكلون ناراً تبتأجج

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۖ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً هُوَ فَوقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنٍ ۖ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

في بطونهم يوم القيامة، وسيدخلون ناراً يقاسون حرَّها.

(١١) يوصيكم الله ويأمركم في شأن أولادكم: إذا مات أحد منكم وترك أولاداً: ذكوراً وإناثاً، فميراثه كله لهم: للذكر مثل نصيب الأنثيين، إذا لم يكن هناك وارث غيرهم. فإن ترك بنات فقط فللبنتين فأكثر ثلثا ما ترك، وإن كانت ابنة واحدة، فلها النصف. ولو لبدي الميت لكل واحد منها السدس إن كان له ولد: ذكر أو أنثى، واحداً أو أكثر. فإن لم يكن له ولد وورثه والدها فلأمه الثلث ولأبيه الباقي. فإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر، ذكوراً كانوا أو إناثاً، فلأمه السدس، وللأب الباقي ولا شيء للإخوة. وهذا التقسيم للتركة إنما يكون بعد إخراج وصية الميت في حدود الثلث، أو إخراج ما عليه من دين. آبائكم وأبنائكم الذين فرض لهم الإرث لا تعرفون أيهم أقرب لكم نفعاً في دنياكم وأخراكم، فلا تفضلوا واحداً منهم على الآخر. هذا الذي أوصيكم به مفروض عليكم من الله. إن الله كان عليماً بخلقه، حكماً فيما شرعه لهم.

﴿وَلَكُمْ - أَيُّهَا الرِّجَالُ - نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ بَعْدَ وَفَاتِهِنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ، تَرْتُونَهُ مِنْ بَعْدِ إِنْفَازِ وَصِيَّتِهِنَّ الْجَائِزَةَ، أَوْ مَا يَكُونُ عَلَيْهِنَّ مِنْ دَيْنٍ لِمُسْتَحِقِّهِ. وَلَا زَوَاجَكُمْ - أَيُّهَا الرِّجَالُ - الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ ابْنٌ أَوْ ابْنَةٌ مِنْهُنَّ أَوْ مِنْ غَيْرِهِنَّ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ ابْنٌ أَوْ ابْنَةٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ، يَقْسِمُ الرِّبْعَ أَوِ الثَّمَنَ بَيْنَهُنَّ، فَإِنْ كَانَتْ زَوْجَةً وَاحِدَةً كَانَ هَذَا مِيرَاثًا لَهَا، مِنْ بَعْدِ إِنْفَازِ مَا كُنْتُمْ أَوْ صَيِّتُمْ بِهِ مِنَ الْوَصَايَا الْجَائِزَةِ، أَوْ قَضَاءِ مَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ مِنْ دَيْنٍ. وَإِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهُ أَوْ لَهَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَلَهُ أَوْ لَهَا أَخٌ أَوْ أُخْتُ مِنْ أُمِّ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ. فَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلْثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوْصَلُ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرُ مَضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٤﴾

(١٢) ولكم - أيها الرجال - نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن إن لم يكن لهن ولد ذكراً كان أو أنثى، فإن كان لهن ولد فلكنم الربع مما تركن، ترثنه من بعد إنفاذ وصيتهن الجائزة، أو ما يكون عليهن من دينٍ لمستحقه. ولا زواجكم - أيها الرجال - الربع مما تركتم، إن لم يكن لكم ابن أو ابنة منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ابن أو ابنة فلهن الثمن مما تركتم، يقسم الربع أو الثمن بينهما، فإن كانت زوجة واحدة كان هذا ميراثاً لها، من بعد إنفاذ ما كنتم أو صيتم به من الوصايا الجائزة، أو قضاء ما يكون عليكم من دينٍ. وإن مات رجل أو امرأة وليس له أو لها ولد ولا والد، وله أو لها أخ أو أخت من أم لكل واحد منهما السدس. فإن كان الإخوة أو الأخوات لأكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يقسم بينهم بالسوية لا فرق بين الذكر والأنثى، وهذا الذي فرضه الله للإخوة والأخوات لأب يأخذونه ميراثاً لهم من بعد إنفاذ وصيته إن كان

قد أوصى بشيء، أو قضاء ديون الميت، لا ضرر فيه على الورثة. بهذا أو صاكنم بركم وصية نافعة لكم. والله عليم بما يصلح خلقه، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

(١٣) تلك الأحكام الإلهية التي شرعها الله في اليتامى والنساء والموارث، شرائع الدالة على أنها من عند الله العليم الحكيم. ومن يطع الله ورسوله فيما شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بمياها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم.

(١٤) ومن يعص الله ورسوله، بإنكاره لأحكام الله، وتجاوز ما شرع الله لعباده بتغييرها، أو تعطيل العمل بها، يدخله ناراً مأكناً فيها، وله عذاب يُخزيه ويُهينه.

(١٥) واللاتي يزينن من نسائكم، فاستشهدوا
-أيها الولاة والقضاة- عليهن أربعة رجال
عدول من المسلمين، فإن شهدوا عليهن بذلك
فاحبسوهن في البيوت حتى تنتهي حياتهن
بالموت، أو يجعل الله لهن طريقاً للخلاص من
ذلك.

(١٦) واللدان يقعان في فاحشة الزنى، فأذوهما
بالضرب والهجر والتوبيخ، فإن تابا عمّا وقع
منهما وأصلحا بما يقدّمان من الأعمال الصالحة
فاصفحوا عن أذاهما. ويستفاد من هذه الآية
والتي قبلها أن الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون،
والنساء يُجَبَّسْنَ وَيُؤَذَّيْن، فالجس غايته الموت،
والأذية نهايتها إلى التوبة والصلاح. وكان هذا
في صدر الإسلام، ثم نُسخ بها شرع الله ورسوله،
وهو الرجم للمحصن والمحصنة، وهما الحران
البالغان العاقلان، اللذان جامعا في نكاح صحيح،
والجلد مائة جلدة، وتغريب عام لغيرهما. إن الله
كان تواباً على عباده الناثين، رحيماً بهم.

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْهَدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾
وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَلَاؤُهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا
فَاعْرِضْ عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَسْتَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تَبْتُ فَلَنْ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِيَنْتَهَبُوا بَعْضَ مَاءٍ آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُبِينَةٍ وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

(١٧) إِنَّمَا يقبل الله التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب بجهل منهم لعاقبتها، وإيجابها لسخط الله -فكل عاص
له مخطئاً أو معتمداً فهو جاهل بهذا الاعتبار، وإن كان عالماً بالتحريم- ثم يرجعون إلى ربهم بالإنيابة والطاعة قبل معاينة
الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم. وكان الله عليماً بخلقه، حكيماً في تدبيره وتقديره.

(١٨) وليس قبول التوبة للذين يُصِرُّون على ارتكاب المعاصي، ولا يرجعون إلى ربهم إلى أن تأتيتهم سكرات الموت، فيقول
أحدهم: إني تبت الآن، كما لا تقبل توبة الذين يموتون وهم جاحدون، منكرون لوحادنية الله ورسالة رسول محمد صلى الله
عليه وسلم. أولئك المَصْرُورُونَ على المعاصي إلى أن ماتوا، والجاحدون الذين يموتون وهم كفار، أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا مَوْجِعًا.

(١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يجوز لكم أن تجعلوا نساء آبائكم من جملة تَرَكْتُمُ، تتصرفون فيهن بالزواج منهن، أو المنع لهن،
أو تزويجهن للآخرين، وهن كارهات لذلك كله، ولا يجوز لكم أن تضاروا أزواجكم وأنتم كارهون لهن؛ ليتنازلن عن
بعض ما آتيتموهن من مهر ونحوه، إلا أن يرتكبن أمراً فاحشاً كالزنى، فلكن حينئذ إمساكنهن حتى تأخذوا ما أعطيتموهن.
ولكنن مصاحبتكم لنسائكم مبنية على التكريم والمحبة، وأداء ما هن من حقوق. فإن كرهتموهن لسبب من الأسباب
الدنيوية فاصبروا؛ فعسى أن تكرهوا أمراً من الأمور ويكون فيه خير كثير.

وَأَنْ أَرْتُمْ أَسْبَغَ دَلَّ رَوْحَ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتِيَتْهُ
 إِحْدَهُنَّ قَطْرًا فَلَا تَأْخُذْ وَآمَنَهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُوهُ
 بُهْتَنًا وَإِنَّمَا بُيِّنَّا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُوهُ وَقَدْ أَهْضَى
 بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
 ۝ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
 إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فِي حِشَّةٍ وَمَقْتًا وَسَاءَ
 سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
 وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
 الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ
 وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
 وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ
 اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ بَنَاتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
 أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
 مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝

(٢٠) وإن أردتم استبدال زوجة مكان أخرى،
 وكنتم قد أعطيتهم من تريدون طلاقها مالا كثيراً
 مهراً لها، فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً،
 تأخذونه كذباً وافتراءً واضحاً؟

(٢١) وكيف يحل لكم أن تأخذوا ما أعطيتهم من
 من مهر، وقد استمتع كل منكم بالآخر بالجماع،
 وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً من إمسакهن
 بمعروف أو تسريحهن بإحسان؟

(٢٢) ولا تتزوجوا من تزوجه آبائكم من
 النساء إلا ما قد سلف منكم ومضى في الجاهلية
 فلا مؤاخذه فيه. إن زواج الأبناء من زوجات
 آبائهم أمر قبيح يفسح فحش ويعظم قبحه، وبغض
 يمتق الله فاعله، وبشس طريقاً ومنهجاً ما كنتم
 تفعلونه في جاهليتكم.

(٢٣) حَرَّمَ الله عليكم نكاح أمهاتكم، ويدخل
 في ذلك الجدات من جهة الأب أو الأم، وبنايتكم:
 ويشمل بنات الأولاد وإن نزلن، وأخواتكم
 الشقيقات أو لأب أو لأم، وعماتكم: أخوات

آبائكم وأجدادكم، وخالاتكم: أخوات أمهاتكم وجداتكم، وبنايت الأخ، وبنايت الأخت: ويدخل في ذلك أولادهم،
 وأمهايتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة - وقد حَرَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع ما يحرم من
 النسب - وأمهايت نسايتكم، سواء دخلتم بنسايتكم، أم لم تدخلوا بهن، وبنايت نسايتكم من غيركم اللاتي يتربن غالباً في
 بيوتكم وتحت رعايتكم، وهن مُحَرَّمات وإن لم يكن في حجوركم، ولكن بشرط الدخول بأمهاتهن، فإن لم تكونوا دخلتم
 بأمهاتهن وطلقتموهن أو متن قبل الدخول فلا جناح عليكم أن تنكحوهن، كما حَرَّمَ الله عليكم أن تنكحوا زوجات
 آبائكم الذين من أصلابكم، ومن ألحق بهم من أبنايتكم من الرضاع، وهذا التحريم يكون بالعقد عليها، دخل الابن بها أم
 لم يدخل، وحَرَّمَ عليكم كذلك الجمع في وقت واحد بين الأختين بنسب أو رضاع إلا ما قد سلف ومضى منكم في الجاهلية.
 ولا يجوز كذلك الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها كما جاء في السنة. إن الله كان غفوراً للذين إذا تابوا، رحماً بهم، فلا
 يكلفهم ما لا يطيقون.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ لَكُمْ مَوَارَاةٌ ذَلِكَ أَنَّ تَبَتُّغُوا
 بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
 مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
 تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ١١ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَامَلَ كَتَبَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
 قَبْلِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ
 مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
 أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
 مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ
 مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ١٢ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٣

(٢٤) ويحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا من سيئتم منهن في الجهاد، فإنه يحل لكم نكاحهن، بعد استبراء أرحامهن بحيضة، كتب الله عليكم تحريم نكاح هؤلاء، وأجاز لكم نكاح من سواهن، مما أحله الله لكم أن تطلبوا بأموالكم العفة عن اقتراف الحرام. فما استمتعتم به منهن بالنكاح الصحيح، فأعطوهن مهرهن، التي فرض الله لهن عليكم، ولا إثم عليكم فيما تم التراضي به بينكم، من الزيادة أو النقصان في المهر، بعد ثبوت الفريضة. إن الله تعالى كان علياً بأمور عباده، حكياً في أحكامه وتدبيره.

(٢٥) ومن لا قدرة له على مهر الحرائر المؤمنات، فله أن ينكح غيرهن، من فتياتكم المؤمنات المملوكات. والله تعالى هو العليم بحقيقة إيمانكم، بعضكم من بعض، فتزوجوهن بموافقة أهلهن، وأعطوهن مهرهن على ما تراضيتن به عن طيب نفس منكم، متعفات

عن الحرام، غير مجاهرات بالزنى، ولا مسرات به باتخاذ أخلاء، فإذا تزوجن وأتين بفاحشة الزنى فعليهن من الحد - وهو الجلد لا الرجم - نصف ما على الحرائر. ذلك الذي أبيع من نكاح الإمام بالصفة المتقدمة إنها أبيع لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، وشق عليه الصبر عن الجماع، والصبر عن نكاح الإماء مع العفة أولى وأفضل. والله تعالى غفور لكم رحيم بكم إذ أذن لكم في نكاحهن عند العجز عن نكاح الحرائر.

(٢٦) يريد الله تعالى بهذه التشريعات، أن يوضح لكم معالم دينه القويم، وشرع الحكيم، ويدللكم على طرق الأنبياء والصالحين من قبلكم في الحلال والحرام، ويتوب عليكم بالرجوع بكم إلى الطاعات، وهو سبحانه عليم بما يصلح شأن عباده، حكيم فيما شرع لكم.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ٢٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا
وُطْلَمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ٣٠ إِنْ تَجَدَّبُوا كَيْدًا يُرْمَى تَهْوُونَ عَنْهُ نُكْحًا
عَنكُمْ سَيِّئًا يَكْفُرُ وَنَدْخَلَكُمْ مَدْخَلَ كَرِيمًا ٣١
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ٣٢ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ فَتَاوُهُمْ
نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٣٣

(٢٧) والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز
عن خطاياكم، ويريد الذين يتفادون لشهواتهم
وملذاتهم أن تنحرفوا عن الدين انحرافاً كبيراً.
(٢٨) يريد الله تعالى بما شرعه لكم التيسير،
وعدم التشديد عليكم؛ لأنكم خلقتكم ضعفاء.
(٢٩) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا
بشرعه، لا يحلّ لكم أن يأكل بعضكم مال بعض
بغير حق، إلا أن يكون وفق الشرع والكسب
الحلال عن تراض منكم، ولا يقتل بعضكم
بعضاً فتهلكوا أنفسكم بارتكاب محارم الله
ومعاصيه. إن الله كان بكم رحيمًا في كل ما
أمركم به، ونهاكم عنه.
(٣٠) ومن يرتكب ما نهى الله عنه من أخذ
المال الحرام كالسرقة والغصب والغيش معتدياً
متجاوزاً حد الشرع، فسوف يدخله الله ناراً
يقاسي حرّها، وكان ذلك على الله يسيراً.
(٣١) إن تتعدوا -أيها المؤمنون- عن كبائر
الذنوب كالإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل

النفس بغير الحق وغير ذلك، نكفّر عنكم ما دونها من الصغائر، وندخلكم مدخلاً كريماً، وهو الجنة.

(٣٢) ولا تمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض، في المواهب والأرزاق وغير ذلك، فقد جعل الله للرجال نصيباً مقدّراً
من الجزء بحسب عملهم، وجعل للنساء نصيباً مما عملن، واسألوا الله الكريم الوهاب يعطيكم من فضله بدلاً من التمني.
إن الله كان بكل شيء عليماً، وهو أعلم بما يصلح عباده فيها فسمه لهم من خير.

(٣٣) ولكل واحد منكم جعلنا ورثة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، والذين تحالفتم معهم بالآيات المؤكدة على النصره
وإعطائهم شيئاً من الميراث فأعطوهم ما قدّر لهم. والميراث بالتخالف كان في أول الإسلام، ثم رُفِع حكمه بنزول آيات
الموارث. إن الله كان مطلعاً على كل شيء من أفعالكم، وسيجازيكم على ذلك.

(٣٤) الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهن على بعض وبما أنفقوا من أموالهن فالصلح خير قبلت حفظك للغيب بما حفظ الله والتي تخافون ذنورهن فعطوهن وأحبروهن في الأمصاج وأضرهوهن فإن أطعنكم فلا تتبعوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴿١﴾ وإن خفتم شقاق بينهما فأنعوا حكماً من أهله وحكما من أهلها إن يريد أحد إحلا في الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴿٢﴾ وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتيم والمسنكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴿٣﴾ الذين يتخولون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعبدوا للكافرين عذاباً مهيباً ﴿٤﴾

(٣٥) وإن علمتم - يا أولياء الزوجين - شقاقاً بينهما يؤدي إلى الفراق، فأرسلوا إليهما حكماً عدلاً من أهل الزوج، وحكماً عدلاً من أهل الزوجة؛ لينظرا ويحكمأ بها فيه المصلحة لها،

وبسبب رغبة الحكيم في الإصلاح، واستعمالها الأسلوب الطيب يوفق الله بين الزوجين. إن الله تعالى عليم، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده، خبير بما تنطوي عليه نفوسهم.

(٣٦) وعبدوا الله وانقادوا له وحده، ولا تجعلوا له شريكاً في الربوبية والعبادة، وأحسنوا إلى الوالدين، وأدوا حقوقها، وحقوق الأقربين، والأولاد الذين مات أبأؤهم وهم دون سن البلوغ، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والجار القريب منكم والبعيد، والرفيق في السفر وفي الحضر، والمسافر المحتاج، والماليك من فتيانكم وفتياتكم. إن الله تعالى لا يحب المتكبرين من عباده، المتفخرين على الناس.

(٣٧) الذين يمتنعون عن الإنفاق والعطاء مما رزقهم الله، ويأمرون غيرهم بالبخل، ويجحدون نعم الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه. وأعدنا للجاحدين عذاباً مخزياً.

(٣٨) وأعتدنا هذا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم رياءً وسمعةً، ولا يصدقون بالله اعتقاداً وعملاً ولا بيوم القيامة. وهذه الأعمال السيئة مما يدعو إليها الشيطان. ومن يكن الشيطان له ملازماً فيفس الملازم والقرين.

(٣٩) وأي ضرر يلحقهم لو صدقوا بالله واليوم الآخر اعتقاداً وعملاً، وأنفقوا مما أعطاهم الله باحتساب وإخلاص، والله تعالى عليم بهم وبما يعملون، وسيحاسبهم على ذلك.

(٤٠) إن الله تعالى لا ينقص أحداً من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثواباً كبيراً هو الجنة.

(٤١) فكيف يكون حال الناس يوم القيامة، إذا جاء الله من كل أمة برسولها ليشهد عليها بما عملت، وجاء بك -أيها الرسول- لتكون شهيداً على أمتك أنك بلغتهم رسالة ربك؟

(٤٢) يوم يكون ذلك، يتمنى الذين كفروا بالله تعالى وخالفوا الرسول ولم يطيعوه، لو يجعلهم

الله والأرض سواء، فيصيرون تراباً، حتى لا يبعثوا وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله شيئاً مما في أنفسهم؛ إذ ختم الله على أفواههم، وشهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون.

(٤٣) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تقربوا الصلاة ولا تقوموا إليها حال السكر حتى تميزوا وتعلموا ما تقولون (وقد كان هذا قبل التحريم القاطع للخمر في كل حال)، ولا تقربوا الصلاة إن أصابكم الحدث الأكبر، ولا تقربوا كذلك مواضعها وهي المساجد، إلا من كان منكم مجتازاً من باب إلى باب، حتى تنظروا بالاغسال. وإن كنتم في حال مرض لا تقدرون معه على استعمال الماء، أو حال سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو جامعتم النساء، فلم تجدوا ماء للطهارة فاقصدوا تراباً طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه. إن الله تعالى كان كثير العفو يتجاوز عن سيئاتكم، ويسترها عليكم.

(٤٤) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر اليهود الذين أعطوا حظاً من العلم مما جاءهم من التوراة، يستبدلون الضلالة بالهدى، ويترون ما لديهم من الحجج والبراهين، الدالة على صدق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويتمنون لكم -أيها المؤمنون المهتدون- أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم؛ لتكونوا ضالين مثلهم.

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَمْوَالُ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَتَفْقَهُوا
مِمَّا زَرَقَهُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِلُّ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ سِذْرُودُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا تَكُونُ
اللَّهُ حَديثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَسَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يَسْتُرُونَ الْأَصْلَ وَلَا يَرْضَوْنَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

وَاللَّهُ أََعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَيَحْمُرُونَ أَلْسِنَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمِعْ غَيْرَ سَمِعْ وَرَاعِنَا لَيْتَ يَأْتِيَنَا سَمْعٌ
 وَطَعْنَانِي الَّذِينَ وَلَّوْا أَنفُسَهُمْ فَأَلْوَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَأَنْظُرْنَا
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ أُولُوا أَلْسِنَتِهِمْ أَن يُؤْمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَطْمَئِنَّ وُجُوهُ قَوْمِكُمْ هَـ
 عَلَى أَدْبَارِهِمْ أَوْ لَعَنَهُمُ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
 ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ
 وَلَا يَظُنُّونَ قِتْلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْضُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُولُوا نَصِيبًا
 مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

(٤٥) والله سبحانه وتعالى أعلم منكم -أيها المؤمنون- بعداوة هؤلاء اليهود لكم، وكفى بالله ولياً يتولاكم، وكفى به نصيراً ينصركم على أعدائكم.

(٤٦) من اليهود فريق دأبوا على تبديل كلام الله وتغييره عما هو عليه افتراءً على الله، ويقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع مثلاً سمعت، ويقولون: راعنا سمعك أي: افهم عنا وأفهمنا، يلون ألسنتهم بذلك، وهم يريدون الدعاء عليه بالرعدة حسب لغتهم، والظعن في دين الإسلام. ولو أنهم قالوا: سمعنا وأطعنا، بدل و«عصينا»، واسمع دون «غير سمع»، وانظرنا بدل «راعنا» لكان ذلك خيراً لهم عند الله وأعدل قولاً، ولكن الله طردهم من رحمته، بسبب كفرهم وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يصدقون بالحق إلا تصديقاً قليلاً لا ينفعهم.

(٤٧) يا أهل الكتاب، صدقوا واعملوا بما نزلنا من القرآن، مصداقاً لما معكم من الكتب من قبل أن نأخذكم بسوء صنيعكم، فنمحو الوجوه

ونحوها قبل الظهور، أو نلعن هؤلاء المفسدين بمسخهم قرده وخنازير، كما لعنا اليهود من أصحاب السبت، الذين نهوا عن الصيد فيه فلم ينتهوا، فغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وكان أمر الله نافذاً في كل حال.

(٤٨) إن الله تعالى لا يغفر ولا يتجاوز عمن أشرك به أحداً من مخلوقاته، أو كفر بأي نوع من أنواع الكفر الأكبر، ويتجاوز ويغفو عما دون الشرك من الذنوب، لمن يشاء من عباده، ومن يشرك بالله غيره فقد اختلق ذنباً عظيماً.

(٤٩) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك الذين يُثَنُّون على أنفسهم وأعمالهم، ويصفونها بالطهر والبعد عن السوء؟ بل الله تعالى وحده هو الذي يُثني على من يشاء من عباده، لعلمه بحقيقة أعمالهم، ولا يُنْقِصون من أعمالهم شيئاً مقدار الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة.

(٥٠) انظر إليهم -أيها الرسول- متعجباً من أمرهم، كيف يختلقون على الله الكذب، وهو المنزه عن كل ما لا يليق به؟ وكفى بهذا الاختلاق ذنباً كبيراً كاشفاً عن فساد معتقدتهم.

(٥١) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك اليهود الذين أعطوا حظاً من العلم يصدقون بكل ما يُعبد من دون الله من الأصنام وشياطين الإنس والجن تصديقاً يجهلهم على التحاكم إلى غير شرع الله، ويقولون للذين كفروا بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الكافرون أقوم وأعدل طريقاً من أولئك الذين آمنوا؟

(٥٢) أولئك الذين كثرت فسادهم وعمّ ضلالهم، طردهم الله تعالى من رحمته، ومن يطرده الله من رحمته فلن تجد له من ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.

(٥٣) بل ألهمهم حظ من الملك، ولو أوتوه لما أعطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان مقدار الثمرة التي تكون في ظهر النواة؟

(٥٤) بل أيسدوا محمداً صلى الله عليه وسلم على ما أعطاه الله من نعمة النبوة والرسالة، ويسدوا أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان، والتصديق بالرسالة، واتباع الرسول، والتكئين في الأرض، ويتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟ فقد أعطينا ذرية إبراهيم عليه السلام - من قتل - الكتب، التي أنزلها الله عليهم وما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءاً، وأعطيناهم مع ذلك ملكاً واسعاً.

(٥٥) فمن هؤلاء الذين أوتوا حظاً من العلم، من صدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وعمل بشرعه، ومنهم من أعرض ولم يستجب لدعوته، ومنع الناس من اتباعه. وحسبكم أيها المكذوبون - نار جهنم تسعّر بكم.

(٥٦) إن الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته ووحى كتابه ودلائله وحججه، سوف ندخلهم ناراً يقاسون حرّها، كلما احترقت جلودهم بدلتناهم جلوداً أخرى؛ ليستمر عذابهم وألمهم. إن الله تعالى كان عزيزاً لا يمتنع عليه شيء، حكياً في تدبيره وقضائه.

(٥٧) والذين اطمانت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، وهم فيها أزواج طهرها الله من كل أذى، وندخلهم ظلاً كثيفاً ممتداً في الجنة.

(٥٨) إن الله تعالى يأمركم بأداء مختلف الأمانات، التي اؤتمنت عليها إلى أصحابها، فلا نفرطوا فيها، ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل والقسط، إذا قضيت بينهم، ونعم ما يعظكم الله به ويهديكم إليه. إن الله تعالى كان سميعاً لأقوالكم، مطلعاً على سائر أعمالكم، بصيراً بها.

(٥٩) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق، وأطيعوا وألا أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى ويوم الحساب. ذلك الرّد إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومالاً.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يَأْتُونُ النَّاسَ بِنَفِيرٍ ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعَهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نُصْلِيهِمْ
جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا عَرِبَهَا لَيْدُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلٌّ خَالِدِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَعْدِلُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

(٦٠) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك المنافقين الذين يدعون الإيمان بما أنزل إليك - وهو القرآن- وبما أنزل إلى الرسل من قبلك، وهم يريدون أن يتحاكموا في فضل الخصومات بينهم إلى غير ما شرع الله من الباطل، وقد أمروا أن يكفروا بالباطل؟ ويريد الشيطان أن يبعدهم عن طريق الحق بُعداً شديداً. وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان الصادق، يقتضي الانقياد لشرع الله، والحكم به في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في زعمه.

(٦١) وإذا نصح هؤلاء، وقبل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهدية، أبصرت الذين يظهرون الإيمان ويبتلون الكفر، يعرضون عنك إعراضاً.

(٦٢) فكيف يكون حال أولئك المنافقين إذا حلت بهم مصيبة؛ بسبب ما اقترفوه بأيديهم، ثم جاؤوك -أيها الرسول- يعتذرون، ويؤكدون لك أنهم ما قصدوا بأعمالهم تلك إلا الإحسان والتوفيق بين الخصوم؟

(٦٣) أولئك هم الذين يعلم الله حقيقة ما في

الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يُمَارِئُ قُلُوبَهُمْ يَقُولُوا مَوْلَاهُ يَنْتَظِرُ إِلَهُكُمُ الْيَوْمَ وَالْآخِرَ وَأَنْتَ أَهْلُهَا الْإِنْسَانُ وَالْجِنُّ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ كُلٌّ لِحُكْمِهِ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخْجَمُوا فِي سَاجِرٍ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَصَصْتُمْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

قلوبهم من النفاق، فتولّ عنهم، وحذّرهم من سوء ما هم عليه، وقل لهم قولاً مؤثراً فيهم زاجراً لهم.

(٦٤) وما بعثنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه. ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك -أيها الرسول- في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله تواباً رحيماً.

(٦٥) أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكماً فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد عمالك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقياداً تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

(٦٦-٦٨) ولو أننا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْهًُا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدِيَنَّهُمْ سِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُّطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ يَفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيْسَ بِتَائِبٍ فَأَنْصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَأْكُلُتُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

(٦٩) ومن يستجب لأوامر الله تعالى وهدى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك الذين عظم شأنهم وقدرهم، فكانوا في صحبة من أنعم الله تعالى عليهم بالجنة من الأنبياء والصديقين الذين كُمل تصديقهم بها جاءت به الرسل، اعتقاداً وقولاً وعملاً، والشهداء في سبيل الله وصالح المؤمنين، وحسن هؤلاء رفقاء في الجنة. (٧٠) ذلك العطاء الجزيل من الله وحده. وكفى بالله عليماً يعلم أحوال عباده، ومن يستحق منهم الثواب الجزيل بما قام به من الأعمال الصالحة.

(٧١) يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين.

(٧٢) وإن منكم لنفرًا يتأخر عن الخروج لملاقاة الأعداء متحلفاً، ويشط غيره عن عهده وإصرار، فإن قدر عليكم وأصبتكم بقتل وهزيمة، قال مستبشراً: قد حفظني الله، حين لم أكن حاضراً مع أولئك الذين وقع لهم ما أكرهه نفسي، وسره تحلفه عنكم.

(٧٣) ولئن نالكم فضل من الله وغنيمة، ليقولنَّ - حاسداً متحسراً، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في الظاهر -: يا ليتني كنت معهم فأظفر بما طُفروا به من النجاة والنصرة والغنيمة.

(٧٤) فليجاهد في سبيل نصرته دين الله، وإعلاء كلمته، الذين يبيعون الحياة الدنيا بالدار الآخرة وثوابها. ومن يجاهد في سبيل الله مخلصاً، فيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ، فسوف نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِهَا هُمْ وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا
﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ
كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَكَفَّتْ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُيِقُوا مِنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَالْأَوَّلُ رَبَّنَا لَكُنْتُ
عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْمُنُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ إِنَّمَا تَكُونُوا
يُذْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ
عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهَالِكُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ
فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

(٧٥) وما الذي يمنعكم -أيها المؤمنون- عن
الجهاد في سبيل نصرته دين الله، ونصرة عباده
المستضعفين من الرجال والنساء والصغار
الذين اعتدي عليهم، ولا حيلة لهم ولا وسيلة
لديهم إلا الاستغاثة بربهم، يدعونه قائلين: ربنا
أخرجنا من هذه القرية -يعني «مكة»- التي
ظلم أهلها أنفسهم بالكفر والمؤمنين بالأذى،
واجعل لنا من عندك ولياً يتولى أمورنا، ونصيراً
ينصرنا على الظالمين؟

(٧٦) الذين صدقوا في إيمانهم اعتقاداً وعملاً
يجاهدون في سبيل نصرته الحق وأهله، والذين
كفروا يقاتلون في سبيل البغي والفساد في
الأرض، فقاتلوا أيها المؤمنون أهل الكفر
والشرك الذين يتولون الشيطان، ويطيعون
أمره، إن تدبير الشيطان لأوليائه كان ضعيفاً.
(٧٧) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك الذين
قيل لهم قبل الإذن بالجهاد: امنعوا أيديكم عن
قتال أعدائكم من المشركين، وعليكم أداء ما

فرضه الله عليكم من الصلاة والزكاة، فلما فرض عليهم القتال إذا جماعة منهم قد تغير حالهم، فأصبحوا يخافون الناس
ويرهبونهم، كخوفهم من الله أو أشد، ويعلمون عما اعترضهم من شدة الخوف، فيقولون: ربنا لم أوجبت علينا القتال؟ هلاً
أمهلتنا إلى وقت قريب، رغبة منهم في متاع الحياة الدنيا، قل لهم -أيها الرسول-: متاع الدنيا قليل، والآخرة أَعْظَمُ
وأبقى لمن اتقى، فعلم بما أمر به، واجتنب ما نهي عنه. ولا يظلم ربك أحداً شيئاً، ولو كان مقدار الخيط الذي يكون في
شق نواة التمرة.

(٧٨) أينما تكونوا يلحقكم الموت في أي مكان كنتم فيه عند حلول آجالكم، ولو كنتم في حصون منيعة بعيدة عن ساحة
المعارك والقتال. وإن يحصل لهم ما يسرهم من متاع هذه الحياة، ينسبوا حصوله إلى الله تعالى، وإن يقع عليهم ما يكرهونه
ينسبوه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جهالة وتشاؤماً، وما علموا أن ذلك كله من عند الله وحده، بقضائه وقدره،
فما بالهم لا يقاربون فهم أي حديث تحدثهم به؟

(٧٩) ما أصابك -أيها الإنسان- من خير ونعمة فهو من الله تعالى وحده، فضلاً وإحساناً، وما أصابك من جهد وشدة
فيسبب عملك السيئ، وما اقترفته بذاك من الخطايا والسيئات. وبعثناك -أيها الرسول- لعموم الناس رسلاً تبلغهم
رسالة ربك، وكفى بالله شهيداً على صدق رسالتك.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرُءُ أَنْ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَا فَضْلَ لِلَّهِ عَلَيْهِ كَفَرًا وَرَحْمَةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣ فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَخَرِّصِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝٨٤ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۝٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

(٨٠) من يستجب للرسول صلى الله عليه وسلم، ويعمل بهديه، فقد استجاب لله تعالى وامتلأ أمره، ومن أعرض عن طاعة الله ورسوله فما بعثناك -أيها الرسول- على هؤلاء المعرضين رقيباً تحفظ أفعالهم وتحاسبهم عليها، فحاسبهم علينا.

(٨١) ويظهر هؤلاء المعرضون -وهم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم- طاعتهم للرسول وما جاء به، فإذا ابتعدوا عنه وانصرفوا عن مجلسه، دبر جماعة منهم ليلاً غير ما أعلنوه من الطاعة، وما علموا أن الله يحصي عليهم ما يدبرون، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، فتول عنهم -أيها الرسول- ولا تبال بهم، فإبهم لن يضررك، وتوكل على الله، وحسبك به ولياً وناصراً.

(٨٢) أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

(٨٣) وإذا جاء هؤلاء الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أمرٌ يجب كتمانها متعلقاً بالأمم الذي يعود خيره على الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان، أفشوه وأذاعوا به في الناس، ولو رد هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أهل العلم والفقه لعلم حقيقة معناه أهل الاستنباط منهم. ولولا أن تفضل الله عليكم ورحمكم لاتبعتم الشيطان ووساوسه إلا قليلاً منكم.

(٨٤) فجاهد -أيها النبي- في سبيل الله وإعلاء كلمته، لا تلزم فعل غيرك ولا تواخذ به، وحض المؤمنين على القتال والجهاد، ورغبهم فيه، لعل الله يمنع بك وبهم بأس الكافرين وشذتهم. والله تعالى أشد قوة وأعظم عقوبة للكافرين.

(٨٥) من يسع لحصول غيره على الخير يكن له بشفاعته نصيب من الثواب، ومن يسع لإيصال الشر إلى غيره يكن له نصيب من الوزر والإثم. وكان الله على كل شيء شاهداً وحفيظاً.

(٨٦) وإذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم لفظاً وبشاشة، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، ولكل ثوابه جزاؤه. إن الله تعالى كان على كل شيء مجازياً.

(٨٧) الله وحده المتفرد بالالوهية لجميع الخلق، ليجمعنكم يوم القيامة، الذي لا شك فيه؛ للحساب والجزاء. ولا أحد أصدق من الله حديثاً فيما أخبر به.

(٨٨) فما لكم -أيها المؤمنون- في شأن المنافقين إذ اختلفتم فرقتين: فرقة تقول بقتالهم وأخرى لا تقول بذلك؟ والله تعالى قد أوقعهم في الكفر والضلال بسبب سوء أعمالهم. أتودون هداية من صرف الله تعالى قلبه عن دينه؟ ومن خذله الله عن دينه، واتباع ما أمره به، فلا طريق له إلى الهدى.

(٨٩) تمنى المنافقون لكم -أيها المؤمنون- لو تنكروا حقيقة ما أمنت به قلوبكم، مثلما أنكروا بقلوبهم، فنكونون معهم في الإنكار سواء، فلا تتخذوا منهم أصدقاء لكم، حتى يهاجروا في سبيل الله، برهاناً على صدق إيمانهم، فإن أعرضوا عما دُعوا إليه، فخذوهم أيديهم، واقتلوهم، ولا تتخذوا منهم ولياً من دون الله

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ قَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلَا يَأْتِءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلَا يَأْتِءَ وَلَا تَصِيرُوا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَنَكُمْ وَيَبْنَهُمْ ذِيْنًا أَوْ جَاءَ وَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْهِمْ قَتْلُكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ السِّلَاحَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ الْآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا زَادُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السِّلَاحَ وَيَكُونُوا أَيْدِيَهُمْ فُخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

ولا نصيراً تستصرون به.

(٩٠) لكن الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم، وكذلك الذين أتوا إليكم وقد ضاقت صدورهم وكرهوا أن يقاتلوكم، كما كرهوا أن يقاتلوا قومهم، فلم يكونوا معكم ولا مع قومهم، فلا تقاتلوهم، ولو شاء الله تعالى لسلطهم عليكم، فلقاتلوكم مع أعدائكم من المشركين، ولكن الله تعالى صرف فهم عنكم بفضلهم وقدرته، فإن تركوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا إليكم مستسلمين، فليس لكم عليهم من طريق لقتالهم.

(٩١) ستجدون قوماً آخرين من المنافقين يودون الاطمئنان على أنفسهم من جانبكم، فيظهرون لكم الإيمان، ويودون الاطمئنان على أنفسهم من جانب قومهم الكافرين، فيظهرون لهم الكفر، كلما أعيذوا إلى موطن الكفر والكافرين، وقعوا في أسوأ حال. فهو لا إن لم ينصرفوا عنكم، ويقدموا إليكم الاستسلام التام، ويمنعوا أنفسهم عن قتالكم فخذوهم بقوة واقتلوهم أيديهم، وأولئك الذين بلغوا في هذا المسلك السيئ حداً يميزهم عن عداهم، فهم الذين جعلنا لكم الحجة البينة على قتلهم وأسرهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ
مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَاءُ
شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَاءُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْنَا لَمْ يَرْسُلْهُ اللَّهُ لَنَكُفِّرْ بَعَدَهُمْ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافِرٌ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كُفِّرْ
فَتَيَبُّوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

(٩٢) ولا يحق لمؤمن الاعتداء على أخيه المؤمن وقتله بغير حق، إلا أن يقع منه ذلك على وجه الخطأ الذي لا عمد فيه، ومن وقع منه ذلك الخطأ فعليه عتق رقبة مؤمنة، وتسليم دية مقدرة إلى أوليائه، إلا أن يتصدقوا بها عليه ويعفوا عنه. فإن كان المقتول من قوم كفار أعداء للمؤمنين، وهو مؤمن بالله تعالى، وبما أنزل من الحق على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة، وإن كان من قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق، فعلى قاتله دية تسلم إلى أوليائه وعتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد القدرة على عتق رقبة مؤمنة، فعليه صيام شهرين متتابعين؛ ليتوب الله تعالى عليه. وكان الله تعالى علياً بحقيقة شأن عباده، حكيماً فيما شرعه لهم.

(٩٣) ومن يعتد على مؤمن فيقتله عن عمد بغير حق فعاقبته جهنم خالداً فيها، مع سخط الله تعالى عليه وطرده من رحمته إن جازاه على ذنبه، وأعد الله له أشد العذاب؛ بسبب ما ارتكبه من هذه الجناية العظيمة، ولكن الله سبحانه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان، فلا يجازيهم بالخلود في جهنم.

(٩٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا خرجتم في الأرض مجاهدين في سبيل الله فكونوا على بينة مما تأتون وتركون، ولا تنفوا الإيمان عما بدا منه شيء من علامات الإسلام ولم يقاتلكم؛ لاحتال أن يكون مؤمناً يخفي إيمانه، طالبين بذلك متاع الحياة الدنيا، والله تعالى عنده من الفضل والعطاء ما يغنيكم به، كذلك كنتم في بدء الإسلام تحفون بإيمانكم عن قومكم من المشركين فحسب الله عليكم، وأعزكم بالإيمان والقوة، فكونوا على بينة ومعرفة في أموركم. إن الله تعالى عليكم بكل أعمالكم، مطلع على دقائق أموركم، وسيجازيكم عليها.

(٩٥) لا يتسأى المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله - غير أصحاب الأعدار منهم - والمجاهدون في سبيل الله، بأموالهم وأنفسهم، فضل الله تعالى المجاهدين على القاعدين، ورفع منزلتهم درجة عالية في الجنة، وقد وعد الله كلَّ من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدين من أهل الأعدار الجنة لما بذلوا وضحوا في سبيل الحق، وفضل الله تعالى المجاهدين على القاعدين ثواباً جزيلاً. (٩٦) هذا الثواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله تعالى خاصة عباده المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها. وكان الله غفوراً لمن تاب إليه وأناب، رحيماً بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله. (٩٧) إن الذين توفاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة، يقول لهم الملائكة توبيحاً لهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ فيقولون: كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين عن دفع الظلم والفهر عنا، فيقولون لهم توبيحاً: ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٥﴾ وَدَرَجَاتُ مَنَّهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لِمَ كُنتُمْ تَقُولُونَ مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا آلَئِنْ كُنَّا إِلَّا رُءُوسًا قَالُوا لَا بَلْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا نُوعِدُكُمْ مَا تُوعِدُونَ آلَئِنْ كُنَّا إِلَّا مُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ قَالُوا لَيْكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ غَيْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا عَلِيمًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَرَّ أَخْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا ضَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٦٠﴾

من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم؟ فأولئك مثواهم النار، وَفِيَّ هذا المرجع والمآب.

(٩٨) ويعذر من ذاك المصير العجزة من الرجال والنساء والصغار الذين لا يقدرّون على دفع الفهر والظلم عنهم، ولا يعرفون طريقاً يخلصهم مما هم فيه من المعاناة.

(٩٩) فهؤلاء الضعفاء هم الذين يُرجى لهم من الله تعالى العفو؛ لعلّهم تعالى بحقيقة أمرهم. وكان الله كثيرَ العفو يتجاوز عن سيئاتهم، ويسترها عليهم.

(١٠٠) ومن يخرج من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فراراً بدينه، راجياً فضل ربه، قاصداً نصرة دينه، يجد في الأرض مكاناً ومتحلاً ينعم فيه بما يكون سبباً في قوته وذلة أعدائه، مع السّعة في رزقه وعيشه، ومن يخرج من بيته قاصداً نصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإعلاء كلمة الله، ثم يدركه الموت قبل بلوغه مقصده، فقد ثبت له جزاء عمله على الله، فضلاً منه وإحساناً. وكان الله غفوراً رحيمًا بعباده.

(١٠١) وإذا سافرتُم -أيها المؤمنون- في أرض الله، فلا حرج ولا إثم عليكم في قَصْرِ الصلاة إن خفتُم من عدوان الكفار عليكم في حال صلاتكم، وكانت غالب أسفار المسلمين في بدء الإسلام خوفاً، والقَصْرُ رخصة في السفر حال الأمن أو الخوف. إن الكافرين مجاهرون لكم بعداوتهم، فاحذروهم.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقَهُ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ
أَذَىٰ مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْصُوعًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ
وَتَخَذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْخُلُوا فِي مَآئِمَّتِكُمْ وَاعْبُدُوا اللَّهَ
جُنُوبَكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي
أَبْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُمُونَكُمْ
تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

(١٠٢) وإذا كنت -أيها النبي- في ساحة القتال، فأردت أن تصلي بهم، فلتقم جماعة منهم معك للصلاة، وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجد هؤلاء فلتكن الجماعة الأخرى من خلفكم في مواجهة عدوكم، وتقيم الجماعة الأولى ركعتهم الثانية ويسلمون، ثم تأتي الجماعة الأخرى التي لم تبدأ الصلاة فليأتوا بك في ركعتهم الأولى، ثم يكملوا بأنفسهم ركعتهم الثانية، وليحذروا من عدوهم وليأخذوا أسلحتهم. وذو الجاحدون لدين الله أن تغفلوا عن سلاحكم وزادكم؛ ليحملوا عليكم حلة واحدة فيقضوا عليكم، ولا إنهم عليكم حينئذ إن كان بكم أذى من مطر، أو كنتم في حال مرض أن تركوا أسلحتكم، مع أخذ الحذر. إن الله تعالى أعد للجاحدين لدينه عذاباً يهينهم، ويخزيهم.

(١٠٣) فإذا أدّيت الصلاة، فأديموا ذكر الله في جميع أحوالكم، فإذا زال الخوف فأدّوا الصلاة كاملة، ولا تفرطوا فيها فإنها واجبة في أوقات معلومة في الشرع.

(١٠٤) ولا تضعوا في طلب عدوكم وقاتله، إن تكونوا تألمون من القتال وآثاره، فأعدواكم كذلك تألمون منه أشد الألم، ومع ذلك لا يكفون عن قتالكم، فأنتم أولى بذلك منهم؛ لما ترجونه من الثواب والنصر والتأييد، وهم لا يرجون ذلك وكان الله عليهم بكل أحوالكم، حكيماً في أمره وتديبه.

(١٠٥) إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعاً بما أوحى الله إليك، وبصرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم -يكتهان الحق- مدافعاً عنهم؛ بما أبدوه لك من القول المخالف للحقيقة.

(١٠٦) واطلب من الله تعالى المغفرة في جميع أحوالك، إن الله تعالى كان غفوراً لمن يرجو فضله ونوال مغفرته، رحيماً به.

(١٠٧) ولا تدافع عن الذين يخونون أنفسهم بمعصية الله. إن الله - سبحانه - لا يحب من عظمَت خيانتَه، وكثر ذنبه.

(١٠٨) يستترون من الناس خوفاً من اطلاعهم على أفعالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عزَّ شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبرون - ليلاً - ما لا يرضى من القول، وكان الله - تعالى - محيطاً بجميع أفعالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

(١٠٩) ها أنتم - أيها المؤمنون - قد حاجتكم عن هؤلاء الخائنين لأنفسهم في هذه الحياة الدنيا، فمن يحاجج الله تعالى عنهم يوم البعث والحساب؟ ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلاً يوم القيامة؟

(١١٠) ومن يُقَدِّم على عمل سيئ فيبيع، أو

يظلم نفسه بارتكاب ما يخالف حكم الله وشرعه، ثم يرجع إلى الله نادماً على ما عمل، راجياً مغفرته وستر ذنبه، يجد الله تعالى غفوراً له، رحيماً به.

(١١١) ومن يعتمد على ارتكاب ذنب فإنها يضر بذلك نفسه وحدها، وكان الله تعالى عليماً بحقيقة أمر عباده، حكيماً فيما يقضي به بين خلقه.

(١١٢) ومن يعمل خطيئة بغير عمد، أو يرتكب ذنباً متعمداً ثم يقذف بها ارتكبه نفساً بريئة لا جناة لها، فقد تحمَّل كذباً وذنباً بيناً.

(١١٣) ولولا أن الله تعالى قد مَنَّ عليك - أيها الرسول - ورحمك بنعمة النبوة، فعصمك بتوفيقه بها أوحى إليك، لعزمت جماعة من الذين يخونون أنفسهم أن يُزِيلُوك عن طريق الحق، وما يُزِيلُون بذلك إلا أنفسهم، وما يقدرُون على إيدائك لعصمة الله لك، وأنزل الله عليك القرآن والسنة المبينة له، وهداك إلى علم ما لم تكن تعلمه من قبل، وكان ما خصَّك الله به من فضلٍ أمراً عظيماً.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَلَا تَجِدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَنِيمًا ۖ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَٰذَا نَعْمَ هَٰؤُلَاءِ
جَدَلْنَاهُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَنُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يُظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ
أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝

* لَاحْزَنَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
 أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
 اتَّبِعْنَا مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٤
 يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
 سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا ١١٦ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ
 إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ١١٧ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
 عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ١١٨ وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مَنِيَّتُهُمْ
 وَلَا أَمْرُهُمْ فَلْيَتَّبِعْكُنَّ أَاذَانَ الْآلِهَةِ وَلَا أَمْرَهُمْ
 فَلْيَتَّبِعُوا خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ
 دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ١١٩ يَعْدُهُمْ
 وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا أَعْرُوسًا ١٢٠ أُولَئِكَ
 مَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَحْدُوثُ عَنْهَا مَجِيصًا ١٢١

(١١٤) لا نفع في كثير من كلام الناس سراً فيما بينهم، إلا إذا كان حديثاً داعياً إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس، ومن يفعل تلك الأمور طلباً لرضا الله تعالى راجياً ثوابه، فسوف نؤتيه ثواباً جزيلاً واسعاً.

(١١٥) ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد ما ظهر له الحق، ويسلك طريقاً غير طريق المؤمنين، وما هم عليه من الحق، نتركه وما توجه إليه، فلا نوقفه للخير، وندخله نار جهنم يقاسي حرّها، وبئس هذا المرجع والمآل.

(١١٦) إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده. ومن يجعل لله تعالى الواحد الأحد شريكاً من خلقه، فقد بعد عن الحق بعداً كبيراً.

(١١٧) ما يعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثاناً لا تنفع ولا تضر، وما يعبدون إلا شيطاناً متمرداً على الله، بلغ في الفساد والإفساد حداً كبيراً.

(١١٨) طرده الله تعالى من رحمته. وقال الشيطان: لأتخذن من عبادك جزءاً معلوماً في إغوائهم قولاً وعملاً.

(١١٩) ولأصرفن من تبغين منهم عن الحق، ولأعدنهم بالأمان الكاذبة، ولأدعوينهم إلى تقطيع آذان الأنعام وتشقيقها ليما أزيته لهم من الباطل، ولأدعوينهم إلى تغيير خلق الله في الفطرة، وهيئة ما عليه الخلق. ومن يستجيب للشيطان ويتخذ ناصراً له من دون الله القوي العزيز، فقد هلك هلاكاً بيئاً.

(١٢٠) يعدد الشيطان أتباعه بالعود الكاذبة، ويغريهم بالأمان الباطلة الخادعة، وما يعددهم إلا خديعة لا صحة لها، ولا دليل عليها.

(١٢١) أولئك مآلهم جهنم، ولا يجدون عنها معدلاً ولا ملجأ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا بِأَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرَةً ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَنَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَصَوَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُولَدْنَ مِنْهُنَّ مَا كَتَبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّبَايَا وَالَّذِينَ أَلْقَوْا ثِقْلَ الْوِثْقِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

(١٢٢) والذين صدَّقوا في إيمانهم بالله تعالى، وأتبعوا الإيمان بالأعمال الصالحة سيدخلهم الله -بفضله- جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكتبن فيها أبداً، وعداً من الله تعالى الذي لا يخلف وعده. ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله وعده.

(١٢٣) لا يُنال هذا الفضل العظيم بالأمانى التي تتمونها أيها المسلمون، ولا بأمانى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما يُنال بالإيمان الصادق بالله تعالى، وإحسان العمل الذي يرضيه. ومن يعمل عملاً سيئاً يُجزَّ به، ولا يجد له سوى الله تعالى ولياً يتولى أمره وشأنه، ولا نصيراً ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.

(١٢٤) ومن يعمل من الأعمال الصالحة من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بالله تعالى وبما أنزل من الحق، فأولئك يدخلهم الله الجنة دار النعيم المقيم، ولا يُنقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو كان مقدار النقرة في ظهر النواة.

(١٢٥) لا أحد أحسن ديناً ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله تعالى وحده، وهو محسن في قوله وعمله مُتَّبِعُ أَمْرِ رَبِّهِ، واتبع دين إبراهيم وشرعه، مانلاً عن العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة. وقد اصطفى الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- واتخذهُ صفيّاً من بين سائر خلقه. وفي هذه الآية، إثبات صفة الخلّة لله -تعالى- وهي أعلى مقامات المحبة، والاصطفاء.

(١٢٦) والله جميع ما في هذا الكون من المخلوقات، فهي ملك له تعالى وحده. وكان الله تعالى بكل شيء محيطاً، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

(١٢٧) يطلب الناس منك -أيها النبي- أن تبين لهم ما أشكل عليهم فهُمُّهُ من قضايا النساء وأحكامهن، قل الله تعالى بيّن لكم أمورهن، وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تعطينهن ما فرض الله تعالى لهن من المهر والميراث، وغير ذلك من الحقوق، وتحبون نكاحهن، أو ترغبون عن نكاحهن، ويبين الله لكم أمر الضعفاء من الصغار، ووجوب القيام لليتامى -وهم الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ- بالعدل وترك الجور عليهم في حقوقهم. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى كان به عليماً، لا يخفى عليه شيء منه ولا من غيره.

وَإِنْ أَمْرُهَا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَأُصْلَحَ خَيْرٌ وَأُخْضِرْتُ الْأَنْفُسَ الشَّخَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَ الْمَعْلُوقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَرَكَ ابْنُ اللَّهِ كَلَامَ مَنْ سَعَتِيهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسْعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

(١٢٨) وإن علمت امرأة من زوجها ترفعاً عنها، وتعالياً عليها أو انصراًف عنها فلا إثم عليها أن يتصالحا على ما تطيب به نفوسهما من القسمة أو النفقة، والصلح أولى وأفضل. وجلبت النفوس على الحرص والبخل، فكان البخل حاضرهما لا ينفك عنها. وإن تحسنا معاملة زوجاتكم وتحافوا الله فيهن، فإن الله كان بما تعملون من ذلك وغيره عالماً لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم على ذلك.

(١٢٩) ولن تقدروا -أيها الرجال- على تحقيق العدل التام بين النساء في المحبة وميل القلب، مهما بذلتم في ذلك من الجهد، فلا تعرضوا عن المرغوب عنها كل الإعراض، فتتركوها كالمرأة التي ليست بذات زوج ولا هي مطلقة فتأثموا. وإن تصلحوا أعمالكم فتعدلوا في قسمكم بين زوجاتكم، وتراقبوا الله تعالى وتحشوه فيهن، فإن الله تعالى كان عفوراً لعباده، رحيماً بهم.

(١٣٠) وإن وقعت الفرة بين الرجل وامرأته،

فإن الله تعالى يغني كلاً منها من فضله وسعته؛ فإنه سبحانه وتعالى واسع الفضل والمنة، حكيم فيما يقضي به بين عباده. (١٣١) والله ملك ما في السموات وما في الأرض وما بينهما. ولقد عهدنا إلى الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى، وعهدنا إليكم كذلك -يا أمة محمد- بتقوى الله تعالى، والقيام بأمره واجتناب نبيه، وبينا لكم أنكم إن تمجدوا وحدانية الله تعالى وشرع فإنه سبحانه غني عنكم؛ لأن له جميع ما في السموات وما في الأرض. وكان الله غنياً عن خلقه، حميداً في صفاته وأفعاله.

(١٣٢) والله ملك ما في هذا الكون من الكائنات، وكفى به سبحانه قائماً بشؤون خلقه حافظاً لها.

(١٣٣) إن يشأ الله يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين غيركم. وكان الله على ذلك قديرًا.

(١٣٤) من يرغب منكم -أيها الناس- في ثواب الدنيا ويعرض عن الآخرة، فعند الله وحده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلب من الله وحده خيري الدنيا والآخرة، فهو الذي يملكها. وكان الله سميعاً لأقوال عباده، بصيراً بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم على ذلك.

(١٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا
بِشْرَعِهِ، كُنُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ، مُؤَدِّينَ لِلشَّهَادَةِ
لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ كَانَتْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، أَوْ عَلَى
آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ عَلَى أَقَارِبِكُمْ، مَهْمَا كَانَ
شَأْنُ الْمُشْهُودِ عَلَيْهِ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
أَوَّلَىٰ بِهِمَا مِنْكُمْ، وَأَعْلَمُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمَا، فَلَا
يَحْمِلُكُمْ الْهَوَىٰ وَالتَّعَصُّبُ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَدْلِ،
وَأَنْ تَحْزَنُوا الشَّهَادَةَ بِالسُّتَنَّتِكُمْ فَتَأْتُوا بِهَا عَلَىٰ
غَيْرِ حَقِّقَتِهَا، أَوْ تَعْرِضُوا عَنْهَا بِتَرْكِ أَدَائِهَا
أَوْ بَكْتِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ كَانَ عَلِيمًا بِدَقَائِقِ
أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمْ بِهَا.

(١٣٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَعَمِلُوا إِشْرَعَهُ دَاوَمُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ
التَّصَدِيقِ الْجَازِمِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ طَاعَتْهَا، وَالْقُرْآنَ
الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْهِ، وَبِجَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ
عَلَى الرُّسُلِ، وَمَنْ يَكْفُرَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمَلَائِكَتِهِ
الْمَكْرُمِينَ، وَكِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَ لِهَدَايَةِ خَلْقِهِ، وَرَسُولِهِ

الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته، واليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه بعد موتهم للعرض والحساب، فقد خرج من الدين، وَبَعْدَ بَعْدٍ كَبِيرًا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

(١٣٧) إن الذين دخلوا في الإيمان، ثم رجعوا عنه إلى الكفر، ثم عادوا إلى الإيمان، ثم رجعوا إلى الكفر مرة أخرى، ثم أصروا على كفرهم واستمروا عليه، لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهدهم على طريق من طرق الهداية، التي ينجون بها من سوء العقابة.

(١٣٨) بَشِّرْ - أيها الرسول - المنافقين - وهم الذين يظهرون الإيمان ويبتغون الكفر - بأن لهم عذاباً موجعاً.

(١٣٩) الذين يوالون الكافرين، ويتخذونهم أعواناً لهم، ويتركون ولاية المؤمنين، ولا يرغبون في مودتهم. يطلبون بذلك النصرة والمنعة عند الكافرين؟ إنهم لا يملكون ذلك، فالنصرة والعزة والقوة جميعها لله تعالى وحده.

(١٤٠) وقد نَزَلَ رُبُّكُمْ عَلَيْكُمْ -أيها المؤمنون- في كتابه أنه إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها فلا تجلسوا مع الكافرين والمستهزين، إلا إذا أخذوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بآيات الله. إنكم إذا جالستمهم، وهم على ما هم عليه، فأنتم مثلهم؛ لأنكم رضيت بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها. إن الله تعالى جامع المنافقين والكافرين في نار جهنم جميعاً، يَلْقَوْنَ فِيهَا سَوْءَ الْعَذَابِ.

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُورًا مِمَّنْ بَالِغُ شَهَادَةِ اللَّهِ وَلَوْ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَوْ الظَّالِمِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَقِبًا وَاقِفًا
فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَقْدُلُوا أَوْ أَنْ تَتَّوُوا
أَوْ تَرْضُوا فَأَمَّا اللَّهُ كَانَ يَمَاقِمُونَ خَيْرًا ۖ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَمْوَالٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابُ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا تَكُنِ اللَّهُ لِبَعْضِهِمْ وَلَا لِبَعْضِهِمْ
سَبِيلًا ﴿١٠١﴾ يَتَّبِعُ الْمُتَّقِينَ بَأْنِ لَهُمْ عَذَابُ الْبِمَاءِ ۖ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَبِعُونَ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۖ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ عَهْدَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهِمَا وَيَسْتَخَرُ إِلَهُهَا فَلَا
تَتَّخِذُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٠٢﴾

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفُّوا عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ قَالُوا
 أَلَمْ تَكُن مَّعَهُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا
 أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ وَلَنُكْرَهُنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَهُ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنُجْزِيَ الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 سِيبًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَنُجْزِيَنَّ اللَّهُ وَهُوَ خَدُّهُمْ وَلَاذًا
 قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُفَّيْ بَرَاءً وَنَاسًا وَلَا يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى
 هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن يَهْدِيَهُ سِيبًا ﴿١٤٣﴾ بَنَاءُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ نَصِيرًا
 ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
 دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
 إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(١٤١) المنافقون هم الذين ينتظرون ما يحل بكم -أيها المؤمنون- من الفتن والحرب، فإن من الله عليكم بفضل، ونصركم على عدوكم وغنمتم، قالوا لكم: ألم تكن معكم نوازركم؟ وإن كان للجاحدين لهذا الدين قدر من النصر والغبنة، قالوا لهم: ألم نساعدكم بما قدّمناه لكم ونُحْكِمكم من المؤمنين؟ فالله تعالى يقضي بينكم وبينهم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين طريقاً للغلبة على عباده الصالحين، فالعاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة.

(١٤٢) إن طريقة هؤلاء المنافقين مُخَادَعَةٌ الله تعالى، بما يظهره من الإيمان وما يطنونه من الكفر، ظناً أنه يخفى على الله، والحال أن الله خادعهم ومجازيم بمثل عملهم، وإذا قام هؤلاء المنافقون لأداء الصلاة، قاموا إليها في فتور، يقصدون بصلاتهم الرياء والسמعة، ولا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلاً.

(١٤٣) إن من شأن هؤلاء المنافقين التردد

والخيرة والاضطراب، لا يستقرون على حال، فلا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكافرين. ومن يصرف الله قلبه عن الإيمان به والاستمسك بهديه، فلن تجد له طريقاً إلى الهداية واليقين.

(١٤٤) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، لا توالوا الجاحدين لدين الله، وتركوا موالاة المؤمنين ومودتهم.

أتريدون بمودة أعدائكم أن تجعلوا الله تعالى عليكم حجة ظاهرة على عدم صدقكم في إيمانكم؟

(١٤٥) إن المنافقين في أسفل منازل النار يوم القيامة، ولن تجد لهم -أيها الرسول- ناصراً يدفع عنهم سوء هذا المصير.

(١٤٦) إلا الذين رجعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه، وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم باطناً وظاهراً، ووالوا عباده المؤمنين، واستمسكوا بدين الله، وأخلصوا له سبحانه، فأولئك مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثواباً عظيماً.

(١٤٧) ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غني عن سواه، وإننا نعذب العباد بذنوبهم. وكان الله شاكراً لعباده على طاعتهم له، عليماً بكل شيء.

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ
 اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ تَبْدُ وَأَخِيرًا أَوْ تَخْفُوهُ أَوْ تَعْفُو عَنْ
 سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ
 نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
 بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
 أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ
 أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
 مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ
 عَنْ ذَلِكَ وَعَ اتَّخَذْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
 الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
 لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

(١٤٨) لَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُجهرَ أحدٌ بقول السوء، لكن يُساح للمظلوم أن يذكر ظالمه بما فيه من السوء؛ ليبين مظلّمته. وكان الله سميعاً لما تجهرون به، علياً بما تخفون من ذلك.

(١٤٩) نَدَبَ الله تعالى إلى العفو، ومَهَّدَ له بأن المؤمنين: إمّا أن يظهر الخير، وإمّا أن يخفيه، وكذلك مع الإساءة: إمّا أن يظهرها في حال الانتصاف من المسيء، وإمّا أن يعفو ويصفح، والعفو أفضل، فإن من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم.

(١٥٠) إن الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكذبوا رسله الذين أرسلهم إلى خلقه، أو يعترفوا بصدق بعض الرسل دون بعض، ويزعموا أنّ بعضهم افتروا على ربهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها.

(١٥١) أولئك هم أهل الكفر المحقق الذي لا

شك فيه، وأعدنا للكافرين عذاباً يُخزيهم ويُهينهم.

(١٥٢) والذين صدّقوا بوحداية الله، وأقروا بنوّة رسله أجمعين، ولم يفرقوا بين أحد منهم، وعملوا بشريعة الله، أولئك سوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على إيمانهم به وبرسله. وكان الله غفوراً لعباده رحيماً بهم.

(١٥٣) يسألك اليهود -أيها الرسول- معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم سُحُفًا من الله مكتوبة، مثل مجيء موسى بالالواح من عند الله، فلا تعجب -أيها الرسول- فقد سأل أسلافهم موسى -عليه السلام- ما هو أعظم: سألوه أن يريهم الله علانية، فصُعبوا؛ بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوا أمراً ليس من حقهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البينات على يد موسى القاطعة بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فعَفَوْنَا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم، وآتينَا موسى حجة عظيمة تؤيّد صدق نبوّته.

(١٥٤) ورفعنا فوق رؤوسهم جبل الطور حين امتنعوا عن الالتزام بالعهد المؤكد الذي أعطوه بالعمل بأحكام التوراة، وأمرناهم أن يدخلوا باب «بيت المقدس» سُجَّدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وأمرناهم ألاّ يَتَعَدُّوا بالصيد في يوم السبت، فاعتدوا وصادوا، وأخذنا عليهم عهداً مؤكداً، فنقضوه.

(١٥٥) فلعلّناهم بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلماً واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

(١٥٦) وكذلك لعناهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه.

(١٥٧) وبسبب قولهم -على سبيل التهكم والاستهزاء-: إنّنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوا عيسى وما صلبوه، بل صلبوا رجلاً شبيهاً به ظناً منهم أنه عيسى. ومن ادّعى قتله من اليهود، وكذلك من أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وخيرة، لا علم لديهم إلا اتباع الظن، وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين.

(١٥٨) بل رفع الله عيسى إليه ببدنه وروحه حياً، وخلّصه من الذين كفروا. وكان الله عزيزاً في ملكه، حكيماً في تدبيره وقضائه.

(١٥٩) وإنه لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى آخر الزمان إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويوم القيامة يكون عيسى -عليه السلام- شهيداً بتكذيب من كذبه، وتصدق من صدقه.

(١٦٠) فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة حرّم الله عليهم طبيا من المأكّل كانت حلالاً لهم، وبسبب صدّهم أنفسهم وغيرهم عن دين الله القويم.

(١٦١) وبسبب تناولهم الربا الذي نهوا عنه، واستحلالهم أموال الناس بغير استحقاق، واعتدنا للكافرين بالله ورسوله من هؤلاء اليهود عذاباً موجعاً في الآخرة.

(١٦٢) لكن المتمكنون في العلم بأحكام الله من اليهود، والمؤمنون بالله ورسوله، يؤمنون بالذي أنزله الله إليك -أيها الرسول- وهو القرآن، والذي أنزل إلى الرسل من قبلك كالأنجيل والتوراة والإنجيل، ويؤدّون الصلاة في أوقاتها، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بالله وبالبعث والجزاء، أولئك سيعطيهم الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة.

فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَكَفَرُوا بِقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ إِتَيْنَاهَا
عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَآلِئُومِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ فِطْرِهِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّ هُنَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كِبَرًا ۝ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْسَاهُمُ آيَاتُ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۝ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَكِنَّ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
ۚ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ۚ إِلَّا لَطَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ تَأْتِيهِمُ النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَكَفَرُوا بِمَا أَحْزَرَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

(١٦٣) إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ - أيها الرسول - بتبليغ
الرسالة كما أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ،
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ - وهم الأنبياء الذين كانوا
في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد
يعقوب - وعيسى وأيوب ويونس وهارون
وسليمان. وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا، وهو كتاب
وصف مكتوبة.

(١٦٤) وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ فِي
الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ لِحُكْمَةِ أَرْضِنَاهَا. وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا؛
تشريفًا له بهذه الصفة. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُرِيمَةِ،
إثبات صفة الكلام لله - تعالى - كما يليق بجلاله،
وأنه سبحانه كَلَّمَ نَبِيَهُ مُوسَى - عليه السلام -
حقيقة بلا واسطة.

(١٦٥) أَرْسَلْتُ رُسُلًا إِلَى خَلْقِي مُبَشِّرِينَ
بِثَوَابِي، وَمُنْذِرِينَ بِعِقَابِي؛ لئلا يكون للبشر حجة
يعتدرون بها بعد إرسال الرسل. وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
فِي مُلْكِهِ، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِهِ.

(١٦٦) إِنْ يَكْفُرْ بِكَ الْيَهُودُ وَغَيْرُهُمْ - أيها الرسول - فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، أَنْزَلَ
بِعِلْمِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ بِصَدَقِ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ، وَشَهَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهَا كَافِيَةٌ.

(١٦٧) إِنْ الَّذِينَ جَحَدُوا بِبُيُوتِكَ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَدْ بَعُدُوا عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ بَعْدًا شَدِيدًا.

(١٦٨) إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ؛ وَظَلَمُوا بِاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ عَلَى طَرِيقِ
يَنْجِيهِمْ.

(١٦٩) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ مَا كُنْتَ فِيهَا أَبَدًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

(١٧٠) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ دِينَ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَصَدِّقُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّ
الْإِيمَانَ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تُصَرُّوا عَلَى كُفْرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْ إِيْمَانِكُمْ؛ لِأَنَّهُ مَالِكٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا بِأَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، حَكِيمًا فِي تَشْرِيعِهِ وَأَمْرِهِ. فَإِذَا كَانَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ قَدْ خَضَعَتَا لِلَّهِ تَعَالَى كَوْنًا وَقَدْرًا
خُضُوعًا سَائِرَ مُلْكِهِ، فَأُولَئِكَ بِكُمْ أَنْ تَوَدَّعُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَقْدُوا
لِلَّذَلِكَ شَرعًا حَتَّى يَكُونَ الْكَوْنُ كُلُّهُ خَاضِعًا لِلَّهِ قَدْرًا وَشَرعًا. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى عُمُومِ رِسَالَةِ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١٧١) يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبة ولا ولداً. إنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: «كن»، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فصدّقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدّقوا أرسله فيها جاؤكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتهوا عن هذه المقالة خيراً لكم مما أنتم عليه، إنا الله إله واحد سبحانه. ما في السموات والأرض مُلكه، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولداً؟ وكفى بالله وكبلاً على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكلوا عليه وحده فهو كافيكم.

(١٧٢) لن يأفف ولن يمتنع المسيح أن يكون عبداً لله، وكذلك لن يأفف الملائكة المُقرَّبون من الإقرار بالعبودية لله تعالى. ومن يأفف عن

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ الْقُلُوبَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنَّا فَتَمَثَّلَ لَهَا وَلَهُ رُسُلُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرُ الْكُفَرِ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَتَكْفِرْ فَسَبَّحْتَ فَهَرَّ إِلَى جَمِيعَةٍ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَسَتَكْفِرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٧٢

الانقياد والخضوع ويستكبر فسيحشرهم كلهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العادل، ويجازي كلًّا بما يستحق. (١٧٣) فأما الذين صدّقوا بالله اعتقاداً وقولاً وعملاً، واستقاموا على شريعته فيوافقهم ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله، وأما الذين امتنعوا عن طاعة الله، واستكبروا عن التذلل له فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون لهم ولياً ينجيهم من عذابه، ولا ناصر أن ينصرهم من دونه الله.

(١٧٤) يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وهو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من البينات والحجج القاطعة، وأعظمها القرآن الكريم، مما يشهد بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، وأنزلنا إليكم القرآن هدىً ونوراً مبيناً. (١٧٥) فأما الذين صدّقوا بالله اعتقاداً وقولاً وعملاً، واستمسكوا بالنور الذي أنزل إليهم، فسيُدخلهم الجنة رحمة منه وفضلاً، ويوفّيهم إلى سلوك الطريق المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.

(١٧٦) يسألونك - أيها النبي - عن حكم ميراث الكلاله، وهو من مات وليس له ولد ولا والد، قل: الله يبين لكم الحكم فيها: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد، وله أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه فقط، فلها نصف تركته، ويرث أخوها شقيقاً كان أو لأب جميع مالها إذا ماتت وليس لها ولد ولا والد. فإن كان لمن مات كلاله أختان فلها الثلثان مما ترك. وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل نصيب الانثيين من أخواته. يبين الله لكم قسمة الموارث وحكم الكلاله؛ لتلا تضلوا عن الحق في أمر الموارث. والله عالم بعواقب الأمور، وما فيها من الخير لعباده.

﴿سورة المائدة﴾

(١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، أتموا عهد الله الموثقة، من الإيبان بشرائع الدين، والانقياد لها، وأدوا العهود

لبعضكم على بعض من الأمانات، والبيوع وغيرها، مما لم يخالف كتاب الله، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أحل الله لكم البهيمة من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، إلا ما بينه لكم من تحريم الميتة والدم وغير ذلك، ومن تحريم الصيد وأنتم محرمون. إن الله يحكم ما يشاء وفق حكمته وعدله.

(٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتعدوا حدود الله ومعامله، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وكان ذلك في صدر الإسلام، ولا تستحلوا حرمة الهندي، ولا ما قلّد منه؛ إذ كانوا يضعون القلائد، وهي ضفائر من صوف أو وبر في الرقاب علامة على أن البهيمة هندية وأن الرجل يريد الحج، ولا تستحلوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين يبتغون من فضل الله ما يصلح معاشهم ويريضي ربهم. وإذا حللت من إحرامكم حل لكم الصيد، ولا يجملكم بغض قوم من أجل أن منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام - كما حدث عام «الحديبية» - على ترك العدل فيهم. وتعاونوا - أيها المؤمنون فيما بينكم - على فعل الخير، وتقوى الله، ولا تعاونوا على ما فيه إثم ومعصية وتجاوروا حدود الله، واحذروا مخالفة أمر الله فإنه شديد العقاب.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ إِخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ رِثَةٌ إِن لَّهُ رِثَةٌ لَهَا وَلَهُ فَإِن كَانَتَا نِسْتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّتِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يَمَسُّ عَلَى كُمْ عَهْدٌ غَيْرُ مَحِلٍّ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَيَرْضَوْنَ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ سِنَنُنَا قَوْمٌ أَن صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٧٦﴾

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُرْتَدَّةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْوَاجِ ذَلِكُمْ يَنْتَقِصُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلَ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥ يَسْأَلُكَ مَاذَا
أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَنَ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٦
الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَ وَطَعَامَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ حُلَّ لَكُمْ
وَطَعَامُ كُلِّ حَلَالٍ لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُنَّ أَجُورُهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

(٣) حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ، وهي الحيوان الذي تفارق الحياة بدون ذكاة، وحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الدَّمِ السائل الشُّرَاق، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه غير اسم الله عند الذبح، والمنخفة التي خُبِسَتْ نَفْسُهَا حتى ماتت، والموقودة وهي التي ضُرِبَتْ بعضاً أو حجر حتى ماتت، والمُرتَدَّةُ وهي التي سقطت من مكان عال أو هَوَّتْ في بئر فماتت، والطيحة وهي التي ضُرِبَتْهَا أُخْرَى بِقَرْنِهَا فماتت، وحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْبَهِيمَةَ التي أكلها السَّبُعُ، كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك. واستثنى - سبحانه - مما حرَّمَهُ مِنَ الْمُنْخَفَقَةِ وما بعدها ما أدركتم ذكاته قبل أن يموت فهو حلال لكم، وحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَلَى مَا يُنْصَبُ لِلْعِبَادَةِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، وحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا قُسِمَ لَكُمْ أَوْ لَمْ يَقْسَمْ بِالْأَزْوَاجِ، وهي الفداح التي كانوا يستقسمون بها إذا أرادوا أمراً قبل أن يقدموا عليه. ذلك المذكور في الآية من المحرمات - إذا ارتكبت - خروج عن أمر الله وطاعته إلى معصيته. الآن

انقطع طمع الكفار من دينكم أن ترتدوا عنه إلى الشرك بعد أن نصرْتُكُمْ عليهم، فلا تخافوهم وخافوني. اليوم أكملت لكم دينكم دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام ديناً فالزموه، ولا تفارقوه. فمن اضطرَّ في جماعة إلى أكل الميتة، وكان غير مائل عمداً لإثْمٍ، فله تناوله، فإن الله غفور له، رحيم به.

(٤) يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ - أي النبي -: ماذا أحلَّ لهم أكله؟ قل لهم: أحلَّ لكم الطيبات وصيداً ما دَرَبْتُمُوهُ مِنْ ذَوَاتِ الْمَخَالِبِ وَالْأَنْيَابِ مِنَ الْكِلَابِ وَالْفُهْودِ وَالصُّقُورِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَعْلَمُ، تعلّمونهن طلب الصيد لكم، مما علّمكم الله، فكلوا مما أمسكن لكم، واذكروا اسم الله عند إرسالها للصيد، وخافوا الله فيها أمركم به، وفيها نهاكم عنه. إن الله سريع الحساب.

(٥) وَمِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ - أي المؤمنون - أَنْ أَحَلَّ لَكُمْ الْحَلَالَ الطَّيْبَ. وذبايح اليهود والنصارى - إن ذكّوها حَسَبَ شَرْعِهِمْ - حلال لكم وذبايحكم حلال لهم. وأحلَّ لكم - أي المؤمنون - نكاح المحصنات، وهُنَّ الحائرات من النساء المؤمنات، العفيفات عن الزنى، وكذلك نكاح الحائرات العفيفات من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهن مهورهن، وكنتم أعفَاءً غير مرتكبين للزنى، ولا متخذي عشيقات، وأتممت من التأثير بدنيهن. ومن يجحد شرائع الإيمان فقد بطل عمله، وهو يوم القيامة من الخاسرين.

(٦) يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير طهارة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم مع المرافق (والمرق: المفضل الذي بين الذراع والعصد) وامسحوا رؤوسكم، واغسلوا أرجلكم مع الكعبين (وهما العظمان البارزان عند ملتقى الساق بالقدم). وإن أصابكم الحدث الأكبر فطهروا بالاغتسال منه قبل الصلاة. وإن كنتم مرضى، أو على سفر في حال الصحة، أو قضى أحداكم حاجته، أو جامع زوجته فلم تجدوا ماء فامسحوا بآيديكم وجه الأرض، وامسحوا وجوهكم وأيديكم منه. ما يريد الله في أمر الطهارة أن يضيّق عليكم، بل أباح التيمم توسعة عليكم، ورحمة بكم، إذ جعله بديلاً للماء في الطهارة، فكانت رخصة التيمم من تمام النعم التي تقتضي شكر المنعم؛ بطاعته فيما أمر وفيما نهي.

(٧) واذكروا نعمة الله عليكم فيها شرّعه لكم، واذكروا عهده الذي أخذته تعالى عليكم من الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم،

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا! وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُجْعَلُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

والسمع والطاعة لها، واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله عليهم بما تُبَيِّرُونَهُ في نفوسكم.

(٨) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كونوا قَوَّامِينَ بِالْحَقِّ؛ ابتغاء وجه الله، شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ، ولا يحملنكم بُغْضُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا، اعدلوا بين الأعداء والأحباب على درجة سواء، فذلك العدل أقرب لخشية الله، واحذروا أن تجوروا. إن الله خبير بما تعملون، وسيجازيكم به.

(٩) وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يثيبهم على ذلك الجنة، والله لا يخلف وعده.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ يَأْتِيَهُمُ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَوْا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
 وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
 مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
 وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
 مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ
 قِيَمَتُهُمْ لَعَنَهُمُ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
 الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
 بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِسَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
 فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١٠) والذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذبوا بأدلتها التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار الملازمون لها.

(١١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اذكروا ما أنعم الله به عليكم من نعمة الأمن، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم الذين أرادوا أن ييطشوا بكم، فصر فهم الله عنكم، وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم، واتقوا الله واحذروه، وتوكلوا على الله وحده في أموركم الدينية والدنيوية، وثقوا بعونه ونصره.

(١٢) ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل أن يخلصوا له العبادة وحده، وأمر الله موسى أن يجعل عليهم اثني عشر عريقاً بعدد فروعهم، يأخذون عليهم العهد بالسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بحفظي ونصري، لئن أقمتم الصلاة، وأعطيتكم الزكاة المفروضة مستحقها، وصدقتم برسلي فيما أخبروكم به ونصرتهم،

وانفقتم في سبيلي، لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم، ولأدخلنَّكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، فمن جحد هذا الميثاق منكم فقد عدل عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

(١٣) فيسبب نقض هؤلاء اليهود لعهدهم المؤكدة طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان، يدلون كلام الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة، وتركوا نصيباً مما ذُكِّرُوا به، فلم يعملوا به. ولا تزال -أيها الرسول- تجد من اليهود خيانةً وغدرًا، فهم على منهاج أسلافهم إلا قليلاً منهم، فاعف عن سوء معاملتهم لك، واصفح عنهم، فإن الله يحب من أحسن الغفو والصفح إلى من أساء إليه. (وهكذا يجد أهل الزيف سبيلاً إلى مقاصدهم السيئة بتحريف كلام الله وتأويله على غير وجهه، فإن عجزوا عن التحريف والتأويل تركوا ما لا يتفق مع أهوائهم من شرع الله الذي لا يثبت عليه إلا القليل ممن عصمه الله منهم).

وَمِنَ الْيَتِيمِ قَالُوا إِنَّا نَصَرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا
حَظًّا فَمَا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعَوِّضُ عَنْ كَثِيرٍ
قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

إلى دينه القويم.

(١٤) وأخذنا على الذين ادَّعوا أنهم أتباع
المسيح عيسى عليه السَّلام -وليسوا كذلك-
العهد المؤكَّد الذي أخذناه على بني إسرائيل:
بأن يُتَابِعُوا رسوهم وينصروه ويؤازروه، فَبَدَّلُوا
دينهم، وتركوا نصيباً مما ذُكِّرُوا به، فلم يعملوا
به، كما صنع اليهود، فألقينا بينهم العداوة
والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله بما
كانوا يصنعون يوم الحساب، وسيعاقبهم على
صنيعهم.

(١٥) يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى،
قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
يبين لكم كثيراً مما كنتم تُخفونه عن الناس مما
في التوراة والإنجيل، ويترك بيان ما لا تقتضيه
الحكمة. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين:
وهو القرآن الكريم.

(١٦) يهدي الله بهذا الكتاب المبين من اتبع رضا
الله تعالى، طرق الأمن والسلامة، ويخرجهم
بإذنه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ويوفقهم

(١٧) لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح بن مريم، قل -أيها الرسول- هؤلاء الجهلة من النصارى: لو كان
المسيح إلهاً كما يدَّعون لَقَدَّرَ أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمِّه وَمَن فِي الْأَرْضِ جميعاً، وقد ماتت أم عيسى
فلم يدفع عنها الموت، كذلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه؛ لأنها عبادان من عباد الله لا يقدران على دفع الهلاك عنهما، فهذا
دليل على أنه بشر كسائر بني آدم. وجميع الموجودات في السموات والأرض ملك لله، يخلق ما يشاء ويوجده، وهو على كل
شيء قدير. فحقيقة التوحيد توجب نفرد الله تعالى بصفات الربوبية والألوهية، فلا يشاركه أحد من خلقه في ذلك، وكثيراً
ما يقع الناس في الشرك والضلال بغلوهم في الأنبياء والصالحين، كما غلا النصارى في المسيح، فالكون كله لله، والخلق بيده
وحده، وما يظهر من خوارق وآيات مَرَدُّه إلى الله. يخلق سبحانه ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ فَلَمْ يَعْزِبْكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّمَا سَوَّاهُ لَنَا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخُلَا عَلَيْهِمَا الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

(١٨) وزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل لهم -أيها الرسول-: قلأي شيء يعذبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحباؤه ما عذبكم، فالله لا يحب إلا من أطاعه، وقل لهم: بل أنتم خلق مثل سائر بني آدم، إن أحسنتم جوزيتم بإحسانكم خيراً، وإن أسأتم جوزيتم بإساءة تكم شراً، فالله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو مالك الملك، يُضِرُّهُ كما يشاء، وإليه المرجع، فيحكم بين عباده، ويجازي كلًّا بما يستحق.

(١٩) يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، يُبَيِّنُ لَكُمْ الحق والهدى بعد مدة من الزمن بين إرساله وإرسال عيسى بن مريم؛ لئلا تقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فلا عذر لكم بعد إرساله إليكم، فقد جاءكم من الله رسول يُبَشِّرُ من آمن به، ويُذَرُّ مَنْ عصاه. والله على كل شيء قدير من عقاب العاصي وثواب المطيع.

(٢٠) واذكر -أيها الرسول- إذ قال موسى عليه

السلام لقومه: يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، وقد منحكم من نعمه صنوفاً لم يمنحها أحداً من عالمي زمانكم.

(٢١) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة -أي المطهرة، وهي «بيت المقدس» وما حولها- التي وعد الله أن تدخلوها وتقاتلوا من فيها من الكفار، ولا ترجعوا عن قتال الجبارين، فتخسروا خير الدنيا وخير الآخرة.

(٢٢) قالوا: يا موسى، إن فيها قوماً أشداء أقوياء، لا طاقة لنا بجرهم، وإنَّا لن نستطيع دخولها وهم فيها، فإن يخرجوا منها فإنَّا داخلون.

(٢٣) قال رجلان من الذين يخشون الله تعالى، أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيِّه، لبني إسرائيل: ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدینتهم، أخذاً بالأسباب، فإذا دخلتم الباب غلبتموهم، وعلى الله وحده فتوكلوا، إن كنتم مُصَدِّقِينَ رسوله فيها جاءكم به، عاملين بشرعه.

(٢٤) قال قوم موسى له: إنا لن ندخل المدينة أبداً ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلناهم، أما نحن فقاعدون هاهنا ولن نقاتلهم. وهذا إصرارٌ منهم على مخالفة موسى عليه السلام.

(٢٥) توجه موسى إلى ربه داعياً: إني لا أقدر إلا على نفسي وأخي، فاحكم بيننا وبين القوم الفاسقين.

(٢٦) قال الله لنبيه موسى عليه السلام: إن الأرض المقدسة محرّم على هؤلاء اليهود دخولها أربعين سنة، يتيهون في الأرض حاثرين، فلا تأسف - يا موسى - على القوم الخارجين عن طاعتي.

(٢٧) واقصص - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبرَ ابني آدم قابيل وهابيل، وهو خبرٌ حقٌّ: حين قدّم كلُّ منهما قرباناً - وهو ما يُقَرَّب به إلى الله تعالى - فقبّل الله قربان هابيل؛ لأنه كان تقيّاً، ولم يتقبّل قربان قابيل؛ لأنه لم يكن

قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٦﴾ وَأَكَلْ عَلَيْهِمْ ذُرِّيَّتُكَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا اتَّخَفْتَنِي اللَّهُ مِنَ الْقَتِيلِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ سَطَّتْ إِلَى يَدِكَ
لَيَتَّقَنِي مَا أَنَا بِأَسِطَ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَمُوتَ أَبَانِي وَأَشُكُّ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ وَفَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَارِيهِ أَنْعَمَ جَزَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

تقيّاً، فحسد قابيل أخاه، وقال: لأقتلنك، فردّ هابيل قائلاً: إنا يتقبّل الله ممن يخشونه.

(٢٨) وقال هابيل واعظاً أخاه: لئن مددت لي يديك لتقتلني لا تجردني مني مثل فعلك، إني أخشى الله ربّ الخلائق أجمعين.

(٢٩) إني أريد أن ترجع حاملاً إثم قتلي، وإثمك الذي عليك قبل ذلك، فتكون من أهل النار وملازميها، وذلك جزاء المعتدين.

(٣٠) فرزيت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه، فقتله، فأصبح من الخاسرين الذين باعوا آخرتهم بدنياهم.

(٣١) لما قتل قابيل أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده، فأرسل الله غراباً يحفر حفرة في الأرض ليدفن فيها غراباً ميتاً؛ ليدل قابيل كيف يدفن جثمان أخيه؟ فتعجّب قابيل، وقال: أعجزت أن أصنع مثل صنيع هذا الغراب فأستُر عورة أخي؟ فدقّق قابيل أخاه، فعاقبه الله بالندامة بعد أن رجع بالخسران.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
 نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
 النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
 جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا
 مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنََّّمَا
 جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
 الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
 وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
 لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
 ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَأْلَفُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُقَادِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
 اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَانَ لَهُمْ
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيفْتَدُوا بِهِ مِنْ
 عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

(٣٢) بسبب جناية القتل هذه فَرَعْنَا لبني إسرائيل أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نفساً بغير نفسٍ سبب من قصاص، أو فساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد الموجب للقتل كالشرك والمحاربة، فكانها قتل الناس جميعاً فيها استوجب من عظيم العقوبة من الله، وأنه من امتنع عن قتل نفس حَرَّمَهَا الله فكانها أحياء الناس جميعاً؛ فالحفاظ على حرمة إنسان واحد حفاظ على حرمان الناس كلهم. ولقد أتت بني إسرائيل رسلنا بالحجج والدلائل على صحة ما دَعَوْهم إليه من الإيمان بربهم، وأداء ما فَرَضَ عليهم، ثم إن كثيراً منهم بعد مجيء الرسل إليهم كمتجاوزون حدود الله بارتكاب محارم الله وترك أوامره.

(٣٣) إنسا جزاء الذين يحاربون الله، وبيارزونه بالعداوة، ويعتدون على أحكامه، وعلى أحكام رسوله، ويفسدون في الأرض بقتل الأنفس، وسلب الأموال، أَنْ يُقَتَّلُوا، أَوْ يُصَلَّبُوا مع القتل (والصلب: أَنْ يُشَدَّ الجاني على خشبة) أَوْ تُقَطَّعَ

يُدُّ المحارب اليمنى ورجله اليسرى، فإن لم يُشَبَّ تُقَطَّعَ يَدُهُ اليسرى ورجله اليمنى، أَوْ يُنْفَوْا إلى بلد غير بلدهم، ويحبسوا في سجن ذلك البلد حتى تظهر توبتهم. وهذا الجزاء الذي أعده الله للمحاربين هو ذل في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد إن لم يتوبوا.

(٣٤) لكن مَنْ أَتَى من المحاربين من قبل أَنْ تقدرُوا عليهم وجاء طائفاً نادماً فإنه يسقط عنه ما كان لله، فاعلموا -أيها المؤمنون- أَنَّ الله غفور رحيم بهم.

(٣٥) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، وَتَقَرَّبُوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وجاهدوا في سبيله؛ كي تفوزوا بجناته.

(٣٦) إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشرعته، لو أنهم ملكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أَنْ يقتلوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بما ملكوا، ما تُقْبَلُ الله ذلك منهم، ولهم عذاب مُوجع.

(٣٧) يريد هؤلاء الكافرون الخروج من النار لما يلاقونه من أهوالها، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ولهم عذاب دائم.

(٣٨) والسارق والسارقة فاقطعوا - يا ولاية الأمر - أيديهما بمقتضى الشرع، مجازاة لها على أخذها أموال الناس بغير حق، وعقوبة يمنع الله بها غيرهما أن يصنع مثل صنعها. والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره ونهيه.

(٣٩) فمن تاب من بعد سرقته، وأصلح في كل أعماله، فإن الله يقبل توبته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٤٠) ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله خالق الكون ومُدبره ومالكه، وأنه تعالى الفعّال لما يريد، يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء، وهو على كل شيء قدير.

(٤١) يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في جحود نبوتك من المنافقين الذين أظهروا الإسلام وقلوبهم خالية منه، فإني ناصرك

عليهم. ولا يحزنك تسرع اليهود إلى إنكار نبوتك، فإنهم قوم يستمعون للكذب، ويقبلون ما يقتر به أحياءهم، ويستجيبون لقوم آخرين لا يحضرون مجلسك، وهؤلاء الآخرون يبذلون كلام الله من بعد ما عقلوه، ويقولون: إن جاءكم من محمد ما يوافق الذي بئللناه وحرّفناه من أحكام التوراة فاعملوا به، وإن جاءكم منه ما يخالفه فاحذروا قبوله، والعمل به. ومن يشأ الله ضلّاته فلن تستطيع - أيها الرسول - دفع ذلك عنه، ولا تقدر على هدايته. وإن هؤلاء المنافقين واليهود لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الكفر، لهم الذلّ والفضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ٣٧ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كَلَامَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ٣٨ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٠ يَأْتِيهَا
الرَّسُولُ لَا يُحْزِنُكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ
الَّذِينَ هَادُوا أَسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتَحْرِيرٍ أَلْكَلِمَةِ مِنْ بَعْدِ مَا وَضَعُوا
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١

سَمِعُوا لَكَذِبَ أَكَلُوا لِلْسُّخْتِ فَإِنْ جَاءَكَ
فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ
وَأَحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ نَصَّدَّقْ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

(٤٢) هؤلاء اليهود يجمعون بين استماع الكذب
وأكل الحرام، فإن جاؤوك يتحاكمون إليك
فاقض بينهم، أو اتركهم، وإن لم تحكم بينهم
فلن يقدروا على أن يضروك بشيء، وإن حكمت
فاحكم بينهم بالعدل. إن الله يحب العادلين.

(٤٣) إن صنيع هؤلاء اليهود عجيب، فهم
يتحاكمون إليك - أيها الرسول - وهم لا يؤمنون
بك، ولا بكتابك، مع أن التوراة التي يؤمنون
بها عندهم، فيها حكم الله، ثم يتولَّون من بعد
حكمك إذا لم يُرضهم، فجمعوا بين الكفر
بشرعهم، والإعراض عن حكمك، وليس
أولئك المتصفون بتلك الصفات، بالمؤمنين بالله
وبك وبما تحكم به.

(٤٤) إنا أنزلنا التوراة فيها إرشاد من الضلالة،
وبيان للأحكام، وقد حكم بها النبيون - الذين
انقادوا لحكم الله، وأقروا به - بين اليهود، ولم
يخرجوا عن حكمها ولم يُحرِّفوها، وحكم بها
عُباد اليهود وفقهاؤهم الذين يربُّون الناس

بشرع الله؛ ذلك أن أنبياءهم قد استأمنوهم على تبليغ التوراة، وفقه كتاب الله والعمل به، وكان الربانيون والأحبار
شهداء على أن أنبياءهم قد قضوا في اليهود بكتاب الله. ويقول تعالى لعلماء اليهود وأحبارهم: فلا تحشوا الناس في تنفيذ
حكمي؛ فإنهم لا يقدرون على نفعكم ولا ضرركم، ولكن اخشوني فإنني أنا النافع الضار، ولا تأخذوا بترك الحكم بما أنزلت
عوضاً حقيراً، فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، فالذين يبذلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه،
ويجحدونه، ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه، فأولئك هم الكافرون.

(٤٥) وقرضنا عليهم في التوراة أن النفس تُقتل بالنفس، والعين تُفقد بالعين، والأنف يُجذع بالأنف، والأذن تُقطع بالأذن،
والسنن تُفقد بالسِّن، وأنه يُقتض في الجروح، فمن تجاوز عن حقه في الاقتصاص من المعتدي فذلك تكفير لبعض ذنوب
المُعتدى عليه وإزالة لها. ومن لم يحكم بما أنزل الله في القصاص وغيره، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله.

(٤٦) وأتبعنا أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم مؤمناً بها في التوراة، عاملاً بها فيها ما لم ينسخه كتابه، وأنزلنا إليه الإنجيل هادياً إلى الحق، ومبيناً لما جهله الناس من حكم الله، وشاهداً على صدق التوراة بما اشتمل عليه من أحكامها، وقد جعلناه بياناً للذين يخافون الله وذاجراً لهم عن ارتكاب المحرمات.

(٤٧) وليحكم أهل الإنجيل الذين أرسل إليهم عيسى بما أنزل الله فيه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن أمره، العاصون له.

(٤٨) وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن، وكل ما فيه حق يشهد على صدق الكتب قبله، وأنها من عند الله، مصداقاً لما فيها من صحة، ومبيناً لما فيها من تحريف، ناسخاً لبعض شرائعها، فاحكم بين المحتكمين إليك من اليهود بما أنزل الله إليك في هذا القرآن، ولا تصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه، فقد جعلنا لكل أمة شريعة، وطريقة واضحة يعملون

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝
وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحِشَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا فِتْنَةً وَمِنْهَا جُنُودٌ ۝
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتِكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝
وَأَن أَهْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَقْبِضُوا عَنْكَ بَعْضُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كُنتُمْ مِنَ الْتَائِبِينَ لَفَقَدْ سَمِعْنَا لَكُمْ لَعْنَةً ۝
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُورُ يُوقِنُونَ ۝

بها. ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة، ولكنه تعالى خالف بينها ليختبركم، فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين بالعمل بما في القرآن، فإن مصيركم إلى الله، فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويميزي كلاً بعمله.

(٤٩) واحكم - أيها الرسول - بين اليهود بما أنزل الله إليك في القرآن، ولا تتبع أهواء الذين يحتكمون إليك، واحذرهم أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به، فإن أعرض هؤلاء عمّا تحكم به فاعلم أن الله يريد أن يصرّفهم عن الهدى؛ بسبب ذنوب اكتسبوها من قبل. وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة ربهم.

(٥٠) أريد هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدة الأوثان من الضلالات والجهالات؟! لا يكون ذلك ولا يليق أبداً. ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرّعه، وآمن به، وأيقن أن حكم الله هو الحق؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّاهُمْ مِمَّنْ ءَامَنُوا لَا يَهْدِي اللَّهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ فَقَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خُفِّضْ أُنْصِبْ سَيِّئَاتِنَا ذِرْهُنَّ فَقَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ الْفَتْحَ وَأَمَرْنَا عَنْدَهُ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ أَنَّهُمَ لَمَعَكُمْ لَعَنَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ أَلَمَةً لَا يَمِزُ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ بَنِيهِمْ مِنْ نِسَاءِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُوَاً وَلِعِبَانِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

(٥١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ هُلَاءَ وَأَنْصَارًا عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛
ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاَلْيَهُودُ بِوَالِي
بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَكَذَلِكَ النَّصَارَىٰ، وَكَلَّا
الْفَرِيقَيْنِ يَجْتَمِعُ عَلَىٰ عَدَاوَتِكُمْ. وَأَنْتُمْ - أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ - أَجْدَرُ أَنْ يَنْصَرَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضًا. وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَصِيرُ مِنْ جُلُثِهِمْ، وَحُكْمُهُ
حُكْمِهِمْ. إِنَّ اللَّهَ لَا يُوَفِّقُ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ
الْكَافِرِينَ.

(٥٢) يخبر الله تعالى عن جماعة من المنافقين أنهم كانوا يبادرون في موادة اليهود؛ لما في قلوبهم من الشكِّ والتفائق، ويقولون: إننا نؤاخذهم خشية أن يظفروا بالمسلمين فيصيبونا معهم، قال الله تعالى ذكره: فعسى الله أن يأتي بالفتح - أي فتح مكة - وينصر نبيَّه، ويظهر الإسلام والمسلمين على الكفار، أو يحبسَ من الأمور ما تذهب به قوة اليهود والنصارى، فيخضعوا للمسلمين، فيحينئذ يندم المنافقون على ما أضمرُوا في أنفسهم من موالاتهم.

(٥٣) وحينئذ يقول بعض المؤمنين لبعض متعجبين من حال المنافقين - إذا كشف أمرهم -:

أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لمعنا؟! بطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لهم عليها؛ لأنهم عملوها على غير إيمان، فخسروا الدنيا والآخرة.

(٥٤) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضراً الله شيئاً، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يحبهم ويحبونه، رحاء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، ولا يخافون في ذات الله أحداً. ذلك الإنعام من فضل الله يؤتيه من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده.

(٥٥) إنيما ناصركم - أيها المؤمنون - الله ورسوله، والمؤمنون الذين يحافظون على الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة عن رضا نفس، وهم خاضعون لله.

(٥٦) ومن وثق بالله وتوكل على الله ورسوله والمؤمنين، فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون.

(٥٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشِرْعِهِ لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَتْلَاعِبُونَ بِدِينِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ، وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِشِرْعِهِ.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَلِئَامًا ذَلِك بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِك مُثَوِّبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبِدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلًا لَمْ يَدْخُلُوا بِهِ لَكُفْرًا وَهُمْ قَدْ خُتِمُوا بِدَاءِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَهَ وَأَكْبَاهُمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَنْ زِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِسِيَّةَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَافَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

(٥٨) وإذا أذن مؤذنكم - أيها المؤمنون - بالصلاة سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها؛ وذلك بسبب جهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون حقيقة العبادة.

(٥٩) قل - أيها الرسول - هؤلاء المستهزين من أهل الكتاب: ما يُجَدُّونه مطعناً أو عيباً هو محمداً لنا: من إيماننا بالله وكتبه المنزل علينا، وعلى من كان قبلنا، وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم!

(٦٠) قل - أيها النبي - للمؤمنين: هل أخبركم بمن يُجَارَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ من جزاء هؤلاء الفاسقين؟

إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغيَّب عليهم، ومسَّحَ خَلْقَهُمْ، فجعل منهم القردة والخنازير؛ بعضيهم وافرائهم وتكبرهم، كما كان منهم عبداً الطاغوت (وهو كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ)، لقد ساء مكانهم في الآخرة، وضلَّ سَعْيُهُمْ في الدنيا عن الطريق الصحيح.

(٦١) وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - منافقو اليهود، قالوا: آمناً، وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا

عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرون عليه، والله أعلم بسرَّاتهم، وإن أظهرها خلاف ذلك.

(٦٢) وترى - أيها الرسول - كثيراً من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء عملهم واعتادوهم.

(٦٣) هلأ ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان أئمتهم وعلماءهم، عن قول الكذب والزور، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر.

(٦٤) يُطِيعُ الله نَبِيَّهُ على شيء من مآثم اليهود - وكان مما يُسرُّونه فيها بينهم - أنهم قالوا: يد الله محبوسة عن فعل الخيرات، بَحَلَّ علينا بالرزق والتوسعة، وذلك حين لحقهم جذب وقحط. غُلَّتْ أيديهم، أي: حبست أيديهم هم عن فعل الخيرات، وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم. وليس الأمر كما يفترونه على ربهم، بل يده مَبْسُوطَتَانِ لا حَجَرَ عليه، ولا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العباد. وفي الآية إثبات لصفة الالدين لله سبحانه وتعالى كما يليق به من غير تشبيه ولا تكليف. لكنهم سوف يزدادون طغياناً وكُفْرًا بسبب حقدهم وحسدهم؛ لأن الله قد اصطفاك بالرسالة. ويخبر تعالى أن طوائف اليهود سيظلون إلى يوم القيامة يعادي بعضهم بعضاً، وينفر بعضهم من بعض، كلما تأمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردَّ الله كيدهم، وفرَّقَ شملهم، ولا يزال اليهود يعملون بمعاصيها مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض. والله تعالى لا يحب المفسدين.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا الْكَفَرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَاقُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِمَّنْهُ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ
وَكَثِيرٌ مِمَّنْهُمُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٥﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ يَأْهُلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى
تُفِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
وَلَيَزِيدَنَّ كِبِيرًا مِمَّنْهُمَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَعًا آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا حُفُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا تُخِزُّونَ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولُ
يَمَّا لَا تُهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَيُكْفِّرُوا فَرِيقًا يَفْكُرُونَ ﴿٦٩﴾

(٦٥) ولو أن اليهود والنصارى صدقوا الله ورسوله، وامتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، لكفّرنا عنهم ذنوبهم، ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة.

(٦٦) ولو أنهم عملوا بها في التوراة والإنجيل، وبما أنزل عليك أيها الرسول - وهو القرآن الكريم - لزرعوا من كل سبيل، فأنزلنا عليهم المطر، وأبنتنا لهم الثمر، وهذا جزاء الدنيا. وإن من أهل الكتاب فريقاً معتدلاً ثابتاً على الحق، وكثيرٌ منهم ساء عمله، وضل عن سواء السبيل.

(٦٧) يا أيها الرسول بلغ وحى الله الذي أنزل إليك من ربك، وإن قصرت في البلاغ فكفمت منه شيئاً، فإنك لم تبلغ رسالة ربك، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، فمن زعم أنه كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد أعظم على الله ورسوله الفرية. والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك، فليس عليك إلا البلاغ. إن الله لا

يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق، ووجد ما جث به من عند الله.

(٦٨) قل - أيها الرسول - لليهود والنصارى: إنكم لستم على حظ من الدين ما دمت لم تعملوا بها في التوراة والإنجيل، وما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وإن كثيراً من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزال القرآن إليك إلا تحجراً وجحوداً، فهم يحسدونك؛ لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بين فيها معانيهم، فلا تحزن - أيها الرسول - على تكذيبهم لك.

(٦٩) إن الذين آمنوا (وهم المسلمون) واليهود - والصابئون كذلك (وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه) - والنصارى (وهم أتباع المسيح) من آمن منهم بالله الإيهان الكامل، وهو توحيد الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وآمن باليوم الآخر، وعمل العمل الصالح، فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

(٧٠) لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم بذلك رسلاً، فنقضوا ما أخذ عليهم من العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تشتهيهم عاذوه: فكذبوا فريقاً من الرسل، وقتلوا فريقاً آخر.

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ
 عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ٧١
 لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ
 يَبْنِي لِي سِدْرَةً لِيَأْتِيَنِي رَبِّي وَأَعْبُدَ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ
 بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٢ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 ثَارٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ آلِهِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
 عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ الْآلِيمِ ٧٣
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ وَهُوَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٤
 مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
 صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ
 ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَنْ يَتُوبُوا ٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
 يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧٦ قُلْ
 يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ
 قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِنْ سُوءِ السَّبِيلِ ٧٧

(٧١) وظنَّ هؤلاء العصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب جزاء عصيانهم وعُومهم، فمضوا في شهواتهم، وعُموا عن الهدى فلم يبصروه، وصَمُوا عن سماع الحق فلم ينتفعوا به، فأنزل الله بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم، ثم عَمِيَ كثيرٌ منهم، وصَمُوا، بعدما تبين لهم الحق، والله بصير بأعمالهم خيرا وشرها وسيجازيهم عليها.

(٧٢) يقسم الله تعالى بأن الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، قد كفروا بمقالتهم هذه، وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأنا وأنتم في العبودية سواء. إنه من يعبد مع الله غيره فقد حَرَّمَ الله عليه الجنة، وجعل النار مُسْتَقَرَّه، وليس له ناصر يُقَدِّه منها.

(٧٣) لقد كفر من النصارى من قال: إنَّ الله مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح القدس. أما عَلِمَ هؤلاء النصارى أنه ليس للناس سوى معبود واحد، لم يلد ولم يولد، وإن

لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افترائهم وكذبهم ليُصَيِّبَهُمْ عذاب مؤلم موجه بسبب كفرهم بالله.

(٧٤) أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عَمَّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ والله تعالى متجاوز عن ذنوب التائبين، رحيم بهم.

(٧٥) ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدَّمه من الرسل، وأُمُّه قد صدَّقت تصديقاَ جازماً علماً وعملاً، وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون لهما مَنْ يحتاج إلى الطعام ليعيش. فتأمل -أيها الرسول- حال هؤلاء الكفار. لقد وضعنا العلامات الدالة على وحدانيتنا، وبُطلان ما يدَّعونه في أنبياء الله. ثم هم مع ذلك يَقْضُونَ عن الحق

الذي يهديهم إليه، ثم انظر كيف يُصِرُّون عن الحق بعد هذا البيان؟

(٧٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله مَنْ لا يَقْدِرُ على ضَرْكهم، ولا على جَلْبِ نفع لكم؟ والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم.

(٧٧) قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبَعَ اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيراً من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغواية والضلال.

لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
 دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
 لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
 يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ وَلَكِنَّ كَثِيرًا
 مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
 لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
 أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
 ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ مَسِيحِينَ وَهُمْ بَنَاتُ الْأَنْهَارِ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْ
 الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

(٧٨) يجبر تعالى أنه طرد من رحمة الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود - عليه السلام - وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل؛ بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمان الله.

(٧٩) كان هؤلاء اليهود يجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا ينهاي بعضهم بعضاً عن أي منكر فعلوه، وهذا من أفعالهم السيئة، وبه استحقوا أن يطردوا من رحمة الله تعالى.

(٨٠) ترى - أيها الرسول - كثيراً من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم، ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سبباً في غضب الله عليهم، وخلودهم في عذاب الله يوم القيامة.

(٨١) ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرؤوا بما أنزل إليه - وهو القرآن الكريم - ما اتخذوا الكفار أصحاباً وأنصاراً، ولكن كثيراً منهم خارجون عن طاعة الله ورسوله.

(٨٢) لتجدن - أيها الرسول - أشد الناس عداوة

للذين صدقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهود؛ لعنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره، كعبدة الأوثان وغيرهم، ولتجدن أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا: إنا نصارى؛ ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعباداً في الصوامع متسكين، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها.

(٨٣) وما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقاً منهم (وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن) فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حق منزل من عند الله تعالى، وصدقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمته محمد عليه السلام على الأمم يوم القيامة.

(٨٤) وقالوا: وأي لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، واتباعنا له، ونرجو أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته في جنته يوم القيامة؟

(٨٥) فجازاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يحولون عنها، وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

(٨٦) والذين جحدوا وحدانية الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذبوا بآياته المنزلة على رسله، أولئك هم أصحاب النار الملامون لها.

(٨٧) يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات أحلها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فضيضوا ما وسع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

(٨٨) وتمتعوا - أيها المؤمنون - بالحلل الطيب

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَقُطِعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنذِهِمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ، إِنْ طَعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ الْأَصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

ما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بماثل أوامره، واجتناب نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته. (٨٩) لا يعاقبكم الله - أيها المسلمون - فيما لا تقصدون عقده من الأيمان، مثل قول بعضهم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم، فإذا لم تقوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدّمونه مما شرعه الله لكم كفارة من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد، أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عرفاً، أو إعطاء مملوك من الرق، فالخالف الذي لم يقف بيمينه بخير بين هذه الأمور الثلاثة، فمن لم يجد شيئاً من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام. تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم، واحفظوا - أيها المسلمون - أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تقوا بها. كما بيّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يبيّن لكم أحكام دينه؛ لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم.

(٩٠) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره إننا الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل، والميسر: وهو القمار، وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عوض من الجانبين، وصدّ عن ذكر الله، والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيلاً لها، وما ينصب للعبادة تقريباً إليه، والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الأمر، أو الإحجام عنه، إن ذلك كله إثم من تزين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلمكم تفوزون بالجنة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ قَهْلَ أَنْتُمْ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثَانًا تَتَّقُوا وَآخَسَوْا وَآلَهُ يَجِبُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ كُفْرًا لِلَّذِينَ
مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَخَافُهُ
بِالْغَيْبِ فَمَنْ ءَعَدَدْنِي بَعْدَ ذَلِكَ قَلْعَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُّوهُ وَمَنْ قَتَلَهُ
مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ
أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِبَا مَا لَيْدُوهُ وَإِلَّا أَمْرٌ مِمَّا عَفَا اللَّهُ عَنْهَا
سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

(٩١) إنما يريد الشيطان بترين الأنام لكم أن يلقي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء؛ بسبب شرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغياب العقل في شرب الخمر، والاشتغال باللهو في لعب الميسر، فانتهاوا عن ذلك.

(٩٢) وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعلون وتتركون، واتقوا الله وراقبوه في ذلك، فإن أعرضتم عن الامتثال فعملتم ما نهيتهم عنه، فاعلموا أنما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين.

(٩٣) ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم في ذلك، إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيماناً به، حتى أصبحوا من يقينهم بعدونه، وكأنهم يرونه. وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة.

(٩٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره ليبلونكم الله بشيء من صيد البر يقترب منكم على غير المعتاد حيث تستطيعون أخذ

صغاره بغير سلاح وأخذ كباره بالسلاح؛ ليعلم الله علماً ظاهراً للخلق الذين يخافون ربهم بالغيب، ليقينهم بكمال علمه بهم، وذلك بإمساحهم عن الصيد، وهم محرمون. فمن تجاوز حده بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو محرم- فإنه يستحق العذاب الشديد.

(٩٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره لا تقتلوا صيد البر، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم، ومن قتل أي نوع من صيد البر متعمداً فجزاء ذلك أن يذبح مثل ذلك الصيد من بهيمة الأنعام: الإبل أو البقر أو الغنم، بعد أن يُقَدَّرَ اثنان عدلان، وأن يديه لفقراء الحرم، أو أن يشتري بقيمة مثله طعاماً يديه لفقراء الحرم، لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم بدلاً من ذلك يوماً عن كل نصف صاع من ذلك الطعام، فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء؛ ليلقى بإيجاب الجزاء المذكور عاقبة فعله. والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم، ومن عاد إلى المخالفة متعمداً بعد التحريم، فإنه مُعَرَّضٌ لانتقام الله منه. والله تعالى عزيز قوي منيع في سلطانه، ومن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَارِ
وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَأَنْفَقُوا لِلَّهِ
إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
فِي مَكَّةَ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُوبَ ذَلِكَ لِيَتَعَامُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَنَّ جَنَاحَ كَفَرَةٍ الْخَبِيثِ طَارَ فَلَا أَفَى لِلْآلَيْبِ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ ﴿١٠٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا
أَسْمَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ سَوْرُكُمْ وَإِنْ تَسَّأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَقَابُ اللَّهِ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ تَحِيْرَةٍ وَلَا سَاسَةٍ وَلَا وَصِيْلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْتَرُ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٥﴾

(٩٦) أحلَّ الله لكم -أيها المسلمون- في حال إحرامكم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حيًّا، وطعامه: وهو الميت منه؛ من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، وحرم عليكم صيد البرِّ ما دُمتم محرِّمين بحج أو عمرة. واخشوا الله ونفذوا جميع أوامره، واحتشوا جميع نواهيهِ؛ حتى تظفروا بعظيم ثوابه، وتسلموا من اليم عقابه عندما تحشرون للحساب والجزاء.

(٩٧) امتنَّ الله على عباده بأن جعل الكعبة البيت الحرام صلاحاً لدينهم، وأمنًا لحياتهم؛ وذلك حيث آمنوا بالله ورسوله وأقاموا فرائضه، وحرم العدوان والقتال في الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) فلا يعتدي فيها أحد على أحد، وحرم تعالي الاعتداء على ما يُهدى إلى الحرم من بهيمة الأنعام، وحرم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ما قُلِّد إشعاراً بأنه يقصد به النسك؛ ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية.

(٩٨) اعلموا -أيها الناس- أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأناب.

(٩٩) بيَّن الله تعالى أن مهمة رسوله صلى الله عليه وسلم هداية الدلالة والتبليغ، وبيد الله -وحده- هداية التوفيق، وأن ما تنطوي عليه نفوس الناس مما يُسرُّون أو يعلنون من الهداية أو الضلال يعلمه الله.

(١٠٠) قل -أيها الرسول-: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فالكافر لا يساوي المؤمن، والعاصي لا يساوي المطيع، والجاهل لا يساوي العالم، والمتباعد لا يساوي المتبع، والمال الحرام لا يساوي الحلال، ولو أعجبك -أيها الإنسان- كثرة الخبيث وعددها. فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة باجتناب الخبائث، وفعل الطيبات؛ لتفلحوا بنيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

(١٠١) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعمِلوا بشرعه لا تسألوا عن أشياء من أمور الدين لم تُمروا فيها بشيء، كالتسؤال عن الأمور غير الواقعة، أو التي يترتب عليها تشديدات في الشرع، ولو كُتِّموا لها لثبَّت عليكم، وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه ثبَّت لكم، وقد تكلفونا بتعجزون عنها، تركها الله معافيًا لعباده منها. والله غفور لعباده إذا تابوا، حلِيم عليهم فلا يعاقبهم وقد أنابوا إليه.

(١٠٢) إن مثل تلك الأسئلة قد سألها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ رسلهم، فلما أمروا بها جحدوها، ولم ينفذوها، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.

(١٠٣) ما شرع الله للمشرِّكين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام من ترك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي: البَحيرة التي تُنْقَط أذنُها إذا ولدت عددًا من البطون، والسَّابِية وهي التي تُترك للأصنام، والوصيلة وهي التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، والحامِي وهو الذكر من الإبل إذا وُلِد من صلبه عدد من الإبل، ولكن الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراءً عليه، وأكثر الكافرين لا يميزون الحق من الباطل.

وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا أَحَسِبَنَا
 مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً أُولَوْكَانَا آبَاؤُهمْ لَا يَعْلَمُونَ
 شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ
 لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ ضَلٍّ إِذَا هَمَّتْ شَيْءٌ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُهُمْ جَمِيعًا
 فَنَسَبْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
 بَنِيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَفَنُفْسَانِ ذَوَا
 عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ نَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الضَّلَافَةِ
 فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نُشِيرِي بِهِ فَعَمَّا وَلَوْ كَانَ ذَا
 قُرْبَىٰ وَلَا تَنْتَهُمُ شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ غَرَّ
 عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا ثَمَافًا فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
 اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَٰئِينَ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ
 شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدْتُمَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذَقْنَا
 أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَحْضَرُوا أَوْ يُرَدُّ أَمِنْ بَعْدِ
 أَمْنِهِمْ وَانْقُضَا اللَّهُ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

(١٠٤) وإذا قيل لهؤلاء الكفار المحرمين ما أحل الله: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفيننا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل، أيقولون ذلك ولو كان آبائهم لا يعلمون شيئاً أي: لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه؟ فكيف يتبعونهم، والحالة هذه؟ فإنه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً.

(١٠٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وادوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فلا يضركم ضلال من ضل إذا لزمتم طريق الاستقامة، وأمرتم بالمعروف ونهيت عن المنكر، إلى الله مرجعكم جميعاً في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها.

(١٠٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا قرب الموت من أحدكم، فليشهد على

وصيته اثنين أميين من المسلمين، أو آخرين من غير المسلمين عند الحاجة وعدم وجود غيرهما من المسلمين، تشهدونهما إن أنتم سافرتهم في الأرض فحل بكم الموت، وإن ارتبتم في شهادتهما فقفوهما من بعد الصلاة - أي صلاة المسلمين، وبخاصة صلاة العصر -، فيقسمان بالله قسماً خالصاً لا يأخذان به عوضاً من الدنيا، ولا يجابيان به ذا قرابة منها، ولا يكتبان به شهادة الله عندهما، وأنها إن فعلاً ذلك فهما من المذنبين.

(١٠٧) فإن أطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أتيا بالخباية في الشهادة أو الوصية، فليقم مقامهما في الشهادة اثنان من أولياء الميت فيقسمان بالله: لشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة، وما تجاوزنا الحق في شهادتنا، إنا إن اعتدنا وشهدنا بغير الحق لمن الظالمين المتجاوزين حدود الله.

(١٠٨) ذلك الحكم عند الارتياح في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفاً من عذاب الآخرة، أو خشية من أن تُردَّ اليمين الكاذبة من قِبَل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي رُدَّت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيائته. وخافوا الله - أيها الناس - وراقبوه أن تحلفوا كذباً، وأن تقتطعوا بأيديكم مالا حراماً، واسمعوا ما توعدون به. والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته.

(١٠٩) واذكروا - أيها الناس - يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، فيسألهم عن جواب أمهم لهم حينما يدعوهم إلى التوحيد فيجيئون: لا علم لنا، فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدثوا بعدنا. إنك أنت عليم بكل شيء مما خفي أو ظهر.

(١١٠) إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى الدنك حيث اصطفتيتها على نساء العالمين، وبرأتها عما نُسب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قواه وأعانه بجبريل عليه السلام، يكلم الناس وهو رضيع قبل أن أوان الكلام، ويدعوهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت قوته وكمل شبابه بما أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علّمه الكتابة والخط بدون معلم، ووهبه قوة الفهم والإدراك، وعلّمه التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عَمْرَلْنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْأَعْيُوبَ﴾ ١٠٩ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ فَنُكَيْتُكَ مِنَ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٠ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُلِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنْتَ مُسْلِمُونَ﴾ ١١١ ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَنُوقُو اللَّهَ إِنْ كُنْهُ مُؤْمِنِينَ﴾ ١١٢ ﴿قَالُوا أُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَقْطَعَنَّ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ١١٣

هذه النعم أنه يصور من الطين كهية الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيراً بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وُلِدَ أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص فيعود جلده سليماً بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحيي الموتى فيقومون من قبورهم أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عليه السلام، ثم يذكره الله جل وعلا بنعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين همّوا بقتله، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إن ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

(١١١) واذكر - يا عيسى - نعمتي عليك، إذ أهدمت، وألقيت في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك، فقالوا: صدقنا يا ربنا، وأشهد بأننا خاضعون لك متقادون لأمرك.

(١١٢) واذكر إذ قال الخواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟ فكان جوابه أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله تعالى، إن كانوا مؤمنين حقّ الإيمان.

(١١٣) قال الخواريون: نريد أن نأكل من المائدة وتسكن قلوبنا لرؤيتها، ونعلم يقيناً صدقك في نبوتك، وأن نكون من الشاهدين على هذه الآية أن الله أنزلها حجةً له علينا في توحيدهِ وقدرته على ما يشاء، وحجةً لك على صدقك في نبوتك.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَنْزِلْ رُقًى رَبَّنَا
خَيْرَ الرُّقًى ۖ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَبْرُؤُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ
مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ عَذَابِي لَا أَغْدِيهِ وَأَعَدَّ لَهُ وَاحِدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأَهْلِي الْهَيْئَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا كُنْتُ لِأَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِسَيِّئٍ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَغْلِبُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتَ لَهُمْ
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبٌ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ۝ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

(١١٤) أجاب عيسى بن مريم طلب الحوارين فدعاه به جل وعلا قائلاً: ربنا أنزل علينا مائدة طعام من السماء، نتخذ يوم نزولها عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك -يا الله- على وحدانيتك وعلى صدق نبوتي، وامنحنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين.

(١١٥) قال الله تعالى: إني منزل مائدة الطعام عليكم، فمن يمجّد منكم وحدانيتي ونبوة عيسى عليه السلام بعد نزول المائدة فإني أعذبه عذاباً شديداً، لا أعذبه أحداً من العالمين. وقد نزلت المائدة كما وعد الله.

(١١٦) واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى بن مريم -أنت قلت للناس اجعلوني وأمي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى -منزهاً الله تعالى-: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق. إن كنت قلت هذا فقد علمته؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلم ما تضره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك. إنك أنت عالم بكل شيء مما خفي أو ظهر.

(١١٧) قال عيسى عليه السلام: يارب ما قلت لهم إلا ما أوحيت إليّ، وأمرني بتبليغه من أفرادك بالوحدانية والعبادة، وكنت على ما يفعلونه -وأنا بين أظهرهم- شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، فلما وفيتني أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حياً، كنت أنت المطلع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

(١١٨) إنك يا الله إن تعذبهم فلأنهم عبادك -وأنت أعلم بأحوالهم-، تفعل بهم ما تشاء بعد ذلك، وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وأمره. وهذه الآية ثناء على الله -تعالى- بحكمته وعدله، وكمال علمه.

(١١٩) قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: هذا يوم الجزاء الذي ينفع الموحدين توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقهم في نيابتهم وأقوالهم وأفعالهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كثر فيها أبداً، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من جزيل ثوابه، ذلك الجزاء والرضا منه عليهم هو الفوز العظيم.

(١٢٠) الله وحده لا شريك له ملك السموات والأرض وما فيهن، وهو -سبحانه- على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَابِقَةٍ
ءَاتَتْ رَبَّهُمْ إِلَّا آكَأُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا كَمَا هَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كَثَبٍ مِنْ قَرْطَابٍ فَلَقَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُؤُمِينَ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

﴿سورة الأنعام﴾

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي أنشأ السموات والأرض وما فيهن، وخلق الظلمات والنور، وذلك بتعاقب الليل والنهار. وفي هذا دلالة على عظمة الله تعالى، واستحقاقه وحده العبادة، فلا يجوز لأحد أن يشرك به غيره. ومع هذا الوضوح فإن الكافرين يسوون بالله غيره، ويشركون به.

(٢) هو الذي خلق إياكم آدم من طين وأنتم سلالة منه، ثم كتب مدة بقائكم في هذه الحياة الدنيا، وكتب أجلاً آخر محدداً لا يعلمه إلا هو جل وعلا، وهو يوم القيامة، ثم أنتم بعد هذا تشككون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت.

(٣) والله سبحانه هو الإله المعبود بحق في السموات والأرض. ومن دلائل ألوهيته أنه يعلم جميع ما تخفونه - أيها الناس - وما تعلنونه، ويعلم جميع أعمالكم من خير أو شر، ولهذا فإنه - جلّ - وعلا - وحده هو الإله المستحق للعبادة.

(٤) هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله - جل وعلا -، وصديق محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها.

(٥) لقد جحد هؤلاء الكفار الحق الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وسخروا من دعائه؛ جهلاً منهم بالله واغتراراً بإمهاله إياهم، فسوف يرون ما استهزؤوا به أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم وافتراءهم، وسيجازيهم عليه. (٦) ألم يعلم هؤلاء الذين يمجّدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بأنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مسكنهم؛ استدراجاً وإملاء لهم، وكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم أمماً أخرى خلفهم في عمارة الأرض؟

(٧) ولو نزلنا عليك - أيها الرسول - كتاباً من السماء في أوراق فلمسه هؤلاء المشركون بأيديهم لقالوا: إننا ما جئت به - أيها الرسول - سحر واضح بيقين.

(٨) وقال هؤلاء المشركون: هلا أنزل الله تعالى على محمد ملكاً من السماء؛ ليصدق فيه فيما جاء به من النبوة، ولو أنزلنا ملكاً من السماء إجابةً لطلبهم لقضي الأمر بإهلاكهم، ثم لا يُعْمَلُونَ لتوبة؛ فقد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَكِنَّا عَلَيْنَاهُمْ مَا
يَلْسُونُ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا يَرْسُلَ مَنْ قَبْلَكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ
سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
﴿١٢﴾ قُلْ لَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى
نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِسْمَةِ لَا رَيْبَ
فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ
مَا سَكَنَ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤﴾ قُلْ
أَعِزَّ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
ظُهُومٌ لَا يُلَظَعُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قَدَرَهُمْ
وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ وَلَا كَاشِفَ
لَهُ إِلَّا الْأَمْرُ وَإِنْ يَمَسَّكَ يَخْشَرْ فَيَقُولْ كُلُّ شَيْءٍ قَلِيلٌ
﴿١٨﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٩﴾

(٩) ولو جعلنا الرسول المرسل إليهم ملكاً إذ لم يقتنعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لجعلنا ذلك الملك في صورة البشر؛ حتى يستطيعوا السماع منه ومخاطبته؛ إذ ليس بإمكانهم رؤية الملك على صورته الملائكية، ولو جاءهم الملك بصورة رجل لاشتبه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠) وَلَمَّا كَانَ طَلِبُهُمْ إِنْزَالِ الْمَلِكِ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِهْزَاءِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَنَّ الْاِسْتِهْزَاءَ بِالرَّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لَيْسَ أَمْرًا حَادِثًا، بَلْ قَدْ وَقَعَ مِنَ الْكُفَّارِ السَّابِقِينَ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَهْزُؤُونَ بِهِ وَيَنْكَرُونَ وَقَعَهُ.

(١١) قل لهم -أيها الرسول-: سيروا في الأرض
ثم انظروا كيف أعقب الله المكذبين الهلاك
والخزي؟ فاحذروا مثل مصارعهم، وخافوا أن
يحلَّ بكم مثل الذي حلَّ بهم.

(١٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: لئن ملئْتُ السموات والأرض وما فيهن؟ قل: هو الله كما تَقُولُونَ بذلك وتعلمونه، فاعبدوه وحده. كتب الله على نفسه الرحمة فلا يعجل على عباده بالعقوبة. ليجمعنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه للحساب والجزاء. الذين أشركوا بالله أهلكوا أنفسهم؛ فهم لا يوجدون الله، ولا

يصدقون بوعدده ووعيدده، ولا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٣) والله ملك كل شيء في السموات والأرض، سكن أو تحرك، خفي أو ظهر، الجميع عبده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بسرائرهم وأعمالهم.

(١٤) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين مع الله تعالى غيره: أغير الله تعالى أمثله ولياً ونصيراً، وهو خالق السموات والأرض وما فيها، وهو الذي يرزق خلقه ولا يرزقه أحد؟ قل -أيها الرسول-: إني أمرت أن أكون أول من خضع وانقاد له بالعبودية من هذه الأمة، ونُهيْتُ أن أكون من المشركين معه غيره.

(١٥) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي، فخالفت أمره، وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة.

(١٦) من يصرف الله عنه ذلك العذاب الشديد فقد رحمه، وذلك الصرف هو الظفر الين بالنجاة من العذاب العظيم.

(١٧) وإن يصبك الله تعالى -أيها الإنسان- بشيء يضرك كالفقر والمرض فلا كاشف له إلا هو، وإن يصبك بخير كالغنى والصحة فلا راد لفضله ولا مانع لقضائه، فهو -جل وعلا- القادر على كل شيء.

(١٨) والله سبحانه هو الغالب القاهر فوق عباده؛ خضعت له الرقاب وذُلَّتْ له الجبابرة، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وفق حكمته، الخير الذي لا ينجي عليه شيء. ومن اتصف بهذه الصفات يجب ألا يشرك به. وفي هذه الآية إثبات الفوقية لله - تعالى - على جميع خلقه، فوفاة مطلقة تليق بجلاله سبحانه.

(١٩) قل -أيها الرسول هؤلاء المشركين-: أي شيء أعظم شهادة في إثبات صدقي فيما أخبرتكم به أي رسول الله؟ قل: الله شهيد بيني وبينكم، أي: هو العالم بما جنتكم به وما أنتم قائلون لي، وأوحى الله إلي هذا القرآن من أجل أن أنذركم به عذابه أن يحل بكم، وأنذر به من وصل إليه من الأمم. إنكم لتقرون أن مع الله معبودات أخرى تشركونها به. قل لهم -أيها الرسول-: إني لا أشهد على ما أقرتم به، إني الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل شريك تعبدونه معه.

(٢٠) الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم بصفاته المكتوبة عندهم كمعرفتهم أبناءهم، فكأن أبناءهم لا يشتبهون أمامهم بغيرهم، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لا يشتبه بغيره لدقة وصفه في كتبهم، ولكنهم اتبعوا أهواءهم، ففسدوا أنفسهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به.

(٢١) لا أحد أشد ظلماً ممن يقول الكذب على الله تعالى، فزعم أن له شركاء في العبادة، أو ادعى أن له ولداً أو صاحبة، أو كذب براهينه وأدلتها التي أيدها برسله عليهم السلام. إنه لا يفلح الظالمون الذين افتروا الكذب على الله،

قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ شَهِدُونَ أَمَعَ اللَّهُ إِلَهَهُ آخَرِي قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلِ الْإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَقَوْمٌ خَسِرُوا جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْإِن شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَرَحِمُونَا فَرَحِمْنَا ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَحْمِلُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾ أَظُنُّكُمْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ لَكَةً أَنْ يَقْهَوْهُ وَفِي أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا اتِّبَاعًا لِأَوْصِيائِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُكَ يَجِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ عَنْهُ وَيَعَنُّونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ عَلَى الْشَّارِقِ قَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾

ولا يظفرون بمطالبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

(٢٢) وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أين أهنتكم التي كنتم تدعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليشفعوا لكم؟

(٢٣) ثم لم تكن إجابتهم حين فتنوا واختبروا بالسؤال عن شركائهم إلا أن تبرؤوا منهم، وأقسموا بالله ربهم أنهم لم يكونوا مشركين مع الله غيره.

(٢٤) تأمل -أيها الرسول- كيف كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم، وهم في الآخرة قد تبرؤوا من الشرك؟ وذهب وغاب عنهم ما كانوا يظنونونه من شفاعتهم.

(٢٥) ومن هؤلاء المشركين من يستمع إليك القرآن -أيها الرسول-، فلا يصل إلى قلوبهم؛ لأنهم بسبب اتباعهم أهواءهم جعلنا على قلوبهم أغطية؛ لنلا يفقهوا القرآن، وجعلنا في آذانهم قفلاً وصماً فلا تسمع ولا تعي شيئاً، وإن يروا الآيات الكثيرة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم لا يصدقوا بها، حتى إذا جاؤوك -أيها الرسول- بعد معاينة الآيات الدالة على صدقك يخاصمونك: يقول الذين جحدوا آيات الله: ما هذا الذي نسمع إلا ما تناقله الأولون من حكايات لا حقيقة لها.

(٢٦) وهؤلاء المشركون يهتزون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاستماع إليه، ويتبعدون بأنفسهم عنه، وما يهلكون -بصددهم عن سبيل الله- إلا أنفسهم، وما يحسون أنهم يعملون لهلاكها.

(٢٧) ولو ترى -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم القيامة لرأيت أمراً عظيماً، وذلك حين يُجسسون على النار، ويشاهدون ما فيها من السلاسل والأغلال، وراوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا: ياليتنا نعاد إلى الحياة الدنيا، فنصدق بآيات الله ونعمل بها، ونكون من المؤمنين.

بَلْ يَدَّاهُم مَّا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَأَنَّهُمْ لَكَادِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنَّمَا الْآحْيَاءُ نُسْأِلُ الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَمْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ عَرَّيْ إِذْ وَفَّقُوا عَلَى رِيْهِمْ قَالِ الْبَسْ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ قَدْ وَفَّقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا رَحِمْتَ رَبَّنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْدَانَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَقَابِلُتِ اللَّهُ بِحَدُوثِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرٌ وَأَعْلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا وَحَقَّ أَنَّهُمْ
نَصْرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَالِيكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَتَّبِعِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٥﴾

(٢٨) ليس الأمر كذلك، بل ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه. ولو فرض أن أعدوا إلى الدنيا فأملوها لرجعوا إلى العناد بالكفر والتكذيب. وإنهم لكاذبون في قلوبهم: لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا، وكنا من المؤمنين.

(٢٩) وقال هؤلاء المشركون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بممعوئين بعد موتنا.

(٣٠) ولو ترى -أيها الرسول- منكري البعث إذ خُسوا بين يدي الله تعالى لقضائه فيهم يوم القيامة، لرأيت أسوأ حال، إذ يقول الله جل وعلا: أليس هذا بالحق، أي: أليس هذا البعث الذي كنتم تكفرونه في الدنيا حقاً؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، قال الله تعالى: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، أي: العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا؛ بسبب جحودكم بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣١) قد خسر الكفار الذين أنكروا البعث بعد الموت، حتى إذا قامت القيامة وفوجئوا بسوء المصير، نادوا على أنفسهم بالحسرة على ما

ضيّعوه في حياتهم الدنيا، وهم يحملون آثامهم على ظهورهم، فما أسوأ الأحمال الثقيلة السيئة التي يحملونها!!
(٣٢) وما الحياة الدنيا في غالب أحوالها إلا غرور وباطل، والعمل الصالح للدار الآخرة خير للذين يحبسون الله، فيتقون عذابه بطاعته واجتناب معاصيه. أفلا تعقلون -أيها المشركون المغترون بزينة الحياة الدنيا- فتقدموا ما يبقى على ما يفتنى؟
(٣٣) إنا نعلم إنه ليُدْخِلُ الحزنَ إلى قلبك تكذيب قومك لك في الظاهر، فاصبر واطمن؛ فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم، بل يعتقدون صدقك، ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يحيدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جئت به.

(٣٤) ولقد كذب الكفار رسلاً من قبلك أرسلهم الله تعالى إلى أمهم وأودوا في سبيله، فصبروا على ذلك ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى أتاهم نصر الله. ولا مبدل لكلمات الله، وهي ما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده إياه بالنصر على من عاداه. ولقد جاءك -أيها الرسول- من خبر من كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر الله، وما جرى على مكذبيهم من نعمة الله منهم وغضبه عليهم، فلك فيمن تقدم من الرسل أسوة وقودة. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣٥) وإن كان عظم عليك -أيها الرسول- صدور هؤلاء المشركين وانصرافهم عن الاستجابة لدعوتك، فإن استطعت أن تتخذ نفقاً في الأرض، أو مبعداً تصعد فيه إلى السماء، فتأتيهم بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي جئناهم به فافعل. ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الذي أتتم عليه ووفقه للآيات، ولكن لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها سبحانه، فلا تكونن -أيها الرسول- من الجاهلين الذين اشتد حزنهم، وتحسروا حتى أولصلهم ذلك إلى الجزع الشديد.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرًّا إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ نَزِلَ آيَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَمَا
مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِطَيْرٍ بِجَنَاحٍ إِلَّا آمَنَّا بِكُمُ
مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نَعْتَمُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صَرُّوا فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسَاءٍ
اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُضِلُّهُ فَلَا يَهْدِيهِ إِلَّا جَهَنَّمَ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوَّلْتُمْ السَّاعَةَ أَغْرَبَ اللَّهُ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ فِي كَيْفٍ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْأَسْأَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ
يَنْصَرِعُونَ ﴿ قُلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ حَقَّ
قُلُوبِنَا وَأَمَّا كُفْرُكُمْ فَلَا يَضُرُّهُمْ شَيْئًا قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

يشأ هدايته يجعله على صراط مستقيم.

(٤٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في الدنيا، أو جاءكم الساعة التي تبتغون فيها: أغير الله تدعون هناك لكشف ما نزل بكم من البلاء، إن كنتم محقين في زعمكم أن أهلكم التي تعبدونها من دون الله تنفع أو تضر؟

(٤١) بل تدعون -هناك- ربكم الذي خلقكم لا غيره، وتستغيثون به، فيفرج عنكم البلاء العظيم النازل بكم إن شاء؛ لأنه القادر على كل شيء، وتتركون حينئذ أصنامكم وأوثانكم وأولياءكم.

(٤٢) ولقد بعثنا -أيها الرسول- إلى جماعات من الناس من قبلك رسلاً يدعونهم إلى الله تعالى، فكذبوهم، فابتليناهم في أموارهم بشدة الفقر وضيق المعيشة، وابتليناهم في أجسامهم بالأمراض والآلام؛ رجاء أن يتذللوا لربهم، ويخضعوا له وحده بالعبادة.

(٤٣) فهلاً إذ جاء هذه الأمم المكذبة بلاؤنا تذللوا لنا، ولكن قست قلوبهم، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من المعاصي، ويأتون من الشرك.

(٤٤) فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالأساء رضاء في العيش، وبالبضراء صحة في الأجسام؛ استدراجاً منا لهم، حتى إذا بطروا، وأعجبوا بما أعطيناهم من الخير والنعمة أخذناهم بالعذاب فجأة، فإذا هم أيسون منقطعون من كل خير.

(٣٦) إنما يبيح -أيها الرسول- إلى ما دعوت إليه من الهدى الذين يسمعون الكلام سماع قبول. أما الكفار فهم في عداد الموتى؛ لأن الحياة الحقيقية إنما تكون بالإسلام. والموتى يخرجهم الله من قبورهم أحياء، ثم يعودون إليه يوم القيامة؛ ليؤفوا حسابهم وجزاءهم.

(٣٧) وقال المشركون -تعتنا واستكباراً-: هلاً أنزل الله علامة تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم من نوع العلامات الخارقة، قل لهم -أيها الرسول-: إن الله قادر على أن ينزل عليهم آية، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن إنزال الآيات إنما يكون وفق حكمته تعالى.

(٣٨) ليس في الأرض حيوان يدب على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم. ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً إلا أثبتناه، ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم القيامة، فيحاسب الله كل بما عمل.

(٣٩) والذين كذبوا بحجج الله تعالى صم لا يسمعون ما ينفعهم، يكم لا يتكلمون بالحق، فهم حائرون في الظلمات، لم يختاروا طريقة الاستقامة. من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَحْدَمُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَسَدَكُمْ فَمَا لَكُمُ
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ بِاتِّكُم بِهِ أَنْظَرَكُمْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَكْبَابِ
 ثُمَّ هُمْ يَصْذَقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
 بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 تَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَمْبَشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا
 يَمْسُكُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِن أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِلَى
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعَدْوِ وَالْغَشْيِ يَوْمَئِذٍ
 وَجْهَهُمْ مَأْجُودٌ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَكَوْنُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

(٤٥) فاستوصل هؤلاء القوم وأهلكوا؛ إذ كفروا بالله وكذبوا رسله، فلم يبق منهم أحد. والشكر والثناء لله تعالى -خالق كل شيء ومالكه- على نصره أوليائه وهلاك أعدائه.

(٤٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن أذهب الله سمعكم فأصمكم، وذهب أبصاركم فأعماكم، وطبع على قلوبكم فأصبحتهم لا تفقهون قولاً، أي إله غير الله جل وعلا يقدر على رد ذلك لكم؟! انظر -أيها الرسول- كيف ننوِّع لهم الحجج، ثم هم بعد ذلك يعرضون عن التذكر والاعتبار؟

(٤٧) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن نزل بكم عقاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون به، أو ظاهر أعياناً وأنتم تنظرون إليه: هل يهلك إلا القوم الظالمون الذين تجاوزوا الحد، بصر فهم العبادة لغير الله تعالى ويتكذِّبهم رسله؟

(٤٨) وما نرسل رسلنا إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم، فمن آمن وصدق الرسل وعمل صالحاً

فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم، ولا يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٤٩) والذين كذبوا بآياتنا من القرآن والمعجزات فأولئك يصيبهم العذاب يوم القيامة؛ بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

(٥٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إنني لا أدعي أنني أملك خزان السموات والأرض، فأصرف فيها، ولا أدعي أنني أعلم الغيب، ولا أدعي أنني ملك، وإنما أنا رسول من عند الله، أتبع ما يوحى إلي، وأبلغ وحيه إلى الناس، قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عصى عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها، والمؤمن الذي أبصر آيات الله فأمن بها؟ أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟

(٥١) وخوف -أيها الرسول- بالقرآن الذين يعلمون أنهم يُخشرون إلى ربهم، فهم مصدقون بوعد الله ووعدته، ليس لهم غير الله ولي ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عنده تعالى، فيخلصهم من عذابه؛ لعلهم يتقون الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

(٥٢) ولا تُبْعِد -أيها النبي- عن مجالستك ضعفاء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره، يريدون بأعمالهم الصالحة وجه الله، ما عليك من حساب هؤلاء الفقراء من شيء، إنها حسابهم على الله، وليس عليهم شيء من حسابك، فإن أبعدهم فإنك تكون من المتجاوزين حدود الله، الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيُتْلُوا هَؤُلَاءِ مِنْ أَلْفِهِمْ
 عَلَيْهِمْ مَنْ يَبَيِّنُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
 جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَاءَ عَلَيْكُمْ كِتَابَ
 رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنْهُمْ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا
 يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾
 وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَلْيَتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
 قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ
 لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَ كَوْمَةٍ قَدْ ضَلَّتْ إِذْ أَوْمَأُ أَنْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
 قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا
 تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ
 خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضَى
 الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ
 مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
 وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ
 أَوْ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

(٥٣) وكذلك ابتلى الله تعالى بعض عباده ببعض
 بتباين حظوظهم من الأرزاق والأخلاق،
 فجعل بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً، وبعضهم
 قوياً وبعضهم ضعيفاً، فأخرج بعضهم إلى
 بعض اختباراً منه لهم بذلك؛ ليقول الكافرون
 الأغنياء: أهؤلاء الضعفاء من الله عليهم الهداية
 إلى الإسلام من بيننا؟ أليس الله تعالى بأعلم بمن
 يشكرون نعمته، فيوفقهم إلى الهداية لدينه؟

(٥٤) وإذا جاءك - أيها النبي - الذين صدقوا
 بآيات الله الشاهدة على صدقك من القرآن
 وغيره مستفتين عن التوبة من ذنوبهم السابقة،
 فأكرمهم برزء السلام عليهم، وبشرهم برحمة
 الله الواسعة؛ فإنه جل وعلا قد كتب على نفسه
 الرحمة بعباده تفضلاً أنه من اقترف ذنباً بجهالة
 منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله - فكل عاص لله
 مخطئاً أو متعمداً فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن
 كان عالماً بالتحريم - ثم تاب من بعده وداوم
 على العمل الصالح، فإنه تعالى يغفر ذنبه، فهو
 غفور لعباده التائبين، رحيم بهم.

(٥٥) ومثل هذا البيان الذي بيّنه لك - أيها

الرسول - نبين الحجة الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل؛ ليتبين الحق، وليظهر طريق أهل الباطل المخالفين
 للرسول.

(٥٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاني أن أعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وقل لهم: لا اتبع
 أهواءكم قد ضللت عن الصراط المستقيم إن اتبعت أهواءكم، وما أنا من المهتدين.

(٥٧) قل - أيها الرسول لهؤلاء المشركين: - إنني على بصيرة واضحة من شريعة الله التي أوحاها إليّ، وذلك بإفراده وحده
 بالعبادة، وقد كذبتهم بهذا، وليس في قدرتي إنزال العذاب الذي تستعجلون به، وما الحكم في تأخر ذلك إلا إلى الله تعالى،
 يقض الحق، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل بقضائه وحكمه.

(٥٨) قل - أيها الرسول: - لو أنني أملك إنزال العذاب الذي تستعجلونه لأنزلته بكم، وقضي الأمر بيني وبينكم، ولكن
 ذلك إلى الله تعالى، وهو أعلم بالظالمين الذين تجاوزوا حدّهم فأشركوا معه غيره.

(٥٩) وعند الله - جل وعلا - مفاتيح الغيب، أي: خزائن الغيب، لا يعلمها إلا هو، ومنها: علم الساعة، ونزول الغيث،
 وما في الأرحام، والكسب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ويعلم كل ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة من نبتة
 إلا يعلمها، فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا يُبْس فيه، وهو اللوح المحفوظ.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ وَلَهُمْ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَبِّئُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ أَن يَحْرُثَ عَنْوَةً وَنَضَّرَ عَاخِرَ نَفْسِهِ لَئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُجِيبُكُم وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْرِهُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ لُتُيًّا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسَافِكُمْ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ يُعَامِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا زَايَتِ الَّذِينَ يُخَوِّضُونَ فِيهِ أَيْتَانَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمُ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَتَّبِعْهُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

(٦٠) وهو سبحانه الذي يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت، ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم نهاراً بما يشبه الإحياء بعد الموت؛ لتقضى أجالكم المحددة في الدنيا، ثم إلى الله تعالى معادكم بعد بعثكم من قبوركم أحياء، ثم يجزىكم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، ثم يجازيكم بذلك.

(٦١) والله تعالى هو القاهر فوق عباده، فوقية مطلقة من كل وجه، تليق بجلاله سبحانه وتعالى. كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويحصىونها، حتى إذا نزل الموت بأحدكم قبض روحه ملك الموت وأعوانه، وهم لا يضيعون ما أمروا به.

(٦٢) ثم أعيد هؤلاء المتوفون إلى الله تعالى مولاهم الحق. ألا له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسمين.

(٦٣) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: من يتخذكم من مخاوف ظلمات البر والبحر؟

أليس هو الله تعالى الذي تدعونه في الشدائد متدللين جهراً وسراً؟ تقولون: لئن أنجانا ربنا من هذه المخاوف لنكونن من الشاكرين بعبادته عز وجل وحده لا شريك له.

(٦٤) قل لهم -أيها الرسول-: الله وحده هو الذي ينقذكم من هذه المخاوف ومن كل شدة، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه في العبادة غيره.

(٦٥) قل -أيها الرسول-: الله عز وجل هو القادر وحده على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم كالرجم أو الطوفان، وما أشبه ذلك، أو من تحت أرجلكم كالزلازل والخسف، أو يخلط أمركم عليكم فتكونوا فرقة متناحرة يقتل بعضهم بعضاً. انظر -أيها الرسول- كيف تنوع حججنا الواضحات هؤلاء المشركين لعلهم يفهمون فيعتبروا؟

(٦٦) وكذب بهذا القرآن الكفار من قومك أيها الرسول، وهو الكتاب الصادق في كل ما جاء به. قل لهم: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإننا أنا رسول الله أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

(٦٧) لكل خبر قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبين الحق من الباطل، وسوف تعلمون -أيها الكفار- عاقبة أمركم عند حلول عذاب الله بكم.

(٦٨) وإذا رأيت -أيها الرسول- المشركين الذين يتكلمون في آيات القرآن بالباطل والاستهزاء، فابتعد عنهم حتى يأخذوا في حديث آخر، وإن أنساك الشيطان هذا الأمر فلا تقعد بعد تذكرك مع القوم المعتدين، الذين تكلموا في آيات الله بالباطل.

(٦٩) وما على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فيطيعون أوامره، ويحذرون نواهيه من حساب الله للخاصين المستهزين بآيات الله من شيء، ولكن عليهم أن يعظموه ليمسكوا عن ذلك الكلام الباطل، لعلمهم يتقون الله تعالى.

(٧٠) واترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعباً ولهواً مستهزين بآيات الله تعالى، وعزتهم الحياة الدنيا بزينتها، وذكر بالقرآن هؤلاء المشركين وغيرهم؛ كي لا تُرْتَهَنَ نفس بذنوبها وكفرها بربها، ليس لها غير الله ناصر ينصرها، فينقذها من عذابه، ولا شافع يشفع لها عنده، وإن تَقَدَّى بأي فداء يُقْبَل منها. أولئك الذين ارتكبوا بذنوبهم، لهم في النار شراب شديد الحرارة وعذاب موجه؛ بسبب كفرهم بالله تعالى، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبدين الإسلام.

(٧١) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: أعبد من دون الله تعالى أوثاناً لا تنفع ولا تضر؟ ونرجع إلى الكفر بعد هداية الله تعالى لنا إلى الإسلام، فنشبه - في رجوعنا إلى الكفر - من

فسد عقله باستهواء الشياطين له، فَصَلَ في الأرض، وله رُفَّةٌ عقلاء مؤمنون يدعونهم إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه فيأبى. قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى الحق، وأمرنا جميعاً لنسلم لله تعالى رب العالمين بعبادته وحده لا شريك له، فهو رب كل شيء ومالكه.

(٧٢) وكذلك أمرنا بأن نقيم الصلاة كاملة، وأن نخشاه بفعل أوامره واجتناب نواهيه. وهو - جل - وعلا - الذي إليه تُحْشَر جميع الخلائق يوم القيامة.

(٧٣) والله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض والحق، واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله: «كن»، فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب، قوله هو الحق الكامل، وله الملك سبحانه وحده، يوم ينفخ المَلَك في «الْقُرْن» النفخة الثانية التي تكون بها عودة الأرواح إلى الأجسام. وهو سبحانه الذي يعلم ما غاب عن حواسكم - أيها الناس - وما تشاهدونه، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، الخير بأمور خلقه. والله تعالى هو الذي يختص بهذه الأمور وغيرها ببدء وأنهاية، نشأة ومصيراً، وهو وحده الذي يجب على العباد الانقياد لشرعه، والتسليم لحكمه، والتطلع إلى رضوانه ومغفرته.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِئَنِي مَا تَعْبُدُ ۖ قَالَ تَعْبُدُ الْآلِهَةَ ۖ قُلْتُ لَا أَرَىٰ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا نَصْرًا ۚ قَالَ فَإِنَّكَ كَتُمِبٌ ۖ وَكَذَلِكَ نَبِّئِ إِبْرَاهِيمَ ۖ مَلَكَتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَيْكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ الْكَوْكَبَ ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لِّمُتَّبِعِي رَبِّي لَا أَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْقِمُ بَنِي بَرِيٍّ ۖ وَمَا نَشْرُكَكَتْ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۖ قَالَ أَتَعْجَبُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۖ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۖ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَأَنتُمْ أَفْرَاقٌ ۝٨١﴾

(٧٤) واذكر - أيها الرسول - حاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه أزر، إذ قال له: أتجعل من الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله تعالى؟ إني أراك وقومك في ضلال بين عن طريق الحق.

(٧٥) وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة نريه ما تحتوي عليه السموات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة؛ ليكون من الراسخين في الإيمان.

(٧٦) فلما أظلم على إبراهيم عليه السلام الليل وغطاه ناظر قومه؛ ليثبت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه السلام كوكباً، فقال - مستدرجاً قومه لإلزامهم بالتوحيد -: هذا ربي، فلما غاب الكوكب، قال: لا أحب الآلهة التي تعيب.

(٧٧) فلما رأى إبراهيم القمر طالعاً قال لقومه - على سبيل استدراج الخصم -: هذا ربي، فلما غاب، قال: - مفتقراً إلى هداية ربه - لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيدهِ، لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير الله تعالى.

(٧٨) فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت، قال لقومه: إني بري عما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى.

(٧٩) إني وجَّهْتُ وجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السموات والأرض، مانئلاً عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

(٨٠) وجادلته قومه في توحيد الله تعالى قال: أتجادلونني في توحيدِي لله بالعبادة، وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته، فإن كنتم تخوفونني بالهتك أن توقع بي ضرراً فأنتي لا أرهبا فلن تضرنني، إلا أن يشاء ربي شيئاً. وسع ربي كل شيء علماً. أفلا تذكرون فتعلموا أنه وحده المعبود المستحق للعبودية؟

(٨١) وكيف أخاف أوثانكم وأنتم لا تخافون ربي الذي خلقكم، وخلق أوثانكم التي أشركتموها معه في العبادة، من غير حجة لكم على ذلك؟ فأَيُّ الفريقين: فريق المشركين وفريق الموحدين أحق بالطمأنينة والسلامة والأمن من عذاب الله؟ إن كنتم تعلمون صدق ما أقول فأخبروني.

(٨٢) الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ولم يخلطوا بإيمانهم بشرك، أولئك لهم الطمأنينة والسلامة، وهم الموفقون إلى طريق الحق.

(٨٣) وتلك الحجة التي حاج بها إبراهيم عليه السلام قومه هي حجتنا التي وفقناه إليها حتى انقطعت حجتهم. نرفع من نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة. إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم.

(٨٤) ومنّا على إبراهيم عليه السلام بأن رزقناه إسحاق ابناً ويعقوب حفيداً، وفقناه كلّاً منها لسبيل الرشاد، وكذلك وفقنا للحق نوحاً - من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - وكذلك وفقنا للحق من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام، وكلما جزيناه هؤلاء الأنبياء بإحسانهم نجزي كل محسن.

(٨٥) وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٦﴾ وَبِذِكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَنُوحًا وَكَوْنًا فَضْلَنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩١﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ قِطْعَةٌ قُلْ لَا آسَأُ لَكُمُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٤﴾

(٨٦) وهدينا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، وكل هؤلاء الرسل فضّلناهم على أهل زمانهم.

(٨٧) وكذلك وفقنا للحق من شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، واخترناهم لديتنا وإبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليهم، وأرشدناهم إلى طريق صحيح، لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك.

(٨٨) ذلك الهدى هو توفيق الله، الذي يوفق به من يشاء من عباده. ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا بالله - على سبيل الفرض والتقدير - لبطل علمهم، لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملاً.

(٨٩) أولئك الأنبياء الذين أعمتنا عليهم بالهداية والنبوّة هم الذين آتيناهم الكتاب كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى، وآتيناهم فهمّ هذه الكتب، واخترناهم لإبلاغ وحينا، فإن يمجّد - أيها الرسول - بآيات هذا القرآن الكفار من قومك، فقد وكلنا بها قوماً آخرين - أي: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة - ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بها تدل عليه.

(٩٠) أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فأتبع هدايم - أيها الرسول - واسلك سبيلهم. قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضاً من الدنيا، إن أجري إلا على الله، وما الإسلام إلا دعوة جميع الناس إلى الطريق المستقيم، وتذكير لكم ولكل من كان مثلكم، ممن هو مقيم على باطل، لعلكم تذكرون به ما ينفعكم.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِندَهُ مَائِدَةٌ تَعَامُوا أَنسَرُوا لَهُ أَبَا وَكَّةَ قُلِ اللَّهُ مُرْذِلُهُمْ فِي خُوضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابُكَ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكًا مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْتُمْ وَزَالَ ظُهُورُكُمْ وَمَن نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ الَّذِينَ رَعِمْتُمْ أَنفُسُكُمْ شُرَكَاؤُا لَّذِينَ لَقَدْ قَطَع بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ فَأَدْنَاهُمْ تُرَعْمُونَ ﴿٩٤﴾

(٩١) وما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه، إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئاً من وحيه. قل لهم - أيها الرسول - إذا كان الأمر كما تزعمون، فمن الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه نوراً للناس وهداية لهم؟ ثم توجه الخطاب إلى اليهود زجر لهم بقوله: تجعلون هذا الكتاب في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتُمون كثيراً منها، وما كتموه الإخبار عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وعلمكم الله معشر العرب بالقرآن - الذي أنزله عليكم، فيه خير من قبلكم ومن بعدكم، وما يكون بعد موتكم - ما لم تعلموه أنتم ولا آبائكم، قل: الله هو الذي أنزله، ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون.

(٩٢) وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - عظيم النفع، يشهد على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله، أنزلناه لنخوف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها. والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها.

(٩٣) ومن أشد ظلماً ممن اختلق على الله تعالى قولاً كذباً، فادّعى أنه لم يبعث رسولاً من البشر، أو ادّعى كذباً أن الله أوحى إليه ولم يُوحَ إليه شيئاً، أو ادّعى أنه قادر على أن ينزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنك أبصرت - أيها الرسول - هؤلاء المتجاوزين الحد وهم في أهوال الموت لرأيت أمراً هائلاً، والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسوله. (٩٤) ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة، وتركتهم وراء ظهوركم ما مكأنكم فيه مما تتباهون به من أموال في الدنيا، وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتدعون أنها شركاء مع الله في العبادة، لقد زال تواضعكم الذي كان بينكم في الدنيا، وذهب عنكم ما كنتم تدعون من أن اهتكم شركاء لله في العبادة، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهلكم وأموالكم.

(٩٥) إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع، ويشق النوى، فيخرج منه الشجر، يخرج الحي من الميت كالإنسان والحيوان مثلاً من النطفة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان، ذلكم الله أي: فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له المستحق للعبادة، فكيف تُصَرِّفون عن الحق إلى الباطل فتعبدون معه غيره؟

(٩٦) والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء الصباح من ظلام الليل، وجعل الليل مستقرًا، يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نصيبه من الراحة، وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، ذلك تقدير العزيز الذي عزَّ سلطانه، العلم بمصالح خلقه وتبدير شؤونهم. والعزيز والعليم من أساء الله الحسنى يدلان على كمال العزة والعلم.

(٩٧) والله سبحانه هو الذي جعل لكم أيها الناس النجوم علامات، تعرفون بها الطرق ليلاً إذا ضللتكم؛ بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر، قد بينا البراهين الواضحة؛ لتبديروها منكم وأولو العلم بالله وشرعه.

(٩٨) والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم أيها

﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَنْ هُوَ الْحَبُّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ٩٥ ﴿فَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٩٦ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآلَيْنِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآلَيْنِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٩٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْجًا مِنْهُ حَبًّا مَّا تَكْبَرُ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَنُوهُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٩٩ ﴿وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْإِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ١٠٠ ﴿يَدْعُ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضُ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٠١

الناس من آدم عليه السلام؛ إذ خلقه من طين، ثم كنتم سلالة ونسلاً منه، فجعل لكم مستقرًا تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ومستودعًا تحفظون فيه، وهو أصلاب الرجال، قد بينا الحجج وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع الحجج ومواضع العبر.

(٩٩) والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطراً فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعاً وشجراً أخضر، ثم أخرج من الزرع حباً يركب بعضه بعضاً، كسنبال القمح والشعير والأرز، وأخرج من طلع النخل -وهو ما تنشأ فيه عذوق الرطب- عذوقاً قريبة التناول، وأخرج سبحانه بساتين من أعناب، وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلاً وطعماً وطبعاً. انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم -أيها الناس- لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه.

(١٠٠) وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة؛ اعتقاداً منهم أنهم يفعلون أو يضررون، وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له. ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات؛ جهلاً منهم بما يجب له من صفات الكمال، تنزهه وعلا عما نسبوا إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء.

(١٠١) والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ تعالى الله عما يقول المشركون علواً كبيراً، وهو الذي خلق كل شيء من العدم، ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق.

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ الْإِلَهَ الْأَوْحَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ فَذَٰبَتْ كُفْرُ
بَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَنْصَرَفَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ عَنِ قَوْلِهِمْ
وَمَا أَنَا عَلَيْهِمْ بِحَفِيفٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَصْرَفُ الْأَلْبَابَ
وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ وَلِيَتَّبِعُنَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ أَتَسْمِعُ
مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَسَبِّحُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَعِيرٍ ۝ كَذَٰلِكَ رَزَقْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ لَنْ يَجَاءَهُمْ إِلَهٌ لَوْ مَشَاءَ
بِهَآءِ أَقْلٍ إِنَّمَا الْأَلْبَابُ عِنْدَ اللَّهِ وَعَمَّا شِعْرُكُمْ ۝ إِنَّمَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَتَقَلَّبَ أَقْبِدَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَكَذَٰلِكَ نَقُصُّهُمْ رِيعًا لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۝

(١٠٢) ذلکم - أيہا المشرکون - هو ربکم جل وعلا، لامعبود بحق سواہ، خالق کل شیء فانقادوا واخلعوا الہ بالطاعة والعبادة. وهو سبحانه علی کل شیء وکیل وحفیظ، یدبر أمور خلقہ.

(١٠٣) لا ترى الله الأبصار في الدنيا، أما في الدار الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم بغير إحاطة، وهو سبحانه يدرك الأبصار ويحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه، وهو اللطيف بأوليائه الذي يعلم دقائق الأشياء، الخير الذي يعلم بواطنها.

(١٠٤) قل - أيہا الرسول - لهؤلاء المشرکین: قد جاء تکم براہین ظاهرة تبصرون بها الهدى من الضلال، مما اشتمل علیہا القرآن، وجاء بها الرسول علیہ الصلاة والسلام، فمن تبين هذه البراهین وأمن بمدلولها فنفع ذلك لنفسه، ومن لم يبصر الهدى بعد ظهور الحجة علیہ فعل نفسه جنی، وما أنسا علیکم بحافظ أحصي أعمالکم، وإنسا أنا مبلغ، والله یدي من يشاء ويضل من يشاء وفق علمه وحكمته.

(١٠٥) وكما يتبين في هذا القرآن للمشرکین البراهین الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد نبين لهم البراهین في كل ما جعلوه فيقولون عند ذلك كذبا:

تعلمت من أهل الكتاب، ولنبين - بتصرفنا الآيات - الحق لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه، وهم المؤمنون برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه.

(١٠٦) اتبع - أيہا الرسول - ما أوحيناہ إليك من الأوامر والنواهي التي أعظمها توحيد الله سبحانه والدعوة إليه، ولا تبال بعناد المشرکین، وادعائهم الباطل.

(١٠٧) ولو شاء الله تعالى أن لا يشرك هؤلاء المشرکون لَمَا أَشْرَكُوا، لكنه تعالى علم بما سيكون من سوء اختيارهم واتباعهم أهواءهم المنحرفة. وما جعلناك - أيہا الرسول - علیهم رقيباً تحفظ علیهم أعمالهم، وما أنت بقیم علیهم تدبر مصالحهم.

(١٠٨) ولا تسبوا - أيہا المسلمون - الأوثان التي يعبدھا المشرکون - سداً للزريعة - حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلاً واعتداءً بغير علم. وكما حسناً هؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم على سوء اختيارهم، حسناً لكل أمة أعمالها، ثم إلى ربهم معادهم جميعاً فيخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم يجازيهم بها.

(١٠٩) وأقسم هؤلاء المشرکون بأيمان مؤكدة: لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقن بما جاء به، قل - أيہا الرسول -: إنما مجي المعجزات الخارقة من عند الله تعالى، هو القادر على المجيء بها إذا شاء، وما يدريكم أيہا المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدق بها هؤلاء المشرکون.

(١١٠) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، فنحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة، ونتركهم في تمردهم على الله متحيرين، لا يهتدون إلى الحق والصواب.

* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَكَةَ وَكَانَ مَعَهُمُ الْمَوْتَى وَحَمَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبَلَغُوا مَكَانَهُمُ الْيَوْمَ مَوْتًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ قَدْ زُهِرَ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَتَصْطَقِ إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضُوهُ وَلَيَقْبِرُوا مَا هُمْ بِمُقَرَّبُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّبَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَسْتَبِيعُونَ إِلَّا الْأَطْنَ وَإِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

(١١١) ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكان معهم الموتى وأحيينا لهم الموتى، فكلهم، وجعنا لهم كل شيء طلبوه فاعينوه مواجهة، لم يصدقوا بما دعوتهم إليه -أيها الرسول- ولم يعملوا به، إلا من شاء الله له الهداية، ولكن أكثر هؤلاء الكفار يجهلون الحق الذي جئت به من عند الله تعالى.

(١١٢) وكما ابتليناك -أيها الرسول- بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء -عليهم السلام- بأعداء من مردة قومهم وأعداء من مردة الجن، يلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زينوه بالباطل؛ ليغتر به سامعه، فيضل عن سبيل الله. ولو أراد ربك -جلّ وعلا- لحال بينهم وبين تلك العداوة، ولكنه الابتلاء من الله، فذعهم وما يختلقون من كذب وزور.

(١١٣) ولتمثيل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، ولتجبه أنفسهم، وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون. وفي هذا تهديد عظيم لهم.

(١١٤) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أغير الله إلهي وإلهكم أطلب حكماً بيني وبينكم،

وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبیناً فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟ وبنو إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علماً يقيناً أن هذا القرآن منزل عليك -أيها الرسول- من ربك بالحق، فلا تكونن من الشاكين في شيء مما أوحينا إليك.

(١١٥) وتمت كلمة ربك -وهي القرآن- صدقاً في الأخبار والأقوال، وعدلاً في الأحكام، فلا يستطيع أحد أن يبدل كلماتها الكاملة. والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، العليم ببواطن أمورهم وظواهرها.

(١١٦) ولو فرض -أيها الرسول- أنك أطعت أكثر أهل الأرض لأضلوك عن دين الله، ما يسيرون إلا على ما ظنوه حقاً بتقليدهم أسلافهم، وما هم إلا يظنون ويكذبون.

(١١٧) إن ربك هو أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد، وهو أعلم منكم ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد.

(١١٨) فكلوا من الذبائح التي ذُكر اسم الله عليها، إن كنتم براهين الله تعالى الواضحة مصدقين.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّنَا إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ
 لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَرَ
 سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
 يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْمِنُ
 إِلَى أُولِيَ الْبَهْمِ لِيَجْذُلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ دُورًا يَبْشَى بِهِ
 فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ
 رُبُّنَا لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
 فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
 يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ
 آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
 أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سُبُحَّ لِلَّذِينَ أُجْرِمُوا صَعَارًا
 عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

(١١٩) وأي شيء يمنعكم أيها المسلمون من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد بين الله سبحانه لكم جميع ما حُرِّم عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالميتة، فإنه مباح لكم. وإن كثيراً من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياءهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلاً منهم. إن ربك -أيها الرسول- هو أعلم بمن تجاوز حده في ذلك، وهو الذي يتولى حسابه وجزاءه.

(١٢٠) واتركوا -أيها الناس- جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سراً. إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم؛ بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات.

(١٢١) ولا تأكلوا -أيها المسلمون- من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح، كالهيئة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك، وإن الأكل من تلك الذبائح لخروج عن طاعة الله تعالى. وإن مَرَدَّ الجن لَيُلْقُونَ إلى أوليائهم من شياطين الإنس بالشبهات حول تحريم أكل

الميتة، فيأمرهم أن يقولوا للمسلمين في جدالهم معهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتلته الله، بينما تأكلون مما تذبحونه، وإن أطمعتموهم -أيها المسلمون في تحليل الميتة- فأنتم وهم في الشرك سواء.

(١٢٢) أومن كان ميتاً في الضلالة هالكاً حائراً، فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووفقناه لاتباع رسله، فأصبح يعيش في أنوار الهداية، كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مُحَلِّص له مما هو فيه؟ لا يستويان، وكما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم -أيها المؤمنون- فزيتت له سوء عمله، فرأه حسناً، زيتت للجاحدين أعمالهم السيئة؛ ليستوجبوا بذلك العذاب.

(١٢٣) ومثل هذا الذي حصل من زعماء الكفار في «مكة» من الصد عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يتزعمهم أكابرهم؛ ليمكروا فيها بالصد عن دين الله، وما يكيدون إلا أنفسهم، وما يُحْسِنُونَ بذلك.

(١٢٤) وإذا جاءت هؤلاء المشركين من أهل «مكة» حجة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعض كبرائهم: لن نصدق بنبوته حتى يعطينا الله من النبوة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين. فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته، أي: بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس. سينال هؤلاء الطغاة الذل، ولهم عذاب موجه في نار جهنم؛ بسبب كيدهم للإسلام وأهله.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا أَصْرُ رُطْبَةِ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يَتَعَفَّرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثَلُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي
بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَتَعَفَّرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
بِقُصُوفٍ عَلَيْكُمْ آيَاتِي يَنْذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا سَهْدًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

(١٢٥) فمن يشأ الله أن يوفقه لقبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان، ومن يشأ أن يضلّه يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قبول الهدى، كحال من يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في النفس. وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

(١٢٦) وهذا الذي بيّناه لك -أيها الرسول- هو الطريق الموصل إلى رضا ربك وجنته. قد بيّنا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة.

(١٢٧) للمتذكرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة، وهو سبحانه ناصرهم وحافظهم جزاء لهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة.

(١٢٨) واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأولياءهم من شياطين الجن فيقول: يا معشر الجن قد أضللتم كثيراً من الإنس، وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا

قد انتفع بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، وبلغنا الأجل الذي أَجَلْتَهُ لَنَا بانقضاء حياتنا الدنيا، قال الله تعالى لهم: النار مثواكم، أي: مكان إقامتكم خالدين فيها، إلا مَنْ شاء الله عدم خلوده فيها مِنْ عصاة الموحدين. إن ربك حكيم في تديبه وصنعه، عليم بجميع أمور عباده.

(١٢٩) وكما سَلَطْنَا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم، نَسَلَطْنَا الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا؛ بسبب ما يعملونه من المعاصي.

(١٣٠) أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم -وظاهر النصوص يدلُّ على أنَّ الرسل من الإنس فقط-، يخبرونكم بآيات الواضحة المشتملة على الأمر والنهي، وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الإنس والجن: شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِأَن رسلك قد بلغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، وخدعت هؤلاء المشركين زينة الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى ومكذبين لرسله عليهم السلام.

ذَٰلِكَ أَن لَّو يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكًا الْفَرَىٰ يَطْلُو وَأَهْلُهَا
 عَالِفُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُمْ مَا
 يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن دُرِيَّةٍ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
 إِن مَّا تَوْعَدُونَ لَأَن يَأْتِيَنَّهُم بَغْضَاءُ اللَّهِ وَلَئِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَبَاقِلُونَ ﴿١٣٤﴾ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتٍ
 كُورٍ إِنِّي عَامِلٌ فَمَا تَتْلَوْنَ مِّن تَكْوِينٍ لَهُ
 وَعَقِبُهُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
 فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِ وَهَٰذَا لِلشُّرَكَائِ
 إِنَّا فَنَّاكَانَ لَشُرِكَائِهِمْ فَلَا يُصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ
 لَهُ فِئَةٌ يَصِلُ إِلَى شُرِكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾
 وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُفْرِهِمُ الشُّرَكَاءَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءَهُمْ لَئِيْزُوهُمْ وَهُمْ لَا يَلْمِزُوهُمْ وَلَا يَلْمِزُوهُمْ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

(١٣١) إننا أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لئلا يؤاخذ أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

(١٣٢) ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلغه الله إياها، ويجازيه عليها. وما ربك - أيها الرسول - بغافل عما يعمل عباده.

(١٣٣) وربك - أيها الرسول - الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قوماً غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

(١٣٤) إن الذي يُوعِدكم به ربكم - أيها المشركون - من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجزوا ربكم هرباً، فهو قادر على إعادتكم، وإن صرتم تراباً وعظاماً.

(١٣٥) قل - أيها الرسول -: يا قوم اعملوا على طريقتكم فإني عامل على طريقتي التي شرعها لي ربي جل وعلا، فسوف تعلمون - عند حلول النعمة بكم - من الذي تكون له العاقبة الحسنة؟ إنه لا يفوز برضوان الله تعالى والجنة من تجاوز حده وظلم، فأشرك مع الله غيره.

(١٣٦) وجعل المشركون لله - جلَّ وعلا - جزءاً مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين، وجعلوا قسماً آخر من هذه الأشياء لشركائهم من الأوثان والأنصاب، فما كان مخصصاً لشركائهم فإنه يصل إليها وحدها، ولا يصل إلى الله، وما كان مخصصاً لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم. ينس حكم القوم وقسمتهم.

(١٣٧) وكما زين الشيطان للمشركين أن يجعلوا لله تعالى من الحرث والأنعام نصيباً، ولشركائهم نصيباً، زينت الشياطين لكثير من المشركين قتل أولادهم خشية الفقر؛ ليقعوا هؤلاء الآباء في الهلاك بقتل النفس التي حرم الله تناولها إلا بالحق، وليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه قدر ذلك لعلمه بسوء حالهم ومآلهم، فاتركهم - أيها الرسول - وشأنهم فيما يفترون من كذب، فسيحكم الله بينك وبينهم.

(١٣٨) وقال المشركون: هذه إبل وزرع حرام، لا يأكلها إلا من يأذنون له - حسب ادعائهم - من سدنة الأوثان وغيرهم.

وهذه إبل حُرِّمَتْ ظهورها، فلا يحمل ركوبها والحمل عليها بحالٍ من الأحوال.

وهذه إبل لا يذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شؤونها. ففعلوا ذلك كذباً منهم على الله، سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذبٍ عليه سبحانه.

(١٣٩) وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجنَّةٍ مباحٍ لرجالنا، ومحرمٍ على نساءنا، إذا ولد حياً، ويشتركون فيه إذا ولد ميتاً. سيعاقبهم الله إذ شرَّعوا لأنفسهم من التحليل والتحريم ما لم يأذن به الله. إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم.

(١٤٠) قد خسر وهلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحَرَّمُوا ما رزقهم الله كذباً على الله. قد بُعدوا عن الحق، وما كانوا

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّمَ جَبْرٌ لَا يَظَعْمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهُمْ وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَيرَةٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكُورِ بَنَاءٍ وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأُنثَى وَلَئِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ فَخَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتِ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآذِنُوا لَهُمْ حَصَادَهُ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمَنْ أَلْأَنعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

من أهل الهدى والرشاد. فالتحليل والتحريم من خصائص الألوهية في التشريع، والخلال ما أحله الله، والحرام ما حَرَّمه الله، وليس لأحدٍ من خلقه فرداً كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله.

(١٤١) والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأعشاب، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعاً طعمه، والزيتون والرمات متشابهاً منظره، ومختلفاً ثمره وطعمه. كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم قطفه وحصاده، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده بإنفاق المال في غير وجهه.

(١٤٢) وأوجد من الأنعام ما هو مهياً للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهياً لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقرة والغنم، كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام، ولا تحرموا ما أحلَّ الله منها اتباعاً لطرق الشيطان، كما فعل المشركون. إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

تَمْنِيَةَ أَرْوَجَ مِنْ أَضْأَانِ أَثْنَيْنِ وَمِنْ أَلْمَعِزِ أَثْنَيْنِ
 قُلْ ءَالِ الذِّكْرِ مِنْ حَرَمٍ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْأَ اسْتَحَلَّتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ يُنَوِّنِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾
 وَمِنْ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنْ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذِّكْرِ مِنْ
 حَرَمٍ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْأَ اسْتَحَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلَّ النَّاسَ يَغْيِرُ
 عِلْمُ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
 فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
 فِسْقًا أَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ اللَّهَ يَفْهَمُ أَصْطِرَعَةً بَاسِغًا وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
 كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنْ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَاصْدُقُونَ ﴿١٤٦﴾

(١٤٣) هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقرة والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكورا وإناثا، والمعز ذكورا وإناثا. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: هل حَرَّمَ الله الذكريين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك؛ لأنهم لا يحرّمون كل ذكر من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّمَ الله الأنثيين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضا؛ لأنهم لا يحرّمون كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّمَ الله ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الحمل؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضا؛ لأنهم لا يحرّمون كل حبل من ذلك، خبروني بعلم يدل على صحة ما ذهبتم إليه، إن كنتم صادقين فيما تنسبونوه إلى ربكم.

(١٤٤) والأصناف الأربعة الأخرى: هي اثنان من الإبل ذكورا وإناثا، واثنان من البقرة ذكورا وإناثا. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين:

أَحَرَّمَ الله الذكريين أم الأنثيين؟ أم حَرَّمَ ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ذكورا وإناثا؟ أم كنتم أيها المشركون حاضرين، إذ وصاكم الله بهذا التحريم للأنعام؟ فلا أحد أشد ظلما ممن اختلق على الله الكذب؛ ليصرف الناس بجهله عن طريق الهدى. إن الله تعالى لا يوفق للرشد من تجاوز حده، فكذب على ربه، وأضل الناس.

(١٤٥) قل -أيها الرسول-: إني لا أجِدُ في ما أوحى الله إليّ شيئا محرما على من يأكله ما تذكرون أنه حَرَّمَ من الأنعام، إلا أن يكون قد مات بغير تذكية، أو يكون دما مرفقا، أو يكون لحم خنزير فإنه نجس، أو الذي كانت ذكاته خروجا عن طاعة الله تعالى؛ كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح. فمن اضطر إلى الأكل من هذه المحرمات؛ بسبب الجوع الشديد غير طالب بأكله منها تلذذا، ولا يتجاوز حد الضرورة، فإن الله تعالى غفور له، رحيم به. وقد ثبت -فيما بعد- بالسنّة تحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلّب من الطير، والحمر الأهلية، والكلاب.

(١٤٦) واذكر -أيها الرسول- هؤلاء المشركين ما حَرَّمنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعّام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما علق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الآلية والجنب ونحو ذلك. ذلك التحريم المذكور على اليهود عقوبة منّا لهم بسبب أعمالهم السيئة، وإنّا لصادقون فيما أخبرنا به عنهم.

(١٤٧) فإن كذبك - أيها الرسول - مخالفوك من المشركين واليهود، وغيرهم، فقل لهم: ربكم جل وعلا ذو رحمة واسعة، ولا يُدفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتمبوا الذنوب، واجترأوا السيئات. وفي هذا تهديد لهم لمخالفتهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١٤٨) سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك - نحن وأبائنا - وأن لا نحرّم شيئاً من دونه ما فعلنا ذلك، وردّ الله عليهم بيان أن هذه الشبهة قد أثارها الكفار من قبلهم، وكذبوا بها دعوة رسلهم، واستمرّوا على ذلك، حتى نزل بهم عذاب الله. قل لهم - أيها الرسول -: هل عندكم - فيما حرّمتم من الأنعام والحرم، وفيما زعمتم من أن الله قد شاء لكم الكفر، ورضيه منكم وأحبّه لكم - من علم صحيح فظفروه لنا؟ إن تتبعون في أمور هذا الدين إلا مجرد الظن، وإن أنتم إلا تكذبون.

(١٤٩) قل - أيها الرسول - لهم: فله جل وعلا

إِن كَذَّبُوا فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٨﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا خَفْضُؤُنَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شَهِدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيهَمُ يَعْدِلُونَ ﴿١٥١﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَنْتَرَاءُ كُفُوا بِهِمْ شَيْئًا وَلَا وَلِدِينَ إِحْسِنُوا وَلَا تَقْسُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلِي تَحْنُ تَزِرُ وَرَيْكَمُ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْسُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾

الحجة الفاطمة التي يقطع بها ظنونكم، فلو شاء لوفّقكم جميعاً إلى طريق الاستقامة.

(١٥٠) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرّم ما حرّمتم من الحرث والأنعام، فإن شهدوا - كذباً وزوراً - فلا تصدّقهم، ولا توافق الذين حكموا أهواءهم، فكذبوا بآيات الله فيها ذهبوا إليه من تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، والذين هم بربهم يشركون فيعبدون معه غيره.

(١٥١) قل - أيها الرسول - لهم: تعالوا أتْل ما حرّم ربكم عليكم: أن لا تشركوا معه شيئاً من مخلوقاته في عبادته، بل اصرفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان، ولا تقتلوا أولادكم من أجل فقر نزل بكم؛ فإن الله يرزقكم وإياهم، ولا تقربوا ما كان ظاهراً من كبير الآثام، وما كان خفياً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وذلك في حال القصاص من القاتل، أو الزنى بعد الإحصان، أو الردة عن الإسلام، ذلك المذكور مما نهاكم الله عنه، وعهد إليكم باجتنابه، ومما أمركم به، وصّاكم به ربكم؛ لعلكم تعقلون أوامر ونواهيه.

(١٥٢) ولا تقربوا إليها الأوصياء مال من مات أبوه وهو صغير إلا بالخال التي تصلح بها أمواله ويتنفع بها، حتى يصل إلى سن البلوغ ويكون راشداً، فإذا بلغ ذلك فسلموا إليه ماله، وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء. وإذا بذلتم جهدكم فلا حرج عليكم فيها قد يكون من نقص، لا تكلف نفساً إلا وسعها. وإذا قلتم فنجروا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تملوا معه بغير حق، وأوفوا بما عهد الله به إليكم من الالتزام بشريعته. ذلكم المثلؤا عليكم من الأحكام، وصاكم به ربكم؛ رجاء أن تذكروا عاقبة أمركم.

(١٥٣) ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فاسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم. ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ لتتقوا عذابه بفعل أو أمره، واجتناب نواهيه.

(١٥٤) ثم قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي أتى موسى التوراة تماماً لنعمته على المحسنين من أهل ملته، وتفصيلاً لكل شيء من أمور دينهم، وهدى ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم؛ رجاء أن يصدقوا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، ويعملوا لذلك.

(١٥٥) وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خيره كثير فاتبعوه فيها بأمر به وينهى عنه، واتقوا الله أن تخالفوا له أمراً؛ رجاء أن ترحوا فتتجوا من عذابه، وتظفروا بثوابه.

(١٥٦) وأنزلنا هذا القرآن؛ لتلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنما أنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى، وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة.

(١٥٧) ولتلا تقولوا -أيها المشركون-: لو أننا أنزل علينا كتاب من السماء، كما أنزل على اليهود والنصارى، لكننا أشد استقامة على طريق الحق منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة من ربكم وإرشاد إلى طريق الحق، ورحمة لهذه الأمة. فلا أحد أشد ظلياً وعدواناً ممن كذب بحجج الله تعالى وأعرض عنها!! فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقاباً شديداً في نار جهنم؛ بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصدهم عن سبيلنا.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعٍ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ لَا تَقْصُطُوا لَكُمْ أَنْفُسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا وَلَوْ كُنْتُمْ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْتَدِ
اللَّهُ أُولَٰئِكَ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ إِنَّا مَوْسَىٰ الْكَتَبَ شَامَا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ يُلْقَاهَا
رَبُّهُمْ فُتُورُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرِكًا فَأَتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَلَمْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ
الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ سِجْنَهُ لَأَعْفِفِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَاحِرِ الْإِن
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(١٥٨) هل ينتظر الذين أعرضوا وصدّوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوّاهه لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عبادة يوم القيامة، أو يأتي بعض أشرار الساعة وعلاميات الدالة على مجيئها، وهي طلع الشمس من مغربها؟ فحين يكون ذلك لا ينفع نفساً إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل، ولا يقبل منها إن كانت مؤمنة كُتِبَ عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: انتظروا مجيء ذلك؛ لتعلموا المحق من المبطل، والمسيء من المحسن، إنا منتظرون ذلك.

(١٥٩) إن الذين فَرَقُوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فِرْقاً وأحزاباً، إنك -أيها الرسول- بريء منهم، إننا حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

(١٦٠) من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها، ومن

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِكَ رَبُّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءِامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَسَلَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِنْ جَلَاءِ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا قِيلَ إِنِّي هَدَيْتُ خَلِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُفْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْبِرَ اللَّهُ أَمْرِي رُبَّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهَا تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة.

(١٦١) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته، وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره.

(١٦٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن صلاتي، ونسكي، وأي: ذبحي لله وحده، لا للأصنام، ولا للاموات، ولا للجن، ولا لغير ذلك مما تذببحونه لغير الله، وعلى غير اسمه كما تفعلون، وحياتي وموتي لله تعالى رب العالمين.

(١٦٣) لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسماؤه وصفاته، وبذلك التوحيد الخالص أمرني ربي جل وعلا، وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة.

(١٦٤) قل -أيها الرسول-: أغير الله أطلب إلهاً، وهو خالق كل شيء ومالكة ومدبره؟ ولا يعمل أي إنسان عملاً سيئاً إلا كان إثم عليه، ولا تحمل نفس أثمة إنم نفس أخرى، ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين.

(١٦٥) والله سبحانه هو الذي جعلكم تختلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها؛ لتعمروها بعدهم بطاعة ربكم، ورفع بعضهم في الرزق والقوة فوق بعض درجات؛ ليلبواكم فيها أعطاكم من نعمه، فيظهر للناس الشاكر من غيره. إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه، وإنه لغفور لمن آمن به وعمل صالحاً وتاب من الموبقات، رحيم به، والغفور والرحيم إسمان كريهان من أسماء الله الحسنى.

﴿سورة الأعراف﴾

(١) ﴿الْمَصِّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول- فلا يكن في صدرك شك منه في أنه أنزل من عند الله، ولا تتحرج في إبلاغه والإنذار به، أنزلناه إليك؛ لتخوف به الكافرين وتذكر المؤمنين.

(٣) اتبعوا -أيها الناس- ما أنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء كالشياطين والأخبار والرهبان. إنكم قليلاً ما تتعظون وتعتبرون، فترجعون إلى الحق.

(٤) وكثير من القرى أهلكتنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة، فجاءهم عذابنا مرة وهم نائمون ليلاً، ومرة وهم نائمون نهاراً. وخصَّ الله هذين الوقتين بالذكر؛ لأنها وقتان للسكون والاستراحة، فمجيء العذاب فيها أفظع وأشد.

(٥) فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم.

(٦) فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم المرسلون: ماذا أجبتهم رسلنا إليكم؟ ولنسألن المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعمّا أجابتهم به أمهم.

(٧) فلنقصن على الخلق كلهم ما عملوا بعلمنا لأعمالهم في الدنيا فيما أمرناهم به، وما نهيناهم عنه، وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال.

(٨) ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه، فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته- فأولئك هم الفائزون.

(٩) ومن خفَّت موازين أعماله -لكثرة سيئاته- فأولئك هم الذين أضاعوا حظهم من رضوان الله تعالى؛ بسبب تجاوزهم الحد بجمد آيات الله تعالى وعدم الانقياد لها.

(١٠) ولقد مكنا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قراراً لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب، ومع ذلك فشركم لنعم الله قليل.

(١١) ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صورناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق، ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكراماً واحتراماً وإظهاراً لفضل آدم- فسجدوا جميعاً، لكن إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لأدم؛ حسداً له على هذا التكريم العظيم.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ۝ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ ۚ وَذِكْرُنَا لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ ۚ أُولَٰئِكَ قَلِيلٌ ۚ مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ وَكَرِهْنَا قَوْمًا أَهْلَكَ نَارُ فَجَاءَ هَٰؤُلَاءِ بِأَسْبَابِنَا ۚ أَوْ هُم قَائِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْبَابِنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّكُم مَّا ظُلُمْتُمْ ۚ فَلَمَّا عَلَنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَسْتَنَّا الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشٌ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ فَرُصُورًا ۚ لَّكُم مِّنْهُ فَكُلُوا وَلَٰكِنَّ الْبُلَّغَ كَثِيرٌ ۖ سَجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَّمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝

(١٢) قال تعالى منكراً على إبليس ترك السجود: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقاً؛ لأنني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين. فرأى أن النار أشرف من الطين.

(١٣) قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تكبر فيها، فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الخقيرين.

(١٤) قال إبليس لله - جل وعلا - حينئذ يس من رحمتي: أمهلني إلى يوم البعث، وذلك لأتمكن من إغواء من أقدر عليه من بني آدم.

(١٥) قال الله تعالى: إنك ممن كتبت عليهم تأخير الأجل إلى النفخة الأولى في «القرن»، إذ يموت الخلق كلهم.

(١٦) قال إبليس لعنه الله: فبسبب ما أضللتني لأجتهد في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدتهم عن الإسلام الذي فطرهم عليه.

(١٧) ثم لأتبعهم من جميع الجهات والجوانب، فأصدهم عن الحق، وأحسن لهم الباطل، وأرغبهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك.

(١٨) قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَهُمْ لَا يَحِصُّونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّهُمْ لَمِنْ أَكْثَرِ ضَلُوفٍ شَاكِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا مُدْرِكًا لَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا مَعِيَّةٌ وَلَمْ أَلَاحِظْ فِيهَا جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾ وَيَتَادَمَّرُ اسْئَلُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ إِيْمَانِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبِّي كَمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢١﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنْ لَكُمْ مِنَ النَّجْمِينَ ﴿٢٢﴾ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾

معموتاً مطروداً، لأملاً أن جهنم منك ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

(١٩) وبما آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلاً من ثارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة (عنيها) لها، فإن فعلتما ذلك كنتما من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

(٢٠) فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعها في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها؛ لتكون عاقبتها انكشاف ما ستر من عوراتهما، وقال لهما في محاولة المكر بهما: إننا نهاكما ربكما عن الأكل من ثمر هذه الشجرة من أجل أن لا تكونا ملكين، ومن أجل أن لا تكونا من الخالدين في الجنة.

(٢١) وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك.

(٢٢) ففجرهما وغرهما، فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، فلما أكلا منها انكشفت لهما عوراتهما، وزال ما سترهما الله به قبل المخالفة، فأخذا يلزقان بعض ورق الجنة على عوراتهما، وناداهما ربهما جل وعلا: ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟ وفي هذه الآية دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور، وأنه كان ولم يزل مستهجنًا في الطباع، مستهجنًا في العقول.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّنَ تَقْوَىٰ لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
 تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
 لِبَاسًا يُبَازِي سَوَاءَ تَكُونُ رَيْشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
 ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ
 الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
 لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَقِيهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ كَمَا هُوَ وَقِيلَ لَهُ مِنْ
 حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قَعَلُوا فَتْحَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّأْوَىٰ إِلَيْهِ أَمْرًا
 بِهِ أَقْلُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
 ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
 وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
 فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا
 الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

(٢٣) قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكـل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظهم في دنياهم وأخرهم. وهذه الكلمات هي التي تلقاها آدم من ربه، فدعا بها فتاب الله عليه.

(٢٤) قال تعالى مخاطباً آدم وحواء وإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوًّا، ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه، وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

(٢٥) قال الله تعالى لأدم وحواء وذريتهما: فيها تحيون، أي: في الأرض تقضون أيام حياتكم الدنيا، وفيها تكون وفاتكم، ومنها يخرجكم ربكم، ويحشركم أحياء يوم البعث.

(٢٦) يا بني آدم قد جعلنا لكم لباساً يستر عورتكم، وهو لباس الضرورة، ولباساً للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم. ولباس تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي من الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده؛ لكي تتذكروا هذه النعم، فتشكروا الله عليها. وفي ذلك امتنان من الله تعالى على خلقه بهذه النعم.

(٢٧) يا بني آدم لا يخذلكنكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زينها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنها لباسها الذي سترهما الله به؛ لتتكشف لها عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إننا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه.

(٢٨) وإذا أتى الكفار قبيحاً من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم، وأنه مما أمر الله به. قل لهم -أيها الرسول-: إن الله تعالى لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئها، اتقوا الله، اتقوا الله على الله -أيها المشركون- ما لا تعلمون كذباً وافتراءً؟

(٢٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل، وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد، وأن تدعوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وأن تؤمنوا بالبعث بعد الموت. وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

(٣٠) جعل الله عباده فريقين: فريقاً وفقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقاً وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم؛ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلاً منهم، وظناً بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

(٣١) يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب، وغير ذلك.

(٣٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء الجهلة من المشركين: من الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومن الذي حرم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟ قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركون فيها غيرهم، خالصة لهم يوم القيامة. مثل ذلك التفصيل يفصل الله الآيات لقوم يعلمون ما بين لهم، ويفقهون ما يميز لهم.

(٣٣) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إننا حرم الله القبايح من الأعمال، ما كان منها ظاهراً، وما كان خفياً، وحرم المعاصي كلها، ومن أعظمها الاعتداء على الناس، فإن ذلك

مجانِب للحق، وحرم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُنزل به دليلاً وبرهاناً، فإنه لا حجة لفاعل ذلك، وحرم أن تنسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرع افتراءً وكذباً، كدعوى أن الله ولد، وتحريم بعض الحلال من الملابس والمأكُل.

(٣٤) ولكل جماعة اجتمعت على الكفر بالله تعالى وتكذيب رسله -عليهم الصلاة والسلام- وقت لحلول العقوبة بهم، فإذا جاء الوقت الذي وقَّته الله لإهلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه.

(٣٥) يا بني آدم إذا جاءكم رسلي من أقوامكم، يتلون عليكم آيات كتابي، ويبينون لكم البراهين على صدق ما جاؤكم به فأطيعوهم، فإنه من اتقى سخطي وأصلح عمله فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يجزون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٣٦) والكفار الذين كذبوا بالذلائل على توحيد الله، واستعلوا عن اتباعها، أولئك أصحاب النار ماكثين فيها، لا يخرجون منها أبداً.

(٣٧) لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذب بآياته المنزل، أولئك يصل إليهم حُظُّهم من خير وشر في الدنيا مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقضون أرواحهم قالوا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الشركاء والأولياء والأوثان ليخلصوكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا عنا، واعترفوا على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا في الدنيا جاحدين مكذِبين وحادِثين الله تعالى.

(٣٨) قال الله تعالى -هؤلاء المشركين للمفترين:-
ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في
الكفر، قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس،
كلما دخلت النار جماعة من أهل ملّة لعنت
نظيرتها التي ضلّت بالافتداء بها، حتى إذا
تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة
والآخرون منهم جميعاً، قال الآخرون التابعون
في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا
عن الحق، فاتهم عذاباً مضاعفاً من النار، قال
الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم
عذاب مضاعف من النار، ولكن لا تدركون
أبها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب
والآلام.

(٣٩) وقال المتبوعون من الرؤساء وغيرهم
لاتباعهم: نحن وأنتم متساوون في العسي
والضلال، وفي فعل أسباب العذاب فلا فضل
لكم علينا، قال الله تعالى لهم جميعاً: فذوقوا
العذاب أي عذاب جهنم؛ بسبب ما كسبتم من
المعاصي.

(٤٠) إن الكفار الذين لم يصدقوا بحججنا

وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبراً واستعلاء، لا تفتح لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند الممات
أبواب السماء، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل. ومثل ذلك
الجزء نجزي الذين كثر إصرارهم، واشتد طغيانهم.

(٤١) هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم من جهنم فراش من تحتهم، ومن فوقهم غطية تغشاهم. وبمثل هذا العقاب
الشديد يعاقب الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده وكفروا به وعصوه.

(٤٢) والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة في حدود طاقاتهم -لا يكلف الله نفساً من الأعمال إلا ما تطيق- أولئك
أهل الجنة، هم فيها ما كانوا أبدأ لا يخرجون منها.

(٤٣) وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت
غرفهم ومنازلهم. وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم،
وما كنا لنوفق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أن هدانا الله سبحانه لسلك هذا الطريق، وفقنا للثبات عليه، لقد جاءت
رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعد أهل طاعته ووعد أهل معصيته، وتوعدوا تهتة لهم وإكراماً: أن تلكم الجنة أورثكم الله
إياها برحمته، وبما قدّمتموه من الإيمان والعمل الصالح.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا مُضَاعَفًا إِنَّ النَّارَ قَالَتْ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَتَعْمَلُنَّ
﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاقِيَ الْجَمْلُ فِي سِيرة الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ
يَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
وَكَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ يُجْزِي
مِنْ نَجْمِهِمْ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
وَتُورِدُونَ أَنْ تَكُونَ الْجَنَّةُ أَوْرَثَتْهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُوقُونَ عِوَجَ وَهْمٍ بِالْآخِرَةِ كُفْرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَزِدْهُمْ لُحُوقًا وَهُمْ يَصْطَعِقُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُفِّتِ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَعَلُهُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلُوا لَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا بِنَا لَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَهْمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا لَوْ كُنَّا نَدَّبُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

(٤٤) ونادى أصحاب الجنة -بعد دخولهم فيها- أهل النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة رسله حقاً من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على السنة رسله حقاً من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. فأذن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أن لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله.

(٤٥) هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضُونَ عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد، وهم بالآخرة -وما فيها- جاحدون.

(٤٦) وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كلباس وجوه أهل الجنة، وسواد وجوه أهل النار، وهؤلاء الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. ونادى رجال

الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها.

(٤٧) وإذا حُوكَّتْ أَبْصَارُ رجال الأعراف جهة أهل النار قالوا: ربنا لا تُصَيِّرْنَا مع القوم الظالمين بشركم وكفرهم.

(٤٨) ونادى أهل الأعراف رجالاً من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم، قالوا لهم: ما نفعلكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعلكم استعلاؤكم عن الإيثار بالله وقبول الحق.

(٤٩) هؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملمهم يوم القيامة برحمة، ولن يدخلهم الجنة؟ ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم، لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

(٥٠) واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفِضُوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّمَ الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيدَه، وكذبوا رسله.

(٥١) الذين حَرَّمَهم الله تعالى من نعيم الآخرة هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله بالتباعد لهوً وباطلاً، وخدعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزيارتها عن العمل للآخرة، فيوم القيامة ينسأهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموحج، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْغَمْرُ يَوْمَ يَقُولُ الَّذِينَ سَبَّوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَسَيَقُولُوا أَوَلَمْ نَكُنْ مَعَهُمْ قَبْلَ هَذَا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٣﴾ كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْنِي أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَبِيبَاتُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْجُودُ مُسْتَخَرَاتُ يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَخْلُقْنَ وَيَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَنْبَرْنَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ أَذْعُورَ رَبِّكُمْ فَضَرْعًا وَخَفِيَةً إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمَغْنَمَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا لِّبَنَاتٍ يَتَذَكَّرْنَ فِيهَا مَا كَانُوا تُفْسِدُونَ ﴿٥٨﴾ وَسَوَاءٌ أَمَرَ بِالْعَلَاءِ أَمْ لَمْ يُأْمُرْ بِهِ مِنْ قَبْلُ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْغَوْثِ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

(٥٢) ولقد جئنا الكفار بقرآن أنزلناه عليك -أيها الرسول- بيناه مشتملاً على علم عظيم، هادياً من الضلالة إلى الرشاد ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشره. وخصهم بالذكر دون غيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون به.

(٥٣) هل ينتظر الكفار إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟ يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا: قد تبين لنا الآن أن رسل ربنا قد جاؤوا بالحق، ونصحوا لنا، فهل لنا من أصدقاء وشفعاء، فيشفعوا لنا عند ربنا، أو نعاد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟ قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله، ويفترون في الدنيا ما يعبدونه به الشيطان.

(٥٤) إن ربكم -أيها الناس- هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام، ثم استوى -سبحانه- على العرش -أي:

-علا وارتفع- استواءً يليق بجلاله وعظمته، يُدخل سبحانه الليل على النهار، فيلبسه إياه حتى يذهب نوره، ويدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعاً دائماً، وهو -سبحانه- الذي خلق الشمس والقمر والنجوم مذلللات له يسخرهن -سبحانه- كما يشاء، وهنَّ من آيات الله العظيمة. ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله، تعالى الله وتعاضم وتزه عن كل نقص، ربُّ الخلق أجمعين.

(٥٥) ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسراً، وليكن الدعاء بخشوع وبُعد عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه، وأعظم التجاوز الشرك بالله، كدعاء غير الله من الأموات والأوثان، ونحو ذلك.

(٥٦) ولا تفسدوا في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها بيعة الرسل -عليهم السلام- وعُمرانها بطاعة الله، وادعوه -سبحانه- مخلصين له الدعاء؛ خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه. إن رحمة الله قريب من المحسنين.

(٥٧) والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة بمشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله، حتى إذا حلت الريح السحاب المحمل بالمطر ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أجذبت أرضه، وبست أشجاره وزرعه، فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلاً والأشجار والزرع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات. كما نحيي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم؛ لتتظأوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث.

(٥٨) والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تخرج نباتاً - بإذن الله ومشيتته - طيباً مسراً، وكذلك المؤمن إذا نزلت عليه آيات الله انتفع بها، وأثمرت فيه حياة صالحة، أما الأرض السبخة الرديئة فإنها لا تخرج النبات إلا عسراً رديئاً لا نفع فيه، ولا تخرج نباتاً طيباً، وكذلك الكافر لا يتنفع بآيات الله. مثل ذلك التنوع البديع في البيان نُسج الحجاج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه.

(٥٩) لقد بعثنا نوحاً إلى قومه؛ ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وإخلاص العباداة له، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، واخضعوا له بالطاعة، ليس لكم من إله يستحق العباداة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العباداة، فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أوثانكم، فإني أخاف أن يحلّ عليكم عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم، وهو يوم القيامة.

(٦٠) قال له سادتهم وكبرؤاؤهم: إنا لنعتقد - يا نوح - أنك في ضلال بين عن طريق الصواب.

(٦١) قال نوح: يا قوم لست ضالاً في مسألة من

وَالْبَلَدُ الظُّلُمُ يَخْرُجُ بَنَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْذِبًا ۚ كَذَلِكَ نَصْرُفُ الْقَوْمَ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ وَإِنِ اتَّخَذْتُمْ عَلَىٰكُمْ عَذَابًا يُعْظِمُ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَائِكَةُ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ ۖ وَإِنَّا لَظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

المسائل بوجه من الوجوه، ولكني رسول من رب العالمين ربي وربكم وجميع الخلق.

(٦٢) أبلغكم ما أرسلت به من ربي، وأنصح لكم محذراً لكم من عذاب الله ومبشراً بوابه، وأعلم من شريعته ما لا تعلمون.

(٦٣) وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بها فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوفكم بأس الله تعالى وعقابه، ولتتقوا بسخطه بالإيمان به، ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟

(٦٤) فكلذبوا نوحاً فأنجيناه ومن آمن معه في السفينة، وأغرقتنا الكفار الذين كذبوا بحجبتنا الواضحة. إنهم كانوا عُمي القلوب عن رؤية الحق.

(٦٥) ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هوداً حين عبدوا الأوثان من دون الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العباداة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العباداة، أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟

(٦٦) قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقص العقل، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

(٦٧) قال هود: يا قوم ليس بي نقص في عقلي، ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين.

(٦٨) أبلغكم ما أرسلني به ربي إليكم، وأنا لكم - فيما دعوتكم إليه من توحيد الله والعمل بشريعته - ناصح، أمين على وحي الله تعالى.

(٦٩) وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوفكم بأس الله وعقابه؟ واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض من قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح، وزاد في أجسامكم قوة وضخامة، فاذكروا نعم الله الكثيرة عليكم؛ رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

(٧٠) قالت عاد هود عليه السلام: أدعوتنا لعبادة الله وحده وهجر عبادة الأصنام التي ورثنا عبادتها عن آبائنا؟ فأنتنا بالعذاب الذي نخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول.

(٧١) قال هود لقومه: قد حلّ بكم عذاب وغضب من ربكم جل وعلا، أتجادلونني في هذه الأصنام التي سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم؟

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيَذُرَكُمْ
وَأَذَكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً فَأَذْكُرُواْ آلَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
٦٩ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا فَأَمِّتْنَا بِمَا عَدْنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٧٠
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظِبٌ
أَجْدَلُ يُؤَنِّتِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُواْ إِلَىٰ مَعَكُمْ مِّنَ
الْمُتَشَبِّهِينَ ٧١ فَانجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ
٧٢ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُواْ عِبَادُ اللَّهِ
مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَةً فَاخَذَكُمْ عَذَابُ إِلَهِهِ ٧٣

ما نزل الله بها من حجة ولا برهان؛ لأنها مخلوقة لا تضر ولا تنفع، وإنما المعبود وحده هو الخالق سبحانه، فانظروا نزول العذاب عليكم فإني منتظر معكم نزوله، وهذا غاية في التهديد والوعيد.

(٧٢) فوقع عذاب الله بإرسال الريح الشديدة عليهم، فأنتجى الله هوداً والذين آمنوا معه برحمة عظيمة منه تعالى، وأهلك الكفار من قومه جميعاً ودمرهم عن آخرهم، وما كانوا مؤمنين لجمعهم بين التكذيب بآيات الله وترك العمل الصالح.

(٧٣) ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً لئلاّ عبدوا الأوثان من دون الله تعالى، فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جئتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه، إذ دعوت الله أمامكم، فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألتهم، فتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجه.

وَأَذْكُرُ رِوَاً إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَّخِثُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَعَتَّوْنَ فِي
الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنْ صَلَحَ مَا رُسِلَ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا إِنَّا لَنَدِي
ءَ آمَنْتُمْ بِهِ كَكُفْرُونِ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا وَعَدْنَا إِن كُنْتُمْ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُثَيِّمٍ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَافُورُوا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ
﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْجَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

(٧٤) واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم
تُخْلِفُونَ في الأرض من قبلكم، من بعد قبيلة
عاد، ومكن لكم في الأرض الطيبة تنزلونها،
فتبنون في سهولها البيوت العظيمة، وتحتون
من جبالها بيوتاً أخرى، فاذكروا يسم الله
عليكم، ولا تتعوا في الأرض بالفساد.

(٧٥) قال السادة والكبراء من الذين استعلوا -
من قوم صالح - للمؤمنين الذين استضعفوا،
واستهانوا بهم: أتعلمون حقيقة أن صالحاً قد
أرسله الله إلينا؟ قال الذين آمنوا: إنا مصدقون
بما أرسله الله به، متبعون لشريعته.

(٧٦) قال الذين استعلوا: إنا بالذي صدقتم به
واتبعتموه من نبوة صالح جاحدون.

(٧٧) فنحروا الناقة استخفافاً منهم بوعيد
صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا
على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا
صالح اتنا بما تتوعدنا به من العذاب، إن كنت
من رسل الله.

(٧٨) فأخذت الذين كفروا الزلزلة الشديدة التي خلعت قلوبهم، فأصبحوا في بلدتهم هالكين، لاصقين بالأرض على
رُكَبِهِمْ ووجوههم، لم يُقِلَّتْ منهم أحد.

(٧٩) فأعرض صالح عليه السلام عن قومه - حين عقروا الناقة وحلَّ بهم الهلاك - وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني
ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبَدَلْتُ لَكُمْ وسعي في التَّوْبَةِ والنَّصِيح، ولكنكم لا تحبون النَّاصِحِينَ، فرددتهم
قوتهم، وأطعتم كل شيطان رجيم.

(٨٠) واذكر - أيها الرسول - لو طأ عليه السلام حين قال لقومه: أنفعلون الفعل المُنْكَرَةَ التي بلغت نهاية القبح؟ ما فعلها
من أحد قبلكم من المخلوقين.

(٨١) إنكم لتأتون الذكور في أبارهم، شهوة منكم لذلك، غير مباليين بقبحها، تاركين الذي أحله الله لكم من نساءكم،
بل أنتم قوم متجاوزون لحدود الله في الإسراف. إن إتيان الذكور دون الإناث من الفواحش التي ابتدعها قوم لوط، ولم
يسبقهم بها أحد من الخلق.

(٨٢) وما كان جواب قوم لوط حين أنكر عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهله من بلادكم؛ إنه ومن تبعه أناس ينتظرون عن إتيان أبنار الرجال.

(٨٣) فأنجي الله لوطاً وأهله من العذاب حيث أمره بمغادرة ذلك البلد، إلا امرأته، فإنها كانت من المالكين الباقيين في عذاب الله.

(٨٤) وعذب الله الكفار من قوم لوط بأن أنزل عليهم مطراً من الحجارة، وقلب بلادهم، فجعل عاليها سافلها، فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجتروا على معاصي الله وكذبوا رسله.

(٨٥) ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدين» أخاهم شعيباً عليه السلام، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جاءكم برهان من ربكم على صدق ما أدعوكم إليه، فادعوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل

والميزان، ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام. ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيّ فيها دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله.

(٨٦) ولا تقعدوا بكل طريق تنوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم، وتصدّون عن سبيل الله القويم من صدق به عز وجل، وعمل صالحاً، وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة، وتميلونها اتباعاً لأهوائكم، وتفترقون الناس عن اتباعها. واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلاً فكثركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض، وما حلّ بهم من الهلاك والدمار؟

(٨٧) وإن كان جماعة منكم صدّقوا بالذي أرسلني الله به، وجماعة لم يصدّقوا بذلك، فانظروا أيها المكذبون قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم حين يحلّ عليكم عذابه الذي أنذرتكم به. والله -جلّ وعلا- هو خير الحاكمين بين عباده.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّبْطِئُونَ^(٨٢) فَإِن جِئْتُهُمْ^(٨٣) وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ^(٨٤) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَّظَرُوا^(٨٥) كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ^(٨٦) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ^(٨٧) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا غَوًى وَادْكُرُوا^(٨٨) إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ^(٨٩) وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ^(٩٠) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ^(٩١)

(٨٨) قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام: لنخرجنك يا شعيب ومن معك من المؤمنين من ديارنا، إلا إذا صرتم إلى ديننا، قال شعيب - منكرأ ومتعجباً من قولهم -: أتناهبكم على دينكم وملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعللنا بطلانها؟

(٨٩) وقال شعيب لقومه مستدركاً: قد اختلفنا على الله الكذب إن عُدنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه، وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا إلا أن يشاء الله ربنا، وقد وسع ربنا كل شيء علماً، فيعلم ما يصلح للعباد، على الله وحده اعتمادنا هداية ونصرة، ربنا أحكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

(٩٠) وقال السادة والكبراء المكذبون الرافضون لدعوة التوحيد إمعاناً في العتو والتمرد، محذرين من اتباع شعيب: لئن اتبعت شعيباً إنكم إداً لها لكون.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِيْ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ لَنَكَاكِهِنَّ ﴾ ٨٨ ﴿ قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْخِلْنَا اللَّهُ مَثَلًا وَمَنْ يَكُنْ لَنَا نَافِعًا فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ٨٩ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾ ٩٠ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴾ ٩١ ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ ٩٢ ﴿ فَقَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَصَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَفَرِينَ ﴾ ٩٣ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ ٩٤ ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا الْضُرَاءَ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٩٥

(٩١) فأخذت قوم شعيب الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى ميّتين.

(٩٢) الذين كذبوا شعيباً كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استؤصلوا، فلم يبق لهم أثر، وأصابهم الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

(٩٣) فأعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي، ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟

(٩٤) وما أرسَلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عما هم فيه من الشرك، فكذبهم قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصابتهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام، وفي أموالهم بالفقر والحاجة؛ رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق.

(٩٥) ثم بدلنا الحالة الطبية الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسعة ورخاء في أموالهم؛ إمهالاً لهم، ولعلهم يشكرون، فلم يُقَدِّمهم كل ذلك، ولم يعتبروا ولم ينتهوا عما هم فيه، وقالوا: هذه عادة الدهر في أهلنا، يوم خير ويوم شر، وهو ما جرى لأبائنا من قبل، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يحظر لهم الهلاك على بال.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
 مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
 بَيِّنَاتٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٧﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 بَأْسُنَا صُحْحَىٰ وَهُمْ يَقُولُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
 فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ
 لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ
 أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
 ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
 رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ
 قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
 لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْ فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(٩٦) ولو أنَّ أهل القرى صدّقوا رسالهم
 واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح
 الله لهم أبواب الخير من كل وجه، ولكنهم كذبوا،
 فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم
 ومعاصيهم.

(٩٧) أيظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن
 من عذاب الله، أن يأتيهم ليلاً وهم نائمون؟
 (٩٨) أو آمن أهل القرى أن يأتيهم عذاب الله
 وقت الضحى، وهم غافلون منشغلون بأمور
 دنياهم؟ وخصّ الله هذين الوقتين بالذكر؛ لأن
 الإنسان يكون أغفل ما يكون فيها، فمجيء
 العذاب فيها أقطع وأشد.

(٩٩) أفأمن أهل القرى المكذبة مكر الله
 وإمهاله لهم؛ استدراجاً لهم بما أنعم عليهم في
 دنياهم عقوبة لمكرهم؟ فلا يأمن مكر الله إلا
 القوم المالكون.

(١٠٠) أولم يبين للذين سكنوا الأرض من بعد
 إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا
 سيرتهم، أن لو نشاء أصبناهم بسبب ذنوبهم كما
 فعلنا بأسلافهم، ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها
 الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيراً؟

(١٠١) تلك القرى التي تقدّم ذكرها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نقض عليك -أيها الرسول-
 من أخبارها، وما كان من أمر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين. ولقد جاءت
 أهل القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا بها جاءتهم به الرسل؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم بالحق،
 ومثل حُصْنِ الله على قلوب هؤلاء الكافرين المذكورين يجثم الله على قلوب الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم.
 (١٠٢) وما وجدنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتنال أمره.
 (١٠٣) ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذكرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجددوا وكفروا بها
 ظلماً منهم وعناداً، فانظر -أيها الرسول- متبصراً كيف فعلنا بهم وأغرقتهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك
 نهاية المفسدين.

(١٠٤) وقال موسى لفرعون محاوراً مبلغاً: إني رسول من الله خالق الخلق أجمعين، ومدبر أحوالهم ومآلهم.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِّلنَّظِيرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذِهِ السَّحَرَةُ
عَلَيْكُمْ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَهَذَا أَنَا مُرْسِلٌ
﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَتُحِبُّ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلَ فِي الْمَدَآئِنِ حَاظِرِينَ ﴿١١٠﴾ يَا تُؤَكُّ
يَكُلُ سَحَرٍ عَلَيْنَا ﴿١١١﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأُخْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا لَيَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنَا شُعْبٌ وَلَمَّا أَن
تَكُونُ نَحْنُ الْمُلُوكِ ﴿١١٤﴾ قَالُوا أَفَلَوْأَلَمَّا أَتَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُم بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٥﴾
* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٦﴾ فَوَقَّعَ السَّحَرُ وَبَطَّلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ فَعَلُوا
هُنَالِكَ وَاتَّقِيبُوا صُبْحِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴿١١٩﴾

(١٠٥) جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق،
وحريّ بي أن ألتزمه، قد جئتكم ببرهان وحنة
باهرة من ربكم على صدق ما أذكره لكم،
فأطلق - يا فرعون - معي بنى إسرائيل من
أشرك وفكر، وخلّ سبيلهم لعبادة الله.

(١٠٦) قال فرعون لموسى: إن كنت جئت بأية
حسب زعمك فأنتي بها، وأحضرها عندي؛
لتصحّ دعواك وثبت صدقك، إن كنت صادقاً
فمما أَدعيت أنك رسول رب العالمين.

(١٠٧) فألقى موسى عصاه، فتحولت حيّة
عظيمة ظاهرة للعيان.

(١٠٨) وجذب يده من فتحة قميصه المفتوحة
إلى الصدر أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء
كاللبن من غير برص آية لفرعون، فإذا ردّها
عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.

(١٠٩) قال الأشراف من قوم فرعون: إن موسى
لساحر يأخذ بأعين الناس بخداع إياهم، حتى
يخيل إليهم أن العصا حيّة، والشئ بخلاف ما
هو عليه، وهو واسع العلم بالسحر ماهر به.

(١١٠) يريد أن يخرجكم جميعاً من أرضكم، قال
فرعون: فبماذا تشيرون عليّ أيها الملاّفي أمر موسى؟

(١١١) قال من حضر مناظرة موسى من سادة قوم فرعون وكبرائهم: أخر موسى وأخاه هارون، وابعث في مدائن «مصر»
وأقاليمها الشرط.

(١١٢) ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر.

(١١٣) وجاء السحرة فرعون قالوا: أئنّ لنا لجائزة ومالاً إن غلبنا موسى؟

(١١٤) قال فرعون: نعم لكم الأجر والقرب مني إن غلبتموه.

(١١٥) قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكرار وعدم المبالاة: يا موسى اختر أن تلقى عصاك أولاً، أو تلقى نحن أولاً.

(١١٦) قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم، فلما ألقوا الحبال والعصي سحروا أعين الناس، فخيّل إلى الأبصار أن ما فعلوه
حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، وأرهبوا الناس إرهاباً شديداً، وجاؤوا بسحر قوي كثير.

(١١٧) وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرّق الله فيه بين الحق والباطل،
بأمره بأن يُلقى ما في يمينه وهي عصاه، فألقاها فإذا هي تبلع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل.

(١١٨) فظهر الحق واستبان لمن شهدده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق، وبطل الكذب
الذي كانوا يعملونه.

(١١٩) فغلب جميع السحرة في مكان اجتماعهم، وانصرف فرعون وقومه أدلاء مقهورين مغلوبين.

(١٢٠) ونَحَرَ السحرة سُجّداً على وجوههم لله رب العالمين لما عاينوا من عظيم قدرة الله.

(١٢١) قالوا: أئنا برب العالمين.

(١٢٢) وهو رب موسى وهارون، وهو الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده دون من سواه.

(١٢٣) قال فرعون للسحرة: أمتم بالله قبل أن أذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته خيلة احتلتموها أنتم وموسى؛ لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها، فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحل بكم من العذاب والنكال.

(١٢٤) لأقطعن أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى، ثم لعلقنكم جميعاً على جذوع النخل؛ تنكيلاً بكم وإرهاباً للناس.

(١٢٥) قال السحرة لفرعون: قد تحققنا أننا إلى الله راجعون، وأن عذابه أشد من عذابك، فلنصبرن اليوم على عذابك، لننجو من عذاب الله يوم القيامة.

(١٢٦) ولست تعيب منا وتكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدلته التي جاء بها موسى ولا تقدر على مثلها أنت ولا أحد آخر سوى الله الذي له ملك السموات والأرض، ربنا أوفض علينا صبراً عظيماً وثباتاً عليه، وتوفنا متقادين لأمرك متبعين رسولك.

(١٢٧) وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض «مصر» بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة ألهتك؟ قال فرعون: سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستبيح نساءهم أحياء للخدمة، وإننا عالون عليهم بقهر الملوك والسلاطين.

(١٢٨) قال موسى لقومه -من بني إسرائيل-: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكاره في أنفسكم وأبنائكم. إن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه.

(١٢٩) قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتلينا وأوذينا بذبح أبنائنا واستحياء نساتنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا، قال موسى لهم: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم، فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أو تكفرون؟

(١٣٠) ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقلح والجدب، ونقص ثمارهم وغلاتهم؛ ليتذكروا، وينزجروا عن ضلالاتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

قَالُوا أئْمَنَّا بِرَبِّ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قُلْ آءَآءَن لَكُمْ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُكُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِشُحْرِ حَوَائِمِهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ قُلْ لَأَصْلَبَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنفَعُ مَنَا إِلَّا أَنْ ءَأْمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لِمَا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدُرُونِى وَقَوْمَهُ يُلَاقِىْسُدُوا فِى الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَءَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِىْزُوا بِاللّٰهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ؕ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِىْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَنَحْنُ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

فَإِذَا جَاءَهُمْ أُنْمُوتُهُ قَالُوا لَنَالَهُمْ لَهْوُكُمْ وَإِنْ نُنْصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَبْغُوا بَاطِلًا يُمُوتُونَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا نَطْرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْخَرَنَّ بِهَا فَإِنَّمَا نَكِيدُكَ بِالْيمِينِ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضُّفَادَ وَالْدمَّ
ءَانِبَ مُضْطَلِّاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجُّ قَالُوا لِمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجَّ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَّ إِلَى أَجَلٍ لَهُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَبْكُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَيْنَا فِي أَيْمِهِمُ يَأْتُهُمْ كَذَوَابًا يَتَنَبَّأُونَ بِهَا وَأَعْنَاهَا
غَفْلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا أَلَيْسَ لَكَ بِرَبِّكَ فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

(١٣١) فإذا جاء فرعون وقومه الخضب والرزق قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يصيبهم جذب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومن معه. إلا إن ما يصيبهم من الجذب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكن أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك؛ لانغارهم في الجهل والضلال.
(١٣٢) وقال قوم فرعون لموسى: أي آية تأتينا بها، ودلالة وحجة أقمتها لتصرفنا عما نحن عليه من دين فرعون، فما نحن لك بمصدقين.
(١٣٣) فأرسلنا عليهم سيلاً جافاً أغرق الزروع والثمار، وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، وأرسلنا القمل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، وأرسلنا الضفادع فملأت آياتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، وأرسلنا أيضاً الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دماً، ولم يجدوا ماء صالحاً للشرب، هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض، ومع كل هذا ترتفع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قوماً يعملون بما ينهى الله

عنه من المعاصي والفسق عتواً وتمرداً.

(١٣٤) ولما نزل العذاب على فرعون وقومه فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك من رفع العذاب بالتوبة، لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصدقن بما جئت به، ونتبع ما دعوت إليه، ولنطلقن معك بني إسرائيل، فلا نمنعهم من أن يذهبوا حيث شاؤوا.

(١٣٥) فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجل هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإبهال وكشف العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقومون على كفرهم وضلالهم.

(١٣٦) فانتقمنا منهم حين جاء أجل المحدد لإهلاكهم، وذلك بإحلال نقمتنا عليهم، وهي إغراقهم في البحر؛ بسبب تكذيبهم بالمعجزات التي ظهرت على يد موسى، وكانوا عن هذه المعجزات غافلين، وتلك الغفلة هي سبب التكذيب.

(١٣٧) وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُسْتَدَلُّون للخدعة، مشارق الأرض ومغاربها (وهي بلاد «الشام») التي باركتنا فيها، بإخراج الزروع والثمار والأنهار، وتمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض؛ بسبب صبرهم على أدنى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك.

وَحُورٌ نَّازِجَاتٍ فِي إِبْرَةِ يَلِّ الْأَبْحَرُ فَأَنزَلَ عَلَى قَوْمِهِ يَعْكُفُونَ
عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا إِنَّمُوسَىٰ أَجْعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا مَذْمُورٌ
مَّا هُمْ فِيهِ وَطَلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالِ أَعِزَّنَا لِلَّهِ
أَتَعْبُكُمُ الْإِلَهَاءَ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا
مُوسَىٰ إِذْ يَرْعُونَ يَسْؤُمُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ
أَبْنَاءُكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قِسْمٍ مِّمَّا فَتَمَّ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرَبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَكِن
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا
تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

(١٣٨) وَقَطَعْنَا بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَمَرُّوا عَلَى قَوْمٍ يَقِيمُونَ وَيُؤَظِّبُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ، قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: اجْعَلْ لَنَا يَا مُوسَىٰ صِنًّا نَعْبُدُهُ وَنَتَّخِذُهُ إِلَهًا، كَمَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَصْنَامًا يَعْْبُدُونَهَا، قَالَ مُوسَىٰ لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ تَجْهَلُونَ عِظْمَةَ اللَّهِ، وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

(١٣٩) إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَامِ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، وَمَذْمُورٌ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لِتِلْكَ الْأَصْنَامِ، الَّتِي لَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.

(١٤٠) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: أَغِيرَ اللَّهُ أَطْلُبَ لَكُمْ مَعْبُودًا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَفَضَّلَكُمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِكُمْ بِكَثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِيكُمْ، وَإِهْلَاكِ عَدُوِّكُمْ، وَمَا خَصَّكُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ؟

(١٤١) وَاذْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - نِعْمَنَا عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْقَذْنَاكُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ، وَمَا

كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوَانِ وَالذَّلَّةِ مِنْ تَذْيِيقِ أَبْنَائِكُمْ وَاسْتِيقَاءِ نِسَائِكُمْ لِلْخِدْمَةِ وَالِامْتِهَانِ، وَفِي تَحْلِيكِكُمْ عَلَى أَقْبَحِ الْعَذَابِ وَأَسْوَأِهِ، ثُمَّ إِنْجَائِكُمْ، اخْتِبَارَ مِنْ اللَّهِ لَكُمْ وَنِعْمَةً عَظِيمَةً.

(١٤٢) وَوَعَدَ اللَّهُ سِبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُوسَىٰ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ زَادَهُ فِي الْأَجْلِ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَتَمَّ مَا وَقَّعَهُ اللَّهُ لِمُوسَىٰ لِتَكْلِيمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ - حِينَ أَرَادَ الْمَضِيَّ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ - كُنْ خَلِيفَتِي فِي قَوْمِي حَتَّى أَرْجِعَ، وَاجْهَلْهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَا تَتَّبِعْ طَرِيقَ الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ.

(١٤٣) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ وَهُوَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ مِنْ وَحْيِهِ وَأَمْرِهِ وَنَبِيهِ، طَمَعُ فِي رُؤْيَا اللَّهِ فَطَلَبَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: لَنْ تَرَانِي، أَيْ: لَنْ تَقْدَرَ عَلَى رُؤْيَايَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ إِذَا تَجَلَّىٰ لَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا مَسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَىٰ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَتِهِ قَالَ: تَزَيَّيْتُ لَكَ يَا رَبُّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ، إِنِّي تَبَّتْ إِلَيْكَ مِنْ مَسْأَلَتِي إِيَّاكَ الرُّؤْيَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ قَوْمِي.

(١٤٤) قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشكرين ﴿١﴾ وكتبنا لهم في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأمرها وسأورثهم دار الفسق ﴿٢﴾ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سيل آلي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عافين ﴿٣﴾ والذين كذبوا بآياتنا وليق له الآخرة حطت أفعالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴿٤﴾ واتخذ قوم موسى من بعدهم من حليهم عجلًا جسداً لله خوفاً لآلهتهم أنه لا يكلهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ﴿٥﴾ ولما سقط في أيديهم وروا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يررحمنا ربنا وبغفرنا لنكونن من الخاسرين ﴿٦﴾

(١٤٥) وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام، موعظة للازدجار والاعتبار وتفصيلاً لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصص والعقائد والأخبار والمغيبات، قال الله له: فخذها بقوة، أي: خذ التوراة بجد واجتهاد، وأمر قومك يعملوا بما شرع الله فيها؛ فإن من أشرك منهم ومن غيرهم فإني سأصرفه في الآخرة دار الفاسقين، وهي نار الله التي أعد لها لأعدائه الخارجين عن طاعته. (١٤٦) سأصرف عن فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس

بغير الحق، فلا يتبعون نبياً ولا يصغون إليه لتكبرهم، وإن يروا هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها؛ لإعراضهم ومحادتهم لله ورسوله، وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقاً، وإن يروا طريق الضلال، أي الكفر يتخذوه طريقاً وديناً؛ وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن النظر فيها والتفكير في دلائلها.

(١٤٧) والذين كذبوا بآيات الله وحججه وبلقاء الله في الآخرة حطت أفعالهم؛ بسبب فقْدِ شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه، ما يجزون في الآخرة إلا جزء ما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي، وهو الخلود في النار. (١٤٨) واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقه ماضياً لما حاجة ربه معبوداً من ذهبهم عجلًا جسداً بلا روح، له صوت، ألم يعلموا أنه لا يكلهم، ولا يرشدهم إلى خير؟ أقدموا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه.

(١٤٩) ولما ندم الذين عبدوا العجل من دون الله عند رجوع موسى إليهم، ورأوا أنهم قد ضلوا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار، فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا، ويستر بها ذنوبنا، لنكونن من الهالكين الذين ذهبت أفعالهم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَعْبَلْتُمْ أَمْرَ رِبِّكُمْ وَقَالُوا آلُ لُوحٍ وَإِخْوَتُهُمْ أَعْيَيْنَ بِخِصْمِهِ الْبُنَى قَالَ إِنَّ أُمَمًا قَدْ آتَيْنَاكَ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوهُنَّ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِئْتُمْ بِهِ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَبِيلًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْأَعْيُنِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِئَاسَةً فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُمْ بِمَا فَعَلُوا فَكُلَّ السَّفْهَاءِ مِنَّا أَنْ هُمْ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(١٥٠) ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل غضبان حزينا؛ لأن الله قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، قال موسى: بئس الخلافة التي خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم؟ أي: استعجلتم عيشتي إليكم وهو مقدر من الله تعالى؟ وألقى موسى الألواح التوراة غضبا على قومه الذين عبدوا العجل، وغضبا على أخيه هارون، وأمسك برأس أخيه يجره إليه، قال هارون مستعظفا: يا بن أُمي: إن القوم استذلوني وعدوني ضعيفا وقاربوا أن يقتلوني، فلا تسر الأعداء بما تفعل بي، ولا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.

(١٥١) قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرط فيما كان عليه من أمر الله: رب اغفر لي غصبي، واغفر لأخي ما سبق بينه وبين بني إسرائيل، وأدخلنا في رحمتك الواسعة، فإنك أرحم بنا من كل راحم.

(١٥٢) إن الذين اتخذوا العجل إلهًا سينالهم غضب شديد من ربهم وهوان في الحياة الدنيا؛

بسبب كفرهم بربهم، وكما فعلنا هؤلاء نفعل بالمفترين في دين الله، فكل صاحب بدعة ذليل.

(١٥٣) والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا من بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور ليعفو لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين.

(١٥٤) ولما سكن عن موسى غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

(١٥٥) واختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم، وخرج بهم إلى طور «سيناء» للوقت والأجل الذي واعدته الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة عما كان من سفهاء بني إسرائيل من عبادة العجل، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك - يا موسى - حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلمته فأرنا، فأخذتهم الزلزلة الشديدة فهاؤوا، فقام موسى يتضرع إلى الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلك خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم جميعا من قبل هذا الحال وأنا معهم، فإن ذلك أخف علي، أهلكنا بما فعله سفهاء الأحلام منا؟ ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم العجل إلا ابتلاء واختبار، تضل بها من تشاء من خلقك، وتهدي بها من تشاء هدايته، أنت ولينا وناصرنا، فاغفر ذنوبنا، وارحنا برحمتك، وأنت خير من صفح عن جرم، وستر عن ذنب.

* وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدِّينِ حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ
 إِنَّا هَذَا نَالِكُ قَالَ عَدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَحْمَتِي
 وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
 عَلَيْهِمْ فَإِذَا زُيِّنَ لَهُمْ أَمْرًا يُبْغُونَهُ وَيُصْرُوهُ وَأَتَّبِعُوا
 النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
 قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
 لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ
 قَوْمٍ مُوسَى أَمَّهُ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

(١٥٦) واجعلنا ممن كتب له الصالحات من
 الأعمال في الدنيا وفي الآخرة، إنا رجعنا تأتين
 إليك، قال الله تعالى لموسى: عذابي أصيب به من
 أشاء من خلقي، كما أصيب هؤلاء الذين أصبتهم
 من قومك، ورحمتي وسعت خلقي كلهم،
 فسأكتبها للذين يخافون الله، ويخشون عقابه،
 فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه، والذين
 هم بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون.

(١٥٧) هذه الرحمة سأكتبها للذين يخافون الله
 ويجتنبون معاصيه، ويتبعون الرسول النبي الأمي
 الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد صلى الله
 عليه وسلم، الذي يجدون صفته وأمره مكتوبين
 عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالتوحيد
 والطاعة وكل ما عرف حسنه، وينهاهم عن
 الشرك والمعصية وكل ما عرف قبحه، ويحلل
 لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح،
 ويحرم عليهم الخبائث منها كلحم الخنزير، وما
 كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي
 حرمها الله، ويذهب عنهم ما كلفوه من الأمور
 الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب،

وإحراق الغنائم، والقصاص حتماً من القاتل عمداً كان القتل أم خطأ، فالذين صدقوا بالنبي الأمي محمد صلى الله عليه
 وسلم وأقروا بنبوته، ووقروه وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بها وعد
 الله به عباده المؤمنين.

(١٥٨) قل - أيها الرسول - للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضهم دون بعض، الذي له ملك السموات
 والأرض وما فيها، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفنائهم، فصّدقوا
 بالله وأقروا بوحديته، وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه
 وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوا هذا الرسول، والتزموا العمل بما أمركم به من طاعة الله؛ رجاء أن توفقوا إلى
 الطريق المستقيم.

(١٥٩) ومن بني إسرائيل من قوم موسى جماعة يستقيمون على الحق، يهدون الناس به، ويعدلون به في الحكم
 في قضاياهم.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَفْئِدَتَيْنِ عَشْرَةَ آسَابِطٍ أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى
 مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
 فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
 مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ
 الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّ أُنَاسٍ لَطِيفْتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا
 ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
 وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُفُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
 حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَيَزِيدُكُمُ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ
 لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَسُّوْنَ
 يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَمِعَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ أَلْحَى كَأَنَّهُ
 حَاضِرَةُ الْبَحْرِ يَأْذِنُ يَعْذُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
 حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
 كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

(١٦٠) وقرعنا قوم موسى من بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط - وهم أبناء يعقوب - كل قبيلة معروفة من جهة تقريبا. وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في التيه: أن اضرب بعصاك الحجر، فضره فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من الماء، قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم، لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها، وظللنا عليهم السحاب، وأنزلنا عليهم المن - وهو شيء يشبه الصنغ، طعمه كالعسل - والسلوى، وهو طائر يشبه السمانى، وقلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فكروها ذلك وملوه من طول المداومة عليه، وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. وما ظلمونا حين لم يشكروا لله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ إذ قوتوا عليها كل خير، وعرضوها للشكر والنقمة.

(١٦١) واذكر - أيها الرسول - عصيان بني إسرائيل لربهم سبحانه وتعالى ولنبينهم موسى عليه السلام، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسكنوا قرية بيت

المقدس»، وكلوا من ثمارها وجوبها ونباتها أين شئتم ومتى شئتم، وقولوا: حط عنا ذنوبنا، وادخلوا الباب خاضعين لله، نغفر لكم خطاياكم، فلا تؤاخذكم عليها، وسنزيد المحسنين من خيري الدنيا والآخرة.

(١٦٢) فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حية في شجرة، فأرسلنا عليهم عذابا من السماء، أهلكناهم به؛ بسبب ظلمهم وعصيانهم.

(١٦٣) وأسأل - أيها الرسول - هؤلاء اليهود عن خبر أهل القرية التي كانت بقرق البحر، إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمان الله، حيث أمرهم أن يعظموا يوم السبت ولا يصيدوا فيه سمكاً، فابتلاهم الله وامتنعهم؛ فكانت حيتانهم تأتيتهم يوم السبت كثيرة طافية على وجه البحر، وإذا ذهب يوم السبت تذهب الحيتان في البحر، ولا يرون منها شيئاً، فكانوا يتحالفون على حبسها في يوم السبت في حفاتر، ويصطادونها بعده. وكما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء، بإظهار السمك على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده فيه، وإخفائه عليهم في اليوم المباح لهم فيه صيده، كذلك نتخبرهم بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

(١٦٤) وأذكر -أيها الرسول- إذ قالت جماعة منهم لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذاباً شديداً في الآخرة؟ قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله: نَعْظُهم وننهاهم لِنُعْذِرَ فيهم، ونؤدي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجاء أن يتقوا الله، فيخافوه، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتُعْذِرَهم على ما حَرَّمَ عليهم.

(١٦٥) فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكرت به، واستمرت على عيِّها واعدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظَهَا به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين يَهْوَنُ عن معصيته، وأخذ الذين اعتَدَوْا في يوم السبت بعذاب أليم شديد؛ بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجه عن طاعته.

(١٦٦) فلما تمردت تلك الطائفة، وتجاوزت ما نهاها الله عنه من عدم الصيد في يوم السبت، قال لهم الله: كونوا قردة خاسئين مبعدين من كل خير، فكانوا كذلك.

(١٦٧) واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم ربك

وَأَذَانًا أَمَةٌ مُنْهَرٍ لِقُطُونٍ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا لَمَعَدَّةُ إِلَهِ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَوُونَ ﴿١٣٦﴾
فَلَمَّا سَأَلُوا مَادَّ كُرُوا بِهِ أَخْتِمْتَ إِلَيْنَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا إِلَيْنَ لَطْمَ لَوْ بِعَذَابٍ يَبْسُطُ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٣٧﴾
فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَنَافِعِهَا عَمَلْنَا لَهُمُ لَمَكًا كَرُوءًا فَرَدَّةً خَلْبِيعِينَ ﴿١٣٨﴾
وَأَذَانًا ذُرِّيَّةَ لَيْسَ عَمَلُهَا إِلَى نَوْمٍ الْقِسْمَةِ مَنْ سُوءُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ إِنْ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَجِيمٌ ﴿١٣٩﴾
وَقَطَعْنَا عَنْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَّا فَمِنْهُمْ الْأَصْدِقَاتِ وَمِنْهُمْ
ذُؤَبٌ ذَلِكَ وَكَوْنُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٤٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَوَّاءُ الْكِتَابِ
يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سَيَعْقُرُ كُنَا وَإِنْ
يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوا أَلَمْ يَتَّخِذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ
أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَانِ الْأَخِرَ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَسْتَوُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤١﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِمْ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ ﴿١٤٢﴾

إِعْلَاماً صَرِيحاً لِيُبْعَثَ عَلَى الْيَهُودِ مَنْ يَذِيقُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَالْإِذْلالِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. إِنَّ رِيكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- لَسَرِيعُ الْعِقَابِ لِمَنْ اسْتَحَقَّهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ ذَنْبِ النَّاسِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

(١٦٨) وفُرقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات، منهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقصرون الظالمون لأنفسهم، واختارنا هؤلاء بالرءاء في العيش والسَّعة في الرزق، واختارناهم أيضاً بالشدة في العيش والمصائب والزلايا؛ رجاء أن يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا من معاصيه.

(١٦٩) فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بذلك سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالقوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها؛ وذلك لشدة حرصهم ونهمهم، ويقولون مع ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تيمناً على الله الأباطيل، وإن بات هؤلاء اليهود متاعاً زائلاً من أنواع الحرام يأخذوه ويستحلوه، مصرّين على ذنوبهم وتناولهم الحرام، ألم يؤخذ على هؤلاء العهد بإقامة التوراة والعمل بما فيها، وألا يقولوا على الله إلا الحق وألا يكذبوا عليه، وعلموا ما في الكتاب فضيعوه، وتركو العمل به، وخالقوا عهد الله إليهم في ذلك؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون الله، فيمثلون أوامرهم، ويحبتون نواهيهم، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون دنيء المكاسب أن ما عند الله خير وأبقى للمتقين؟

(١٧٠) والذين يتمسكون بالكتاب، ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام، ويحافظون على الصلاة بحدودها، ولا يضعون أوقاتها، فإن الله يثيبهم على أعمالهم الصالحة، ولا يضعها.

«وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِىهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَقْبَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٣﴾ وَأَنْتَ لَدَىٰ آيَاتِنَا فَاسْلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعِ السَّيْلَ الَّذِي أَخْلَدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبِعْهُ وَهُوَ صَافٍ لَوْفَتَهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَتَّاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٤﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَذِبًا يُضِلُّونَ ﴿١٧٥﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تَبْرَأَ لَهُ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٦﴾

(١٧١) واذكر - أيها الرسول - إذ رفعنا الجبل فوق بني إسرائيل كأنه سحابة تظلمهم، وأيقنوا أنه واقع بهم إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة، أي اعملوا بما أعطيناكم باجتهد منكم، واذكروا ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بها فيه؛ كي تتقوا ربكم فتنجوا من عقابه.

(١٧٢) واذكر - أيها الرسول - إذ استخرج ربك أولاد آدم من أضلاب آباتهم، وفرهم بتوحيده بما أودعه في فطرهم من أنه ربهم وخالقهم وملئهم، فأقروا له بذلك؛ خشية أن ينكروا يوم القيامة، فلا يقولوا بشيء منه، ويزعموا أن حجة الله ما قامت عليهم، ولا عندهم علم بها، بل كانوا عنها غافلين.

(١٧٣) أو لنسأل تقولوا: إننا أشرك آبائنا من قبلنا ونقصوا العهد، فافتدينا بهم من بعدهم، أفعتدبنا بما فعل الذين أبطلوا أعمالهم بجعلهم مع الله شركاء في العبادة؟

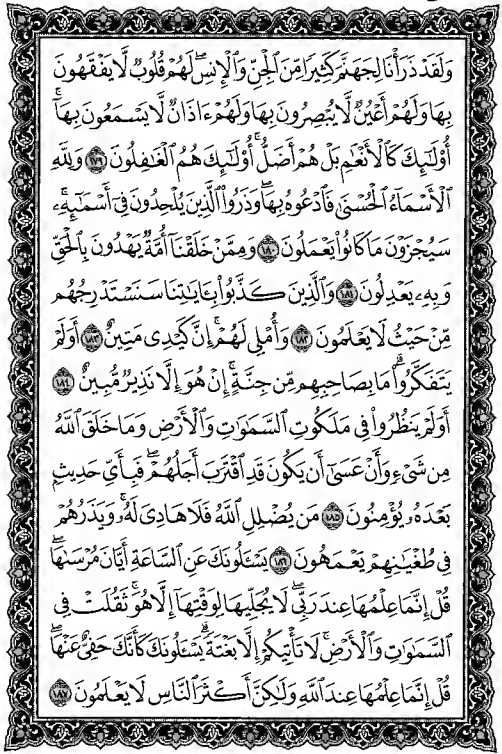
(١٧٤) وكما فصلنا الآيات، وبيّنا فيها ما فعلناه بالأمم السابقة، كذلك نقصّل الآيات ونبينها لقومك أيها الرسول؛ رجاء أن يرجعوا عن شركهم، وينبوا إلى ربهم.

(١٧٥) واقصص - أيها الرسول - على أمتك خبر رجل من بني إسرائيل أعطيناه حججنا وأدلتنا، فتعلمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره، فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين؛ بسبب مخالفته أمر ربه وطاعته الشيطان.

(١٧٦) ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتينا من الآيات لفعلنا، ولكنه زكّن إلى الدنيا واتبع هواه، وأثر لذته وشهوته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره. فمثّل هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده أو تتركه يخرج لسانه في الحالين لاهثاً، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدت في دعوتك له أو أهملته، هذا الوصف - أيها الرسول - وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيتهم بالهدى والرسالة، فاقصص - أيها الرسول - أخبار الأمم الماضية، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة؛ لعل قومك يتدبرون فيها حجتهم به فيؤمنوا لك.

(١٧٧) قسّ مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلتها، فحجدها، وأنفسهم كانوا يظلمونها؛ بسبب تكذيبهم هذه الحجج والأدلة.

(١٧٨) من يوفقه الله للإيمان به وطاعته فهو الموفق، ومن يخذله فلم يوفقه فهو الخاسر الهالك، فالهداية والإضلال من الله وحده.



(١٧٩) ولقد خلقنا للنار - التي يعذب الله فيها من يستحق العذاب في الآخرة - كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يعقلون بها، فلا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، وهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلتها، وهم أذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فينكرونها فيها، هؤلاء كالبهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما تبصره، ولا تعقل بقلوبها الخير والشر فتميز بينهما، بل هم أضل منها؛ لأن البهائم تبصر منافعها ومضارها وتتبع راعيها، وهم بخلاف ذلك، أولئك هم الغافلون عن الإتيان بالله وطاعته.

(١٨٠) والله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنی، الدالة على كمال عظمته، وكل أسماؤه حسن، فاطلبوا منه بأسماؤه ما تريدون، واتركوا الذين يُغيرون في أسماؤه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، كان يُسمَّى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها أھنهم، أو أن يجعل لها معنى لم يُرهه الله ولا رسوله، فسوف يجزون جزاء أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكفر بالله، والإلحاد في أسماؤه وتكذيب رسوله.

(١٨١) ومن الذين خلقنا جماعة فاضلة يهتدون بالحق ويدعون إليه، وبه يقضون وينصفون الناس، وهم أئمة الهدى ممن أنعم الله عليهم

بالإيمان والعمل الصالح.

(١٨٢) والذين كذبوا بآياتنا، فجحدها، ولم يتذكروا بها، سنفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا؛ استدراجاً لهم حتى يغتروا بها هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، ثم نعاقبهم على غرّة من حيث لا يعلمون. وهذه عقوبة من الله على التكذيب بحجج الله وآياته.

(١٨٣) وأمهّل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفراً وطغياناً، وبذلك يتضاعف لهم العذاب. إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدفع بقوة ولا بحيلة.

(١٨٤) أو لم يتفكروا هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتبدروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون؟ ما هو إلا نذير لهم من عقاب الله على كفرهم به إن لم يؤمنوا، ناصح مبین.

(١٨٥) أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله العظيم وسلطانه القاهر في السموات والأرض، وما خلق الله - جلّ شأؤه - من شيء فيها، فيتبدروا ذلك ويعتبروا به، وينظروا في أجهلهم التي عسى أن تكون قُرْبَتْ فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه؟ فبأي تخويف وتخدير بعد تحذير القرآن يصدقون ويعملون؟

(١٨٦) من يضلله الله عن طريق الرشاد فلا هادي له، ويتركهم في كفرهم يتحiron ويترددون.

(١٨٧) يسألك - أيها الرسول - كفار «مكة» عن الساعة متى قيامها؟ قل لهم: علم قيامها عند الله لا يظهرها إلا هو، نُقِلَ علمها، وخفي على أهل السموات والأرض، فلا يعلم وقت قيامها ملك مقرب ولا نبي مرسل، لا تحي الساعة إلا فجأة، يسألك هؤلاء القوم عنها كأنك حرص على العلم بها، مستقص بالسؤال عنها، قل لهم: إنما علمها عند الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله.

(١٨٨) قل -أيها الرسول-: لا أقدر على جلب خير لنفسي ولا دفع شر يجل بها إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تكثر لي المصالح والمنافع، ولأتقيت ما يكون من الشر قبل أن يقع، ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم، أخوف من عقابه، وأبشر بشوابه قوماً يصدقون بأني رسول الله، ويعملون بشره.

(١٨٩) هو الذي خلقكم -أيها الناس- من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها، وهي حواء؛ ليأنس بها ويطمئن، فلما جامعها -والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم- حملت ماء خفيفاً، فقامت به وقعدت وأتمت الحمل، فلما قرّبت ولادتها وأقلقت دعا الزوجان ربهما؛ لئن أعطيتنا بشراً سوياً صالحاً لنكونن ممن يشركك على ما وهبت لنا من الولد الصالح.

(١٩٠) فلما رزق الله الزوجين ولداً صالحاً، جعل الله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بخلقه فعبداه لغير الله، فتعالى الله وتنزه عن كل شرك.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَا صَبْلًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْنَاهُمَا فَفَعَلِ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٩﴾ أَيْشُرُونَ مَا لَا يَخْفَىٰ شَيْئًا وَهُمْ لَا يُخْلِفُونَ ﴿١٩٠﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩١﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَائِمُونَ ﴿١٩٢﴾ إِنْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٣﴾ اللَّهُ أَزْجَلُ يَسْمَعُونَ يَهَاءُ اللَّهُ أَلَيْسَ بِطِشُّونَ يَهَاءُ اللَّهُ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ يَهَاءُ اللَّهُ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ يَهَاءُ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُتُمٌ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٤﴾

(١٩١) أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله مخلوقاته، وهي لا تقدر على خلق شيء، بل هي مخلوقة؟

(١٩٢) ولا تستطيع أن تنصر عابديها أو تدفع عن نفسها سوءاً، فإذا كانت لا تخلق شيئاً، بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن عبيدها، ولا عن نفسها، فكيف تتخذ مع الله أهة؟ إن هذا إلا الظلم الظلم وأسفه السفه.

(١٩٣) وإن تدعوا -أيها المشركون- هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله إلى الهدى، لا تسمع دعاءكم ولا تتبعكم، يستوي دعاءكم لها وسكوتهن عنها؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تهدي ولا تهدي.

(١٩٤) إن الذين يعبدون من غير الله -أيها المشركون- هم ملوكون لرهبهم كما أنكم ملوكون لربكم، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئاً فادعوهم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون مفترون على الله أعظم الفرية.

(١٩٥) إلهذه الآلهة والأصنام أرجل يسمعون بها معكم في حوائجكم؟ أم لهم أيدٍ يدفعون بها عنكم وينصرونكم على من يريد بكم شراً ومكروها؟ أم لهم أعين ينظرون بها فيعرفونكم ما عاينوا وأبصروا مما يغيب عنكم فلا ترونه؟ أم لهم أذان يسمعون بها فيخبرونكم بما لم تسمعهوه؟ فإذا كانت أفتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات، فما وجه عبادتكم إياها، وهي خالية من هذه الأشياء التي بها يتوصل إلى جلب النفع أو دفع الضر؟ قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان: ادعوا أفتكم الذين جعلتموهم شركاء في العبادة، ثم اجتمعوا على إيقاع سوء المكروه بي، فلا تؤخروني وجعلوا بذلك، فإني لا أبالي بأفتكم؛ لاعتراضي على حفظ الله وحده.

(١٩٦) إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الْأَدَىٰ زُلَّ الصَّبَاحُ ۖ وَهُوَ يُبَوِّلُ الْفَلَاحِ ۚ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ
وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا
وَتَرْكُهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَقْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّا نَبْزِغُكَ
مِنَ السَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنْ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلْفٌ مِّنَ السَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا نَوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافٍ مِّنْ رَبِّكُمْ
وَهَذَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا فُرِئَ الْقُرْآنُ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

(١٩٧) والذين تدعون - أنتم أيها المشركون -
من غير الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم، ولا
يقدرون على نصرة أنفسهم.

(١٩٨) وإن تدعوا - أيها المشركون - ألهتكم
إلى الاستقامة والسداد لا يسمعون دعاءكم،
وترى - أيها الرسول - آلهة هؤلاء المشركين من
عبدة الأوثان يقابلونك كالناظر إليك وهم لا
يبصرون؛ لأنهم لا أبصار لهم ولا بصائر.

(١٩٩) أَقْبَلْ - أيها النبي أنت وأمتك - الفضل
من أخلاق الناس وأعلاهم، ولا تطلب منهم
ما يشق عليهم حتى لا ينفروا، وأمر بكل
قول حسن وفعل جميل، وأعرض عن منازعة
السفهاء ومساواة الجهالة الأغبياء.

(٢٠٠) وَإِنَّمَا يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ - أيها النبي - من الشيطان
غضب أو تحس منه بوسوسة وتبشيط عن الخير
أو حث على الشر، فالجأ إلى الله مستعيذاً به، إنه
سميع لكل قول، عليم بكل فعل.

(٢٠١) إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان
تذكروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، أخذون بأمر الله، عاصون
للشيطان.

(٢٠٢) وإخوان الشياطين، وهم الفجَّار من ضلال الإنس تمدِّهم الشياطين من الجن في الضلالة والعدوانية، ولا تدَّخر
شياطين الجن وسعاً في مدِّهم شياطين الإنس في الغي، ولا تدَّخر شياطين الإنس وسعاً في عمل ما توحى به شياطين الجن.
(٢٠٣) وإذا لم تجئ - أيها الرسول - هؤلاء المشركين بآية قالوا: هلاً أحدثناها واختلقناها من عند نفسك، قل لهم - أيها
الرسول -: إن هذا ليس لي، ولا يجوز لي فعله؛ لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده، وهو هذا القرآن الذي أتله
عليكم حججاً وبراهين من ربكم، وبياناً يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة يرحم الله بها عباده المؤمنين.

(٢٠٤) وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له أيها الناس وأنصتوا؛ لتعقلوه رجاء أن يرحمكم الله به.

(٢٠٥) وأذكر - أيها الرسول - ربك في نفسك تحشعاً وتواضعاً لله، خائفاً وجلَّ القلب منه، وادعه متوسطاً بين الجهر
والمخافتة في أول النهار وآخره، ولا تكن من الذين يغفلون عن ذكر الله، ويلهون عنه في سائر أوقاتهم.

(٢٠٦) إن الذين عند ربك من الملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله، بل ينقادون لأوامره، ويسبحونه بالليل والنهار،
وينزهونه عما لا يليق به، وله وحده - لا شريك له - يسجدون.

﴿سورة الأنفال﴾

(١) يسألك أصحابك - أيها النبي - عن الغنائم يوم «بدر» كيف تقسمها بينهم؟ قل لهم: إن أمرها إلى الله ورسوله، فالرسول يتولى قسمتها بأمر ربه، فاتقوا عقاب الله ولا تقدموا على معصيته، واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال، وأصلحوا الحال بينكم، والتزموا طاعة الله ورسوله إن كنتم مؤمنين؛ فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله.

(٢) إنما المؤمنون بالله حقاً هم الذين إذا ذكر الله فرغت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيماناً مع إيمانهم؛ لتدبرهم لمعانيه، وعلى الله تعالى يتوكلون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه.

(٣) الذين يداومون على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها، ومما رزقناهم من الأموال ينفقون فيما أمرناهم به.

(٤) هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال هم

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْصَرُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُعْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنَ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾
يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يَبْحِثَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

المؤمنون حقاً ظاهراً وباطناً بما أنزل الله عليهم، هم منازل عالية عند الله، وعفو عن ذنوبهم، ورزق كريم، وهو الجنة.

(٥) كما أنكم لما اختلفتم في المغانم فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قسمة وقسم رسوله صلى الله عليه وسلم، كذلك أمرك ربك - أيها النبي - بالخروج من «المدينة» للقاء غير قريش، وذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل مع كراهة فريق من المؤمنين للخروج.

(٦) يجادلوك - أيها النبي - فريق من المؤمنين في القتال من بعد ما تبين لهم أن ذلك واقع، كأنهم يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عياناً.

(٧) واذكروا - أيها المجادلون - وعَدَّ الله لكم بالطَّفر بإحدى الطائفتين: العير وما تحمله من أرزاق، أو النفر، وهو قتال الأعداء والانتصار عليهم، وأنتم تحبون الطَّفر بالعير دون القتال، ويريد الله أن يحق الإسلام، ويُعليه بأمره بإياكم بقتال الكفار، ويستأصل الكافرين بالهلاك.

(٨) ليُحِزَّ الله الإسلام وأهله، ويُذهِبَ الشرك وأهله، ولو كره المشركون ذلك.

(٩) اذكروا نعمة الله عليكم يوم «بدر» إذ تطلبون النصر على عدوكم، فاستجاب الله لدعائكم قائلاً: إني معكم بألف من الملائكة من السماء، ينبع بعضهم بعضاً.

(١٠) وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه.

(١١) إذ تلقى الله عليكم النعاس أماناً منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهوراً؛ ليطهركم به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره، وليشد على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتليد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام.

(١٢) إذ يوحى ربك -أيها النبي- إلى الملائكة

إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّينَ ۝ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُرْهَانًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَلِيُزِيلَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَتَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي قُلُوبُ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوَقَّ الْأَعْتَابِي وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَلِكَ كَيْفَ فَعَلُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝ تَبَايَأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُبِضَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَارْتَحَنُوا قُلُوبُهُمْ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُوَلَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبُرًا إِلَّا مُتَحَبِّبًا لِمَنْ فِي فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُولَٰئِهِ جَهَنَّمُ رِيسَ الْمَصِيرِ ۝

الذين أمده الله بهم المسلمين في غزوة «بدر» أي معكم أعينكم وأنصركم، ففوقوا عظام الذين آمنوا، سألتني في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصغار، فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منهم كل طرف ومفصل.

(١٣) ذلك الذي حدث للكفار من ضرب رؤوسهم وأعناقهم وأطرافهم؛ بسبب مخالفتهم لأمر الله ورسوله، ومن يخالف أمر الله ورسوله، فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

(١٤) ذلكم العذاب الذي عجلته لكم -أيها الكافرون المخالفون لأوامر الله ورسوله في الدنيا- فذوقوه في الحياة الدنيا، ولكم في الآخرة عذاب النار.

(١٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تولوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم.

(١٦) ومن يولهم منكم ظهره وقت الزحف إلا متعطفاً لكيدة الكفار أو متحازاً إلى جماعة المسلمين حاضري الحرب حيث كانوا، فقد استحق الغضب من الله، ومقامه جهنم، وبئس المصير والمقلب.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِنْ اللَّهَ فَعَلْتُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَئِنْ اللَّهَ دَخَلَى وَلَيْبِىَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسِئًا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيدٌ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقِتْحُ وَإِنْ
تَنْتَهُوا فَمَوْحٍ خَيْرٌ كُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ نَعْفِيَ عَنْكُمْ
فَتَنْتَهُوا سَيْنًا وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّعُفُ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ
تَحْشُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَاتَّقُوا فَتْنَةً لَا تُضِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٦﴾

(١٧) فلم تقتلوا - أيها المؤمنون - المشركين يوم «بدر»، ولكن الله قتلهم، حيث أعانكم على ذلك، وما رميت حين رميت - أيها النبي - ولكن الله رمى، حيث أوصل الرمية التي رميتها إلى وجه المشركين؛ وليخبر المؤمنين بالله ورسوله ويوصلهم بالجهد إلى أعلى الدرجات، ويعرفهم نعمته عليهم، فيشكروا له سبحانه على ذلك. إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم ما أسرتم به وما أعلنتم، عليم بما فيه صلاح عباده.

(١٨) هذا الفعل من قتل المشركين ومريم حين انهموا، والبلاء الحسن بنصر المؤمنين على أعدائهم، هو من الله للمؤمنين، وأن الله - فيما يُستقبل - مُضعف ومُبطِل مكر الكافرين حتى يَذِلُّوا وينقادوا للحق أو يهلكوا.

(١٩) إن تطلبوا - أيها الكفار - من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أجاب الله طلبكم، حين أوقع بكم من عقابه ما كان نكالاً لكم وعبرة للمعتدين، وإن تنتهوا - أيها الكفار - عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خير لكم في دنياكم وأخراكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد صلى الله عليه وسلم وقتال أتباعه المؤمنين نَعْدٌ بهزيمتكم كما هُزِمْتُمْ يوم «بدر»، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئاً، كما لم تغن عنكم يوم «بدر» مع كثرة عددكم وعنادكم وقلة عدد المؤمنين وعدتهم، وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره.

(٢٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين.

(٢١) ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كالمشركين والمنافقين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا: سمعنا بأذناننا، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه.

(٢٢) إن شئ ما دب على الأرض - من خلق الله - عند الله الضمُّ الذين انسَلَّتْ أذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خُرسَت ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيهِ.

(٢٣) ولو علم الله أن هؤلاء خيراً لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه وبراهينه، ولكنه علم أنه لا خير فيهم وأنهم لا يؤمنون، ولو أسمعهم - على الفرض والتقدير - لتولَّوا عن الإيمان قصدًا وعنادًا بعد فهمهم له، وهم معرضون عنه، لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه.

(٢٤) يا أيها الذين صدقوا بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحْيِيكم من الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة، واعلموا - أيها المؤمنون - أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهي قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم؛ إذ بيده ملكوت كل شيء، واعلموا أنكم تُحْشَرُونَ ليوم لا ريب فيه، فيجازي كلًّا بما يستحق.

(٢٥) واحذروا - أيها المؤمنون - اختباراً ومحنة يُعَمِّقُ بها المسيء وغيره، لا يُخَصِّصُ بها أهل المعاصي ولا مَنْ باشر الذنوب، بل تصيب الصالحين معهم إذا قَدَّرَ على إنكار الظلم ولم ينكروه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيهِ.

(٢٦) وادكروا أيها المؤمنون نِعَمَ الله عليكم
 إذ أنتم بـ «مكة» قليلو العدد مهجورون،
 تخافون أن بأحذكم الكفار بسرعة، فجعل لكم
 مأوى تأوون إليه وهو «المدينة»، وقَوَّاكم بنصره
 عليهم يوم «بدر»، وأطعمكم من الطيبات
 -التي من جنتها الغنائم-؛ لكي تشكروا له على
 ما رزقكم وأنعم به عليكم.

(٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا
بِشْرَعِهِ لَتُخَوِّنُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَرَكًا مَّا أَوْجَبَهُ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ وَفَعَلَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَلَا تَقْرَءُوا فِيهَا
أُتْمَتَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَمَانَةٌ يُجِيبُ
الْوَفَاءَ بِهَا.

(٢٨) واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وأثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه.

(٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا
بِشْرَعِهِ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ فَعَلَّ أَوَامِرَهُ وَاجْتَنَابَ
نَوَاهِيهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فَضْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
وَيَمْحُ عَنْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَسْتُرْهَا
عَلَيْكُمْ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا. وَاللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ
وَالْعَطَاءِ الْكَثِيرِ الْوَاسِعِ.

(۳۰) واذکر - أیہا الرسول - حین یکید لک

مَشَرَكُو قَوْمِكَ بِـ «مَكَّةَ»؛ لِيَجْسُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَنْفُوكَ مِنْ بَلَدِكَ. وَيَكِيدُونَ لَكَ، وَرَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ عَلَيْهِمْ جَزَاءً لَهُمْ، وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

(٣١) وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا بالله آيات القرآن العزيز قالوا جهلاً منهم وعناداً للحق: قد سمعنا هذا من قبل، لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا - أيها الرسول - إلا أكاذيب الأولين.

(٣٢) واذكر -أيها الرسول- قول المشركين من قومك داعين الله: إن كان ما جاء به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو آتنا بعذاب شديد موجع.

(٣٣) وما كان الله سبحانه وتعالى ليعذب هؤلاء المشركين، وأنت -أيها الرسول- بين ظهرائهم، وما كان الله معذبهم، وهم يستغفرون من ذنوبهم.

وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ وَأَلْبَسْتُمْ ثِيَابَ غَيْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَقُولُونَ قَدْ أُنْزِلَ إِلَيْنَا آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠١﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّا سَمِعْنَاهُ قَوْلَهُ رَبِّ اجْعَلْهُمَا لِي آيَةً مِّنَ الْآيَاتِ ۚ قَالَ رَبِّ اجْعَلْهُمَا لَكَ آيَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ وَإِذْ يَدْعُو أَبْرَاهِيمُ إِلَىٰ آلِهِ أَنْ يُعْبُدُوا اللَّهَ ۖ قُلْتُ لَهُمْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ أَمْرِي أَنَّ يَكُونَ لَكُمْ بِهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَتَاهُ نُوحٌ نَادَىٰ مِن دُونِ الْبَابِ أَيُّهَا آلِ اللَّهِ إِنِّي خَشِيتُ أَن يَحْمِلَكُمْ إِفْكُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١٠٤﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١٠٥﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١٠٦﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١٠٧﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١٠٨﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١٠٩﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَمِيرُ إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِ ﴿١١٠﴾

وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا امْكَاءٌ وَنَصْدِيدٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْضَحُونَهَا تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّهِ كَفَرُوا إِنْ يَسْتَهْزِئُوا بِعَفْوِ اللَّهِ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْتُ لَهُمْ خَوْفٌ لَأَتَكُونُ فَتَنَةً وَكَوُنَ الَّذِينَ كُفُّوا اللَّهُ فَإِنْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ يَمَازِيهِمْ بِصِيرَةٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُمْ كَمَا يَعْلَمُونَ مَوْلَىٰ نِعَمِ الْأَنْصَارِ ﴿٤٠﴾

(٣٤) وكيف لا يستحقون عذاب الله، وهم يصدون أولياءه المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟ وما كانوا أولياء الله، إن أولياءه الله إلا الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون؛ فلذلك ادعوا لأنفسهم أمراً، غيرهم أولى به.

(٣٥) وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا صغيراً وتصفيقاً، فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم «بدر»؛ بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يُقَدَّم عليها إلا الكفرة، الجاحدون توحيد ربهم ورسالة نبيهم.

(٣٦) إن الذين جحدوا وحادثوا الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال؛ ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله، فيسبنفون أموالهم في ذلك، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم؛ لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بها يأملون من إطفاء نور الله والصد عن سبيله، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون فيعذبون فيها.

(٣٧) يحشر الله ويخزي هؤلاء الذين كفروا بربههم، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس عن الإيمان بالله والصد عن سبيله؛ ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، ويجعل الله المال الحرام الذي أنفق للصد عن دين الله بعضه فوق بعض متراكباً، فيجعله في نار جهنم، هؤلاء الكفار هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٣٨) قل -أيها الرسول- للذين جحدوا وحادثوا الله من مشركي قومك: إن ينزجروا عن الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرجعوا إلى الإيمان بالله وحده وعدم قتال الرسول والمؤمنين، يغفر الله لهم ما سبق من الذنوب، فالإسلام يَجِبُ ما قبله. وإن يُعَذِّبُوا هؤلاء المشركون لقتالكم -أيها الرسول- بعد الواقعة التي أوقعها بهم يوم «بدر» فقد سبق طريقة الأولين، وهي أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أننا نتعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

(٣٩) وقاتلوا -أيها المؤمنون- المشركين حتى لا يكون شركٌ وصدٌ عن سبيل الله، ولا يُعَذِّبَ إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض، وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره، فإن انزجروا عن فتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في الإسلام.

(٤٠) وإن أعرض هؤلاء المشركون عمَّا دعوتهم إليه -أيها المؤمنون- من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم، وأبوا إلا الإصرار على الكفر وقاتلكم، فأيقنوا أن الله معينكم وناصركم عليهم. نِعَمَ المعين والناصر لكم ولأولياءه على أعدائكم.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآثِنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ عَادِمِينَ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ اتَّفَقَ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالزَّكَبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَخَتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢﴾ إِذْ تَبَرَّكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ عَذِيبُهُ لَفُتِنْتُمْ وَلَسْتُمْ عَنْ الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلًا كُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٥﴾

(٤١) واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما ظفرت به من عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يوزع أقسام: الأول لله وللرسول، فيجمل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، يجعل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحل لهم، والثالث للأولاد الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والرابع للمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة، إن كنتم مقرين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والمدد والنصر يوم فرق بين الحق والباطل بـ«بدر»، يوم التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(٤٢) واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى «المدينة»، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وعبر التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل «البحر الأحمر»، ولو حاولتم أن تضعوا موعداً لهذا اللقاء لاختلفتم، ولكن الله جمعكم على غير موعد؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً بنصر أوليائه وخذلان أعدائه بالقتل والأسر؛ وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعانها وقطعت عذره، وليحيا من حي عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له. وإن الله لسميع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليم بنياتهم وأعمالهم.

(٤٣) واذكر - أيها النبي - حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك، فأخبرت المؤمنين بذلك، فقويت قلوبهم، واجتروا على حربهم، ولو أراك ربك كثرة عددهم لتردد أصحابك في ملاقاتهم، وجبستم واختلقتهم في أمر القتال، ولكن الله سلم من الفشل، ونجى من عاقبة ذلك. إنه عليم بخفايا القلوب وطباع النفوس.

(٤٤) واذكر أيضاً حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة فرأيتهم قليلاً فاجترأتم عليهم، وللحكم في أعينهم؛ ليركوا الاستعداد لحربكم؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فيتحقق وعد الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وإلى الله مصير الأمور كلها، فيجازي كل بما يستحق.

(٤٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزوا عنهم، واذكروا الله كثيراً داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظفر بعدوكم؛ لكي تفوزوا.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلُقُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَازِي عَمَلَهُمْ ۚ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَلَا تَزَنَّ لَهُمُ السَّلَاطِلُ أَعْمَالُهُمْ وَقَالَ لَا عَالِيَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَلِئِنْ جَارَ لَكُمْ فَمَا تَرَائَتْ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَنَّى مَآلَا تَتَزَوَّدُ ۚ إِنَّ أَحَافَ اللَّهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَتَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّعَبِيدٍ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ إِلَٰهٌ فَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

(٤٦) والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتنفرك كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

(٤٧) ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كبراً ورياء؛ ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله. والله بها يعملون محيط لا يغيب عنه شيء.

(٤٨) واذكروا حين حسن الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما هموا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، وإنني ناصركم، فلما تقابل الفريقان: المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُدْبِراً، وقال للمشركين: إنني بريء منكم، إنني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مدداً للمسلمين، إنني أخاف الله، فخذلهم وتبرأ منهم. والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحاً.

(٤٩) واذكروا حين يقول أهل الشك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرَّ هؤلاء المسلمين دينهم، فأوردتهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعدته فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه.

(٥٠) ولو تعانين -أيها الرسول- حال قبض الملائكة أرواح الكفار وانتزاعها، وهم يضربون وجوههم في حال إقبالهم، ويضربون ظهورهم في حال فرارهم، ويقولون لهم: ذوقوا العذاب المحرق، لرأيت أمراً عظيماً. وهذا السياق وإن كان سببه وقعة «بدر»، ولكنه عام في حق كل كافر.

(٥١) ذلك الجزء الذي أصابكم المشركون فسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، ولا يظلم الله أحداً من خلقه متقال ذرة، بل هو الحكم العدل الذي لا يجوز.

(٥٢) إن ما نزل بالمشركين يومئذ شنة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذبوا رسل الله وجحدوا آياته، فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن الله قوي لا يقهر، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.

(٥٣) ذلك الجزاء السيِّء بأن الله إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم حتى يغيروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة، وأن الله سميع لأقوال خلقه، عليم بأحوالهم، فيُجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته.

(٥٤) شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل منهم كان غافلاً ما لم يكن له فِعْلُهُ من تكذيبهم رسل الله وحوادثهم آياته، وإشراكهم في العبادة غيره.

(٥٥) إِنْ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ اللَّهِ الْكَفَّارُ
الْمَصْرُورُونَ عَلَى الْكَفْرِ، فَهُمْ لَا يَصْدُقُونَ رِسْلَ اللَّهِ،
وَلَا يُقَرُّونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا يَتَّبِعُونَ شَرْعَهُ.

(٥٦) مِنْ أَوْلَئِكَ الْأَشْرَارُ الْيَهُودُ الَّذِينَ دَخَلُوا مَعَكَ فِي الْمَعَاهدَاتِ بِأَنْ لَا يُجَارِبُوكَ وَلَا يَظَاهَرُوا عَلَيْكَ أَحَدًا، ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمُ الْمَرَّةَ التَّلَوَافُظَ، وَهُمْ لَا يُخَافُونَ اللَّهَ.

(٥٧) فإن واجهت هؤلاء الناقضين للعهود والمواثيق في المعركة، فأُتزل بهم من العذاب ما يُدخل الرعب في قلوب الآخرين، ويشتت جموعهم؛ لعلمهم بذكرهم، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون.

(٥٨) وإن خفت -أيها الرسول- من قوم خيانة ظهرت بوادرها فألق إليهم عهدهم؛ كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم. إن الله لا يحب الخائنين في عهدهم الناقضين للعهد والميثاق.

(٥٩) وَلَا يَظُنُّ الَّذِينَ جَهِدُوا آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ قَاتُوا وَنَجَوْا، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، إِنَّهُمْ لَن يُقْلِتُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. (٦٠) وَأَعْدُوا - يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ - لِمُؤَاجَهَةِ أَعْدَائِكُمْ كُلِّ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ عُدُوٍّ وَعُدَّةٍ، لِتُخْلُوا بِذَلِكَ الرِّهْبَةَ فِي قُلُوبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِكُمُ الْمُتَرَبِّصِينَ بِكُمْ، وَتُخَفِّضُوا الْآخِرِينَ لَا تَظْهَرُ لَكُمْ عِدَاؤُهُمُ الْآنَ، لَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُمْ وَيَعْلَمُ مَا يَضْمُرُونَهُ. وَمَا تَبْذُلُوا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا يَخْلِفُهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُدْخِرُ لَكُمْ ثَوَابَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتُمْ لَا تَنْقُصُونَ مِنْ أَجْرِ ذَلِكَ شَيْئًا.

(٦١) وإن مالوا إلى ترك الحرب ورجعوا في مسألتكم ففعل إلى ذلك -أيها النبي- وفوض أمرك إلى الله، وثق به. إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنبأاتهم.

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ مَنْ دَلَّكَ
يَتَصَرَّوهُ يَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ أَنْ أَنْفَقَتْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا آَلَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ هَسِبَكَ
اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِائَتَيْنِ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ تَخَفْ
اللَّهُ عَنكُمْ وَعِلْمَ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ لَوْ لَا كُتِبَ
مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ لَمَسَكُمُ فِيهَا آْذٌ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٩﴾ فَكُلُوا
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَافٍ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

(٦٢، ٦٣) وإن أراد الذين عاهدوك المكر بك فإن الله سيكشف خداعهم؛ إنه هو الذي أنزل عليك نصره وقواك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار، وجمع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن الله جمع بينها على الإيمان فأصبحوا إخواناً متحابين، إنه عزيز في ملكه، حكيم في أمره وتديره.

(٦٤) يا أيها النبي إن الله كافيك، وكافي الذين معك من المؤمنين شر أعدائكم.

(٦٥) يا أيها النبي حث المؤمنين بك على القتال، إن يكن منكم عَشْرُونَ صَابِرُونَ عند لقاء العدو يغلبوا مِائَتَيْنِ منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا أَلْفًا من الكفار؛ لأنهم قوم لا علم ولا فقه عندهم لِمَا أَعَدَّ اللَّهُ للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلو في الأرض والفساد فيها.

(٦٦) الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما

فيكم من الضعف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مِائَتَيْنِ من الكافرين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا أَلْفَيْنِ منهم بإذن الله تعالى. والله مع الصابرين بتأييده ونصره.

(٦٧) لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من أعدائه حتى يبالغ في القتل؛ لإدخال الرعب في قلوبهم ويوطد دعائم الدين، تريدون -يا معشر المسلمين- بأخذكم الفداء من أسرى «بدر» متاع الدنيا، والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة. والله عزيز لا يُفْهَرُ، حكيم في شرعه.

(٦٨) لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة، لنالكم عذاب عظيم بسبب أخذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنها تشريع.

(٦٩) فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ أَسْرَعُوهُمْ فِي «بِدْرَةِ» لَا تَأْسُوا عَلَى الْفِدَاءِ الَّذِي أَخَذْتُمْكُمْ، إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذْتُمْ مِنْهُ، الْمَالُ بَاطِلٌ يُفْسِدُ لَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أَتَى أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ، وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا، رَحِيمٌ بِهِمْ.

(٧١) وإن يرد الذين أظفقت سراحهم -أيها النبي- من الأسرى الغدر بك مرة أخرى فلا تَيْشُ، فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فنصرك الله عليهم. والله عليم بما تتطوي عليه الصدور، حكيم في تدبير شؤون عباده.

(٧٢) إِنْ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا
بِشْرَعِهِ، وَهَاجَرُوا إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، أَوْ بَلَدٍ
يَتِمَكِّنُون فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ بِالْمَالِ وَالنَفْسِ، وَالَّذِينَ أَتَزَلُّوا الْمُهَاجِرِينَ فِي
دَوْرِهِمْ، وَوَأَسَوْهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ، وَنَصَرُوا دِينَ اللَّهِ،
وَأُولَئِكَ بَعْضُهُمْ نَصْرَاءُ بَعْضٍ. أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يَاجِرُوا مِنْ دَارِ الْكُفْرِ فَلَسْتُمْ مَكْلُفِينَ بِحِمَايَتِهِمْ وَنَصَرْتَهُمْ حَتَّى يَاجِرُوا، وَإِنْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ ظُلْمٌ مِنَ الْكُفَّارِ فَطَلَبُوا نَصْرَكُمْ فَاسْتَجِبُوا لَهُمْ، إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ مَوْكُودٌ لَمْ يَنْفُضُوهُ. وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ، يُجِزِي كُلَّ عَدْلٍ قَدْرَ نِيَّتِهِ وَعَمَلِهِ.

(٧٣) والذين كفروا بعضهم نصراء بعض، وإن لم تكونوا -أيها المؤمنون- نصراء بعض تكن في الأرض فتنه للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.

(٧٤) والذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا ديارهم قاصدين دار الإسلام، أو بلدًا يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين نصرُوا إخوانهم المهاجرين وأَوْثَرَهُمْ وواسَّوْهُم بالمال والتأييد، أولئك هم المؤمنون الصادقون حقاً، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم.

(٧٥) والذين آمنوا من بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، وهاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله، فأولئك منكم -أيها المؤمنون- لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وأولو القرباة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين. إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرباة والنسب دون التوارث بالحلْف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام.

﴿سورة التوبة﴾

(١) هذه براءة من الله ورسوله، وإعلان بالتخلي عن العهود التي كانت بين المسلمين والمشركون.

(٢) فسيروا - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر، تذهبون حيث شئتم آمنين من المؤمنين، واعلموا أنكم لن تفلتوا من العقوبة، وأن الله مذل الكافرين ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

وهذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكفل له أربعة أشهر، أو من كان له عهد فقطه.

(٣) وإعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر أن الله بريء من المشركون، ورسوله بريء منهم كذلك. فإن رجعت - أيها المشركون - إلى الحق وتركت شرككم فهو خير لكم، وإن أعرضتم عن قبول الحق وأبستم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم لن تفلتوا من

عذاب الله. وأندر - أيها الرسول - هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموجه.

(٤) ويُسْتَنَى من الحكم السابق المشركون الذين دخلوا معكم في عهد محدد بمدة، ولم يحنوا العهد، ولم يعاونوا عليكم أحداً من الأعداء، فأكملوا لهم عهدهم إلى نهايته المحدودة. إن الله يحب المتقين الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.

(٥) فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أمّتم فيها المشركين، فاعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، واقصدوهم بالحصار في معاقلمهم، وترصدوا لهم في طرقهم، فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعهم من إقام الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام. إن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم بهم.

(٦) وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك - أيها الرسول - ورغب في الأمان، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطلع على هدايته، ثم أعدّه من حيث أتى أمناً؛ وذلك لإقامة الحجة عليه؛ ذلك بسبب أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم.

سورة التوبة

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝
فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبَسِّتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
۝ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا عَنْ شَيْءٍ
وَلَمْ يُظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ وَعَهَدْهُمْ إِلَى مَدِينَةٍ
إِنَّا اللَّهُ يُوْثِقُ الْمِيثَاقَ ۝ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ
فَأَقْبَلُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنِ أَحَدٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَرَهُ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝

(٧) لا ينبغي أن يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ولا الذين عهدتم عند المسجد الحرام على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك. إن الله يحب المتقين الموفين بعهودهم.

(٨) إن شأن المشركين أن يلتزموا بالعهود ما دامت الغلبة لغيرهم، أما إذا شعروا بالقوة على المؤمنين فإنهم لا يراعون القرابة ولا العهد، فلا يفرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم يقولون لكم كلاماً بالسنتهم؛ لترضوا عنهم، ولكن قلوبهم تأبى ذلك، وأكثرهم متمردون على الإسلام ناقضون للعهد.

(٩) استبدلوا بآيات الله عرض الدنيا التافه، فأعرضوا عن الحق ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه، لقد قُبِحَ فعلهم، وساء صنيعهم.

(١٠) إن هؤلاء المشركين حرب على الإيمان

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْفُقُوا بِهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَ بكم بِأَقْوَاهُمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَنْ كَرِهْتُمْ فَلَيَفْسُقُوا ﴿٨﴾ أَشَرُّوا بِعَيْدِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَا فَصْدُ عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا تَأْتُوا بِآيَاتِنَا أَفَأَنْزَلْنَا الرِّكَدَ فَيُؤْخَبُ فِي الدِّينِ وَنَفْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَكَثُرُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا يَأْمِنُ لَهُمْ لَعْنَهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا كَانُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

وأهله، فلا يقيمون وزناً لقرابة المؤمن ولا لعهد، وشأنهم العدوان والظلم.

(١١) فإن أفلحوا عن عبادة غير الله، ونطقوا بكلمة التوحيد، والتزموا شرائع الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنهم إخوانكم في الإسلام. ونبين الآيات، ونوضحها لقوم ينتفعون بها.

(١٢) وإن نقض هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتوها معهم، وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فقاتلوهم فإنهم رؤساء الضلال، لا عهد لهم ولا ذمة، حتى ينتهوا عن كفرهم وعداوتهم للإسلام.

(١٣) لا ترددوا في قتال هؤلاء القوم الذين نقضوا عهودهم، وعملوا على إخراج الرسول من مكة، وهم الذين بدؤوا بإيدائكم أول الأمر، أتخافونهم أو تخافون ملاقاتهم في الحرب؟ فالله أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقاً.

فَتَبْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ
 عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ
 قُلُوبِهِمْ وَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ نِشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
 أَرْحَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
 وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ
 وَاللَّهُ خَبِيرٌ لِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ
 اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ
 أَنْعَمَ لَهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ
 اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
 الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
 الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجْعَلْنَاهُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
 ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

(١٤، ١٥) يا معشر المؤمنين قاتلوا أعداء الله
 يعذبهم عز وجل بأيديكم، ويذلمهم بالهزيمة
 والخزي، وينصركم عليهم، ويُغلب كلمته،
 ويشف بهزيمتهم صدوركم التي طالما لحق بها
 الحزن والغم من كيد هؤلاء المشركين، ويذهب
 عن قلوب المؤمنين الغيظ. ومن تاب من هؤلاء
 المعاندين فإن الله يتوب على من يشاء. والله عليم
 بصدق توبة النائب، حكيم في تدبيره وصنعه
 ووضع شريعته لعباده.

(١٦) من سنة الله الابتلاء، فلا تظنوا بامعشر
 المؤمنين أن يترككم الله دون اختبار؛ ليعلم الله
 علماً ظاهراً للخلق الذين أخلصوا في جهادهم،
 ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة
 وأولياء. والله خير بجميع أعمالكم ومجازيكم
 بها.

(١٧) ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله،
 وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء.
 هؤلاء المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة،
 ومصيرهم الخلود في النار.

(١٨) لا يعنني بيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في
 الله لومة لائم، هؤلاء العُمَّار هم المهتدون إلى الحق.

(١٩) أجعلنهم -أيها القوم- ما تقومون به من سقي الحجيج وإعمار المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر
 وجاهد في سبيل الله؟ لا تتساوى حال المؤمنين وحال الكافرين عند الله؛ لأن الله لا يقبل عملاً بغير الإيمان. والله سبحانه
 لا يوفق لأعمال الخير القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

(٢٠) الذين آمنوا بالله وتركوا دار الكفر قاصدين دار الإسلام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد لإعلاء كلمة الله، هؤلاء
 أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون برضوانه.

(٢١) إن هؤلاء المؤمنين المهاجرين لهم البشري من ربهم بالرحمة الواسعة والرضوان الذي لا سخط بعده، ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم.

(٢٢) ماكثين في تلك الجنان لانهاية لإقامتهم وتنعمهم، وذلك ثواب ما قدّموه من الطاعات والعمل الصالح في حياتهم الدنيا. إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن آمن وعمل صالحاً بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢٣) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتخذوا أقرباءكم - من الآباء والإخوان وغيرهم - أولياء، تفشون إليهم أسرار المسلمين، وتستشرونهم في أموركم، ما داموا على الكفر معادين للإسلام. ومن يتخذهم أولياء ويُلقي إليهم المودة فقد عصى الله تعالى، وظلم نفسه ظلماً عظيماً.

(٢٤) قل - يا أيها الرسول - للمؤمنين: إن فضّلتكم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّيَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَبَاءَكُمْ وَءِخْوَانَكُمْ ءَوَآءَ مَا كُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ إِنِ اسْتَحَبُّوا إِلَيْكُمْ فَرَّ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَءَبْنَاؤُكُمْ وَءِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْتُكُمْ فَتَمَرَّقْنِ عَنْكُمْ يَسِيًّا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

والقربات والأموال التي جمعوها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارهة التي أقمتم فيها، إن فضّلتكم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

(٢٥) لقد أنزل الله نصره عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله. ويوم غزوة «حنين» قلتم: لن نُغَلَّبَ اليوم من قِلَّة، فغرتكم الكثرة فلم تنفعكم، وظهر عليكم العدو فلم تجددوا ملجأ في الأرض الواسعة ففررتهم منهزمين.

(٢٦) ثم أنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا، وأمدّهم بجنود من الملائكة لم يروها، فنصرهم على عدوهم، وعذّب الذين كفروا. وتلك عقوبة الله للصّادّين عن دينه، المكذّبين لرسوله.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
 نَجَسٌ فَلَا يَقْرِءُوا الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ هَذَا
 وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنْ شَاءَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
 وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ
 وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
 بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ مِنْ قَبْلُ
 قَتَلْنَا لَهُمُ اللَّهَ إِذْ يُتَوَكَّلُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ
 وَهَبَّ لَهُمْ آذِينَ بَيْنَ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
 مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(٢٧) ومن رجع عن كفره بعد ذلك ودخل الإسلام فإن الله يقبل توبة من يشاء منهم، فيغفر ذنبه. والله غفور رحيم.

(٢٨) يا معشر المؤمنين إنما المشركون نجس وخبث فلا تمكثوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة، وإن خفتم فقراً لانقطاع تجارتهم عنكم، فإن الله سيعوضكم عنها، ويكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالككم، حكيم في تدبير شؤونكم.

(٢٩) أيها المسلمون قاتلوا الكفار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالبعث والجزاء، ولا يجتنبون ما نهى الله عنه ورسوله، ولا يلتزمون أحكام شريعة الإسلام من اليهود والنصارى، حتى يدفعوا الجزية التي تفرضونها عليهم بأيديهم خاضعين أذلاء.

(٣٠) لقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيراً ابن الله.

وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله.

وهذا القول اختلقوه من عند أنفسهم، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم. قاتل الله المشركين جميعاً كيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟

(٣١) اتخذ اليهود والنصارى العللاء والعباد أرباباً يُشْرَعُونَ لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذوا المسيح عيسى بن مريم الهاً لعبده، وقد أمرهم الله جميعاً بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو. تنزه وتقدس عما يفتره أهل الشرك والضلال.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ آلِهَةٍ يَأْقُوهُ هُمْ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ
يُنِيرَ نُورُهُ وَتُوكِرُهُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ يَا أَهْلَ الْدِينِ عَلَى الْحَقِّ لِطُهْرِهِ وَعَلَى الَّذِينَ
كُتِبَ لَهُمُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْفُرُونَ لَهُمُ الْهَبْ وَالْفَضَّةَ وَلَا يَسْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ نَحْمِلُ عَنْهَا
فِي تَارِجِهِمْ فَنُحْشَرُ بِهَا حُجُوبُهُمْ وَجُوبُهُمْ
وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كُلِّ يَوْمٍ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُونَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِمْ
أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

(٣٢) يريد الكفار بتكذيبهم أن يطفئوا دين الإسلام، ويطفئوا حجج الله وبراهينه على توحيد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ويأتى الله إلا أن يتم دينه ويظهره، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك الجاحدون.

(٣٣) هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق -الإسلام- وظهوره على الأديان.

(٣٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إن كثيراً من علماء أهل الكتاب وعبادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله. والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة، فبشرهم بعذاب موجه.

(٣٥) يوم القيامة توضع قطع الذهب والفضة في النار، فإذا اشتدت حرارتها أحرقت بها جباه

أصحابها وجنوبهم وظهورهم.

وقيل لهم توبيخاً: هذا مالكم الذي أمسكنموه ومنعتم منه حقوق الله، فذوقوا العذاب الموجه؛ بسبب كنزكم وإمساكنكم. (٣٦) إن عدة الشهور في حكم الله وفيما كتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهراً، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرْمٌ؛ حَرَّمَ اللَّهُ فِيهِنَّ الْقِتَالَ (هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)، ذلك هو الدين المستقيم، فلا تظلموا فيه أنفسكم، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أن الظلم في غيرها جائز. وقاتلوا المشركين جميعاً كما يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع أهل التقوى بتأييده ونصره.

إِنَّمَا السَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا يِوَاطُّوا
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ
سُوُّ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
﴿٣٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ
أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضُنَا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا نَمُوتُ الْآخِرَةُ قَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَتَفَرَّغُوا وَعِدَّةُكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَتَضَرَّوْهُ
شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَتَضَرَّوْهُ
فَقَدْ ضَرَبَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ
إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

(٣٧) إن الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية من تحريم أربعة أشهر من السنة عدداً لا تحديداً بأسماء الأشهر التي حرّمها الله، فيؤخرون بعضها أو يقدّمونه ويجعلون مكانه من أشهر الحل ما أرادوا حسب حاجتهم إلى القتال، إن ذلك زيادة في الكفر، يضل الشيطان به الذين كفروا، يجعلون الذي أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة عاماً، ويجرمونه عاماً، ليوافقوا عدد الشهور الأربعة، فيحلوا ما حرّم الله منها. زَيَّنَ لهم الشيطان الأعمال السيئة. والله لا يوفق القوم الكافرين إلى الحق والصواب.

(٣٨) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره ما بالكم إذا قيل لكم: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله لقتال أعدائكم تكاسلتم ولزمتم مساكنكم؟ هل أتروم حظوظكم الدنيوية على نعيم الآخرة؟ فما تستمتعون به في الدنيا قليل زائل، أما نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين المجاهدين فكثير دائم.

(٣٩) إن لا تنفروا أيها المؤمنون إلى قتال عدوكم

ينزل الله عقوبته بكم، ويأت بقوم آخرين ينفرون إذا استنّفروا، ويطيعون الله ورسوله، ولن تضروا الله شيئاً بتوليكم عن الجهاد، فهو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه. وما يريد الله يكون لا محالة. والله على كل شيء قدير من نصر دينه ونبيه دونكم.

(٤٠) يا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لا تنفروا معه إذا استنّفركم، وإن لا تنصروه، فقد أيدّه الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بلده «مكة»، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه)، وألجؤهما إلى ثقب في جبل ثور بـ«مكة»، فمكثا فيه ثلاث ليال، إذ يقول لصاحبه «أي بكر» لَمَّا رَأَى مِنْهُ الْخَوْفَ عَلَيْهِ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا بنصره وتأنيده، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الظُّمَانِيَّةَ فِي قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعَانَهُ بِجُنُودٍ لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ، فَانْجَاهَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَأَذَلَّ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى. وكلمة الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام. والله عزيز في ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أَنِفِرُواْ أَخْفَاَ وَأَوْثَقَاْ وَجَهْدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ
وَلَا كُنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّكَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ
﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَزِدُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن
يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَرَادُواْ ثَوَابَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْهُم يَرْتَدُّونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ
أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لَأَعَدَّ اللَّهُ عَذَابَهُ وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ لِيُعَاجِلَهُمْ
فَتْحَهُمْ وَقِيلَ أَفْعَدُّوْاْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُمْ
مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خِلَالًا وَلَا وَضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

(٤١) اخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله شباباً وشيوخاً في العسر واليسر، على أي حال كنتم، وأنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقاتلوا بأيديكم لإعلاء كلمة الله، ذلك الخروج والبذل خير لكم في حاكم ومالككم من التناقل والإمساك والتخلف، إن كنتم من أهل العلم بفضل الجهاد وثوابه عند الله فافعلوا ما أمركم به، واستجيبوا لله ورسوله.

(٤٢) وبخ الله جلّ جلاله جماعة من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة «تبوك» مبيهاً أنه لو كان خروجهم إلى غنيمة قريبة سهلة المنال لاتبعوك، ولكن لما دعوا إلى قتال الروم في أطراف بلاد «الشام» في وقت الحر تحاذلوا، وتخلفوا، وسيعتذرون لتخلفهم عن الخروج حالفين بالله بأنهم لا يستطيعون ذلك، يهلكون أنفسهم بالكذب والنفاق، والله يعلم إنهم لكاذبون فيما يبدون لك من الأعذار.

(٤٣) عفا الله عنك - أيها النبي - عما وقع منك

من ترك الأولى والأكمل، وهو إذنك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أذنت هؤلاء بالتخلف عن الغزوة، حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟

(٤٤) ليس من شأن المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستأذنوك - أيها النبي - في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وإنما هذا من شأن المنافقين. والله عليم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتباب نواهيها.

(٤٥) إنما يطلب الإذن للتخلف عن الجهاد الذين لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعملون صالحاً، وشكّت قلوبهم في صحة ما جئت به - أيها النبي - من الإسلام وشرائعه، فهم في شكهم يتحذرون.

(٤٦) ولو أراد المنافقون الخروج معك - أيها النبي - إلى الجهاد لتأهبوا له بالزاد والراحلة، ولكن كره خروجهم فتقل عليهم الخروج قضاء وقدرًا، وإن كان أمرهم به شرعاً، وقيل لهم: تخلفوا مع القاعدين من المرضى والضعفاء والنساء والصبيان.

(٤٧) لو خرج المنافقون معكم - أيها المؤمنون - للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنيمة والبغضاء، يبعون فتنتكم بشيطلكم عن الجهاد في سبيل الله، وفيكم - أيها المؤمنون - عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم. والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك.

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا آلَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَنْفِتُنِي ۖ أَفَلَا الْفِتْنَةُ سَاطِلَةٌ إِلَّا أَنْ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ نُصِيبَكَ
حَسَنَةً نَسْأَلْهَا وَإِنْ نُصِيبَكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَنَسَوَلُوا وَهُمْ قَرِيعُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَى بَصَائِلَ
إِلَّا أُحْدِى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَى بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَدِيكَ فَتَرَى صَوَابَنَا مَعَكُمْ
مُتَرَيِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَفَفُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنُتَقَبَّلَ
مِنْكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ ۖ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

(٤٨) لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصددهم عن سبيل الله من قبل غزوة «تبوك»، وكشف أمرهم، وصرفوا لك -أيها النبي- الأمور في إبطال ما جئت به، كما فعلوا يوم «أحد» ويوم «الخنديق»، ودبروا لك الكيد حتى جاء النصر من عند الله، وأعز جنده ونصر دينه، وهم كارهون له.

(٤٩) ومن هؤلاء المنافقين من يطلب الإذن للعود عن الجهاد ويقول: لا توقني في الابتلاء بما يعرض لي في حالة الخروج من فتنة النساء. لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى. وإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُغلب منهم أحد.

(٥٠) إن يصيبك -أيها النبي- سرور وغنيمة يحزن المنافقون، وإن يلحق بك مكروه من هزيمة أو شدة يقولوا: نحن أصحاب رأي وتدبير قد احتطنا لأنفسنا بتخلفنا عن محمد، وينصرفوا وهم مسرورون بما صنعوا وبما أصابك من السوء.

(٥١) قل -أيها النبي- هؤلاء المتخاذلين زجرأ لهم وتوبيخاً: لن يصيبنا إلا ما قدره الله علينا وكتبه في اللوح المحفوظ، هو ناصراً على أعدائنا، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به.

(٥٢) قل لهم -أيها النبي-: هل تنتظرون بنا إلا شهادة أو ظفراً بكم؟ ونحن نتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو يأيدنا فنقتلكم، فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم.

(٥٣) قل -أيها النبي- للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طاعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم؛ لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته.

(٥٤) وسبب عدم قبول نفقاتهم أنهم أضرموا الكفر بالله عز وجل وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يأتون الصلاة إلا وهم متناقلون، ولا يتفقدون الأموال إلا وهم كارهون، فهم لا يرجون ثواب هذه الفرائض، ولا يخشون على تركها عقاباً بسبب كفرهم.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَوَارِثُونَ ﴿٥٤﴾
 وَيَعْلَمُونَ بِأَنَّ اللَّهَ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
 قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٥﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَاجًا أَوْ مَدَّحَلًا
 لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٦﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي
 الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
 هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
 وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمَوْلَى قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
 وَالْغُرَبَاءِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنُ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
 مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

(٥٥) فلا تعجبك -أيها النبي- أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم؛ إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها، حيث لا يحتسبون ذلك عند الله، وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ورسوله.

(٥٦) ويحلف هؤلاء المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون كذباً وباطلاً إنهم لكم، وليسوا منكم، ولكنهم قوم يخافون فيحلفون بغيره لكم.

(٥٧) لو يجد هؤلاء المنافقون مأمناً وحصناً يحفظهم، أو كهفاً في جبل يؤويهم، أو نفقاً في الأرض ينجيهم منكم، لانصرفوا إليه وهم يسرعون.

(٥٨) ومن المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، فإن ناهم نصيب منها رضوا وسكتوا، وإن لم يصيبهم حظ منها سخطوا عليك وعابوك.

(٥٩) ولو أن هؤلاء الذين يعيبونك في قسمة

الصدقات رضوا بما قسم الله ورسوله لهم، وقالوا: حسبتنا الله، سيؤتينا الله من فضله، ويعطينا رسوله مما آتاه الله، إنا نرغب أن يوسع الله علينا، فيغنيانا عن الصدقة وعن صدقات الناس. لو فعلوا ذلك لكان خيراً لهم وأجدي.

(٦٠) إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئاً، وللمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وللسعاة الذين يجمعونها، وللذين تؤلفون قلوبهم بها من يرزقهم إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شر أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلتهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة، هذه القسمة فريضة فرضها الله وقدرها. والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.

(٦١) ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام، ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه، قل لهم -أيها النبي-: إن محمداً هو أذن تستمع لكل خير، يؤمن بالله ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه، وهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه. والذين يؤذون رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء، لهم عذاب مؤلم موجه.

يَخْلِفُونَ بِإِلَهِ لَكُمْ لِرِضْوَانِهِمْ وَأَنَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَن يُرْضَوْا بِهِمْ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن
 يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن
 تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا
 إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِكُمْ وَآلِهَتِهِمْ
 وَرُسُلِهِمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ فَنَعِذْ طَائِفَةٌ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنَكْرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَالْهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

(٦٢) يخلف المنافقون الأيمان الكاذبة، ويقدمون الأعذار الملققة؛ ليرضوا المؤمنين، والله ورسوله أحق وأولى أن يرضوا بها بالإيمان بهما وطاعتها، إن كانوا مؤمنين حقاً.

(٦٣) ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن مصير الذين يجاربون الله ورسوله ناز جهنم لهم العذاب الدائم فيها؟ ذلك المصير هو الهوان والذل العظيم، ومن المحاربة أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه والقدح فيه، عباداً بالله من ذلك.

(٦٤) يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، قل لهم -أيها النبي-: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله خرج حقيقة ما تحذرون.

(٦٥) ولئن سألتهم -أيها النبي- عما قالوا من القدح في حقك وحق أصحابك ليقولن: إنما كنا نتحدث بكلام لا قصد لنا به، قل لهم -أيها

النبي-: أبالله عز وجل وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟

(٦٦) لا تعتذروا -معشر المنافقين- فلا جدوى من اعتذاركم، قد كفرتم بهذا المقال الذي استهزأتم به، إن نعف عن جماعة منكم طلبت العفو وأخلصت في توبتها، نعذب جماعة أخرى بسبب إجرامهم بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

(٦٧) المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيوان واستبطنهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله وينهون عن الإيوان والطاعة، ويمسكون أيديهم عن النقة في سبيل الله، نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقههم إلى خير. إن المنافقين هم الخارجون عن الإيوان بالله ورسوله.

(٦٨) وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً، هي كافيتههم؛ عقاباً على كفرهم بالله، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب دائم.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَانُوا ثَوَابًا
وَأُولَئِكَ فَاسْتَغْمَعُوا يَخْلَقُهُمْ فَاسْتَغْمَعُوا يَخْلَقُهُمْ
كَمَا اسْتَمَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُهُمْ وَخُضُّهُمْ
كَالَّذِي خَاصُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِيهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفَكِينَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانُوا يَسْمَعُونَ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

(٦٩) إن أفعالكم -معشر المنافقين- من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم، فاطمأنوا إلى الحياة الدنيا، وتغنّوا بها فيها من الخطوط والملاذات، فاستمتعتم أمها المنافقون بنصيبكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية، وخضتم بالكذب على الله كخوض تلك الأمم قبلكم، أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهب حسانتهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون ببيعهم نعيم الآخرة بحظوظهم من الدنيا.

(٧٠) ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الذين مضوا من قوم نوح وقبيلة عاد وقبيلة ثمود وقوم إبراهيم وأصحاب «مدين» وقوم لوط عندما جاءهم المرسلون بالوحي وبآيات الله فكذبوهم؟ فأنزل الله هؤلاء جميعاً عذابه؛ انتقاماً منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن

كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكذب والمخالفة.

(٧١) والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نهوا عنه، أولئك سيرحهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه.

(٧٢) وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها، ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم.

يَتَّيْنَاهُ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ رَاغِلًاظ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيْسُ الْمَصِيرِ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ
يُمَارِتُونَ إِلَٰهَ مَا نَعْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا بَعْدَ ذَلِكَ
فَعَذَابُ الْإِلَٰمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُنَازِلُنَا
مِنْ فَضْلِهِ أَفَنَصِدُقَ وَلَنْ نَكُونَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ تَخَلَّوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ لِقَايَتِهِ
يَمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

(٧٣) يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة، واشدد على كلا الفريقين، ومقرهم جهنم، وبئس المصير مصيرهم.

(٧٤) يخلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئاً يسيء إلى الرسول وإلى المسلمين، إنهم لكاذبون؛ فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام وحاولوا الإضرار برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم الله من ذلك، وما وجد المنافقون شيئاً يعيونه، ويتقدونه، إلا أن الله - تعالى - تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فإن يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو خير لهم، وإن يعرضوا، أو يستمروا على حالهم، يعذبهم الله العذاب الموجه في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بتار جهنم، وليس لهم منقذ ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب.

(٧٥) ومن فقراء المنافقين من يقطع العهد على

نفسه: لئن أعطاه الله المال ليصدق منه، وليعملن ما يعمل الصالحون في أموالهم، وليسرن في طريق الصلاح.

(٧٦) فلما أعطاهم الله من فضله بخلوا بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في الخير، وتولوا وهم معرضون عن الإسلام.

(٧٧) فكان جزاء صنيعهم وعاقبتهم أن زادهم نفاقاً على نفاقهم، لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب؛ وذلك بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكذبهم.

(٧٨) ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم ما يخفونه في أنفسهم وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر، وأن الله علام الغيوب؟ فسيجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم.

(٧٩) ومع بخل المنافقين لا يسألهم المتصدقون من أذاهم؛ فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزؤوا بهم، وقالوا سخرية منهم: ماذا تجدي صدقتهم هذه؟ سخر الله من هؤلاء المنافقين، ولهم عذاب مؤلم موجه.

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلَيْضَحْكُوا قَلِيلًا وَلَيْبَكُوا كِبَرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْلَجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأُولَدُهُمْ إِمَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَأْكُلْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

(٨٠) استغفر - أيها الرسول - للمنافقين - للمنافقين أو لا تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، مهما كثر استغفاركم لهم وتكرر؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله. والله سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى الخارجين عن طاعته.

(٨١) فرح المخلفون الذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقعودهم في «المدينة» مخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، وكانت غزوة «تبوك» في وقت شدة الحر. قل لهم - أيها الرسول -: نار جهنم أشد حراً، لو كانوا يعلمون ذلك.

(٨٢) فليضحك هؤلاء المنافقون الذين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة «تبوك» قليلاً في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في نار جهنم؛ جزاءً بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق والكفر.

(٨٣) فإن ردّك الله - أيها الرسول - من غزوتك

إلى جماعة من المنافقين الثابتين على النفاق، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة «تبوك» فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً في غزوة من الغزوات، ولن تقاتلوا معي عدواً من الأعداء؛ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الذين تخلّفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٨٤) ولا تضلّ - أيها الرسول - أبداً على أحد مات من المنافقين، ولا تقم على قبره لتدعو له؛ لأنهم كفروا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وماتوا وهم فاسقون. وهذا حكم عام في كل من علّم نفاقه.

(٨٥) ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، إنها يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بمكابدهم الشدائد في شأنها، ويموتهم على كفرهم بالله ورسوله.

(٨٦) وإذا أنزلت سورة على محمد صلى الله عليه وسلم تأمر بالإيمان بالله والإخلاص له والجهاد مع رسول الله، طلب الإذن منك - أيها الرسول - أولو اليسار من المنافقين، وقالوا: اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج.

رَضُوا يَأْنِ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَسَكُنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهَنَّمَ وَبِأَمْرِ إِلَهِمُ وَانْفُسُهُمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتْهُمْ تَقْبِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

(٨٧) رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم بالعار، وهو أن يبعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعداء، وختم الله على قلوبهم؛ بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله، فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم.

(٨٨) إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو، فقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وأولئك هم الفاتزون.

(٨٩) أعد الله لهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً. ذلك هو الفلاح العظيم.

(٩٠) وجاء جماعة من أحياء العرب حول «المدينة» يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للغزو، وقعد قوم بغير عذر أظهروه جرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سيصيب الذين كفروا من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل وغيره، وفي الآخرة بالنار.

(٩١) ليس على أهل الأعداء من الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج إثم في القعود إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ما على من أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ناصح لله ولرسوله من طريق يعاقب من قبله ويؤاخذ عليه. والله غفور للمحسنين، رحيم بهم.

(٩٢) وكذلك لا إثم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم بحملهم إلى الجهاد قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب، فانصرفوا عنك، وقد فاضت أعينهم دمعاً أسفاً على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون، وما يحملهم لو خرجوا للجهاد في سبيل الله.

(٩٣) إنما الإثم والولوم على الأغنياء الذين جاؤوك -أيها الرسول- يطلبون الإذن بالتخلف، وهم المنافقون الأغنياء اختاروا لأنفسهم القعود مع النساء وأهل الأعداء، وختم الله على قلوبهم بالنفاق، فلا يدخلها إيمان، فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ خُبْرِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُرْجِدُوكُمْ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَآكَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنَرَضُوا عَنْهُمْ قَاتِ تَرَضُوا عَنْهُمْ قَاتِ اللَّهُ لَا تَرْحَمُ عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَالْأَعْرَابُ مِنْ بَنِي قُورَيْشٍ وَمِنْ بَنِي نَضِيرٍ وَمِنْ بَنِي كَنْدَلٍ وَمِنْ بَنِي لُؤْلُؤٍ وَمِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَمِنْ بَنِي دَاوُدَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَالْأَعْرَابُ مِنْ بَنِي قُورَيْشٍ وَمِنْ بَنِي نَضِيرٍ وَمِنْ بَنِي كَنْدَلٍ وَمِنْ بَنِي لُؤْلُؤٍ وَمِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَمِنْ بَنِي دَاوُدَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٩﴾ قُرَيْشٌ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٠﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَآكَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠١﴾

(٩٤) يعتذر إليكم - أيها المؤمنون - هؤلاء المتخلفون عن جهاد المشركين بالأكاذيب عندما تعودون من جهادكم من غزوة «تبوك»، قل لهم - أيها الرسول -: لا تعتذروا لن تصدقكم فيما تقولون، قد نبأنا الله من أمركم ما حقق لدينا كذبكم، وسيرى الله عملكم ورسوله، إن كنتم تتوبون من نفاقكم، أو تقيمون عليه، وسيظهر للناس أعمالكم في الدنيا، ثم ترجعون بعد ممانكم إلى الذي لا تخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، فيخبركم بأعمالكم كلها، ويجازيكم عليها.

(٩٥) سيحلف لكم المنافقون بالله - كاذبين معتردين - إذا رجعتكم إليهم من الغزو؛ لتتركهم دون مساءلة، فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقاراً لهم، إنهم خبثاء البواطن، ومكانهم الذي يأوون إليه في الآخرة نار جهنم؛ جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا.

(٩٦) يحلف لكم - أيها المؤمنون - هؤلاء

المنافقون كذباً؛ لترضوا عنهم، فإن رضيتهم عنهم - لأنكم لا تعلمون كذبهم - فإن الله لا يرضى عن هؤلاء ولا غيرهم ممن استمروا على الفسوق والخروج عن طاعة الله ورسوله.

(٩٧) الأعراب البادية أشد كُفراً ونفاقاً من أهل الحاضرة، وذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وبُعدهم عن العلم والعلاء ومجالس الوعظ والذكر، فهم لذلك أحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام. والله عليهم بحال هؤلاء جميعاً، حكيم في تدبيره لأمر عباده.

(٩٨) ومن الأعراب من يحتسب ما ينفق في سبيل الله غرامة وخسارة لا يرجو له ثواباً، ولا يدفع عن نفسه عقاباً، وينتظر بكم الحوادث والآفات، ولكن السوء دائر عليهم لا بالمسلمين. والله سميع لما يقولون عليهم بنيانهم الفاسدة.

(٩٩) ومن الأعراب من يؤمن بالله ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، ويحتسب ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قاصداً بها رضا الله ومحبة، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له، ألا إن هذه الأعمال تقربهم إلى الله تعالى، سيدخلهم الله في جنته. إن الله غفور لما فعلوا من السيئات، رحيم بهم.

وَالسَّائِقُونَ الَّذِينَ لَا قُلُوبَ لَهُمْ يَحْزَنُونَ وَالْأَنصَارُ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّو عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعِدُهُمْ قَرَائِينَ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا يَدْرِي اللَّهُ عَنِكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلِّيِّ الْقَبِيِّ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

(١٠٠) والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه الكفار، والذين اتبعوه بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى، أولئك الذين رضي الله عنهم لطاعتهم الله ورسوله، ورضوا عنه لِمَا أَجَزَ لَهُمُ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَإِيَابِهِمْ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا قُصُورُهَا وَأَشْجَارُهَا الْأَنْهَارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، ذَلِكَ هُوَ الْفَلَاحُ الْعَظِيمُ. وفي هذه الآية تزكية للصحابه - رضي الله عنهم - وتعديل لهم، وثناء عليهم؛ ولهذا فإن توفيقهم من أصول الإيمان.

(١٠١) ومن القوم الذين حول «المدينة» أعراب منافقون، ومن أهل «المدينة» منافقون أقاموا على النفاق، وازدادوا فيه طغياناً، بحيث يخفى عليك - أيها الرسول - أمرهم، نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين: بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت، ثم يَرُدُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(١٠٢) وآخرون من أهل «المدينة» ومن حولها، اعترفوا بذنوبهم وندموا عليها وتابوا منها، خلطوا العمل الصالح - وهو التوبة والندم والاعتراف بالذنوب - وغير ذلك من الأعمال الصالحة - بأخر سيئ - وهو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأعمال السيئة - عسى الله أن يوفقهم للتوبة ويقبلها منهم. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(١٠٣) خذ - أي النبي - من أموال هؤلاء التائبين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين، وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفرهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم. والله سميع لكل دعاء وقول، عليم بأحوال العباد ونياتهم، وسيجازي كل عامل بعمله.

(١٠٤) ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها، وأن الله هو التواب لعباده إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا تابوا إلى رضاه؟

(١٠٥) وقل - أي النبي - هؤلاء المتخلفين عن الجهاد: اعملوا الله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، واجتناب المعاصي، فسبى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وسيتبين أمركم، وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سركم وجهركم، فيخبركم بما كنتم تعملون. وفي هذا تهديد ووعد لمن استمر على باطله وطغيانه.

(١٠٦) ومن هؤلاء المتخلفين عنكم - أي المؤمنين - في غزوة «تبوك» آخرون مؤخرون؛ ليقضي الله فيهم ما هو قاض. وهؤلاء هم الذين ندموا على ما فعلوا، وهم: مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، إما يعذبهم الله، وإما يغفر عنهم. والله عليم بمن يستحق العقوبة أو العفو، حكيم في كل أقواله وأفعاله.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُضَادَّاءِ لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَادْنَا إِلَّا آلَاءَ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أَشْسَ عَلَى التَّقْوَىٰ
 مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ
 يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَقَمْنَا أَسْسَ بَيْتَيْنَهُ
 عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بَيْتَيْنَهُ
 عَلَى شِقَاقٍ رَافٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
 ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
 بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
 وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ
 وَالْفُرْقَانِ أَوْفُوا بَعْدَ مِيثَاقِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا
 بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

(١٠٧) والمنافقون الذين بنوا مسجداً؛ مضارةً للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقاً بين المؤمنين؛ ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد «قباء» الذي يصلي فيه المسلمون، فيختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك، وانتظاراً لمن حارب الله ورسوله من قبل - وهو أبو عامر الراهب الفاسق - ليكون مكاناً للكيده للمسلمين، وليحلفن هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا بنيانه إلا الخير والرفق بالمسلمين، والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد «قباء»، والله يشهد إنهم لكاذبون فيها يحلفون عليه. وقد هُدم المسجد وأُحرق.

(١٠٨) لا تقم - أيها النبي - للصلاة في ذلك المسجد أبداً؛ فإن المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أول يوم - وهو مسجد «قباء» - أولى أن تقوم فيه للصلاة، ففي هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون بالتورع والاستغفار من الذنوب والمعاصي. والله يحب المتطهرين. وإذا كان مسجد «قباء» قد أُسِّس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك بطريق الأولى والأحرى.

(١٠٩) لا يستوي من أسَّس بنيانه على تقوى الله وطراعته ومرضاته، ومن أسَّس بنيانه على طرف حفرة متداعية للسقوط، فبنى مسجداً ضاراً وكفراً وتفريقاً بين المسلمين، فأدى به ذلك إلى السقوط في نار جهنم. والله لا يهدي القوم الظالمين المتجاوزين حدوده.

(١١٠) لا يزال بنیان المنافقين الذي بنوه مضارةً لمسجد «قباء» شكاً ونفاقاً مآكناً في قلوبهم، إلى أن تنقطع قلوبهم يقتلهم أو موتهم، أو يندمهم غاية الندم، وتوبتهم إلى ربهم، وخوفهم منه غاية الخوف. والله عليهم بما عليه هؤلاء المنافقون من الشك وما قصدوا في بنائهم، حكيم في تدبير أمور خلقه.

(١١١) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم لبذمهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة المنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفى بما عاهد الله عليه، فأظهروا السرور - أيها المؤمنون - ببيعكم الذي بايعتم الله به، وبما وعدكم به من الجنة والرضوان، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

الَّتِي يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ غَيْرَ مَكْنُونٍ ۖ
وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۚ
وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۚ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْهُمْ حَتَّىٰ تَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُخَيِّرُ
بَيْنَ الشَّرِّ وَالْإِيسَاءِ ۚ وَمَا لِلْكَافِرِينَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْفْرِ ۚ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيحُ قُلُوبَهُمْ
فَإِنْ يَنْصَرِفْ مِنْهُمْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ

(١١٢) ومن صفات هؤلاء المؤمنين الذين لهم البشارة بدخول الجنة أنهم التائبون الراجعون عما كرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، الذين أخلصوا العبادة لله وحده وجتدوا في طاعته، الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر، الصائمون، الراكعون في صلاتهم، الساجدون فيها، الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به، وينهونهم عن كل ما نهى الله عنه ورسوله، المؤدبون فرائض الله المتنزهين إلى أمره ونهيه، القائمون على طاعته، الواقفون عند حدوده. ويُسَرُّ -أيها النبي- هؤلاء المؤمنين المتصفين بهذه الصفات برضوان الله وجنته.

(١١٣) ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كانوا ذوي قرابة لهم من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لموتهم على الشرك، والله لا يغفر للمشركين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَأَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾.

(١١٤) وما كان استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك، إلا عن موعدة وعدها إياه، وهي قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾. فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، وأنه سيموت كافراً، تركه وترك الاستغفار له، وتبرأ منه. إن إبراهيم عليه السلام عظيم التضرع لله، كثير الصفح عما يصدر من قومه من الزلات.

(١١٥) وما كان الله ليضل قوماً بعد أن من عليهم بالهداية والتوفيق حتى يبين لهم ما يتقونه به، وما يحتاجون إليه في أصول الدين وفروعه. إن الله بكل شيء عليم، فقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ويبيِّن لكم ما به تنتفعون، وأقام الحجة عليكم بإبلاغكم رسالته.

(١١٦) إن الله مالك السموات والأرض وما فيها لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع، يحجي من يشاء ويميت من يشاء، وما لكم من أحد غير الله يتولى أموركم، ولا نصير ينصركم على عدوكم.

(١١٧) لقد وفق الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وتاب على أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة «تبوك» في حرٍّ شديد، وضيق من الزاد والظَّهر، لقد تاب الله عليهم من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدعة والسكون، لكن الله شتيم وقوَّاهم وتاب عليهم، إنه بهم كثير الرأفة والرحمة في عاجلهم وأجلهم. ومن رحمته بهم أن من عليهم بالتوبة، وقبَّلَهم منهم، وثبَّتَهم عليها.

(١١٨) وكذلك تاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن الأنصار - وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرة بن الربيع - تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحزنوا حزناً شديداً، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بسعتها غمّاً وندماً بسبب تخلفهم، وضاقت عليهم أنفسهم لما أصابهم من الهم، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وفقههم الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة والرجوع إلى ما يرضيه سبحانه. إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

(١١٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون، وكونوا مع الصادقين في أيانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم. (١٢٠) ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا في أهلهم ودورهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول صلى الله عليه وسلم في تعب ومشقة؛ ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا

جماعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضاً يغضب الله فيها، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم قتلاً أو هزيمة إلا كتب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن الله لا يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه، وحق خلقه.

(١٢١) ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ولا يقطعون وادياً في سيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده، إلا كتب لهم أجر عملهم؛ ليجزيهم الله أحسن ما يجزون به على أعمالهم الصالحة.

(١٢٢) وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً لقتال عدوهم، كما لا يستقيم لهم أن يبعدوا جميعاً، فهلاً خرج للغزو والجهاد من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود؛ وذلك ليفقه القاعدون عن القتال فيعلموا ما تجدد من الأحكام في دين الله وما أنزل على رسوله، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم، لعلهم يحذرون عذاب الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنَهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ وَلَا
يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا
أَنْزَلْتُ سُورَةً تَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُمْ
مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سورة التوبة

(١٢٣) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار، وليجد الكفار فيكم غِلْظَةً وشدة، واعلموا أن الله مع المتقين بتأييده ونصره.

(١٢٤) وإذا ما أنزل الله سورة من سور القرآن على رسوله، فومن هؤلاء المنافقين من يقول: -إنكاراً واستهزاء- أيكم زادته هذه السورة تصديقاً بالله وآياته؟

فأما الذين آمنوا بالله ورسوله فزادهم نزول السورة إيماناً بالعلم بها وتدبرها واعتقادها والعمل بها، وهم يفرحون بها أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

(١٢٥) وأما الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله، فإن نزول السورة يزيدهم نفاقاً وشكاً إلى ما هم عليه من قبل من النفاق والشك، وهلك هؤلاء وهم جاحدون بالله وآياته.

(١٢٦) أولاً يرى المنافقون أن الله يتبليهم

بالقحط والشدة، ويظهر ما يبطنون من النفاق مرة أو مرتين في كل عام؟ ثم هم مع ذلك لا يتوبون من كفرهم ونفاقهم، ولا هم يتعظون ولا يتذكرون بما يعاينون من آيات الله.

(١٢٧) وإذا ما أنزلت سورة تعامّر المنافقون بالعيون إنكاراً لنزولها وسخرية وغيطاً؛ لِمَا نزل فيها من ذكر عيوبهم وأفعالهم، ثم يقولون: هل يراكم من أحد إن قمتم من عند الرسول؟ فإن لم يرههم أحد قاموا وانصرفوا من عنده عليه الصلاة والسلام مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الإيمان؛ بسبب أنهم لا يفهمون ولا يتدبرون.

(١٢٨) لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم، يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة.

(١٢٩) فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك -أيها الرسول- فقل لهم: حسبي الله، يكفيني جميع ما أهمني، لا معبود بحق إلا هو، عليه اعتمدت، وإليه قوّضت جميع أموري؛ فإنه ناصر ومعين، وهو ربُّ العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات.

﴿سورة يونس﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده.

(٢) أكان أمراً عجباً للناس إنزالنا الوحي بالقرآن على رجل منهم ينذرهم عقاب الله، ويبشّر الذين آمنوا بالله ورسله أن لهم أجراً حسناً بما قدّموا من صالح الأعمال؟ فلبا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحى الله وتلاه عليهم، قال المنكرون: إنَّ محمداً ساحر، وما جاء به سحر ظاهر البطلان.

(٣) إن ربكم الله الذي أوجد السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى - أي: علا - وارتفع - على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، يدبر أمور خلقه، لا يضاهه في قضائه أحد، ولا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له بالشفاعة، فاعبدوا الله ربكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيْثَانُكَ إِنَّا كَتَبْنَا الْحَكِيمَ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عَنْهُمْ قَالِ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنْ رَبُّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ اللَّهُ رُبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَهُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّمِينَ وَالْجَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَلْهَى يُفَصِّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنْ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

المتصف بهذه الصفات، وأخلصوا له العبادة. أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج؟

(٤) إلى ربكم معادكم يوم القيامة جميعاً، وهذا وعد الله الحق، هو الذي يبدأ إيجاد الخلق ثم يعيده بعد الموت، فيجده حياً كهفته الأولى؛ ليجزي من صدق الله ورسوله، وعمل الأعمال الحسنة أحسن الجزاء بالعدل. والذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله لهم شراب من ماء شديد الحرارة يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء، وهم عذاب موجه بسبب كفرهم وضلالهم.

(٥) الله هو الذي جعل الشمس ضياء، وجعل القمر نوراً، وقدر القمر منازل، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله تعالى الشمس والقمر إلا لحكمة عظيمة، ودلالة على كمال قدرة الله وعلمه، بيّن الحجج والأدلة لقوم يعلمون الحكمة في إبداع الخلق.

(٦) إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من عجائب الخلق وما فيها من إبداع ونظام، لأدلة وحججاً واضحة لقوم يخشون عقاب الله وسخطه وعذابه.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتَعَجَلُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَذَرِ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الضُّرُّ دَعَا إِلَى جَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَوْ دَعَا إِلَى صُرْمَسَةٍ كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ تَجْرَى الْقُرُونُ الْمُجْرِمَاتِ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(٧) إن الذين لا يطمعون في لقائنا في الآخرة للحساب، وما يتلوه من الجزاء على الأعمال لإنكارهم البعث، ورضوا بالحياة الدنيا عوضاً عن الآخرة، وركنوا إليها، والذين هم عن آياتنا الكونية والشرعية ساهون.

(٨) أولئك مقرهم نار جهنم في الآخرة؛ جزاء بما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا.

(٩) إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يدلهم ربهم إلى طريق الجنة، ويوفقهم إلى العمل الموصل إليه؛ بسبب إيمانهم، ثم يثيهم بدخول الجنة وإحلال رضوانه عليهم، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار في جنات النعيم.

(١٠) دعاؤهم في الجنة التسبيح (سبحانك اللهم)، ونحية الله وملائكته لهم، ونحية بعضهم بعضاً في الجنة (سلام)، وآخر دعائهم قومه: «الحمد لله رب العالمين» أي: الشكر والثناء لله خالق المخلوقات ومربيها بنعمه.

(١١) ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في

الشر كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة لهلكوا، فترك الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث والنشور في تمردهم وعتوهم، يترددون حائرين.

(١٢) وإذا أصاب الإنسان الشدة استغاث بنا في كشف ذلك عنه مضطجعا لجنبه أو قاعداً أو قائماً، على حسب الحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرر به. فلما كشفنا عنه الشدة التي أصابته استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرر، ونسي ما كان فيه من الشدة والبلاء، وترك الشكر لربه الذي فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء، كما زُيِّن لهذا الإنسان استمراره على جحوده وعناده بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضرر، زُيِّن للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به.

(١٣) ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم -أيها المشركون بربهم- لما أشركوا، وجاءتهم رسلهم من عند الله بالمعجزات الواضحات والحجج التي تبين صدق من جاء بها، فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها لتصدق رسلها وتنقاد لها، فاستحقوا الهلاك، مثل ذلك الإهلاك نجزي كل مجرم متجاوز حدود الله.

(١٤) ثم جعلناكم -أيها الناس- خلقاً في الأرض من بعد القرون المهلكة؛ لننظر كيف تعملون: أخيراً أم شراً، فنجازيكم بذلك حسب عملكم.

(١٥) وإذا تتلى على المشركين آيات الله التي أنزلناها إليك - أيها الرسول - واضحات، قال الذين لا يخافون الحساب، ولا يرجون الثواب، ولا يؤمنون بيوم البعث والنشور: انت بقرآن غير هذا، أو بدّل هذا القرآن: بأن تجعل الحلال حراماً، والحرام حلالاً، والوعد وعيداً، والوعيد وعداً، وأن تُسقط ما فيه من عيب أهلكنا وتسفيه أهلكنا، قل لهم - أيها الرسول -: إن ذلك ليس إليّ، وإنما أتبع في كل ما أمركم به وأناهم عنه ما ينزله عليّ ربي ويأمرني به، إني أخشى من الله - إن خالفت أمره - عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة.

(١٦) قل لهم - أيها الرسول -: لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم، ولا أعلمكم الله به، فاعلموا أنه الحق من الله، فإنكم تعلمون أنني مكثت فيكم زمناً طويلاً من قبل أن يوحى إليّ ربي، ومن قبل أن أتلوهم عليكم، أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير؟

وإذا تتلى عليهم آياتنا ينسيت قال الذين لا يرجون لقاءنا آتيت بقرة إن غير هذا أو بدّل الله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاي نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما أتوناه وعليكم ولا آذركم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يبلغ المجرم موت ويعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعتنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان للناس إلا أئمة واحدة فاختلّفوا وأولوا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لو لا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنظرين

(١٧) لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بآياته، إنه لا ينجح من كذب بأنبياء الله ورسوله، ولا ينالون الفلاح.

(١٨) ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله ما لا يضرهم شيئاً، ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويقولون: إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله، قل لهم - أيها الرسول -: اتقبرون الله تعالى بشيء لا يعلمه من أمر هؤلاء الشفعاء في السموات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيها شفعاء يشفعون لكم عنده لكان أعلم بهم منكم، فالله تعالى منزّه عما يفعله هؤلاء المشركون من إشرأفهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع.

(١٩) كان الناس على دين واحد وهو الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فكفر بعضهم، وثبت بعضهم على الحق. ولولا كلمة سبقت من الله يأمهال العاصين وعدم معالجتهم بذنوبهم لقضي بينهم: بأن يهلك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق.

(٢٠) ويقول هؤلاء الكفرة المعاندون: هالاً أنزل على محمد علم ودليل، وآية حسية من ربه نعلم بها أنه على حق فيما يقول، فقل لهم - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب أحد إلا الله، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، فانتظروا - أيها القوم - قضاء الله بيننا وبينكم بتعجيل عقوبته للمبطل منا، ونصرة صاحب الحق، إني منتظر ذلك.

(٢١) وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد صرّة مسخرة إذا لهم مكر فيء آياتنا قل الله أسرع مكرًا إِنْ أَرْسَلْنَا بِكَ نَارًا مَكْرُونًا ۖ هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَخَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ نَبَايَهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعِيثُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتْنَعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنِّي أَمْرُجُكُمْ فَنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَرْسَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ آمَرُوا بِهَا لَيْلًا أَوْ هَرَاءً فَبَجَلْنَاهَا حَبِصًا كَانَ لَرُبْعَنَ يَأْمَسُ كَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَلْبَابَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

(٢٢) هو الذي يسركم - أيها الناس - في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر في السفن، حتى إذا كنتم فيها وجرت بريح طيبة، وفرح ركاب السفن بالريح الطيبة، جاءت هذه السفن ربيع شديدة، وجاء الركاب الموج (وهو ما ارتفع من الماء) من كل مكان، وأيقنوا أن الهلاك قد أحاط بهم، أخلصوا الدعاء لله وحده، وتركوا ما كانوا يعبدون، وقالوا: لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك.

(٢٣) فلما أنجاهم الله من الشدائد والأحوال إذا هم يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. يا أيها الناس إنما وبأى بغيكم راجع على أنفسكم، لكم متاع في الحياة الدنيا الزائلة، ثم إلينا مصيركم ومرجعكم، فنخبركم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها.

(٢٤) إنما مثل الحياة الدنيا وما تنفخون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسن هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضوانا بهلاك ما عليها من النبات، والزينة ما ليلاً وإما نهراً، فبجلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة لا شيء فيها، كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه الأرض، فكَذَلِكَ يَأْتِي الْفَنَاءُ عَلَى مَا تَبَاهُونَ بِهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ وَزَخَارِفِهَا فَيَفْنِيهَا اللَّهُ وَيَهْلِكُهَا. وكما نبأ لكم - أيها الناس - مثّل هذه الدنيا وعرفناكم بحقيقتها، نبئ حججنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

(٢٥) والله يدعوكم إلى جناته التي أعدها لأوليائه، ويهدي من يشاء من خلقه، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام.

* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
 وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ
 كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْشِيهَا وَتَرَهُمْ هُمْ ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ حَاصِرَةٍ ۚ إِنَّهُمْ غَمِيشٌ بُجُوهُهُمْ قَطَعُتِ السَّيْلُ
 مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
 جَمِيعًا ۖ نُنْفِئُكَ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَرَيْتُمْ
 يُبْتَلُهُمْ ۖ قَالَ شُركاءُهم مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ
 شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عِبَادَتِكُمْ لِغُلِيلٍ ﴿٢٩﴾
 هَٰذَا لِكَيْ تَتْلُوا كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۖ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
 الْحَقُّ ۖ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ
 الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ
 فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَلَا لَكُمْ أَلَهٌ رَبُّكُمْ
 الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
 حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

(٢٦) للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله
 فأطاعوه فيما أمر ونهى، الجنة، وزيادة عليها،
 وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرة
 والرضوان، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة،
 كما يلحق أهل النار. هؤلاء المتصفون بهذه
 الصفات هم أصحاب الجنة ماكثون فيها أبداً.

(٢٧) والذين عملوا السيئات في الدنيا فكفروا
 وعصوا الله لهم جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها
 بمثلاً من عقاب الله في الآخرة، وتغشاهم ذلة
 وهوان، وليس لهم من عذاب الله من مانع
 يمنعمهم إذا عاقبهم، كأننا ألبست وجوههم
 أجزاء من سواد الليل المظلم. هؤلاء هم أهل
 النار ماكثون فيها أبداً.

(٢٨) واذكر - أيها الرسول - يوم نحشر الخلق
 جميعاً للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا
 بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاءكم الذين كنتم
 تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يفعل
 بكم، ففرقنا بين المشركين ومعبودهم، وتبرأ من
 عبداً من دون الله عن كانوا يعبدونهم، وقالوا
 للمشركين: ما كنتم إيانا تعبدون في الدنيا.

(٢٩) فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم، إننا لم نكن

نعلم ما كنتم تقولون وتفعلون، ولقد كنّا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر بها.

(٣٠) في ذلك الموقف للحساب تتفقد كل نفس أحوالها وأعمالها التي سلفت وتعاينها، وتجازى بحسبها: إن خيراً فخير،
 وإن شراً فشر، وُردّ الجميع إلى الله الحكم العدل، فأُدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وذهب عن المشركين ما كانوا
 يعبدون من دون الله افتراء عليه.

(٣١) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، بِمَا يُنْزِلُ مِنَ الْمَطَرِ، وَمَنِ الْأَرْضُ بِمَا يُنبِتُ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ
 النباتات والشجر تأكلون منه أنتم وأنعامكم؟ وَمَنْ يَمْلِكُ مَا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ مِنْ حَوَاسِّ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ؟ وَمَنِ
 ذَا الَّذِي يَمْلِكُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، فيخرج الأحياء والأموات بعضها من بعض فيها تعرفون من المخلوقات، وفيها
 لا تعرفون؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وأمركم وأمر الخليقة جميعاً؟ فسوف يجيبونك بأن الذي يفعل ذلك
 كله هو الله، فقل لهم: أَفَلَا تَتَخَفُونَ عِقَابَ اللَّهِ إِنْ عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

(٣٢) فذلكم الله ربكم هو الحق الذي لا ريب فيه، المستجيب للعبادة وحده لا شريك له، فأَيُّ شَيْءٍ سِوَى الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟
 فكيف تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ؟

(٣٣) كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم، حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين خرجوا عن طاعة
 ربهم إلى معصيته وكفروا به أنهم لا يصدقون بوحدةانية الله، ولا بنبوّة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يعملون بهدي.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَدْعُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تَقُولُونَ ۖ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا لَأَنْ يَهْدِيَ قُلْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظُلْمًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۖ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَاءَ لَهُمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۖ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيقُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۖ

(٣٤) قل لهم -أيها الرسول-: هل من اهتكم ومعبوداتكم من يبدأ خلق أي شيء من غير أصل، ثم يغنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يغنيه؟ فإنهم لا يقدرين على دعوى ذلك، قل -أيها الرسول-: الله تعالى وحده هو الذي ينشئ الخلق ثم يغنيه ثم يعيده، فكيف تنصرفون عن طريق الحق إلى الباطل، وهو عبادة غير الله؟ (٣٥) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: هل من شركائكم من يرشد إلى الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرين على ذلك، قل لهم: الله وحده يهدي الفضل عن الهدى إلى الحق. -أيها الحق بالاتباع: من يهدي وحده للحق أم من لا يهدي لعدم علمه ولضلاله، وهم شركاؤكم الذين لا يهتدون ولا يهتدون إلا أن يهتدوا؟ فما بالكم كيف سويتهم بين الله وخلقهم؟ وهذا حكم باطل. (٣٦) وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين في جعلهم الأصنام آلهة واعتقادهم بأنها تقرب إلى الله إلا تخرفاً وظناً، وهو لا يغني من اليقين شيئاً. إن الله عليم بما يفعل هؤلاء المشركون من الكفر والتكذيب.

(٣٧) وما كان تهيئاً لأحد أن يأتي بهذا القرآن من عند غير الله؛ لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، ولكن الله أنزله مصدقاً للكتب التي أنزلها على أنبيائه؛ لأن دين الله واحد، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا شك في أن هذا القرآن موحي من رب العالمين.

(٣٨) بل يقولون: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فإنهم يعلمون أنه بشر مثلهم!! قل لهم -أيها الرسول-: فأتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهدايته، واستعينوا على ذلك بكل من قد زُتم عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في دعواكم.

(٣٩) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه، قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بها لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك، ولم يأثمهم بعد حقيقة ما وعدوا به في الكتاب. وكما كذب المشركون بوعد الله كذبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كانت عاقبة الظالمين؟ فقد أهلك الله بعضهم بالخسوف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.

(٤٠) وبين قومك -أيها الرسول- من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به حتى يموت على ذلك ويبعث عليه، وربك أعلم بالمفسدين الذين لا يؤمنون به على وجه الظلم والعناد والفساد، فيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب.

(٤١) وإن كذبتك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون فقل لهم: لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، فأنتم لا تؤاخذون بعلمي، وأنا لا أؤاخذ بعلمكم.

(٤٢) ومن الكفار من يسمعون كلامك الحق، وتلاوتك القرآن، ولكنهم لا يهتدون. أفأنت تقدر على إسراع الصم؟ فذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله هدايتهم؛ لأنهم صم عن سماع الحق، لا يعقلونه.

(٤٣) ومن الكفار من ينظر اليك وإلى أدلة نبوتك الصادقة، ولكنه لا يبصر ما أتاك الله من نور الإيوان، أفأنت -أيها الرسول- تقدر على أن تخلق للعمى أبصاراً يهتدون بها؟ فكذلك لا تقدر على هدايتهم إذا كانوا فاقدى البصيرة، وإنا ذلك كله لله وحده.

(٤٤) إن الله لا يظلم الناس شيئاً بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أمر الله ونهيه.

(٤٥) ويوم يحشر الله هؤلاء المشركين يوم البعث والحساب، كأنهم قبل ذلك لم يمكنوا في الحياة الدنيا إلا قدر ساعة من النهار، يعرف بعضهم بعضاً كحالمهم في الدنيا، ثم انقطعت تلك المعرفة وانقضت تلك الساعة. قد خسر الذين كفروا وكتبوا بقاء الله وثوابه وعقابه، وما كانوا موقفين لإصابة الرشد فيما فعلوا.

(٤٦) وإنا نريك -أيها الرسول- في حياتك بعض الذي تعذبهم من العقاب في الدنيا، أو تنويفك قبل أن نريك ذلك فيهم، فإلينا وحدنا يرجع أمرهم في الخالئين، ثم الله شهيد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منها، فيجازيهم بها جزاءهم الذي يستحقونه.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأُمِّيَّ وَقَوْكَ لَوْلَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَوْنَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا نُرِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُوفِّتُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَذَابُهُمُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا فَمَاذَا يُسْعَجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَنَّهُ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْسَمَ بِهِ عَالِقٌ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُورُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَيَسْتَعِيبَنَّكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

(٤٧) ولكل أمة خلَّت قبلكم -أيها الناس- رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمداً إليكم يدعو إلى دين الله وطاعته، فإذا جاء رسوله في الآخرة قُضِيَ حينئذ بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون من جزاء أفعالهم شيئاً.

(٤٨) ويقول المشركون من قومك -أيها الرسول-: متى قيام الساعة إن كنت أنت ومن تبعك من الصادقين فيها تعدونا به؟ (٤٩) قل لهم -أيها الرسول-: لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضرراً، ولا أجلب لها نفعاً، إلا ما شاء الله أن يدفع عني من ضرر أو يجلب لي من نفع. لكل قوم وقت لانقضاء مدتهم وأجلهم، وإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم، فلا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون، ولا يتقدم أجلهم عن الوقت المعلوم.

(٥٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن أتاكم عذاب الله ليلاً أو نهاراً، فأَي شيء تستعجلون أيها المجرمون بنزول العذاب؟

(٥١) أبعدما وقع عذاب الله بكم -أيها المشركون- أمتتم في وقت لا ينفعكم فيه الإيوان؟ وقيل لكم حينئذ: الآن تؤمنون به، وقد كنتم من قبل تستعجلون به؟

(٥٢) ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله: تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبداً، فهل تُعاقبون إلا بما كنتم تعملون في حياتكم من معاصي الله؟

(٥٣) ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك -أيها الرسول- عن العذاب يوم القيامة، أحق هو؟ قل لهم -أيها الرسول-: نعم وربِّي إنه لحق لا شك فيه، وما أنتم بمعجزين الله أن يبعثكم ويجازيكم، فأنتم في قبضته وسلطانه.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بِنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يَظْلُمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُخَوِّعُ مَن يَشَاءُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِدَةٍ
 مِن رَّبِّكُمْ وَشِقَاقُ الْبَدَنِ وَالْهَدَى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
 فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَن تَكُلُوا عَلَى
 اللَّهِ تَقَرُّونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
 وَلَا تَقُولُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
 فِيهِ وَمَا يَعْبُرُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

(٥٤) ولو أن لكل نفس أشركت وكفرت بالله جميع ما في الأرض، وأمكنها أن تجعله فداء لها من ذلك العذاب لافتدت به، وأخفى الذين ظلموا حسرتهم حين أبصروا عذاب الله واقعا بهم جميعا، وقضى الله عز وجل بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه.

(٥٥) ألا إن كل ما في السموات وما في الأرض ملك لله تعالى، لا شيء من ذلك لأحد سواه. ألا إن لقاء الله تعالى وعذابه للمشركين كائن، ولكن أكثرهم لا يعلمون حقيقة ذلك.

(٥٦) إن الله هو المحي والمميت لا يتعدى عليه إحياء الناس بعد موتهم، كما لا تعجزه إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه راجعون بعد موتهم.

(٥٧) يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده، وهي القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعظات؛ لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض، ورشد لمن اتبعه من الخلق فينجيه من الهلاك، جعله سبحانه وتعالى نعمة ورحمة للمؤمنين، وخصهم بذلك؛ لأنهم المتفنعون بالإيمان، وأما الكافرون فهو عليهم عني.

(٥٨) قل -أيها الرسول- لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته، وهو ما جاءهم من الله من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، فبذلك فليفرحوا؛ فإن الإسلام الذي دعاهم الله إليه، والقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة.

(٥٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء الجاحدين للوحي: أخبروني عن هذا الرزق الذي خلقه الله لكم من الحيوان والنبات والخيرات فحللتم بعض ذلك لأنفسكم وحرمت بعضه، قل لهم: الله أذن لكم بذلك، أم تقولون على الله الباطل وتكذبون؟ وإنهم يقولون على الله الباطل ويكذبون.

(٦٠) وما ظن هؤلاء الذين يتخرون على الله الكذب يوم الحساب، فيضيفون إليه تحريم ما لم يجرمه عليهم من الأرزاق والأقوات، أن الله فاعل بهم يوم القيامة يكذبهم وفريتهم عليه؟ أم يحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر لهم؟ إن الله ذو فضل على خلقه؛ بتركه معاملة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على تفضله عليهم بذلك.

(٦١) وما تكون -أيها الرسول- في أمر من أموركم وما تتلون من كتاب الله من آيات، وما يعمل أحد من هذه الأمة عملا من خير أو شر إلا كنا عليكم شهودا مُطَّلِعِينَ عليه، إذ تأخذون في ذلك، وتعملونه، نحفظه عليكم ونجزيك به، وما يغيب عن علم ربك -أيها الرسول- من زنة نملة صغيرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر الأشياء ولا أكبرها، إلا في كتاب عند الله وواضح جلي، أحاط به علمه وجرى به قلمه.

(٦٢) ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٦٣) وصفات هؤلاء الأولياء، أنهم الذين صدقوا الله واتباعوا رسوله وما جاء به من عند الله، وكانوا يتقون الله بامثال أوامره، واجتناب معاصيه.

(٦٤) هؤلاء الأولياء البشارة من الله في الحياة الدنيا بما يسرهم، ومنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، وفي الآخرة بالجنة، لا يخلف الله وعده ولا يغيره، ذلك هو الفوز العظيم؛ لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب.

(٦٥) ولا يحزنك أيها الرسول - قول المشركين في ربهم واقتراؤهم عليه وإشراكهم معه الأوثان والأصنام؛ فإن الله تعالى هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، وهو السميع لأقوالهم، العليم ببناتهم وأفعالهم.

(٦٦) ألا إن الله كل من في السموات ومن في الأرض من الملائكة، والإنس، والجن وغير ذلك. وأي شيء يتبع من يدعو غير الله من الشركاء؟ ما يتبعون إلا الشك، وإن هم إلا يكذبون فيما ينسبونه إلى الله.

الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَغَيَّرُ كَيْدُكَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ الْآيَاتِ اللَّهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لَتَسْتَعْلِفُوا فِيهِ وَالتَّهَارُ مَبْصُرَاتٍ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَكُمْ قُرْبَى يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَلَمْ تَخُذْ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

(٦٧) هو الذي جعل لكم - أيها الناس - الليل لتسكنوا فيه وتهدؤوا من عناء الحركة في طلب المعاش، وجعل لكم النهار لتبصروا فيه، ولتسعوا لطلب رزقكم. إن في اختلاف الليل والنهار وحال أهلها فيها لدلالة وحججاً على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، لقوم يسمعون هذه الحجج، ويتفكرون فيها.

(٦٨) قال المشركون: اتخذ الله ولداً، كقولهم: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله. تقدس الله عن ذلك كله وتنزهه، هو الغني عن كل ما سواه، له كل ما في السموات والأرض، فكيف يكون له ولد من خلق وكل شيء مملوك له؟ وليس لديكم دليل على ما تفترونه من الكذب، أقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته؟

(٦٩) قل: إن الذين يفترون على الله الكذب بالتحاذي الولد وإضافة الشريك إليه، لا ينالون مطلوبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

(٧٠) إننا نمتعون في الدنيا بكفرهم وكذبهم متاعاً قصيراً، ثم إذا انقضى أجلهم فالينا مصيرهم، ثم نذيقهم عذاب جهنم؛ بسبب كفرهم بالله ونكذبهم رسل الله، وجحدهم آياته.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ اللَّهُ فَعَلِ اللَّهُ قَوْلَ كَذَّبْتَ فَاجْعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ تُلَاحِظُونَ أَمْ أَمْرُكُمْ عَلَى كُمُ عَمَّةٌ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ﴾ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ مِنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَجَعَلْنَاهُ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ وَنَعْبُدَ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَّةَ فِي الْأَرْضِ وَنَمَتْنُ لَكُمُ الْبُغْيُومِينَ ﴿٧٨﴾

(٧١) واقتصر -أيها الرسول- على كفار «مكة» خبر نوح -عليه السلام- مع قومه حين قال لهم: إن كان عظم عليكم مقامي فيكم وتذكيري إياكم بحجج الله وبراهينه فعلى الله اعتيادي وبه تقضي، فاعدوا أمركم، وادعوا شركاءكم، ثم لا تجعلوا أمركم عليكم مستتراً بل ظاهراً منكشفاً، ثم اقضوا عليّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ولا تمهلوني ساعة من نهار.

(٧٢) فإن أعرضتم عن دعوتي فإنني لم أسألكم أجراً؛ لأن ثوابي عند ربي وأجري عليه سبحانه، وحده لا شريك له، وأمريت أن أكون من المنقادين لحكمه.

(٧٣) فكذب نوحاً قومه فيها أخبرهم به عن الله، فنجيناه هو ومن معه في السفينة، وجعلناهم يخفون المكذبين في الأرض، وأعرفنا الذين جحدوا حججنا، فأتامل -أيها الرسول- كيف كان عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم عذاب الله وبأسه؟

(٧٤) ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم (هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وغيرهم) فجاء كل رسول قومه بالمعجزات الدالة على رسالته، وعلى صحة ما دعاهم إليه، فإما كانوا ليصدقوا ويعلموا بها كذب به قوم نوح ومن سبقهم من الأمم الخالية. وكما ختم الله على قلوب هؤلاء الأقوام فلم يؤمنوا، كذلك يختم على قلوب من شابههم من بعدهم من الذين تجاوزوا حدود الله، وخالفوا ما دعاهم إليه رسولهم من طاعته عقوبة لهم على معاصيهم.

(٧٥) ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما، فاستكبرا عن قبول الحق، وكانوا قوماً مشركين مجرمين مكذبين.

(٧٦) فلما أتى فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى قالوا: إن الذي جاء به موسى من الآيات إنما هو سحر ظاهر.

(٧٧) قال لهم موسى متعجباً من قوهم: أتقولون للحق لما جاءكم: إنه سحر مبين؟ انظروا ووصف ما جاءكم وما اشتمل عليه تنجده الحق، ولا يفلح الساحرون، ولا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة.

(٧٨) قال فرعون وملؤه لموسى: أجتئنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آبائنا من عبادة غير الله، وتكون لكم أنت وهارون العظمة والسلطان في أرض «مصر»؟ وما نحن لكم بمقرين بأنكم رسولان أرسلنا إينا؛ لتعبد الله وحده لا شريك له.

(٧٩) وقال فرعون: جيئوني بكل ساحر متقن للسحر.

(٨٠) فلما جاء السحرة فرعون قال لهم موسى: ألقوا على الأرض ما معكم من جبالكم وعصيكم.

(٨١) فلما ألقوا جبالهم وعصيهم قال لهم موسى: إن الذي جئتم به وألقيتموه هو السحر، إن الله سيذهب ما جئتم به وسيطله، إن الله لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بها يكرهه، وأفسد فيها بمعصيته.

(٨٢) وبشّط الله الحق الذي جئتم به من عنده فيُعليه على باطلكم بكلماته وأمره، ولو كره المجرمون أصحاب المعاصي من آل فرعون.

(٨٣) فما آمن لموسى عليه السلام مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئه أن يفتنهم بالعذاب، فيصدّوهم عن دينهم، وإن فرعون لجبار مستكبر في الأرض، وإنه لمن

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِئُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُنْقِمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِئُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ مَكْمًا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَابْتَئُوا الْمَوْتِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

المتجاوزين الحد في الكفر والفساد.

(٨٤) وقال موسى: يا قومي إن صدقتم بالله - جلّ وعلا - وامتثلتم شره فثقوا به، وسلّموا لأمره، وعلى الله توكلوا إن كنتم مذعنين له بالطاعة.

(٨٥) فقال قوم موسى له: على الله وحده لا شريك له اعتمدنا، وإليه فوّضنا أمرنا، ربنا لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُفتن الكفار بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غلبوا.

(٨٦) ونجّينا برحمتك من القوم الكافرين فرعون وملئه؛ لأنهم كانوا يأخذونهم بالأعمال الشاقة.

(٨٧) وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن اتخذوا لقومكم بيوتاً في «مصر» تكون مساكن وملاجئ تعتصمون بها، واجعلوا بيوتكم أماكن تصلّون فيها عند الخوف، وأدّوا الصلاة المفروضة في أوقاتها. وبشّر المؤمنين المطيعين لله بالنصر المؤزر، والثواب الجزيل منه سبحانه وتعالى.

(٨٨) وقال موسى: ربنا إنك أعطيت فرعون وأشراف قومه زينة من متاع الدنيا، فلم يشكروا لك؛ وإنما استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم، ولا ينتفعوا بها، واختم على قلوبهم حتى لا تنشرح للإيمان، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الشديد الموجه.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا قُاسْتَفِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَزَّيْنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْتُهُمْ
فِرْعَوْنَ وَجُحُودَهُ نَعِيًّا وَعَدُّوهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ
قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ وَأَقْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْقَوْهُ نَجِيًّا بِدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ
﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يُضَيِّقُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ
مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ بَقَرُوا أَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِكَ
لَقَدْ جَاءَكَ أَلْهَمٌ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَانُوا مِنَ الْمُنْكَرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

(٨٩) قال الله تعالى لها: قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملته وأموالهم - وكان موسى يدعو، وهارون يؤمن على دعائه، فمن هنا نسبت الدعوة إلى الاثنين - فاستقيا على دينكما، واستمرا على دعوتكما فرعون وقومه إلى توحيد الله وطاعته، ولا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي ووعيدي.

(٩٠) وقطعنا بني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتيهم فرعون وجنوده ظلماً وعدواناً، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال: آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتُ به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

(٩١) الآن يا فرعون، وقد نزل بك الموت تقرُّ الله بالعبودية، وقد عصيته قبل نزول عذابه بك، وكنت من المفسدين الصادين عن سبيله!! فلا تنفعك التوبة ساعة الاحتضار ومشاهدة الموت والعذاب.

(٩٢) فاليوم نجعلك على مرتفع من الأرض بيدك، ينظر إليك من كذب بهلاكك؛ لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك. وإن كثيراً من الناس عن حجبتنا وأدلتنا لغافلون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون.

(٩٣) ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلاً صالحاً مختاراً في بلاد «الشام» و «مصر»، ورزقناهم الرزق الحلال الطيب من خيرات الأرض المباركة، فما اختلفوا في أمر دينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم الموجب لاجتماعهم واتلافهم، ومن ذلك ما اشتملت عليه التوراة من الإخبار بنبو محمد صل الله عليه وسلم. إن ربك - أيها الرسول - يقضي بينهم يوم القيامة، ويُفصل فيما كانوا يختلفون فيه من أمرك، فيدخل المكذبين النار والمؤمنين الجنة.

(٩٤) فإن كنت - أيها الرسول - في ريب من حقيقة ما أخبرناك به فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل سؤال تقرير وإشهاد، فإن ذلك ثابت في كتبهم، لقد جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويجدون صفتك في كتبهم، ولكنهم ينكرون ذلك مع علمهم به، فلا تكون من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته. والمقصود من الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى قطعاً لمعذرتهم.

(٩٥) ولا تكون - أيها الرسول - من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فتكون من الخاسرين الذين سخط الله عليهم ونالوا عقابه. (٩٦) إن الذين حقت عليهم كلمة ربك - أيها الرسول - بطردهم من رحمة وعذابه لهم، لا يؤمنون بحجج الله، ولا يقرؤون بوحدايته، ولا يعملون بشرعه.

(٩٧) ولو جاءهم كل موعظة وعبرة حتى يعاينوا العذاب الموعود، فحينئذ يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم.

قَالُوا كَآنتَ قَرْيَةً ءَامَتْ فَتَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ
لَمَّا ءَامُوا كَسَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا ءَأَآتَتْ ذِكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الْخَسَفَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَبْكُ وَالْتَذُرُّ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
۝ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَآتِنظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝ ثُمَّ نُنْجِي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقَّا عَيْنَانَا ۝ الْمُؤْمِنِينَ ۝
قُلْ يَتَّبِعُنَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقْهَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِتَ الظَّالِمِينَ ۝

(٩٨) لم ينفع الإيَّان أهل قرية آمنوا عند معاينة العذاب إلا أهل قرية يونس بن متى، فإنهم كُفُّوا أيقنوا أن العذاب نازل بهم تابوا إلى الله تعالى توبة نصوحاً، فلما تبَيَّن منهم الصدق في توبتهم كشف الله عنهم عذاب الخزي بعد أن اقترب منهم، وتركهم في الدنيا يستمتعون إلى وقت إنهاء آجالهم.

(٩٩) ولو شاء ربك -أيها الرسول- الإيَّان لأهل الأرض كلهم لآمنوا جميعاً بها جنتهم به، ولكن له حكمة في ذلك؛ فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وفق حكمته، وليس في استطاعتك أن تُكرِّه الناس على الإيَّان.

(١٠٠) وما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه وتوفيقه، فلا يُجهد نفسك في ذلك، فإن أمرهم إلى الله. ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه.

(١٠١) قل -أيها الرسول- لقومك: تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من آيات الله البينات، ولكن الآيات والعبر والرسائل المنذرة عباد الله عقابه، لا تنفع قوماً لا يؤمنون بشيء من ذلك؛ لإعراضهم وعنادهم.

(١٠٢) فهل ينتظر هؤلاء إلا يوماً يعاينون فيه

عذاب الله مثل أيام أسلافهم المكذبين الذين مضوا قبلهم؟ قل لهم -أيها الرسول-: فانتظروا عقاب الله إني معكم من المنتظرين عقابكم.

(١٠٣) ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا معهم، وكما نجينا أولئك ننجيكَ -أيها الرسول- ومن آمن بك تفضلاً منا ورحمة.

(١٠٤) قل -أيها الرسول- هؤلاء الناس: إن كنتم في شك من صحة ديني الذي دعوتكم إليه، وهو الإسلام ومن ثباتي واستقامتي عليه، وترجون تحويلي عنه، فإني لا أعبد في حال من الأحوال أحداً من الذين تعبدونهم مما اتخذتم من الأصنام والأوثان، ولكن أعبد الله وحده الذي يميحكم ويقض أرواحكم، وأمرت أن أكون من المصدقين به العاملين بشرعه.

(١٠٥) وأقم -أيها الرسول- نفسك على دين الإسلام مستقيماً عليه غير مائل عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة غيره، ولا تكون ممن يشرك في عبادة ربه الألهة والأنداد، فتكون من الهالكين. وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه موجه لعموم الأمة.

(١٠٦) ولا تدع -أيها الرسول- من دون الله شيئاً من الأوثان والأصنام؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذا من المشركين بالله، الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعصية. وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه موجه لعموم الأمة.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ
يُخَيِّرْ فَلَا رَادَّ لِضُدِّهِ يَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَعْتَدَى قَائِمًا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
قَائِمًا يَضِلْ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا وَحَىٰ
إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُضُّكُمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكِبِ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ تَفْصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
الْأَعْدَاءُ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَمَكْرَمُهُ ذَكِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَعِزُّوا
رَبُّكُمْ فَتَوَلَّوْا إِلَيْهِ يَمْتَعِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِي
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ إِلَّا أَنْتُمْ
يَتَنَبَّؤُنَّ صُدُّوهُمْ لَسْتَ خَفُوفُ أَمْنِهِ إِلَّا حِينًا يَسْتَعْسِفُونَ يَتَابَعُهُ
يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِلَّا اللَّهُ وَاعْلَمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

(١٠٧) وإن يصيبك الله -أيها الرسول- بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا هو جلّ وعلا، وإن يُرِدْكَ برحاء أو نعمة لا يمنعه عنك أحد، يصيب الله عز وجل بالسراء والضراء من يشاء من عباده، وهو الغفور للذنوب من تاب، الرحيم بمن آمن به وأطاعه.

(١٠٨) قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: قد جاءكم رسول الله بالقرآن الذي فيه بيان هدايتكم، فمن اهتدى بهدي الله فإنما ثمره عمله راجعة إليه، ومن انحرف عن الحق وأصرّ على الضلال فإنما ضلاله وضرره على نفسه، وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين، إنما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أُرسلت به.

(١٠٩) واتبع -أيها الرسول- وحي الله الذي يوحيه إليك فاعمل به، واصبر على طاعة الله تعالى، وعن معصيته، وعلى أذى من أذاك في تبليغ رسالته، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره، وهو -عز وجل- خير الحاكمين؛ فإن حكمه مشتمل على العدل التام.

﴿سورة هود﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذا الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم أحكمت آياته من الخلل والباطل، ثم بيّنت بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام من عند الله، الحكيم بتدبير الأمور، الخبير بما تؤول إليه عواقبها.

(٢) وإنزال القرآن وبيان أحكامه وتفصيلها وإحكامها؛ لأجل أن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له. إنني لكم -أيها الناس- من عند الله نذير ينذركم عقابه، وبشير يبشركم بثوابه.

(٣) وأسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، ثم أرجعوا إليه نادمين يمتنعكم في دنيائكم متاعاً حسناً بالحياة الطيبة فيها، إلى أن يحين أجليكم، ويشطط كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله كاملاً لا نقص فيه، وإن تعرضوا عني أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ شَدِيدٍ، وهو يوم القيامة. وهذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله.

(٤) إلى الله رجوعكم بعد موتكم جميعاً فاحذروا عقابه، وهو سبحانه قادر على بعثكم وحشركم وجزائكم.

(٥) إن هؤلاء المشركين يضمرون في صدورهم الكفر؛ ظناً منهم أنه يخفى على الله ما تضره نفوسهم، ألا يعلمون حين يغطون أجسادهم بثيابهم أن الله لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم؟ إنه عليهم بكل ما تكفه صدورهم من النيات والضمائر والسرائر.

(٦) لقد تكفل الله برزق جميع ما دب على وجه الأرض، تفضلاً منه، ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته، ويعلم الموضع الذي يموت فيه، كل ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبین عن جميع ذلك.

(٧) وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك؛ ليختبركم أيكم أحسن له طاعة وعملاً، وهو ما كان خالصاً لله موافقاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولئن قلت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء بعد موتكم، لسارعوا إلى التكذيب وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا سحر بين.

(٨) ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى أجل معلوم فاستبطؤوه، ليقولن استهزاء وتكديباً: أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقاً؟ ألا يوم يأتيهم ذلك العذاب لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَسْتَوِيكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيَاءِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبَةٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَافٍ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا أَنْزَلُ اللَّهُ كِتَابًا وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكَ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝

دافع، وأحاط بهم من كل جانب عذاب ما كانوا يستهزئون به قبل وقوعه بهم.

(٩) ولئن أعطينا الإنسان منّا نعمة من صحة وأمن وغيرهما، ثم سلبناها منه، إنه لشديد اليأس من رحمة الله، جحود بالنعم التي أنعم الله بها عليه.

(١٠) ولئن بسطنا للإنسان في دنياه وسعنا عليه في رزقه بعد ضيق من العيش، ليقولن عند ذلك: ذهب الضيق عني وزالت الشدائد، إنه لبَطْر بالنعم، مبالغ في الفخر والتعالي على الناس.

(١١) لكن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيماناً بالله واحتساباً للأجر عنده، وعملوا الصالحات شكر الله على نعمه، هؤلاء لهم مغفرة لنزولهم وأجر كبير في الآخرة.

(١٢) فلعلك -أيها الرسول لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب- تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، وضائق به صدرك؛ خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أنزل الله مال كثير، أو جاء معه ملك يصدق في رسالته، فبلغهم ما أوحى إليك؛ فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك. والله على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُهُ بِقُلْ فَأَوَّلُ عَشْرِ سُورٍ مِثْلَهُ مُقْتَرَنَاتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعَتْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلُ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْخَيْبَةَ
الَّذِي تَأْوِيْنَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَكَبُطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَسَنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَرَتَّبَهُ شَاهِدًا مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ
كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْآخِرِينَ قَالُوا مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرْجِعِهِ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

(١٣) بل أيقول هؤلاء المشركون من أهل مكة: إن محمدًا قد افترى هذا القرآن؟ قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتریات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صَادِقِينَ في دعواكم.

(١٤) فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم -أيها الرسول- ومن آمن معك- لما تدعونهم إليه؛ ليعجز الجميع عن ذلك، فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزل الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله يعبد بحق إلا الله، فهل أنتم -بعد قيام هذه الحجة عليكم- مسلمون متقادون لله ورسوله؟

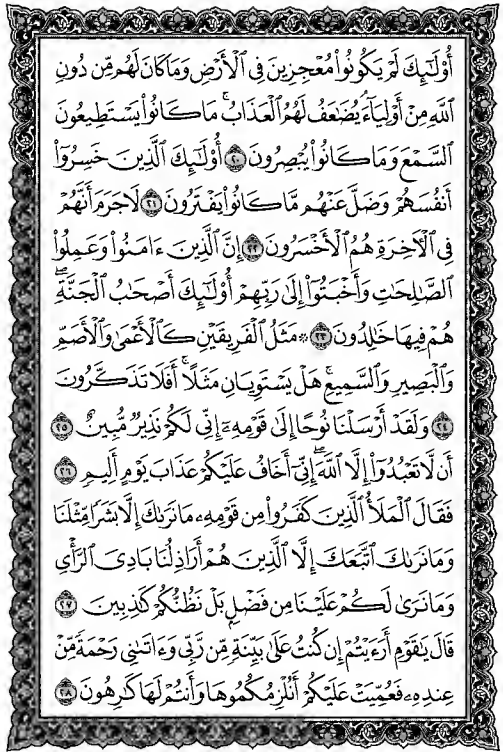
(١٥) من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُنْعَهَا تُعْطِيهِمْ مَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كاملاً غير منقوص.

(١٦) أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون حرَّها، وذُهِبَ عَنْهُمْ نَفْعُ مَا عَمَلُوهُ، وكان عملهم باطلاً، لأنه لم يكن لوجه الله.

(١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى حُجَّةٍ وَبَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّهِ فِيمَا يُؤْمِنُ بِهِ، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليها السلام، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قِبَلِ القرآن، وهو التوراة -الكتاب الذي أنزل على موسى إماماً ورحمة لمن آمن به-، كمن كان همه الحياة الفانية بزينتها؟ أولئك يصدِّقون بهذا القرآن ويعملون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تُخْرِبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَزَاءُ النَّارِ، يَرُدُّهَا لِمَحَالَةٍ، فَلَا تَكُ -أيها الرسول- في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدِّقون ولا يعملون بها أمروا به. وهذا توجيه عام لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٨) ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، أولئك سيُعرضون على ربهم يوم القيامة؛ ليحاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين وغيرهم: هؤلاء الذين كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ فِي الدُّنْيَا قد سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ولعنهم لعنة لا تنقطع؛ لأن الظلم الذي اقترفوه صار وصفاً ملازماً لهم.

(١٩) هؤلاء الظالمون الذين يمنعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته، ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم، وهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء.



(٢٠) أولئك الكافرون لم يكونوا ليفوتوا الله في الدنيا هرباً، وما كان لهم من أنصار يمنعونهم من عقابه. يضاعف لهم العذاب في جهنم؛ لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يسمعوا القرآن سماع متفنع، أو يبصروا آيات الله في هذا الكون إبصار مهتد؛ لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين.

(٢١) أولئك الذين خسروا أنفسهم بافترائهم على الله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة التي يدعون أنها تشفع لهم.

(٢٢) حقاً أنهم في الآخرة أخسر الناس صفقة؛ لأنهم استبدلوا الدرجات بالدرجات، فكانوا في جهنم، وذلك هو الخسران المبين.

(٢٣) إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعوا لله في كل ما أمروا به ونهوا عنه، أولئك هم أهل الجنة، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها أبداً.

(٢٤) مثل فريقَي الكفر والإيمان كمثل الأعمى

الذي لا يرى والأصم الذي لا يسمع والبصير والسميع: فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه، ولا يسمع داعي الله فيهتدي

به، أما فريق الإيمان فقد أبصر حجج الله وسمع داعي الله فأجاب، هل يستوي هذان الفريقان؟ أفلا تعتبرون وتفكرون؟

(٢٥) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم: إني نذير لكم من عذاب الله، ميّن لكم ما أرسلت به إليكم من أمر الله ونهيه.

(٢٦) أمركم ألا تعبدوا إلا الله، إني أخاف عليكم - إن لم تفردوا الله وحده بالعبادة- عذاب يوم موعج.

(٢٧) فقال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بمثلك ولكنك بشر، فكيف أوحى إليك من دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا

الذين هم أسافلنا وإننا اتبعوك من غير تفكير ولا روية، وما نرى لكم علينا من فضل في رزق ولا مال لئلا دخلتم في

دينكم هذا، بل نتعتقد أنكم كاذبون فيما تدعون.

(٢٨) قال نوح: يا قومي أرايتم إن كنْتُ على حجة ظاهرة من ربي فيها جنتكم به تبين لكم أنني على الحق من عنده، وآتاني

رحمة من عنده، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم، فهل يصح أن نلزمكم إياها بالإكراه وأنتم

جاحدون بها؟ لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء.

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لِيَ الْإِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَعُونَ وَلَكِنِّي أَنزِلُكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي
إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْبَغُ فَجَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُفْعِلٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ يُزَيِّكُكُمْ وَإِلَيْهِ تُجْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ
قُلُوبَ إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ مِّمَّا تَجْرُمُونَ
﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَكَانٍ قَوْمٌ يُفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَضْغَ الْفُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِئْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

(٢٩) قال نوح عليه السلام لقومه: يا قوم لا أسألكم على دعوتكم لتوحيد الله وإخلاص العباد له مالا تودونه إلي بعد إيمانكم، ولكن ثواب نصحي لكم على الله وحده، وليس من شأني أن أطرد المؤمنين، فإنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، ولكني أراكم قوماً تجهلون، إذ تأمروني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني.

(٣٠) ويقوم من يمنعني من الله إن عاقبني على طردي المؤمنين؟ أفلا تتدبرون الأمور فتعلموا ما هو الأنفع لكم والأصلح؟

(٣١) ولا أقول لكم: إني أملك التصرف في خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولست بملك من الملائكة، ولا أقول هؤلاء الذين تحتمرون من ضعفاء المؤمنين: لن يؤتيكم الله ثواباً على أعمالكم، فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم، ولئن فعلت ذلك إني إذا لم الظالمين لأنفسهم ولغيرهم.

(٣٢) قالوا: يا نوح قد حاججتنا فأكثرت

جدالنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك.

(٣٣) قال نوح لقومه: إن الله وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء، ولستم بفائتيه إذا أراد أن يعذبكم؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

(٣٤) ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان، إن كان الله يريد أن يضلكم ويهلككم، هو سبحانه مالككم، وإليه ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

(٣٥) بل يقول هؤلاء المشركون من قوم نوح: افترى نوح هذا القول؟ قل لهم: إن كنت قد افتريت ذلك على الله فعلي وحدي إنهم ذلك، وإذا كنت صادقاً فأنتم المجرمون الآثمون، وأنا بريء من كفركم وتكذيبكم وإجرامكم.

(٣٦) وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح - عليه السلام - لئلا يحق على قومه العذاب، أنه لن يؤمن بالله إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن يا نوح على ما كانوا يفعلون.

(٣٧) واصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعوتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، ولا تطلب مني إمهال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك بكفرهم، فإنهم مغرورون بالطوفان. وفي الآية إثبات صفة العين لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٣٨) ويصنع نوح السفينة، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخرُوا منه، قال لهم نوح: إن تسخروا منا اليوم لجهلكم بصدق وعد الله، فإننا نسخر منكم غداً عند الغرق كما تسخرون منا. (٣٩) فسوف تعلمون إذا جاء أمر الله بذلك: من الذي يأتيه في الدنيا عذاب الله الذي يهينه، وينزل به في الآخرة عذاب دائم لا انقطاع له؟ (٤٠) حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وعدنا نوحاً بذلك، ونبع الماء بقوة من التنور - وهو المكان الذي يجبز فيه - علامة على مجيء العذاب، قلنا لنوح: اعمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى، واحمل فيها أهل بيتك، إلا من سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامراته، واحمل فيها من آمن معك من قومه، وما آمن معه إلا قليل مع طول المدة والمقام فيهم. (٤١) وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْنِ قَوْمَهُ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُنَاهُ وَرَاسُهَا إِنِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْبَى إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَكُلِّسْمَاءَ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

يكون منتهى سيرها ورأسها. إن ربي لغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة. (٤٢) وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، ونادى نوح ابنه - وكان في مكانٍ عزَل فيه نفسه عن المؤمنين - فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق. (٤٣) قال ابن نوح: سألح إلى جبل أتحصن به من الماء، فيمتعني من الغرق، فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمه الله تعالى، فأمن واركب في السفينة معنا، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين الهالكين. (٤٤) وقال الله للأرض - بعد هلاك قوم نوح - يا أرض اشربي ماءك، ويا سماء أمسكي عن المطر، وتقص الماء وتُصَب، وقُضِيَ أمر الله بهلاك قوم نوح، ورسست السفينة على جبل الجودي، وقيل: هلاكاً وُعداً للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، ولم يؤمنوا به. (٤٥) ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعدتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي، وإن وعدك الحق الذي لا تخلف فيه، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم.

قَالَ يَنْفُوحُ إِلَيْهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِ
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُكَ أَنْ أَتَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْفُوحُ
 أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
 وَأُمَمٌ سَنُمَسِّقُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَوْتًا عَذَابٌ إِلَيْهِ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
 وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
 وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
 إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَوُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ
 عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِينَ آلَ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

(٤٦) قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم؛ وذلك بسبب كفره، وعمله عملاً غير صالح، وإني أهلك أن تسألني أمراً لا أعلم لك به، إني أعظم لكلاً تكون من الجاهلين في مسائلتك إياي عن ذلك.

(٤٧) قال نوح: يارب إني اعتصم وأستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

(٤٨) قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منا وبركات عليك وعلى أمت ممن معك. وهناك أمت وجماعات من أهل الشقاء سنمتهم في الحياة الدنيا، إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموجه يوم القيامة.

(٤٩) تلك القصة التي قصصناها عليك -أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب

السالفة، نوحياً إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا البيان، فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله.

(٥٠) وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، فما أنتم إلا كاذبون في إشاراكم بالله.

(٥١) يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجراً، ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقتني، أفلا تعقلون فتميزوا بين الحق والباطل؟

(٥٢) ويا قوم اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعاً كثيراً، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النعم عليكم، ولا تعرضوا عما دعوتكم إليه مصرين على إجرامكم.

(٥٣) قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي آل الرحمن التي أهلكنا التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدقين لك فيما تدعيه.

(٥٤، ٥٥) ما نقول إلا أن بعض أهلكنا أصابك
بجنون بسبب نبيك عن عبادتها. قال لهم: إني
أشهد الله على ما أقول، وأشهدكم على أنني
بريء مما تشركون، من دون الله من الأنناد
والأصنام، فانظروا واجتهدوا أنتم ومن زعمتم
من أهلكتم في إلحاق الضرر بي، ثم لا تؤخروا
ذلك طرفة عين، ذلك أن هوداً واثق كل الوثوق
أنه لا يصيبه منهم ولا من أهلكهم أذى.

(٥٦) إني توكلت على الله ربي وربكم مالك
كل شيء والمتصرف فيه، فلا يصيبني شيء إلا
بأمره، وهو القادر على كل شيء، فليس من شيء
يدب على هذه الأرض إلا والله مالكة، وهو في
سلطانه وتصرفه. إن ربي على صراط مستقيم،
أي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي
المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

(٥٧) فلإن تُعرضوا عما أَدْعُوكُم إليه من توحيد
الله وإخلاص العباد له فقد أبلغتكم رسالة ربي
إليكم، وقامت عليكم الحجة، وحيث لم تؤمنوا

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَثَكَ بِعُضِّ آلِهَتِنَا بِسْمِ اللَّهِ قَالَ إِنْ شَهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُوا إِنْ بَرَىٰ مِمَّا نَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُ فِي
جَمِيعَانِ لَا تَبْطُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَّبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آدَاءُ جَحْدُوا يُنَادِيَتْ
رَبَّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كِبَارِهِمْ جَبَّارِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كُفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا
بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْمٌ هُودٌ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْتَوِيضْ
عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ مِنْ آلِهِ عَزِيزٌ هُوَ آتِسٌّ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرُ كُوفُوهَا فَاسْتَقْفِرُوا رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا أَصْلَاحٌ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا فِي شَكِّ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَٰهًا مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾

بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يغلّفونكم في دياركم وأمواكم، ويخلصون الله العباد، ولا تضرونه شيئاً، إن ربي على كل شيء
حفيظ، فهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

(٥٨) ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود نجّينا منه هوداً والمؤمنين بفضل منّا عليهم ورحمة، ونجّيناهم من عذاب شديد أحلّه
الله بعد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

(٥٩) وتلك عاد كفروا بآيات الله وعصوا رسله، وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُدْعَن له.

(٦٠) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطاً منه يوم القيامة. إلا أن عاداً جحدوا ربهم وكذبوا رسله. ألا بعداً وهلاكاً
لعاد قوم هود؛ بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم.

(٦١) وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العباد غيرَه جَلَّ وعلا،
فأخلصوا له العباد، هو الذي بدأ خلقكم من الأرض يخلق أيكم آدم منها، وجعلكم عُمراراً لها، فاسألوه أن يغفر لكم
ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح. إن ربي قريب لمن أخلص له العباد، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

(٦٢) قالت ثمود لنبيهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيداً مطاعاً قبل هذا القول الذي قلته لنا، أتنهانا أن نعبد الألهة
التي كان يعبدها آبائنا؟ وإننا لفي شكٍّ مرِيبٍ من دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده.

قَالَ يَقُومُ آرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّ وَءَاتَانِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي
عِزًّا تَحْسِبُونَ ۚ وَيَقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ مَا يَحْذَرُ
عَذَابَ قَرِيبٍ ۖ فَتَعَفُّوْهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۖ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَنِيحًا ۖ
كَأَن لَّمْ يَغْفُرَ لِفِتْنِهِمْ آلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدَ الْتَمُودِ ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَىٰ قَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۖ فَلَمَّا رَأَىٰ
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۖ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ
فَضْحَكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝

(٦٣) قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلغ الرسالة وأنصح لكم؟ فما تريدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير.

(٦٤) ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدل على صدقي فيما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسوها بعقر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عقرها.

(٦٥) فكذبوه ونحروا الناقة، فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وعد من الله غير مكذوب، لابد من وقوعه.

(٦٦) فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحاً والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلتهم. إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجى الرسل وأتباعهم.

(٦٧) وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا جراك لهم. (٦٨) كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها. ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه. ألا بعداً لثمود وطرداً لهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذهم!!

(٦٩) ولقد جاءت الملائكة إبراهيم عليه السلام يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوب بعده، فقالوا: سلاماً، قال ردّاً على نجيحتهم: سلام، فذهب سريعاً وجاءهم بعجل سمين مشوي لياكلوا منه.

(٧٠) فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضرماً، قالت الملائكة -لما رأته ما بإبراهيم من الخوف-: لا تخف! إنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.

(٧١) وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستّر تسمع الكلام، فضحكت تعجباً مما سمعت، فبشراها على السنة الملائكة بأنها ستلد من زوجها إبراهيم ولداً يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

(٧٢) قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق متعجبة:
يا ويلتنا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا
زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟ إن إنجاب
الولد من مثلي ومثل زوجي مع كبر السن شيء
عجيب.

(٧٣) قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله
وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل
بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حيد الصفات
والأفعال، ذو مجد وعظمة فيها.

(٧٤) فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه
لعدم أكل الضيوف الطعام، وجاءته البشري
بإسحاق ويعقوب، ظلَّ يجادل رسلنا فيها
أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم.

(٧٥) إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة
بالعقاب، كثير التضرع إلى الله والدعاء له، تاب
يرجع إلى الله في أموره كلها.

(٧٦) قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن
هذا الجدل في أمر قوم لوط والناس الرحمة لهم؛
فإنه قد حق عليهم العذاب، وجاء أمر ربك
الذي قدره عليهم بهلاكهم، وإنهم نازل بهم
عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع.

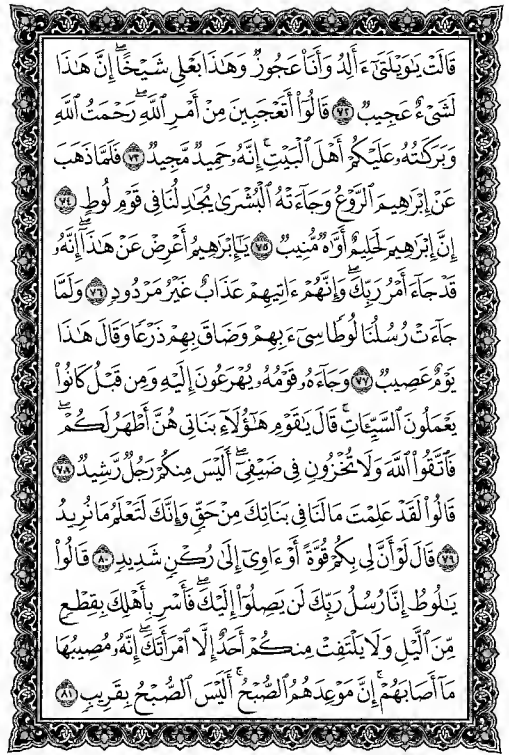
(٧٧) ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم واغتم لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه،
وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

(٧٨) وجاء قوم لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال
لوط لقومه: هؤلاء بناتي تزوجوهن فهن أظهر لكم مما تريدون، وسباهن بناته؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فآخسوا
الله واحذروا عقابه، ولا تنفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل حسن التقدير للأمر، ينهي من أراد ركوب
الفاحشة، فيحول بينهم وبينها، فيأهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة؟

(٧٩) قال قوم لوط له: لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا
الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

(٨٠) قال لهم حين أتوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصاراً معي، أو أركن إلى عشيرة تمنعني منكم، كحللت بينكم
وبين ما تريدون.

(٨١) قالت الملائكة: يا لوط إننا رسل ربك أرسلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فآخرج من هذه القرية أنت
وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصبيه، لكن أمر أنك التي خانتك بالكفر والنفاق
سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.



فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مُّضَوٍّ ﴿٨٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ إِنَّ أَرْسَالَكُمْ يُخِيرُ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّجِيطٍ ﴿٨٥﴾ وَيَقَوْمُ
أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ بَالِغٌ فِي الْقِسْطِ وَلَا تَتَّبِعُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ بَقِيَتْ
اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِخَفِيضٍ ﴿٨٨﴾ قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلَانَا أَتَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأُنَّا نَفْعَلُ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٩﴾ قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَدَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٩٠﴾

(٨٢، ٨٣) فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين، قد صُفِّ بعضها إلى بعض متتابعة، معلمة عند الله بعلامة معروفة لا تشاكل حجارة الأرض، وما هذه الحجارة التي أمطرها الله على قوم لوط من كفار قريش ببعيد أن يُمَطَّرُوا بمثلها. وفي هذا تهديد لكل عاص متعمد على الله.

(٨٤) وأرسلنا إلى «مدین» أخاهم شعيباً، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكائيلهم وموازينهم، إني أراكم في سعة عيش، وإني أخاف عليكم - بسبب إنقاص المكيايل والميزان - عذاب يوم يحيط بكم.

(٨٥) ويا قوم اتّمسوا المكيايل والميزان بالعدل، ولا تنقصوا الناس حقهم في عموم أشیائهم، ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد.

(٨٦) إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الريح الحلال فيه بركة وخير لكم ممّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب الحرام، إن كنتم تؤمنون بالله حقاً، فامتثلوا أمره، وما أنا عليكم برفيق أحصي عليكم أعمالكم.

(٨٧) قالوا: يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟ وقالوا - استهزاء به -: إنك لانت العاقل حسن التدبير في المال.

(٨٨) قال شعيب: يا قوم أرأيتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاركم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقاً واسعاً حلالاً طيباً؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمراً نهيتكم عنه، وما أريد فيما آمركم به وأنهاركم عنه إلا إصلاحكم قدر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقي - في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم - إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

(٨٩) وباقوم لا تحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك، وما قوم لوط وما حل بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان.

(٩٠) واطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم، ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها. إن ربي رحيم كثير المودة والمحبة لمن تاب إليه وأناب، يرحمه ويقبل توبته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة والمودة لله تعالى، كما يليق به سبحانه.

(٩١) قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، وإننا لنراك فينا ضعيفاً لست من الكبراء ولا من الرؤساء، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رجماً بالحجارة - وكان رهطه من أهل ملتهم -، وليس لك قدر واحترام في نفوسنا.

(٩٢) قال: يا قوم أعشروني أعز وأكرم عليكم من الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأمرون به ولا تنتهون بنهيه، إن ربي بها يعملون محيط، لا ينفي عليه من أفعالكم

وَيَقُولُ لَا يَحْجُرَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُذَوِّبُكُمْ لَوْلَا إِلَهِ إِلَّا رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا لَشُعَيْبٌ مَانِقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيدٌ ۝ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَقَوْمِ اكْمَلُوا أَعْلَامَكُمْ تَنْتَكُمُ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ بَيِّنَاتِهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جثِيمِينَ ۝ كَانُوا لَمْ يَرَوْهَا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا مُدِينًا كَمَا بَعْدَتْ تَمُودُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝

مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلاً وأجلاً.

(٩٣) وباقوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقكم وحالتكم، إنني عامل مثابر على طريقي وما وهبني ربي من دعوتكم إلى التوحيد، سوف تعلمون من منايته عذاب بذله، ومن منا كاذب في قوله، أنا أم أنتم؟ وانتظروا ما سيحل بكم إن معكم من المنتظرين. وهذا عهد شديد لهم.

(٩٤) ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب نجَّينا رسولنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء، فاهلكتهم، فأصبحوا في ديارهم باركين على ركبهم مبتين لا جراك بهم.

(٩٥) كأن لم يقيموا في ديارهم وقتاً من الأوقات. «ألبعداً لمدين» - إذ أهلكها الله وأخزاها - كما بعدت تمود، فقد اشتركت هاتان القبيلتان في البعد والهلاك.

(٩٦) ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها - بقلب صحيح - أنها تدل على وحدانية الله، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى.

(٩٧) أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه، فكفر فرعون، وأمر قومه أن يتبعوه فأطاعوه، وخالفوا أمر موسى، وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى، وإنها هو جهل وضلال وكفر وعناد.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بَشَرُ
 آلِ فِرْعَوْنَ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعٌ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
 وَمَا نُوَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ النَّفْسُ
 إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهَا فَفِيهِمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَشَهيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنْفِقُونَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾

(٩٨) يقدّم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار، وقبح المدخل الذي يدخلونه.

(٩٩) وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر لعنة، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار، وبئس ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

(١٠٠) ذلك الذي ذكرناه لك - أيها الرسول - من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك به، ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد تحييت آثاره، فلم يبق منه شيء.

(١٠١) وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض، فما نفعتهم ألفتهم التي كانوا يدعونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضرر لما جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم ألفتهم غير تدمير وإهلاك وخسران.

(١٠٢) وكما أخذت أهل القرى الظالمة بالعذاب لمخالفتهم أمري وتكذيبهم برسلي، أخذ غيرهم من أهل القرى إذا ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله

ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسله. إن أخذه بالعقوبة لأليم موجه شديد.

(١٠٣) إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة، ذلك اليوم الذي يجمع له الناس جميعاً للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلاق كلهم.

(١٠٤) وما نؤخر يوم القيامة عنكم إلا لانتهاه مدة معدودة في علمنا، لا تزيد ولا تنقص عن تقديرنا لها بحكمنا.

(١٠٥) يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفس إلا بأذن ربها، فمنهم شقي مستحق للعذاب، وسعيد متفضل عليه بالنعيم.

(١٠٦، ١٠٧) فأما الذين شقوا في الدنيا لفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، هم فيها من شدة ما هم فيه من العذاب إخراج النفس من الصدر بدفع ورده إليه بشدة، وهما أشنع الأصوات وأقبحها، ماكن في النار أبداً ما دامت السموات والأرض، فلا يقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدة من مكثهم في النار. إن ربك - أيها الرسول - فعّال لما يريد.

(١٠٨) وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدون فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيرهم، وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَفْعُلُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ
 آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ تَصِيبُهُمْ عَذَابٌ مُنْقُوصٌ
 ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَأَنْهُمْ لَعَلَّ شَكَّ مِنْهُ مِرْيَبٌ
 ﴿١١٠﴾ وَإِنَّا لَكَلَّا لَمُوفِينَ هُوَ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ
 خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَمَعْسُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَرُفُوعَانَ
 اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى
 لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا مِنْهُ وَكُنَّا مُعْرِضِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(١٠٩) فلا تكن - أيها الرسول - في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل، وإننا لموفوهم ما وعدناهم تأملاً غير منقوص. وهذا توجيه لجميع الأمة، وإن كان لفظه موجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١١٠) ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فأمن به جماعة وكفر به آخرون، كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يجعل لخلق العذاب، لحل بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. وإن الكفار من اليهود والمشركين - أيها الرسول - لفي شك - من هذا القرآن - مريب.

(١١١) وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك - أيها الرسول - أخبارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة، إن خيراً أفعير، وإن شراً أفسر، إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من عملهم. وفي هذا تهديد ووعيد لهم.

(١١٢) فاستقم - أيها النبي - كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حده الله لكم، إن ربكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

(١١٣) ولا تميلوا إلى هؤلاء الكفار الظلمة، فتصيبكم النار، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم، ويتولى أموركم.

(١١٤) وأد الصلاة - أيها النبي - على أتم وجه طرقي النهار في الصباح والمساء، وفي ساعات من الليل. إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ويمحو آثارها، والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن انقطع بها وتذكر.

(١١٥) واصبر - أيها النبي - على الصلاة، وعلى ما تلقى من الأذى من مشركي قومك؛ فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم.

(١١٦) فهلاً وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم، وعن الفساد في الأرض، لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجاهم الله بسبب ذلك ومن عذابه حين أخذ الظالمين. وأتبع الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ما متعوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها، وكانوا مجرمين ظالمين باتباعهم ما تنعموا فيه، فحق عليهم العذاب. وفي الآية عبرة وموعظة للعصاة من المسلمين؛ لأنهم لا يخلون من ظلم أنفسهم.

(١١٧) وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى وأهلها مصلحون في الأرض، مجتنبون للفساد والظلم، وإنما يهلكهم بسبب ظلمهم وفسادهم.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 ١١٨ إِلَّا مِنْ جَهْدِ رَبِّكَ وَلَئِنَّ خَلْقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا تَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۖ وَلَا تَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا أَعْلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۖ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
 ١١٩ ۖ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا
 فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّا تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۖ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۖ

(١١٨) ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ۖ ولا يزالون مختلفين
 واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنه
 سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في
 أديانهم؛ وذلك مقتضى حكمته.

(١١٩) إِلَّا مِنْ جَهْدِ رَبِّكَ فأتوا به واتبعوا
 رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما
 جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت
 حكمته سبحانه وتعالى أنه خلقهم مختلفين:
 فريق شقي وفريق سعيد، وكل ميسر لما خلق له.
 وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه
 سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين
 اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان.

(١٢٠) وَنَقُصُّ عَلَيْكَ - أيها الرسول - من أخبار
 الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه ما
 يقوّي قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك
 في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار،
 بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة
 يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون
 بالله ورسله.

(١٢١، ١٢٢) وَقُلْ - أيها الرسول - للكافرين
 الذين لا يقرّون بوحداية الله: اعملوا ما أنتم

عاملون على حالتكم وطرقتكم في مقاومة الدعوة وإيذاء الرسول والمستجيبين له، فإنّا عاملون على مكانتنا وطريقتنا من
 الثبات على ديننا وتنفيذ أمر الله. وانتظروا عاقبة أمرنا، فإنّا منتظرون عاقبة أمركم. وفي هذا تهديد ووعد لهم.
 (١٢٣) وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عِلْمُ كُلِّ مَا غَابَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فأعبده - أيها
 النبي - وفوّض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلّاً بعمله.

﴿سورة يوسف﴾

(١) ﴿الرَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطّعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب البين الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهذه.

(٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ؛ لعلكم - أيها العرب - تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهدي.

(٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ - أيها الرسول - أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين
 عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئاً.

(٤) اذكر - أيها الرسول - لقومك قول يوسف لأبيه: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
 سَاجِدِينَ. فكانت هذه الرؤيا بشري لیسما وصل إليه يوسف عليه السلام من علو المنزلة في الدنيا والآخرة.

(٥) قال يعقوب عليه السلام لابنه يوسف: يا بني لا تذكر لإخوتك هذه الرؤيا فيحسدوك، ويعادوك، ويحتالوا في إهلاكك، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة.

(٦) وكما أراك ربك هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ويعلمك تفسير ما يراه الناس في منامهم من الرؤى مما تؤول إليه واقعاً، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بالنبوة والرسالة، كما أمها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق بالنبوة والرسالة. إن ربك عليم بمن يصطفيه من عباده، حكيم في تدبير أمور خلقه.

(٧) لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم، ويرغب في معرفتها.

(٨) إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضلها علينا، ونحن جماعة ذؤو عدد، إن أبانا لفي خطأ بين؛ حيث فضلها علينا من غير موجب نراه.

(٩) اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العمران يخلص لكم حب أبيكم

وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا من بعد قتل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم.

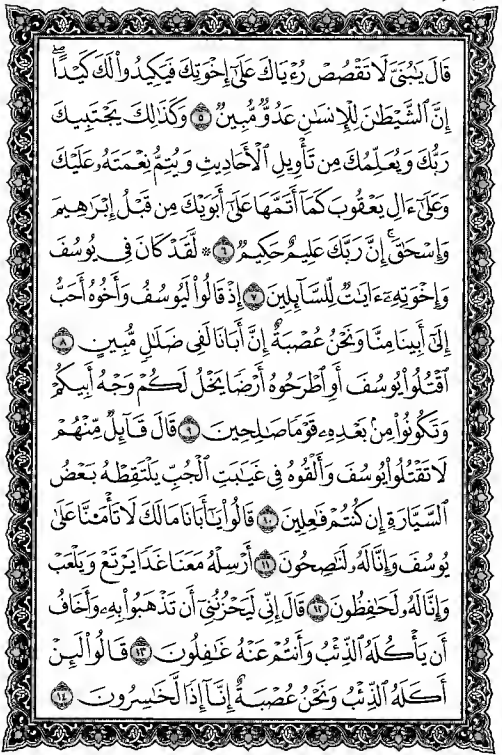
(١٠) قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارة من المسافرين فتسترجوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون.

(١١) قال إخوة يوسف -بعد اتفاقهم على إبعاده-: يا أبانا ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير ونشفي عليه ونرعاه، ونخصه بخالص النصح؟

(١٢) أرسله معنا غداً عندما نخرج إلى مراعينا يسع ونشط ويفرح، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح، وإننا لحافظون له من كل ما نخاف عليه.

(١٣) قال يعقوب: إني كيؤلم نفسي مفارقة له إذا ذهبتم به إلى المراعي، وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون.

(١٤) قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذا لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يَرْجى منا.



(١٥) فأرسله معهم. فلما ذهبوا به وأجمعوا على إلقائه في جوف البئر، وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك مستقبلاً بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يحسبون بذلك الأمر ولا يشعرون به.

(١٦) وجاء إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العشاء من أول الليل، يكون ويظهرون الأسف والجزع.

(١٧) قالوا: يا أبانا إنا ذهبتا تسابق في الجري والرمي بالسهام، وتركنا يوسف عند زادنا وثيابنا، فلم نقصّر في حفظه، بل تركناه في مأمننا، وما فارقناه إلا وقتاً يسيراً، فأكله الذئب، وما أنت بمصدق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق؛ لشدة حبك ليوسف.

(١٨) وجاءوا بقميصه ملطخاً بدم غير دم يوسف؛ ليشهد على صدقهم، فكان دليلاً على كذبهم؛ لأن القميص لم يُمزّق. فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام: ما الأمر كما تقولون، بل زينت لكم أنفسكم الأمانة بالسوء أمراً قبيحاً في يوسف، فرأيتموه حسناً وفعلتموه، فصبري صبر جميل لا شكوى معه لأحد من الخلق،

وأستعين بالله على احتياح ما تصفون من الكذب، لا على حولي وقوتي.

(١٩) وجاءت جماعة من المسافرين، فأرسلوا من يطلب لهم الماء، فلما أرسل دلوه في البئر تعلق بها يوسف، ففرح وارداً الماء وابتهج بالعثور على غلام، وقال: يا بشرى هذا غلام نفيس، وأخفى الوارد وأصحابه يوسف عن بقية المسافرين فلم يُظهِروه لهم، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها، والله عليم بما يعملونه بيوسف.

(٢٠) وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم، وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه؛ وذلك أنهم لا يعملون منزلته عند الله.

(٢١) ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريماً، لعننا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد، وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يُعْطِف عليه، فكذلك مكاناً له في أرض «مصر»، وجعلناه على خزائنها، ولنعلّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلاً. والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطّل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله.

(٢٢) ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيناه فهماً وعلماً، ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢٣) ودعت امرأة العزيز - برفق ولين - يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها؛ لجها الشديده وحسن بهائه، وغلقت الأبواب عليها وعلى يوسف، وقالت: هلم إليّ، فقال: معاذ الله أعتصم به، وأستجير من الذي تدعيني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح من ظلم ففعل ما ليس له فعله.

(٢٤) ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدثت يوسف نفسه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزره عمّا حدثته به نفسه، وإنّا أربناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

(٢٥) وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بينه وبين الخروج فشقتّه، ووجدوا زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء من أراد بأمرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب المجمع.

وَرَوَدَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهِيَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِدُونِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَصُرَفَ عَنْهُ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْبَقَ الْأَبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْأَبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَأَوْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدَتَيْنِ أَهْلُهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ رُقُدًا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ رُقُودًا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

(٢٦) قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك، وشهد صبي في المهد من أهلها فقال: إن كان قميصه شق من الأمام فصدقت في اتهامها له، وهو من الكاذبين.

(٢٧) وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين.

(٢٨) فلما رأى الزوج قميص يوسف شق من خلفه علم براءة يوسف، وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اهتمت به هذا الشاب هو من جملة مكرن - أيها النساء -، إن مكرن عظيم.

(٢٩) قال عزيز «مصر»: يا يوسف اترك ذكرك ما كان منها فلا تذكره لأحد، واطلبي - أيها المرأة - المغفرة لذنبك؛ إنك كنت من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افتراك عليه.

(٣٠) ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به، وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ جها له شغاف قلبها - وهو غلافه -، إنّا نراها في هذا الفعل لفي ضلال واضح.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
كَبَّرْنَ وَنَفَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ
عَنِ نَفْسِهِ فَوَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّسَجَاتٍ
وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَلَا أَصْرَفُ عَنْكَ هُنَّ أَصْأَبُ إِلَيْهِ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَفَصَّرَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَلْبَتَّ لَيْسَجَتُهُ
حَتَّى جِئَ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
رَأَيْتُ أُعْصِرُ خُبْرًا وَقَالَ الْأُخْرَى إِنِّي رَأَيْتُ أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُ نَائِيَّ وَأُوبِلُهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبْتُ كَمَا
يَأْتِي أُولَئِكَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا وَمَا عَلَّمْنِي رَبِّي إِلَّا نَبْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

(٣١) فلما سمعت امرأة العزيز يغيبنهن إياهما واحتياهن في ذمهما، أرسلت إليهن تدعوهم لزيارتها، وهيات لهن ما يتكفن عليه من الوسائد، وما يأكلنه من الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن الطعام، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمته وأجللته، وأخذهن حسنه وجماله، فخرجن أيديهن وهن يقطعن الطعام من فرط الدهشة والذهول، وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر؛ لأن جماله غير معهود في البشر، ما هو إلا ملك كريم من الملائكة.

(٣٢) قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتهن إياه ما أصابكن هو الفتى لمتني في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراهه؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى، ولئن لم يفعل ما أمره به مستقبلًا ليعاقبن بدخول السجن، وليكونن من الأذلاء.

(٣٣) قال يوسف مستعبدًا من شرهن ومكرهن:

يا رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أو مل إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم.

(٣٤) فاستجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله. إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع من خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم.

(٣٥) ثم ظهر للعزيز وأصحابه -من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعفته- أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر؛ منعًا للفضيحة.

(٣٦) ودخل السجن مع يوسف فتَيَانٌ، قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عنبًا ليصير خمرًا، وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه، أخبرنا -يا يوسف- بتفسير ما رأينا، إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم الله، ومعاملتهم خلقه.

(٣٧) قال لهما يوسف: لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبركما بتفسيره قبل أن يأتيكما، ذلكم التعبير الذي سأعبره لكما مما علمني ربي؛ إني أمتت به، وأخلصت له العبادة، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالبيع والحساب جاحدون.

(٣٨) واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده، ما كان لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان.

(٣٩) وقال يوسف للفتيين اللذين معه في السجن: أعبادة آلهة مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

(٤٠) ما تعبدون من دون الله إلا أسماء لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أرباباً جهلاً منكم وضلالاً، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، ما الحكم الحق إلا الله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

(٤١) يا صاحبي في السجن، إليكما تفسير

رؤياكما: أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقى الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزاً فإنه يُصلب ويُترك، وتاكل الطير من رأسه، فُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وُفِرغ منه.

(٤٢) وقال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه: اذكرني عند سيّدك الملك، وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات.

(٤٣) وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات نحيلات من الهُزال، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تُفسّرون.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَجِي السَّيِّئُ وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَلَمْ يَكُنِ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَجِي السَّيِّئُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضِيءَ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضَرٌ وَأُخْرَى يُابِسَاتٌ بِتَابِهَا أَلَمْ لَا أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا بَاقِعُونَ ﴿٤٣﴾

قَالُوا أَصْغَتْ أَهْلُكُمْ وَمَا أَخْبَرْتَنَا بِأَيِّ آلٍ كَلِمَ يَعْلَمِينَ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنْهُمْ وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْتُمْ كَرِبَتْ إِلَيْهِ
 فَأَرْسَلُونَا ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُوءَاتٍ خُضِرَ
 وَأُخْرَى يَأْسَتِ لَعْنَى أَزْجَعٍ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونَهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادًا كُنَّ
 مَافَقْدَمُهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَخْصِصُونَ ﴿٤٨﴾ تُوِيَّا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي
 بِهِ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَزْجَعُ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ
 الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَعَ أَجْدِيَهُنَّ إِنْ رَبِّي بِكَافٍ عَلَيْهِنَّ ﴿٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكَ أَنْ يَرَوَدَّنَّ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ
 لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكَلْبُ حَصَصَ
 لِحَقِّي أَنَا وَرَدَّتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَوَأَنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾

(٤٤) قالوا: رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها، وما نحن بتفسير الأحلام بعالمين.

(٤٥) وقال الذي نجا من القتل من صاحبي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لأتيكم بتفسيرها.

(٤٦) وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسر لنا رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخرى يابسات؛ لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

(٤٧) قال يوسف لسائلته عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جاذبين ليكثر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادخروه، واتركوه في سبيله؛ لينم حفظه من التسوس، وليكون أبقى، إلا قليلاً مما تأكلونه من الحبوب.

(٤٨) ثم يأتي بعد هذه السنين الخيبة سبع سنين شديدة الجذب، يأكل أهلها كل ما ادخرتم من قبل، إلا قليلاً مما تحفظونه وتدخرونه ليكون بذوراً للزراعة.

(٤٩) ثم يأتي من بعد هذه السنين المجيدة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخصب والنماء.

(٥٠) وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعبر للرؤيا من السجن وأحضروه لي، فلما جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول: أرجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي؛ لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(٥١) قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتن يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟ فهل رأيتم منه ما يريب؟ قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يشينه، عند ذلك قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه، فأناتني حاولت فنتنته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله.

(٥٢) ذلك القول الذي قلته في تنزيه يوسف والإقرار على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مني الفاحشة مع أني راودت يوسف، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبرائه، وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم.

(٥٣) قالت امرأة العزيز: وما أركني نفسي ولا أبرئها، إن النفس لكثيرة الأمر لصلاحها بعمل المعاصي طلباً للمذات، إلا من عصمه الله. إن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

(٥٤) وقال الملك الحاكم لـ «مصر» حين بلغته براءة يوسف: جيثوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلمه الملك، وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء.

(٥٥) وأراد يوسف أن ينفع العباد، ويقيم العدل بينهم، فقال للملك: اجعلني والياً على خزائن «مصر»، فلني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بها أنزلها.

(٥٦) وكما أنعم الله على يوسف بالخلاص من السجن مكن له في أرض «مصر» ينزل منها أي منزل شاء. يصيب الله برحمته من يشاء من عباده المتقين، ولا يضيع أجر من أحسن شيئاً من العمل الصالح.

(٥٧) وكثواب الآخرة عند الله أعظم من ثواب

«وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي» إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي
إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾
قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ
إِخْوَتُ يُوسُفَ فَخَلَعُوا عَلَيْهِ فَعَرَقُوهُ وَهَمُّهُ مُبْكٍ وَتَـ
وَّعَلَّمَا جَهَرُ لَهُمْ يَجْهَرُونَ بِأَخِي لَكُم مِّنْ أَيْكُمُ الْأَلَا
تَرُونَ أَنِّي أَفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٨﴾ فَإِن تَرْتَأُونِي
بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَرُدُّعَةً أَبَاهُ
وَأَنَّا لَقَائِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا يَصُبُّوهُ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَفْعَلُونَ إِذَا أَفْقَلُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦١﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا أَنَا مَعَ الْكَيْلِ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا خَاتَنًا نَّكَتِلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴿٦٢﴾

الدنيا لأهل الإيمان والتقوى الذين يخافون عقاب الله، ويطيعونه في أمره ونهيه.

(٥٨) وقدم إخوة يوسف إلى «مصر» - بعد أن حل بهم الجذب في أرضهم - ليجلبوا منها الطعام، فدخلوا عليه فعرفهم لقوة فراسته وذكائه، ولم يعرفوه لطول المدة وتغير هيئته.

(٥٩) وقد أمر يوسف بإكرامهم وحسن ضيافتهم، ثم أعطاهم من الطعام ما طلبوا، وكانوا قد أخبروه أن هم أحاً من أبيهم لم يحضروه معهم - يريدون شقيقه «بنيامين» - فقال: اتوني بأخيكم من أبيكم، ألم تروا أي أوفيت لكم الكيل وأكرمتمكم في الضيافة، وأنا خير المضيفين لكم؟

(٦٠) فإن لم تأتوني به فليس لكم عندي طعام أكبله لكم، ولا تأتوا إلي.

(٦١) قالوا: سنبدل جهدنا لإقناع أبيه أن يرسله معنا، ولن نقصر في ذلك.

(٦٢) وقال يوسف لعللانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سراً رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدرُوا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعاً في عطائنا.

(٦٣) فلما رجعوا إلى أبيهم قصوا عليه ما كان من إكرام العزيز لهم، وقالوا: إنه لن يعطينا مستقبلاً إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرنا به، فأرسله معنا نحضر الطعام وافيّاً، ونتعهد لك بحفظه.

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَىَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِمْ
 قَبْلَ ۚ قَالَ هَٰذَا خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتْنَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ ۚ قَالُوا يَا بَنَا
 مَائِمُنْ ۖ هَٰذَا هُوَ بِضْعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانَنَا وَنَزِدُكَ بِعِيرٍ ۚ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۖ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي
 بِهِ ۖ إِلَّا آلَآنَ يُحَاطُ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
 نَقُولُ وَكِيلٌ ۖ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدْخُلُوهُنَّ أَبْوَابٍ وَاحِدَةٍ
 وَأَدْخُلُوهُنَّ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ ۚ إِنَّ لَكُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُتَوَكِّلُونَ ۖ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ فَمَا كَانَ
 يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
 قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوهُوَ لَمَّا عَلِمْتُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ

(٦٤) قال لهم أبوه: كيف آمنتم على أخيه يوسف من «بنائمين» وقد آمنتمكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تفعلوا بذلك؟ فلا أشق بالتزامكم وحفظكم، ولكني أثق بحفظ الله، خير الحافظين وأرحم الراحمين، أرجو أن يرحمني فيحفظه ويرده عليّ.

(٦٥) ولما فتحو أبوابهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد رُدَّ إليهم، قالوا: يا أبانا ماذا نطلب أكثر من هذا؟ هذا ثمن بضاعتنا رده العزيز إلينا، فكن مطمئناً على أخينا، وأرسله معنا؛ لنجلب طعاماً وبيعاً لأهلنا، ونحفظ أخانا، ونزدداد جُلَّ بعير له؛ فإن العزيز يكيل لكل واحد جُلَّ بعير، وذلك كيل يسير عليه.

(٦٦) قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليّ، إلا أن تُغلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه، فلما أعطوه عهد الله على ما طلب، قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل، أي تكفيني شهادته علينا وحفظه لنا.

(٦٧) وقال لهم أبوه: يا أبنائي إذا دخلتم

أرض «مصر» فلا تدخلوها من باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبكم العين، وإني إذ أوصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئاً قضاء الله عليكم، فما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، وعليه وحده يعتمد المؤمنون.

(٦٨) ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوه، ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين، وإن يعقوب لصاحب علم عظيم بأمر دينه علمه الله له وخياً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، ولا ما يعلمه يعقوب - عليه السلام - من أمر دينه.

(٦٩) ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيافته ومعهم شقيقه «بنائمين»، ضم يوسف إليه شقيقه، وقال له سراً: إني أنا أخوك فلا تخزن، ولا تتعتم بما صنعوه بي فيها مضي. وأمره بكتان ذلك عنهم.

(٧٠) فلما جهَّزهم يوسف، وحلَّ إبلهم بالطعام، أمر عاله، فوضعوا الإناء الذي كان يكبل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد، ولما ركبوا ليسيروا نادى مناد قائلاً: يا أصحاب هذه العير المحملة بالطعام، إنكم لسارقون.

(٧١) قال أولاد يعقوب مقبلين على المنادي: ما الذي تفقدونه؟

(٧٢) قال المنادي ومن بحضرته: نفقد المكيال الذي يكبل الملك به، ومكافأة من يحضره مقدار جبل بعير من الطعام، وقال المنادي: وأنا بجمل البعير من الطعام ضامن وكفيل.

(٧٣) قال إخوة يوسف: والله لقد تحققت مما شاهدتموه منا أننا ما جئنا أرض «مصر» من أجل الإفساد فيها، وليس من صفاتنا أن نكون سارقين.

(٧٤) قال المكلفون بالبحث عن المكيال لإخوة يوسف: فما عقوبة السارق عندكم إن كنتم كاذبين في قولكم: لسنا بسارقين؟

(٧٥) قال إخوة يوسف: جزاء السارق من

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لِي بِهِ جِمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا بِتَفْسِيفٍ إِلَى الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَجْزَاؤُهُ مِنْ جِدِّ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ أَبَاوَعِبِيهِمْ قَتْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالُوا أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا سَاجِدًا لِلْكَبِيرِ فَخُذْ أَحَدًا مَكَّانَهُ إِنَّا نَنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

وُجِدَ المسروق في رحله فهو جزاؤه، أي: يسلم بسرقة إلى من سرق منه حتى يكون عبداً عنده، مثل هذا الجزاء - وهو الاسترقاق - نجزي الظالمين بالسرقة، وهذا ديننا وسنتنا في أهل السرقة.

(٧٦) ورجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه بفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه؛ إحصاءاً لما دبره لاستبقاء أخيه معه، ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإناء منه، كذلك يسرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصل به لأخذ أخيه، وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم ملك «مصر»؛ لأنه ليس من دينه أن يُمْلِكَ السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برق السارق. نرفع منازل من نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علم من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

(٧٧) قال إخوة يوسف: إن يسرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل (يقصدون يوسف عليه السلام) فأخفى يوسف في نفسه ما سمعه من بُهتانهم، وحدث نفسه قائلاً: أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبرتم لي ما كان منكم، والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء.

(٧٨) قالوا مستعطفين ليوفوا بعهد أبيهم: يا أيها العزيز إن له والدًا كبيراً في السن يحبه ولا يطيق بعده، فخذ أحداً بدلاً من «بنيامين»، إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدَةٍ مَمْنَعَانِ إِذْ أَنْتَ
 إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْبَغَ سُوَامُهُ خَلَصُوا أَنْجِبًا
 قَالَ كَيْدُهُمْ أَتَرْتَعْلَمُونَ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
 مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطُكُمْ فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أَنْجَحَ
 الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
 ﴿٨٠﴾ أَنْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ
 وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا نَعْتَبُ حِفْظِيكَ
 ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
 وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا
 فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفُودَ عَلَى
 يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ
 ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْنَا نَدْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
 أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي
 وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(٧٩) قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحداً غير الذي وجدنا المكيال عنده - كما حكمتم أنتم -، فإننا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين.

(٨٠) فلما يتسوا من إجابته إياهم ليما طلبوه انفردوا عن الناس، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم، قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لترد أحاكم إلا أن تغلبوا، ومن قبل هذا كان تقصركم في يوسف وغدركم به؛ لذلك لن أشارك أرض «مصر» حتى يأذن لي أبي في مفارقتها، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وأتمكن من أخذ أخي، والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس.

(٨١) ارجعوا أنتم إلى أبيكم، وأخبروه بما جرى، وقولوا له: إن ابنك «بنيامين» قد سرق، وما شهدنا بذلك إلا بعد أن تيقنا، فقد رأينا المكيال في رحله، وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على رده.

(٨٢) ولما رجعوا وأخبروا أباهم بما حدث، وطلبوا منه أن يتوثق مما أخبروه قائلين: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

(٨٣) قال لهم: بل زينت لكم أنفسكم الأمارة بالسوء مكيدة دبرتموها كما فعلتم من قبل مع يوسف، فصري صبر جميل لا جناح فيه ولا شكوى معه، عسى الله أن يرذل لي أبنائي الثلاثة - وهم يوسف وشقيقه وأخوهما الكبير المتخلف من أجل أخيه - إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره.

(٨٤) وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتا على يوسف وابيضت عيناه، بذهاب سوادهما من شدة الحزن فهو مملئ القلب حزناً، ولكنه شديد الكتمان له.

(٨٥) قال بنوه: تالله ما تزال تذكر يوسف، ويشد حزنك عليه حتى تُشرف على الهلاك أو تهلك فعلاً، فخفف عن نفسك.

(٨٦) قال يعقوب مجيباً لهم: لا أظهر همي وحزني إلا لله وحده، فهو كاشف الضر والبلاء، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا تعلمونه.

(٨٧) قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى «مصر» فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه، ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله؛ إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به.

(٨٨) فذهبوا إلى «مصر»، فلما دخلوا على يوسف قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا القحط والجذب، وجئناك بثمن رديء قليل، فأعطنا به ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، وتصدق علينا بقبض هذه الدراهم الرديئة القليلة وتسامح معنا فيها، إن الله تعالى يثيب المتفضلين بأموالهم على أهل الحاجة.

(٨٩) فلما سمع مقالتهم رقى لهم، وعرفهم بنفسه وقال: هل تذكرون الذي فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون؟

(٩٠) قالوا: إنك لأنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف، وهذا شقيقي، قد تفضل الله علينا، فجمع بيننا بعد الفاقة، إنه من يتق الله ويصبر

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا فَحَصَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْتَجَةٍ قَالُوا لَنَا الْكَفِيلُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا أَأَنْتَ يَا يَاسُفَ قَالَ أَتَأْتُونِي بِهَذَا أَجْنَبَ قَدْ مَرَءْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾ قَالُوا تَأَلَّاهُ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَأْتِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٣﴾ أَذْهَبُوا بِمِصْصِي هَذَا فَأَلْفَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتَوْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَ بِ الْعَبْدِ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٥﴾ قَالُوا تَأَلَّاهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾

على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء.

(٩١) قالوا: تالله لقد فضلك الله علينا وأعزك بالعلم والحلم والفضل، وإن كنا لخاطئين بما فعلناه عمداً بك وبأخيك.

(٩٢) قال لهم يوسف: لا تأتِب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأتاب إلى طاعته.

(٩٣) ولما سألهم عن أبيه أخبروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا فاطر حوه على وجه أبي يُعَدُّ إليه بصره، ثم أحضروا إلي جميع أهلکم.

(٩٤) ولما خرجت القافلة من أرض «مصر»، ومعهم القميص قال يعقوب لمن حضره: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تسفهوني وتسخروا مني، وترعموا أن هذا الكلام صدر مني من غير شعور.

(٩٥) قال الحاضرون عنده: تالله إنك لا تزال في خطئك القديم من حب يوسف، وأنك لا تنساه.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَدِيمَ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرَادَ بِصِرِّهِ أَنْ يَقُولَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَّىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْمَرْثِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَدَفَعْنَا بِهِ إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَدَ بِكَ مِن الْبَدْوِ مِن بَعْدِ إِنَّ رُوحَ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ يُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

(٩٦) فلما أن جاء من يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيٌّ، وطرح قميص يوسف على وجهه فعاد يعقوب مبصرًا، وعمه السرور فقال لمن عنده: أَلَمْ أَخْبِرْكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ؟

(٩٧) قال بنوه: يا أبانا سل لنا ربك أن يعفو عنا ويستر علينا ذنوبنا، إنا كنا خاطئين فيها فعلمناه بيوسف وشقيقه.

(٩٨) قال يعقوب: سوف أسأل ربِّي أن يغفر لكم ذنوبكم، إنه هو الغفور لذنوب عباده التائبين، الرحيم بهم.

(٩٩) وخرج يعقوب وأهله إلى «مصر» قاصدين يوسف، فلما وصلوا إليه ضمَّ يوسف إليه أبويه، وقال لهم: ادخلوا «مصر» بمشيئة الله، وأنتم آمنون من الجهد والفخط، ومن كل مكروه.

(١٠٠) وأجلس أباه وأمه على سرير ملكه بجانبه؛ إكراماً لهما، وحياء أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود له تحية وتكريماً، لاعادة وخضوعاً، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم، وقد

حُرِّمَ في شريعتنا؛ سداً لذريعة الشرك بالله. وقال يوسف لأبيه: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في صغري، قد جعلها ربي صدقاً، وقد تفضل عليَّ حين أخرجني من السجن، وجاء بكم إليَّ من البادية، من بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخوة بيني وبين إخوتي. إن ربي لطيف التدبير لما يشاء، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أفعاله وأفعاله.

(١٠١) ثم دعا يوسف ربه قائلاً: ربِّ قد أعطيتني من ملك «مصر»، وعلمتني من تفسير الرؤى وغير ذلك من العلم، يا خالق السموات والأرض ومبدعهما، أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة، توفني إليك مسلماً، وألحقتني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.

(١٠٢) ذلك المذكور من قصة يوسف هو من أخبار الغيب نخبرك به -أيها الرسول- وحيًا، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين دبروا له الإلقاء في البئر، واحتالوا عليه وعلى أبيه. وهذا يدل على صدقك، وأن الله يُوحِي إليك.

(١٠٣) وما أَكْثَرَ المشركين من قومك -أيها الرسول- بمصدِّقك ولا متبِعِك، ولو حَرَصْتَ على إيمانهم، فلا تحزن على ذلك.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ
 ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِإِلَهِ إِلَّا
 وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ
 اللَّهِ أَتَوْتَاهُمْ السَّاعَةَ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
 هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ
 وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَسِيرُونَ
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا وَيَكْتِفَ مَا كَانَ عِقَبِ الْيَوْمِ مِنَ
 قِتَالِهِمْ وَلَدَارِ الْآخِرَةِ الَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾
 حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
 جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُحْيِي مِنَ النَّشْأَةِ وَلَا يَرُدُّ بِاسْتِغَاثِ الْقَوْمِ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
 مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

(١٠٤) وما تطلب من قومك أجرة على إرشادهم للإيمان، إن الذي أرسلت به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويتبدون.

(١٠٥) وكثير من الدلائل الدالة على وحدانية الله وقدرته منتشرة في السموات والأرض، كالشمس والقمر والجبال والأشجار، يشاهدونها وهم عنها معرضون، لا يفكرون فيها ولا يعتبرون.

(١٠٦) وما يُقرُّ هؤلاء المعرضون عن آيات الله بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء ومستحق للعبادة وحده إلا وهم مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١٠٧) فهل عندهم ما يجعلهم آمنين أن ينزل بهم عذاب من الله يعمهم، أو أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون ولا يُحسِّسون بذلك.

(١٠٨) قل لهم -أيها الرسول-: هذه طريقي، أدعو إلى عبادة الله وحده، على حجة من الله وبقين، أنا ومن اقتدي بي، وإنَّه الله سبحانه وتعالى عن الشركاء، ولستُ من المشركين مع الله غيره.

(١٠٩) وما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- للناس إلا رجالاً منهم ينزل عليهم وحينا، وهم من أهل الحاضرة، فهم أقدر على فهم الدعوة والرسالة، يصدقهم المهتدون للحق، ويكذبهم الضالون عنه، أفلم يمشوا في الأرض، فيعابثوا كيف كان مآل المكذبين السابقين وما حلَّ بهم من الهلاك؟ ولتواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم. أفلا تفكرون فتعتروا؟

(١١٠) ولا تستعجل -أيها الرسول- النصر على مكذبيك، فإن الرسل قبلك ما كان يأتيهم النصر عاجلاً لحكمة نعلمها، حتى إذا يشك الرسل من إيمان قومهم، وظنَّ الرُّسُلُ إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم عن الله، جاء نصرنا لرسولنا عند شدة الكرب، فننجي من نشأ من الرسل وأتباعهم، ولا يُردُّ عذابنا عمن أجرم وتجرأ على الله. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

(١١١) لقد كان في نبأ المرسلين الذي قصصناه عليك وما حلَّ بالمكذبين عظة لأهل العقول السليمة. ما كان هذا القرآن حديثاً مكذوباً مغلغلاً، ولكن أنزلناه شاهداً على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلَّة وأنها من عند الله، وبياناً لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه وغير ذلك، وإرشاداً من الضلال، ورحمة لأهل الإيمان تهتدي به قلوبهم، فيعملون بها فيه من الأوامر والنواهي.

﴿سورة الرعد﴾

(١) ﴿الرَّعْدُ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن الرفيعة القدر، وهذا القرآن المنزل عليك -أيها الرسول- هو الحق، لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من عند نفسك، ومع هذا فأكثر الناس لا يصدقون به ولا يعملون.

(٢) الله تعالى هو الذي رفع السموات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى -أي: علا وارفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلل الشمس والقمر لمنافع العباد، كل منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة. يدبر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته وأنه لا إله إلا هو؛ لتوقروا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتخلصوا العبادة له وحده.

(٣) وهو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة، وهياها لمعاشكم، وجعل فيها جبالاً تثبتها

وأنهاراً لثربكم ومنافعكم، وجعل فيها من كل الثمرات صنفين اثنين، فكان منها الأبيض والأسود والحلو والحامض، وجعل الليل يغطي النهار بظلمته، إن في ذلك كله لآيات لقوم يتفكرون.

(٤) وفي الأرض قطع يحاور بعضها بعضاً، منها ما هو طيب ثيب ما ينفع الناس، ومنها سبخة ولمحة لا تثبت شيئاً، وفي الأرض الطيبة بساتين من أعتاب، وجعل فيها زروعاً مختلفة ونخيلاً مجتمعاً في منبت واحد، وغير مجتمع فيه، كل ذلك في تربة واحدة، ويشرب من ماء واحد، ولكنه يختلف في النوار والحجم والطعم وغير ذلك، فهذا حلو وهذا حامض، وبعضها أفضل من بعض في الأكل، إن في ذلك لآيات لمن كان له قلب يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه.

(٥) وإن تعجب -أيها الرسول- من عدم إيمان الكفار بعد هذه الأدلة فالعجب الأشد من قولهم: إذا متنا وكنا تراباً نُبعث من جديد؟ أولئك هم الجاحدون برهم الذي أوجدهم من العدم، وأولئك تكون السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك يدخلون النار، ولا يخرجون منها أبداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّعْدُ يَكْذِبُكَ إِنَّكَ الْكَاتِبُ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًى وَأَنْهَاراً وَصَوَّرَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ حَلْفَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مُّتَجَوِّزٌ وَحَتَّىٰ مِنْ أَغْطَبٍ وَرَزَقٌ وَنَخِيلٌ صُفْوَانٌ وَغَيْرُ صُفْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَبِغَيْرِ غَوْنٍ يُفَصِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَنَفْسٌ حَلِيٌّ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْطَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

(٦) ويستعجلك المكذَّبون بالعقوبة التي لم أعاجلهم بها قبل الإيَّان الذي يرجى به الأمان والحسنات، وقد مضت عقوبات المكذِّبين من قبلهم، فكيف لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك -أيها الرسول- لَدُوْ مَغْفِرَةٍ لِلذَّنْبِ مَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ مِنَ النَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ، يفتح لهم باب المغفرة، ويدعوهم إليها، وهم يظلمون أنفسهم بعصيانهم ربه، وإن ربك لشديد العقاب على مَنْ أَصْرَّ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ.

(٧) ويقول كفار «مكة»: هَلَّا جَاءَتْهُ مَعْجَزَةٌ مَحْسُوسَةٌ كَعَصَا مُوسَى وَنَاقَةِ صَالِحٍ، وليس ذلك بيدك -أيها الرسول- فَمَا أَنْتَ إِلَّا مَبْلَغٌ لَهُمْ، وَخَوْفٌ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ. ولكل أمة رسول يرشدهم إلى الله تعالى.

(٨) الله تعالى يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، أذكر هو أم أنثى؟ وشقي هو أم سعيد؟ ويعلم ما تنفضه الأرحام، فيسقط أو يولد قبل تسعة أشهر، وما يزيد حمله عليها. وكل شيء مقدَّر عند

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْعَقَبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُنْعَالِ ﴿٩﴾ سِوَاكَ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلٍ مَرَدَّهُ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ كُلُّ مَنْ خِيفَتِهِ وَرُسُلُ الصَّوَاعِقِ يَفْصِيْبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٣﴾

الله بمقدار من النقصان أو الزيادة لا يتجاوز.

(٩) الله عالم بما خفي عن الأبصار، وبما هو مشاهد، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، المتعالي على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره. (١٠) يستوي في علمه تعالى مَنْ أَخْفَى الْقَوْلَ مِنْكُمْ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، ويستوي عنده مَنْ اسْتَرْتِ بِأَعْمَالِهِ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ جَهَرَ بِهَا فِي وَضْحِ النَّهَارِ.

(١١) الله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغيِّرُ نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله بجاعة بلاء فلا مفرَّ منه، وليس لهم من دون الله مَنْ وَالٍ يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه.

(١٢) هو الذي يريكم من آياته البرق -وهو النور اللامع من خلال السحاب- فتخافون أن تنزل عليكم منه الصواعق المحرقة، وتطمعون أن ينزل معه المطر، وبقدرته سبحانه يوجد السحاب المحمَّل بالماء الكثير لمنافعكم.

(١٣) ويسبِّحُ الرعد بحمد الله تسبيحاً يدل على خضوعه لربه، وتنزُّه الملائكة ربهَا مِنْ خَوْفِهَا مِنَ اللَّهِ، ويرسل الله الصواعق المهلكة فيهلك بها مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، والكفار يجادلون في وحدانية الله وقدرته على البعث، وهو شديد الحول والقوة والبطش بمن عصاه.

(١٤) لله سبحانه وتعالى وحده دعوة التوحيد «لا إله إلا الله»، فلا يُعبد ولا يُدعى إلا هو، والآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تجيب دعاء من دعاها، وحالهم معها كحال عطشان ينشط كفيه إلى الماء من بعيد؛ ليصل إلى فمه فلا يصل إليه، وما سؤال الكافرين لها إلا غاية في البعد عن الصواب لإشراكهم بالله غيره.

(١٥) والله وحده يسجد خاضعاً منقاداً كل من في السموات والأرض، فيسجد ويخضع له المؤمنون طوعاً واختياراً، ويخضع له الكافرون رغماً عنهم؛ لأنهم يستكبرون عن عبادته، وحالهم وفطرتهم تكذبهم في ذلك، وتنقاد لعظمة الله ظلال المخلوقات، فتتحرك بإرادته أول النهار وآخره.

(١٦) قل -أيها الرسول- للمشركين: من خالق السموات والأرض ومدبرهما؟ قل: الله هو الخالق المدبر لهما، وأنتم تقرّون بذلك، ثم قل لهم ملزماً بالحجة: أجعلتم غيره معبودين لكم، وهم لا يتقصدون على نفع أنفسهم أو ضررها فضلاً عن تفعلكم أو ضرركم، وتركتم عبادة مالكمها؟ قل

لهم -أيها الرسول-: هل يستوي عندكم الكافر -وهو كالأعمى- والمؤمن وهو البصير؟ أم هل يستوي عندكم الكفر -وهو كالظلمات- والإيمان -وهو كالنور؟ أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء له يخلقون مثل خلقه، فتشابه عليهم خلق الشركاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟ قل لهم -أيها الرسول-: الله تعالى خالق كل كائن من العدم، وهو المستحق للعبادة وحده، وهو الواحد القهار الذي يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع. (١٧) ثم ضرب الله سبحانه مثلاً للحق والباطل بآء أنزل من السماء، فجرت به أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غثاً طافياً فوقه لا نفع فيه. وضرب مثلاً آخر: هو المعادن يوقدون عليها النار لصهرها؛ طلباً للزينة كما في الذهب والفضة، أو طلباً لمنافع يتنفعون بها كما في النحاس، فيخرج منها خبيثها ما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء، بمثل هذا يضرب الله المثل للحق والباطل: فالباطل كغثاء يتلاشى أو يرمى إذ لا فائدة منه، والحق كالماء الصافي، والمعادن النقية تبقى في الأرض للانتفاع بها، كما بين لكم هذه الأمثال، كذلك يضربها للناس؛ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

(١٨) للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله الجنة، والذين لم يطيعوا وكفروا به لهم النار، ولو كانوا يملكون كل ما في الأرض ويضعفوه معه لبذلوه فداء لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ولن يُقبل منهم، أولئك يحاسبون على كل ما أسلفوه من عمل سيئ، ومسكنهم ومقامهم جهنم تكون لهم فراشاً، وبش الفراش الذي مهدوه لأنفسهم.

(١٩، ٢٠) هل الذي يعلم أن ما جاءك - أيها الرسول - من عند الله هو الحق فيؤمن به، كالأعمى عن الحق الذي لم يؤمن؟ إننا يتعظ أصحاب العقول السليمة الذين يؤفون بعهد الله الذي أمرهم به، ولا ينكثون العهد المؤكد الذي عاهدوا الله عليه.

(٢١) وهم الذين يصلون ما أمرهم الله بوصله كالأرحام والمحتاجين، ويراقبون ربهم، ويخشون أن يحاسبهم على كل ذنوبهم، ولا يغفر لهم منها شيئا.

(٢٢) وهم الذين صبروا على الأذى وعلى الطاعة، وعن المعصية طلباً لرضا ربهم، وأدوا الصلاة على أتم وجوها، وأدوا من أموالهم زكاتهم المفروضة، والتفقات المستحبة في الخفاء والعلن، ويدفعون بالحسنة السيئة فتحسوها، أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم العاقبة المحمودة في الآخرة.

(٢٣) تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث،

﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ مِنْ هُوَ أَمُنَىٰ إِنَّمَا يَذْكُرُ
أُولَئِكَ الْأَلْبَابَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْعَهْدَ
﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلُوا وَخَشَنُوا رِئْزَهُمْ
وَيَحْتَفُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ
بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ ذَٰلِكَ يَوْمَ فُتِحَتْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلُوا وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَقَطَعُوا قُلُوبَهُمْ يُذَكِّرُ اللَّهُ لَا يَذْكُرُ اللَّهُ قَطْمِثِينَ الْقُلُوبِ ﴿٢٨﴾

وتدخل الملائكة عليهم من كل باب؛ لتهنتهم بدخول الجنة.

(٢٤) تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، وسليمتن من كل سوء؛ بسبب صبركم على طاعة الله، فنعيم عاقبة الدار الجنة.

(٢٥) أما الأشقياء فقد وصِّفوا بضد صفات المؤمنين، فهم الذين لا يؤفون بعهد الله بإفراده سبحانه بالعبادة بعد أن أكدوه على أنفسهم، وهم الذين يقطعون ما أمرهم الله بوصله من صلة الأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بعمل المعاصي، أولئك الموصوفون بهذه الصفات القبيحة هم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوءهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

(٢٦) الله وحده يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على من يشاء منهم، وفرح الكفار بالسَّعة في الحياة الدنيا، وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيء قليل يتمتع به، شرعان ما يزول.

(٢٧) ويقول الكفار عناداً: هلاً أنزل على محمد معجزة محسوسة كمعجزة موسى وعيسى. قل لهم: إن الله يضل من يشاء المعاندين عن الهداية ولا تنفعه المعجزات، ويهدي إلى دينه الحق من رجع إليه وطلب رضوانه.

(٢٨) ويهدي الذين تسكن قلوبهم بتوحيد الله وذكره وقطعتن، ألا بطاعة الله وذكره وثوابه تسكن القلوب وتستأنس.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿٢٩﴾
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَسْأَلُوا
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ يَا رَحْمَنُ قُلْ هُوَ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّا فُتِنَا
سُورَتِ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ
بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ بِسِيقَاسٍ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ بَسَّأَهُ
اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَفَافَةً أَوْ تُجْلَىٰ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْنَهَزَيْتُمُ الْمُرْسَلِينَ
فَبَلَكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدُّوهُم
السَّبِيلَ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

(٢٩) الذين صدّقوا بالله ورسوله، وعملوا
الأعمال الصالحات لهم فرح وقرّة عين، وحال
طيبة، ومرجع حسن إلى جنة الله ورضوانه.
(٣٠) كما أرسلنا المرسلين قبلك أرسلناك
-أيها الرسول- في أمة قد مضت من قبلها أمة
المرسلين؛ لتتلو على هذه الأمة القرآن المنزل
عليك، وحال قومك الجحود بوحداية الرحمن،
قل لهم -أيها الرسول-: الرحمن الذي لم تتخذوه
إلهاً واحداً هو ربي وحده لا معبود بحق سواه،
عليه اعتمدت ووثقت، وإليه مرجعي وإنأتي.
(٣١) يردّ الله -تعالى- على الكافرين الذين
طلبوا إنزال معجزات محسوسة على النبي صلى
الله عليه وسلم فيقول لهم: ولو أن ثمة قرآناً
يقرأ، فنزل به الجبال عن أماكنها، أو تشقق
به الأرض أنهاراً، أو يحيا به الموتى وتكلم -كما
طلبوا منك- لكان هذا القرآن هو المنصف بذلك
دون غيره، ولما آمنوا به. بل لله وحده الأمر كله
في المعجزات وغيرها. أفلم يعلم المؤمنون أن
الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلّهم من غير

معجزة؟ ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين، أو تنزل تلك المصيبة قريباً
من دارهم، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم، إن الله لا يخلف الميعاد.

(٣٢) وإذا كانوا قد سخروا من دعوتك -أيها الرسول- فلقد سخرت أمة من قبلك برسلهم، فلا تحزن فقد أمهلت الذين
كفروا، ثم أخذتهم بعقابي، وكان عقاباً شديداً.

(٣٣) أفمن هو قائم على كل نفس يُحصى عليها ما تعمل، أحق أن يعبد، أم هذه المخلوقات العاجزة؟ وهم -من جهلهم-
جعلوا لله شركاء من خلقه يعبدونهم، قل لهم -أيها الرسول-: اذكروا أسماءهم وصفاتهم، ولن يجدوا من صفاتهم ما
يجعلهم أهلاً للعبادة، أم يخبرون الله بشركاء في أرضه لا يعلمهم، أم تسمونهم شركاء بظاهر من اللفظ من غير أن يكون
لهم حقيقة. بل حسن الشيطان للكفار قوهم الباطل وصدّهم عن سبيل الله. ومن لم يوفقّه الله هدايته فليس له أحد يهديه،
ويوفقّه إلى الحق والرشاد.

(٣٤) هؤلاء الكفار الصادين عن سبيل الله عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والأسر والحزي، ولعذابهم في الآخرة أثقل
وأشد، وليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا نَارٌ لِقَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ» وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ أَكْثَرُ الْبَرَكَاتِ يُقْرَءُونَ
بِهَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الْأَحْزَابِ مَنْ يُسْكِرُ كَعْصَهُ وَقُلْ إِنَّمَا
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُي إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا وَاقٍ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ
يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ وَإِنْ مَا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ إِنَّمَا عَمَلُكَ الْبَلَاغُ
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ الْعِلْمُ أَعْيُنَ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ

(٣٥) صفة الجنة التي وعد الله بها الذين
يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها
الأنهار، ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا
ينقص، تلك المثوبة بالجنة عاقبة الذين خافوا
الله، فاجتنبوا معاصيه وأدوا فرائضه، وعاقبة
الكافرين بالله النار.

(٣٦) والذين أعطيناهم الكتاب من اليهود
والنصارى من آمن منهم بك عبد الله بن سلام
والتجاشي، يستبشرون بالقرآن المنزل عليك
لموافقتهم ما عندهم، ومن المتحيزين على الكفر
ضدك، كالسيد والعاقب- أسقفي «تجران»-،
وكعب بن الأشرف، من ينكر بعض المنزل
عليك، قل لهم: إنما أمرني الله أن أعبد وحده،
ولا أشرك به شيئاً، إلى عبادته أدعو الناس، وإليه
مرجعي ومآبي.

(٣٧) وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم
أنزلنا إليك- أيها الرسول- القرآن بلغة العرب؛
لتحكم به، ولئن اتبعت أهواء المشركين في عبادة
غير الله- بعد الحق الذي جاءك من الله- ليس

لك ناصر ينصرك ويمنعك من عذابه.

(٣٨) وإذا قالوا: ما لك- أيها الرسول- تزوج النساء؟ فلقد بعثنا قبلك رسلاً من البشر وجعلنا لهم أزواجاً وذرية، وإذا
قالوا: لو كان رسولاً لأتني بما طلبنا من المعجزات، فليس في وسع رسول أن يأتي بمعجزة أرادها قومه إلا بإذن الله. لكل
أمر قضاه الله كتاب وأجل قد كتبه الله عنده، لا يتقدم ولا يتأخر.

(٣٩) يمحو الله ما يشاء من الأحكام وغيرها، ويُثَبِّتُ ما يشاء منها لحكمة يعلمها، وعنده أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ
الذي أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة.

(٤٠) وإن أريناك- أيها الرسول- بعض العقاب الذي توعدنا به أعداءك من الخزي والتكال في الدنيا فذلك المعجل لهم،
وإن توفيناك قبل أن ترى ذلك، فما عليك إلا تبليغ الدعوة، وعلينا الحساب والجزاء.

(٤١) أُولم يبصر هؤلاء الكفار أننا نأتي الأرض نَنْقُصُهَا من أطرافها، وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد
المسلمين؟ والله سبحانه يحكم لا مُعَقِّبَ لحكمه وقضائه، وهو سريع الحساب، فلا يستعجلوا بالعذاب؛ فإن كل أت قريب.

(٤٢) ولقد دبر الذين من قبلهم المكاييد لرسولهم، كما فعل هؤلاء معك، فله المكرب جميعاً، فيبطل مكرهم، ويعيده عليهم
بالخيبة والندم، يعلم سبحانه ما تكسب كل نفس من خير أو شر فتجازي عليه. وسيعلم الكفار- إذا قدموا على ربهم- لمن
تكون العاقبة المحمودة بعد هذه الدنيا؟ إنها لأتباع الرسل. وفي هذا تهديد ووعد للكافرين.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسَأتُ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٦﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فِيضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

(٤٣) ويقول الذين كفروا لنبى الله: - يا محمد-
ما أرسلك الله، قل لهم: كفى بالله شهيداً بصدقي
وكذبكم، وكفّت شهادة من عنده علم الكتاب
من اليهود والنصارى من آمن برسالتى، وما
جئت به من عند الله، واتبع الحق فصّرحت بتلك
الشهادة، ولم يكتفها.

﴿سورة إبراهيم﴾

(١، ٢) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف
المقطعة في أول سورة البقرة.

هذا القرآن كتاب أوحيناها إليك -أيها الرسول-
لتُخرج به البشر من الضلال والغي إلى الهدى
والنور - بإذن ربهم وتوفيقه إبراهيم - إلى الإسلام
الذي هو طريق الله الغالب المحمود في كل حال،
الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، خلقاً
وملكاً وتصرفاً، فهو الذي يجب أن تكون العبادة
له وحده. وسوف يصيب الذين لم يؤمنوا بالله ولم
يتبعوا رسله يوم القيامة هلاك وعذاب شديد.

(٣) وهؤلاء الذين أعرضوا ولم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله هم الذين يختارون الحياة الدنيا الفانية، ويترون الآخرة الباقية،
ويمنعون الناس عن اتباع دين الله، ويريدونه طريقاً معوجاً ليوافق أهواءهم، وأولئك الموصوفون بهذه الصفات في ضلال
عن الحق بعيد عن كل أسباب الهداية.

(٤) وما أرسلنا من رسول قبلك -أيها النبي- إلا بلغة قومه؛ ليوضح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى،
ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وفق الحكمة.

(٥) ولقد أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه، وأمرناه بأن يدعوه إلى الإيمان؛ ليخرجهم
من الضلال إلى الهدى، ويذكرهم بنعم الله ونقمه في أيامه، إن في هذا التذكير بها لدلالات لكل صابر على طاعة الله، وعن
محارمه، وعلى أقداره، شكور قائم بحقوق الله، يشكر الله على نعمه. وخصّ هذين الصنفين بالذكر؛ لأنهم هم الذين
يعتبرون بالآيات، ولا يغفلون عنها.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَ كُسُوءَ الْعَذَابِ
 وَيَذُبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
 ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٠ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
 لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
 لَشَدِيدٌ ١١ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنتُمْ وَمَنْ فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ١٢ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا
 بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ١٣
 * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِئِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكَ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْطَدُّوَنَا
 عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا قَانُوا فَاسْأَلْهُمْ مُبِينٌ ١٤

(٦) واذكر - أيها الرسول - لقومك قصة موسى حين قال لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاهم من فرعون وأتباعه يذيقونكم أشد العذاب، ويذبحون أبناءكم الذكور، حتى لا يأتي منهم من يستولي على ملك فرعون، ويستيقنون نساءكم للخدمة والامتهان، وفي ذلكم البلاء والإنجاء اختبار لكم من ربكم عظيم.

(٧) وقال لهم موسى: واذكروا حين أعلم ربكم إعلاماً مؤكداً: لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله، ولئن جحدتم نعمه الله ليعذبنكم عذاباً شديداً.

(٨) وقال لهم: إن تكفروا بالله أنتم وجميع أهل الأرض فلن تضروا الله شيئاً، فإن الله لغني عن خلقه، مستحق الحمد والثناء، محمود في كل حال.

(٩) ألم يأتكم - يا أمة محمد - خبر الأمم التي سبقتكم، قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، والأمم التي بعدهم، لا يحصي عددهم إلا الله،

جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحات، فعضوا أيديهم غيظاً واستنكافاً عن قبول الإيذان، وقالوا لرسولهم: إنا لا نصدق بما جئتمونا به، وإنا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه من الإيذان والتوحيد موجب للريرة.

(١٠) قالت لهم رسلهم: أي الله وعبادته - وحده - رب، وهو خالق السموات والأرض، ومنشئها من العدم على غير مثال سابق، وهو يدعوكم إلى الإيذان؛ ليغفر لكم ما أسلفتم من الشرك، ويذفع عنكم عذاب الاستئصال، فيؤخر بقاءكم في الدنيا إلى أجل قدره، وهو نهاية آجالكم، فلا يعذبكم في الدنيا؟ فقالوا لرسولهم: ما نراكم إلا بشرأ صفاتكم كصفتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلاً، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما نقولون.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَتَنْصُرُنَا
عَلَىٰ مَا هَآءَاذِيقُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُشْكِنَنَّ لَكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا
وَخَافَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
فِيهَا مَاءٌ صَدِيدٌ ﴿١٦﴾ يَقْرَأُونَ فِيهَا حَزْبًا مِمَّا يَشْتَأُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ
فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِبَارُهَا وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿١٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا نوحًا إِذْ دَعَا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ ابْنِ
لَهُمْ مِثْرًا فَعَبَّهُمْ فَقُدَّتْ الرِّجَالُ رُجُلًا وَكَانَ غَرَسًا
أَصْلًا ﴿١٨﴾ وَأَنبَأْنَاهُ أَنَّاكَ أَكْبَرُ الْأَنْبِيَاءِ ﴿١٩﴾ وَبَدَّلْنَا
نُوحَ الْكَلْبَ الْأَبْيَضَ الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ نوحًا
مُحْسِنًا ﴿٢١﴾ وَبَدَّلْنَا هَارُونَ أَخَاهُ هَارُونَ الْقَوِيَّ
مُحْسِنًا ﴿٢٢﴾ وَكَانَ هَارُونُ الْقَوِيُّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٢٣﴾ وَكَانَ
مُؤْتَمِرًا مَعَهُ إِذْ دَعَا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ ابْنِ لَهُمْ مِثْرًا
فَعَبَّهُمْ فَقُدَّتْ الرِّجَالُ رُجُلًا وَكَانَ غَرَسًا أَصْلًا ﴿٢٤﴾

(١١) ولما سمع الرسل ما قاله أقوامهم قالوا لهم: حقاً ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم، ولكن الله يتفضل بإنعامه على من يشاء من عباده فيصطفيهم لرسالته، وما طلبتم من البرهان المبين، فلا يُمكن لنا ولا نستطيع أن نأتيكم به إلا بإذن الله وتوفيقه، وعلى الله وحده يعتمد المؤمنون في كل أمورهم.

(١٢) وكيف لا تعتمد على الله، وهو الذي أُرشدنا إلى طريق النجاة من عذابه باتباع أحكام دينه؟ ولنصبرن على إيدانكم لنا بالكلام السيئ وغيره، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في نصرهم، وهزيمة أعدائهم.

(١٣) وضافت صدور الكفار بما قاله الرسل فقالوا لهم: لنطردنكم من بلادنا حتى تعودوا إلى ديننا، فأوحى الله إلى رسله أنه سيهلك الجاحدين الذين كفروا به وبرسله.

(١٤) ولنجعلن العقاب الحسنة للرسول وأتباعهم بإسكانهم أرض الكافرين بعد إهلاكهم، ذلك

الإهلاك للكفار، وإسكان المؤمنين أرضهم أمر مؤكد لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة، وخشي وعيدي وعذابي. (١٥) ولجأ الرسل إلى ربهم وسأله النصر على أعدائهم والحكم بينهم، فاستجاب لهم، وهلك كل متكبر لا يقبل الحق ولا يُدْعن له، ولا يقر بتوحيد الله وإخلاص العباد له.

(١٦) ومن أمام هذا الكافر جهنم يلقى عذابها، ويُسقى فيها من القحح والدم الذي يُخرج من أجسام أهل النار.

(١٧) يحاول المتكبر ابتلاع القحح والدم وغير ذلك مما يسيل من أهل النار مرة بعد مرة، فلا يستطيع أن يتلعه؛ لقذارته وحرارته ومرارته، ويأتيه العذاب الشديد من كل نوع ومن كل عضو من جسده، وما هو بميت فيستريح، وله من بعد هذا العذاب عذاب آخر مؤلم.

(١٨) صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبر وصلة الأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم ترك له أنراً، فكذلك أعمالهم لا يجدون منها ما ينفعهم عند الله، فقد أذهبها الكفر كما أذهب الريح الرماد، ذلك السعي والعمل على غير أساس، هو الضلال البعيد عن الطريق المستقيم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَيَرْزُقُ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُمُ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَهْرَبْنَا مِمَّا لَمَّا مِنْ مَقْصِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْوَ أَنْفُسَكُمْ مَا أُنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِيهَا لَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

(١٩) ألم تعلم أيها المخاطب - والمراد عموم الناس - أن الله أوجد السموات والأرض على الوجه الصحيح الدال على حكمته، وأنه لم يخلقها عبثاً، بل للاستدلال بها على وحدانيته، وكمال قدرته، فيعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً؟ إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يطيعون الله.

(٢٠) وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله، بل هو سهل يسير.

(٢١) وخرجت الخلائق من قبورهم، وظهروا كلهم يوم القيامة لله الواحد القهار؛ ليحكم بينهم، فيقول الأتباع لقادتهم: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَتِبَاعًا، نَأْمُرُ بِأَمْرِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ - اليوم - دافعون عنا من عذاب الله شيئاً كما كنتم تعدوناً؟

فيقول الرؤساء: لو هدانا الله إلى الإيمان لأرشدناكم إليه، ولكنه لم يوفقنا، فضللنا وأضللناكم، يستوي علينا وعليكم الجزع

والصبر عليه، فليس لنا مهرب من العذاب ولا منجى.

(٢٢) وقال الشيطان - بعد أن قضى الله الأمر وحاسب خلقه، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار -: إن الله وعدكم وعداً حقاً بالبعث والجزاء، ووعدتكم وعداً باطلاً أنه لا بعث ولا جزاء، فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من قوة أفهركم بها على أتباعي، ولا كانت معي حجة، ولكن دعوتكم إلى الكفر والضلال فاتبعتموني، فلا تلموني ولوموا أنفسكم، فالذنب ذنبكم، ما أنا ببعيظكم ولا أنتم ببعيظي من عذاب الله، إني تبرأت من جفلكم لي شريكاً مع الله في طاعته في الدنيا. إن الظالمين - في إعراضهم عن الحق وأتباعهم الباطل - هم عذاب مؤلم موجه.

(٢٣) وأدخل الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات جنان تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لا يخرجون منها أبداً - بإذن ربهم وحوله وقوته - يُحَيَّوْنَ فِيهَا بِسَلَامٍ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

(٢٤) ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بشجرة عظيمة، وهي النخلة، أصلها متمكن في الأرض، وأغلاها مرتفع علواً نحو السماء؟

تُوفِّي أَكْلَهُمَا لِحَيِّينَ يَأْذَنُ رَبُّهُمَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ
كَشَجَرَةِ خَيْثَةٍ أَجْمَعَتْ مِنْ تَوْفَى الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَشِدُّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةَ رَبِّهِمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا يَخْلُقُ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

(٢٥) تعطي ثمارها كل وقت بإذن ربها، وكذلك شجرة الإيوان أصلها ثابت في قلب المؤمن علياً واعتقاداً، وفرعها من الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية يُرفع إلى الله وينال ثوابه في كل وقت. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا.

(٢٦) ومثل كلمة خيثة -وهي كلمة الكفر- كشجرة خيثة المأكل والمطعم، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أعلى الأرض؛ لأن عروقها قريبة من سطح الأرض ما لها أصل ثابت، ولا فرع صاعد، وكذلك الكافر لثبات له ولا خير فيه، ولا يُرفع له عمل صالح إلى الله.

(٢٧) بيّنت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يشبههم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال المَلَكين هدايتهم إلى الجواب الصحيح، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، ويفعل الله ما يشاء من توفيق أهل الإيمان ويخذل أهل الكفر والطغيان.

(٢٨، ٢٩) ألم تنظر أيها المخاطب -والمراد العموم- إلى حال المكذبين من كفار قريش الذين اختاروا الكفر بالله بدلاً عن شكره على نعمة الأمن بالحرم وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيهم؟ وقد أنزلوا أتباعهم دار الهلاك حين تسبوا بإخراجهم إلى «بَدْر» فقتلوا، وصار مصيرهم دار البوار، وهي جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، وقُبِحَ المستقر مستقرهم.

(٣٠) وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء عبدوهم معه؛ لِيُبعِدوا الناس عن دينه. قل لهم -أيها الرسول-: استمتعوا في الحياة الدنيا؛ فإنها سريعة الزوال، وإن مردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم.

(٣١) قل -أيها الرسول- لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيناهم من المال في وجه الخير الواجبة والمستحبة مسريين ذلك ومعلنين، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء ولا صدقة.

(٣٢) الله تعالى الذي خلق السموات والأرض وأوجدهما من العدم، وأنزل المطر من السحاب فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج لكم منها أرزاقكم، وذلل لكم السفن؛ لتسير في البحر بأمره لمنافعكم، وذلل لكم الأنهار لسقياكم وسقيا دوابكم وزروعكم وسائر منافعكم.

(٣٣) وذلل الله لكم الشمس والقمر لا يَفْتُرَانِ عن حركتهما؛ لتتحقق المصالح بهما، وذلل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار؛ لتبتغوا من فضله، وتدبروا معاشكم.

(٣٤) وأعطاكم من كل ما طلبتموه، وإن تعدوا نِعَمَ الله عليكم لا تحيطوا عددها ولا إحصاءها ولا القيام بشكرها؛ لكثرتها وتنوعها. إن الإنسان لكثير الظلم لنفسه، كثير الجحود لنعم ربه.

(٣٥) واذكر -أيها الرسول- حين قال إبراهيم داعياً ربه -بعد أن أسكن ابنه إسحاق وأمه «هاجر» وادي «مكة»-: رب اجعل «مكة» بلدًا آمناً يأمن كل من فيها، وأبعدني وأبنائي عن عبادة الأصنام.

(٣٦) ربَّ إن الأصنام تسبَّحت في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق، فمن اقتدى بي في التوحيد فهو على ديني وسُنتي، ومن خالفني فيها دون الشرك، فإنك غفور لذنوب المذنبين -بفضلك- رحيم بهم، تعفو عن تشاء منهم.

(٣٧) ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادي ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك؛ لكي يودوا الصلاة بحدودها، فاجعل قلوب بعض خلقك تنزع إليهم وتحنُّ، وارزقهم في هذا المكان من أنواع

وَأَسْكَنْتُ مِنْ كُلِّ مَآسَا أَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا قَرَأْتُ مِنَ الْتَائِيَةِ مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَمُورٌ رَجِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ الْتَائِيَةِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفِيفًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

الثمار؛ لكي يشكروا لك على عظيم نعمك. فاستجاب الله دعاءه.

(٣٨) ربنا إنك تعلم كل ما نخفيه وما نظهره. وما يغيب عن علم الله شيء من الكائنات في الأرض ولا في السماء.

(٣٩) بُنِّي إبراهيم على الله تعالى، فيقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر سني ولديَّ إسحاق وإسحاق بعد دعائي أن يهب لي من الصالحين، إن ربي لسميع الدعاء بمن دعاه، وقد دعوته ولم يخيب رجائي.

(٤٠) رب اجعلني مداوماً على أداء الصلاة على أتم وجوها، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها، ربنا واستجب دعائي وتقبل عبادتي.

(٤١) ربنا اغفر لي ما وقع مني مما لا يسلم منه البشر واغفر لوالديَّ، (وهذا قبل أن يتبين له أن والده عدو لله) واغفر للمؤمنين جميعاً يوم يقوم الناس للحساب والجزاء.

(٤٢) ولا تحسبن -أيها الرسول- أن الله غافل عما يعملهم الظالمون: من التكذيب بك وبغيرك من الرسل، وإيذاء المؤمنين وغير ذلك من المعاصي، إنها يؤخر عقابهم ليوم شديد ترتفع فيه عيونهم ولا تعمُض؛ من هول ما تراه. وفي هذا تسلية لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

مُهْطِعِينَ مُقْنِبِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَقْبَدَ ظُهُرَهُمُ الْوَادِيَّ ۖ وَأَنذِرَ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِيبُ
دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعَ الرَّسُولَ مَنَ بَلَّغُوا أَقْسَمَهُمْ مِن قَبْلُ
مَا كُفِّرُوا وَزَالَ ۖ وَسَكَنُوا فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا تَخْشَ بَلَّغَ اللَّهُ وَعْدَهُ رَسُولُهُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَيُرْزَقُ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَدَّرِينَ ۖ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سِرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَقَشَّى
وُجُوهُهُمُ النَّارَ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَّغَ لِلنَّاسِ وَإِيْنْدُوا إِلَيْهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذْكَرُوا لَأَلْبَابٍ ۖ

(٤٣) يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لإجابة الداعي رافعي رؤوسهم لا يبصرون شيئاً لهول الموقف، وقلوبهم خالية ليس فيها شيء؛ لكثرة الخوف والوجل من هول ما ترى.

(٤٤) وأنذر -أيها الرسول- الناس الذين أرسلتكم إليهم عذاب الله يوم القيامة، وعند ذلك يقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمهلنا إلى وقت قريب نؤمن بك ونصدق رسلك. فيقال لهم توبيحاً: ألم تقسموا في حياتكم أنه لا زوال لكم عن الحياة الدنيا إلى الآخرة، فلم تصدقوا بهذا البعث؟

(٤٥) وحللتهم في مساكن الكافرين السابقين الذين ظلموا أنفسهم كقوم هود وصالح، وعلمتم -بما رأيتم وأخبرتم- ما أنزلناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في القرآن، فلم تعتبروا؟

(٤٦) وقد دبر المشركون الشر للرسول صلى الله عليه وسلم بقتله، وعند الله مكرمهم فهو محيط به، وقد عاد مكرمهم عليهم، وما كان مكرمهم لتزول منه الجبال ولا غيرها لضعفه ووهنه، ولم يضرُوا الله شيئاً، وإنما ضرُوا أنفسهم.

(٤٧) فلا تحسبن -أيها الرسول- أن الله يخلف رسله ما وعدهم من النصر وإهلاك مكذبيهم. إن الله عزيز لا يمتنع عليه شيء، منتقم من أعدائه أشد انتقام. والخطاب وإن كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو موجه لعموم الأمة.

(٤٨) وانتقام الله تعالى من أعدائه في يوم القيامة يوم تُبَدَّل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقية كالفضة، وكذلك تُبَدَّل السموات بغيرها، وتخرج الخلائق من قبورها أحياء ظاهرين للقاء الله الواحد القهار، المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقهره لكل شيء.

(٤٩) وتُبَيِّصُ -أيها الرسول- المجرمين يوم القيامة مقبدين بالقيود، قد قُرِنت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، وهم في ذُل وهوان.

(٥٠) ثيابهم من القِطْرَانِ الشديد الاشتعال، وتلفح وجوههم النار فتحرقها.

(٥١) فَعَلَّ الله ذلك بهم؛ جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، والله يجازي كل إنسان بما عمل من خير أو شر، إن الله سريع الحساب.

(٥٢) هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بلاغ وإعلام للناس؛ لنصحهم وتخويفهم، ولكي يوقنوا أن الله هو الإله الواحد، فيعبده وحده لا شريك له، وليتعب به أصحاب العقول السليمة.

﴿سورة الحجر﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

تلك الآيات العظيمة هي آيات الكتاب العزيز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي آيات قرآن موضح للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود. فالكتاب هو القرآن جمع الله له بين الاسمين.

(٢) سبتمنى الكفار حين يرون خروج عصاة المؤمنين من النار أن لو كانوا موحدين؛ ليخرجوا كما خرجوا.

(٣) اترك - أيها الرسول - الكفار يأكلوا، ويستمتعوا بدنياهم، ويشغلهم الطمع فيها عن طاعة الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم الخاسرة في الدنيا والآخرة.

(٤) وإذا طلبوا نزول العذاب بهم تكذيباً لك - أيها الرسول - فإننا لا نهلك قرية إلا ولا هلاكها أجل مقدر، لا نهلكهم حتى يبلغوه مثل من سبقهم.

(٥) لا تتجاوز أمة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم عليه، فنقص منه.

(٦، ٧) وقال المكذوبون لمحمد صلى الله عليه وسلم استهزاء: يا أيها الذي نزل عليه القرآن إنك للذاهب العقل، هلاً تأتينا بالملائكة - إن كنت صادقاً -؛ لشهد أن الله أرسلك.

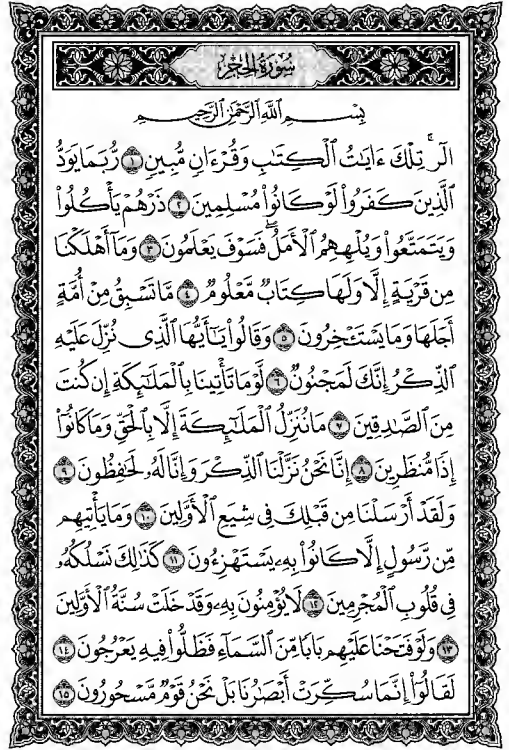
(٨) ورد الله عليهم: إننا لا ننزل الملائكة إلا بالعذاب الذي لا إمهال فيه لمن لم يؤمن، وما كانوا حين تنزل الملائكة بالعذاب بمؤمنين.

(٩) إننا نحن نزلنا القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإننا نتعهد بحفظه لمن أن يزد فيه أو ينقص منه، أو يضع منه شيء.

(١٠، ١١) ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً في فرق الأولين، فما من رسول جاءهم إلا كانوا منه يسخرون. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم. فكما فعل بك هؤلاء المشركون فكذلك فعل بمن قبلك من الرسل.

(١٢، ١٣) كما أدخلنا الكفر في قلوب الأمم السابقة بسبب الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أكرموا بالكفر بالله وتكذيب رسوله، لا يصدّقون بالذكر الذي أنزل إليك، وقد مضت سنة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مثلهم، سيهلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب.

(١٤، ١٥) ولو وفحننا على كفار «مكة» باباً من السماء فاستمروا صاعدين فيه حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب ملكوت الله، لما صدّقوا، ولقالوا: سحرت أبصارنا، حتى رأينا ما لم نر، وما نحن إلا مسحورون في عقولنا من محمد.



وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَاسِيًا لِلشَّطْرِيرِ ﴿١٦﴾
 وَحِفْظًا لِّمَن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّجْمُوعٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَن أَسْرَقَ لَّسَمَّعَ
 فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
 رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمُ
 فِيهَا مَعِيشًا وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِزَاقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
 عِنْدَنَا خَازِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
 الرِّيحَ لَوَاحِشٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُوفًى وَمَا أَشْرَبَهُ
 لَهُ بَحْرَيْنِ ﴿٢٢﴾ وَلَئِن لَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُحْيِي وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْوُرُودِ ﴿٢٣﴾
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِن مَّكَرٍ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ ﴿٢٤﴾
 وَإِن رَّبَّكَ هُوَ يُخَشِّرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
 الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالنَّجَّاتِ خَلَقْنَاهُ مِن
 قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا
 مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُكَ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

(١٦) ومن أدلة قدرتنا: أننا جعلنا في السماء الدنيا منازل للكواكب تنزل فيها، ويستدل بذلك على الطرافات والأوقات والجُذب، وزَيَّنَّا هذه السماء بالنجوم لمن ينظرون إليها، ويتأملون فيعتبرون.

(١٧) وحفظنا السماء من كل شيطان مارجوم مطرود من رحمة الله؛ كي لا يصل إليها.

(١٨) إلا من اختلس السمع من كلام أهل الملأ الأعلى في بعض الأوقات، فأدركه ولحقه كوكب مضيء بحرقه. وقد يلقي الشيطان إلى وليه بعض ما استرقه قبل أن يحرقه الشهاب.

(١٩) والأرض مددناها متسعة، وألقينا فيها جبالاتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدر معلوم مما يحتاج إليه العباد.

(٢٠) وجعلنا لكم فيها ما به تعيشون من الحرث، ومن الماشية، ومن أنواع المكاسب وغيرها، وخلقنا لكم من الذرية والخدم والدواب ما تنتفعون به، وليس رزقهم عليكم، وإنما هو على الله رب العالمين تفضلاً منه وتكرماً.

(٢١) وما من شيء من منافع العباد إلا عندنا خزائنه من جميع الصنوف، وما ننزله إلا بمقدار محدد كما نشاء وكما نريد، فالخزائن بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بحسب رحمته الواسعة، وحكمته البالغة.

(٢٢) وأرسلنا الرياح وسخرناها تُلقح السحاب، فيدبر بالماء ويمطر، وتُلقح الشجر فيفتتح عن أوراقه وأكمامه، وتعمل المطر والخير والنفع، فأَنْزَلْنَا مِنَ السَّحَابِ مَاءً أَعْدَدْنَاهُ لَشَرَابِكُمْ وَأَرْضَكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ، وما أنتم بقادرين على خزنه وأذخاره، ولكن نحفظه لكم رحمة بكم، وإحساناً إليكم.

(٢٣) وإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي مَنْ كَانَ مَيِّتًا بِخَلْقِهِ مِنَ الْعَدَمِ، ونميت من كان حياً بعد انقضاء أجله، ونحن الوارثون الأرض ومن عليها.

(٢٤) ولقد علمنا من هلك منكم من لدن آدم، ومن هو حي، ومن سيأتي إلى يوم القيامة.

(٢٥) وإن ربك هو يمضئهم للحساب والجزاء، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

(٢٦) ولقد خلقنا آدم من طين يابس إذا نُفِثَ عليه سُمِعَ له صوت، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغير لونه وريحه؛ من طول مكثه.

(٢٧) وخلقنا أبا الجن، وهو إبليس من قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ من نار شديدة الحرارة لا دخان لها.

(٢٨) وإِذْ ذَكَرَ -أيها الرسول- حين قال ربك للملائكة: إِنِّي خَالِقٌ إِنْسَانًا من طين يابس، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغير اللون.

(٢٩) فإذا سَوَّيْتُهُ وأكملت صورته ونفخت فيه الروح، فخرُّوا له ساجدين سجود تحية وتكريم، لا يسجد عبادة.

(٣٠، ٣١) فسجد الملائكة كلهم أجمعون كما أمرهم ربهم لم يتمتع منهم أحد، لكن إبليس امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة الساجدين.

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لَا سَاجِدًا لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مُنْتَوِبٍ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
أَعُوذُ بِكَ لَا أُزَيِّتُ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا عِوَضُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَذْخَلُوها إِسْلَامِيَّةً آمِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾
لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
* نَبِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَيَذَرُهُمْ عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

(٣٢) قال الله لإبليس: ما لك ألا تسجد مع الملائكة؟

(٣٣) قال إبليس مظهرًا كبره وحسده: لا يليق بي أن أسجد لإنسان أوجدتته من طين يابس كان طينًا أسود متغيرًا.

(٣٤، ٣٥) قال الله تعالى له: فأخرج من الجنة، فإنك مطرود من كل خير، وإن عليك اللعنة والبعد من رحمتي إلى يوم يُبْعَثُ الناس للحساب والجزاء.

(٣٦) قال إبليس: رب أخرني في الدنيا إلى اليوم الذي يُبْعَثُ فيه عبادك، وهو يوم القيامة.

(٣٧، ٣٨) قال الله له: فإنك من أخرت هلاكهم إلى اليوم الذي يموت فيه كل الخلق بعد النفخة الأولى، لا إلى يوم البعث، وإنما أُجِيبَ إلى ذلك؛ استدراجًا له وإمهالًا، وقتنة للثقلين.

(٣٩، ٤٠) قال إبليس: رب بسبب ما أغويتني وأضللتني لأحسّن لذرية آدم معاصيك في الأرض، ولأضلنهم أجمعين عن طريق الهدى، إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحذك دون سائر خلقك.

(٤١، ٤٢) قال الله: هذا طريق مستقيم معتدل موصل إليّ وإلى دار كرامتي. إن عبادي الذين أخلصوا لي لا أجعل لك سلطانًا على قلوبهم تضلّهم به عن الصراط المستقيم، لكن سلطانك

على من اتبعك من الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلًا من طاعتي. (٤٣، ٤٤) وإن النار الشديدة لموعِد إبليس واتباعه أجمعين، لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر، لكل باب من أتباع إبليس قسم ونصيب بحسب أعمالهم.

(٤٥-٤٨) إن الذين اتقوا الله بامثال ما أمر واجتناب ما نهى في بساتين وأنهار جارية يقال لهم: ادخلوا هذه الجنات سالين من كل سوء آمين من كل عذاب. ونزعنا ما في قلوبهم من حقد وعداوة، يعيشون في الجنة إخوانًا متحابين، يجلسون على أسرة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلًا وتحابيًا، لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء، وهم باقون فيها أبدًا.

(٤٩، ٥٠) أخبر -أيها الرسول- عبادي أني أنا الغفور اللطيف، الرحيم بهم، وأن عذابي هو العذاب المؤلم الموجه لغير الناثين.

(٥١) وأخبرهم -أيها الرسول- عن ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين بشرّوه بالولد، وبهلاك قوم لوط.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا لَا تَحُولْ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٣٩﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَىٰ أَن تَسْمِيَنَّ الْكَافِرَ فَمِنْ نَبَشِّرُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاطِنِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ إِلَآءَ آلِ لُوطٍ إِنَّا لَآلِجُجُهُمْ أَحْجَمِينَ ﴿٤٥﴾ إِلَآ أَمْرًا تَقْدَرْنَا إِنَّا هَالِكِينَ الْعَاقِبِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلُ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِّنْكُمْ رُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَخَذْنَاكَ بِالْحَقِّ وَآنَا صَادِقُونَ ﴿٥٠﴾ فَاسْرَ يَا هَٰلِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْبَيْتِ وَاتَّبِعْ أَذُنَهُمْ وَلَا تَلْمِزْ مِنْهُمْ لَحَدًا وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٥١﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٥٢﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحْنَنَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَالْخَزْرُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾

(٥٢) حين دخلوا عليه فقالوا: سلاماً؛ فردّ عليهم السلام، ثم قدّم لهم الطعام فلم يأكلوا، قال: إنا منكم فزعون.

(۵۳) قالت الملائكة له: لا تفزع إنا جئنا نبشرك بولد كثير العلم بالدين، هو إسحاق.

(٥٤) قال إبراهيم متعجباً: أبشّرتموني بالولد، وأنا كبير وزوجتي كذلك، فبأي أعجوبة تبشّرونني؟

(٥٥) قالوا: بشرناك بالحق الذي أعلمنا به الله، فلا تكن من اليائسين أن يولد لك.

(٥٦، ٥٧) قال: لا يئس من رحمة ربه إلا الخاطئون المنصرفون عن طريق الحق. قال: فما الأمر الخطير الذي جئتم من أجله -أيها المرسلون- من عند الله؟

(٥٨-٦٠) قالوا: إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط المشركين الضالين إلا لوطاً وأهله المؤمنين به، فلنهلكهم وسننجيهم أجمعين، لكن زوجته الكافرة قضينا بأمر الله بإهلاكها مع الباقين في العذاب.

(٦١، ٦٢) فلما وصل الملائكة المرسلون إلى لوط، قال لهم: إنكم قوم غير معروفين لي.

(٦٣-٦٥) قالوا: لا تَحْفَ، فَإِنَّا جُنَّا بِالْعَذَابِ
الَّذِي كَانَ يَشْكُ فِيهِ قَوْمُكَ وَلَا يُصَدِّقُونَ،

وَجِئْنَاكَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، فَاخْرُجْ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَعَكَ أَهْلُكَ الْمُؤْمِنُونَ، بَعْدَ مَرُورِ حِزِّهِ مِنَ اللَّيْلِ، وَسِرَّ أَنْتَ وَرِوَاءَهُمْ؛ لِئَلَّا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِيئَالَهُ الْعَذَابُ، وَاحْذَرُوا أَنْ يَلْتَفِتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَرِوَاءَهُ؛ لِئَلَّا يَرَى الْعَذَابَ فَيُصِيبَهُ كَذَلِكَ، وَأَسْرِعُوا إِلَى حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ؛ لَتَكُونُوا فِي مَكَانٍ أَمِينٍ.

(٦٦) وأوحينا إلى لوط أن قومك مستأصلون بالهلاك عن آخرهم عند طلوع الصبح. (٦٧) وجاء أهل مدينة لوط إلى لوط حين علما بمن عنده من الضيوف، وهم فرحون يستبشرون بضيوفه؛ ليأخذوهم ويفعلوا بهم الفاحشة.

(٦٨، ٦٩) قال لهم لوط: إن هؤلاء ضيفي وهم في حمايتي فلا تفضحوني، وخافوا عقاب الله، ولا تتعرضوا لهم، فتوقعوني في الذل والهوان يا أيهاكم لضيوفي.

(٧٠) قال قومه: أولم ننْهَك أن تضيّف أحدًا من العالمين (وكانوا يقطعون السبيل على المسافرين)؛ لأنّا نريد فِعْلَ الفاحشة بهم؟

(٧١) قال لوط لهم: هؤلاء نسأوكم بناتي فتزوجوهن إن كنتم تريدون قضاء وطركم، وسأهن بناته، لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، ولا تفعلوا ما حرم الله عليكم من إتيان الرجال.

(٧٢، ٧٣) يقسم الخالق بمن يشاء وبما يشاء، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، وقد أقسم الله تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشریفاً له. إن قوم لوط لفي غفلة شديدة يترددون ويتأذون، حتى حلت بهم صاعقة العذاب وقت شروق الشمس.

(٧٤) فقلنا قراهم فجعلنا عاليها سافلها، وأطردنا عليهم حجارة من طين متصلب متين. (٧٥ - ٧٧) إن فيها أصابهم لعظات للناظرين المعتبرين، وإن قراهم لفي طريق ثابت يراها المسافرون المأروون بها. إن في إهلاكنا لهم لدلالة بيّنة للمصدقين العاملين بشرع الله.

(٧٨، ٧٩) وقد كان أصحاب المدينة الملتفة الشجر - وهم قوم شعيب - ظالمين لأنفسهم لكفرهم بالله ورسولهم الكريم، فانتقمنا منهم بالرفعة وعذاب يوم الظلة، وإن مساكن قوم لوط وشعيب لفي طريق واضح يمرُّ بهما الناس في سفرهم فيعتبرون.

(٨٠) ولقد كذب سكان «وادي الحجر» صالحاً عليه السلام، وهم ثمود فكانوا بذلك مكذبين لكل المرسلين؛ لأن من كذب نبياً فقد كذب الأنبياء كلهم؛ لأنهم على دين واحد.

(٨١) وأتيناه قوم صالح آياتنا الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، ومن جملتها الناقة، فلم يعتبروا بها، وكانوا عنها مبتعدين معرضين.

(٨٢) وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتاً، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب. (٨٣، ٨٤) فأخذتهم صاعقة العذاب وقت الصباح مبكرين، فما دفع عنهم عذاب الله الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من قوة وجاه.

(٨٥) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والدين على كمال خالقهما واقتداره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لأتية لا محالة؛ لتوفّي كل نفس بما عملت، غافق - أيها الرسول - عن المشركين، واصفح عنهم وتجاوز عما يفعلونه.

(٨٦) إن ربك هو الخلاق لكل شيء، العليم به، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه.

(٨٧) ولقد آتيناك - أيها النبي - فاتحة القرآن، وهي سبع آيات تكرر في كل صلاة، وآتيناك القرآن العظيم.

(٨٨ - ٩٠) لا تنظر بعينيك وتتمنّ ما تمنّاه من أصنافاً من الكفار من متّع الدنيا، ولا تحزن على كفرهم، وتواضع للمؤمنين بالله ورسوله. قل: إني أنا المنذر الموضح لما يهتدي به الناس إلى الإيمان بالله رب العالمين، ومنذرهم أن يصيبكم العذاب، كما أنزل الله على الذين قسّموا القرآن، فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه الآخر من اليهود والنصارى وكفار قريش.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۖ قَوْمَكَ لَنْتَسْأَلَنَّهُمْ
 أَجْمَعِينَ ۚ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ فَاصْبِرْ لِمَا أُمِرُوا وَعَاصِرْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۚ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
 أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرَكَ يَمَاقِيلُونَ ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ۚ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَمَرْنَا اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوا ۝ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَالْأَنْعَامُ
 خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝

(٩١) وهم الذين جعلوا القرآن أقساماً وأجزاء، فمنهم من يقول: سحر، ومنهم من يقول كهانة، ومنهم من يقول غير ذلك، يصرفونه بحسب أهوائهم؛ لصدوا الناس عن الهدى.

(٩٢، ٩٣) فوريك لنحاسيتهم يوم القيامة ولنجزينهم أجمعين، عن تقسيمهم للقرآن بافتراءاتهم، وتحريفه وتبديله، وغير ذلك مما كانوا يعملونه من عبادة الأوثان، ومن المعاصي والآثام. وفي هذا ترهيب وزجر لهم من الإقامة على هذه الأفعال القبيحة.

(٩٤) فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها، ولا تبال بالمشركين، فقد برأك الله ممّا يقولون.

(٩٥، ٩٦) إِنَّا كَفَيْنَاكَ المستهزين الساخرين من زعماء قريش، الذين اتخذوا شريكاً مع الله من الأوثان وغيرها، فسوف يعلمون عاقبة عملهم في الدنيا والآخرة.

(٩٧) ولقد نعلم بانقباض صدرك -أيها الرسول-؛ بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك.

(٩٨) فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسبِّح بحمده شاكراً له مثنيّاً عليه، وكن من المصلين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهَمُّكَ.

(٩٩) واستمر في عبادة ربك مدة حياتك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت.

وامثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر به، فلم يزل دائباً في عبادة الله، حتى أتاه اليقين من ربه.

سورة النحل

(١) قَرَّبَ قِيَامَ السَّاعَةِ وَقَضَاءَ اللَّهِ بِعَذَابِكُمْ -أيها الكفار- فلا تستعجلوا العذاب استهزاء بوعيد الرسول لكم. تنزّه الله سبحانه وتعالى عن الشرك والشركاء.

(٢) يُنَزِّلُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ المرسلين: بأن خوفوا الناس من الشرك، وأنه لا معبود بحق إلا أنا، فأتقون بأداء فرائض وإفرادي بالعبادة والإخلاص.

(٣) خلق الله السموات والأرض بالحق؛ ليستبدل بها العباد على عظمة خالقها، وأنه وحده المستحق للعبادة، تنزّه -سبحانه- وتعظم عن شركهم.

(٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فإذا به يقوى ويغتر، فيصبح شديد الخصومة والجدال لربه في إنكار البعث، وغير ذلك، كقوله: ﴿مَنْ يُحْيِ الْأَمْواتَ وَهُوَ زَيْمٌ﴾، ونسي الله الذي خلقه من العدم.

(٥) والأنعام من الإبل والبقر والغنم خلقها الله لكم -أيها الناس- وجعل في أوصافها وأوبارها الدفء، ومنافع أخر في ألبانها وجلودها وركوبها، ومنها ما تأكلون.

(٦) ولكم فيها زينة تدخل السرور عليكم عندما تَرُدُّونها إلى منازلها في المساء، وعندما تُخْرِجونها للمرعى في الصباح.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّيْسَ بِكَوْنِ الْإِنشِقَاقِ
 أَنْ تَنْسِفَ إِنْ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ ٥ وَلِفَيْلٍ وَالْبِقَالِ
 وَالْحَمِيرِ لَتَكْبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦
 وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَكُمْ
 أَجْمَعِينَ ٧ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ
 مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ٨ يُبْدِئُ لَكُمْ
 فِي الزَّرْعِ وَالزَّيْتُونِ وَالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ
 الشَّيْءِ لَنُزِّلَ مِنْ ذَلِكَ آيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٩
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ١٠
 وَالتَّجُومَ مَسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ١١ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
 أَلْوَنُهُ ١٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ١٤
 وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ أَكْوَامًا لِحِمَا طَرِيقَا
 وَلَسْتَ تَخْرِجُ مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلَ الْكَبِيرَ
 فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ قُضْيَاهُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٥

(٧) وتحمل هذه الأنعام ما ثقل من أمتعتكم إلى بلد بعيد، لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه إلا بجهد شديد من أنفسكم ومشقة عظيمة، إن ربكم ليرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وأجلكم؛ حيث سخر لكم ما تحتاجون إليه، فله الحمد وله الشكر.

(٨) وخلق لكم الخيل والبغال والحمير؛ لكي تركبوها، وتكون جمالاً لكم ومنظراً حسناً، ويخلق لكم من وسائل الركوب وغيرها ما لا علم لكم به؛ لتزدادوا إيماناً به وشكراً له.

(٩) وعلى الله بيان الطريق المستقيم لهدايكم، وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو مائل لا يوصل إلى الهداية، وهو كل ما خالف الإسلام من الملل والنحل. ولو شاء الله هدايتكم هُداً جماً للجميعاً للإيمان.

(١٠) هو الذي أنزل لكم من السحاب مطراً، فجعل لكم منه ماءً تشربون، وأخرج لكم به شجراً ترعون فيه دوابكم، ويعود عليكم دُرّها ونفعها.

(١١) يخرج لكم من الأرض هذا الماء الواحد الزروع المختلفة، ويخرج به الزيتون والنخيل والأعنان، ويخرج به كل أنواع الثمار والفواكه. إن في ذلك الإخراج لدلالة واضحة لقوم

بأتملون، فيعتبرون.

(١٢) وسخر لكم الليل لراحتكم، والنهار لمعاشكم، وسخر لكم الشمس ضياء، والقمر نوراً لمعرفة السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع، والنجوم في السماء مذكّلات لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، ولمعرفة وقت نضح الشار والزروع، والاهتداء بها في الظلمات. إن في ذلك التسخير لدلائل واضحة لقوم يعقلون عن الله حججه وبراهينه.

(١٣) وسخر ما خلقه لكم في الأرض من الدواب والشار والمعادن، وغير ذلك مما تختلف ألوانه ومنافعه. إن في ذلك الخلق واختلاف الألوان والمنافع لعمرة لقوم يتعظون، ويعلمون أن في تسخير هذه الأشياء علامات على وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة.

(١٤) وهو الذي سخر لكم البحر؛ لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحاً طرياً، وتستخرجوا منه زينة تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان، وترى السفن العظيمة تشق وجه الماء تذهب وتجيء، وتركبونها؛ لتطلبوا رزق الله بالتجارة والريح فيها، ولعلكم تشكرون الله تعالى على عظيم إنعامه عليكم، فلا تعبدوا غيره.

وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَكُم مَّا تَحْتَونَ ﴿١٦﴾ وَأَلَّامَكُم بَيْنَ يَدَيْكُمْ
﴿١٧﴾ وَأَفْهَمَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ لَآ يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ
تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَنْصَحُوا لَهَا إِيَّاكُمْ لَقَدْ تُنْكِرُهَا ﴿١٩﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ أُولَئِكَ
غَيْرَ آخِذِينَ بِمَا يُشْعُرُونَ إِيَّاكُمْ يُبْعَثُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ هُمْ إِلَّا
وَجَدُ قَائِلِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾ لَآ جَزَاءُ لَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا يُسْرُونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
مَآذَ أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطُورٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ لِيَحْمِلُوا
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْرَارِ الَّذِينَ يُبْذَلُونَ
يَقْبِرُهُمْ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَةٌ يُسْرُونَ ﴿٢٦﴾ فَمَكْرُ السَّيِّئِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَإِنِّي اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ فَعَرَّاهُمْ السَّقْفَ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنْتَهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾

(١٥) وأرسي في الأرض جبلاً لئلا تنبها حتى لا تميل بكم، وجعل فيها أنهاراً لتشربوا منها، وجعل فيها طرقاً لتتهدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها.

(١٦) وجعل في الأرض معالم تستدلون بها على الطرق نهاراً، كما جعل النجوم للاعتناء بها ليلاً.

(١٧) أتجعلون الله الذي يخلق كل هذه الأشياء وغيرها في استحقاق العبادة كالآلهة المزعومة التي لا تخلق شيئاً؟ أفلا تتذكرون عظمة الله، فتفردوه بالعبادة؟

(١٨) وإن نحاولوا حصر نعم الله عليكم لا نقوا بحصرها؛ لكثرتها وتنوعها. إن الله لغفور لكم رحيم بكم؛ إذ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة.

(١٩) والله سبحانه يعلم كل أعمالكم، سواء ما تخفون منها في نفوسكم وما يظهره لغيركم، وسيجازيكم عليها.

(٢٠) والآلهة التي يعبدونها لا تخلق

شيئاً وإن صغر، فهي مخلوقات صنعها الكفار بأيديهم، فكيف يعبدونها؟

(٢١) هم جميعاً مجاهدات لا حياة فيها ولا تشعر بالوقت الذي يبعث الله فيه عابديها، وهي معهم ليلقى بهم جميعاً في النار يوم القيامة.

(٢٢) إنهم المستحق وحده للعبادة هو الله الإله الواحد، فالذين لا يؤمنون بالبعث فلوبهم جاحدة وحادنيته سبحانه؛ لعدم خوفهم من عقابه، فهم متكبرون عن قبول الحق، وعبادة الله وحده.

(٢٣) حقاً أن الله يعلم ما يخفونه من عقائد وأقوال وأفعال، وما يظهره منها، وسيجازيهم على ذلك، إنه عز وجل لا يحب المستكبرين عن عبادته والانقياد له، وسيجازيهم على ذلك.

(٢٤) وإذا سُئِلَ هؤلاء المشركون عما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا كذباً وزوراً؛ ما أتى إلا بقصص السابقين وأباطيلهم.

(٢٥) ستكون عقابتهم أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة - لا يُغفر لهم منها شيء - ويحملوا من آثام الذين كذبوا عليهم؛ ليلعدهم عن الإسلام من غير نقص من آثامهم. ألا قبح ما يحملونه من آثام.

(٢٦) قد دبر الكفار من قبل هؤلاء المشركين المكاييد لرسولهم، وما جاؤوا به من دعوة الحق، فأمر الله بنيانهم من أساسه وقاعدته، فسقط عليهم السقف من فوقهم، وآثامهم الهلاك من مأمهم، من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون أنه يأتيهم منه.



(٢٧، ٢٨) ثم يوم القيامة يفضحهم الله بالعذاب ويذلهم به، ويقول: أين شركائي من الآلهة التي عبدتموها من دوني، ليدفعوا عنكم العذاب، وقد كنتم تحاربون الأنبياء والمؤمنين وتعادونهم لأجلهم؟

قال العلماء الربانيون: إن الذل في هذا اليوم والعذاب على الكافرين بالله ورسله، الذين تقبض الملائكة أرواحهم في حال ظلمهم لأنفسهم بالكفر، فاستسلموا لأمر الله حين رأوا الموت، وأنكروا ما كانوا يعبدون من دون الله، وقالوا: ما كنا نعمل شيئاً من المعاصي، فيقال لهم: كذبتُم، قد كنتم تعملونها، إن الله عليم بأعمالكم كلها، وسيجازيكم عليها.

(٢٩) فادخلوا أبواب جهنم، لا تخرجون منها أبداً، فلبست مقراً للذين تكبروا عن الإيمان بالله وعن عبادته وحده وطاعته.

(٣٠) وإذا قيل للمؤمنين الخائفين من الله: ما الذي أنزل الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: أنزل الله عليه الخير والهدى. للذين آمنوا بالله ورسوله في هذه الدنيا، ودَعَوْا

عباد الله إلى الإيمان والعمل الصالح، مكرمة كبيرة من النصر لهم في الدنيا، وسعة الرزق، ولدار الآخرة لهم خير وأعظم مما أوتوه في الدنيا، وليَعْمُوا دَارَ الَّذِينَ خَافُوا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَاتَّقُوا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ واجتنب نواهيهِ دَارَ الْآخِرَةِ.

(٣١، ٣٢) جنات إقامة لهم، يستقرون فيها، لا يخرجون منها أبداً، تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لهم فيها كل ما تشتهيه أنفسهم، بمثل هذا الجزاء الطيب يجزي الله أهل خشيته وتقواه الذين تقبض الملائكة أرواحهم، وقلوبهم طاهرة من الكفر، تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، وسليمتهم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد لأمره.

(٣٣) ما ينتظر المشركون إلا أن تأتئهم الملائكة؛ لتقبض أرواحهم وهم على الكفر، أو يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم، كما كذب هؤلاء كذب الكفار من قبلهم، فأهلكهم الله، وما ظلمهم الله بإهلاكهم، وإنزال العذاب بهم، ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بما جعلهم أهلاً للعذاب.

(٣٤) فنزلت بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا اخْرَمْنَا مِنْ دُونِهِمْ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحْزَنْ عَلَى هَدْيِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ يُبَيِّنُ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنََّّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْصُرَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجَرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

(٣٥) وقال المشركون: لو شاء الله أن نعبده وحده ما عبدنا أحدا غيره، لا نحن ولا آبائنا ومن قبلنا، ولا خرمنا شيئا لم يحرمه، يمثل هذا الاحتجاج الباطل احتج الكفار السابقون، وهم كاذبون؛ فإن الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلّفهم به، وجعل لهم قوة ومشية تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من بطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم، فليس على الرسل المنذرين لهم إلا التبليغ الواضح لما كلّفوا به.

(٣٦) ولقد بعثنا في كل أمة سبقت رسولا أمرا لهم بعبادة الله وطاعته وحده وترك عبادة غيره من الشياطين والأوثان والأموات وغير ذلك مما يتخذ من دون الله وليا، فكان منهم من هدى الله، فاتبع المرسلين، ومنهم العاند الذي اتبع سبيل الغي، فوجبت عليه الضلالة، فلم يوفقه الله. فامشوا في الأرض، وأبصروا بأعينكم كيف كان مآل هؤلاء المكذبين، وماذا حلّ بهم من دمار؛ لتعتبروا؟

(٣٧) إن تبذل -أيها الرسول- أقصى جهدك هداية هؤلاء المشركين فاعلم أن الله لا يهدي من يُضِلُّ، وليس لهم من دون الله أحد ينصرهم، ويمنع عنهم عذابه. (٣٨) وحلف هؤلاء المشركون بالله أيمانا مغلفة أن الله لا يبعث من يموت بعدما بلي وتفرق، بلى سيعينهم الله حتما، وعدا عليه حقا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه. (٣٩) يبعث الله جميع العباد؛ ليبين لهم حقيقة البعث الذي اختلفوا فيه، وليعلم الكفار المتكبرون له أنهم على باطل، وأنهم كاذبون حين حلفوا أن لا يبعث.

(٤٠) إن أمر البعث يسير علينا، فإننا إذا أردنا شيئا فإننا نقول له: «كن»، فإذا هو كائن موجود.

(٤١) والذين تركوا ديارهم من أجل الله، فهاجروا بعدما وقع عليهم الظلم، لنسكنهم في الدنيا دارا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر؛ لأن ثوابهم فيها الجنة. لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من الأجر والثواب للمهاجرين في سبيله، ما تخلف منهم أحد عن ذلك.

(٤٢) هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره المؤلمة، وعلى ربهم وحده يعتمدون، فاستحقوا هذه المنزلة العظيمة.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَلْهَلْ
 أَلَذُّهُمْ أَنْ تُلَاقَوْهُمْ ۚ بِالنَّارِ وَالزَّيْرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝
 أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
 فِي تَبَاتُلِهِمْ فَأَهْلُهُمْ فَيُتْعَجَرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
 رَبَّهُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَتَفَقَّهُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْأَیْمَنِ وَالسَّمَاءِ لِيُسْجَدَ لِلَّهِ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ۝
 ۝ وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ
 اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَ قَائِلِي فَلْهَبُونَ ۝ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَأَصْبَا أَفْعَزَ اللَّهُ يَتَفَقَّهُونَ ۝ وَمَا يَكُمُ مِنْ
 نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا
 كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْكُمْ يَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ ۝

(٤٣) وما أرسلنا في السابقين قبلك - أيها الرسول - إلا رسلاً من الرجال لا من الملائكة، نوحى إليهم، وإن كنتم - يا مشركي قريش - لا تصدقون بذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة، يخبروكم أن الأنبياء كانوا بشرًا، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر. والآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين، إذ لا يمكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين في العلم.

(٤٤) وأرسلنا الرسل السابقين بالدلائل الواضحة وبالكتب السماوية، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن؛ لتوضح للناس ما خفي من معانيه وأحكامه، ولكي يتدبروه ويبتدوا به.

(٤٥ - ٤٧) أفأمن الكفار المذبذبون للمكائد أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون، أو يأتيهم العذاب من مكان لا يُحْسِنُون ولا يتوقعونه، أو يأخذهم العذاب، وهم يتقبلون في أسفارهم وتصرفهم؟ فما هم بسابقين ولا فاتتبه ولا ناجين من عذابه؛ لأنه القوي الذي لا يعجزه شيء، أو يأخذهم الله بنقص من الأموال

والأنفس والثمرات، أو في حال خوفهم من أخذه لهم، فإن ربكم ليرحم خلقه رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم.

(٤٨) أعيمى هؤلاء الكفار، فلم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء له ظل، كالجبال والأشجار، تمل ظلها تارة يميناً وتارة شمالاً؛ تبعاً لحركة الشمس نهاراً والقمر ليلاً، كلها خاضعة لعظمة ربها وجلاله، وهي تحت تسخيرها وتدبيره وقهره؟

(٤٩) والله وحده يسجد كل ما في السموات وما في الأرض من دابة، والملائكة يسجدون لله، وهم لا يستكبرون عن عبادته. وخصهم بالذكر بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم.

(٥٠) يخاف الملائكة ربهم الذي هو فوقهم بالذات والقهر وكال الصفات، ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ به من طاعة الله. وفي الآية: إثبات صفة العلو والوقفية على جميع خلقه، كما يليق بجلاله وكِماله.

(٥١) وقال الله لعباده: لا تعبدوا إلهين اثنين، إنما معبودكم إله واحد، فخافوني دون سواي.

(٥٢) والله كل ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وعبيداً، وله وحده العبادة والطاعة والإخلاص دائماً، أليق بكم أن تخافوا غير الله وتعبدوه؟

(٥٣) وما بكم من نعمة هداية، أو صحة جسم، وسعة رزقي وولدي، وغير ذلك، فمن الله وحده، فهو المُنْعِمُ بها عليكم، ثم إذا نزل بكم السَّيِّئُ والبلاء والقحط فإلى الله وحده تَصْجِحُونَ بالدعاء.

(٥٤) ثم إذا كشف عنكم البلاء والسَّيِّئُ، إذا جماعة منكم برهم المُنْعِمُ عليهم بالنجاة يتخذون معه الشركاء والأولياء.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا أَفْسُوفَ تَعْمَلُونَ ٥٥ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْصُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ عَمَّا كُنْتُمْ
تَقَرُّونَ ٥٦ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّسُوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
٦٠ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ
وَلَكِن يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْجِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفَ
أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَآ حِزْمًا لَهُمُ النَّارُ
وَأَنَّهُمْ مُّقْرَطُونَ ٦٢ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَزَيْنَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ بَأْسَ مَا هُمْ بِهِ يَوْمَهُمُ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلَّذِينَ لَهُمُ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٦٤

(٥٥) ليجحدوا نعمنا عليهم، ومنها كشفُ
البلاء عنهم، فاستمتعوا بديناكم، ومصبرها
إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم
وعصيانكم.

(٥٦) ومن قبيح أعمالهم أنهم يجعلون للأنصام
التي اتخذوها آلهة - وهي لا تعلم شيئاً ولا تنفع
ولا تضر - جزءاً من أموالهم التي رزقهم الله بها
تقرباً إليها. تالله لتسألنَّ يوم القيامة عما كنتم
تختلفونه من الكذب على الله.

(٥٧) ويجعل الكفار لله البنات، فيقولون:
الملائكة بنات الله، تنزه الله عن قولهم، ويجعلون
لأنفسهم ما يحبون من البنين.

(٥٨) وإذا جاء من يخبر أحدهم بولادة أنثى
أسودَّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلأ غمّاً
وحزاناً.

(٥٩) يستخفي من قومه كراهية أن يلقاهم
متلبساً بما ساءه من الحزن والعار؛ بسبب البنت
التي ولدت له، ومتحيراً في أمر هذه المولودة:
أيقبها حية على ذلٍّ وهوان، أم يدفنها حية في

التراب؟ ألا بشس الحكم الذي حكموه من جعل البنات لله والذكور لهم.

(٦٠) للذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يعملون لها، الصفة القبيحة من العجز والحاجة والجهل والكفر، والله الصفات العليا
من الكمال والاستغناء عن خلقه، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره.

(٦١) ولو يوازئ الله الناس بكفرهم وافتراهم ما ترك على الأرض من يتحرك، ولكن يبقيه إلى وقت محدد هو نهاية
آجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون عنه وقتاً يسيراً، ولا يتقدمون.

(٦٢) ومن قبائحهم: أنهم يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وتقول ألسنتهم كذباً: إن لهم حسن العاقبة، حقاً
أن لهم النار، وأنهم فيها متروكون متسبون.

(٦٣) تالله لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسّن لهم الشيطان ما عملوه من الكفر والتكذيب وعبادة
غير الله، فهو متولٍّ إغواءهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجه.

(٦٤) وما أنزلنا عليك القرآن - أيها الرسول - إلا لتوضح للناس ما اختلفوا فيه من الدين والأحكام؛ لتقوم الحجة عليهم
ببيناتك الذي لا يترك للبلاط مسلكاً إلى النفوس، ولكون القرآن هدىً لا يترك مجالاً للحيرة، ورحمة للمؤمنين في اتباعهم
الهدى ومجانبتهم الضلال.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَمِمَّا فِي ظُلُونِهِمْ بَيْنٌ قَرْتٌ وَدَرِبٌ لَنَا خَالِصًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ ظُلُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لِأَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَقَّدَهُ وَرَزَقَكُمْ مِنْهُ الطَّيِّبَاتِ أَيْهَا الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتُ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾

(٦٥) والله أنزل من السماء مطراً، فأخرج به النبات من الأرض بعد أن كانت قاحلة يابسة، إن في إنزال المطر وإنبات النبات لدليلاً على قدرة الله على البعث وعلى الوحدةانية، لقوم يسمعون، ويتدبرون، ويطيعون الله، ويتقونه.

(٦٦) وإن لكم -أيها الناس- في الأنعام- وهي الإبل والبقرة والغنم- لعظة، فقد شاهدتم أننا نسقيكم من ضرعها لبناً خارجاً من بين قُرْت -وهو ما في الكَرَش- وبين دم خالصاً من كل الشواشب، لذئذا لا يَغْصُ به من شَرِبَته.

(٦٧) ومن نعمنا عليكم ما تأخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، فتجعلونه خمرًا مُسْكراً -وهذا قبل تحريرها- وطعاماً طيباً. إن فيها ذكر لدليلاً على قدرة الله لقوم يعقلون البراهين فيعتبرون بها.

(٦٨) وألهم ربك -أيها الرسول- النحل بأن اجعلي لك بيوتاً في الجبال، وفي الشجر، وفيها يبني الناس من البيوت والسُّقُف.

(٦٩) ثم كُلِي من كل ثمرة تشتهيها، فاسلكي طرق ربك مذلة لك؛ لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر، وقد جعلها سهلة عليك، لا تضلي في العود إليها وإن بَعُدَتْ. يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان من بياض وصفرة وحمرة وغير ذلك، فيه شفاء للناس من الأمراض. إن فيها يصنع النحل لدلالة قوية على قدرة خالقها لقوم يتفكرون، فيعتبرون.

(٧٠) والله سبحانه وتعالى خلقكم ثم يميكنكم في نهاية أعماركم، ومنكم من يصير إلى أَرْدَا العمر وهو الهرم، كما كان في طفولته لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، إن الله عليم قدير، أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فالله الذي ردَّ الإنسان إلى هذه الحالة قادر على أن يميت، ثم يعينه.

(٧١) والله فَضَّلَ بعضكم على بعض في أعطاكم في الدنيا من الرزق، فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا أن يجعلوا الله شركاء من عباده؟ إن هذا لمن أعظم الظلم والجحود لينعم الله عز وجل.

(٧٢) والله سبحانه جعل من جنسكم أزواجاً؛ لتستريح نفوسكم معهن، وجعل لكم منهن الأبناء ومن نسلهنَّ الأحفاد، ورزقكم من الأطعمة الطيبة من الثمار والحبوب واللحوم وغير ذلك. أقبالباطل من الوهية شركائهم يؤمنون، وبنعم الله التي لا تحصى يجحدون، ولا يشكرون له بإفراده جل وعلا بالعبادة؟

وَعِبَادُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آثَارِ رِزْقِ الْحَسَنَاءِ
فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَغْنِي ﴿٧٥﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ثَلَاثِينَ
أَحَدُهُمَا أَتَىكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
أَيْسَمَا يُوجِهُهُ لَا يَأْتِ الْبَخِيرَ هَلْ يَسْتَغْنِي ﴿٧٧﴾ وَهُوَ مِنْ بَأْسِ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٨﴾ وَلِلَّهِ عَذَابٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَجٍ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٩﴾
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨١﴾

(٧٣) ويعبد المشركون أصناماً لا تملك أن تعطيهم شيئاً من الرزق من السماء كالطير، ولا من الأرض كالزرع، فهم لا يملكون شيئاً، ولا يأتي منهم أن يملكوه؛ لأنهم لا يقدرُونَ.

(٧٤) وإذا علمتم أن الأصنام والأوثان لا تنفع، فلا تجعلوا - أيها الناس - لله أشباهاً مماثلين له من خلقه تشركونهم معه في العبادة. إن الله يعلم ما تفعلون، وأنتم غافلون لا تعلمون خطاكم وسوء عاقبتكم.

(٧٥) ضرب الله مثلاً بين فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلاً مملوكاً عاجزاً عن التصرف لا يملك شيئاً، ورجلاً آخر حراً، له مال حلال رزقه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده، فكيف تُسَوُّونَ بينهما؟ الحمد لله وحده، فهو المستحق للحمد والثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون أن الحمد والنعمة لله، وأنه وحده المستحق للعبادة.

(٧٦) وضرب الله مثلاً آخر لبطلان الشرك رجلين: أحدهما أحرس أصم لا يفهم ولا يفهم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على من يلي أمره ويعوله، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير، ورجل آخر سليم الحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالإنصاف، وهو على طريق واضح لا عوج فيه، فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ فكيف تُسَوُّونَ بين الصنم الأبكم الأصم وبين الله القادر المنعم بكل خير؟

(٧٧) والله سبحانه وتعالى علّم ما غاب في السموات والأرض، وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك. إن الله على كل شيء قدير.

(٧٨) والله سبحانه وتعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئاً مما حولكم، وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب؛ لعلكم تشكرون الله تعالى على تلك النعم، وتفردونه عز وجل بالعبادة.

(٧٩) ألم ينظر المشركون إلى الطير مذللات للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟ ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خلقه لها من الأجنحة والأذنان، وأقدرها عليه. إن في ذلك التذليل والإمساك لدلالات لقوم يؤمنون بما يروونه من الأدلة على قدرة الله.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَاوُ مِثْقَالٍ إِلَى حِينِ ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقًا ظَلَلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ سَرَبِيلِ نَقِيصِكُمْ الْخَرَّوَسَ رَبِيلَ نَقِيصِكُمْ بِأَسْكُمُ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُمِينُ ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۝ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ ذَلِكَ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ ۝

(٨٠) والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحة واستقراراً مع أهلکم، وأنتم مقيمون في الحضر، وجعل لكم في سفرکم خياماً وقباباً من جلود الأنعام، يخف عليكم حملها وقت ترحالکم، ويخف عليكم نضجها وقت إقامتکم بعد الترحال، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثناً لكم من أكسية والبسة وأغطية وفرش وزينة، تتمتعون بها إلى أجل مسئى ووقت معلوم.

(٨١) والله جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار وغيرها، وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة، وجعل لكم ثياباً من القطن والصوف وغيرها، تحفظكم من الحر والبرد، وجعل لكم من الحديد ما يرد عنكم الطعن والأذى في حروبكم، كما أنعم الله عليكم بهذه النعم يتم نعمته عليكم ببيان الدين الحق؛ لتستسلموا لأمر الله وحده، ولا تشرکوا به شيئاً في عبادته.

(٨٢) فإن أعرضوا عنك -أيها الرسول- بعدما رأوا من الآيات فلا تحزن، فما عليك إلا البلاغ

الواضح لما أُرسلت به، وأما الهداية فإليها.

(٨٣) يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم يحسدون نبوته، وأكثر قومه الجاحدون لنبوته، لا المقرون بها.

(٨٤) واذكر لهم -أيها الرسول- ما يكون يوم القيامة، حين نبعث من كل أمة رسولها شاهداً على إيمان من آمن منها، وكفر من كفر، ثم لا يؤذن للذين كفروا بالاعتذار عما وقع منهم، ولا يُطلب منهم إرضاء ربهم بالتوبة والعمل الصالح، فقد مضى أوان ذلك.

(٨٥) وإذا شاهد الذين كفروا عذاب الله في الآخرة فلا يخفف عنهم منه شيء، ولا يُسهلون. ولا يؤخر عذابهم.

(٨٦) وإذا أبصر المشركون يوم القيامة آهتهم التي عبدوها مع الله، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، فنطقت الآلهة بتكذيب من عبدوها، وقالت: إنكم -أيها المشركون- لكاذبون، حين جعلتمونا شركاء لله وعبدتمونا معه، فلم تأمركم بذلك، ولا زعمنا أننا مستحقون للألوهية، فاللوم عليكم.

(٨٧) وأظهر المشركون الاستسلام والخضوع لله يوم القيامة، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الأكاذيب، وأن آهتهم تشفع لهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زُتُّهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَزَلَّتْ عَنْكَ الْكِتَابُ تَبِيلًا ﴿٨٩﴾ كُلُّ
شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلْوِكُمُ اللَّهُ
بِهِمْ وَيُؤَيِّتُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنَا عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

(٨٨) الذين جحدوا وحدانية الله ونبوتك -أيها الرسول- وكذبوك، ومنعوا غيرهم عن الإيمان بالله ورسوله، زدهم عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدقهم الناس عن اتباع الحق؛ وهذا بسبب تعصدهم الإفساد وإضلال العباد بالكفر والمعصية.

(٨٩) واذكر -أيها الرسول- حين نبعث يوم القيامة في كل أمة من الأمم شهيداً عليهم، وهو الرسول الذي بعثه الله إليهم من أنفسهم وبلسانهم، وجئنا بك -أيها الرسول- شهيداً على أمتك، وقد نزلنا عليك القرآن توضيحاً لكل أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وليكون هداية من الضلال، ورحمة لمن صدق وعمل به، وبشارة طيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم.

(٩٠) إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشرار به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، ويأمر بالإحسان في حق عبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في

الأقوال والأفعال، ويأمر بإعطاء ذوي القربى ما به صلتهم وبرهم، وينهى عن كل ما فتح قولاً أو عملاً، وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم، والله -بهذا الأمر وهذا النهي- يعظكم ويذكركم العواقب؛ لكي تذكروا أو أمر الله وتنفقوا بها.

(٩١) والتزموا الوفاء بكل عهد أو جئتموه على أنفسكم بينكم وبين الله -تعالى-، أو بينكم وبين الناس فيها لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا ترجعوا في الأيمان بعد أن أكدتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامناً حين عاهدتموه. إن الله يعلم ما تفعلونه، وسيجزيكم عليه.

(٩٢) ولا ترجعوا في عهدكم، فيكون مثلكم مثل امرأة غزلت غزلاً وأحكمتها، ثم نقضته، فجعلون أيمانكم التي حلفتوها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه، وتنفقون عهدكم إذا جئتم جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدتموه، إنما يجتبركم الله بيا أمركم به من الوفاء بالعهد وما نهاكم عنه من نقضها، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا من الإيمان بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٩٣) ولو شاء الله لوفقكم كلكم، فجعلكم على ملة واحدة، وهي الإسلام والإيمان، وألزمكم به، ولكنه سبحانه يضل من يشاء من علم منه إيثار الضلال، فلا يهديه عدلاً منه، ويهدي من يشاء ممن علم منه إيثار الحق، فيوفقه فضلاً منه، وليسلأكم الله جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم به، ونهاكم عنه، وسيجازيكم على ذلك.

وَلَا تَسْخُدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْعُرُوا يُعْهِدُ اللَّهُ تَعَمُّلاً قَلِيلًا إِنَّمَا
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ
يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ جَزِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِنْ ذِكْرٍ أَوْ آتٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾
فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ
هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا هِيَ مَقْرُوءٌ مِمَّا كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

(٩٤) ولا تجعلوا من الأيمان التي تحلفونها خديعة لمن حلفتم لهم، فتهلكوا بعد أن كنتم آمنين، كمن زلقت قدمه بعد ثبوتها، وتذوقوا ما يسوءكم من العذاب في الدنيا؛ بما تسببتم فيه من منع غيركم عن هذا الدين لما رأوه منكم من الغدر، ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

(٩٥) ولا تنقضوا عهد الله؛ لتستبدلوا مكانه عرضاً قليلاً من متاع الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء أفضل لكم من هذا الثمن القليل، إن كنتم من أهل العلم، فتدبروا الفرق بين خيرتي الدنيا والآخرة.

(٩٦) ما عندكم من حطام الدنيا يذهب، وما عند الله لكم من الرزق والثواب لا يزول. ولتثبئن الذين تحمّلوا مشاق التكليف - ومنها الوفاء بالعهد - ثوابهم بأحسن أعمالهم، فنعطيههم على أذانها، كما نعطيههم على أعلاها تفضلاً. (٩٧) من عمل عملاً صالحاً ذكراً أم أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، فلنحيينه في الدنيا حياة سعيدة مطمئنة، ولو كان قليل المال، ولنجزينهم في الآخرة ثوابهم بأحسن ما عملوا في الدنيا.

(٩٨) فإذا أردت - أيها المؤمن - أن تقرأ شيئاً من القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المطرود من رحمة الله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(٩٩، ١٠٠) إن الشيطان ليس له تسلط على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده يعتمدون. إنما تسلطه على الذين جعلوه معيناً لهم وأطاعوه، والذين هم - بسبب طاعته - مشركون بالله تعالى.

(١٠١) وإذا بدلنا آية بأية أخرى، والله الخالق أعلم بمصلحة خلقه بها ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة، قال الكفار: إنما أنت - يا محمد - كاذب تخلق على الله ما لم يقله. ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كما يزعمون. بل أكثرهم لا علم لهم بربهم ولا بشره وأحكامه.

(١٠٢) قل لهم - أيها الرسول -: ليس القرآن مختلفاً من عندي، بل نزله جبريل من ربك بالصدق والعدل؛ تثبيتاً للمؤمنين، وهداية من الضلال، وبشارة طيبة لمن أسلموا وخضعوا لله رب العالمين.

وَلَقَدْ عَلَّمْتَهُمُ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْهِ أَتَجْعَلُ مِنْ هَذَا لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا تَقْرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ لَا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَأَرَبَّ اللَّهُ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجَرَةً
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّاوُهمْ جَهَنَّمَ دَا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١٠٣) ولقد علم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن من بشر من بني آدم. كذبا؛ فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أعجمي لا يفصح، والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان.

(١٠٤) إن الكفار الذين لا يصدقون بالقرآن لا يوفقههم الله لإصابة الحق، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجه.

(١٠٥) إنسا يتخلل الكذب من لا يؤمن بالله وآياته، وأولئك هم الكاذبون في قوهم ذلك. أما محمد صلى الله عليه وسلم المؤمن بربه الخاضع له فمحال أن يكذب على الله، ويقول عليه ما لم يقبله.

(١٠٦، ١٠٧) إنسا يفترى الكذب من نطق بكلمة الكفر وارتد بعد إيمانه، فعليهم غضب من الله، إلا من أرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفاً من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه، لكن من نطق بالكفر واطمان قلبه

إليه، فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم؛ وذلك بسبب إثارهم الدنيا وزينتها، وتفضيلهم إياها على الآخرة وثوابها، وأن الله لا يهدي الكافرين، ولا يوفقههم للحق والصواب.

(١٠٨) أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر وإثار الدنيا على الآخرة، فلا يصل إليها نور الهداية، وأصم سمعهم عن آيات الله فلا يسمعونها سماع تدبر، وأعمى أبصارهم فلا يرون البراهين الدالة على ألوهية الله، وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لهم من العذاب.

(١٠٩) حقاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون المهلكون، الذين صرفوا حياتهم إلى ما فيه عذابهم وهلاكهم.

(١١٠) ثم إن ربك للمستضعفين في «مكة» الذين عذبهم المشركون، حتى وافقوهم على ما هم عليه ظاهراً، ففتنهم بالتلفظ بما يرضيهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولما أمكنهم الخلاص هاجروا إلى «المدينة»، ثم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على مشاق التكليف، إن ربك - من بعد توبتهم - لغفور لهم، رحيم بهم.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ أُمَّةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهِمْ رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْ مَآرِزِقِكُمْ اللَّهُ حَلَالٌ طَيِّبٌ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عِبَادَهُ وَتُؤْتُونَ عَلَيْهِمُ الْمَيْتَةَ وَالَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ أَوَّلَ الْغَيْرِ اللَّهُ بِهِمْ أَضْطَرَّ عَذَابٌ وَلا عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِكُمْ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٥﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَازُوا حَرَمًا مَقْصَصًا عَلَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

(١١١) وذكرهم -أيها الرسول- يوم القيامة حين تأتي كل نفس نخاصم عن ذاتها، وتعتذر بكل المعاذير، ويوفي الله كل نفس جزاء ما عملته من غير ظلم لها، فلا يزيدهم في العقاب، ولا ينقصهم من الثواب.

(١١٢) وضرب الله مثلاً بـ«مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان من ضيق العيش، يأتيها رزقها هينئاً سهلاً من كل جهة، فجحد أهلها نعم الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له، فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوشه، التي كانت تخيفهم؛ وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل.

(١١٣) ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولاً منهم، هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه، فأخذهم العذاب من الشدائد والجوع والخوف، وقُتل عظمائهم في

«بدر»، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك بالله، والصد عن سبيله.

(١١٤) فكلوا -أيها المؤمنون- مما رزقكم الله، وجعله لكم حلالاً مستطاباً، واشكروا نعمة الله عليكم بالاعتراف بها وضر فيها في طاعة الله، إن كنتم حقاً متقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

(١١٥) إنا حرم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، لكن من ألبأنه ضرورة الخوف من الموت إلى أكل شيء من هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل.

(١١٦) ولا تقولوا -أيها المشركون- للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لِمَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وهذا حرام لِمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ؛ لتختلفوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه، إن الذين يختلفون على الله الكذب لا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

(١١٧) متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل، وهم في الآخرة عذاب موحج.

(١١٨) وعلى اليهود حَرَمًا ما أخبرناك به -أيها الرسول- من قبل، وهو كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حملته ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطاً بعظم، وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة هم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاقِكُمْ لَا تُعْمِعُ آخِيتَهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَآتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

(١١٩) ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله - فكل عاص لله غلطاً أو متعمداً فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم -، ثم رجعوا إلى الله عتياً كانوا عليه من الذنوب، وأصلحو نفوسهم وأعمالهم، إن ربك - من بعد توبتهم وإصلاحهم - لغفور لهم، رحيم بهم.

(١٢٠-١٢٢) إن إبراهيم كان إماماً في الخير، وكان طائعاً خاضعاً لله، لا يميل عن دين الإسلام موحداً لله غير مشرك به، وكان شاكراً لنعم الله عليه، اختاره الله لرسالته، وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام، وآتيناه في الدنيا نعمة حسنة من الثناء عليه في الآخرين والقُدوة به، والولد الصالح، وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية.

(١٢٣) ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع دين الإسلام كما اتبعه إبراهيم، وأن استقم عليه، ولا تحذ عنه، فإن إبراهيم لم يكن من المشركين مع الله غيره.

(١٢٤) إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أمروا بتعظيمه. وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين المختلفين يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيهم، ويجازي كلأبما يستحقه.

(١٢٥) ادعُ - أيها الرسول - أنت ومن اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخطب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصيحاً حسناً، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر، وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين. فما عليك إلا البلاغ، وقد بلغت، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين.

(١٢٦) وإن أردتم - أيها المؤمنون - الفصاص من اعتدوا عليكم، فلا تزيدوا عما فعلوه بكم، ولئن صبرتم هو خير لكم في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالأجر العظيم.

(١٢٧) وأصبر - أيها الرسول - على ما أصابك من أذى في الله حتى يأتبك الفرح، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويشتك، ولا تحزن على من خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم من مكهم وكيدهم، فإن ذلك عائد عليهم بالشر والربال.

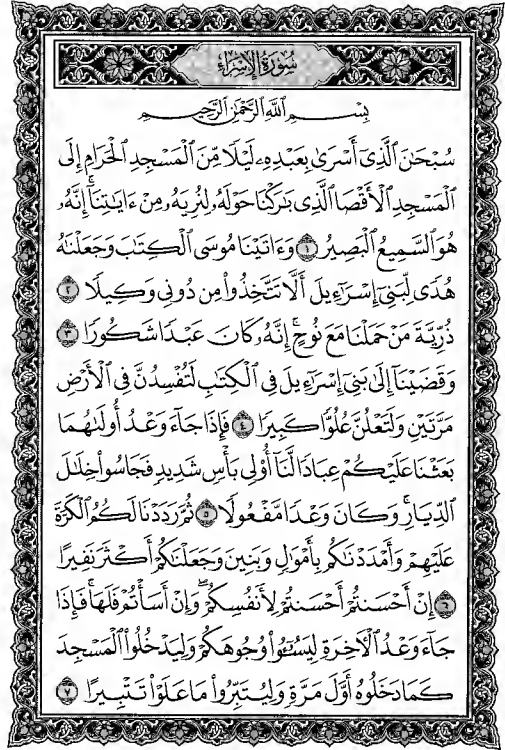
(١٢٨) إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره مع الذين اتقوه بامثال ما أمر واجتناب ما نهى، ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته.

﴿سورة الإسراء﴾

(١) يمجّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقد رته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذي أسرى بعبد محمد صلى الله عليه وسلم زمناً من الليل بجسده وروحه، بقطة لا ناماً، من المسجد الحرام بـ«مكة» إلى المسجد الأقصى بـ«بيت المقدس» الذي بارك الله حوله في الزرع والثمار وغير ذلك، وجعله محلاً لكثير من الأنبياء؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كلّ ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

(٢) وكما كرم الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالإسراء، كرم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بياناً للحق وإرشاداً لبني إسرائيل، متضمنة تنبيههم عن اتخاذ غير الله تعالى ولياً أو معبوداً يفوضون إليه أمورهم.

(٣) يا سلالة الذين أنجيناهم وحملناهم مع نوح في السفينة لا تشرّكوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام؛ إنه كان عبداً شكوراً لله بقلبه ولسانه وجوارحه.



(٤) وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أنزلت عليهم بأنه لا بد أن يقع منهم إفساد مرتين في «بيت المقدس» وما والاها بالظلم، وقتل الأنبياء، والتكبر والطغيان والعدوان.

(٥) فإذا وقع منكم الإفساد الأول سلطنا عليكم عبداً لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة، يغلبونكم ويقتلونكم ويشردونكم، فطافوا بين دياركم مفسدين، وكان ذلك وعداً لا بد من وقوعه؛ لوجود سببه منكم.

(٦) ثم ردّنا لكم -يا بني إسرائيل- الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سلطوا عليكم، وأكثرنا أرزاقكم وأولادكم، وقوّيناكم وجعلناكم أكثر عدداً من عدوكم؛ وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

(٧) إن أحسنت أفعالكم وأقوكم فقد أحسنت لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك عائد إليكم، وإن أسأتم فعقاب ذلك عائد عليكم، فإذا حان موعد الإفساد الثاني سلطنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليدلّوكم ويغلبوكم، فنظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم، وليدخلوا عليكم «بيت المقدس» فيخربوه، كما خربوه أول مرة، وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميراً كاملاً.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَاَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَذَرُ الَّذِينَ لَا تُبْدِي عَمَلَهُمْ إِلَّا ظَهْرًا أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن حَمَلَ الْثِقَالَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَّا تَفْصِيلًا ﴿١٣﴾ وَكُلَّ
 إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُقْبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٤﴾ أَفَرَأَيْتَ لَكَ فِي يَمِينِكَ يَوْمَ تَبْعُكُ حَسِيبًا
 ﴿١٥﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كَأَن مَّعْذِرَتٌ حَتَّىٰ تَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نَّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٧﴾ وَكَذَرْنَاكَ أَمِنَ الْقُرُونِ
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٨﴾

(٨) عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد انتقامه إن تبتم وأصلحتم، وإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدنا إلى عقابكم ومذلتكم. وجعلنا جهنم لكم ولل كافرين عامة سجنًا لا خروج منه أبدًا. وفي هذه الآية وما قبلها، تحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبها مثل ما أصاب بني إسرائيل، فسنن الله واحدة لا تبدل ولا تتغير.

(٩، ١٠) إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه، بأن لهم ثواباً عظيماً، وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعدنا لهم عذاباً موجعاً في النار.

(١١) ويدعو الإنسان أحياناً على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالخير، وهذا من جهل الإنسان وعجلته، ومن رحمة الله به أنه يستجيب له في دعائه بالخير دون الشر؛ لأنه يعلم منه عدم القصد إلى إرادة ذلك، وكان الإنسان بطبعه عجولاً.

(١٢) وجعلنا الليل والنهار علامتين دالّتين على

وحداثيتنا وقدرتنا، فَمَحَوْنَا علامة الليل - وهي القمر - وجعلنا علامة النهار - وهي الشمس - مضية؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكون والراحة، وليعلم الناس - ومن تعاقب الليل والنهار - عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم، وكل شيء بيّناً كافياً.

(١٣) وكل إنسان يجعل الله ما عمله من خير أو شر ملازماً له، فلا يحاسب بعمل غيره، ولا يجاسب غيره بعمله، ويخرج الله له يوم القيامة كتاباً قد سُجِّلَتْ فيه أعماله براه مفتوحاً.

(١٤) يقال له: اقرأ كتاب أعمالك، فإقرأ، وإن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا، تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء. وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك، كفى بها حسبياً عليك.

(١٥) من اهتدى طريق الحق فإنما يعود ثواب ذلك عليه وحده، ومن حاد واتبع طريق الباطل فإنما يعود عقاب ذلك عليه وحده، ولا تحمل نفس مذنبية إثم نفس مذنبية أخرى. ولا يعذب الله أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

(١٦) وإذا أردنا إهلاك أهل قرية ظلمهم أمرنا مترفيهم ببطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله، وغيرهم تبع لهم، فعصوا أمر ربهم وكذبوا رسله، فحق عليهم القول بالعذاب الذي لا مردّ له، فاستأصلناهم بهلاك التام.

(١٧) وكثيراً أهلكتنا من الأمم المكذبة رسلها من بعد نبي الله نوح. وكفى بربك - أيها الرسول - أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَتْ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تَبْذُرُونَ هَبْ ذَرَاةً مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفِي وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ وَذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ إِنَّمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَأَبَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُ رَبُّكَ يُذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِنْ شَاءَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلرَّبِّ ضَالًّا ﴿٢٧﴾

(١٨) من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدق بالآخرة، ولم يعمل لها، عجل الله له فيها ما يشاءه الله ويريده عما كتبه له في اللوح المحفوظ، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم، يدخلها ملوماً مطروداً من رحمته عز وجل؛ وذلك بسبب إرادته الدنيا وسعيه لها دون الآخرة.

(١٩) ومن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية، وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه، فأولئك كان عملهم مقبولاً مذكراً لهم عند ربهم، وسيثابون عليه.

(٢٠) كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية يزيد من رزقنا، وفرق المؤمنين والكافرين في الدنيا؛ فإن الرزق من عطاء ربك تفضلاً منه، وما كان عطاء ربك ممنوعاً من أحد مؤمناً كان أم كافراً.

(٢١) تأمل - أيها الرسول - في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل، وللآخرة أكبر درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلاً.

(٢٢) لا تجعل - أيها الإنسان - مع الله شريكاً له

في عبادته، فتبوء بالمذمة والخذلان.

(٢٣) وأمر ربك - أيها الإنسان - والزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالة الشيخوخة، فلا تضجر ولا تستثقل شيئاً تراه من أحدهما أو منهما، ولا تُسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لهما - دائماً - قولاً ليناً لطيفاً.

(٢٤) وكُنْ لأمك وأبيك ذليلاً متواضعاً رحيماً بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياء وأمواتاً، كما صبرا على تربيتك طفلاً ضعيف الحول والقوة.

(٢٥) ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من خير وشر. إن تكن إرادتكم ومقاصدكم مرضاة الله وما يقربكم إليه، فإنه كان - سبحانه - للراغبين إليه في جميع الأوقات غفوراً، فمن عَلِمَ الله أنه ليس في قلبه إلا الإجابة إليه ومحبته، فإنه يغفر عنه، ويغفر له ما يعرض من صغائر الذنوب؛ مما هو من مقتضى الطباع البشرية.

(٢٦) وأحسن إلى كل من له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير.

(٢٧) إن السرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية، وكان الشيطان كثير الكفران شديداً الجحود لنعمة ربه.

وَأَمَّا نَعُودُ عَنْهُمْ أَيْتَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ وَلَا تَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ بَسِطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أُولَٰئِكَ خَشِيَ إِلَٰهِي تَحَنُّنًا تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ فَأُولَٰئِكَ مَاتُوا خَطَأًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُسْرِفًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزُونًَا لَا تَقْسُطُوا فِي الْمُسْقِفِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرًا هَٰكِيمًا ﴿٣٨﴾

(٢٨) وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أُمِرْت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيمهم منه طلباً لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولاً ليناً لطيفاً، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعذمهم بأن الله إذا أسير من فضله رزقاً أنك تعطيمهم منه.

(٢٩) ولا تمسك يداك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيقاً على نفسك وأهلك والمحتاجين، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، فتقعُد مَلُومًا يلومك الناس ويذمونك، نادماً على تبذيرك وضياح مالك.

(٣٠) إن ربك يوسع الرزق على بعض الناس، ويضيِّقه على بعضهم، وفق علمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه هو المطَّلِع على خفايا عباده، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم.

(٣١) وإذا علمتم أن الرزق بيد الله سبحانه فلا تقتلوا -أيها الناس- أولادكم خوفاً من الفقر؛ فإنه -سبحانه- هو الرزاق لعباده، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء، إن قُتِل الأولاد ذنب عظيم.

(٣٢) ولا تقربوا الرزق ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه، إنه كان فعلاً بالغ القبح، وبش الطريق طريقه.

(٣٣) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا

بالحق الشرعي كالقصاص أو رجم الزاني المحصن أو قتل المرتد. ومن قُتِل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره من وارث أو حاكم حجة في طلب قتل قاتله أو الدية، ولا يصح لولي أمر المقتول أن يجاوز حدَّ الله في القصاص كأن يقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمَثِّل بالقاتل، إن الله معين وليِّ المقتول على القاتل حتى يتمكن من قتله قصاصاً.

(٣٤) ولا تصرفوا في أموال الأطفال الذين مات أبأؤهم وهم دون سنِّ البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمين والتنمية، حتى يبلغ الطفل الطفل اليتيم سنِّ البلوغ، وحسن التصرف في المال، وأتموا الوفاء بكل عهد التزمت به. إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أنهى وفاءه، ويعاقبه إذا خان فيه.

(٣٥) وأتموا الكيل، ولا تقصوه إذا كنتم لغيركم، وزنوا بالميزان السوي، إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة.

(٣٦) ولا تتبع -أيها الإنسان- ما لا تعلم، بل تأكد وتثبت. إن الإنسان مسؤول عما استعمل فيه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعملها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.

(٣٧) ولا تمش في الأرض غشاً متكبهاً؛ فإنك لن تخرق الأرض بمشييك عليها هذه الصفة، ولن تبلغ الجبال طولاً بخيلائك وفخرك وكبرك.

(٣٨) جميع ما تقدّم ذكره من أوامر ونواهٍ، يكره الله سيئته، ولا يرضاه لعباده.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۖ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَوْلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَقَدُّ رَبُّكُمْ
 بِالْبَيْنِ وَاتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَقَوْمُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَا عَظِيمًا
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ أَنْ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أُتِيعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَلَيْسَ بِحِمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَسُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرَتْ بِرَبِّكَ مِنَ الْقُرْآنِ وَجَعَلْنَا وَهْوَ عَلَىٰ آذَانِهِمْ نَفُورًا ﴿٤٦﴾
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ يُجَوِّزُونَ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَبُّوا قُلُوبَهُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا لَهُ دَاكُنْ عَظْمَاؤُنَا رُقِيًّا ءَايَةُ الْمَعْوِثُونَ خَلَقْنَا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

(٣٩) ذلك الذي بيناه ووضحناه من هذه الأحكام
 الجلية، من الأمر بمحاسن الأعمال، والنهي عن
 أراذل الأخلاق بما أوحيناه إليك أيها النبي. ولا
 تجعل - أيها الإنسان - مع الله تعالى شريكاً له
 في عبادته، فتُضَلَّ في نار جهنم تلومك نفسك
 والناس، وتكون مطروداً مبعداً من كل خير.

(٤٠) أفخصكم ربكم - أيها المشركون -
 بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟
 إن قولكم هذا بالغ القبح والبشاعة، لا يليق
 بالله سبحانه وتعالى.

(٤١) ولقد وضحنا ونوعنا في هذا القرآن
 الأحكام والأمثال والمواعظ؛ لينعظ الناس
 ويتدبروا ما ينفعهم فيأخذوه، وما يضرهم
 فيذعوه، وما يزيد البيان والتوضيح الظالمين إلا
 تباعداً عن الحق، وغفلة عن النظر والاعتبار.

(٤٢) قل - أيها الرسول - للمشركين: لو أن
 مع الله آلهة أخرى، إذاً لطبأت تلك الآلهة
 طريقاً إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم.

(٤٣) تنزه الله وتقدس عما يقوله المشركون
 وتعالى علواً كبيراً.

(٤٤) تسبِّح له - سبحانه - السموات السبع

والأرضون، ومن فيهن من جميع المخلوقات، وكل شيء في هذا الوجود ينزهه الله تعالى تنزيهاً مقروناً بالثناء والحمد
 له سبحانه، ولكن لا تدركون - أيها الناس - ذلك. إنه سبحانه كان حليماً بعباده لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، غفوراً لهم.

(٤٥) وإذا قرأت القرآن فسمعه هؤلاء المشركون، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً ساتراً يحجب عقولهم
 عن فهم القرآن؛ عقاباً لهم على كفرهم وإنكارهم.

(٤٦) وجعلنا على قلوب المشركين أغشية؛ فلا يفهموا القرآن، وجعلنا في آذانهم صمماً؛ فلا يسمعه، وإذا ذُكِّرَتْ بِرَبِّكَ في
 القرآن داعياً لتوحيدنا ناهياً عن الشرك به رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكباراً واستعظاماً من أن يوحّدوا الله
 تعالى في عبادته.

(٤٧) نحن أعلم بالذي يستمع به رؤساء قريش، إذ يستمعون إليك ومقاصدهم سيئة، فليس استماعهم لأجل الاسترشاد
 وقبول الحق، ونعلم نتائجهم حين يقولون: ما نتبعون إلا رجلاً أصابه السحر فاختلط عقله.

(٤٨) تفكر - أيها الرسول - متعجباً من قولهم: إن محمداً ساحر شاعر مجنون!! فجاروا وانحرفوا، ولم يهتدوا إلى طريق
 الحق والصواب.

(٤٩) وقال المشركون منكربين أن تخلقوا خلقاً جديداً بعد أن تبلى عظامهم، وتصير فتاتاً؛ أئنا لمبعوثون يوم القيامة بعثاً جديداً؟

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعَذِّبُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيَضْطُوبُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۖ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِمْ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِئْسَ إِلَّا فَيْلًا ۚ ۝ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۚ ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِنَّ يَشَأْ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حُمْلًا ثِقَلًا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكْرًا ۚ ۝ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِمْ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۚ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۚ ۝ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا لَأَنحُنَّ بِهَا لَكُمْ هَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝ ۚ

(٥١، ٥٠) قل لهم -أيها الرسول- على جهة التعجيز: كونوا حجارة أو حديدًا في الشدة والقوة، إن قدرتم على ذلك. أو كونوا خلقًا يعظم ويستبعد في عقولكم قبوله، فسيقولون -منكرين-: من يرثنا إلى الحياة بعد الموت؟ قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من العدم أول مرة، وعند سماعهم هذا الرد فسيهزؤون رؤوسهم ساخرين متعجين ويقولون -مستبشرين-: متى يقع هذا البعث؟ قل: وما يدريكم أن هذا البعث الذي تنكرون وتستبعدونه ربما كان قريب الوقوع؟

(٥٢) يوم يناديكم خالقكم للخروج من قبوركم، فتستجيبون لأمر الله، وتفقدون له، وله الحمد على كل حال، وتظنون -لهول يوم القيامة- أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمانًا قليلًا؛ لظلول لبثكم في الآخرة.

(٥٣) وقُلْ لعبادي المؤمنين يقولوا في مخاطبتهم وتخاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والحصام. إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا ظاهر العداوة.

(٥٤) ربكم أعلم بكم -أيها الناس- إن يشأ يرحمكم فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر فيعذبكم، وما أرسلناك -أيها الرسول- عليهم وكيلاً، تدبر أمرهم وتجازيهم على أفعالهم، وإنما مهمتك تبليغ ما أُرسلت به، وبيان الصراط المستقيم.

(٥٥) وربك -أيها الرسول- أعلم بمن في السموات والأرض. ولقد فَضَّلْنَا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة الاتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السلام الزبور.

(٥٦) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إن هذه المعبودات التي تنادونها لكشف الضر عنكم لا تملك ذلك، ولا تقدر على تحويله عنكم إلى غيركم، ولا تقدر على تحويله من حال إلى حال، فالقادر على ذلك هو الله وحده. وهذه الآية عامة في كل ما يدعى من دون الله، ميتاً كان أو غائباً، من الأنبياء والصالحين وغيرهم، بلفظ الاستغاثة أو الدعاء أو غيرهما، فلا معبود بحق إلا الله.

(٥٧) أولئك الذين يدعوه المشركون من الأنبياء والصالحين والملائكة مع الله، يتنافسون في القرب من ربهم بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، ويأملون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يجزئه العباد، ويخافوا منه.

(٥٨) ويتوعد الله الكفار بأنه ما من قرية كافرة مكذبة للرسل إلا وسنيزل بها عقابه بالهلاك في الدنيا قبل يوم القيامة، أو بالعذاب الشديد لأهلها، كتاب كتبه الله وقضاه أبرمه لا بد من وقوعه، وهو مسطور في اللوح المحفوظ.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَمَآ أَتَيْنَا مُدَّةَ الْآفَةِ مُبَرَّجَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿١٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَأْتُوا الصَّلَاةَ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا إِلَّا آيَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّهُمْ فَمَنْ يَمُرَّ مِنْهَا فَلَا يَطْعَمْهَا كَبِيرًا ﴿١٥﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُفِرْتُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَخْتَبِكَنَّ
دُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَثُ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مُّوَفَّرًا ﴿١٨﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْكُمْ
مِنْهُمْ يَصُوتُوكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرِجَالِكَ وَنَارِكُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
عُرُورًا ﴿١٩﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٢٠﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرِيكُمْ لَكُمْ أَلْفَاكِي فِي
الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ رَكَّابٌ يُرْجَمُ رَجِيمًا ﴿٢١﴾

(٥٩) وما منعنا من إنزال المعجزات التي سألها
المشركون إلا تكذيب من سبقهم من الأمم،
فقد أجاهم الله إلى ما طلبوا فكذبوا وهلكوا.
وأعطينا ثمود - وهم قوم صالح - معجزة
واضحة وهي الناقة، فكفروا بها فأهلكناهم.
وما إرسلنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات
التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛
ليعتبروا ويتذكروا.

(٦٠) واذكر - أيها الرسول - حين قلنا لك: إن
ربك أحاط بالناس علمًا وقدره. وما جعلنا
الرؤيا التي أرىناكها عينًا ليلة الإسراء
والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختباراً
للناس؛ ليميز كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا
شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا
ابتلاء للناس. ونخوف المشركين بأنواع العذاب
والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا غداً في
الكفر والضلال.

(٦١) واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية
وتكريماً، فسجدوا جميعاً إلا إبليس، استكبر وامتنع
عن السجود قائلاً على سبيل الإنكار والاستكبار:
أأسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين؟

(٦٢) وقال إبليس جراءة على الله وكفراً به: أرايت هذا المخلوق الذي ميزته علي؟ لئن أبقيتني حياً إلى يوم القيامة لأستولين
على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل.

(٦٣) قال الله تعالى مهدداً إبليس وأتباعه: اذهب فمَنْ تبعك مِنْ ذرية آدم فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم وافر في نار جهنم.
(٦٤) واستخفف كل مَنْ تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي، واجمع عليهم كل ما تقدر عليه من جنودك من
كل راكب وراجل، واجعل لنفسك شُرْكة في أمواتهم بأن يكسبوا من الحرام، وشُرْكة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي،
ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد، وعد أتباعك مِنْ ذرية آدم الوعود الكاذبة، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.
(٦٥) إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم، وكفى بربك - أيها النبي - عاصماً وحافظاً
للمؤمنين مِنْ كيد الشيطان وغروره.

(٦٦) ربكم - أيها الناس - هو الذي يُسَيِّرُ لكم السفن في البحر؛ لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم. إن الله سبحانه
كان رحيماً بعباده.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ رَاحِلٌ مِّنْ تَدْعُوهُ إِلَّا إِلَهُكُمۡ فَلَمَّا
 جَنَّادُكُمۡ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمۡ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْسَرُّ
 أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
 لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْسَرُّ أَن يُعِيدَ كُوفِيَّةَ تَارَةً
 أُخْرَىٰ فَيُزِيلَ عَلَيْكُمۡ قَاصِقًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمۡ بِمَا كَفَرْتُمْ
 ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
 عَادَ وَحَمَلْنَاهُمۡ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ النَّخْلِ ثَبَاتٍ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا
 كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِهِمْ فَمَنۡ أُوۡفَىٰ كِتَابُهُ يَمِيزُهُ فَأُولَٰئِكَ
 يَبْقَرُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ
 فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن
 كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْزِيَ
 عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تُحِذُّوكَ حِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ
 لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا أَذْنَاكَ ضِعْفُ
 الْحَيَوَةِ وَضِعْفُ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

(٦٧) وإذا أصابتكم شدة في البحر حتى أشرقت على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكروا الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة، فأغاثكم ونجاكم، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، وهذا من جهل الإنسان وكفرو. وكان الإنسان جحوداً لنعم الله عز وجل.

(٦٨) أغفلتم -أيها الناس- عن عذاب الله، فأمنتم أن تنهار بكم الأرض خسفاً، أو يُفطركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم، ثم لا تجدوا أحداً يحفظكم من عذابه؟

(٦٩) أم أمتم -أيها الناس- ربيكم، وقد كفرتم به أن يعيدكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم ريحاً شديدة، تكسر كل ما أتت عليه، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا أي نبعة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة؟

(٧٠) ولقد كرمنا ذرية آدم بالعقل وإرسال الرسل، وسخرنا لهم جميع ما في الكون، وسخرنا لهم الدواب في البر والسفن في البحر لحملهم، ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضلناهم على كثير من المخلوقات تفضيلاً عظيماً.

(٧١) اذكر -أيها الرسول- يوم البعث مبشراً وخوفاً، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، فمن كان منهم صالحاً، وأعطى كتاب أعماله يمينه، فهو لاء يقرأون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين، ولا يُنقصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئاً، وإن كان مقدار الخيط الذي يكون في شئ النواة.

(٧٢) ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بها جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو في يوم القيامة أشد أعمى عن سلوك طريق الجنة، وأضل طريقاً عن الهداية والرشاد.

(٧٣) ولقد قارب المشركون أن يصرفوك -أيها الرسول- عن القرآن الذي أنزل الله إليك؛ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، ولو فعلت ما أرادوه لاختدوك حبيباً خالصاً.

(٧٤) ولولا أن ثبتناك على الحق، وعصمتناك عن موافقتهم، لقاربت أن تميل إليهم شيئاً من الميل فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدة احتياهم، ولرغبتك في هدايتهم.

(٧٥) ولو ركنك -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين كوناً قليلاً فيما سألوكم، إذا لأذنناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب المات في الآخرة؛ وذلك لتمام نعمة الله عليكم وكمال معرفتك بربك، ثم لا تجد أحداً ينصرك ويدفع عنك عذابنا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْتَمِسُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٥٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السُّعْسِ إِلَى عَسَى الْيَلِّ وَقَدْ أَنْ الْفَجْرِ
إِنْ قُرْءَاتِ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٥٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٥٩﴾
وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٦٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٦١﴾ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ أَنْ مَا هُوَ
شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٦٢﴾
وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَكَانَ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ كَانَتْ يَدَاكَ عَلَيْهِ شَاكِلَةً هِيَ فَتُرِكَهُ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٦٣﴾ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أُوتِيتُمْ إِلَيْكُمْ فَمَا لَكُمْ لَكُمْ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

(٧٦) ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من مكة بازعاجهم إليك، ولو أخرجوك منها لم يمتكوا فيها بعدك إلا زمناً قليلاً، حتى تحمل بهم العقوبة العاجلة.

(٧٧) تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي تخرج رسولها من بينها، ولن تجد -أيها الرسول- لسننتنا تغييراً، فلا خلف في وعدنا.

(٧٨) أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهر إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر، وأطل القراءة فيها؛ إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

(٧٩) وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل، فاقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى أن يبعثك الله شافعاً للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقاماً يحمدك فيه الأولون والآخرون.

(٨٠) قل: رب أدخلني بها هو خير لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق،

واجعل لي من لذنك حجة ثابتة، تنصري بها على جميع من خالفني.

(٨١) قل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك، إن الباطل لا بقاء له ولا ثبات، والحق هو الثابت الباقي الذي لا يزول.

(٨٢) ونزل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب من الأمراض، كالشك والفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان برقيتها به، وما يكون سبباً للفوز برحمة الله بها فيه من الإيمان، ولا يزيد هذا القرآن الكفار عند سماعه إلا كفراً وضللاً؛ لتكذيبهم به وعدم إيمانهم.

(٨٣) وإذا أعمنا على الإنسان من حيث هو بال وعافية ونحوهما، تولى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطاً؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرائه وضرائه.

(٨٤) قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال، فريكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق.

(٨٥) ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعتاً، فأجبههم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما أعظمت أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئاً قليلاً.

(٨٦) ولئن شئنا لنحو القرآن من قلبك لنقدراً على ذلك، ثم لا تجد لنفسك ناصرًا يمنعنا من فعل ذلك، أو يرد عليك القرآن.

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾
لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ
كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ
فَسِيلًا ﴿٩١﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ
وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴿٩٢﴾
سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ هُدًى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُنْشُونَ مَظْمِنِينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَكًّا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

(٨٧) لكن الله رحمك، فأثبت ذلك في قلبك، إن فضله كان عليك عظيمًا؛ فقد أعطاك هذا القرآن العظيم، والمقام المحمود، وغير ذلك مما لم يوته أحدًا من العالمين.

(٨٨) قل: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان بمثل بلاغته ومعانيه وأحكامه، ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك.

(٨٩) ولقد بينّا ونوعنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ينبغي الاعتبار به؛ احتجاجاً بذلك عليهم؛ ليتبعوه ويعملوا به، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحق وإنكاراً لحجج الله وأدلته.

(٩٠) ولما أعجز القرآن المشركين وغلبيهم أخذوا يطلبون معجزات رفق أهوائهم فقالوا: لن نصدقك - يا محمد - ونعمل بما تقول حتى تفجر لنا من أرض «مكة» عيناً جارية.

(٩١) أو تكون لك حديقة فيها أنواع النخيل والأعشاب، وتجعل الأنهار تجري في وسطها بغزارة.

(٩٢) أو تسقط السماء علينا قطعاً كما زعمت، أو تأتي لنا باله وملائكته، فنشاهدهم مقابلة وعياناً.

(٩٣) أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد في درج إلى السماء، ولن نصدقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقاً. قل - أيها الرسول - متعجباً من تعنت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما تطلبون؟

(٩٤) وما منع الكفار من الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، حين جاءهم البيان الكافي من عند الله، إلا قولهم جهلاً وإنكاراً: أبعث الله رسولاً من جنس البشر؟

(٩٥) قل - أيها الرسول - ردّاً على المشركين إنكارهم أن يكون الرسول من البشر: لو كان في الأرض ملائكة يمشون عليها مطمئنين، لأرسلنا إليهم رسولاً من جنسهم، ولكن أهل الأرض بشر، فالرسول إليهم ينبغي أن يكون من جنسهم؛ ليتمكن مخاطبته وفهم كلامه.

(٩٦) قل لهم: كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على صدقي وحقيقة نبوتي. إنه سبحانه خبير بأحوال عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزِّلُهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقَدْ آتَيْنَاكَ آيَاتِنَا لَتُفَرِّقَنَّ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَثٍ وَتَرْتَلِّهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ أَسْمَأُ بِيَّةً أَوْ لَا تَوْفُؤُنَّ إِنَّ الَّذِينَ أَوْفُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا تَنَزَّلَ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَمَّا وَابْتِغَ
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾
فَإِمَّا يَنْزِجْنَاهُ نَاسِئًا سِدْقًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرٌ حَسَنًا ﴿٣﴾
مَتَكِّينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٤﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٥﴾

(١٠٥) وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لأمر العباد ونهيمهم وثوابهم وعقابهم، وبالصدق والعدل والحفظ من التغيير والتبديل نزل. وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً بالجنة لمن أطاع، ونحوفاً بالنار لمن عصى وكفر.

(١٠٦) وأنزلنا إليك - أيها الرسول - قرآناً يبينه وأحكمناه وفصلناه فارقاً بين الهدى والضلال والحق والباطل، لتقرأه على الناس في تودة وعمهل، وتزلنا مفرقاً شيئاً بعد شيء، على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال.

(١٠٧) قل - أيها الرسول - هؤلاء المكذبن: أيمنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا؛ فإن إيمانكم لا يزيدكم كمالاً، وتكذيبكم لا يلحق به نقصاً. إن العلماء الذين أتوا الكتب السابقة من قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، إذا قرئ عليهم القرآن يمشعون، فيسجدون على وجوههم تعظيماً لله تعالى، وشكراً له.

(١٠٨) ويقول هؤلاء الذين أتوا العلم عند سماع القرآن: تنزيهاً لربنا وتبرقة به مما يصفه المشركون به، ما كان وعد الله تعالى من ثواب وعقاب إلا واقعاً حقاً.

(١٠٩) ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، ليكون تأثراً بمواعظ القرآن، ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعاً لأمر الله وعظيم قدرته.

(١١٠) قل - أيها الرسول - لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا الله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، فبأي أسماؤه يدعوكم فإنكم تدعون رباً واحداً؛ لأن أسماؤه كلها حسنى. ولا تجهروا بالقراءة في صلاتك، فيسمعك المشركون، ولا تُبشِّرْ بها فلا يسمعك أصحابك، وكن وسطاً بين الجهر والهمس.

(١١١) وقل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سببحانه وفي من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظمه تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

سورة الكهف

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي تفضل بأنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم القرآن، ولم يجعل فيه شيئاً من الميل عن الحق.

(٢، ٣) جعله الله كتاباً مستقيماً، لا اختلاف فيه ولا تناقض؛ لينذر الكافرين من عذاب شديد من عنده، ويبشِّر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الأعمال الصالحات، بأن لهم ثواباً جزيلاً هو الجنة، يقيمون في هذا النعيم لا يفارقونه أبداً.

(٤) وينذر به المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

(٥) ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يدَّعونهُ الله من اتخاذ الولد، كما لم يكن عند أسلافهم الذين قلدوهم، عظمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولاً كاذباً.

(٦) فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك غمّاً وحزناً على أثر تولى قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدقوا بهذا القرآن ويعملوا به.

(٧) إنّنا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها، ومنفعة لأهلها؛ لنختبرهم: أئهم أحسن عملاً بطاعتنا، وأيم أسوأ عملاً بالمعاصي، ونجزي كلاهما بما يستحق.

(٨) وإنّا لجاعلون ما على الأرض من تلك الزينة عند انقضاء الدنيا تراباً، لا نبات فيه.

(٩) لا تنظن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف واللوح الذي كتبت فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبة وغريبة؛ فإن خلق السموات والأرض وما فيها أعجب من ذلك.

(١٠) اذكر - أيها الرسول - حين لجأ الشبان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا: ربنا أعطنا من عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَعَلَّافَ نَبِيعُ نَفْسِكَ ﴿٢﴾ عَلَيْهِمْ أَزْوَاجُهُمْ يُرْجَوْنَ مِنْهُمْ آيَاتُكَ أَنْتَ أَسْفَاهُ ﴿٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٤﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٥﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٦﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٧﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتْلَمَ أَيُّ الْجَزْبِينَ أَحْسَنُ لِمَا لَيْسُوا أَمَدًا ﴿٩﴾ ثُمَّ نَقَضْنَا عَلَيْهِمْ تَبَاهُهمْ بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فِيهِ عَمَدٌ مُمِيزَةً ﴿١٠﴾ وَرَدَّاهُمْ هَدًى ﴿١١﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٢﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٣﴾

الشر، ويسر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي نحب، فنكون راشدين غير ضالين.

(١١) فألقينا عليهم النوم العميق، فبقوا في الكهف سنين كثيرة.

(١٢) ثم أيقظناهم من نومهم؛ لنظهر للناس ما علمناه في الأزل؛ فتميّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء، وهل لبثوا يوماً أو بعض يوم، أو مدة طويلة؟

(١٣) نحن نقض عليك - أيها الرسول - خبرهم بالصدق. إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتلأوا أمره، وزدناهم هدى وثباتاً على الحق.

(١٤) وقوينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به، حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على ترك عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبد هو رب السموات والأرض، لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لَكُنَّا قد قلنا قولاً جائراً بعيداً عن الحق.

(١٥) ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا اتَّخَذُوا لهم آلهة غير الله، فهلاً أتوا على عبادتهم لها بدليل واضح، فلا أحد أشد ظلماً من اختلق على الله الكذب بنسبة الشريك إليه في عبادته.

وَلِإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِهِمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكُفَّينِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا
﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارِعًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يَضِلَّ فَلَنْ يُجْدَى لَهُ وَلَيْكَ مُرْسِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ إِتْقَانًا
وَهُمْ رُؤُودٌ وَيُقَالُ لَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكُلُّهُمْ
بَكِيسٌ ذُرَاعُهُمْ أَلَوْ صِيدُوا لَأَخْلَقَتْ عَلَيْهِمْ لَوْنِيَّتٌ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمَلِئَتْ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِئْسَاءٍ أَوْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا
بَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ يَتَرَقَّبُكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

(١٦) وحين فارقتهم قومكم بدينكم، وتركتم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله، فالجؤوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده، ييسر لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنفعون به في حياتكم من أسباب العيش.

(١٧) فلما فعلوا ذلك ألقى الله عليهم النوم وحفظهم. وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار، وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه هؤلاء الغنية من دلائل قدرة الله. من يوفقه الله للاهتمام بآياته فهو الموفق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخذلان بيد الله وحده.

(١٨) وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أبقاها، وهم في الواقع نيام، وتعهدهم بالرعاية، فتقلبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض، وكلهم

الذي صاحبهم ماؤذراعيه بفناء الكهف، لو عابثتهم لأدبرت عنهم هاربا، ولملئت نفسك منهم فزعاً.

(١٩) وكما أنماهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أبقظناهم من نومهم على هيتهم دون تغير؛ لكي يسأل بعضهم بعضاً: كم من الوقت مكثنا نائمين هنا؟ فقال بعضهم: مكثنا يوماً أو بعض يوم، وقال آخرون التبس عليهم الأمر: قوّضوا علم ذلك الله، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه، فأرسلوا أحدهم بنقودكم القضية هذه إلى مدينتنا فلينظر: أي أهل المدينة أحل وأطيب طعاماً؟ فليأتكم بقوته منه، وليلطف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف ويظهر أمرنا، ولا يعلم بكم أحداً من الناس.

(٢٠) إن قومكم إن يظلموا عليكم يجرؤكم بالحجارة، فيقتلوكم، أو يردوكم إلى دينهم، فتصيروا كفاراً، ولن تفوزوا بمطلبكم من دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبداً.

وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا مِائَةً أَلْفَ سَنَةٍ فَأَنبَأُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ لَنَنَحِدَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١٥﴾ سَيُؤْتُونَ ثَلَاثَةً رَبِّهِمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجْمًا بِالْأَعْيُنِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِسُهُمْ كُلُّهُمْ فَلْيَرَبِّ أَعْلَمُ يَعِدُّهُمْ عَامِلًا إِنَّهُمْ لَأَقِلُّوا فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٦﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ عَبْدًا ﴿١٧﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَٰذَا ارْشِدَا ﴿١٨﴾ وَلِيُتَوَّافِيَ فِيهِمُ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَا ذُورًا أُنْشَا ﴿١٩﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُسْأَلُ الْعَرْشُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرَ بِهِ وَاسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢١﴾

(٢١) وكما أنماهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبيعونهم؛ ليعلم الناس أن وعد الله بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المطَّلعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمن ثبَّت لها ومن مُنكر، فجعل الله إطلاعهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين. وبعد أن انكشف أمرهم، وماتوا قال فريق من المطَّلعين عليهم: انبؤا على باب الكهف بناءً يحجبهم، وأتركوهم وشأنهم، ربهما أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لننخذن على مكانهم مسجداً للعبادة. وقد نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتحاد قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن من فعل ذلك في آخر وصاياه لأمته، كما أنه نبى عن البناء على القبور مطلقاً، وعن تخصيصها والكتابة عليها؛ لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة من فيها.

(٢٢) سيقول بعض الخائفين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثة، رابعهم كلهم، ويقول

فريق آخر: هم خمسة، سادسهم كلهم، وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل، وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة، وثامسهم كلهم، قل -أيها الرسول-: ربي هو أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه. فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جاداً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تُقص عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك.

(٢٣، ٢٤) ولا تقولن لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غداً إلا أن تُعلّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله. واذكر ربك عند النسيان بقول: إن شاء الله، وكلمنا نسييت فاذكر الله؛ فإن ذكراً الله يذهب النسيان، وقل: عسى أن يهيني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد.

(٢٥) ومكث الشبان نياماً في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية.

(٢٦) وإذا سُئلت -أيها الرسول- عن مدة لبثهم في الكهف، وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله، فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل: الله أعلم بمدة لبثهم، له غيب السموات والأرض، أبصر به وأسمع، أي: تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء. ليس للخلق أحد غيره يتولى أمورهم، وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعه، سبحانه وتعالى.

(٢٧) وأتل -أيها الرسول- ما أوحي الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدل لكلماته لصدها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعُتْبَى
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَ قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْلَهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوِرُوا يَمَاءً كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الْشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخْرَجُونَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِفِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرْدَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَصْرَبَ
لَهُمْ مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُلَّمَا جِئْتِيَهُمَا آتَتْهُمَا لُكُومَةُ
الْعَذَابِ تَطْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لَصَاحِبِهِ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَنَا أَكْثَرُ مَنَّا مَالًا وَاعْتَزَقْنَا نَارًا ﴿٣٤﴾

(٢٨) واصبر نفسك - أيها النبي - مع أصحابك من فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعون في الصباح والمساء، يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، وأثر هواه على طاعة مولا، وصار أمره في جميع أعماله ضياعاً وهلاكاً.

(٢٩) وقل هؤلاء الغافلين: ما جئكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل، فما ظلم إلا نفسه. إنا اعتدنا للكافرين نارا شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء من شدة العطش، يؤث لهم بهاء كالزيت العكر شديد الحرارة يشوي وجوههم. قُبِحَ هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقُبِحَت النار منزلاً لهم ومقاماً. وفي هذا وعيد وتهديد شديد لمن أعرض عن الحق، فلم

يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يعمل بمقتضاها.

(٣٠) إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات هم أعظم المثوبة، إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل.

(٣١) أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائماً، تجري من تحت غرفهم ومنارهم الأنهار العذبة، يُزَيَّنُونَ فِيهَا بِأَسَاوِرَ الذَّهَبِ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليلة، يتكئون فيها على الأسيرة المزدانة بالساتر الجميلة، نَعْمَ الثَّوَابُ ثوابهم، وَحَسُنَتْ الْجَنَّةُ منزلاً ومكاناً لهم.

(٣٢) واضرب - أيها الرسول - لكفار قومك مثلاً رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأبنتنا وسطهما زروعاً مختلفة نافعة.

(٣٣) وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمراً، ولم تُنْقِصْ منه شيئاً، وشققنا بينهما نهراً ليسيقيهما بسهولة ويسر.

(٣٤) وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يجاوره في الحديث - والغرور يملؤه -: أنا أكثر منك مالاً، وأعز أنصاراً وأعواناً.

(٣٥، ٣٦) ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشك في قيام الساعة، فأعجبته ثمارها وقال: ما أعتقد أن تلك هذه الحديقة مدى الحياة، وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فُرِص وقوعها - كما تزعم أيها المؤمن - ورجعت إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعاً ومرداً؛ لكرامتي ومنزلي عنده.

(٣٧) قال له صاحبه المؤمن، وهو يحاوره واعظاً له: كيف تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة الأبوبن، ثم سَوَّكَ بشراً معتدل القامة والخلق؟ وفي هذه المحاورة دليل على أن القادر على ابتداء الخلق، قادر على إعادتهم.

(٣٨) لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: المنعم المتفضل هو الله ربي وحده، ولا أشرك في عبادتي له أحداً غيره.

(٣٩-٤١) وهلاً حين دخلت حديقتك فأعجبتك تحمدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله. إن كنت تراني

أقل منك مالاً وأولاداً، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح أرضاً ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائر في الأرض، فلا تقدر على إخراجها.

(٤٢) وتحقق ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقَلَّبُ كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني عرفت نِعَمَ الله وقدرته فلم أشرك به أحداً. وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم.

(٤٣) ولم تكن له جماعة من افتخر بهم يمنعونهم من عقاب الله النازل به، وما كان ممتنعاً بنفسه وقوته.

(٤٤) في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق، هو خير جزاء، وخير عاقبة لمن تَوَلَّاهُم من عباده المؤمنين.

(٤٥) واضرب أيها الرسول للناس - وبخاصة ذوو الكبر منهم - صفة الدنيا التي اغترُّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كما أنزل الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُحَضَّرًا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابساً متكسراً تنسفه الرياح إلى كل جهة. وكان الله على كل شيء مقتدرًا، أي: ذا قدرة عظيمة على كل شيء.

الْمَالِ وَالْأَنْفُسَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ۖ وَیَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ نُرًى
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَعَرَضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۖ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُسْتَغْفِينَ مِنْ عَذَابِهِ وَيُقُولُونَ يَبُولُونَ آمَالَ هَذَا الْكِتَابِ
لَا نُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا ۖ وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
يَسُّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۖ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذًا أَعْيُنًا
وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۖ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۖ

(٤٦) الأموال والأولاد جمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة - وبخاصة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل - أفضل أجراً عند ربك من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمله في الدنيا.

(٤٧) واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها، وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها عما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم أحداً.

(٤٨) وعرضوا جميعاً على ربك مصطفين لا يُحجب منهم أحد، لقد بعثناكم، وجمعنا إينا فرادى لا مال معكم ولا ولد، كما خلقناكم أول مرة، بل ظننتم أن لن نجعل لكم موعداً نبعثكم فيه، ونجازيكم على أعمالكم.

(٤٩) ووضع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شئاله، فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون حين يعاينونه:

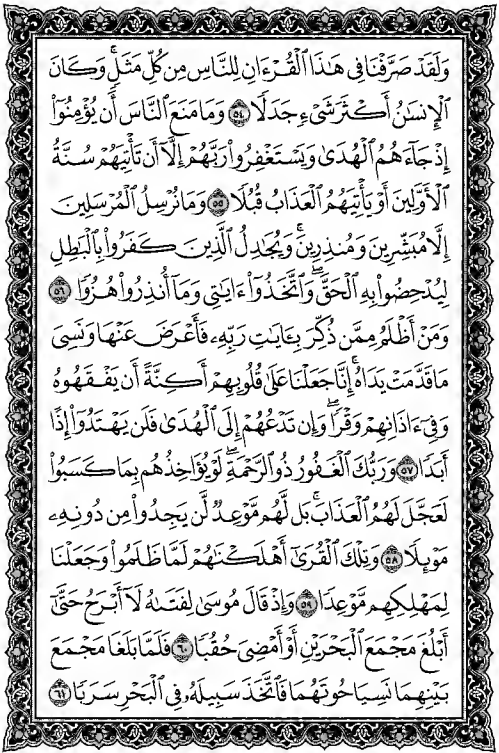
يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة من أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتناه؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبثًا. ولا يظلم ربك أحداً مثقال ذرة، فلا ينقص طاع من ثوابه، ولا يزداد عاص في عقابه.

(٥٠) واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بها أمراً به، فسجد الملائكة جميعاً، لكن إبليس الذي كان من الجن خرج عن طاعة ربه، ولم يسجد كثيراً حسداً. أفجعلونه - أيها الناس - وذريته أعواناً لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟ فَبَحِّثْ طاعة الظالمين للشيطان بدلاً عن طاعة الرحمن.

(٥١) ما أحضرت إبليس وذريته - الذين أطعتموهم - خَلَقَ السموات والأرض، فأستعين بهم على خلقها، ولا أشهدت بعضهم على خلق بعض، بل تفردت بخلق جميع ذلك، بغير معين ولا ظهير، وما كنت متخذ المضلين من الشياطين وغيرهم أعواناً. فكيف تصرفون إليهم حقي، وتتخذونهم أولياء من دوني، وأنا خالق كل شيء؟

(٥٢) واذكر لهم إذ يقول الله للمشركون يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ لينصروكم اليوم مني، فاستغاثوا بهم فلم يغثوهم، وجعلنا بين العابدین والمعبودین مهلكاً في جهنم يهلكون فيه جميعاً.

(٥٣) وشاهد المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة، ولم يجدوا عنها معدلاً للانصراف عنها إلى غيرها.



(٥٤) ولقد صَحَّحْنَا ونَوَّعْنَا في هذا القرآن للناس أنواعاً كثيرة من الأمثال، ليتعظوا بها ويؤمنوا. وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلاً.

(٥٥) وما منع الناس من الإيمان - حين جاءهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم معه القرآن -، واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم، إلا تحديهم للرسول، وطلبهم أن يصيبهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم، أو يصيبهم عذاب الله عياناً.

(٥٦) وما نبعت الرسل إلى الناس إلا ليكونوا مبشرين بالجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وخوفين بالنار لأهل الكفر والعصيان، ومع وضوح الحق بخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعتنا؛ ليزيلوا بباطلهم الحق الذي جاءهم به الرسول، واتخذوا كتابي وحججي وما خَوَّفُوا به من العذاب سخريه واستهزاء.

(٥٧) ولا أحد أشد ظلماً ممن وُعِظَ بآيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما

قَدَّمَتْه يده من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها، إِنَّا جَعَلْنَا على قلوبهم أغطية، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير، وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصمم، فلم يسمعه ولم يتففعوا به، وإن تَدْعُهُمْ إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يبتدوا إليه أبداً.

(٥٨) وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعَجَّلَ لهم العذاب، ولكنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عنه ولا محيد.

(٥٩) وتلك القرى القريبة منكم - كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب - أهلكناها حين ظلم أهلها بالكفر، وجعلنا لهلاكهم ميقاتاً وأجلاً، حين بلغوه جاءهم العذاب فأهلكهم الله به.

(٦٠) واذكر حين قال موسى لخدمته يُوشَعَ بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمناً طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

(٦١) وَجَدَا في السَّيْرِ، فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسبا حوتها الذي أمر موسى بأخذه معه قوتاً لها، وحمله يوشع في قَفَّة، فإذا الحوت يصبح حياً وينحدر في البحر، ويتخذ له فيه طريقاً مفتوحاً.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي نَادَيْتُكَ نَادِيًا مِّنْ سَفَرِنَا
هَذَا فَبِأَيِّ أَهْلٍ لَّيْتُ أَتَىٰكَ إِلَى الْصَخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَتَسْتَبِينَ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَلَقَدْ سَبِّحَهُ
فِي الْبَحْرِ نَحْبًا ۖ قَالَ ذَاكَ مَا كُنَّا نَسْتَعِيزُ فَوَزِدْنَا عَلَيْهِمَا
قَصَصًا ۖ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا إِتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا
وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ۖ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَن
تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ۖ قَالَ إِنَّا لَن نَسْتَطِيعُ مَعِيَ
صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ
فَإِن أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
ۖ فَانْطَلَقَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا أَمْرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا يَصْنَعُ الْغَالِي ۖ
تُرهِّقُنِي مِنْ أَمْرِ عَسِيرٍ ۖ فَانْطَلَقَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا لَاقِيَا غُلَامًا فَتَنَاهُ
قَالَ أَقْتُلْ نَفْسًا رَّكِبَتْ يُعَذِّبُ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا لَّكْرًا ۖ

(٦٢) فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا طعام أول النهار، لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً. (٦٣) قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت الميت دبث فيه الحياة، وففز في البحر، واتخذ له فيه طريقاً، وكان أمره مما يُعجب منه.

(٦٤) قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح، فرجعا يقصان آثار مشيها حتى انتهيا إلى الصخرة.

(٦٥) فوجدوا هناك عبداً صالحاً من عبادنا هو الخضر عليه السلام -وهو نبي من أنبياء الله توفاه الله-، أتياه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً عظيماً.

(٦٦) فسلم عليه موسى، وقال له: أتأذن لي أن أتبعك؟ لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنفع؟

(٦٧) قال له الخضر: إنك -يا موسى- لن تطيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي.

(٦٨) وكيف لك الصبر على ما سأفعله من أمور تخفى عليك مما علمنيه الله تعالى؟

(٦٩) قال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً على ما أراه منك، ولا أخالف لك أمراً تأمرني به.

(٧٠) فوافق الخضر وقال له: فإن صاحبتني فلا تسألني عن شيء تنكره، حتى أبين لك من أمره ما خفي عليك دون سؤال منك.

(٧١) فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قلع الخضر لوحاً من السفينة فخرقها، فقال له موسى: أخرقت السفينة؟ لتغرق أهلها، وقد حملونا بغير أجر؟ لقد فعلت أمراً منكراً.

(٧٢) قال له الخضر: لقد قلت من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر على صحبتي.

(٧٣) قال موسى معتذراً: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليّ، ولا تكلفني مشقة في تعلّمي منك، وعاملني ببسر ورفق.

(٧٤) فقبل الخضر عنقه، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر غلاماً يلعب مع الغلمان، فقتله الخضر، فأنكر موسى عليه وقال: كيف قتلت نفساً طاهرة لم تبلغ حد التكليف، ولم تقتل نفساً، حتى تستحق القتل بها؟ لقد فعلت أمراً منكراً عظيماً.

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصِجْ بِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿ فَأَنْظِرْ أَخِي إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْطَعِمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيَّبُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ آجْرًا ﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿ وَأَمَّا الْكُلْبُ فَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرُوهَا فَطَغَيْنَا وَكَفَرْنَا ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا عَلَّمْتَهُ وَعَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْيَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿

(٧٥) قال الخضر لموسى معاتباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً على ما ترى من أفعالي مما لم تحط به خبراً؟

(٧٦) قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغت العذر في شأني ولم تقصر؛ حيث أخبرتني أني لن أستطيع معك صبراً.

(٧٧) فسار موسى والخضر حتى أتيا أهل قرية، فطلبنا منهم طعاماً على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتها، فوجدا فيها حائطاً مائلاً يوشك أن يسقط، فعدل الخضر مثله حتى صار مستوياً، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجراً نصرفه في تحصيل طعامنا؛ حيث لم يضيفونا.

(٧٨) قال الخضر لموسى: هذا وقت الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرت علي من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبراً على ترك السؤال عنها والإنكار علي فيها.

(٧٩) أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت

لأناس محتاجين - لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم - يعملون في البحر عليها سعياً وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكاً يأخذ كل سفينة صالحة غصباً من أصحابها.

(٨٠) وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافراً، وكان أبوه وأمه مؤمنين، فخشنا لو بقي الغلام حياً لحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتها إياه أو للحاجة إليه.

(٨١) فأردنا أن يبدل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحاً وديناً وبراً بهما.

(٨٢) وأما الحائط الذي عدلت مثله حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحتهم كنز لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلاً صالحاً، فأراد ربك أن يكبرا ويبلغا قوتها، ويستخرجا كنزهما راحة من ربك بهما، وما فعلت ياموسى جميع الذي رأيتني فعلته عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، ذلك الذي بينت لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبراً على ترك السؤال عنها والإنكار علي فيها.

(٨٣) ويسألك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح، قل لهم: سأقص عليكم منه ذكراً تذكرونه، وتعتبرون به.

إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلُتَابًا الَّذِينَ يَقُولُونَ آمَنَّا أَنْ نُعْذِيبَهُمْ وَإِنَّا لَنَنَحِّضَنَّ فِيهِمْ حَسَبًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ وَنُؤَيِّدُ إِلَىٰ رَبِّهِه فَعَذِّبُهُ وَنُعَذِّبُكَ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرَرُ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبَبًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَ إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكِّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَأَتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَازَ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَنْظُرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

(٨٤) إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَسْبَابًا وَطَرَقًا، يتوصل بها إلى ما يريد من فَتْحِ المَدَائِنِ وَفُحْرِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٨٥) فَأَخَذَ بِنَتْلِكَ الْأَسْبَابِ وَالطَّرِيقِ بَجِدٍ وَاجْتِهَادٍ.

(٨٦) حَتَّىٰ إِذَا وَصَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا فِي مَرَأَى الْعَيْنِ كَأَنَّمَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَارَةٍ ذَاتِ طِينٍ أَسْوَدَ، وَوَجَدَ عِنْدَ مَغْرِبِهَا قَوْمًا. قُلْنَا: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَهُم بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ إِنْ لَمْ يَقْرَأُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْ تَحْسِنَ إِلَيْهِمْ فَتَعْلَمَهُم الْهُدَى وَتَبْصِرَهُم الرِّشَادَ.

(٨٧) قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ فَكَفَرُ بِهِ، فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا عَظِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِرَبِّهِ فَصَدَّقَ بِهِ وَوَحَّدَهُ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ فَلَهُ الْجَنَّةُ ثَوَابًا مِنَ اللَّهِ، وَنَحْسِنُ إِلَيْهِ، وَنُثْلِنُ لَهُ فِي الْقَوْلِ وَنُبَيِّرُ لَهُ الْمَعَامِلَةَ.

(٨٩) ثُمَّ رَجَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى الْمَشْرِقِ مُتَبِعًا الْأَسْبَابِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا.

(٩٠) حَتَّىٰ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يَسْتُرُهُمْ، وَلَا شَجَرٌ يَظْلُمُهُم مِنَ الشَّمْسِ.

(٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَاطَ عَلْمُنَا بِهَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ، حَيْثُمَا تَوَجَّهَ وَسَارَ.

(٩٢) ثُمَّ سَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَخَذًا بِالطَّرِيقِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي مَنَحْنَاهَا إِيَّاهُ.

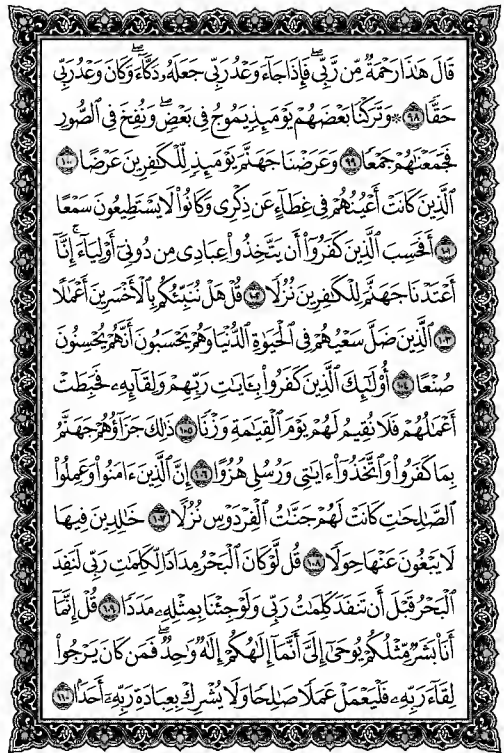
(٩٣) حَتَّىٰ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْحَاجِزَيْنِ لِمَا وَرَاءَهُمَا، وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَعْرِفُونَ كَلَامَ غَيْرِهِمْ.

(٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ: إِنَّمَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ -وَهُمَا أَثَمَانُ عَظِيمَتَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ- مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِإِهْلَاكِ الْحَرِثِ وَالنَّسْلِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ أَجْرًا، وَنَجْمَعُ لَكَ مَالًا، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

(٩٥) قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: مَا أَعْطَانِي رَبِّي مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّمَكُّينِ خَيْرٌ لِي مِنْ مَالِكُمْ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا.

(٩٦) أَعْطُونِي قِطْعَ الْحَدِيدِ، حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوا بِهِ وَوَضَعُوهُ وَحَادُوا بِهِ جَانِبِي الْجَبَلَيْنِ، قَالَ لِلْعَمَالِ: أَجْبُوا النَّارَ، حَتَّىٰ إِذَا صَارَ الْحَدِيدُ كُلُّهُ نَارًا، قَالَ: أَعْطُونِي نَحَاسًا أَفْرِغُهُ عَلَيْهِ.

(٩٧) فَمَا اسْتَطَاعَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَنْ تَتَّعِدَ فَوْقَ السَّدِّ؛ لِارْتِفَاعِهِ وَمَلَأَسْتِهِ، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْقُبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لِبَعْدِ عَرْضِهِ وَقُوَّتِهِ.



(٩٨) قال ذو القرنين: هذا الذي بنيت حاجزا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهذما مستويا بالأرض، وكان وعد ربي حقا.

(٩٩) وتركنا يأجوج ومأجوج -يوم بأنهم وعدنا- يموج بعضهم في بعض مختلطين؛ لكثرتهم، ونفخ في «القرن» للبعث، فجعلنا الخلق جميعا للحساب والجزاء.

(١٠٠) وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزنا لها لهم لنريهم سوء عاقبتهم.

(١٠١) الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن ذكري فلا تبصر آياتي، وكانوا لا يطيقون سماع حججي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي.

(١٠٢) أظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري، ليكونوا أولياء لهم؟ إنا أعدنا نار جهنم للكافرين منزلا.

(١٠٣) قل -أيها الرسول- للناس محذرا: هل تُخبركم بأخسر الناس أعمالا؟

(١٠٤) إنهم الذين ضلّ عملهم في الحياة الدنيا -وهم مشركو قومك وغيرهم ممن ضلّ سواء السبيل، فلم يكن على هدى ولا صواب- وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم.

(١٠٥) أولئك الأخسرون أعمالا، هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذبوا بها، وأنكروا لقاء يوم القيامة، فبطلت أعمالهم؛ بسبب كفرهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة قدرا.

(١٠٦) ذلك الجزء المعدّ لهم لحبوط أعمالهم هو نار جهنم؛ بسبب كفرهم بالله واتخاذهم آياته وحجج رسله استهزاء وسخرية.

(١٠٧) إن الذين آمنوا بي، وصدّقوا رسلِي، وعملوا الصالحات، لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلا.

(١٠٨) خالدين فيها أبدا، لا يريدون عنها تحولا؛ لرغبتهم فيها وحبهم لها.

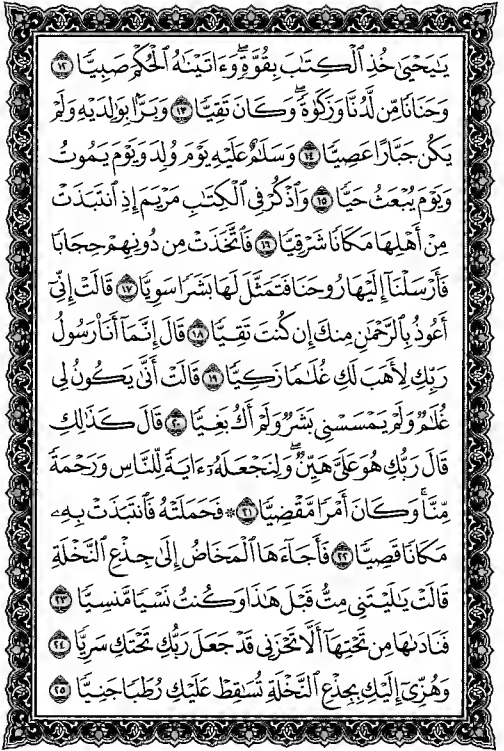
(١٠٩) قل -أيها الرسول-: لو كان ماء البحر حبرا للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحُكْمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله، لنفد ماء البحر قبل أن تنفذ كلمات الله، ولو جئنا بمثل البحر بحارا أخرى مددا له. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله -تعالى- حقيقة كما يليق بجلاله وكَماله.

(١١٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إنا أنا بشر مثلكم يوحى إليّ من ربي أنْما إلهكم إله واحد، فمن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملا صالحا لربه موافقا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدا غيره.

﴿سورة مريم﴾

- (١) ﴿كَمْ هِمْصٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا، سنقصه عليك، فإن في ذلك عبرة للمعتبرين.
- (٣) إذ دعا ربه سرا؛ ليكون أكمل وأنم إخلاصاً لله، وأرجى للإجابة.
- (٤) قال: رب إني كبرت، وضعف عظمي، وانتشر الشيب في رأسي، ولم أكن من قبل محروماً من إجابة الدعاء.
- (٥) وإني خفت أقاربي وعصيتي من بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حتى القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وكانت زوجتي عاقراً لا تلد، فارزقني من عندك ولداً وارثاً ومعيناً.
- (٦) يرث نبوتي ونسوة آل يعقوب، واجعل هذا الولد مرضياً منك ومن عبادك.
- (٧) يا زكريا إنا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلاماً اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم.

- (٨) قال زكريا متعجباً: رب كيف يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقراً لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟
- (٩) قال الملك مجيباً زكريا عمّاً تعجب منه: هكذا الأمر كما تقول من كون امرأتك عاقراً، وبلوغك من الكبر عتياً، ولكن ربك قال: خلقت يحيى على هذه الكيفية أمر سهل هيّن عليّ، ثم ذكر الله سبحانه لزكريا ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: وقد خلقتك أنت من قبل يحيى، ولم تك شيئاً مذكوراً ولا موجوداً.
- (١٠) قال زكريا زيادة في اطمئنانه: رب اجعل لي علامة على تحقق ما نبشّرتني به الملائكة، قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معاف.
- (١١) فخرج زكريا على قومه من مصلاه، وهو المكان الذي نبشّر فيه بالولد، فأشار إليهم: أن سبّحوا الله صباحاً ومساءً شكرًا له تعالى.



(١٢) فلما وُلِدَ يحيى، وبلغ مبلغاً يفهم فيه الخطاب، أمره الله أن يأخذ التوراة بجِدٍّ واجتهاد بقوله: يا يحيى خذ التوراة بجِدٍّ واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها، وأعطيناها الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن.

(١٣) وآتيناه رحمة ومحبة من عندنا وطهارة من الذنوب، وكان خائفاً مطيعاً لله تعالى، مؤدياً فرائضه، مجتنباً محارمه.

(١٤) وكان باراً بوالديه مطيعاً لهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصياً لربه، ولا لوالديه.

(١٥) وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم وُلِدَ، ويوم يموت، ويوم يُبعث من قبره حياً.

(١٦) واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم إذ تابعت عن أهلها، فاتخذت لها مكاناً مما يلي الشرق عنهم.

(١٧) فجعلت من دون أهلها سترأ يسترها عنهم وعن الناس، فأرسلنا إليها الملك جبريل، فتمثل لها في صورة إنسان تام الخلق.

(١٨) قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقي الله.

(١٩) قال لها الملك: إني أنا رسول ربك بعثني إليك؛ لأهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب.

(٢٠) قالت مريم للملك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسنني بشر بنكاح حلال، ولم أك زانية؟

(٢١) قال لها الملك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسنك بشر، ولم تكوني بغيّاً، ولكن ربك قال: الأمر عليّ سهل؛ وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى، ورحمة منّا به وبوالدته وبالناس، وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقاً مقدراً، مسطوراً في اللوح المحفوظ، فلا بد من نفوذه.

(٢٢) فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فوقع الحمل بسبب ذلك، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس.

(٢٣) فالجأها طلق الحمل إلى جذع النخلة فقالت: باليتني متٌ قبل هذا اليوم، وكنت شيناً لا يُعرف، ولا يُذكر، ولا يُذكرى من أنا؟

(٢٤) فنادها جبريل أو عيسى: أن لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جُذول ماء.

(٢٥) وحرّكي جذع النخلة تساقط عليك رطباً غصّاً جني من ساعته.

فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْمَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ لِنِسَاءٍ ۝ فَأَنْتَ
بِهِمْ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُنَّ قَالُوا لِمَ تَمَرِّمِينَ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۝
يَا أَخْتُ هَؤُلَاءِ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كُنْتَ
أُمًّا بَغِيًّا ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَأَدَامْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا سَفِيًّا ۝ وَأَسْلَمْتُ عَلَى قَوْمٍ وَلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُعْرَضُ حَيًّا ۝ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ تَشْهيدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝

(٢٦) فكلي من الرطب، واشربي من الماء وطيسي نفساً بالمولود، فإن رأيت من الناس أحداً فسألك عن أمرك فقولي له: إني أوجبتُ على نفسي لله سكوتاً، فلن أكلّم اليوم أحداً من الناس. والسكوت كان تعبدًا في شرعهم، دون شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢٧) فأنت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد، فلما راوها كذلك قالوا لها: يا مريم لقد جئتِ أمراً عظيماً مفترى.

(٢٨) يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البغاء.

(٢٩) فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه، فقالوا منكبرين عليها: كيف نكلم من لا يزال في مهده طفلاً رضيعاً؟

(٣٠) قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله، قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبياً.

(٣١) وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حياً.

(٣٢) وجعلني باراً بوالدتي، ولم يجعلني متكبراً، ولا شقياً عاصياً لربي.

(٣٣) والسلامة والأمان عليّ من الله يوم ولِدْتُ، ويوم أَمُوتُ، ويوم أُبْعَثُ حياً يوم القيامة.

(٣٤) ذلك الذي قصصنا عليك -أيها الرسول- صفته وخبره هو عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، حال كونه قول الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى.

(٣٥) ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ من عباده وخلقه ولداً، تنزه وتقدس عن ذلك، إذا قضى أمراً من الأمور وأراده، صغيراً أو كبيراً، لم يتمتع عليه، وإنما يقول له: «كن»، فيكون كما شاء وأراد.

(٣٦) وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

(٣٧) فاختلعت الفرق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم غالٍ فيه وهم النصارى، منهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة -تعالى الله عما يقولون-، ومنهم جاف عنه وهم اليهود، قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف التجار، فهلاك للذين كفروا من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

(٣٨) ما أشدَّ سمعهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يُقَدِّمُونَ على الله، حين لا ينفعهم ذلك!! لكن الظالمون اليوم في هذه الدنيا في ذهابٍ بيِّنٍ عن الحق.

(٣٩) وأُذِرْ -أيها الرسول- الناس يوم الندامة حين يُقضى الأمر، ويُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيُذبح، ويُفصل بين الخلق، فيصير أهل الإيمان إلى الجنة، وأهل الكفر إلى النار، وهم اليوم في هذه الدنيا في غفلة عما أُذنروا به، فهم لا يصدقون، ولا يعملون العمل الصالح.

(٤٠) إنا نحن الوارثون للأرض ومن عليها
بفنائهم وبقاتنا بعدهم وحُكْمنا فيهم، وإلينا
مَصيرهم وحسابهم، فنجازيهم على أعمالهم.

(٤١) واذكر -أيها الرسول- لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم -عليه السلام- إنه كان عظيم الصدق، ومن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة.

(٤٢) إذ قال لأبيه آزر: يا أبت لأي شيء تعبد
من الأصنام ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يدفع
عنك شيئاً من دون الله؟

(٤٣) يا أبت، إن الله أعطاني من العلم ما لم يعطك، فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضل فيه.

(٤٤) يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام؛ إن الشيطان كان للرحمن مخالفاً مستكبراً عن طاعة الله.

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسَةِ فَإِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُرِفَ عَقْلُهُ وَهُمْ لَا يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا نَرْجِعُونَهَا ﴿١١﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٤﴾ يَتَّبِعْ الشَّيْطَانُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٥﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي خَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ عِزِّ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٨﴾ وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى الْأَنْكُرُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَتَتْهُمْ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٢٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢١﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٢٢﴾

(٤٥) يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك، فيمسك عذاب من الرحمن، فتكون للشيطان قريناً في النار.

(٤٦) قال أبو إبراهيم لابنه: أعرض أنت عن عبادة آتني يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سبِّها لأقتلنك رمياً بالحجارة، وأذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زماناً طويلاً من الدهر.

(٤٧) قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة. إن ربي كان رحيماً رؤوفاً بحالي يجيبني إذا دعوته.

(٤٨) وأفارقكم وأهتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعوري مخلصاً، عسى أن لا أشقى بدعاء ربى، فلا يعطينى ما أسأله.

(٤٩) فلما فارقه وأهتهم التي، بعدونها من دون الله رزقناه من الوالد: إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، وجعلناهما نسباً.

(٥٠) ووهبنا لهم جميعاً من رحمتنا فضلاً لا يحصى، وجعلنا لهم ذكراً حسناً، وثناءً جليلاً باقياً في الناس.

(٥١) واذكر -أيها الرسول- في القرآن قصة موسى -عليه السلام- إنه كان مصطفى مختاراً، وكان رسولاً نبياً من أولي العزم من الرسل.

وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيتًا ۖ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ ۖ إِذْ تَنَزَّلَ عَلَىٰ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ إِنَّا كُنَّا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مُرْضِيًّا عَنْهُ ۖ وَادْكُرْ - أَيْهَا الرُّسُولُ - فِي هَذَا الْقُرْآنِ خَيْرَ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۖ إِنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الصَّدَقِ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ ۖ نَبِيًّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ ۖ وَرَفَعْنَا ذِكْرَهُ فِي الْعَالَمِينَ ۖ وَمَنْزَلْتَهُ بَيْنَ الْمَقَرِّينَ ۖ فَكَانَ عَلَى الذِّكْرِ ۖ عَالِي الْمَنْزِلَةِ ۖ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ خَيْرَهُمْ أَيْهَا الرُّسُولُ ۖ هُمَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ وَتُوفِيقِهِ ۖ فَجَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَةِ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَةِ يَعْقُوبَ ۖ وَمَنْ هَدَيْنَا لِلإِبْرَائِيلِ وَأَصْفَيْنَا لِلرَّسَالَةِ وَالنَّبُوءَةِ ۖ إِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ الْمُتَمَثِّلَةِ لِتَوْحِيدِهِ وَحُجَّتِهِ خَرُّوا سَاجِدِينَ لِلَّهِ خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً ۖ وَبَكَوْا مِنْ خَشْيَتِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ۖ فَآتَى مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَتْبَاعَ سُوءٍ تَرَكَوا الصَّلَاةَ كُلَّهَا ۖ أَوْ فُتِنُوا وَقَتُّهَا ۖ أَوْ تَرَكَوا أَرْكَانَهَا وَاجِبَاتَهَا ۖ وَاتَّبَعُوا مَا يُوَافِقُ شَهْوَاهِمَ وَيَلْتَظِتُّهَا ۖ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ سُوءَ شَرًّا وَضَلَالًا وَخِيبَةً فِي جَهَنَّمَ ۖ لَكِنْ مَنِ تَابَ مِنْهُمْ مِنْ ذَنْبِهِ وَأَمِنَ بِرَبِّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا تَصْدِيقًا لَتَوْبَتِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ ۖ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يُنْقَصُونَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ ۖ جَنَاتٌ تُحْدِلُ وَإِقَامَةٌ دَائِمَةٌ ۖ وَهِيَ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِهَا عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ فَأَمَّاؤُهَا وَلَمْ يَرَوْهَا ۖ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ بِهِذِهِ الْجَنَّةَ آتٍ لَا مَحَالَةَ ۖ لَا يَسْمَعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا كَلَامًا بَاطِلًا ۖ لَكِنْ يَسْمَعُونَ سَلَامًا نَحِيَةً لَهُمْ ۖ وَهُمْ رَزَقُهُمْ فِيهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ دَائِمًا ۖ كَلِمًا شَاوُوا وَصَبَاحًا وَمَسَاءً ۖ فَهُوَ غَيْرُ مَحْصُورٍ وَلَا مَحْدَدٍ ۖ تِلْكَ الْجَنَّةُ الْمُوصُوفَةُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ۖ هِيَ الَّتِي نَوْرُثُهَا وَنُعْطِيهَا عِبَادَنَا الْمُتَّقِينَ لَنَا ۖ بِأَمْتَالٍ أَوْ أَمْرًا وَاجْتِنَابِ نَوَاهِينَا ۖ (٦٤) وَقُلْ - يَا جِبْرِيلُ - لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ۖ وَمَا نَنْزِلُ - نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ - مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَنَا ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِمَّا يَسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ۖ وَمَا خَلَفْنَا مِمَّا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَمَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ فَلَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ۖ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَاسِيًا لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ۖ

(٥٢) وناديناهم من جاني الطور الأيمن وقربناه نجية ۖ وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ۖ وادكر في الكتاب اسماعيل ۖ إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ۖ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ۖ وادكر في الكتاب إدريس ۖ إنه كان صديقا نبيا ۖ ورفعناه مكانا عليا ۖ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ۖ ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل ومن هدينا واسبين ۖ إذ تنزل على عيسى ابن مريم ۖ إنا كنا نبيا ۖ وكان رسولا نبيا ۖ وكان يأمر أهله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ۖ وكان عند ربه عز وجل مرضيا عنه ۖ وادكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خير إدريس عليه السلام ۖ إنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله ۖ نبيا يوحى إليه ۖ ورفعنا ذكره في العالمين ۖ ومنزلته بين المقربين ۖ فكان على الذكر ۖ عالي المنزلة ۖ هؤلاء الذين قصصت عليك خيرهم أيها الرسول ۖ هم الذين أنعم الله عليهم بفضلِهِ وتوفيقِهِ ۖ فجعلهم أنبياء من ذرية آدم ۖ ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة ۖ ومن ذرية إبراهيم ۖ ومن ذرية يعقوب ۖ ومن هدينا للإبراهيم واصطفينا للرسل والنبوّة ۖ إذا تنزل عليهم آيات الرحمن المتضمنة لتوحيدِهِ وحججِهِ خروا ساجدين لله خضوعاً واستكانة ۖ وبكوا من خشية سبْحانه وتعالى ۖ

(٥٩) فأتى من بعد هؤلاء المنعم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها ۖ أو فتنوا وقتها ۖ أو تركوا أركانها وواجباتها ۖ واتبعوا ما يوافق شهواتهم ويلتظت بها ۖ فسوف يلقون شرّاً وضلالاً وخيبة في جهنم ۖ لكن من تاب منهم من ذنبه وآمن بربه وعمل صالحاً تصديقاً لتوبته ۖ فأولئك يقبل الله توبتهم ۖ ويدخلون الجنة المؤمنين ۖ ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم الصالحة ۖ جنات تحلّل وإقامة دائمة ۖ وهي التي وعد الرحمن بها عبياده بالغيب فأماؤها ولم يروها ۖ إن وعد الله لعباده بهذه الجنة آتٍ لا محالة ۖ

(٦٢) لا يسمع أهل الجنة فيها كلاماً باطلاً ۖ لكن يسمعون سلاماً نحية لهم ۖ وهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائماً ۖ كلمة شأوا وصباحاً ومساءً ۖ فهو غير محصور ولا محدّد ۖ تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات ۖ هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا ۖ بامتثال أوامرنا واجتناب نواهيها ۖ (٦٤) وقُلْ - يا جبريل - لمحمد صلى الله عليه وسلم ۖ وما ننزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا ۖ له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة ۖ وما خلفنا مما مضى من الدنيا ۖ وما بين الدنيا والآخرة ۖ فله الأمر كله في الزمان والمكان ۖ وما كان ربك ناسياً لشيء من الأشياء ۖ

(٦٢) لا يسمع أهل الجنة فيها كلاماً باطلاً ۖ لكن يسمعون سلاماً نحية لهم ۖ وهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائماً ۖ كلمة شأوا وصباحاً ومساءً ۖ فهو غير محصور ولا محدّد ۖ تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات ۖ هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا ۖ بامتثال أوامرنا واجتناب نواهيها ۖ (٦٤) وقُلْ - يا جبريل - لمحمد صلى الله عليه وسلم ۖ وما ننزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا ۖ له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة ۖ وما خلفنا مما مضى من الدنيا ۖ وما بين الدنيا والآخرة ۖ فله الأمر كله في الزمان والمكان ۖ وما كان ربك ناسياً لشيء من الأشياء ۖ

(٦٣) تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات ۖ هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا ۖ بامتثال أوامرنا واجتناب نواهيها ۖ (٦٤) وقُلْ - يا جبريل - لمحمد صلى الله عليه وسلم ۖ وما ننزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا ۖ له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة ۖ وما خلفنا مما مضى من الدنيا ۖ وما بين الدنيا والآخرة ۖ فله الأمر كله في الزمان والمكان ۖ وما كان ربك ناسياً لشيء من الأشياء ۖ

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعَذَابِهِ ۚ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۚ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ
أُخْرَجَ حَيًّا ۖ وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ۖ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ۖ ثُمَّ
لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۖ ثُمَّ لَنُعَلِّمُ بِالْأَلْيَنِ
هُمْ أَوَّلَ الْيَاسِينِ ۖ وَإِنْ تُكَذِّبُوا لَا نَبْرَأُ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ
حَتَّىٰ تَقْضِيَّاهُ ۖ ثُمَّ تَخْرُجُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ۖ وَإِذْ أَنْشَأَ عَلَيْهِمُ الْبَنِينَ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَآخَسُ يَدِيًّا ۖ
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَخْسَرُ أَثْنًا وَرِيعًا ۖ
قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَسْتَدِ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۖ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
وَالْبَلِيَّةُ أَتَتْ لِحَافٍ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۖ

(٦٥) فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره، فاعبده وحده - أيها النبي - واصبر على طاعته أنت ومن تبعك، ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

(٦٦) ويقول الإنسان الكافر منكراً للبعث بعد الموت: إذا ما مئتُ وفئتُ لسوف أخرج من قبري حياً؟!

(٦٧) كيف نسي هذا الإنسان الكافر نفسه؟ أولاً يذكرنا أننا خلقناه أول مرة، ولم يك شيئاً موجوداً؟

(٦٨) فوريك - أيها الرسول - لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين، ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رؤسهم؛ لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرُونَ على القيام.

(٦٩) ثم لناخذن من كل طائفة أشدهم تمرداً وعصياناً لله، فنبدأ بعذابهم.

(٧٠) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بدخول النار ومقاساة حرها.

(٧١) وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن

جهنم، كل بحسب عمله، كان ذلك أمراً محتملاً، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة. (٧٢) ثم لننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته، وترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رؤسهم.

(٧٣) وإذا تسلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أي الفريقين منا ومنكم أفضل منزلاً وأحسن مجلساً؟

(٧٤) وكثيراً أهلكنا قبل كفار قومك - أيها الرسول - من الأمم كانوا أحسن متاعاً منهم وأجل منظرًا.

(٧٥) قل - أيها الرسول - لهم: من كان ضالاً عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويميل له في ضلاله، حتى إذا رأى - يقيناً - ما توعد الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم - حينئذ - من هو شر مكاناً ومستقراً، وأضعف قوة وجنداً.

(٧٦) ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بها يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها. والأعمال الباقيات الصالحات خير ثواباً عند الله في الآخرة، وخير مرجعاً وعاقبة.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
 ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَزَّلْنَاهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً
 لِيَكُونَ لَهُمْ عَزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ نَرَأِنَا أَنزَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوَهُُّهُمْ أَمْ أَنَا بَعْدَ عَلِيمٍ مُنْتَمِعٌ ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا
 يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٤﴾ وَتَسْأَلُ الْمُتَجَرِّبِينَ
 إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴿٨٥﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٧﴾ لَقَدْ
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
 وَتَنْسَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٨٩﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
 ﴿٩٠﴾ وَمَا يَتَّبِعُ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩١﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عَبْدٌ ﴿٩٢﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٣﴾ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْفَيْصَةِ فَرْدًا ﴿٩٤﴾

(٧٧) أَعْلِمْتُ - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؟ إذ كفر بآيات الله وكذب بها وقال: لأعطين في الآخرة أموالاً وأولاداً.

(٧٨) أَطَّلَعَ الغيب، فرأى أن له مالاً وولداً، أم له عند الله عهد بذلك؟

(٧٩) ليس الأمر كما يزعم ذلك الكافر، فلا علم له ولا عهد عنده، سنكتب ما يقول من كذب وافتراء على الله، ونزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، كما ازداد من العي والضلال. (٨٠) ونزله ماله وولده، وبآيتين يوم القيامة فرداً وحده، لا مال معه ولا ولد.

(٨١) واتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتنصرهم، ويعتروا بها.

(٨٢) ليس الأمر كما يزعمون، لن تكون لهم الآلهة عزاً، بل سنكفر هذه الآلهة في الآخرة بعبادتهم لها، وتكون عليهم أعواناً في خصومتهم وتكذيبهم بخلاف ما ظنوه فيها.

(٨٣) ألم تر - أيها الرسول - أننا سلطنا الشياطين على الكافرين بالله ورسله؛ لتغويهم، وتدفعهم عن الطاعة إلى المعصية؟

(٨٤) فلا تستعجل - أيها الرسول - بطلب

العذاب على هؤلاء الكافرين، إنما نحصى أعمارهم وأعمالهم إحصاء لا تفريط فيه ولا تأخير.

(٨٥، ٨٦) يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفوداً مكرمين. ونسوق الكافرين بالله سوقاً شديداً إلى النار مشاة عطاشاً.

(٨٧) لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد، إنما يملكها من اتخذ عند الرحمن عهداً بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله.

(٨٨) وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولداً.

(٨٩) لقد جئتم - أيها القائلون - بهذه المقالة شيئاً عظيماً منكراً.

(٩٠، ٩١) تكاد السموات يتشققن من فطاعة ذلكن القول، وتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطاً شديداً غضباً لله لينشيتهم إليه الولد. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٩٢) وما يصلح للرحمن، ولا يليق بعظمته، أن يتخذ ولداً؛ لأن اتخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، والله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقص.

(٩٣) ما كل من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الإنس والجن، إلا سيأتي ربه يوم القيامة عبداً ذليلاً خاضعاً موقراً له بالعبودية.

(٩٤) لقد أحصى الله سبحانه وتعالى خلقه كلهم، وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم.

(٩٥) وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه.

(٩٦) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رِسْلَهُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَفَرَّقَ شَرَعَهُ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ مَخْرَجًا وَمَوَدَّةً فِي قُلُوبِهِمْ.

(٩٧) فَإِنَّا يَسِّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِبَلْسَانَكَ الْعَرَبِيِّ أَيُّهَا الرُّسُولُ؛ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ أَتْبَاعِكَ، وَتُخَوِّفَ بِهِ الْمَكِيدِينَ شَدِيدِي الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ.

(٩٨) وَكَثِيرًا أَهْلَكْنَا - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ قَبْلَ قَوْمِكَ، مَا تَرَى مِنْهُمْ أَحَدًا وَمَا تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا، فَكَذَلِكَ الْكَفَّارُ مِنْ قَوْمِكَ، نَهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا السَّابِقِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ بِإِهْلَاكِ الْمَكِيدِينَ الْمَعَانِدِينَ.

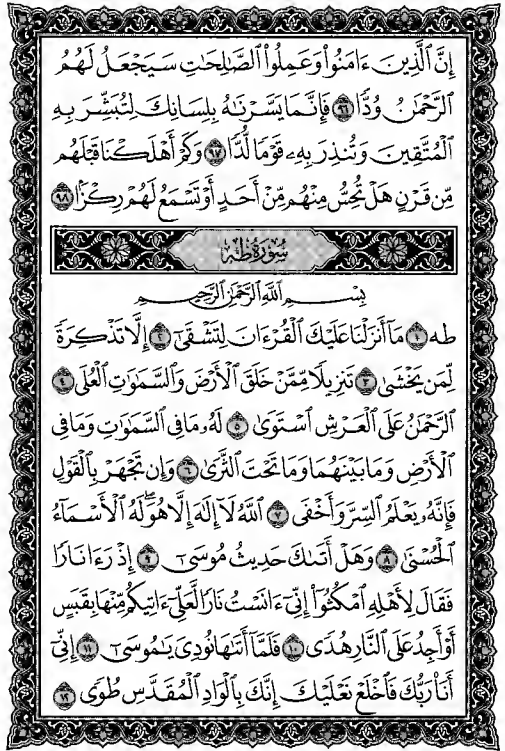
﴿سورة طه﴾

(١) ﴿طه﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) ما أنزلنا عليك - أَيُّهَا الرُّسُولُ - القرآن؛ لِنَشْقِي بِهَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ.

(٣) لَكِنْ أَنْزَلْنَاهُ مَوْعِظَةً؛ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ مَنْ يَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ، فَيَتَّقِيهِ بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ.

(٤) هَذَا الْقُرْآنُ نَزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى.



(٥) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، أَيُّ: عَلَا وَارْتَفَعَ، اسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

(٦) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ، خَلْقًا وَمُلْكًا وَتَدْبِيرًا.

(٧) وَإِنْ تَجْهَرُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - بِالْقَوْلِ، فَتَعْلَنُهُ أَوْ تَخْفَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السَّرِّ مَا تَخْذُلُ بِهِ نَفْسَكَ.

(٨) اللَّهُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ يَحِقُّ إِلَّا هُوَ، لَهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْكَامِلَةُ فِي الْحُسْنِ.

(٩) وَهَلْ أَتَاكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - خَبَرُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ قَادِمٌ مِنْ «مَدْيَنَ» إِلَى «مِصْرَ»؟

(١٠) حِينَ رَأَى فِي اللَّيْلِ نَارًا مَوْقُودَةً فَقَالَ لِأَهْلِهِ: انْتَظِرُوا لَقَدْ أَبْصَرْتُ نَارًا، لَعَلِّي أَجِيْتُكُمْ مِنْهَا بِشَعْلَةٍ تَسْتَدْفِتُونَهَا، وَتَوَقَّدُونَ بِهَا نَارًا أُخْرَى، أَوْ أَجِدُ عَنْدهَا هَادِيًا يَدُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ.

(١١، ١٢) فَلَمَّا أَتَى مُوسَى تِلْكَ النَّارَ نَادَاهُ اللَّهُ: يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ، إِنَّكَ الْآنَ بَوَادِي «طُوًى» الَّذِي بَارَكْتَهُ، وَذَلِكَ اسْتِعْدَادًا لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ.

وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِلَّذِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا ضُدَّتْكَ عَنْهَا مَنَ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا نَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ خِطَّةٌ تُسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعَوْهُمْ هَاسِرِينَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيضَةً مِنَ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرْيَاكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٥﴾ وَاحْلُ غُمَّةً مِنْ بَيْنِ أَيْدِيَّ وَخَلْفِي أَتَوَلَّى وَجْهَكَ الْكِبَى ﴿٢٦﴾ وَاجْعَلْ لِي زِينَةً مِنْ أَمْرِئِكَ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٧﴾ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ دِينًا مِنْي وَأَشْرُكَ فِي أَمْرِي ﴿٢٨﴾ كُنْ سَيِّدًا لِي وَنَذِيرًا ﴿٢٩﴾ وَنَذِيرًا كَثِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣١﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٣﴾

(١٣) وإني اخترتك يا موسى لرسلتي، فاستمع لما يوحى إليك مني.

(١٤) إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي، فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها.

(١٥) إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين؟ لكي تجزي كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

(١٦) فلا يصر فئك - يا موسى - عن الإيثار بها والاستعداد لها من لا يصدق بوقوعها ولا يعمل لها، واتبع هوى نفسه، فكذب بها، فهلك.

(١٧) وما هذه التي في يمينك يا موسى؟

(١٨) قال موسى: هي عصاي أعتمد عليها في المشي، وأهش بها الشجر؛ لترعى غنمي ما يتساقط من ورقة، ولي فيها منافع أخرى.

(١٩) قال الله لموسى: ألق عصاك.

(٢٠) فألقاها موسى على الأرض، فانقلبت بإذن الله حية تسمى، فرأى موسى أمراً عظيماً وولى هارباً.

(٢١، ٢٢) قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تخف منها، سوف نعيدها عصاً كما كانت في حالتها الأولى. واضمم يدك إلى جنبك تحت العَصْد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص؛ لتكون لك علامة أخرى.

(٢٣) فعلنا ذلك؛ لكي نريك - يا موسى - من أدلتنا الكبرى ما يدل على قدرتنا، وعظيم سلطتنا، وصحة رسالتك.

(٢٤) اذهب - يا موسى - إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته.

(٢٥-٣٥) قال موسى: رب وسّع لي صدري، وسهّل لي أمري، وأطلق لساني بفضيح المنطق؛ ليفهموا كلامي. واجعل لي معيناً من أهلي، هارون أخي. قوّي به وشدّ به ظهري، وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة؛ كي تنزهك بالتسبيح كثيراً، ونذكرك كثيراً فنحمدك. إنك كنت بنا بصيراً، لا يخفى عليك شيء من أفعالنا.

(٣٦) قال الله: قد أعطيتك كل ما سألت يا موسى.

(٣٧) ولقد أنعمنا عليك - يا موسى - قبل هذه النعمة نعمة أخرى، حين كنت رضيعاً، فأنجيناك من بطش فرعون.

(٣٨، ٣٩) وذلك حين ألهمنا أمك: أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطحريه في النيل، فسوف يلقيه النيل على الساحل، فيأخذه فرعون عدوي وعدوه. وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوباً بين العباد، ولتربّي على عيني وفي حفظي. وفي الآية إثبات صفة العين لله - سبحانه وتعالى - كما يليق بجلاله وكهاله.

(٤٠) ومنّا عليك حين تمشي أختك تبعل ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفله، ويرضعه لكم؟ فردناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فقدك، وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غمّ فغلك وخوف القتل، وابتليناك ابتلاء، فخرجت خائفاً إلى أهل «مدين»، فمكثت سنين فيهم، ثم جئت من «مدين» في الموعد الذي قدرناه لإرسالك مجيئاً موافقاً لقدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى.

(٤١) وأنعمتُ عليك - يا موسى - هذه النعم

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ إِمْرَأَتِكَ مَا يُوْحِي ۖ ۝٣٨ إِن أَقْبَذِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِرِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلَضَمُّعًا عَلَىٰ عَيْنِي ۖ ۝٣٩ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَفَتَلَتْ نَفْسُ فَاعِجَتِكَ مِنَ الْعَمْرِ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَمِثَّ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ مِّنْهُنَّ ۖ ۝٤٠ وَأَصْطَلَحْتَكَ لِنُقْضِي ۖ ۝٤١ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَّاءِي ذِكْرِي ۖ ۝٤٢ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا تَنِيَّاءُ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ ۖ ۝٤٣ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَن يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْعَنَ ۖ ۝٤٤ قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۖ ۝٤٥ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَحْبِرْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَاطَةُ عَلَىٰ مِنِّ اتَّبِعْ ۖ ۝٤٦ أَهْدَىٰ إِنَّا قَدْ أَوحَىٰ إِلَيْنَا أَن الْعَذَابَ عَلَىٰكَ مَن كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ۝٤٧ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ ۖ ۝٤٨ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ فَهُدًى ۖ ۝٤٩ قَالَ فَتَابَ الْكُفْرُونَ ۖ ۝٥٠

اجتباء مني لك، واختياراً لرسالتي، والبلاغ عني، والقيام بأمرني ونهي.

(٤٢-٤٤) اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكهال قدرتي وصدق رسالتك، ولا تَصْغُفا عن مداومة ذكري. اذهبا معاً إلى فرعون؛ إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم، فقولا له قولاً لطيفاً؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه.

(٤٥) قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله.

(٤٦-٤٨) قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون؛ فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما، فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا، والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداة. إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على من كذّب وأعرض عن دعوته وشريعته.

(٤٩) قال فرعون لهما - على وجه الإنكار -: فَمَنْ رَبُّكُمَا يا موسى؟

(٥٠) قال له موسى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه اللائق به على حسن صنعه، ثم هدى كل مخلوق الهداية الكاملة إلى الانتفاع بها خلقه الله له.

(٥١) قال فرعون لموسى - على وجه المغالطة والمشاغبة -: فما شأن الأمم السابقة؟ وما خبر القرون الماضية، فقد سبقونا إلى الإنكار والكفر؟

قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّاهُ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا
 وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ وَمِنْهَا
 خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنِّي ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ
 مِنْ أَرْضٍ مَّا يَسْحَرُ بِكَ يُمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا نَبَيْتُكَ بِسِحْرِ قَوْمِهِ
 فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سَوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
 ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى وَفِيكُمْ لَا تُقَرِّوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِرَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
 وَقَدْ حَاطَ مِنَ الْفِتْنَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّلُوا أَمْرُهُمْ يَنْتَهَرُ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرَفِكُمْ أَلْمُسَى ﴿٦٣﴾
 فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ فَرَأَيْتُمْ أَصْفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

(٥٢) قال موسى لفرعون: ما سألت عنه ليس ممّا نحن بصددّه، بل علّم تلك القرون فيها فَعَلْتَ من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا علّم لي به، لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئاً ممّا علّمه منها.

(٥٣) هو الذي جعل لكم الأرض ميسرة للانفتاح بها، وجعل لكم فيها طرقاً كثيرة، وأنزل من السماء مطراً، فأخرج به أنواعاً مختلفة من النبات.

(٥٤) كلوا - أيها الناس - من طيبات ما أنبتنا لكم، وارعوا حيواناتكم وبهائمكم. إن في كل ما ذكر لعلاّمات على قدرة الله، ودعوة لوجدانيته وإفراده بالعبادة، لذوي العقول السليمة.

(٥٥) من الأرض خلقناكم - أيها الناس -، وفيها نعيدكم بعد الموت، ومنها نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء.

(٥٦) ولقد أرسلنا فرعون أدلّتنا وحججنا جميعها، الدالّة على ألوهيتنا وقدرتنا وصدقي رسالة موسى فكذب بها، وامتنع عن قبول الحق.

(٥٧) قال فرعون: هل جئتنا - يا موسى -

لتخرجنا من ديارنا بسحرك هذا؟

(٥٨) فسوف نأتيك بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعداً محمداً، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت، في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك.

(٥٩) قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد، حين يتزوّج الناس، ويجتمعون من كل فجٍ وناحية وقت الضحى.

(٦٠) فأدبر فرعون معرضاً عما أتاه به موسى من الحق، فجمع سحرته، ثم جاء بعد ذلك لموعد الاجتماع.

(٦١) قال موسى لسحرة فرعون يعظمهم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذابٍ من عنده ويُعيدكم، وقد خسر من اختلق على الله كذباً.

(٦٢-٦٤) فتجاذب السحرة أمرهم بينهم وتجادثوا سرّاً، قالوا: إنّ موسى وهارون لساحران يريدان أن يخرجاك من بلادكم بسحرهما، ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها، فأحكموا كيدهم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم اتوا صفّاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهر الأَبْصَارُ، وتغلبوا سحر موسى وأخيه، وقد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه، فغلبه وقهره.

قَالُوا يَمْوَسِيَّ اِِمَّا اَنْ تَلْقَىٰ وَلِئَمَّا اَنْ تَكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقَىٰ ۖ قَالَ بَلْ اَلْقُوا فَلَمَّا حَسِبُوْهُمْ غَيْبًا لَّيْسَ فِيْهِمْ مَّيْمَنٌ لِّئَلَّا يُصْحَرِمْ اَنَّهُمْ تَشْعَىٰ ۚ فَلَوْ جَسَّ فِيْ نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُّوْسَىٰ ۚ فَلَمَّا لَاحَظَ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلَىٰ ۚ وَالْقَىٰ مَا فِيْ يَمِيْنِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوْا اَلَمَّا صَنَعُوْا كَيْدًا سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتَىٰ ۚ فَلَمَّا لَاحَظَ السَّحْرُ سَجَدَا فَارْتَضَا اَمْتَابَ رَبِّ هٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۚ قَالَ اءَمْسُوْهُ وَقَبْلَ اَنْ اَذِنَ لَكُمْ اِنَّهٗ لَكَبِيْرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَا تُظْفَعُ اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صِلَتُكُمْ فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ وَلَتَعْمَنَّ اَيْنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَّاَتَقَىٰ ۚ قَالُوْا لَنْ نُّوْثِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَ نَا مِنْ اَلْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا اَنْتَ قَاضٍ اَلَمَّا تَقَضٰى هٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ۚ اِنَّهٗ اَمْتَابُ رَبِّكَ اَلَيْسَ غَفُوْرًا حَظِيْنًا وَمَا اَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ ۚ وَاللّٰهُ خَبِيْرٌ وَّاَتَقَىٰ ۚ اِنَّهٗ مِنْ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَاِنْ لَّهٗ جَهَنَّمُ لَا يَمُوْتُ فِيْهَا وَلَا يَحْيٰى ۚ وَمَنْ يَّاتِيْهِ مُّؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحٰتِ فَلَوْ لَبِثَ لَهُمْ دَرَجَتٌ اَعْلٰى ۚ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكٰى ۚ

(٦٥) قال السحرة: يا موسى إما أن تلقى عصاك أولاً، وإما أن نبدا نحن فنلقى ما معنا. (٦٦، ٦٧) قال لهم موسى: بل ألقوا أنتم ما معكم أولاً، فألقوا حبالهم وعصيهم، فتخيل موسى من قوة سحرهم أنها حيات تسعى، فشعر موسى في نفسه بالخوف.

(٦٨) قال الله لموسى حينئذ: لا تخف من شيء، فإنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنوده، وستغلبهم.

(٦٩) وألقى عصاك التي في يمينك تبطل حبالهم وعصيهم، فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحر وتخييل يسخر، ولا يظفر الساحر بسحره أين كان.

(٧٠) فألقى موسى عصاه، فبلعت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم. فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين وقالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحراً ما غلبنا.

(٧١) قال فرعون للسحرة: أصدقتم بموسى، واتبعتموه، وأقرتم له قبل أن أدن لكم بذلك؟ إن موسى أعظمكم الذي علمكم السحر؛ فلذلك تابعتموه، فلا قطعن أيديكم وأرجلكم مخالفاً بينها، بدأ من جهة ورجلاً من الجهة الأخرى، ولأصليكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل، ولتعلمن أيها السحرة أينما: أنا أو رب موسى أشد عذاباً من الآخر، وأدوم له؟

(٧٢) قال السحرة لفرعون: لن نفضلك، فنطيعك وننتع دينك على ما جاءنا به موسى من البينات الدالة على صدقه، ووجوب متابعه وطاعته ربه، ولن نقصّل ربوبيتك المزعومة على ربوبية الله الذي خلقنا، فافعل ما أنت فاعل بنا، إنها سلطانتك في هذه الحياة الدنيا، وما نفعله بنا ما هو إلا عذاب منته بانتهائها.

(٧٣) إننا آمنا بربنا وصدقنا رسوله وعملنا بما جاء به، ليعفو ربنا عن ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى. والله خير لنا منك - يافرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذاباً لمن عصاه وخالف أمره.

(٧٤) إنه من يأت ربه كافراً به فإن له نار جهنم يعدّ بها، لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها.

(٧٥، ٧٦) ومن يأت ربه مؤمناً به قد عمل الأعمال الصالحة فله المنازل العالية في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، وذلك النعيم المقيم ثواب من الله لمن طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده فأطاعه واجتنب معاصيه، ولقي ربه لا يشركه بعبادته أحداً من خلقه.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي فَأَحْزَبَ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَجَسًا ﴿١٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
وَبَنُوهُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا عَنْهُمُ الْيَمَّ
وَمَا هَدَىٰ ﴿١٩﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَهْلَكْنَا مَنِ عَذَّبْنَا وَعَدْنَاكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٢٠﴾ كَلُوا مِنْ
طَرِيفَتَيْ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
وَمَنْ يُحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٢١﴾ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لَوْمَاتِهِمْ تَابَ
وَأَمِنْ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ
قَوْمِكَ يَمْوَسَّى ﴿٢٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَىٰ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ ﴿٢٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
يَقُولُونَ لَمْ يَرْجِعْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ
أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ
مَّوْعِدِي ﴿٢٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٢٧﴾

(٧٧) ولقد أوحينا إلى موسى: أن أخرج ليلاً
بعبادي من بني إسرائيل من «مصر»، فأخذ
لهم في البحر طريقاً يابساً، لا تخاف من فرعون
وجنوده أن يلحقوك فيدركوكم، ولا تخشى في
البحر غرقاً.

(٧٨) فأسرى موسى ببني إسرائيل، وعبر
بهم طريقاً في البحر، فأتبعهم فرعون بجنوده،
فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله، ففرقوا
جميعاً ونجا موسى وقومه.

(٧٩) وأضل فرعون قومه بما زينته لهم من الكفر
والتكذيب، وما سلك بهم طريق الهداية.

(٨٠) يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم
من عدوكم فرعون، وجعلنا موعدكم الجانب
الأيمن من جبل الطور لأنزال التوراة عليكم،
ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصمغ
طعمه كالعسل والطير الذي يشبه الشبثي.

(٨١) كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن
يظلم بعضكم بعضاً، فينزل بكم غضبي، ومن
ينزل به غضبي فقد هلك وخسر.

(٨٢) وإني لأعلم لوماتهم تَابَ - ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه.

(٨٣) وأي شيء أعجلك عن قومك - يا موسى - فسبقتهم إلى جانب الطور الأيمن، وخلفتهم وراءك؟

(٨٤) قال: إنهم خلفي سوف يلحقون بي، وسبقتهم إليك - يا رب - لتزداد عني رضا.

(٨٥) قال الله لموسى: فإننا قد ابتلينا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل، وإن السامري قد أضلهم.

(٨٦) فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينا، وقال لهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإنزال التوراة؟

أفطال عليكم العهد واستبطأتم الوعد، أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يحل عليكم بسببه غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي
وعبدتم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟

(٨٧) قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعداً باختيارنا، ولكننا حملنا أثقالاً من حلي قوم فرعون، فألقيناها في حفرة فيها نار بأمر
السامري، فكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا ۖ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُهُمْ كُفِّرْ
وَالَهُ مُوسَىٰ فَقَسَىٰ ۖ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ آلَ رَجْعِهِم إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
مِنْ قَبْلُ يَقُولُ: إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ لِنَهَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ
أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْتُؤُونَ أَنْ نَأْخُذَ بِلِحْيَتِي
وَلَأَنزِلُنَّ سُلْطَانًا مِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ ۖ قَالُوا فَاصْنَعْ لَكَ عِجْلًا ۖ قَالَ فَاصْنَعْ لَكَ
بَصُرًا يَمَازِلُ بَصُرًا ۖ وَبِهِ فَفَعَصَتْ قَبْضَةً مِّنْ أَشْرٍ
الرَّسُولِ فَجَبَذْنَاهَا ۖ وَكَذَلِكَ سَوَّلَكَ لِي تَقْصِي ۖ قَالَ
فَإَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ ۖ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۖ إِنَّمَا
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ

(٨٨) فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلًا جسدًا يجور خوار البقر، فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو إلهكم وإله موسى، نسيه وعقل عنه.

(٨٩) أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يرد عليهم جوابًا، ولا يقدر على دفع ضرر عنهم، ولا جلب نفع لهم؟

(٩٠) ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختبرتم بهذا العجل، ل يظهر المؤمن منكم من الكافر، وإن ربكم الرحمن لا غيره فاتبعوني فيها أدعوكم إليه من عبادة الله، وأطيعوا أمري في اتباع شره.

(٩١) قال عبادة العجل منهم: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى.

(٩٢، ٩٣) قال موسى لأخيه هارون: أي شيء منعك حين رأيتهم ضلُّوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتركهم؟ أفعصيت أمري فيها أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟

(٩٤) ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجزئه إليه، فقال له هارون: يا بن أُمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفتُ -إن تركتهم ولحقت بك- أن تقول: فرقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم.

(٩٥) قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري؟ وما الذي دعاك إلى ما فعلته؟

(٩٦) قال السامري: رأيت ما لم يره -وهو جبريل عليه السلام- على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذتُ بكفي ترابًا من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحلي الذي صنعتُ منه العجل، فكان عجلًا جسدًا له خوار؛ بلاء وفتنة، وكذلك زينت لي نفسي الأمانة بالسوء هذا الصنيع.

(٩٧) قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش متبوءًا تقول لكل أحد: لا أُمسُ ولا أُمسُ، وإن لك موعدًا في الآخرة لعذابك وعقابك، لن يُخلِّفك الله إياه، وسوف تلقاه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته لُحرقته بالنار، ثم لُذِّرَتْه في البحر فذروا لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر.

(٩٨) إنما إلهكم -أيها الناس- هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ۖ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا
ثَقِيلًا ۖ فِيهِ وِسَاءٌ لِّهَمَّةٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جَمَلًا ۚ يَوْمَ يُفْعَلُ
فِي الصُّورِ ۖ وَتُخْشَرُ الْمَجْرِمِينَ ۖ يَوْمَ مِيزْزَقَا ۖ يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ
لَا تَبْقَىٰ فِيهَا جَبَلٌ ۖ وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَ يَمُوتُ الدَّاعِي
لِأَعْوَجَ لَهُ ۖ وَخِشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ۖ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
ۖ يَوْمَ مِيزْزَقَا ۖ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ۖ وَرِضِيَ لَهُ ۖ
قَوْلًا ۖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
عِلْمًا ۖ وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكُمُ الْقُبُورُ وَقَدْ حَابَ مِنْ حَمَلِ
ظُلُمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَلَا يَخَافُ
ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ

(٩٩) كما قصصنا عليك - أيها الرسول - أنباء موسى وفرعون وقومهما، نخبرك بأخبار السابقين لك. وقد آتيناك من عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر.

(١٠٠) من أعرض عن هذا القرآن، ولم يصدق به، ولم يعمل بما فيه، فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثماً عظيماً.

(١٠١) خالدين في العذاب، وساء لهم ذلك الحمل الثقيل من الآثام؛ حيث أوردتهم النار.

(١٠٢) يوم يُنفخ الملك في «القرن» لصيحة البعث، ونسوق الكافرين ذلهم اليوم وهم زرق، تغيرت ألوانهم وعيونهم؛ من شدة الأحداث والأحوال.

(١٠٣) يتهايمسون بينهم، يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام.

(١٠٤) نحن أعلم بما يقولون ويُسِرُّون حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً، لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم القيامة.

(١٠٥) ويسألك - أيها الرسول - قومك عن مصير الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يزيلها ربي عن أماكنها فيجعلها هباء منبثاً.

(١٠٦، ١٠٧) فترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها، لا يرى الناظر إليها من استوائها ميلاً ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً.

(١٠٨) في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة، لا يحيد عن دعوة الداعي؛ لأنها حق وصدق لجميع الخلق، وسكنت الأصوات خضوعاً للرحمن، فلا تسمع منها إلا صوتاً خفياً.

(١٠٩) في ذلك اليوم لا تنفع الشفاعة أحدًا من الخلق، إلا إذا أذن الرحمن للشافع، ورضي عن المشفوع له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص.

(١١٠) يعلم الله ما بين أيدي الناس من أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا، ولا يحيط خلقه به علماً سبحانه وتعالى.

(١١١) وخضعت وجوه الخلائق وذلت لخالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كل شيء، المستغني عن سواه. وقد خسر يوم القيامة من أشرك مع الله أحدًا من خلقه.

(١١٢) ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه، فلا يخاف ظليماً بزيادة سيئاته، ولا هضماً بنقص حسناته.

(١١٣) وكما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، وحذرنّا أهل الكفر من المقام على معاصيهم وكفرهم بأيّاتنا، أنزلنا هذا القرآن باللسان العربي؛ ليفهموه، وفصلنا فيه أنواعاً من الوعيد؛ وجاء أن يتقوا ربهم، أو يُحْدِثُ لَهُمْ هذا القرآن تذكرة، فيتعتلوا، ويعتبروا.

(١١٤) فتنزه الله - سبحانه - وارفع، وتقدس عن كل نقص، الملك الذي فهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيدته حق، وكل شيء منه حق. ولا تعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تلقى القرآن قبل أن يُقرئ منه، وقل: رب زدني علماً إلى ما علمتني.

(١١٥) ولقد وصينا آدم من قبل أن يأكل من الشجرة، ألا يأكل منها، وقتلنا له: إن إبليس عدو لك ولزوجك، فلا يغر جنكما من الجنة، فتشقى أنت وزوجك في الدنيا، فوسوس إليه الشيطان، فأطاعه آدم ونسي الوصية، ولم نجد له قوة في العزم يحفظ بها ما أمر به.

(١١٦) واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام، فأطاعوا وسجدوا، لكن إبليس امتنع عن السجود.

(١١٧) فقلنا: يا آدم إن إبليس هذا عدو لك ولزوجتك، فاحذرا منه ولا تطيعاه بمعصيتي، فيخرجكما من الجنة، فتشقى إذا أخرجت منها. (١١٨) إن لك - يا آدم - في هذه الجنة أن تأكل فلا تجوع، وأن تلبس فلا تغرى.

فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلَايِكَةَ فَقَالَ لَا تَسْجُدُوا لِلْآدَمِ إِنَّ مِنْ قَبْلِي أَنْ يَقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَبَيَّنَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَايِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ ۖ فَقُلْنَا يَنْتَ آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَا كَمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۚ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۚ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۚ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُكُمْ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكٍ لِأَيْمَنِ ۚ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَاوَةٌ لَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۚ ثُمَّ أَجْنَبَا رَبَّهُمَا فَنَابَ عَلَيْهِمَا وَهَدَى ۚ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا تَابَا بَيْنَهُمَا هَدَى ۚ فَتَبَيَّنَ هَدَايَ فَلَا يَبْصُلُ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۚ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ

(١١٩) وأن لك ألا تعطش في هذه الجنة ولا يصيبك حر الشمس.

(١٢٠) فوسوس الشيطان لآدم وقال له: هل أذكلك على شجرة، إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكاً لا ينقطع؟

(١٢١) فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما، فأخذوا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما؛ ليسترا ما انكشف من عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه، فعوى بالآكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها.

(١٢٢) ثم اصطفى الله آدم وقرَّبه، وقبل توبته، وهداه رشده.

(١٢٣) قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعاً مع إبليس، فأنتما وهو أعداء، فإن يأتكم مني هدى وبيان فمن اتبع هداي وبياي وعمل بهما فإنه يرشد في الدنيا، ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله.

(١٢٤) ومن تولى عن ذكرى الذي أذكركم به فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيقة شاقة - وإن ظهر أنه من أهل الفضل واليسار -، ويضيق قبره عليه ويعذب فيه، ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة.

(١٢٥) قال المعرض عن ذكر الله: رب لم تحشرني أعمى، وقد كنت بصيراً في الدنيا؟

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَلَمٌّ ﴿١٢٧﴾ فَأَمَّا يَهُدَى لَهُمْ كَرَاهِلُكُمْ فَبَلَّغَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٢٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾
فَأَصْبَرَ عَلَى مَا بُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمْدَنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا لَهُمْ رَهْوَةٌ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَنَنْفِخَنَّهُمْ فِي رُفٍّ وَرَبِّكَ خَبِيرٌ وَأَلَمَّا زَامَ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
لِلتَّقْوَى ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا بِإِغْوَاةٍ مِنْ رَبِّهِ ءَ أَلَمْ تَأْتِهِمْ
بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٢﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٣﴾ قُلْ كُلُّ مُرْسِيٍّ فَرَضُوا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٤﴾

(١٢٦) قال الله تعالى له: حشرتك أعمى؛ لأنك
أتيتك آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن
بها، وكما تركتها في الدنيا فكذلك اليوم تُترك في
النار.

(١٢٧) وهكذا ناعقب مَنْ أسرف على نفسه
فحصى ربه، ولم يؤمن بآياته بعقوبات في الدنيا،
ولعذاب الآخرة المَعْدُ لَهُمْ أَشَدُّ أَلَمًا وَأَدْوَمُ
وَأَثْبَتُ؛ لأنه لا ينقطع ولا ينفضي.

(١٢٨) أفلم يدرك قَوْمَكَ -أيها الرسول- على
طريق الرشاد كثرة مَنْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْأُمَمِ المَكْدُبَةِ
قبلهم وهم يمشون في ديارهم، ويسرون آثار
هلاكهم؟ إن في كثرة تلك الْأُمَمِ واثار عذابهم
لَعِبْرًا وَعِظَاتٍ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الوَاعِيَةِ.

(١٢٩) ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل
مسمى عنده للآزمهم الهلاك عاجلاً؛ لأنهم
يستحقونه؛ بسبب كفرهم.

(١٣٠) فاصبر -أيها الرسول- على ما يقوله
المكذبون بك من أوصاف وأباطيل، وسبح
بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس،

وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة العشاء في ساعات الليل، وسبح بحمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر -إذ
وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب؛ كي تنساب على هذه الأعمال بما تَرْضَى به.

(١٣١) ولا تنظر إلى ما مَتَّعْنَا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعناهم بها؛
لنتبليهم بها، ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم؛ حيث لا انقطاع له ولا نفاد.

(١٣٢) وأمر -أيها النبي- أَهْلَكَ بالصلاة، واصطبر على أدائها، لا نسألك مَالًا، نحن نرزقك ونعطيك. والعاقبة الصالحة
في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

(١٣٣) وقال مكذبوك -أيها الرسول-: هَلَّا تَأْتِينَا بِعَلَامَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَدُلُّ عَلَى صَدَقَتِكَ، أَوْ لِمَ يَأْتِيهِمْ هَذَا الْقُرْآنُ الْمَصْدُوقُ لِمَا فِي
الكتب السابقة من الحق؟

(١٣٤) ولو أَنَّا أَهْلَكْنَا هؤلاء المكذبين بعذاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَنَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا لَقَالُوا: رَبَّنَا هَلَّا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ عِنْدِكَ، فنصدق، ونتبع آياتك وشرعك، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْزَى بعذابك.

(١٣٥) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بالله: كل منا ومنكم منتظر دوائر الزمان، ولمن يكون النصر والفلاح، فانتظروا،
فستعلمون: مَنْ أَهْلُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنْ الْمُهْتَدِي لِلْحَقِّ مَنَا وَمِنْكُمْ؟

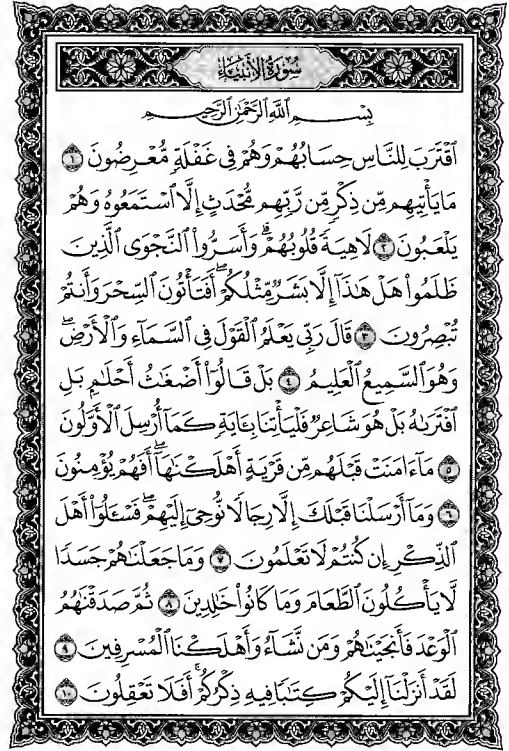
﴿سورة الأنبياء﴾

(١) ذنا وقت حساب الناس على ما قدموا من عمل، ومع ذلك للكفار يعيشون لاهين عن هذه الحقيقة، معرضين عن هذا الإنذار.

(٢) ما من شيء ينزل من القرآن يتلى عليهم مجدداً لهم التذكير، إلا كان سماعهم له سماع لعب واستهزاء.

(٣) قلوبهم غافلة عن القرآن الكريم، مشغولة بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقلون ما فيه. بل إن الظالمين من قريش اجتمعوا على أمر خفي: وهو إشاعة ما يصدون به الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من أنه بشر مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء، وأن ما جاء به من القرآن سحر، فكيف تغيثون إليه وتبعونه، وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم؟

(٤) رد النبي صلى الله عليه وسلم الأمر إلى ربه سبحانه وتعالى فقال: ربي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسررتهم من حديثكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. وفي



هذا تهديد لهم ووعد.

(٥) بل جحد الكفار القرآن فيمن قائل: إنه أخلاط أحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس وحياً، ومن قائل: إن محمداً شاعر، وهذا الذي جاء به شعر، وإن أراد منا أن نصدق به فليجتنا بمعجزة محسوسة كقناة صالح، وآيات موسى وعيسى، وما جاء به الرسل من قبله.

(٦) ما أمنت قبل كفار «مكة» من قرية طلب أهلها المعجزات من رسولهم وتحققت، بل كذبوا، فأهلكناهم، أفبؤمن كفار «مكة» إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟ كلا إنهم لا يؤمنون.

(٧) وما أرسلنا قبلك -أيها الرسول- إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا -يا كفار «مكة»- أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك.

(٨) وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون.

(٩) ثم أنجزنا للأنبياء وأتباعهم ما وعدناهم به من النصر والنجاة، وأهلكنا المسرفين على أنفسهم بكفرهم برهم.

(١٠) لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عذركم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكركم به، أفلا تعقلون ما فضلناكم به على غيركم؟

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّهَا قَدْ أَزْهَقْنَاهَا يَتَرَكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا يَتَرَكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتْتُمْ فِيهِ وَسَيَذُوقُوا أَهْلَكَكُمْ
 تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَتُؤْتِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَمَا زِلْنَاكَ
 دَعْوَاهُمْ حَقًّا جَعَلْنَاهُمْ خَصِيصًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْبَعِيدَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
 لَهُمَا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا قَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلَ اللَّهِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ فَسَدَتَا فَسَبَّحْنَاهُ لَعَنَ رَبُّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَعْمَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ
 مَنْ قَبْلِي بَلْ أَسْتَفْهَمُ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

(١١) وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بما جاءهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعاً، وأوجدنا بعدهم قوماً آخرين سواهم.

(١٢) فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلاً بهم، وشاهدوا بوادره، إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين.

(١٣) فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا وارجعوا إلى لذاتكم وتنعّمكم في دنياكم الملهية ومساكنكم المشيدة، لعلكم تُسألون من دنياكم شيئاً، وذلك على وجه السخرية والاستهزاء بهم.

(١٤) فلم يكن لهم من جواب إلا اعترافهم بجرهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا.

(١٥) فما زالت تلك المقالة -وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك، والاعتراف بالظلم- دُعوتهم يردونها حتى جعلناهم كالزرع المحصود، خامدين لا حياة فيهم. فاحذروا -أيها المخاطبون- أن تستمروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، فيحل بكم ما حل بالأمم قبلكم.

(١٦) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً وباطلاً، بل لإقامة الحجة عليكم -أيها الناس-

ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي خلق ذلك لا يشبهه شيء، ولا تصلح العبادة إلا له.

(١٧) لو أردنا أن نتخذ لهم من الولد أو الصاحبة لاتخذناه من عندنا لا من عندهم، ما كنا فاعلين ذلك؛ لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة.

(١٨) بل نقذف بالحق ونبيّئه، فيدحض الباطل، فإذا هو ذاهب مضمحل. ولكم العذاب في الآخرة -أيها المشركون- من وُصفكم بركم يغير صفته اللاتقة به.

(١٩) والله سبحانه كل مَنْ في السموات والأرض، والذين عنده من الملائكة لا يأتقون عن عبادته ولا يملأونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخالقه؟

(٢٠) يذكرون الله ويترهونه دائماً، لا يَضْعِفُونَ ولا يسأمون.

(٢١) كيف يصح للمشرّكين أن يتخذوا آلهة عاجزة من الأرض لا تقدر على إحياء الموتى؟

(٢٢) لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبّر شؤونها، لاختل نظامها، فتنزّه الله رب العرش، وتقدّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص.

(٢٣) إن من دلائل تفرّده سبحانه بالخلق والعبادة أنه لا يُسأل عن قضائه في خلقه، وجميع خلقه يُسألون عن أفعالهم.

(٢٤) هل اتخذ هؤلاء المشركون من غير الله آلهة تنفع وتضر ونجي ونميت؟ قل -أيها الرسول- لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذوه آلهة، فليس في القرآن الذي جئت به ولا في الكتب السابقة دليل على ما ذهبتم إليه، وما أشركوا إلا جهلاً وتقليداً، فهم معرضون عن الحق منكرين له.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ مِنَ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْهُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَبَرِ فَتَنَةً وَإِنَّا نَارْجِعُونَ ﴿٣٥﴾

(٢٥) وما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- من رسول إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا الله، فأخلصوا العبادة له وحده.

(٢٦، ٢٧) وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولداً بزعمهم أن الملائكة بنات الله. تنزه الله عن ذلك؛ فالملائكة عباد الله مقربون مخلصون بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً حتى يأذن لهم.

(٢٨) وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويخصيه عليهم، ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له، وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه.

(٢٩) ومن يدع من الملائكة أنه إله مع الله -على سبيل الفرض- فجزاؤه جهنم، مثل ذلك الجزاء نجزي كل ظالم مشرك.

(٣٠) أو لم يعلم هؤلاء الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين لا فاصل بينهما، فلا مطر من السماء ولا نبات من الأرض، ففصلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون

فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصوا الله بالعبادة؟

(٣١) وخلقنا في الأرض جبالاً تثبتها حتى لا تضطرب، وجعلنا فيها طرقاً واسعة؛ رجاء اهتداء الخلق إلى معاشيهم، وتوحيد خالقهم.

(٣٢) وجعلنا السماء سقفاً للأرض لا يرفعها عباد، وهي محفوفة لا تسقط، ولا تخترقها الشياطين، والكفار عن الاعتبار بآيات السماء (الشمس والقمر والنجوم)، غافلون لا يحسنون التفكير فيها.

(٣٣) والله تعالى هو الذي خلق الليل؛ ليسكن الناس فيه، والنهار؛ ليطلبوا فيه المعاش، وخلق الشمس آية للنهار، والقمر آية لليل، ولكل منهما مدار يجري فيه ويسبح لا يحيد عنه.

(٣٤) وما جعلنا لبشر من قبلك -أيها الرسول- دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت فهم يؤملون الخلود بعدك؟ لا يكون هذا. وفي هذه الآية دليل على أن الخضر عليه السلام قد مات؛ لأنه بشر.

(٣٥) كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عُمِّرت في الدنيا. وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمر ونهي، وبقلب الأحوال خيراً وشرّاً، ثم المالک والمرجع بعد ذلك إلى الله -وحده- للحساب والجزاء.

وَأَذَرْنَا لَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخَذُّونَكَ الْأَهْرُؤَ أَهْدَا
الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ
كَفَرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ وَلَا عَنْ طُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَهْتَكِرُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْرٌ لَهُمُ اللَّهُ تَمَتُّعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَنَاصِحُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
وَأَبَاءَهُمْ حَقًّا طَالَتْ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا أَنَا فِي
الْأَرْضِ نَفْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

(٣٦) وإذا رآك الكفار - أيها الرسول - أشاروا إليك ساخرين منك بقول بعضهم لبعض: هذا الرجل الذي يسبُّ أهلكم؟ وجحدوا بالرحمن ونعمه، وبما أنزله من القرآن والهدى.

(٣٧) خلق الإنسان عجولاً، يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها. وقد استعجلت قريش العذاب واستبطأت وقوعه، فأنذرهم الله بأنه سيرهم ما يستعجلونه من العذاب، فلا يسألوا الله تعجيله وسرعته.

(٣٨) ويقول الكفار - مستعجلين العذاب مستهزئين - متى حصول ما تعدنا به يا محمد، إن كنت أنت ومن اتبعك من الصادقين؟

(٣٩) لو يعلم هؤلاء الكفار ما يلاقونه عندما لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم وظهورهم النار، ولا يجيدون لهم ناصراً ينصرهم؛ كما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا عذابهم.

(٤٠) ولسوف تأتيتهم الساعة فجأة، فيتحيرون عند ذلك، ويخافون خوفاً عظيماً، ولا يستطيعون

دفع العذاب عن أنفسهم، ولا يُمهلون لاستدراك توبة ولا اعتذار.

(٤١) ولقد استهزئ برسل من قبلك أيها الرسول، فحل بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مثار سخريتهم واستهزائهم.

(٤٢) قل - أيها الرسول - هؤلاء المستعجلين بالعذاب: لا أحد يحفظكم ويحرسكم في ليكم أو نهاركم، في نوكم أو يظنكم، من بأس الرحمن إذا نزل بكم. بل هم عن القرآن ومواعظ ربهما لاهون غافلون.

(٤٣) أَلَهُمْ آلِهَةٌ تَمَتُّعُهُمْ مِنْ عَذَابِنَا؟ إِنَّ أَهْلَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصُرُوا أَنْفُسَهُمْ، فكيف ينصرون عابديهم؟ وهم منا لا يُجَارُونَ.

(٤٤) لقد اغتر الكفار وأبائهم بالإمهال لِمَا رَأَوْهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ وَطُولِ الْأَعْيَارِ، فأقاموا على كفرهم لا يَبْرَحُونَ، وظنوا أنهم لا يُعَذَّبُونَ وقد غَفَلُوا عَنْ شَيْءٍ مَاضِيَةٍ، فإله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين من بأس في كل ناحية ومن هزيمة، أيكون بوسع كفار «مكة» الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ قَسَيْتُمْ نَفْسَكُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلُّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَنْ يَكَانَ مِنْقَالَ حَسَنَةً مِنْ خَيْرِ أَعْيُنَيْهَا وَكُنْى بِتَاحْسِينٍ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْءَ شَيْءٍ وَإِنَّا لَنُؤْمِرُكُمْ بِتَصَالِيهِ مِثْلِهَا قَالُوا لَأَجْتَنِّئَنَّ بِالْحَقِّ أَمرَ أَنْتَ مِنَ اللَّعِينِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٥﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٦﴾

(٤٥) قل - أيها الرسول - لمن أرسلت إليهم: ما أخوفكم من العذاب إلا بوحي من الله، وهو القرآن، ولكن الكفار لا يسمعون ما يُلقى إليهم سماع تدبر إذا نُذِرُوا، فلا ينتفعون به.

(٤٦) لو أصاب الكفار نصيب من عذاب الله لعلموا عاقبة تكذيبهم، وقابلوا ذلك بالدعاء على أنفسهم بالهلاك؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بعبادتهم غير الله.

(٤٧) ويضع الله تعالى الميزان العادل للحساب في يوم القيامة، ولا يظلم هؤلاء ولا غيرهم شيئاً، وإن كان هذا العمل قدوة من خير أو شر عُدت في حساب صاحبها. وكفى بالله محصياً أعمال عباده، ومجازياً لهم عليها.

(٤٨، ٤٩) ولقد آتينا موسى وهارون حجة ونصراً على عدوهم، وكتاباً - وهو التوراة - فرقنا به بين الحق والباطل، ونوراً يهتدي به المتقون الذين يخافون عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.

(٥٠) وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ذكراً لمن تذكّر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه،

كثير الخير، عظيم النفع، أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟

(٥١) ولقد آتينا إبراهيم هداية، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون، وكُنَّا عالمين أنه أهل لذلك.

(٥٢) حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمتهم على عبادتها ملازمين لها؟

(٥٣) قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم.

(٥٤) قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وأبائكم في عبادتكم لهذه الأصنام في بُعْد واضح بين عن الحق.

(٥٥) قالوا: أهذا القول الذي جئتنا به حق وجيد، أم كلامك لنا كلام لاعب مستهزئ لا يدرى ما يقول؟

(٥٦) قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك.

(٥٧) وتالله لأمكرن بأصنامكم وأكسرها بعد أن تتولوا عنها ذاهبين.

فَجَعَلْنَاهُمْ جُذًا إِلَّا كَثِيرًا لَّعَلَّهُمْ لِيَّ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِبْرَاهِيمَ إِنَّا نَنظُرُكَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا أَفَنْتُمْ لَهُمْ إِنْ كَانُوا يُطْفِئُونَ ﴿٦٣﴾ فَجَاءُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُفُّ أَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا احْرَقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قُلُوبًا ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا بَدَأْنَا يَدْنًا كُنُونًا بِرَدِّ أَوْسُلَامَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

(٥٨) فحطّم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعاً صغيرة، وترك كبيرها؛ كي يرجع القوم إليه ويسألوه، فيتبين عجزهم وضلالهم، وتقوم الحجة عليهم.

(٥٩) ورجع القوم، ورأوا أصنامهم محطمة مهانة، فسأل بعضهم بعضاً: مَنْ فعل هذا بأهتنا؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير.

(٦٠) قال مَنْ سمع إبراهيم يحلف بأنه سيكبد أصنامهم: سمعنا فتى يذكر الأصنام بسوء يقال له إبراهيم.

(٦١) قال رؤسؤهم: فأتوا بإبراهيم على مرأى من الناس؛ كي يشهدوا على اعترافه بها قال؛ ليكون ذلك حجة عليه.

(٦٢) وجيء بإبراهيم وسألوه منكرين: أنت الذي كثر أهنأ؟ يعنون أصنامهم.

(٦٣) وتم لإبراهيم ما أراد من إظهار سفههم على مرأى منهم. فقال محتجاً عليهم معزّضاً بغياهم: بل الذي كسرها هذا الصنم الكبير، فاسألوا أهنأك المزعومة عن ذلك، إن كانت تتكلم أو تردّ جواباً.

(٦٤) فأسقط في أيديهم، وبداهم ضلالهم؛

كيف يعبدونها، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئاً أو أن تحجب سائلها؟ وأقروا على أنفسهم بالظلم والشر.

(٦٥) وشرعان ما عاد إليهم عنادهم بعد إفحامهم، فانقلبوا إلى الباطل، واحتجوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم، فقالوا: كيف نسألها، وقد علمت أنها لا تنطق؟

(٦٦، ٦٧) قال إبراهيم محقراً لآشأن الأصنام: كيف تعبدون أصناماً لا تنفع إذا عبدت، ولا تضر إذا تركت؟ قبحاً لكم ولأهنتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى، أفلا تعقلون فتدركون سوء ما أنتم عليه؟

(٦٨، ٦٩) لما بطلت حجتهم وظهر الحق عدلوا إلى استعجال سلطانهم، وقالوا: حرّقوا إبراهيم بالنار؛ غضباً لأهنتكم إن كنتم ناصرين لها. فاشعلوا ناراً عظيمة وألقوه فيها، فانتصر الله لرسوله وقال للنار: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فلم يَلْهُ فيها أذى، ولم يصبه مكروه.

(٧٠) وأراد القوم بإبراهيم الهلاك فأبطل الله كيدهم، وجعلهم المغلوبين الأسفلين.

(٧١) ونجيناه إبراهيم ووطاً الذي آمن به من «العراق»، وأخرجناه إلى أرض «الشام» التي باركنا فيها بكثرة الخيرات، وفيها أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٧٢) وأنعم الله على إبراهيم، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك، وكل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحاً مطيعاً له.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أُنْحِنَا إِلَيْهِمْ فَقَلَّ
الْحَزِينُ وَإِنَّمَا الصَّلَاةُ وَآيَاتُ الرَّكْعَةِ وَكَانُوا لَنَا
عَلِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ لَأَمَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَاعْرَضْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكَانَ الْحُكْمُ بِشَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِتَّكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَاسْلَيْمَانَ السَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَاتُهَا وَكَانَ يَكُلُ شَيْءَ عِلْمِهِمْ ﴿٨١﴾

(٧٣) وجعلناهم أئمة يهدون وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه تعالى، وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات من العمل بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها، وإيتاء الزكاة، فامتثلوا لذلك، وكانوا متقادين مطيعين لله وحده دون سواه.

(٧٤) وآتينا لوطاً النبوة وفُضِّلَ القضاء بين الخصوم وعلماً بأمر الله ودينه، ونجيناه من قريته «سُدُوم» التي كان يعمل أهلها الخباثات. إنهم كانوا بسبب الخباثات والمكرات التي يأتونها أهل سوء وقُبْح، خارجين عن طاعة الله.

(٧٥) وأنمَّ الله عليه النعمة فأدخله في رحمته بإنجائه ممَّا حلَّ بقومه؛ لأنه كان من الذين يعملون بطاعة الله.

(٧٦) واذكر - أيها الرسول - نوحاً حين نادى ربه من قبلك ومن قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا له دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به من الغم الشديد.

(٧٧) ونصرناه من كيد القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدقه، إنهم كانوا أهل قُبْح، فأغرقتهم بالطوفان أجمعين.

(٧٨) واذكر - أيها الرسول - نبي الله داود وابنه

سليمان، إذ يحكان في قضية عَزَّ ضَمَّها خصمان، عَدَّتْ غنم أحدهما على زرع الآخر، وانتشرت فيه ليلاً، فأتلقت الزرع، فحكم داود بأن تكون الغنم لصاحب الزرع مُلْكاً بما أتلفته، فقيمتها سواء، وكُنَّا لحكمهم شاهدين لم يَغِبْ عنا.

(٧٩) فَفَهَّمْنَا سليمان مراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف في فترة يستفيد فيها صاحب الزرع بمنافع الغنم من لبن وصوف ونحوهما، ثم تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه؛ لمساواة قيمة ما تلف من الزرع لمنفعة الغنم، وكلاً من داود وسليمان أعطيناه حكماً وعلماً، ومنَّنا على داود بتطويع الجبال تسبيحاً معه إذا سَبَّح، وكذلك الطير تسبِّح، وكنا فاعلين ذلك.

(٨٠) واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمه صناعة الدروع يعملها حِلَقاً متشابكة، تسهِّل حركة الجسم؛ لتحمي المحاربين من وقْع السلاح فيهم، فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجزاها على يد عبده داود؟

(٨١) وسَخَّرْنَا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومن معه، تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» بـ«الشام» التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَعْصِيكَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ وَأَنَّىٰ مَسَىٰ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْتِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضًى ۖ فَظَنَّ أَنَّ لَّهُ نَقْدَر عَلَيْهِ فَسَادٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۖ إِنَّ لِآلِهَةٍ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ ۖ وَرَوْحَهُ ۖ وَآتَيْنَاهُمْ كَافًّا ۖ لَئِنْ لَمْ يَدْعُوا رَبَّكَ وَرَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَكَ خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

(٨٢) وسخرنا لسليمان من الشياطين شياطين يستخدمهم فيما يعجز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ والجوهر، وكانوا يعملون كذلك في صناعة ما يريده منهم، لا يقدرون على الامتناع مما يريده منهم، حفظهم الله له بقوته وعزه سبحانه وتعالى.

(٨٣) واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب، إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده، وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب، ونادى ربه عز وجل أي قد أصابني الضر، وأنت أرحم الراحمين، فأكشفه عني.

(٨٤) فاستجبنا له دعاءه، ورفعنا عنه البلاء، ورددنا عليه ما فقدناه من أهل وولد ومال مضاعفاً، فعلنّا به ذلك رحمة منا، وليكون قدوة لكل صابر على البلاء، راج رحمة ربه، عابد له.

(٨٥) واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل.

(٨٦) وأدخلناهم في رحمتنا، إنهم ممن صلح باطنه وظاهره، فأطاع الله وعمل بما أمره به.

(٨٧) واذكر قصة صاحب الحوت، وهو يونس بن متى عليه السلام، أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج من بينهم غاضباً عليهم، ضائقاً صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والقمع الحوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائباً معترفاً بظلمته؛ لتركه الصبر على قومه، قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين.

(٨٨) فاستجبنا له دعاءه، وخلّصناه من غم هذه الشدة، وكذلك ننجي المصدقين العاملين بشرنا.

(٨٩) واذكر -أيها الرسول- قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كبرت سنّه قائلاً: رب لا تركني وحيداً لا عقب لي، هب لي وارثاً يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير الباقين وخير من خلفني بخير.

(٩٠) فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقراً، إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا راغبين فيها عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.

وَأَلْحَىٰ أَخَصِنْتَ فَرَجَّهَا فَفَفَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكِيلُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرِينَةٍ
أَهْلَكَ نَبَاهُ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَأَقْرَبَ الْأَوْعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ابْوَيْلَنَّا فَكَتَفَانَا فِي غَنَامٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ
هَذِهِ آيَةً آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَوْجَةٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

يُنْتَع بعد موته.

(٩١) واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام، ولم تأت فاحشة في حياتها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحها، فخلق الله بذلك النفخ المسيح عيسى عليه السلام، فحملت به من غير زوج، فكانت هي وابنها بذلك علامة على قدرة الله، وعبرة للخلق إلى قيام الساعة.

(٩٢) هؤلاء الأنبياء جميعاً بينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراده بالعبادة، والله سبحانه وتعالى رب الخلق فاعبدوه - أيها الناس - وحده لا شريك له.

(٩٣) لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرق كثير من أتباعهم في الدين شيعاً وأحزاباً، فعبدوا المخلوقين والأهواء، وكلهم راجعون إلينا ومحاسبون على ما فعلوا.

(٩٤) فمن التزم الإيمان بالله ورسله، وعمل ما يستطيع من صالح الأعمال طاعة لله وعبادة له فلا يضيع الله عمله ولا يبطئه، بل يضاعفه كله أضعافاً كثيرة، وسيجد ما عمله في كتابه يوم

(٩٥) ومنتعم على أهل القرى التي أهلكناها بسبب كفرهم وظلمهم، رجوعهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ ليستدركوا ما فرطوا فيه. (٩٦، ٩٧) فإذا فُتِحَ سد يأجوج ومأجوج، وانطلقوا من مرتفعات الأرض وانتشروا في جنباتها مسرعين، دنا يوم القيامة وبدأت أهواله فإذا أبصار الكفار من شدة الفرع مفتوحة لا تكاد تطرف، يدعون على أنفسهم بالويل في حسرة: يا ويلنا قد كنا لاهين غافلين عن هذا اليوم وعن الإعداد له، وكنا بذلك ظالمين.

(٩٨) إنكم - أيها الكفار - وما كنتم تعبدون من دون الله من الأصنام ومن رضي بعبادتكُم إياه من الجن والإنس، وقود جهنم وحطها، أنتم وهم فيها داخلون.

(٩٩) لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله تعالى آلهة تستحق العبادة ما دخلوا نار جهنم معكم أيها المشركون، إنَّ كلَّ من العابدِينَ والمعبودين خالِدون في نار جهنم.

(١٠٠) لهؤلاء المعبودين في النار آلام ينبت عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صدورهم بشدة، وهم في النار لا يسمعون من هول عذابهم.

(١٠١) إن الذين سبق لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة، أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريباً منها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ مِمَّا أُنْشِئَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَلَائِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
يَوْمَ تُنْظَرُ السَّمَاءُ كَمَا نُظِرَ لِلْكَشِبِ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نَعْبُدُهُ وَعَدَّ عَلِيمًا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
عَالِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾
﴿قُلْ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ هَلْ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
وَإِنْ أَذْرِي أَغْرَبٌ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْغُحْرُومَ الْقَوْلَ وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَذْرِي
لَعَلَّةٌ فَتَنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سورة الأنبياء

(١٠٢) لا يسمعون صوت هيبها واحترق الأجساد فيها، فقد سكنوا منازلهم في الجنة، وأصبحوا فيما تشتهي نفوسهم من نعيمها ولذاتها مقيمين إقامة دائمة.

(١٠٣، ١٠٤) لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة، بل تبشرهم الملائكة: هذا يومكم الذي وعدتكم فيه الكرامة من الله وجزيل الثواب. يوم نظوي السماء كما نظوي الصحيفة على ما كتب فيها، ونبعث فيه هيئة الخلق على هيئة خلقنا لهم أول مرة، كما ولدتهم أمهاتهم، ذلك وعد الله الذي لا يتخلف، وعدنا بذلك وعداً حقاً علينا، إنا كنا فاعلين دائماً ما نعد به.

(١٠٥) ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كتب في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أمروا به، واجتنبوا ما نهوا عنه، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠٦) إن في هذا التلوة من الموعظة لبرة كافية لقوم عابدين الله بما شرعه لهم ورضيه منهم.

(١٠٧) وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا رحمة لجميع الناس، فمن آمن بك سعد ونجا، ومن لم يؤمن خاب وخسر.

(١٠٨) قل: إن الذي أوحى إليّ ويُبعث به: أن إلهكم الذي يستحق العبادة وحده هو الله، فأسلموا له، وانقادوا لعبادته.

(١٠٩) فلإن أعرض هؤلاء عن الإسلام فقل لهم: أبلغكم جميعاً ما أوحاه الله تعالى إليّ، فأنا وأنتم مستوون في العلم لَمَّا أنذرتكم وحذرتكم، ولست أعلم -بعد ذلك- متى يحل بكم ما وعدتكم به من العذاب؟

(١١٠) إن الله يعلم ما تجهرون به من أقوالكم، وما تكتُمونه في سرائركم، وسيحاسبكم عليه.

(١١١) ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء، وأن تمتعوا في الدنيا إلى حين؛ لتزدادوا كفراً، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

(١١٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم: ربّ أفضل بيننا وبين قومنا المكذِبين بالقضاء الحق. ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفونه -أيها الكفار- من الشرك والتكذيب والافتراء عليه، وما تتوعدوننا به من الظهور والغلبة.

﴿سورة الحج﴾

- (١) يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تنصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقدر قدره ولا يُبلغ كنهه، ولا يعلم كيفيته إلا رب العالمين.
- (٢) يوم ترون قيام الساعة تنسى الودعة رضيعها الذي أقمته ثديها؛ لِمَا نزل بها من الكرب، وتُسقط الحامل حملها من الرعب، وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفرع، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم.
- (٣) وبعض رؤوس الكفر من الناس يخاضعون ويشككون في قدرة الله على البعث؛ جهلاً منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعاً لأئمة الضلال من كل شيطان متمرد على الله ورسله.
- (٤) قضى الله وقدر على هذا الشيطان أنه يُفضل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق، بل يسوقه إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُنَادِيكُمْ كُلُّ مَرْصُوعٍ عَمَّا أَصْنَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِن قَوْلِهِ قَاتِلْهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأُمُورِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه.

- (٥) يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإننا خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نقطة، هي المنى يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقه، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قدر ما يُمضغ، فنكون تارة مخلقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حياً، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فنسقط لغير تمام؛ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ تمام قدرتنا بتصرف أطوار الخلق، ونبقي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلق إلى وقت ولادته، وتكمل الأطوار بولادة الأجنة أطفالاً صغاراً تكثر حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبر حتى يبلغ سن الهرم وضعف العقل؛ فلا يعلم هذا المعمر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تفتتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يسر الناظرين.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ تَأْتِي عَظِيمُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْغَافِلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعْتَدِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ خِزْيًا أَطْمَأَنَّ بِهِ وَأَن أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَمُوتَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

(٦) ذلك المذكور مما تقدم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو يُخَيِّمُ الموتى، وهو قادر على كل شيء.

(٧) وأن ساعة البعث آتية لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم لحسابهم وجزائهم.

(٨، ٩) ومن الكفار من يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزاله القرآن، وذلك الجدل بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة، لا ويا عتقه في تكبر، معرضاً عن الحق؛ ليصد غيره عن الدخول في دين الله، فسوف يلقي خزيًا في الدنيا باندحاره واقتضاح أمره، ونحرقه يوم القيامة بالنار.

(١٠) ويقال له: ذلك العذاب بسبب ما فعلت من المعاصي واكتسبت من الآثام، والله لا يعذب أحداً بغير ذنب.

(١١-١٣) ومن الناس من يدخل في الإسلام على ضعف وشك، فيعبد الله على تردد، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتهاكف في وقفته، ويربط إيمانه بدنيته، فإن عاش في صحة وسعة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن يتقلب على وجهه بعد استقامته، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغير كفره ما أقدر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بين واضح. يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده، ذلك هو الضلال البعيد عن الحق. يدعو من ضرره المحقق أقرب من نفعه، فيج ذلك المعبود نصيراً، وقبح عسيراً.

(١٤) إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلاً، وعقاب أهل معصيته عدلاً.

(١٥) من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمداً بالنصر في الدنيا بظاهر دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وعذاب من كذبه، فليمدد حبلاً إلى سقف بيته وليخنق به نفسه، ثم ليقطع ذلك الحبل، هل لينظر: هل يذهبن ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لا محالة.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ يَهْدِي اللَّهُ يَدَهُ مَنْ يُرِيدُ
 ١٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّبِرِينَ
 وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
 النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَتَا لَهُ مِنْ
 مَّكْرٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ١٨ هَذَا نَحْنُ صَمَانٍ
 أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ رِيبَاتٌ
 مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ١٩ يُصْهَرُ بِهِ
 مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ٢٠ وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ٢١ كُلَّمَا
 أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
 الْحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٣

(١٦) وكما أقام الله الحجة من دلائل قدرته على الكافرين بالبعث أنزل القرآن، آياته واضحة في لفظها ومعناها، يهدي بها الله مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ؛ لأنه لا هادي سواه.

(١٧) إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واليهود، والصابئين وهم: قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه، والنصارى، والمجوس (وهم عبدة النار)، والذين أشركوا وهم: عبدة الأوثان، إن الله يفصل بينهم جميعاً يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار، إن الله على كل شيء شهيد، شهد أعمال العباد كلها، وأحصاها وحفظها، وسيجازي كلَّ بما يستحق؛ جزاء وفاقاً للأعمال التي عملوها.

(١٨) ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله سبحانه يسجد له خاضعاً متقاداً مَنْ في السموات من الملائكة وَمَنْ في الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر

والدواب؟ والله يسجد طاعة واختياراً كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيُّ إنسان يهينه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل ما يشاء وَفَقَّ حكمته.

(١٩-٢٢) هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدعي أنه محقٌّ، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جعلت لهم من نار يلبسونها، فتشوي أجسادهم، ويصَّبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره، وتَنَزَّلُ إلى أجوافهم فيذيب ما فيها، حتى ينفذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط، وتضر بهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد. كلما حاولوا الخروج من النار -لشدة غمِّهم وكرهم- أُعيدوا للعذاب فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

(٢٣) إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يُزَيَّنُونَ فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالاً ونساءً.

(٢٤) لقد هداهم الله في الدنيا إلى طيب القول: من كلمة التوحيد وخمد الله والثناء عليه، وفي الآخرة إلى حمده على حسن العاقبة، كما هداهم من قبل إلى طريق الإسلام المحمود الموصلى إلى الجنة.

(٢٥) إن الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، ويمنعون غيرهم من الدخول في دين الله، ويصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في عام «الحديبية» عن المسجد الحرام، الذي جعلناه لجميع المؤمنين، سواء المقيم فيه والقادم إليه، لهم عذاب أليم موجب، ومن يرد في المسجد الحرام المثل عن الحق ظلماً فيغض الله فيه، نذقه من عذاب أليم موجب.

(٢٦) واذكر -أيها النبي- إذ بئنا لإبراهيم عليه السلام -مكان البيت، وهيئته له وقد كان غير معروف، وأمرناه ببنائه على تقوى من الله وتوحيده، وتطهيره من الكفر والبدع والتنجاسات؛ ليكون رحاباً للطائفتين به، والقائمين المصلين عنده.

(٢٧، ٢٨) وأعلم -يا إبراهيم- الناس بوجوب الحج عليهم بأنوك على مختلف أحوالهم مشاة

وركباً على كل ضامر من الإبل، وهو: (الخفيف اللحم من السَّير والأعمال لا من الهُزال)، بأثنين من كل طريق بعيد؛ ليحضرُوا منافع لهم من: مغفرة ذنوبهم، وثواب أداء نسكهم وطاعتهم، وتكسبهم في تجارتهم، وغير ذلك؛ وليذكروا اسم الله على ذئب ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معينة هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكراً لله على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا من هذه الذبائح استحباباً، ويُطعموا منها الفقير الذي اشتد فقره.

(٢٩) ثم ليكمل الحاج ما بقي عليهم من النَّسك، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم من وسخ في أبدانهم، وقص أظفارهم، وحلق شعرهم، وليوفوا بما أوجبه على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعنته الله من تسلط الجبارين عليه، وهو الكعبة.

(٣٠) ذلك الذي أمر الله به من قضاء التفت والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظموه، ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكها بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة. وأحل الله لكم أكل الأنعام إلا ما حُرِّمه فيها يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه. وفي هذا إبطال ما كانت العرب تحرمه من بعض الأنعام. وابتعدوا عن الفذارة التي هي الأوثان، وعن الكذب الذي هو الافتراء على الله.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَلَفِ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَطْلُو نَذْرَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
 ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 فِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الْأَنْعَامَ فَكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
 وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ وَلِيَطْلُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
 ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِرْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ
 رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا بَيَّأْتُ عَلَيْكُمْ
 فَلْيَحْتَذِرُوا رَحْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

(٣١) مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده وإفراده بالطاعة، معرضين عما سواه بنذ الشرك، فإنه من يشرك بالله شيئاً، فمثله -في بُعده عن الهدى، وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر، وتحطُّف الشياطين له من كل جانب- كمثل من سقط من السماء: فإما أن تحطفه الطير فتقطع أعضاءه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح، فتذفه في مكان بعيد أشد البعد.

(٣٢) ذلك ما أمر الله به من توحيده وإخلاص العبادة له. ومن يمثل أمر الله ويُعظم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبايح التي تُذبح فيه، وذلك باستحسانها واستسماها، فهذا التعظيم من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

(٣٣) لكم في هذه الهدايا منافع تتنفعون بها من الصوف واللبن والركوب، وغير ذلك مما لا يضرها إلى وقت ذبحها عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

(٣٤) ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك من الذبح وإراقة الدماء؛ وذلك ليدذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم من

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الْأَرْضُ مِنْ مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فُتُوحَهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أَفْجَةٍ جَعَلْنَا مَنَاسِكَائِهَا تَذَكُّرًا وَأَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْتَمِذُوا لَهُمْ إِنْ وَحِدَ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ أَسْمَاءَ وَتَبَيَّنَّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يُغْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ جَعَلَتْهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُ الْقَتْلَ وَمَنْ كَذَّبَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

هذه الأنعام ويشكر واله. فإنهم -أيها الناس- إله واحد هو الله فانقادوا لأمره وأمر رسوله. وبشِّر -أيها النبي- المتواضعين

الحاضرين لربهم بخيري الدنيا والآخرة.

(٣٥) هؤلاء المتواضعون الخاشعون من صفاتهم أنهم إذا ذُكر الله وحده خافوا عقباه، وحذروا مخالفته، وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدَّوا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم من زكاة ونفقة عيال، ومن وَجِبَتْ عليهم نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستجبة.

(٣٦) وجعلنا لكم تحرُّ البُذُن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها -أيها المتقربون- خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: بسم الله. وتُخَر الإبل واقفة قد صُفَّت ثلاث من قوائمها وقُيدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فليأكل منها مقربوها تعبدًا، ويُطْعَمُوا منها القانع -وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا- والمعتر الذي يسأل لحاجته، هكذا سَخَّرَ الله البُذُن لكم، لعلكم تشكروا الله على تسخيرها لكم.

(٣٧) لن ينال الله من لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده، كذلك دلَّلها لكم -أيها المتقربون-؛ لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهل لذلك. وبشِّر -أيها النبي- المحسنين بعبادة الله وحده، والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

(٣٨) إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، ويكيد الأشرار؛ لأنه عز وجل لا يحب كل خَوَّانٍ لأمانة ربه، جحود لنعمته.

أَوَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدْ بَرِئَ
 ١١ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا
 رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ
 صُومُعٌ وَبَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
 كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ ١٢ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ١٣ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ١٤ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ
 لُوطٍ ١٥ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
 ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٦ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ
 أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِرَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيُنَازِلُ
 الْمُعْظِلَ وَالْقَرْيَةَ مَشِيدٌ ١٧ فَأَمَّا بَيْسِئَرُ فِي الْأَرْضِ فَكَوْنِ
 لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
 الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ١٨

(٣٩) كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلما بلغ أذى المشركين مداه، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من «مكة» مهاجراً إلى «المدينة»، وأصبح للإسلام قوة أذن الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإزالة عدوهم.

(٤٠) الذين أُلْجِئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده. ولولا ما شرع الله من دفع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لهم الحق في كل أمة ولحزبت الأرض، وهُدِّمَتْ فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيراً. ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه. إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلاق وأخذ بنواصيه.

(٤١) الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إن مكَّنَّاهم في الأرض، واستخلفناهم فيها بإظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدائها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها، وأمروا بكل ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وهُتُوا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله. والله وحده مصير الأمور كلها، والعاقبة للتقوى.

(٤٢-٤٤) وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب «مدین» الذين كذبوا شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فلم أعجل هذه الأمم بالعقوبة، بل أهملتها، ثم أخذتُ كلَّ منهم بالعذاب، فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وتبديل ما كان بهم من نعمة بالعذاب والهلاك؟

(٤٥) فكثيراً من القرى الظالمة بكفرها أهلكتنا أهلها، فديارهم مهْدَمَةٌ خَلَّتْ مِنْ سكانها، وآبارها لا يُسْقَى منها، وقصورها العالية المزخرفة لم تدفع عن أهلها سوء العذاب.

(٤٦) أفلم يَسِرْ المكذِّبون من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين، فيتفكروا بعقوبتهم، فيعتبروا، ويسمعو أخبارهم سماع تدبّر فيتعظوا؟ فإن العمى ليس عمى البصر، وإنما العمى المَهْلِكُ هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار.

وَمَسْتَعْجِلُونَا بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا قَدْ حُسِبَتْ ۝ وَكَأَيُّنَ مِنْ
قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا هَؤُلَاءِ الْمَصِيدُ
۝ قُلْ تَتَّبِعُونَهَا إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قَالُوا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا
إِذَا تَمَنَّيَ الْكُفَّاءُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّدُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْخَبَرَ مِنْ رَبِّكَ فَيَتُومُوا بِهِ
فَتُحْيَتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرَّةٍ وَنُهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيبٍ ۝

(٤٧) ويستعجلك - أيها الرسول - كفار قريش
- لشدة جهلهم - بالعذاب الذي أنذرتهم به لئلا
أصروا على الكفر، ولن يخلف الله ما وعدهم
به من العذاب فلا بد من وقوعه، وقد عجل
لهم في الدنيا ذلك في يوم «بدر». وإن يوماً من
الأيام عند الله - وهو يوم القيامة - كألف سنة
مما تعدون من سني الدنيا.

(٤٨) وكثير من القرى كانت ظالمة بإصرار أهلها
على الكفر، فأهلتهم ولم أعاجلهم بالعقوبة
فاغترأوا، ثم أخذتهم بعذابي في الدنيا، وإلى
مرجعهم بعد هلاكهم، فأعذبهم بما يستحقون.
(٤٩-٥١) قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس ما
أنسا إلا منذر لكم مبلغ عن الله رسالته. فالذين
آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم،
وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو
عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم
من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة.
والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن
بالتكذيب مشاقين مغالين، أولئك هم أهل

النار الموقدة، يدخلونها ويقون فيها أبداً.

(٥٢) وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوسواس
والشبهات؛ ليصد الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه، لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وسوسه، ويثبت آياته الواضحات.
والله عليم بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره.

(٥٣) وما كان هذا الفعل من الشيطان إلا ليجعل الله اختباراً للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقساة القلوب من المشركين
الذين لا يؤثر فيهم زجر. وإن الظالمين من هؤلاء وأولئك في عداوة شديدة لله ورسوله وخلاف للحق بعيد عن الصواب.

(٥٤) وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها
الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم. وإن الله هادي الذين آمنوا به ورسوله
إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال.

(٥٥) ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جتهدت به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم، أو
يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم، وهو يوم القيامة.

أَلَمْ تَدْعُ إِلَى مِيزَانٍ لِلَّهِ يَخْصِمُ بِهِمْ قَالِدِينَ ۚ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَتَّى التَّعْمِيرِ ۝ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَفَإِنَّ لَكُمْ لَهُمْ عَذَابٌ
 مُهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلُوا
 أَوْمَاتُوا لَيَزُفَنَّهُمُ اللَّهُ زَرْفًا حَسَنًا ۚ وَاتَّ اللَّهُ لَهُوَ
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۚ
 وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
 مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُحِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
 لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
 النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَاتَّ اللَّهُ سَمِيعٌ
 بَصِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ۚ وَاتَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِغُ الْأَرْضَ
 مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاتَّ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ۝

(٥٦، ٥٧) المُلْكُ والسلطان في هذا اليوم
 لله وحده، وهو سبحانه يقضي بين المؤمنين
 والكافرين. فالذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا
 الأعمال الصالحة، هم النعيم الدائم في الجنة.
 والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله
 وأنكروا آيات القرآن، فأولئك لهم عذاب
 يخزيهم ويهينهم في جهنم.

(٥٨) والذين خرجوا من ديارهم طلباً لرضا
 الله، ونصرة لدينه، مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وهو يجاهد
 الكفار، ومن مات منهم من غير قتال، لَيَرْزُقْنَهُمُ
 الله الجنة ونعيمها الذي لا ينقطع ولا يزول، وإن
 الله سبحانه وتعالى هو خير الرازقين.

(٥٩) لِيَدْخُلَنَّهُمُ اللهُ الْمُدْخِلَ الذي يحويه
 وهو الجنة. وإن الله لعليم بمن يخرج في سبيله،
 ومن يخرج طلباً للدنيا، حلیم عن عصاه، فلا
 يعاجلهم بالعقوبة.

(٦٠) ذلك الأمر الذي قصصنا عليك من
 إدخال المهاجرين الجنة، ومن اعتدي عليه
 وظلم فقد أُذِنَ له أن يقابل الجاني بمثل فعلته،
 ولا حرج عليه، فإذا عاد الجاني إلى إيذائه ويغى،
 فإن الله ينصر المظلوم المعتدى عليه؛ إذ لا يجوز

أن يُعْتَدَى عليه بسبب انتصافه لنفسه. إن الله لعفوٌ غفور، يعفو عن المذنبين فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم.

(٦١) ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق، وهو القادر على ما يشاء، ومن قدرته أنه يدخل ما ينقص من
 ساعات الليل في ساعات النهار، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، وأن الله سميع لكل صوت، بصير
 بكل فعل، لا يخفى عليه شيء.

(٦٢) ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأن ما يعبد المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو
 الباطل الذي لا ينفع ولا يضُرُّ، وأن الله هو العليُّ على خلقه ذاتاً وقُدراً وقهراً، المتعالي عن الأشباه والأنداد، الكبير في ذاته،
 وأَسَاسُهُ، وصفاته، فهو أكبر من كل شيء.

(٦٣) أَلَمْ تَرَ -أيها الرسول- أن الله أنزل من السماء مطراً، فتصبح الأرض مخضرة بها ينبت فيها من النبات؟ إن الله لطيف
 بعباده باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، خبير بمصالحهم.

(٦٤) الله سبحانه وتعالى ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وعبودية، كُلُّ محتاج إلى تدبيره وإفضاله. وإن الله هو الغني
 الذي لا يحتاج إلى شيء، المحمود في كل حال.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُسَمِّيكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالتَّالِينَ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ٦٥ وَهُوَ الَّذِي
أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُوَئِيكُمْ تُمُوجِهِمْ كَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ ٦٦
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكَاهُمْ فَالْيَسْرَةَ فَالْيَسْرَةَ عَنَّا
فِي الْأَمْرِ وَأَوْعَى إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٌ ٦٧
وَإِنْ جَدَلْتَهُ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٦٨ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٦٩
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ٧١ وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ إِيْتَانَا
يَنْتَبِذْ تَعْرِفُ فِي زُجُجِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ يَكُنْ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ إِيْتَانًا قُلْ أَقَاتِكُمْ يَسْرَتِنَ
ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْأَمْصِرُ ٧٢

(٦٥) ألم تر أن الله تعالى ذلّل لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزروع والثمار والجمادى لركوبكم وطعامكم وكل منافعكم، كما ذلّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره، فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، وهو الذي يمسك السماء في حفظها، حتى لا تقع على الأرض فيهلك من عليها إلا بإذنه سبحانه بذلك؟ إن الله ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، ومن رحمته بهم ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها، تفضلاً منه عليهم.

(٦٦) وهو الله تعالى الذي أحياكم بأن أوجدكم من العدم، ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم، ثم يحييكم بالبعث المحاسبتكم على أعمالكم. إن الإنسان لجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته.

(٦٧) لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها، فلا ينازعك - أيها الرسول - مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها، وادع إلى توحيد ربك وإخلاص

العبادة له واتباع أمره، إنك لعلى دين قويم، لا أعوجاج فيه.

(٦٨) وإن أصرّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون.

(٦٩) الله تعالى يحكم بين المسلمين والكافرين يوم القيامة في أمر اختلافهم في الدين. وفي هذه الآية أدب حسن في الرد على من جادل تعتنا واستكباراً.

(٧٠) ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماء والأرض علماً كاملاً قد أثبت في اللوح المحفوظ؟ إن ذلك العلم أمر سهل على الله الذي لا يعجزه شيء.

(٧١) ويصر كفار قريش على الشرك بالله مع ظهور بطلان ما هم عليه، فهم يعبدون آلهة، لم ينزل في كتاب من كتب الله برهان بأنها تصلح للعبادة، ولا علم لهم فيها اختلقوه، وافتروه على الله، وإنما هو أمر اتبعوا فيه آباءهم بلا دليل. فإذا جاء وقت الحساب في الآخرة فليس للمشركين ناصر ينصرهم، أو يدفع عنهم العذاب.

(٧٢) وإذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين ترى الكراهة ظاهرة على وجوههم، يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته. قل لهم - أيها الرسول -: أفلا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق ورؤية الداعين إليه؟ النار أعدّها الله للكافرين في الآخرة، وبئس المكان الذي يصيرون إليه.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لِلَّهِ وَارْتَدَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّلَابُ وَالْمُطْلُوبُ ۝ مَا قَدَّرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرَهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَحِجَّؤا فِي
اللَّهِ حَقَّ حِجَّاهُ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَيْبِكُمْ يَتْرُكُهُمْ هُوَ سَمْدُكُمْ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَعِصُوا بِاللَّهِ هُومَوْلَاكُمْ فَعَمَّ الْمَوْلَى وَيَعْمُ النَّصِيرُ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٧٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا له
وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها
من دون الله لن تقدر مجتمعة على خلق ذبابة
واحدة، فكيف يخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن
تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك
من عجز؟ فهما ضعيفان معاً: ضَعُفَ الطالب
الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما
أخذته الذباب منه، وَضَعُفَ المطلوب الذي هو
الذباب، فكيف تُنخذ هذه الأصنام والأنداد
ألهة، وهي هذا الهوان؟

(٧٤) هؤلاء المشركون لم يعظموا الله حق
تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي
خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالب.

(٧٥، ٧٦) الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة
رسلاً إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلاً؛ لتبليغ
رسالاته إلى الخلق، إن الله سميع لأقوال عباده،
بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة من
خلقه. وهو سبحانه يعلم ما بين أيدي ملائكته

ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم. وإلى الله وحده ترجع الأمور.

(٧٧، ٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اركعوا واسجدوا في صلاتكم، واعبدوا ربكم وحده
لا شريك له، وافعلوا الخير؛ لتفلحوا، وجاهدوا أنفسكم، وقوموا قياماً تاماً بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم، مخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا
الدِّين، وقد مَنَّ عليكم بأن جعل شريعتم سمحة، ليس فيها تضيق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها، كما كان في بعض
الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين من قبل في الكتب المنزلة السابقة، وفي
هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار؛ ليكون خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً عليكم بأنه بلغكم رسالة
ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها،
فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تلحظوا إلى الله
سبحانه وتعالى، وتتوكلوا عليه، فهو نِعَمُ المولى لمن تولاها، ونعم النصير لمن استنصره.

﴿سورة المؤمنون﴾

- (١) قد فاز المصدقون بالله وبرسوله العاملون بشرعه.
- (٢) الذين من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاشعون، تفرغ لها قلوبهم، وتسكن جوارحهم.
- (٣) والذين هم تاركون لكل ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال.
- (٤) والذين هم مطهرون لنفوسهم وأموالهم بأداء زكاة أموالهم على اختلاف أجناسها.
- (٥) والذين هم لفرجهم حافظون مما حرم الله من الزنى واللواط وكل الفواحش.
- (٦) إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيانهم من الإماء، فلا لوم عليهم ولا حرج في جماعهم والاستمتاع بهن؛ لأن الله تعالى أحلهن.
- (٧) فمن طلب التمتع بغير زوجته أو أمته فهو من المجاوزين الحلال إلى الحرام، وقد عرض نفسه لعقاب الله وسخطه.
- (٨) والذين هم حافظون لكل ما أوثموا عليه،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَمَعَاجِزِهِمْ رِعَايُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي فَرْقَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً وَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَاهَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أُنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَنَبِيِّنَا ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا نُوْرَ الْيَقِيْمَةِ يُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

موفون بكل عهدهم.

(٩) والذين هم يداومون على أداء صلاتهم في أوقاتها على هيئتها المشروعة، الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٠) هؤلاء المؤمنون هم الوارثون الجنة.

(١١) الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً، هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول.

(١٢) ولقد خلقنا آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض.

(١٣) ثم خلقنا بنينه متناسلين من نقطة: هي مني الرجال تخرج من أصلابهم، فتستقر متمكنة في أرحام النساء.

(١٤) ثم خلقنا النطفة علقة أي: دماً أحر، فخلقنا العلقة بعد أربعين يوماً مضغة أي: قطعة لحم قَدَّرَ ما يُمَضَّغ، فخلقنا المضغة اللينة عظماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله، الذي أحسن كل شيء خلقه.

(١٥) ثم إنكم أيها البشر بعد أطوار الحياة وانقضاء الأعمار لميتون.

(١٦) ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء.

(١٧) ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا عن الخلق غافلين، فلا تُغفل مخلوقاً، ولا ننساه.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُم فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَتَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْيَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعٌ لِّلْأَكْلِيتِ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّا لَكُوفِي الْأَنْعَامِ لِعِزَّةٍ تُشْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُوا أَمْرًا وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدَّعَى أَنَّهُ يَنْفَضِلُ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ عَلَيْكُم مَّا سَمِعْتُمُوهُ يُهْدِي إِلَى آيَاتِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ إِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَّا يَصْصُورُ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ دَاعِيًا أَفْوَاحِيًا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعَذَّبُونَ ﴿٢٥﴾

(١٨) وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنه في الأرض وإننا على ذهاب به خلاق، وجعلنا الأرض مستقراً لهذا الماء، وإننا على ذهاب بالماء المستقر لقادرون. وفي هذا تهديد ووعد للظالمين.

(١٩) فأنشأنا بهذا الماء لكم بساتين النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه كثيرة الأنواع والأشكال، ومنها تأكلون.

(٢٠) وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل طور «سَيَاء»، يعصر منها الزيت، فيدهن ويؤتم به.

(٢١) وإن لكم -أيها الناس- في الإبل والبقر والغنم لعبرة تعتبرون بخلقها، تُشفيكم مما في بطونها من اللبن، ولكم فيها منافع أخرى كثيرة كالصوف والجلود، ونحوهما، ومنها تأكلون.

(٢٢) وعلى الإبل والسفن في البر والبحر تُحمَلون.

(٢٣) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، بدعوة التوحيد فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، أفلا تخشون عذابه؟

(٢٤، ٢٥) فكذبه أشراف قومه، وقالوا لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلاً عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لأرسله من الملائكة، ما سمعنا بمثل هذا فيمن سبقتنا من آباء وأجداد. وما نوح إلا رجل به مَسٌّ من الجنون، فانتظروا حتى يُثبِت، فترك دعوته، أو يموت، فتستريحوا منه.

(٢٦) قال نوح: رب انصُرني على قومي؛ بسبب تكذيبهم إياي فيما بلّغتهم من رسالتك.

(٢٧) فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق، وبدأ الطوفان، فنع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يجبر فيه- علامة على مجيئ العذاب، فأدخل في السفينة من كل الأحياء ذكراً وأنثى، ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا من استحق العذاب لكفره كزوجتك وابنتك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرِقون لا محالة. وفي هذه الآية إثبات صفة العين لله سبحانه بها يليق به تعالى دون تشبيه ولا تكليف.

(٢٨) فإذا علوت السفينة مستقراً عليها أنت ومن معك آمنين من الغرق، فقل: الحمد لله الذي نجانا من القوم الكافرين.

(٢٩) وقل: رب يسّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزلين. وفي هذا تعليم من الله عز وجل لعباده إذا نزلوا أن يقولوا هذا الدعاء.

(٣٠) إن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله، وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم.

(٣١) ثم أنشأنا من بعد قوم نوح جيلاً آخرهم قوم عاد.

(٣٢) فأرسلنا فيهم رسولا منهم هو هود عليه السلام، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تتخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟

(٣٣) وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة، وأطغاهم ما أنعم به عليهم في الدنيا من ترف العيش: ما هذا الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر

فإذا استرّيت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجّنا من القوم الظالمين ﴿٢٨﴾ وقل رب أنزلي من السماء ماء
فأشربنا ﴿٢٩﴾ إن في ذلك لآياتٍ لمن كان مبصراً ﴿٣٠﴾ ثم أنشأنا
من بعدهم قوماً آخرين ﴿٣١﴾ فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، أفلا تتقون ﴿٣٢﴾ وقال الملأ من قومه
الذين كفروا وكذبوا بآيائه الآخرة وأترفههم في الحياة الدنيا
ما هذا إلا بشر مثكم نكل مما تأكلون منه ويسرّون
مما تشرّون ﴿٣٣﴾ ولئن أطلعناهم بشرنا منك إنكم إذا
لخاسرون ﴿٣٤﴾ أيعذّبكم أنكم إذا مشتم وكتمتم تراباً وعظاماً أنكم
مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هيّأت لهم آياتنا لعلهم يرجعون ﴿٣٦﴾ ولئن
أطلعناهم بشرنا منك إنكم إذا لخاسرون ﴿٣٧﴾ أيعذّبكم أنكم
إذا مشتم وكتمتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرَجُونَ ﴿٣٨﴾ ولئن
أطلعناهم بشرنا منك إنكم إذا لخاسرون ﴿٣٩﴾ أيعذّبكم أنكم
إذا مشتم وكتمتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرَجُونَ ﴿٤٠﴾ ولئن
أطلعناهم بشرنا منك إنكم إذا لخاسرون ﴿٤١﴾ أيعذّبكم أنكم
إذا مشتم وكتمتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرَجُونَ ﴿٤٢﴾

مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.

(٣٤) ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم ألهتكم واتباعكم إياه.

(٣٥) كيف تُصدّقون ما يعذّبكم به من أنكم إذا متّم، وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرّجون من قبوركم أحياء؟

(٣٦) بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرّجون أحياء من قبوركم.

(٣٧) ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيى الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.

(٣٨) وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولستنا بمصدقين ما قاله لنا.

(٣٩) فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرني عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.

(٤٠) وقال الله مجيباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحنّ نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.

(٤١) ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكهم الله بها، فأتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين وبعداً لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل بهم ما حل بسابقيهم.

(٤٢) ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلقاً آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

مَا تَسْتَشِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتَرَكَّلُ مَآجَهُ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ بَعْدَهُ الْقَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى
وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا الْوَيْلُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَدٌ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ أَنَّهُ لَكِنَّ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَهُ عَائِلَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَتَأْتِيهِمُ الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنْ هَذِهِ أَتَىكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا زَيْدُكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ
فِرْيُونٌ ﴿٥٣﴾ فَذَرُّهُمْ فِي عَمْرِيهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٤﴾ ائْتَسِبُونَ أَمَّا يُدْرِكُهُمْ
يَوْمَ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نَسَاجُ لَهْمُ فِي الْخَبَرِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
يَعَايَنُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٣) ما تستقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد هلاكها، ولا تتأخر عنه.

(٤٤) ثم أرسلنا رسلنا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضاً، كلما دعا رسول أمته كذبوه، فأتبعنا بعضهم بعضاً بهلاك والدمار، ولم يبق إلا أخبار هلاكهم، وجعلناها أحاديث لمن بعدهم، يتخذونها عبرة، وفهلاًكاً وسُخفاً لقوم لا يصدقون الرسل ولا يطيعونهم.

(٤٥، ٤٦) ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع وهي: العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص من الثمرات، حجة بيّنة تقهر القلوب فتفتاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة على المعاندين، أرسلناهما إلى فرعون حاكم «مصر» وأشراف قومه، فاستكبروا عن الإتيان بموسى وأخيه، وكانوا قوماً متطاولين على الناس قاهرين لهم بالظلم.

(٤٧) فقالوا: «أصدّق فردّين مثلنا، وقومها من بني إسرائيل تحت إمرتنا مطيعون متذلّلون لنا؟» (٤٨) فكذبوا بها فيها جاء به، فكانوا من المهلكين بالغرق في البحر.

(٤٩) ولقد آتينا موسى التوراة؛ ليهتدي بها قومه إلى الحق.

(٥٠) وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لها مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جار ظاهر للعيون.

(٥١) يا أيها الرسل كلوا من طيب الرزق الحلال، واعمِلوا الأعمال الصالحة، إني بما تعملون عليّ شيء من أعمالكم. والخطاب في الآية عام للرسل -عليهم السلام- وأتباعهم، وفي الآية دليل على أن أكل الحلال عون على العمل الصالح، وأن عقابة الحرام وخيمة، ومنها رد الدعاء.

(٥٢) وإن دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد وهو الإسلام، وأنا ربكم فانقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجرى. (٥٣) فتفرّق الأنبياء في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أدياناً بعدما أمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل. وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين.

(٥٤) فاتركهم -أيها الرسول- في ضلالهم وتجهلهم بالحق إلى أن ينزل العذاب بهم. (٥٥، ٥٦) أيطن هؤلاء الكفار أن ما نمذّمهم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟ إنها نعجل لهم الخير فتنة لهم واستدرجاً، ولكنهم لا يُجسّون بذلك.

(٥٧) إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وجلون بما خوفهم الله تعالى به.

(٥٨) والذين هم يصدقون بآيات الله في القرآن، ويعملون بها.

(٥٩) والذين هم مخلصون العبادة لله وحده، ولا يشركون به غيره.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا فَأُولَٰئِهِمْ رَوْحَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يَسِرَّ غُوثٌ فِي الْقُرَىٰ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفُ
 نَفْسًا لَّوْ سَعَهَا وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِطَقِ يَأْتِي وَهُمْ لَا يَبْطَلُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ
 هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَفِيقَهُمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
 يَجْعِرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يُجْعِرُوا وَلَا يُنْكِرُوا إِنَّا لَنَصْرُوهُمْ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
 آيَاتِنَا نَتْلُو عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْتَجِرُونَ ﴿٦٧﴾ فَأَمَّا يَدَّبَرُوا فِيقُولُ أَمْ
 جَاءَهُمْ قَوْمٌ بِآيَاتٍ أَتَىٰ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
 فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
 وَأَكْفَرَهُمْ هَلْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
 عَنِ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا فَقَالَ رَبِّكَ خَيْرٌ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَذَلِكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَفِّرُ عَنْهُمْ

(٦٠) والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب.

(٦١) أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

(٦٢) ولا تكلف عبداً من عبادنا إلا بما يسعه العمل به، وأعمالهم مسطورة عندنا في كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة ينطق بالحق عليهم، ولا يُظلم أحد منهم.

(٦٣) لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه، وهم مع شركهم أعمال سيئة، يُملهم الله ليعملوها، فينالوا غضب الله وعقابه.

(٦٤) حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعدابنا، إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين.

(٦٥) فيقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا اليوم، إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله.

(٦٦) قد كانت آيات القرآن تُقرأ عليكم، لتؤمنوا بها، فكنتم تنفرون من ساعها والتصديق بها، والعمل بها كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء.

(٦٧) تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام، تقولون: نحن أهل لا نُغلب فيه، وتتسامرون حوله بالسئى من القول.

(٦٨) أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه، أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت آباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟

(٦٩) أم منعهم من اتباع الحق أن رسولهم محمداً صلى الله عليه وسلم غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟
 (٧٠) بل أحسبوه مجنوناً؟ لقد كذبوا؛ فإنما جاءهم بالقرآن والتوحيد والدين الحق، وأكثرهم كارهون للحق حسداً وبغياً.
 (٧١) ولو شرع الله ما يوافق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

(٧٢) بل أمتنعهم من الإيمان أنك -أيها الرسول- تسألم أجرأ على دعوتك لهم فبخلوا؟ لم تفعل ذلك، فإن ما عند الله من الثواب والعطاء خير، وهو خير الرازقين، فلا يقدر أحد أن يرزق مثل رزقه سبحانه وتعالى.

(٧٣) وإنك -أيها الرسول- لتدعو قومك وغيرهم إلى دين قويم، وهو دين الإسلام.

(٧٤) وإن الذين لا يُصدقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لها، عن طريق الدين القويم لماثلون إلى غيره.

* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفُ فِي طَعْنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّئُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ
الْبَيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا لَكُم بِهَذَا وَإِنَّا لَمُفْعِلُونَ ﴿٨٣﴾
إِن هَذَا إِلَّا أَلْهَاسٌ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ ﴿٨٤﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ
فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ مَنْ
يَسْأَلُهُمْ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيبُهُمْ وَلَا يَجْأُرُ عَلَيْهِمْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٩٠﴾

(٧٥) ولورحمتناهم وكشفنا عنهم ما بهم من
قحط وجوع لتهاووا في الكفر والعناد، يتحيزون
ويتعبطون.

(٧٦) ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب فما
خضعوا لربهم، وما دعوه خاشعين عند نزولها.
(٧٧) حتى إذا فتحننا عليهم باباً من العذاب
الشديد في الآخرة، إذا هم فيه آيسون من كل
خير، متحيزون لا يدرون ما يصنعون.

(٧٨) وهو الذي أنشأ لكم السمع لإدراك
المسموعات، والأبصار لإدراك المرئيات،
والأفئدة لتفقهوا بها، ومع ذلك فشركم لهذه
النعم المتوالية عليكم قليل لا يذكر.

(٧٩) وهو الذي خلق جميع الناس في الأرض،
وإليه تحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم
من خير أو شر.

(٨٠) وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت
بعد الحياة، وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما،
أفلا تعقلون قدرته ووحديته؟

(٨١) لكن الكفار لم يصدقوا بالبعث، بل ردّدوا
مقولة أسلافهم المنكرين.

(٨٢) قالوا: إذا متنا وتحللت أجسامنا وعظامنا
في تراب الأرض نحيا مرة أخرى؟ هذا لا يكون
ولا يتصور.

(٨٣) لقد قبل هذا الكلام لأبانتنا من قبل، كما تقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة، ما هذا إلا أباطيل الأولين.

(٨٤) قل لهم: لمن هذه الأرض ومن فيها إن كان لديكم علم؟

(٨٥) سيعترفون حقاً بأنها لله، هو خالقها ومالكها، قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكرة بأنه قادر على البعث والنشور؟

(٨٦) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟

(٨٧) سيقولون حقاً: هي ملك لله، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟

(٨٨) قل: من مالك كل شيء ومن بيده خزائن كل شيء، ومن يجير من استجار به، ولا يقدر أحد أن يجير ويحمي من أراد
الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدره الله، إن كنتم تعلمون ذلك؟

(٨٩) سيجيبون: بأن ذلك كله لله، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتضربون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق
أمر البعث والنشور؟

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ إِذَا دُخِلَ إِلَهُ يَمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي أَنْ تَرْبِّتَنِي أَوْ تَتَخَلَّى بَيْنِي وَبَيْنَ آلِ آدَمَ أَوْ إِنْ تَرْبِّتَنِي فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرْبِّتَنِي مَا نُعِدُّهُمْ لَقَدْ رُونَ ﴿٩٤﴾ أَدْفَعُ بَأْأَنِي مِنْ أَحْسَنِ الشَّيْءِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا اسْبَاطَ لِيَبْتَغِيهِمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٠﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ لِنَارٍ وَهَمُّهَا كَالْحِجُونَ ﴿١٠٣﴾

(٩٠) بل أتينا هؤلاء المنكرين بالحق فيما أرسلنا به محمداً صلى الله عليه وسلم، وإنهم لكاذبون في شركهم وإنكارهم البعث.

(٩١) لم يجعل الله لنفسه ولداً، ولم يكن معه من معبود آخر؛ لأنه لو كان ثمة أكثر من معبود لانفرد كل معبود بمخلوقاته، ولكان بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختل نظام الكون، تنزه الله سبحانه وتعالى وتقدس عن وصفهم له بأن له شريكاً أو ولداً.

(٩٢) هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهده، فتنبه الله تعالى عن الشريك الذي يزعمون.

(٩٣، ٩٤) قل -أيها الرسول-: رب إما تربّي في هؤلاء المشركين ما تعبدّهم من عذابك فلا تمكّنني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين الظالمين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنهم.

(٩٥) وإنا لقادرون على أن نريك ما تعبدّهم من العذاب.

(٩٦) إذا أساء إليك أعداؤك -أيها الرسول- بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم بالإحسان منك إليهم، نحن أعلم

بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وسنجازيهم عليه أسوأ الجزاء.

(٩٧، ٩٨) وقل -أيها النبي-: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق وسوستها، وأستجير بك -يا رب- من حضورهم في شيء من أموري.

(٩٩) يغير الله تعالى عن حال المحتضر من الكافرين أو المظفرين في أمره تعالى، حتى إذا أشرف على الموت، وشاهد ما أعدّ له من العذاب قال: رب ردوني إلى الدنيا.

(١٠٠) لعلّي أستدرك ما ضيعت من الإيمان والطاعة. ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب، ولا يُنهل، فإنها هي كلمة هو قائلها قولاً لا ينفعه، وهو فيه غير صادق، فلو ردّ إلى الدنيا لعاد إلى ما مئى عنه، وسيبقى المتوفون في الحاجز والبرزخ الذي بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور.

(١٠١) فإذا كان يوم القيامة، ونفخ الملك المكلف في «القرن»، وبعث الناس من قبورهم، فلا تفاخر بالأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا، ولا يسأل أحد أحداً.

(١٠٢) فمن كثرت حسناته وثقلت بها موازين أعماله عند الحساب، فأولئك هم الفائزون بالجنة.

(١٠٣) ومن قلت حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم، في نار جهنم خالدون.

(١٠٤) تحرق النار وجوههم، وهم فيها عابسون تقلصت شفاههم، وبرزت أسنانهم.

أَلَمْ تَكُنْ إِذْ يَبْتَغِي عَلَيْكَ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا فَوْقَ مَا صَبَّأْتَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَ مَنِ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذُوا مَوْحُومًا سِحْرَ بَاقٍ أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا وَأَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَلِمَاتٍ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّهُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سورة المؤمنون

(١٠٥) يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تنلى عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟
(١٠٦) لما بلغتهم الرسل وأنذرتهم قالوا يوم القيامة: ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدرة علينا في سابق علمك، وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى.

(١٠٧) ربنا أخرجنا من النار، وأعدنا إلى الدنيا، فإن رجعنا إلى الضلال فإننا ظالمون نستحق العقوبة.
(١٠٨) قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء ولا تخاطبوني. فانقطع عند ذلك دعاؤهم ورجاؤهم.

(١٠٩) إنه كان فريق من عبادي - وهم المؤمنون - يدعون: ربنا آمنا فاستر ذنوبنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

(١١٠) فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، فبقيتهم على تكذيبكم، وقد كنتم تضحكون منهم سخريه واستهزاء.

(١١١) إني جزيت هذا الفريق من عبادي المؤمنين الفوز بالجنة؛ بسبب صبرهم على الأذى وطاعة الله.

(١١٢) ويسأل الأشقياء في النار: كم بقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيعتم فيها من طاعة الله؟

(١١٣) قالوا ليهول الموقف وشدة العذاب: بقينا فيها يوماً أو بعض يوم، فاسأل الحُشَّاب الذين يعدُّون الشهور والأيام.

(١١٤) قال لهم: ما ليستم إلا وقتاً قليلاً لو صبرتم فيه على طاعة الله لفزتم بالجنة، لو كان عندكم علم بذلك؛ وذلك لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جداً بالنسبة إلى طول مدتهم خالدين في النار.

(١١٥) أفحسبتم - أيها الخلق - أنها خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء؟

(١١٦) فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعدته حق، ووعدته حق، وكل شيء منه حق، وتقدَّس عن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سقهاً، لا إله غيره ربُّ العرش الكريم، الذي هو أعظم المخلوقات.

(١١٧) ومن يعبد مع الله الواحد إلهاً آخر، لا حجة له على استحقاقه العبادة، فإنما جزاؤه على عمله السيئ عند ربه في الآخرة. إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة.

(١١٨) وقل - أيها النبي -: ربِّ تجاوز عن الذنوب وارحم؛ وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

﴿سورة النور﴾

(١) هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها، وأوجنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها دلالات واضحة؛ لتذكروا - أيها المؤمنون - بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها.

(٢) الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج، عقوبة كل منهما مائة جلدة بالسوط، وثبت في السنة مع هذا الجلد التعريب لمدة عام. ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها، إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام، وليحضر العقوبة عدد من المؤمنين؛ تشيعاً وزجراً وعظة واعتباراً.

(٣) الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا يُقرب بحرمة الزنى، والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقرب بحرمة الزنى، أما العفيفون والعفيفات فانهم لا يرضون بذلك، وحُرِّمَ ذلك النكاح على المؤمنين. وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك تحريم إنكاح الزاني حتى يتوب.

(٤) والذين يتهمون بالفاحشة أنفسهم عفيفة من النساء والرجال من دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول، فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً،

وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

(٥) لكن من تاب وكندم ورجع عن اتهامه وأصلح عمله، فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه، ويقبل توبته.

(٦، ٧) والذين يرمون زوجاتهم بالزنى، ولم يكن لهم شهود على اتهامهم هن إلا أنفسهن، فعلى الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رمتها به من الزنى، ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذباً في قوله.

(٨، ٩) وبشهادته تستوجب الزوجة عقوبة الزنى، وهي الرجم حتى الموت، ولا يدفع عنها هذه العقوبة إلا أن تشهد في مقابل شهادته أربع شهادات بالله إنه لكاذب في اتهامه لها بالزنى، وتزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسها باستحقاقها غضب الله، إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها، وفي هذه الحال يفرق بينهما.

(١٠) ولولا تفضل الله عليكم ورحمته - أيها المؤمنون - بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحل بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه، وأن الله تواب لمن تاب من عباده، حكيم في شرعه وتديبره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ أُنزِلَتْهَا وَقَرَّضَهَا وَأُنزِلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فَهُمْ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ وَبَيِّنُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبَرٌ لِّكُلِّ أَمرٍ مِّنْهُمْ مَا كَتَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَهُ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَدَاءِ فَزَلَّتْ بِهِمْ وَكَفَى بِنَفْسِهِمْ الْكَيْدُ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ وَيَأْتِيَنَّكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَشَدُّ لَعْنًا لِّلْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(١١) إن الذين جاءوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين - لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك من ثبوت أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي تحمّل معظمه، وهو عبدالله بن أبي بن سلول كبير المنافقين - لعنه الله - له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

(١٢) هلاً ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيراً عند سماعهم ذلك الإفك، وهو السلامة مما رموا به، وقالوا: هذا كذب ظاهر على عائشة رضي الله عنها.

(١٣) هلاً أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله.

(١٤) ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم؛ بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم

يعجل عقوبتكم، وتاب على من تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم.

(١٥) حين تتلقفون الإفك وتتناقضون بأفواهكم، وهو قول باطل، وليس عندكم به علم، وهما محظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتظنون ذلك شيئاً هيناً، وهو عند الله عظيم. وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل.

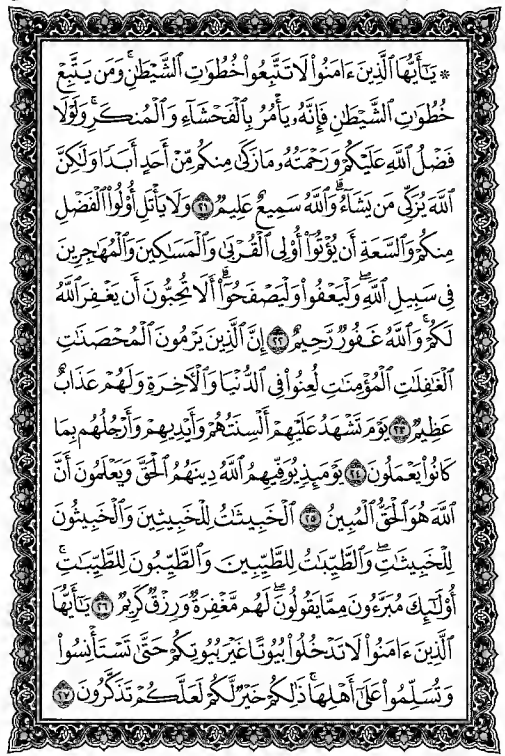
(١٦) وهلاً قلتم عند سماعكم إياه: ما يجلب لنا الكلام بهذا الكذب، تنزيهاً لك - يارب - من قول ذلك على زوجة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب.

(١٧) يذكركم الله ويهاكم أن تعودوا أبداً لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب، إن كنتم مؤمنين به.

(١٨) ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواظ، والله عليهم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتديبه.

(١٩) إن الذين يحبون شيع الفاحشة في المسلمين من قذف بالزنى أو أي قول سيئ هم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وغيره من البلايا الدنيوية، ولهم في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا، والله - وحده - يعلم كذبهم، ويعلم مصالح عباده، وعواقب الأمور، وأنتم لا تعلمون ذلك.

(٢٠) ولولا فضل الله على من وقع في حديث الإفك ورحمته بهم، وأن الله يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، لما بين هذه الأحكام والمواظ، ولعاجل من خالف أمره بالعقوبة.



(٢١) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا
 بشرعه لا تسلكوا طرق الشيطان، ومن يسلك
 طرق الشيطان فإنه يأمره بقبیح الأفعال
 ومنكراتها، ولولا فضل الله على المؤمنين ورحمته
 بهم ما طهر منهم أحد أبداً من دنس ذنبه، ولكن
 الله -بفضله- يطهر من يشاء. والله سميع
 لا قوالم، عليم بنياتكم وأفعالكم.

(٢٢) ولا يحلف أهل الفضل في الدين والسعة
 في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء،
 والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفهم
 ويسد حاجتهم، والمهاجرين في سبيل الله،
 ومنعهم النفقة؛ بسبب ذنب فعلوه، وليتجاوزوا
 عن إساءتهم، ولا يعاقبهم. ألا تحبون أن
 يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم. والله
 غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحث على
 العفو والصنع، ولو قوبل بالإساءة.

(٢٣) إن الذين يقذفون بالزنى العيفيات
 الغافلات المؤمنات اللاتي لم يحظر ذلك بقلوبهن،
 مطرودون من رحمة الله في الدنيا والآخرة، وهم
 عذاب عظيم في نار جهنم. وفي هذه الآية دليل

على كفر من سب، أو اتهم زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بسوء.

(٢٤) ذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما نطق، وتكلم أيديهم وأرجلهم بما عملت.

(٢٥) في هذا اليوم يوفيه الله جزاءهم كاملاً على أعمالهم بالعدل، ويعلمون في ذلك الموقف العظيم أن الله هو الحق المبين
 الذي هو حق، ووعدته حق، ووعدته حق، وكل شيء منه حق، الذي لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

(٢٦) كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للخبيث وموافق له، وكل طيب من الرجال والنساء
 والأقوال والأفعال مناسب للطيب وموافق له، والطيبون والطيبات مبرؤون مما يرميهم به الخبيثون من السوء، لهم من الله
 مغفرة تستغرق الذنوب، ورزق كريم في الجنة.

(٢٧) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا أهلها في الدخول
 وتسلموا عليهم. وصيغة ذلك من السنة: السلام عليكم أَدْخُلْ؟ ذلك الاستئذان خير لكم؛ لعلكم تذكرون -بفعلكم
 له- وأمر الله، فقطيعوه.

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
يَحْرُمَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ سَيِّئَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْزَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَا يَظْهَرُونَ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٣١﴾

(٢٨) فإن لم تجدوا في بيتك أحدًا في بيوت الآخرين أحدًا فلا تدخلوها حتى يوجد من يأذن لكم، فإن لم يأذن، بل قال لكم: ارجعوا فارجعوا، ولا تُلجأوا، فإن الرجوع عندئذ أطهر لكم؛ لأن للإنسان أحوالاً يكره اطلاع أحد عليها. والله بما تعملون عليم، فيجازي كل عامل بعمله.

(٢٩) لكن لا حرج عليكم أن تدخلوا بغير استئذان بيوتاً ليست مخصصة لسكنى أناس بذاتهم، بل ليعتصم بها من يحتاج إليها الكليوبات المَعْدَّة صدقة لابن السبيل في طرق المسافرين وغيرها من المرافق، ففيها منافع وحاجة لمن يدخلها، وفي الاستئذان مشقة. والله يعلم أحوالكم الظاهرة والخفية.

(٣٠) قل - أيها النبي - للمؤمنين يغضوا من أبصارهم عما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهن عما حرم الله من الزنى واللواط، وكشف العورات، ونحو ذلك، ذلك أطهر لهم. إن الله خير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.

(٣١) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

عما لا يحل لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عما حرم الله، ولا يُظهرن زينتهن للرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات أعلى ثيابهن من جهة صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يُظهرن الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها كالوجه، والعنق، واليد، والساعدين يباح رؤيته لآبائهن، أو آباء أزواجهن، أو آبائهن، أو أبناء أزواجهن، أو إخوانهن، أو أبناء إخوانهن، أو نساءهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن من العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البُله الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سترهن بأرجلهن لئلا يسمعن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا - أيها المؤمنون - إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تغزوا بخيري الدنيا والآخرة.

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَأَمَّا بَيْعُكُمْ
بَكُوفٍ مُّقْتَرَاءٍ يَغْنَمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَتْ فَتَنٌ لِلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَيْ تَأْتِيهِمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَوْفُوا بِمَا لَكُمْ اللَّهُ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكُونُوا
فَتَيِّبُكُمْ عَلَى الْبَيْعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ أَرْهَهُنَّ عَلِيمٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ أُنزِلَتْ إِلَيْكُمْ آيَاتٌ مُّبَيِّنَاتٌ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ وَاللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْسٍ كَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ آدَمَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ
وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَاءُ يُسَبِّحُ لَهَا فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْبَالِ ﴿٣٦﴾

(٣٢) وزوّجوا -أيها المؤمنون- من لا زوج له من الأحرار والحرائر والصالحين من عبيدكم وجواريكم، إن يكن الراغب في الزواج للعفة فقيراً يغنه الله من واسع رزقه. والله واسع كثير الخير عظيم الفضل، عليم بأحوال عباده.

(٣٣) والذين لا يستطيعون الزواج لفقروهم أو غيره فليطلبوا العفة عمّا حرّم الله حتى يغنيهم الله من فضله، ويسرّ لهم الزواج. والذين يريدون أن يتحرروا من العبيد والإماء بمكاتبه أسيادهم على بعض المال يؤدونه إليهم، فعلى مالكيهم أن يكاتبوهم على ذلك إن علموا فيهم خيراً: من رشد وقدرة على الكسب وصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم شيئاً من المال أو أن يحطوا عنهم مما كُتبتوا عليه. ولا يجوز لكم إكراه جواريككم على الزنى طلباً للمال، وكيف يقع منكم ذلك وهن يُرذّن العفة وأنتم تأبونها؟ وفي هذا غاية التشجيع لفعلهم القبيح. ومن يكرههن على الزنى فإن الله تعالى من بعد إكراههن غفور لمن رحيم بهن، والإثم على من أكرهن.

(٣٤) ولقد أنزلنا إليكم -أيها الناس- آيات

القرآن دلالات واضحات على الحق، ومثلاً من أخبار الأمم السابقة المؤمنين منهم والكافرين، وما جرى لهم وعليهم ما يكون مثلاً وعبرة لكم، وموعظة يتعظ بها من يتقى الله ويحذّر عذابه.

(٣٥) الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيها ويهدي أهلها، فهو -سبحانه- نور، وحجابه نور، به استنارت السموات والأرض وما فيها، وكتاب الله وهدايته نور منه سبحانه، فلولا نوره تعالى لتراكت الظلمات بعضها فوق بعض. مثل نوره الذي يهدي إليه، وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن كمشكاة، وهي الكوة في الحائط غير النافذة، فيها مصباح، حيث تجمع الكوة نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في زجاجة، كأنها -لصفاتها- كوكب مضيء كالدرّ، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، يكاد زيتها -لصفاته- يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار أضاءه بليغة، نور على نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن. والله يهدي ويوفق لاتباع القرآن من يشاء، ويضرب الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

(٣٦) هذا النور المضيء في مساجد أمّر الله أن يُرفع شأنها وبنائها، ويُذكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل، وغير ذلك من أنواع الذكر، يُصلّي فيها لله في الصباح والمساء.

رَجَالٌ لَا تُلَهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْزُقَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيِّئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
 أَوْ كَظُلُمٍ فِي بَاطِنٍ لِّبْنٍ يَغْمِسُ مِوْجًا مِّن فَوْقِهِ مِوْجًا مِّن فَوْقِهِ
 سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ
 يَرُهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ
 قَدَعَةٍ صَلَاتَهُ وَسَبِّحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ
 سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكامًا فَتَرَى الْوَدَّ يَخْرُجُ مِّنْ
 جُلُجُلِهِ وَيُنَزِّلُ مِّن السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
 وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَاذِبُونَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ ﴿٤٣﴾

(٣٧) رجال لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة مستحقها، يخافون يوم القيامة الذي تنقلب فيه القلوب بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك، وتنقلب فيه الأبصار تنظر إلى أي مصير تكون؟
 (٣٨) ليعطيهم الله ثواب أحسن أعمالهم، ويرزقهم من فضله بمضاعفة حسناتهم. والله يرزق من يشاء بغير حساب، بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، وبلا عد ولا كيل.
 (٣٩) والذين كفروا ببرهم وكذبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماء، فإذا أنه لم يجده ماء. فالكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم يجد لها ثواباً، ووجد الله سبحانه وتعالى له بالمرصاد فوفاه جزاء عمله كاملاً. والله سريع الحساب، فلا يستطيع الجاهلون ذلك الوعيد، فإنه لا بد من إتيانه.

(٤٠) أو تكون أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق يعلوه موج، ومن فوق الموج موج آخر، ومن فوقه سحب كثيف، ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، إذا أخرج الناظر يده لم يقارب رؤيتها من شدة الظلمات، فالكفار تراكمت عليهم ظلمات الشرك والضلal وفساد الأعمال. ومن لم يجعل الله له نوراً من كتابه وسنة نبيه يهتدي به فما له من هاد.
 (٤١) ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يُسَبِّحُ له مَنْ في السموات والأرض من المخلوقات، والطير صافات أجنحتها في السماء تسبح ربها؟ كل مخلوق قد أرشده الله كيف يصلي له ويسبحه. وهو سبحانه عليم، مُطَّلِع على ما يفعله كل عابد ومسبح، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بذلك.
 (٤٢) لله وحده ملك السموات والأرض، له السلطان فيهما، وإليه المرجع يوم القيامة.
 (٤٣) ألم تشاهد أن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب إلى حيث يشاء، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكماً، فينزل من بينه المطر؟ وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمته برداً، فيصيب به من يشاء من عباده ويصرفه عن من يشاء منهم بحسب حكمته وتقديره، يكاد ضوء ذلك البرق في السحاب من شدته يذهب بأبصار الناظرين إليه.

يَقْبَلُ اللَّهُ التَّائِبِينَ وَيَنْهَازُهُمْ فِي ذَلِكَ لَعْنَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ۝
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُونَ
آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِآلِ رَسُولٍ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَلَئِنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ
بِأُولَئِكَ لِيَهُ مُدْعَيْنَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْسَلُوا أَمْ يَحْفَظُونَ
أَنْ يُحْيِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَآوَلِيكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَمْنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ
لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ يَخْبِرُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

(٤٤) ومن دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى أنه يقلب الليل والنهار بمجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طولاً وقصراً، إن في ذلك لَدلالة يعتبر بها كل من له بصيرة.

(٤٥) والله تعالى خلق كل ما يدب على الأرض من ماء، فالماء أصل خلقه، فمن هذه الدواب: من يمشي زحفاً على بطنه كالحيات ونحوها، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها. والله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهو قادر على كل شيء.

(٤٦) لقد أنزلنا في القرآن علامات واضحات مرشديات إلى الحق. والله يهدي ويوفق من يشاء من عباده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام. (٤٧) ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما، ثم تغرّض طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول، وما أولئك بالمؤمنين.

(٤٨) وإذا دُعوا في خصوماتهم إلى ما في كتاب

الله وإلى رسوله؛ ليحكم بينهم، إذا فريق منهم معرض لا يقبل حكم الله وحكم رسوله، مع أنه الحق الذي لا شك فيه. (٤٩) وإن يكن الحق في جانبهم فإنهم يأتون إلى النبي عليه الصلاة والسلام طائعين متقادين لحكمه؛ لعلمهم أنه يقضي بالحق. (٥٠) سَبَبُ الإِعْرَاضِ ما في قلوبهم من مرض النفاق، أم شكوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أم السبب خوفهم أن يكون حكم الله ورسوله جائراً؟ كلا، إنهم لا يخافون جوراً، بل السبب أنهم هم الظالمون الفجرة. (٥١) أما المؤمنون حقاً فدأهم إذا دُعوا إلى التحاكم في خصوماتهم إلى كتاب الله وحكم رسوله، أن يقبلوا الحكم ويقولوا: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك، وأولئك هم المفلحون الفائزون بمطلوبهم في جنات النعيم. (٥٢) ومن يطع الله ورسوله في الأمر والنهي، ويخف عواقب العصيان، ويخدر عذاب الله، فهو لاء هم الفائزون بالنعيم في الجنة.

(٥٣) وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهدهم في الأيمان المغلظة: لئن أمرتنا -أيها الرسول- بالخروج للجهاد معك لنخرجن، قل لهم: لا تحلفوا كذباً، فطاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب، إن الله خبير بما تعملونه، وسيجازيكم عليه.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا فَتُطِيعُوا وَمَا عَلَّمَ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغَ الْمُبِينُ ٥٤ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ اللَّاتِي وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ٥٧ إِنَّا يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعُونَكَ لِيَسْتَخْلِفَنَّاكَ فِي مَلِكِكَ فَأَعِيذُوكُمُ الَّذِينَ يُلَاقُونََكُم مِّن يَّامِنِكُمْ لَأُبَدِّلَهُمُ الْقُلُوبَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَهُمُ الرِّسَالُ كَرِهُوا لَهَا وَإِنَّ رَبَّهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٥٨ وَكَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩

(٥٤) قل -أيها الرسول- للناس: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن تعرضوا فإننا على الرسول فِعْلٌ ما أمر به من تبليغ الرسالة، وعلى الجميع فِعْلٌ ما كلفوه من الامتثال، وإن ططيعوه ترشدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا أن يبلغ رسالة ربه بلاغاً بيناً.

(٥٥) وعد الله بالنصر الذين آمنوا منكم وعملوا الأعمال الصالحة، بأن يورثهم أرض المشركين، ويجعلهم خلفاء فيها، مثلاً فعل مع أسلافهم من المؤمنين بالله ورسله، وأن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم -وهو الإسلام- ديناً عزيزاً مكيناً، وأن يبدل حالهم من الخوف إلى الأمن، إذا عبدوا الله وحده، واستقاموا على طاعته، ولم يشركوا معه شيئاً، ومن كفر بعد ذلك الاستخلاف والأمن والتمكين والسلطنة التامة، وحده نعم الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

(٥٦) وأقيموا الصلاة تامة، وآتوا الزكاة

لمستحقها، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم؛ رجاء أن يرحمكم الله.

(٥٧) لا تظننَّ الذين كفروا معجزين الله في الأرض، بل هو قادر على إهلاكهم، ورجعهم في الآخرة إلى النار، وقبح هذا المرجع والمصير. وهو توجيه عام للأمة، وإن كان الخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم.

(٥٨) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشره مروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم وليس ثياب البقطة، ووقت خلع الثياب للقبولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، فهم طوافون عليكم للخدمة، ولأن العادة جرت بتردد بعضهم إلى بعض فيها لقضاء المصالح. كما بيَّن الله لكم أحكام الاستئذان بيِّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.

(٥٩) وإذا بلغ الأطفال منكم الفلأ فليستدوا كما استدأ الذين من قبلكم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴿٦٠﴾ والفرع من النساء التي لا تزوجن نكاحاً فليست عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴿٦١﴾ ليس على الأعرج حرج ولا على الأعمى حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكت أيمانكم من فواشيتكم أو أصديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فاستمروا على أنفسكم بحجة من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴿٦٢﴾

(٦٠) والعجائز من النساء اللاتي فعدن عن الاستمتاع والشهوة لكبرهن، فلا يطمعن في الرجال للزواج، ولا يطمعن فهن الرجال كذلك، فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء الذي يكون فوق الثياب غير مظهرات ولا متعرضات للزينة، ولئسهن هذه الثياب - سترأ وتعففأ - أحسن لهن. والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم.

(٦١) ليس على أصحاب الأعدار من العميان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدر على القيام بها، كالجهاد

ونحوه مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض، وليس على أنفسكم - أيها المؤمنون - حرج في أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم، فیدخل فيها بيوت الأولاد، أو من بيوت آبائكم، أو أمهاتكم، أو إخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عماتكم، أو أخوالكم، أو خالاتكم، أو من البيوت التي وكلتم بحفظها في غيبة أصحابها بإذنهم، أو من بيوت الأصدقاء، ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، فإذا دخلتم بيوتاً مسكونة أو غير مسكونة فليست عليكم على بعض نتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين إذا لم يوجد فيها أحد، وهذه نتحية شرعها الله، وهي مباركة تنمي المودة والمحبة، طيبة محبوبة للسامع، بمثل هذا التبيين يبين الله لكم معالم دينه وآياته؛ لتعقلوها، وتعملوها.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
 عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ
 لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَ كُمُكَ دُعَاءَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
 يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوَافِيحُ ذُرِّ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ
 أَمْرِهُ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ
 لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ
 يُرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
 ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(٦٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هم الذين صدَّقوا الله
 ورسوله وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي
 صلى الله عليه وسلم على أمر جمعهم له في
 مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى
 يستأذنه، إن الذين يستأذنونك -أيها النبي- هم
 الذين يؤمنون بالله ورسوله حقًا، فإذا استأذذك
 لبعض حاجتهم فأذن لمن شئت ممن طلب الإذن
 في الانصراف لعذر، واطلب لهم المغفرة من الله.
 إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

(٦٣) لا تقولوا -أيها المؤمنون- عند ندائكم
 رسول الله: يا محمد، ولا يا محمد بن عبد الله،
 كما يقول ذلك بعضكم لبعض، ولكن شرفوه،
 وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. قد يعلم الله
 المنافقين الذين يخرجون من مجلس النبي صلى
 الله عليه وسلم خفية بغير إذنه، يلود بعضهم
 ببعض، فليخذر الذين يخالفون أمر رسول الله
 أن تنزل بهم محنة وشدة، أو يصيبهم عذاب مؤلم
 موجه في الآخرة.

(٦٤) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلْقًا وَمُلْكًا وعبادة، قد أحاط علمه بجميع ما أنتم عليه، ويوم يرجع العباد إليه
 في الآخرة، يخبرهم بعملهم، ويجازيهم عليه، والله بكل شيء عليم، لا تخفى عليه أفعالهم وأحوالهم.

سورة الفرقان

(١) عَظُمَتْ بركات الله، وكثرت خيراته، وكملت أوصافه سبحانه وتعالى الذي نَزَّلَ القرآن الفارق بين الحق والباطل على
 عبده محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون رسولاً للإنس والجن، مخوفاً لهم من عذاب الله.
 (٢) الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء فسوّاه على
 ما يناسبه من الخلق، وفق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَنْفُسَهُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا
وَرُوءًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَتْهَا فِيهِ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَنَذِيرٌ ﴿٥﴾
أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنَّا تَنَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦﴾ أَنْظِرْ
كَفَيْضَ ضَرْبِ الْكَافِرِ الْأَمْثَلِ فَضْلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٨﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٩﴾

(٣) واتخذ مشركو العرب معبودات من دون الله لا تستطيع خلق شيء، والله خلقها وخلقهم، ولا تملك لنفسها دفع ضرر أو جلب نفع، ولا تستطيع إمامة حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حيًا من قبره.

(٤) وقال الكافرون بالله: ما هذا القرآن إلا كذب وبهتان اختلقه محمد، وأعانه على ذلك أناس آخرون، فقد ارتكبوا ظلمًا فظيعًا، وأتوا زورًا شنيعًا؛ فالقرآن ليس مما يمكن لبشر أن يخلقه.

(٥) وقالوا عن القرآن: هو أحاديث الأولين المسطرة في كتبهم، استنسخها محمد، فهي تُقرأ عليه صباحًا ومساءً.

(٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: إن الذي أنزل القرآن هو الله الذي أحاط علمه بسا في السموات والأرض، إنه كان غفوراً لمن تاب من الذنوب والمعاصي، رحيماً بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

(٨، ٧) وقال المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول الله (يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم) يأكل الطعام مثلنا، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق؟ فهلاً أرسل الله معه ملكاً يشهد على صدقه، أو يهبط عليه من السماء كنز من مال، أو تكون له حديقة عظيمة يأكل من ثمرها، وقال هؤلاء الظالمون المكذبون: ماتبعون أيها المؤمنون إلا رجلاً به سحر غلب على عقله.

(٩) انظر -أيها الرسول- كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه -لغرابتها- الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبعثوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إليه؛ ليصححوا ما قالوه فبك من الكذب والافتراء.

(١٠) عظمّت بركات الله، وكثرت خيراته، الذي إن شاء جعل لك -أيها الرسول- خيراً مما تمنّوه لك، فجعل لك في الدنيا حقائق كثيرة تتخللها الأنهار، ويجعل لك فيها قصوراً عظيمة.

(١١) وما كذبوك؛ لأنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، بل كذبوا بيوم القيامة وما فيه من جزاء، وأعدتنا لمن كذب بالساعة ناراً حارة تُسعر بهم.

إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ يَّعِيدُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَأِذَا الْفُؤَادُ مَنَازِصًا تَقَرَّبَ مَقَرِّينَ دَعَا هَٰذَا لَكَ بُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ بُورًا وَجَدَٰهُ دَعَا بُورًا كَذِبًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَزَاءُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مُّسْتَوْلاً ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُ
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَأَنُتُّ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا يَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مَنكُم نُدْفِعْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَاكُلُوا
الطَّعَامَ وَيَتَمَنَّوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

(١٢) إذا رأته النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد، سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيطها منهم.

(١٣) وإذا الفؤاد في مكان شديد الضيق من جهنم - وقد قرئت أديهم بالسلاسل إلى أعناقهم - دَعَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْهَلَاكِ لِلْخُلَاصِ مِنْهَا.

(١٤) فيقال لهم تَبَيَّنَ: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ بِالْهَلَاكِ مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إِلَّا غَيًّا، فَلَا خَلَاصَ لَكُمْ.

(١٥) قل لهم - أيها الرسول -: أهذه النار التي وُصِفَتْ لَكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ النَّعِيمِ الدَّائِمِ الَّتِي وُعِدَ بِهَا الْخَائِفُونَ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، كَانَتْ لَهُمْ ثَوَابًا عَلَىٰ عَمَلِهِمْ، وَمَا لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ؟

(١٦) هؤلاء المطيعين في الجنة ما يشتهون من مَلَاذِ النَّعِيمِ، مَتَاعِهِمْ فِيهِ دَائِمٌ، كَانَ دُخُولُهُمْ إِيَّاهَا عَلَىٰ رَبِّكَ - أيها الرسول - وَعَدًا مُّسْوُوًّا، يَسْأَلُهُ عِبَادُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ، وَاللَّهُ لَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ.

(١٧) ويوم القيامة يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونه من دونه، فيقول هؤلاء المعبودين: أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَمَرْتُمُوهُمْ بِعِبَادَتِكُمْ، أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ، فَعَبِدُوكُم مِّن تَلَقَّاءِ أَنْفُسِهِمْ؟

(١٨) قال المعبودون من دون الله: تَزَيَّيْنَا بِكَ - يَا رَبَّنَا - عَمَّا فَعَلَ هَٰؤُلَاءِ، فَمَا يَصِحُّ أَنْ نَتَّخِذَ سِوَاكَ أَوْلِيَاءَ نُوَالِيهِمْ، وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ هَٰؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ وَأَبَاءَهُمْ بِالْمَالِ وَالْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ نَسُوا ذِكْرَكَ فَأُشْرِكُوا بِكَ، وَكَانُوا قَوْمًا هَلَكُوا عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ وَالْخِلْدَانُ.

(١٩) فيقال للمشركين: لَقَدْ كَذَّبَكُمْ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ عِبَدْتُمُوهُمْ فِي أَدْعَانِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَهِيَ أَنْتُمْ أَوْ لَاءُ لَا تَسْتَطِيعُونَ دَفْعًا لِلْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا نَصْرًا لَّهَا، وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَيُظْلَمْ نَفْسَهُ وَيَعْبُدْ غَيْرَ اللَّهِ، وَبِمَتَّ عَلَىٰ ذَلِكَ، يَعْذِبُهُ اللَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا.

(٢٠) وما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ - أيها الرسول - أَحَدًا مِّن رَّسُلِنَا إِلَّا كَانُوا بَشَرًا، يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ. وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ - أيها الناس - لِبَعْضٍ إِبْتِلَاءً وَخَبَرًا بِالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَالصَّحَّةَ وَالْمَرَضَ، هَلْ تَصْبِرُونَ، فَتَقْوَمُوا بِهَا أَوْ جِئَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَتَشْكُرُوا لَهُ، فَيُثَبِّتُكُمْ مَوْلَاكُمْ، أَوْ لَا تَصْبِرُونَ فَتَسْتَحِقُّوا الْعُقُوبَةَ؟ وَكَانَ رَبُّكَ - أيها الرسول - بَصِيرًا بِمَنْ يَجْزَعُ أَوْ يَصْبِرُ، وَبِمَنْ يَكْفُرُ أَوْ يَشْكُرُ.

﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوُلَ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ
أَوْ نَرِ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا
﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ مَتَّأ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبًا مِّنْهُنَّ ﴿٢٤﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُزَلُّ الْمَلٰٓئِكَةُ
تَزِيلًا ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَكُن مِّنْ قَبْلُ لِلْحَقِّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظُّلُمٰٓءُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَلْبَسُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ لِمَن
أَتَّخَذَ فَلًا حٰٓزِلًا ﴿٢٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِلْإِنسٰنِ خَذُولًا ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ
إِنِّي قَوْمِي أَتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣١﴾ وَكَذٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِيُتَبَيَّنَ لَهُ فَوَٰدِكُمْ وَرَنَاتُهُ تُزَيَّلُكُمْ ﴿٣٣﴾

(٢١) وقال الذين لا يؤمنون لقاء ربهم بعد موتهم لإنكارهم له: هلاً أنزل علينا الملائكة، فتخبرنا بأن محمدًا صادق، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بصدقه في رسالته. لقد أعجبوا بأنفسهم واستعملوا حيث اجتروا على هذا القول، وتجاوزوا الحد في طغيانهم وكفرهم.

(٢٢) يوم يرون الملائكة عند الاحتضار، وفي القبر، ويوم القيامة، على غير الصورة التي اقترحوها لا لتبشرهم بالجنة، ولكن لتقول لهم: جعل الله الجنة مكاناً محرماً عليكم.

(٢٣) وقدمنا إلى ما عمله من مظاهر الخير والبر، فجعلناه باطلاً مضمحلاً، لا نفعهم كالبناء المنشور، وهو ما يؤري في ضوء الشمس من خفيف الغبار؛ وذلك أن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفر في صاحبه: الإيمان بالله، والإخلاص له، والمتابعة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢٤) أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً من أهل النار وأحسن منازل في الجنة، فراحتهم تامة، ونعيمهم لا يشوبه كدر.

(٢٥) واذكر - أيها الرسول - ذلك اليوم الذي تشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب

الابيض الرقيق، وينزل الله ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخالقين في المحشر، وبأي الله تبارك وتعالى لفصل القضاء بين العباد، إتياناً يليق بجلاله.

(٢٦) الملئك الحق في هذا اليوم للرحمن وحده دون من سواه، وكان هذا اليوم صعباً شديداً على الكافرين؛ لما ينالهم من العقاب والعذاب الأليم.

(٢٧-٢٩) واذكر - أيها الرسول - يوم يَعْصُ الظالم لنفسه على يديه نداماً وتحسراً قائلاً: يا ليتني صاحبت رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم واتبعت في اتخاذ الإسلام طريقاً إلى الجنة، وتبحسراً قائلاً: يا ليتني لم أتخذ الكافر فلاناً صديقاً أتبعه وأوده. لقد أضلني هذا الصديق عن القرآن بعد إذ جاءني. وكان الشيطان الرجيم خذولاً للإنسان دائماً. وفي هذه الآيات التحذير من مصاحبة قرين السوء؛ فإنه قد يكون سبباً لإدخال قرينه النار.

(٣٠) وقال الرسول شاكياً ما صنع قومه: يا رب إن قومي تركوا هذا القرآن وهجروه، متبادين في إعراضهم عنه وتركه تدبره والعمل به وتبليغه. وفي الآية تخويف عظيم لمن هجر القرآن فلم يعمل به.

(٣١) وكما جعلنا لك - أيها الرسول - أعداء من مجرمي قومك، جعلنا لكل نبي من الأنبياء عدواً من مجرمي قومه، فاصبر كما صبروا. وكفى بربك هادياً ومرشداً ومعيناً يعينك على أعدائك. وفي هذا تسلية لنبية محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣٢) وقال الذين كفروا: هلاً أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالطورا والإنجيل والزبور! قال الله سبحانه وتعالى: كذلك أنزلناه مفرقاً؛ لنقوي به قلبك وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، وبيّنّا في تثبت وثقه.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ قَمَكَنَا وَأَصْلُ سَبِيلَا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا سُلَّالًا لِّلنَّاسِ ءَايَةً ﴿٣٧﴾ وَأَنعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٨﴾ وَعَادَا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ إِلَى الْأَمْتَلِ وَلَقَدْ تَبَيَّنَّا قَدِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَ الْقُرَيْبَةَ آلِيَّ الْأُمِيطَةِ مَطَرًا سَوِيًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ لَشُورَا ﴿٤١﴾ وَإِذَا رَأَوْا كِسْفَ الْجِبِّ قَدْ جَاءَهُمْ لُجُوجًا مُّجِيًّا ﴿٤٢﴾ فَكَبَّوْا رُكُوعًا وَأَوْتَرَوْا مُتَّصِلِينَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا ثَمُودَ وَقَوْمَهُ إِذَا هُمْ يَخُوتُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا كَانُوا عَلَى الْكَلْبِ طَفَافًا فَسُحِّبُوا سُبُكًا مَّأْمُومِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا لَهُمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ عَذَابُهُمْ كَذَّبُوا رُسُلًا فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ فَمِثْقَلِ ذَرَّةٍ لَّهُمْ شَرٌّ مُّحْضَرًا ﴿٤٦﴾ فَذَرْنَاهُمْ أَهْلَكَاهُمْ أَهْلَاقًا عَظِيمًا ﴿٤٧﴾

(٣٣) ولا يأتيك -أيها الرسول- المشركون بحجة أو شبهة إلا جئناك بالجواب الحق وبأحسن بيان له.

(٣٤) أولئك الكفار هم الذين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم، وأولئك هم شر الناس منزلة، وأبعدهم طريقاً عن الحق.

(٣٥، ٣٦) ولقد آتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون معيناً له، فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بدلائل ربوبيتنا والوحييننا، فذهبا إليهم، فدعواهم إلى الإيمان بالله وطاعته وعدم الإشراك به، فكذبوهما، فأهلكناهم إهلاكاً عظيماً.

(٣٧) وأغرقنا قوم نوح بالطوفان حين كذبوه. ومن كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعاً. وجعلنا إغراقهم للناس عبرة، وجعلنا لهم ولن سلك سبيلهم في التكذيب يوم القيامة عذاباً موجعاً.

(٣٨) وأهلكنا عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وأصحاب البئر وأما كثيرة بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرِّسِّ، لا يعلمهم إلا الله.

(٣٩) وكل الأمم بيننا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة، وأزحنا الأعداء عنهم، ومع ذلك لم يؤمنوا، فأهلكناهم بالعذاب إهلاكاً.

(٤٠) ولقد كان مشركو «مكة» يَمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية «سدوم» التي أهلكك بالحجارة من النساء، فلم يعتبروا بها، بل كانوا لا يرجون معاداً يوم القيامة يجازون فيه.

(٤١، ٤٢) وإذا رآك هؤلاء المكذبون -أيها الرسول- استهزؤا بك قائلين: أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولاً إلينا؟ إنه قارب أن يصرفنا عن عبادة أصنامنا بقوة حجته وبيانه، لولا أن بُتينا على عبادتها، وسوف يعلمون حين يرون ما يستحقون من العذاب: من أضل ديناً أم محمد؟

(٤٣) انظر -أيها الرسول- متعجباً إلى من أطاع هواه كطاعة الله، فأنت تكون عليه حفيظاً حتى تردّه إلى الإيمان؟

(٤٤) أم تظن أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟ ما هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعون، بل هم أضل طريقاً منها.

(٤٥، ٤٦) ألم تر كيف مدَّ الله الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؟ ولو شاء لجعله ثابتاً مستقراً لا تزيله الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة يُستدلُّ بأحوالها على أحواله، ثم تقلص الظل يسيراً يسيراً، فكلمنا ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصانه. وذلك من الأدلة على قدرة الله وعظمته، وأنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

(٤٧) والله تعالى هو الذي جعل لكم الليل ساتراً لكم بظلامه كما يستركم اللباس، وجعل النوم راحة لأبدانكم فيه تهدؤون وتسكنون، وجعل لكم النهار؛ لتنتشروا في الأرض، وتطلبوا معاشكم.

(٤٨، ٤٩) وهو الذي أرسل الرياح التي تحمل السحاب، تبشر الناس بالمطر رحمة منه، وأنزلنا من السماء ماء يُطَهِّرُ به؛ لنخرج به النبات في

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَعْمَى بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا تُحْمِلُنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَأْسَوا وَلِلنَّوْمِ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِيَدْفَىٰ رَحْمَتَهُ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً قَدِيمًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْ آسَىٰ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا نَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجْهَهُمْ بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَحْجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

مكان لا نبات فيه، فيحيا البلد الجذب بعد موات، ونُسقي ذلك الماء من خلقنا كثيراً من الأنعام والناس.

(٥٠) ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليدكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين مُنِعُوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله - جل وعلا - ليرحمهم ويسقيهم، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً لنعمنا عليهم، كفوفهم؛ مطرنا بنوء كذا وكذا.

(٥١، ٥٢) ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً، يدعوهم إلى الله عز وجل، وينذرهم عذابه، ولكننا جعلنا - أيها الرسول - مبعوثاً إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن، فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلت به، بل ابذل جهدك في تبليغ الرسالة، واجاهد الكافرين بهذا القرآن جهاداً كبيراً، لا يخالطه فتور.

(٥٣) والله هو الذي خلط البحرين: العذب السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً يمنع كل واحد منها من إفساد الآخر، واماناً من أن يصل أحدهما إلى الآخر.

(٥٤) وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة ذرية ذكوراً وإناثاً، فنشأ من هذا قرابة النسب وقرابة المصاهرة. وكان ربك قديراً على خلق ما يشاء.

(٥٥) ومع كل هذه الدلائل على قدرة الله وإنعامه على خلقه يُعبدُ الكفار من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوا عبادته، وكان الكافر عوناً للشيطان على ربه بالشرك في عبادة الله، مُظَاهِراً له على معصيته.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءِ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا مَرُّا وَرَأَدَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

(٥٦) وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشراً للمؤمنين والنجاة ومنذراً للكافرين بالنار.

(٥٧) قل لهم: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أي أجر، لكن من أراد أن يهتدي ويسلك سبيل الحق إلى ربه وينفق في مرضاته، فلست أجبركم عليه، وإنما هو خير لأنفسكم.

(٥٨) وتوكل على الله الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، الذي لا يموت، ونزّهه عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيراً بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شيء منها، وسيحاسبهم عليها ويجازيهم بها.

(٥٩) الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش -أي: علا وارفع- استواء يليق بجلاله، هو الرحمن، فاسأل -أيها النبي- به خبيراً، يعني بذلك سبحانه نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم صفاته وعظمته وجلاله. ولا أحد من البشر أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦٠) وإذا قيل للكرهين: اسجدوا للرحمن واعبدوه قالوا: ما نعرف الرحمن، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له طاعة لأمر؟ وزادهم دعاؤهم إلى السجود للرحمن بُعْداً عن الإيمان ونفوراً منه.

(٦١) عَظُمَتْ بركات الرحمن وكثر خيره، الذي جعل في السماء النجوم الكبار بمنزلة، وجعل فيها شمساً قضيءة وقمرًا ينير. (٦٢) وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين يَخْلُفُ أحدهما الآخر لمن أراد أن يعتبر بها في ذلك إيماناً بالمُدبر الخالق، أو أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه وآلائه.

(٦٣) وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطاباً يَسْلَمُونَ فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجاهل.

(٦٤) والذين يكثر من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم، متذللين له بالسجود والقيام. (٦٥، ٦٦) والذين هم مع اجتهدهم في العبادة يخافون الله فيدعون أن ينجيهم من عذاب جهنم، إن عذابها يلازم صاحبه. إن جهنم شر قرار وإقامة.

(٦٧) والذين إذا أنفقوا من أموالهم لم يتجاوزوا الحد في العطاء، ولم يضيّقوا في النفقة، وكان إنفاقهم وسطاً بين التبذير والتضييق.

(٦٨-٧١) والذين يوحّدون الله، ولا يدعون
ولا يعبدون إلهاً غيره، ولا يقتلون النفس التي
حرّم الله قتلها إلا بما يحقّ قتلها به: من كفر بعد
إيمان، أو زنى بعد زواج، أو قتل نفس عدواناً،
ولا يزنون، بل يحفظون فروجهم إلا على
أزواجهم أو ما ملكت أيانهم، ومن يفعل شيئاً
من هذه الكبائر يلقى في الآخرة عقاباً. يُضاعف
له العذاب يوم القيامة، ويخلّد فيه ذليلاً حقيراً.
(والوعيد بالخلود لمن فعلها كلها، أو لمن أشرك
بالله). لكن من تاب من هذه الذنوب توبة
نصوحاً وأمن إيماناً جازماً مقروناً بالعمل
الصالح، فأولئك يمحو الله عنهم سيئاتهم ويجعل
مكانها حسناً؛ بسبب توبتهم وندمهم. وكان
الله غفوراً لمن تاب، رحيماً بعباده حيث دعاهم
إلى التوبة بعد مبارزته بأكبر المعاصي. ومن تاب
عماً ارتكب من الذنوب، وعمل عملاً صالحاً
فإنه بذلك يرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً، فيقبل
الله توبته ويكفر ذنوبه.

(٧٢) والذين لا يشهدون بالكذب ولا يحضرون

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْسُمُونَ أَلْفُسًا
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ أَوَّلَ دَرٍّ وَآخِرِهِ
يَأْتِ الْغَوْمَ أَكْرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْسَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ نُجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِمَا صَبَرُوا
وَيَلْقَوْنَ فِيهَا زَوْجَةً وَكَانُوا فِيهَا خَالِدِينَ ۖ فِيهَا
حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَكْفُرُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

سورة الفرقان

مجالسه، وإذا مروا بأهل الباطل واللغو من غير قصد مروا معرضين منكرين يتنزهون عنه، ولا يرضونه لغيرهم.
(٧٣) والذين إذا وُعظوا بأيات القرآن ودلائل وحدانية الله لم يتغافلوا عنها، كأنهم صُمٌّ لم يسمعوها، وعُميٌّ لم يبصروها،
بل وُعَتْها قلوبهم، وتفتحت لها بصائرهم، فحُزُّوا لله ساجدين مطيعين.

(٧٤) والذين يسألون الله تعالى قائلين: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرُّ به أعيننا، وفيه أنسننا وسرورنا، واجعلنا
قدوة يفتدي بنا المتقون في الخير.

(٧٥، ٧٦) أولئك الذين انصفوا بالصفات السابقة من عباد الرحمن، يثابون أعلى منازل الجنة؛ برحمة الله وبسبب صبرهم
على الطاعات، وسبُلَقَوْنَ في الجنة التحية والتسليم من الملائكة، والحياة الطيبة والسلامة من الآفات، خالدين فيها أبداً من
غير موت، حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَيُقَرَّرُونَ فيه ومقاماً يقيمون به، لا يغيون عنها تحوُّلاً.

(٧٧) أخبر الله تعالى أنه لا يبالي ولا يعاب بالناس، لولا دعاؤهم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، فقد كَذَّبْتُمْ -أيها الكافرون-
فسوف يكون تكذيبكم مُفْضِئاً إلى عذاب يلزمكم لزوم الغريم لغريمه، ويهلككم في الدنيا والآخرة.

﴿سورة الشعراء﴾

(١) ﴿طَسَمَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذه آيات القرآن الموضح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال.

(٣) لعلك - أيها الرسول - من شدة حرصك على هدايتهم مهلك نفسك؛ لأنهم لم يصدقوا بك ولم يعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك.

(٤) إن نشأ نزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوفة لهم تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة، ولكننا لم نشأ ذلك؛ فإن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختياراً.

(٥) وما يجيء هؤلاء المشركين المكذبين من ذكر من الرحمن تحدث إنزاله، شيئاً بعد شيء، يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم بالدين الحق إلا أعرضوا عنه ولم يقبلوه.

(٦) فقد كذبوا بالقرآن واستهزؤا به، فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه، وسيحل بهم العذاب جزاء تمردهم على ربهم. (٧-٩) أكذبوا ولم ينظروا إلى الأرض التي أنبتنا فيها من كل نوع حسن نافع من النبات، لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين؟ إن في إخراج النبات

من الأرض لدلالة واضحة على كمال قدرة الله، وما كان أكثر القوم مؤمنين. وإن ربك هو العزيز على كل خلق، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

(١٠، ١١) واذكر - أيها الرسول - لقومك إذ نادى ربك موسى: أن اتت القوم الظالمين، قوم فرعون، وقل لهم: ألا يخافون عقاب الله تعالى، ويتركون ما هم عليه من الكفر والضلال؟

(١٢-١٤) قال موسى: رب إني أخاف أن يكذبوني في الرسالة، ويملا صدري الغم لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بالدعوة فأرسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون؛ ليعاونني ويصدقني فيما أقول، ويبين لهم ما أخطبهم به، فهو أفصح مني نطقاً. ولهم عليّ ذنب في قتل رجل منهم، وهو القبطي، فأخاف أن يقتلوني به.

(١٥-١٧) قال الله لموسى: كلاً لن يقتلوك، وقد أجبت طلبك في هارون، فاذهب بالمعجزات الدالة على صدقكم، إنا معكم بالعلم والحفظ والنصرة مستمعون. فأيتا فرعون فقولاً له: إنا مرسلان إليك وإلى قومك من رب العالمين: أن اترك بني إسرائيل؛ ليذهبوا معنا.

(١٨، ١٩) قال فرعون لموسى - متمتاً عليه -: ألم تر أنك في منازلنا صغيراً، ومكثت في رعايتنا سنين من عمرك، وارتكبت جنايةً بقتلك رجلاً من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ۖ يَلَعَلَّ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَخْعٌ فَلَتَأْتِ
بِكَوْنُ مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّا نُنَزِّلُ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَهْبَاتُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كُنَّا نَبْنِي فِيهَا مِن كُلِّ ذِي
رَبِّكَ ۖ لَهْوَ الْعَرِيزِ الرَّحِيمِ ۝ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ أَنْتَ الْقَوْمُ
الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمُ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّخِعُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ
إِلَى هَارُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ
كَلَّا فَادْهَبَا يَتَّبِعُنَا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ ۝ فَايْتَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَن أَرْسَلْنَا بِإِسْرَائِيلَ
۝ قَالَ أَلَا تُرْجَوْنَ ۖ فَايْتَا فِرْعَوْنَ ۖ وَلَيْدًا وَلَيْدًا ۖ فَايْتَا فِرْعَوْنَ ۖ
وَقَعَلْتَ فَعَلَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَاتَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٢٠﴾ فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَدَدْتُ بِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢٢﴾ قَالَ فَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
﴿٢٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
﴿٢٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوَلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
﴿٢٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
﴿٢٢٨﴾ قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ
﴿٢٢٩﴾ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٢٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٢٣٢﴾
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٢٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوَلَهُ
إِنْ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿٢٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
يَسْحَرُوهَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٣٥﴾ قَالُوا أَزُوجُهُ وَآخَاهُ وَاعْتَمَدْنَا فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٢٣٦﴾ يَا تَأُتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٢٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ
لِيَمِيقَتِ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٢٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٢٣٩﴾

(٢٢٠-٢٢) قال موسى مجيباً لفرعون: فعلت ما ذكرت قبل أن يوحى الله إليّ ويعتني رسولاً، فخرجت من بينكم فاراً إلى «مدين»، لما خفت أن تقتلوني بها فعلت من غير عمد، فوهب لي ربي تفصيلاً منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين. أولئك التربة في بيتك تعدّها نعمة منك عليّ، وقد جعلت بني إسرائيل عبيداً تُذبح أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتهان؟ (٢٣) قال فرعون لموسى: وما رب العالمين الذي تدعي أنك رسوله؟

(٢٤) قال موسى: هو مالك ومدير السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم موقنين بذلك، فأمنوا.

(٢٥) قال فرعون لمن حوله من أشراف قومه: ألا تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب سواي؟

(٢٦) قال موسى: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فكيف تعبدون من هو مخلوق مثلكم، وله آباء قد قتلوا كتابكم؟

(٢٧) قال فرعون لحاصته يستثير غضبهم؛ لتكذب موسى إياه: إن رسولكم الذي أرسل

إليكم لمجنون، يتكلم كلاماً لا يعقل!

(٢٨) قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيها من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبير!

(٢٩) قال فرعون لموسى مهدداً له: لئن اتخذت إلهاً غيري لأسجنتك مع من سجنت.

(٣٠) قال موسى: اتجمعني من المسجونين، ولو جئتكم ببرهان قاطع تبين منه صدقي؟

(٣١) قال فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين في دعواك.

(٣٢، ٣٣) فألقى موسى عصاه فتحوّلت ثعباناً حقيقياً، ليس ثعباناً كما يفعل السحرة، وأخرج يده من فتحة قميصه المفتوحة إلى الصدر، أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص، تبهر الناظرين.

(٣٤، ٣٥) قال فرعون لأشراف قومه خشية أن يؤمنوا: إن موسى كساحر ماهر، يريد أن يخرجكم بسحره من أرضكم، فأی شيء تشيرون به في شأنه أتبع رأيكم فيه؟

(٣٦، ٣٧) قال له قومه: أخر أمر موسى وهارون، وأرسل في المدائن جنداً جامعين للسحرة، يأتوك بكل من أجاد السحر، وتفوق في معرفته.

(٣٨، ٣٩) فجَمَعَ السحرة، وحُدِّد لهم وقت معلوم، هو وقت الضحى من يوم الزينة الذي يتفرغون فيه من أشغالهم، ويجتمعون ويتزئنون؛ وذلك للاجتماع بموسى. وحُثَّ الناس على الاجتماع؛ أملاً في أن تكون الغلبة للسحرة.

لَعَلَّآ تَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِن لَّنَا لَأَجْرٌ إِن كُنَّا نَمُنَّ بِالْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِن كُنَّا إِذًا لَّأَوَّلَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلقُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ فَقَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ ءَامِنْتُمْ لِي فَقِيلَ أَنْ ءَادَنَ لَكَ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعَالِمُونَ لَأُفْطِنَنَّ أَبْصَارَكُمْ
 وَأُؤْتَلَكَ مِنْ خَلْفِ لَأَصْلَبْتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا
 إِنَّا إِنَّمَا مَنَاقِبُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَادِي إِتَّكُمُ
 مُّتَّبِعُونَ ﴿٥١﴾ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٢﴾ إِن هَؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُمْ لَفَاعِلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَدَرُونَ
 ﴿٥٥﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ حَتَّى وَبَعَيْنَ ﴿٥٦﴾ وَكُنُوزَ وَمَقَارٍ كَبِيرَةٍ ﴿٥٧﴾
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٨﴾ فَأَتَتْهُمْ مُّسْتَفْرِقِينَ ﴿٥٩﴾

(٤٠) إِنَّا نطمع أن تكون الغلبة للسحرة، فثبت على ديننا.

(٤١) فلما جاء السحرة فرعون قالوا له: إن لنا لأجرًا من مال أو جاهد، إن كنا نحن الغالبين لموسى؟

(٤٢) قال فرعون: نعم لكم عندي ما طلبتم من أجر، وإنكم حينئذ لمن المقربين لدي.

(٤٣) قال موسى للسحرة مريدًا إبطال سحرهم وإظهار أن ما جاء به ليس سحرًا: ألقوا ما تريدون إلقاءه من السحر.

(٤٤) فألقوا حجابهم وعصيهم، وتخلل للناس أنها حيات تسعى، وأقسموا بعزة فرعون قائلين: إِنَّا لنحن الغالبون.

(٤٥) فألقى موسى عصاه، فإذا هي حية عظيمة، تبتلع ما صدر منهم من إفك وتزوير.

(٤٦-٤٨) فلما شاهدوا ذلك، وعلموا أنه ليس من تمويه السحرة، آمنوا بالله وسجدوا له، وقالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

(٤٩) قال فرعون للسحرة: أمتهم لموسى

بغير إذن مني، وقال موهماً أن فعل موسى سحر: إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فلسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب: لأفطنن أبديكم وأرجلكم من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو عكس ذلك، ولأصلبنكم أجمعين.

(٥٠، ٥١) قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، إنا راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم. إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الشرك وغيره؛ لكوننا أول المؤمنين في قومك.

(٥٢) وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أن يبر ليلًا بمن آمن من بني إسرائيل؛ لأن فرعون وجنوده متبعوكم حتى لا يدركوكم قبل وصولكم إلى البحر.

(٥٣) فأرسل فرعون جنده - حين بلغه مسير بني إسرائيل - يجمعون جيشه من مدائن مملكته.

(٥٤-٥٦) قال فرعون: إن بني إسرائيل الذين فرّوا مع موسى لأطافئة حقيرة قليلة العدد، وإنهم مالتون صدورنا غيظًا؛ حيث خالفوا ديننا، وخرجوا بغير إذننا، وإنا جميع متيقظون مستعدون لهم.

(٥٧-٥٩) فأخرج الله فرعون وقومه من أرض «مصر» ذات البساتين وعيون الماء وخزائن المال والمنازل الحسان. وكما أخرجناهم، جعلنا هذه الديار من بعدهم لبني إسرائيل.

(٦٠) فلحق فرعون وجنوده موسى ومن معه وقت شروق الشمس.

(٦١) فلما رأى كل واحد من الفريقين الآخر قال أصحاب موسى: إنَّ جَمْعَ فرعون مُدْرِكنا ومهلكنا.

(٦٢) قال موسى لهم: كَلَّا ليس الأمر كما ذكرتُم فلن نُدْرِكوا؛ إنَّ معي ربِّي بالنصر، سيهديني لما فيه نجاتي ونجاتكم.

(٦٣) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فاضرب، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقاً بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة انفصلت من البحر كالجليل العظيم.

(٦٤-٦٦) وقربنا هناك فرعون وقومه حتى دخلوا البحر، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. فاستمر البحر على انفلاقه حتى عبروا إلى البر، ثم أغرقنا فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه.

(٦٧) إنَّ في ذلك الذي حدث لعلبة عجيبة دالة على قدرة الله، وما صار أكثر أتباع فرعون مؤمنين مع هذه العلامة الباهرة.

(٦٨) وإن ربك هو العزيز الرحيم، بعزته أهلك

فَلَمَّا تَرَى الْجُمَعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَاطَّوَئِيرٍ الْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَرْزَلْنَا أَمْثَلَ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا نُعْبُدُ أَصْنَامًا فَنفُلُّ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالُوا هَلْ
يَسْمَعُونَ كُمْ إِذْ تَدْعُونَهُمْ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَكُمْ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُتِبَ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٣﴾ أَشْتَرُ وَأَبْأَوْكُمْ أَلَا تَدْرُسُونَ ﴿٧٤﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعَمُنِي يَسْقِينِي ﴿٧٧﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي أَطْعَمُنِي إِذْ عَدُّ لِي خِطْبَتِي
يَوْمَ الْاَلَّذِينَ ﴿٨٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨١﴾

الكافرين المكذبين، وبرحمته نجَّى موسى ومن معه أجمعين.

(٦٩، ٧٠) واقصص على الكافرين - أيها الرسول - خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟

(٧١) قالوا: نعبد أصناماً، فتعكف على عبادتها.

(٧٢، ٧٣) قال إبراهيم منبهاً على فساد مذهبهم: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، أو يقدّمون لكم نفعاً إذا عبدتموهم، أو يصيبونكم بضر إذا تركتم عبادتهم؟

(٧٤) قالوا: لا يكون منهم شيء من ذلك، ولكننا وجدنا آباءنا يعبدونهم، فقلدناهم فيما كانوا يفعلون.

(٧٥-٨٢) قال إبراهيم: أفأبصرتم بتدبر ما كنتم تعبدون من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، أنتم وآباؤكم الأقدمون من قبلكم؟ فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي، لكن رب العالمين ومالك أمرهم هو وحده الذي أعبدته. هو الذي خلقتني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة، وهو الذي ينعم عليّ بالطعام والشراب، وإذا أصابني مرض فهو الذي يشفيني ويعافيني منه، وهو الذي يميتني في الدنيا بقبض روعي، ثم يحييني يوم القيامة، لا يقدر على ذلك أحد سواه، والذي أطعم أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء.

(٨٣) قال إبراهيم داعياً ربه: ربِّ امنحني العلم والفهم، وأخلفني بالصلحين، واجمع بيني وبينهم في الجنة.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
التَّعْوِيرِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنِّي وَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَنْقَلَبَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾
وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّا مَاكْتُرٌ نَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَضُرُّكُمْ
أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَيْكُمْ أَوْ فِيهَا هَاهُمْ وَالْعَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَحُودٌ إِلَىٰ بَلِيسٍ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا نَافِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا
الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ قَالُوا مَنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقَ جِيسٍ ﴿١٠١﴾ قَالُوا
أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ أِنْ أَعْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَلَمْ نَأْمُرْكَ أَنْ تَبْعَلَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

(٨٤) واجعل لي ثناء حسناً وذكر أجيلاً في الدين
يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

(٨٥) واجعلني من عبادك الذين تورثهم نعيم
الجنة.

(٨٦) هذا دعاء من إبراهيم عليه السلام أن ينقذ
الله أباه من الضلال إلى الهدى، فيغفر له ويتجاوز
عنه، كما وعد إبراهيم أباه بالدعاء له، فلما تبين له أنه
مستمر في الكفر والشرك إلى أن يموت تبرأ منه.

(٨٧-٨٩) ولا تلحق بي الذل، يوم يخرج الناس
من القبور للحساب والجزاء، يوم لا ينفع المال
والبنون أحداً من العباد، إلا من أتى الله بقلب
سليم من الكفر والنفاق والرذيلة.

(٩٠) وقُرِبت الجنة للذين اجتنبوا الكفر
والمعاصي، وأقبلوا على الله بالطاعة.

(٩١) وأظهرت النار للكافرين الذين ضلوا عن
الهدى، وتجرؤوا على محارم الله وكذبوا رسله.

(٩٢، ٩٣) وقيل لهم توبوا: أين اهتكم التي
كنتم تعبدونها من دون الله، وترعمون أنها تنفع
لكم اليوم؟ هل ينصرونكم، فيدفعون العذاب
عنكم، أو ينصرون بدفع العذاب عن أنفسهم؟
لا شيء من ذلك.

(٩٤، ٩٥) فجميعوا وألقوا في جهنم على
رؤوسهم مرة بعد مرة إلى أن استقرأ فيها، هم
والذين أضلهم، وأعاون إبليس الذين زينوا لهم الشر، لم يُقِلَّت منهم أحد.

(٩٦-٩٩) قالوا معترفين بخطئهم، وهم يتنازعون في جهنم مع من أضلهم: تالله إننا كنا في الدنيا في ضلال واضح لا
خفاء فيه؛ إذ نسويكم برب العالمين المستحق للعبادة وحده. وما أوقفنا في هذا المصير السيئ إلا المجرمون الذين دعونا إلى
عبادة غير الله فاتبعناهم.

(١٠٠، ١٠١) فلا أحد يشفع لنا، ونخلصنا من العذاب، ولا من يصدق في مودتنا ويشفق علينا.

(١٠٢) فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنصير من جملة المؤمنين الناجين.

(١٠٣، ١٠٤) إن في نبأ إبراهيم السابق لعمرة لمن يعتبر، وما صار أكثر الذين سمعوا هذا النبأ مؤمنين. وإن ربك هو العزيز
القادر على الانتقام من المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

(١٠٥-١١٠) كذبت قوم نوح رسالة نبيهم، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل.
إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تخشون الله بترك عبادة غيره؟ إنني لكم رسول أمين فبما أبلغكم، فاجعلوا الإيمان وقاية لكم
من عذاب الله وأطيعوني فيها أكرمكم به من عبادته وحده. وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على رب
العالمين المتصرف في خلقه، فاحذروا عقابه، وأطيعوني بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه.

(١١١) قال له قومه: كيف نصدقك وتبعلك، والذين اتبعوك أراذل الناس وأسافلهم؟

قَالَ وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حَسْبَ نَجْمٍ لِأَعْلَى رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا أَنَا لَآئِدٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَسُوعَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿١١٧﴾ فَأَنفَتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبَحْنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَجَبْنِيهِ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَجْرِيَ إِلَى أَعْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ
ءَايَةً يَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَرَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَرَعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِعِينَ ﴿١٣٦﴾

(١١٢) فأجابهم نوح عليه السلام بقوله: لست مكلفاً بمعرفة أعمالهم، إنما كُلفت أن أدعوهم إلى الإيمان. والاعتبار بالإيمان، لا بالحسب والنسب والجِزَف والصنائع.

(١١٣) ما حسابهم للجزاء على أعمالهم وبواطنهم إلا على ربي المطلع على السرائر. لو كنتم تشعرون بذلك لما قلتم هذا الكلام.

(١١٤، ١١٥) وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوتي، مهما تكن حالهم؛ تلبية لرغبتكم كي تؤمنوا بي. ما أنا إلا نذير بين الإنذار.

(١١٦) عدل قوم نوح عن المحاوراة إلى التهديد، فقالوا له: لئن لم ترجع - يا نوح - عن دعوتك لتكوننَّ من المقتولين رمياً بالحجارة.

(١١٧، ١١٨) فلما سمع نوح قولهم هذا دعا ربه بقوله: رب إن قومي أصروا على تكذبي، فأحكم بيني وبينهم حكماً تُهلك به من جحد توحيدك وكذب رسولك، ونجني ومن معي من المؤمنين مما تعذب به الكافرين.

(١١٩) فأنجيناها ومن معه في السفينة المملوءة بصنوف المخلوقات التي حملها معه.

(١٢٠) ثم أغرقنا - بعد إنجاء نوح ومن معه الباقين - الذين لم يؤمنوا من قومه وردوا عليه النصيحة.

(١٢١) إن في نبأ نوح وما كان من إنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين لعلامة وعبرة عظيمة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بالله وبرسوله وشرعه.

(١٢٢) وإن ربك هو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، الرحيم بعباده المؤمنين.

(١٢٣-١٢٤) كذبت قبيلة عاد رسوهم هوداً - عليه السلام - فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها.

(١٢٤-١٢٧) إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تحشون الله فتخلصوا له العبادة؟ إنني مرسل إليكم لهديتكم وإرشادكم، حفيظ على رسالة الله، أبلغها لكم كما أمرني ربي، فخافوا عقاب الله وأطيعوني فيما جئتكم به من عند الله. وما أطلب منكم على إرشادكم إلى التوحيد أي نوع من أنواع الأجر، ما أجري إلا على رب العالمين.

(١٢٨-١٣٠) أتنبئون بكل مكان مرتفع بناء عالياً تشرفون منه فتسخرون من المارة؟ وذلك عبث وإسراف لا يعود عليكم بفائدة في الدين أو الدنيا، وتتخذون قصوراً منيعة وحصوناً مشيدة، كأنكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون، وإذا بطشتم بأحد من الخلق قتلاً أو ضرباً، فعلتم ذلك قاهرين ظالمين.

(١٣١-١٣٤) فخافوا الله، وامتنلوا ما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم، واخشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا يخفاء فيه عليكم، أعطاكم الأنعام: من الإبل والبقر والغنم، وأعطاكم الأولاد، وأعطاكم البساتين المثمرة، وفجر لكم الماء من العيون الجارية.

(١٣٥) قال هود - عليه السلام - محذراً لهم: إنني أخاف إن أصررتكم على ما أنتم عليه من التكذيب والظلم وكُفِّر النعم، أن ينزل الله بكم عذاباً في يوم تعظم شدته من هول عذابه.

(١٣٦) قالوا له: يستوي عندنا تذكيرك وتخويفك لنا وتركه، فلن نؤمن لك.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ
 قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ لَا تَتَّبِعُوا آلَ تَارُوتَ ﴿١٤٣﴾ إِنْ لَا كُفْرُ رَسُولٍ أَمِينٍ ﴿١٤٤﴾
 فَاتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
 إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَفَتُرْكُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ ﴿١٤٩﴾
 وَتَنْحُنُونَ مِنْ أَلْبَابٍ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٥٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 ﴿١٥١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٣﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٤﴾ مَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ تَنْبَأُكُمْ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
 بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يُومِ عَظِيمٌ ﴿١٥٧﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
 نَكِدِينَ ﴿١٥٨﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(١٣٧، ١٣٨) وقالوا: ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعاداتهم، وما نحن بمُعذِّبين على ما نفعل مما حَذَرْتَنَا مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ.

(١٣٩، ١٤٠) فاستمرُّوا على تكذيبه، فأهلكهم الله بريح باردة شديدة، إن في ذلك الإهلاك لَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْلَمُهَا، وما كان أكثر الذين سمعوا قصتهم مؤمنين بك. وإن ربك هو العزيز الغالب على ما يريد من إهلاك المكذِّبين، الرحيم بالمؤمنين.

(١٤١) كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ ثَمُودَ رَسُولَهُمْ صَالِحًا فِي رِسَالَتِهِ وَدَعَاوَتِهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَكَانُوا بِهَذَا مُكَذِّبِينَ لَجَمِيعِ الرُّسُلِ؛ لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا يَدْعُونَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ.

(١٤٢-١٤٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ: أَلَا تَخْشَوْنَ عِقَابَ اللَّهِ، فَتُفَرِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ؟ إِنِّي مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، فَحِظْ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ كَمَا تَلَقَّيْتُمَا عَنْ اللَّهِ، فَاحْذَرُوا عِقَابَهُ تَعَالَى، وَامْتَثِلُوا مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ. وَمَا أَطْلَبَ مِنْكُمْ عَلَى نَصْحِي وَإِرْشَادِي لَكُمْ أَيْ جِزَاءً، مَا جِزَائِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١٤٦-١٤٩) أَيْتَرُكُكُمْ رِبَكُمُ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ مُسْتَقِرِّينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا آمِنِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالزُّوَالِ وَالْمَوْتِ؟ فِي حَادِثَاتٍ مُثْمِرَةٍ وَعُيُونٍ

جارية وزروع كثيرة ونخل ثمرها يانع لين نضيج، وتنتحون من الجبال بيوتاً ماهرين بنحتها، أشيرين بطيرين.

(١٥٠-١٥٢) فَخَافُوا عَقُوبَةَ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصْحِي، وَلَا تَنَادُوا لِأَمْرِ الْمُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْمُتَادِينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ الَّذِينَ دَابُّوا عَلَى الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ إِفْسَادًا لَا إِصْلَاحَ فِيهِ.

(١٥٣، ١٥٤) قَالَتْ ثَمُودُ لِنَبِيِّهَا صَالِحٌ: مَا أَنْتَ إِلَّا مِنَ الَّذِينَ سَحَرُوا بِسِحْرٍ كَثِيرٍ، حَتَّى غَلَبَ السِّحْرُ عَلَى عَقْلِكَ. مَا أَنْتَ إِلَّا فَرْدٌ مِثَالُنَا فِي الْبَشَرِيَّةِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَيْفَ تَتَمَيِّزُ عَلَيْنَا بِالرِّسَالَةِ؟ فَأَتَتْ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ رِسَالَتِكَ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعَاؤِكَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا.

(١٥٥، ١٥٦) قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ -وَقَدْ أَتَاهُمْ بِنَاقَةٍ أَخْرَجَهَا اللَّهُ لَهُ مِنَ الصَّخْرَةِ-: هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ نَاصِبٌ مِنَ الْمَاءِ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وَلَكُمْ نَصِيبٌ مِنْهُ فِي يَوْمٍ آخَرَ، لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَشْرَبُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ نَصِيبُهَا، وَلَا هِيَ تَشْرَبُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ نَصِيبُكُمْ، وَلَا تَنَالُوهَا بِشَيْءٍ مِمَّا يَسُوءُهَا كَقَصْرِ أَوْ قَتْلِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَيَهْلِكُكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ يَوْمَ تَعْظُمُ شِدَّتُهُ؛ بِسَبَبِ مَا يَفْعَلُ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالشَّدَةِ.

(١٥٧) فَتَحَرَّوْا النَّاقَةَ، فَاصْبَحُوا مُتَحَسِّرِينَ عَلَى مَا فَعَلُوا لَمَّا أَيقَنُوا بِالْعَذَابِ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ نَدَمُهُمْ.

(١٥٨) فَنَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي تَوَعَّدُهُمْ بِهِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَهْلَكَهُمْ. إِنْ فِي إِهْلَاكِ ثَمُودَ لَعِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ بِهَذَا الْمَصِيرِ، وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ.

(١٥٩) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْمُتَمَكِّنُ مِنْ أَعْدَائِهِ الْمُكَذِّبِينَ، الرَّحِيمُ بِمَنْ آمَنَ مِنْ خَلْقِهِ.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ
 ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾
 أَمَا تُؤْتُونَ الدُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ
 مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَوِ يَلُوطُ
 لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَخْرُجِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٧﴾
 رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٩﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَكْثَرِينَ ﴿١٧١﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
 مَطَرًا سَاقًا مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ
 لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنِّي لَكُمْ
 رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
 تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨١﴾
 وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾

(١٦٠) كَذَّبَتْ قوم لوط برسالته، فكانوا بهذا مكذبين لسائر رسل الله؛ لأن ما جاؤوا به من التوحيد وأصول الشرائع واحد.

(١٦١-١٦٤) إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تحشون عذاب الله؟ إني رسول من ربكم، أمين على تبليغ رسالته إليكم، فاحذروا عقاب الله على تكذيبكم رسوله، واتبعوني فيما دعوتكم إليه، وما أسألكم على دعوتي لهدايتكم أي أجر، ما أجري إلا على رب العالمين.

(١٦٥، ١٦٦) أتنبهون الذكور من بني آدم، وتكون ما خلق الله لاستمتاعكم وتناسلهم من أزواجكم؟ بل أنتم قوم - بهذه المعصية - متجاوزون ما أباحه الله لكم من الحلال إلى الحرام.

(١٦٧) قال قوم لوط: لئن لم تترك يا لوط تهتنا عن إثبات الذكور وتقبيل فعله، لتكونن من المطرودين من بلادنا.

(١٦٨) قال لوط لهم: إني لعملكم الذي تعملونه من إثبات الذكور، لمن المبغضين له بغضاً شديداً.

(١٦٩) ثم دعا لوط ربه حينما يئس من استجابته له قائلاً: رب أنقذني وأنقذ أهلي مما

يعمله قومي من هذه المعصية القبيحة، ومن عقوبتك التي ستصيبهم. (١٧٠، ١٧١) فنجيناه وأهل بيته والمستجبين لدعوته أجمعين إلا عجوزاً من أهله، وهي امرأته لم تشاركهم في الإيمان، فكانت من الباقين في العذاب والهلاك.

(١٧٢، ١٧٣) ثم أهلكنا من عداهم من الكفرة أشد إهلاك، وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالطمر أهلكتهم، فَبَحَّحَ مطرهم أنذرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أنزل بهم أشد أنواع الهلاك والتدمير.

(١٧٤) إن في ذلك العقاب الذي نزل بقوم لوط لعة وموعظة، يتعظ بها المكذبون. وما كان أكثرهم مؤمنين.

(١٧٥) وإن ربك هو العزيز الغالب الذي يقهر المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

(١٧٦-١٨٠) كَذَّبَ أصحاب الأرض ذات الشجر الملتف رسولهم شعيباً في رسالته، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسالات. إذ قال لهم شعيب: ألا تحشون عقاب الله على شرككم ومعاصيكم؟ إني مرسل إليكم من الله لهدايتكم، حفيظ على ما أوحى الله به إلي من الرسالة، فخافوا عقاب الله، واتبعوا ما دعوتكم إليه من هداية الله؛ لترشدوا، وما أطلب منكم على دعائي لكم إلى الإيمان بالله أي جزء، ما جزائي إلا على رب العالمين.

(١٨١-١٨٣) قال لهم شعيب - وقد كانوا يُقْصُونَ الكيل والميزان -: أمثوا الكيل للناس وأفياهم، ولا تكونوا ممن يُقْصُونَ الناس حقوقهم، وزنوا بالميزان العدل المستقيم، ولا تنقصوا الناس شيئاً من حقوقهم في كيل أو وزن أو غير ذلك، ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي.

وَأَنذَرُوا الَّذِينَ خَلَقُوا الْحَيَاةَ الْآخِرِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٨﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَكِنَّ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٩﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩٠﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩١﴾ فَخَذَّهْمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٣﴾ وَكَانَ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٩٤﴾ وَلَئِنَّ رَبَّ الْوَالِدِينَ ﴿١٩٥﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّهُ لَكُنْزٌ ذِكْرٌ لِلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٩﴾ أَوْ لَعَلَّكُمْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْعْتَبَهُ وَعَلَّمُوا ابْنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠٠﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠١﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٢﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٤﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٥﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٦﴾ أَفَعِدَّاءُنَا بَلْسًا عَجَلُونَ ﴿٢٠٧﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٨﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٩﴾

(١٨٤) واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم المتقدمة عليكم.

(١٨٥-١٨٧) قالوا: إنما أنت - يا شعيب - من الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهم، وما أنت إلا واحد مثلنا في البشرية، فكيف تختص دوننا بالرسالة؟ وإن أكبر ظننا أنك من الكاذبين فيما تدعيه من الرسالة. فإن كنت صادقاً في دعوى النبوة، فادع الله أن يسقط علينا قطع عذاب من السماء تستأصلنا.

(١٨٨) قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي، وبما تستوجبونه من العقاب.

(١٨٩) فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم الحر الشديد، وصاروا يحثون عن ملاذ يستظلون به، فآفلتهم سحابة، وجدوا لها برذاً ونسيماً، فلما اجتمعوا تحتها نهبت عليهم ناراً فأحرقتهم، فكان هلاكهم جميعاً في يوم شديد الهول.

(١٩٠) إن في ذلك العقاب الذي نزل بهم، لدلالة واضحة على قدرة الله في موازنة المكذبين، وعبرة لمن يعتبر، وما كان أكثرهم مؤمنين متعظين بذلك.

(١٩١) وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز في نعمته ممن انتقم منه من أعدائه، الرحيم بعباده الموحدين.

(١٩٢-١٩٥) وإن هذا القرآن الذي ذُكرت فيه هذه القصص الصادقة، لُنزل من خالق الخلق، ومالك الأمر كله، نزل به جبريل الأمين، فتلاه عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حفظاً وفهماً؛ لتكون من رسل الله الذين يخوفون قومهم عقاب الله، فتنبذوا هذا التنزيل الإنساني والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم.

(١٩٦) وإن ذكر هذا القرآن بُيئت في كتب الأنبياء السابقين، قد بُشِّرَتْ به وصدَّقَتْه. (١٩٧) أو لم يُكْفِ هؤلاء - في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق - عِلْمُ علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومن آمن منهم كعبد الله بن سلام؟

(١٩٨-٢٠١) ولو نزلنا القرآن على بعض الذين لا يتكلمون بالعربية، فقرأه على كفار قريش قراءة عربية صحيحة، لكفروا به أيضاً، وانتحلوا لجحودهم عذراً. كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين جحود القرآن، وصار متمكناً فيها؛ وذلك بسبب ظلمهم وإجرامهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وعِدوا به. (٢٠٢، ٢٠٣) فينزل بهم العذاب فجأة، وهم لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه، فيقولون عند مفاجأتهم به نتحسراً على ما فاتهم من الإيمان: هل نحن مُنْهَلُونَ مُؤَخَّرُونَ؛ لننوب إلى الله من شركنا، ونستدرك ما فاتنا؟

(٢٠٤) أَغَرَّ هؤلاء إيماني، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟

(٢٠٥، ٢٠٦) أفعلمت - أيها الرسول - إن مَتَّعْنَاهُمْ بالحياة سنين طويلة بتأخير آجالهم، ثم نزل بهم العذاب الموعود؟

(٢٠٧) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُذْرٌوُونَ ﴿٢٠٩﴾ وَذَكَرَى وَمَا كُنَّا نَظْلِمِينَ ﴿٢١٠﴾ وَمَا تَزَكَّى يَوْمَ الْإِسْطِطِينَ ﴿٢١١﴾ وَمَا يَسْتَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٣﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمَعْذِبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٥﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِحَنِ انْتَبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٨﴾ الَّذِي يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٩﴾ وَتَنَزَّلُ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٢٠﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢١﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ ءَانَتْهُمْ وَأَمِنُوا بَعْدَ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٨﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

(٢١٠-٢١٢) وَمَا تَنْزَلْتُ بِالْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ الشَّيَاطِينِ - كما يزعم الكفرة - ولا يصح منهم ذلك، وما يستطيعونه؛ لأنهم عن استماع القرآن من السوء محجوبون مرجومون بالشبه.

(٢١٣) فلا تعبد مع الله معبوداً غيره، فينزل بك من العذاب منازل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره.

(٢١٤) وَخَذَرُ - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك، من عذابنا، أن ينزل بهم.

(٢١٥) وَأَيْنَ جَانِبِكَ وَكَلَامِكَ تَوَاضَعَا وَرَحْمَةً لَمَنْ ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ أَجَابَةٌ دَعَاكَ.

(٢١٦) فَإِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ وَلَمْ يَتَّبِعُواكَ، فَتَبَرَّأْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وما هم عليه من الشرك والضلال.

(٢١٧-٢٢٠) وَقَوَّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغَالِبُ وَلَا يُفْهَرُ، الرَّحِيمِ الَّذِي لَا يَخْذُلُ

أوليائه، وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة وحده في جوف الليل، ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك قائماً وراكعاً وساجداً وجالساً، إنه - سبحانه - هو السميع لتلاوتك وذكرك، العليم بنيةك وعملك.

(٢٢١-٢٢٣) هَلْ أَخْبَرَكُمْ - أيها الناس - على مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ؟ تنزل على كل كذاب كثير الآثام من الكهنة، يَسْرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ، يتخطفونه من الملاء الأعلى، فيلقونه إلى الكهان، وَمَنْ جَرَى بِمِجْرَاهِمِ مِنَ الْفَسْقَةِ، وأكثر هؤلاء كاذبون، يَصْدُقُ أَحَدُهُمْ في كلمة، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة.

(٢٢٤-٢٢٦) والشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويمجاريهم الضالون الزائغون من أمثالهم. أَلَمْ تَرَ - أيها النبي - أنهم يذهبون كالحائم على وجهه، يخوضون في كل فن من فنون الكذب والزور وتزييق الأعراض والطعن في الأنساب وتجرير النساء العفاف، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يبالغون في مدح أهل الباطل، ويتنقصون أهل الحق؟

(٢٢٧) استثنى الله من الشعراء الشعراء الذين اهتدوا بالإيمان وعملوا الصالحات، وأكثروا من ذكر الله فقالوا الشعر في توحيد الله - سبحانه - والثناء عليه جل ذكره، والدفاع عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتكلموا بالحكمة والموعظة والآداب الحسنة، وانتصروا للإسلام، يهجون مَنْ يهجو أو يهجو رسوله؛ رداً على الشعراء الكافرين. وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلموا غيرهم بغمط حقوقهم، أو الاعتداء عليهم، أو بالتهمة الباطلة، أي مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه؟ إنه منقلب سوء، نسأل الله السلامة والعافية.

﴿سورة النمل﴾

(١) ﴿طس﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن وهي آيات الكتاب العزيز بينة المعنى، واضحة الدلالة، على ما فيه من العلوم والحكم والشرائع.

فالقرآن هو الكتاب، جمع الله له بين الاسمين.

(٢، ٣) وهي آيات ترشد إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة، وتبشر بحسن الثواب للمؤمنين الذين صدّقوا بها، واهتدوا بهديها، الذين يقيمون الصلوات الخمس كاملة الأركان، مستوفية الشروط، ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب.

(٤، ٥) إن الذين لا يُصدّقون بالدار الآخرة، ولا يعملون لها حسناً لهم أفعالهم السيئة، فأروها حسنة، فهم يترددون فيها متحيزين. أولئك الذين لهم العذاب السيئ في الدنيا قتلاً وأضراراً وذلاً وهزيمة، وهم في الآخرة أشد الناس خسراناً.

(٦) وإنك -أيها الرسول- لتتلقى القرآن من عند الله، الحكيم في خلقه وتديره الذي أحاط بكل شيء علماً.

(٧) أذكر قصة موسى حين قال لأهله في مسيره من «مدين» إلى «مصر»: إني أبصرت نارا سأتيكم منها بخبر يدلنا على الطريق، أو آتيكم بشعلة نار؛ كي تستدفئوا بها من البرد.

(٨-١٢) فلما جاء موسى النار ناداه الله وأخبره أن هذا مكان قدّسه الله وباركه فجعله موضعاً لتكليم موسى وإرساله، وأن الله بارك من في النار ومن حولها من الملائكة، وتنزيهاً لله رب الخلائق عما لا يليق به. يا موسى إنه أنا الله المستحق للعبادة وحدي، العزيز الغالب في انتقامي من أعدائي، الحكيم في تدبير خلقي. وألق عصاك فألقاها فصارت حية، فلما رآها تتحرك في خفة تحرك الحية السريعة ولّى هارباً ولم يرجع إليها، فطمأنه الله بقوله: يا موسى لا تخف، إني لا يخاف لديّ أرسلتهم برسالتي، لكن من تجاوز الحدّ بذنب، ثم تاب فبدل حسن التوبة بعد قبح الذنب، فاني غفور له رحيم به، فلا يئس أحد من رحمة الله ومغفرته. وأدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والشمل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن أمر الله كافرين به.

(١٣) فلما جاءتهم هذه المعجزات ظاهرة بيّنة يبصر بها من نظر إليها حقيقة ما دلت عليه، قالوا: هذا سحر واضح بين.

(١٤) وكَذَّبَ فرعونُ وقومُه بالمعجزاتِ التسعِ الواضحةِ الدلالةِ على صدقِ موسى في نبوته وصدقِ دعوته، وأنكروا بأنستهم أن تكون من عند الله، وقد استيقنوها في قلوبهم اعتداءً على الحق وتكبُّراً على الاعتراف به، فانظر -أيها الرسول- كيف كان مصير الذين كفروا بآيات الله أفسدوا في الأرض، إذ أغرقهم الله في البحر؟ وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

(١٥) ولقد آتينا داود وسليمان علماً فعملما به، وقال: الحمد لله الذي فضَّلنا هذا على كثير من عباده المؤمنين. وفي الآية دليل على شرف العلم، وارتفاع أهله.

(١٦) وورث سليمان آياه داود في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا وفهمنا كلام الطير، وأعطينا من كل شيء تدعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه هو الفضل الواضح الذي يُمَيِّزنا على من سوانا.

(١٧) وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرتهم لم يكونوا مهملين، بل كان على كل جنس من يروء أولهم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعاً منتظمين.

(١٨، ١٩) حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحلنكم سليمان وجنوده، وهم لا يعلمون بذلك. فتيسم صاحكاً من قول هذه النملة لفهمها واهدائها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمته الله عليه، فتوجه إليه داعياً: ربِّ اهُمِّنِي، ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أفعالهم.

(٢٠، ٢١) وتنفذ سليمان حال الطير المسخرة له وحال ما غاب منها، وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجده، فقال: ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهد؟ أستره ساتر عني، أم أنه كان من الغائبين عني، فلم أره لغيبته؟ فلما ظهر أنه غائب قال: لأعذبن هذا الهدهد عذاباً شديداً لغيابه تأديباً له، أو لأذبحنه عقوبة على ما فعل؛ حيث أحل بها سُخْرَ له، أو لبائني بحجة ظاهرة فيها عذر لغيبته.

(٢٢) فمكث الهدهد زمناً غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان على مغيبه وتخلُّفه، فقال له الهدهد: علمتُ ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجنتك من مدينة «سبأ» بـ «اليمن» بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه.

إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَيْسَ جُودًا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَتُنظرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَ هَذَا
فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَلَيْهِمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمُلُوكُ إِنِّي الْغَيْثُ الْكَبِيرُ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ
يَسْمِعُ اللَّهُ الرِّيحَ الرَّجِيمَ ﴿٣٠﴾ أَتَأْتِلُوا عَلَيَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ أَفَأَنْتُمْ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولَا بَأْسًا شَدِيدًا وَالْأَمْرُ
إِلَيْكَ فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذْلاءَ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

(٢٣) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَحْكُمُ أَهْلَ «سَبَأَ»،
وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَلَهَا
سُرِيرٌ عَظِيمٌ، الْقَدْرُ، تَجْلِسُ عَلَيْهِ لِإِدَارَةِ مَمْلَكَتِهَا.

(٢٤) وَجَدْتُهَا هِيَ وَقَوْمُهَا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ
مُعْرِضِينَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا، فَصَرَفَهُمْ
عَنِ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَتَوَحُّدِهِ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى اللَّهِ
وَتَوَحُّدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ.

(٢٥، ٢٦) حَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ؛ لِثَلَا
يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْمَخْبُوءَ الْمُسْتَوْرَ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ، وَيَعْلَمُ مَا تُسْتَرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ. اللَّهُ الَّذِي
لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ الْمَخْلُوقَاتِ.

(٢٧، ٢٨) قَالَ سُلَيْمَانٌ لِلْهَدُودِ: سَتُنَظَرُ فِيمَا
جِئْتَنَاهُ مِنْ الْخَبَرِ أَصْدَقْتَ فِي ذَلِكَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيهِ؟ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا إِلَى أَهْلِ
«سَبَأَ» فَأَعْطَهُمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَحَّ عَنْهُمْ قَرِيبًا مِنْهُمْ
بَحِثٌ تَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، فَتَأْمَلُ مَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ مِنْ
الْكَلَامِ.

(٢٩) ذَهَبَ الْهَدُودُ وَالْقَى الْكِتَابَ إِلَى الْمَلِكَةِ
فَقَرَأَتْهُ، فَجَمَعَتْ أَشْرَافَ قَوْمِهَا، وَسَمِعَهَا تَقُولُ

لَهُمْ: إِنِّي وَصَلْتُ إِلَى كِتَابِ جَلِيلِ الْمَقْدَارِ مِنْ شَخْصٍ عَظِيمِ الشَّانِ.

(٣٠، ٣١) ثُمَّ يَتَبَيَّنُ مَا فِيهِ فَقَالَتْ: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّهُ مَفْتُوحٌ بِ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» لَا تَتَكَبَّرُوا وَلَا تَتَعَاطَمُوا عَمَّا
دَعَاكُمْ إِلَيْهِ، وَأَقْبِلُوا إِلَيَّ مُتَقَادِينَ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ مُسْلِمِينَ لَهُ.

(٣٢) قَالَتْ: يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ أَتُسِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ، مَا كُنْتُ لِأَفْضَلَ فِي أَمْرٍ إِلَّا بِمَحْضَرِّكُمْ وَمَشُورَتِكُمْ.

(٣٣) قَالُوا بِمَجِيئِنَا لَهَا: نَحْنُ أَصْحَابُ قُوَّةٍ فِي الْعُدَّةِ وَأَصْحَابُ النُّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرْبِ، وَالْأَمْرُ مَوْكُولٌ
إِلَيْكَ، وَأَنْتِ صَاحِبَةُ الرَّأْيِ، فَتَأْمَلِي مَاذَا تَأْمُرِينَ بِهِ؟ فَنَحْنُ سَامِعُونَ لِأَمْرِكَ مَطِيعُونَ لَكَ.

(٣٤، ٣٥) قَالَتْ مُحَذَّرَةٌ لَهُمْ مِنْ مُوَاجَهَةِ سُلَيْمَانَ بِالْعِدَاوَةِ، وَمُبَيِّنَةٌ لَهُمْ سُوءَ مَغْيَةِ الْقِتَالِ: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا بِجُيُوشِهِمْ قَرْيَةً
عَنُودَةً وَقَهَرًا خَرَّبُوهَا وَصَرَّبُوهَا وَأَعْرَءَ أَهْلَهَا أَذْلاءَ، وَقَتَلُوا وَأَسْرَوْا، وَهَذِهِ عَادَتُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ الثَّابِتَةُ لِحُلْمِ النَّاسِ عَلَى أَنْ يَهَابُوهُمْ.

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَى سُلَيْمَانَ وَقَوْمِهِ بِهَدِيَّةٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى نَفَاسِ الْأَمْوَالِ أَصَانَعِهَا، وَمُنْتَظَرَةٌ مَا يَرْجِعُ بِهِ الرِّسْلُ.

فَإِذَا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّوْا بِنِيَّالِ فَهَاءُ أَتَيْنَ اللَّهُ خَيْرٌ وَمَا
 أَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَةٍ مِّنْ فَتْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ
 جُنُودٌ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَأْتِيَانِي الْأَسْلَافُ أَتَاكُمْ بِنِيَّيْنِ بَعَثْنَاهُمَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْا مُسْلِمِينَ
 ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفِيفَتَيْنِ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ أَتَيْكَ بِهِمَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا
 آتِيكَ بِهِمَا قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَا إِلَيْكَ طَرَفًا فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّيَ لِيُتْلُوَنِي ءَأَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفُرُ وَمِنْ شَكَرٍ فَاتِنَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا
 عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
 وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ
 قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرْدٌّ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

(٣٦) فلما جاء رسول الملكة بالهدية إلى سليمان، قال مستنكراً ذلك متحدثاً بأنعم الله عليه: أمددوني بها! ترصية لي؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والأموال الكثيرة خير وأفضل مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تهدي إليكم، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها.

(٣٧) وقال سليمان عليه السلام لرسول أهل «سبأ»: ارجع إليهم، فوالله لنأتيهم بجنود لا طاقة لهم بهقوامتها ومقابلتها، ولنخرجهم من أرضهم أذلة وهم صاغرون مهانون، إن لم يتقادوا لدين الله وحده، ويتركوا عبادة من سواه.

(٣٨) قال سليمان مخاطباً من سحرهم الله له من الجن والإنس: أأنتم يا بنيي بسرير ملكها العظيم قبل أن يأتوني متقادين طائعين؟

(٣٩) قال مارد قوي شديد من الجن: أنا أتيت به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي تجلس فيه للحكم بين الناس، وإنني لقوي على حمله، أمين على ما فيه، أتى به كما هو لا أنقص منه شيئاً ولا أبده.

(٤٠) قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا أتيت بهذا العرش قبل ارتداد أجناسك إذا تحركت للنظر في شيء. فأذن له سليمان فدعا الله، فأتى بالعرش. فلما رآه سليمان حاضراً لديه ثابتاً عنده قال: هذا من فضل ربي الذي خلقني وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أأشكر بذلك اعترافاً بنعمته تعالى علي أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر الله على نعمه فإن نفع ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بحبره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة.

(٤١) قال سليمان لمن عنده: غيروا سرير ملكها الذي تجلس عليه إلى حال تنكره إذا رآته؛ لنرى أهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون؟

(٤٢) فلما جاءت ملكة «سبأ» إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنه يشبهه. فظهر لسليمان أنها أصابت في جوابها، وقد علمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان عليه السلام، فقال: وأوتينا العلم بالله ويقدرته من قبلها، وكنا متقادين لأمر الله متبعين لدين الإسلام.

(٤٣) ومنتهى عن عبادة الله وحده ما كانت تعبده من دون الله تعالى، إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين، واستمرت على دينهم، وإلا فلها من الذكاء والظطنة ما تعرف به الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب.

(٤٤) قيل لها: ادخلي القصر، وكان صحنه من زجاج تحته ماء، فلما رأت صحن القصر ظنته ماء تتردد أمواجه، وكشفت عن ساقها لتخوض الماء، فقال لها سليمان: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته. فأدركت عظمة ملك سليمان، وقالت: رب إنني ظلمت نفسي بما كنت عليه من الشرك، وانقذت متابعة لسليمان داخلة في دين رب العالمين أجمعين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلَ سَيْثٍ
قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالُوا أَطِيعُوا بَنِيكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَاعُوا عِنْدَ اللَّهِ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْسِدُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
يَسْعَىٰ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا آلَهُ النَّبِيِّينَ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لْتَقُولُنَّ لَوْلَا
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظِرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ يَوْمَ يَكُونُ حَاوِيَةٌ يَحَاطَمُونَ الْوَائِ
فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكُنَّا أَيْتُونُوكُمْ ﴿٥٣﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفُلْجَنَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَتَيْتُكُمْ لَأَتَأْتِيَ الرَّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

(٤٥) ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً: أن
وعبدوا الله، ولا تجعلوا معه إلهاً آخر، فلما اتاهم
صالح داعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده صار
قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر
بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه.

(٤٦) قال صالح للفريق الكافر: لِمَ تبادرون
الكفر وعمل السيئات الذي يجلب لكم العذاب،
وتؤخرون الإيمان وفعل الحسنة الذي يجلب
لكم الثواب؟ هَلَّا تطلبون المغفرة من الله ابتداءً،
وتتوبون إليه؛ رجاء أن ترحموا.

(٤٧) قال قوم صالح له: تَشَاءُ مُنَا بِكَ وبمن
معك من دخل في دينك، قال لهم صالح: ما
أصابكم الله من خير أو شر فهو مقدَّرٌ عليكم
ومجازيكم به، بل أنتم قوم تُخْتَبَرُونَ بالسراء
والضراء والخير والشر.

(٤٨) وكان في مدينة صالح -وهي «الحجر»
الواقعة في شمال غرب جزيرة العرب- تسعة
رجال، شأنهم الإفساد في الأرض، الذي لا
يحاطه شيء من الصلاح.

(٤٩) قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: تقاسموا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتين صالحاً بغتة في الليل فنقتله
ونقتل أهله، ثم لنقولنَّ لوليِّ الدم من قرابته: ما حضرنا قتلهم، وإنا لصادقون فيما قلناه.

(٥٠) ودبروا هذه الحيلة لإهلاك صالح وأهله مكرًا منهم، فنصرنا نبينا صالحاً عليه السلام، وأخذناهم بالعقوبة على غيرة،
وهم لا يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم.

(٥١) فانظر -أيها الرسول- نظرة اعتبار إلى عاقبة عُذْر هؤلاء الرهط بنبههم صالح؟ أنا أهلكناهم وقومهم أجمعين.

(٥٢) فتلك مساكنهم خالية ليس فيها منهم أحد، أهلكهم الله؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم. إن في
ذلك التدمير والإهلاك لَعَلَّة لِّقَوْمٍ يعلمون ما فعلناه بهم، وهذه سنتنا فيمن يكذب المرسلين.

(٥٣) وأنجينَا مما حلَّ بشمود من الهلاك صالحاً عليه السلام والمؤمنين به، الذين كانوا يتقون بإيمانهم عذاب الله.

(٥٤، ٥٥) واذكر لو طأ إذ قال لقومه: أتأتون الفعلة المتناهية في القبح، وأنتم تعلمون قبحها؟ أإنكم لتأتون الرجال في
أدبارهم للشهوة عوضاً عن النساء؟ بل أنتم قوم تجهلون حقَّ الله عليكم، فخالفتهم بذلك أمره، وعَصَيْتُمْ رسوله بفعلتكم
القبیحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين.

(٥٦) فما كان لقوم لوط جواب له إلا قول بعضهم لبعض: أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتنزهون عن إتيان الذكران. قالوا لهم ذلك استهزاء بهم.

(٥٧) فأجبتنا لوطاً وأهله من العذاب الذي سيقع بقوم لوط، إلا امرأته قد رناها من الباقين في العذاب حتى تهلك مع المالكين؛ لأنها كانت عوناً لقومها على أفعالهم القبيحة راضية بها.

(٥٨) وأمطرنا عليهم من السماء حجارة من طين مهلكة، ففتح مطر المنذرين، الذين قامت عليهم الحجة.

(٥٩) قل -أيها الرسول-: الشناء والشكر لله، وسلام منه، وأمنة على عباده الذين تجبرهم لرسالته، ثم أسأل مشركي قومك هل الله الذي يملك النفع والضر خير أو الذي يشركون من دونه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً؟

(٦٠) وإسألهم من خلق السموات والأرض، وأنزل لكم من السماء ماء، فأثبت به حقائق

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْغُونَكَ ۝ فَأُنْجِيَتْهُ وَآهْلُهَا بِآلِ آمُرَأْتِهِ وَقَدْ رَئَيْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ۝ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَا يَشْرَكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَأْكَانٌ لَكُمْ ۚ أَمْ تُشْكِنُوْنَ أَشْجَارَهَا أَمْ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَنَجْعَلُ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَنَجْعَلُ لَهَا رَاسِيًا وَنَجْعَلُ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَمْ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَنَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَمْ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْعِكُمْ ۚ قُلْ أَتَدْعُونَ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَمْ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾

ذات منظر حسن؟ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لولا أن الله أنزل عليكم الماء من السماء. إن عبادته سبحانه هي الحق، وعبادة ما سواه هي الباطل. أعبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويُشرك به؟ بل هؤلاء المشركون قوم ينحرفون عن طريق الحق والإيمان، فيسبون بالله غيره في العبادة والتعظيم.

(٦١) أعباد ما تشركون بربكم خير أم الذي جعل لكم الأرض مستقراً وجعل وسطها أنهاراً، وجعل لها الجبال ثوابت، وجعل بين البحرين الملح حاجزاً حتى لا يُفسد أحدهما الآخر؟ أعبود مع الله فعَلْ ذلك حتى تشركوه معه في عبادتكم؟ بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْرَ عظمة الله، فهم يشركون به تقليداً وظلماً.

(٦٢) أعباد ما تشركون بالله خير أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض؟ أعبود مع الله يُنعم عليكم هذه النعم؟ قليلاً ما تذكرون وتعتبرون، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

(٦٣) أعباد ما تشركون بالله خير أم الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتهم فأظلمت عليكم السبل، والذي يرسل الرياح مبشرات بها يرحم به عباده من غيث يحيي موات الأرض؟ أعبود مع الله يفعل بكم شيئاً من ذلك فتدعونونه من دونه؟ تنزه الله وتقدس عما يشركون به غيره.

أَمَّنْ يَدُ الْخَالِقِ تُبْعِدُهُ وَمَنْ يَرْفُكُنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
إِلَيْهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلَى أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا غَمُومُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا
كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُ آبَائِنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّا مِنْ غَايِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا فِي كِتَابٍ مِثْلِهِ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَقُصُّ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ كَقَصِّ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

(٦٤) واسألهم من الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده، ومن الذي يرزقهم من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع وغيره؟ أمعبود سوى الله يفعل ذلك؟ قل: هاتوا حجتكم إن كنتم صادقين في زعمكم أن الله تعالى شريكاً في ملكه وعبادته.

(٦٥) قل -أيها الرسول- لهم: لا يعلم أحد في السموات ولا في الأرض ما استأثر الله بعلمه من الغيبات، ولا يدرون متى هم مبعوثون من قبورهم عند قيام الساعة؟ بل تكامل علمهم في الآخرة، فأيقنوا بالدار الآخرة، وما فيها من أهوال حين عابثوها، وقد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عميت عنها بصائرهم.

(٦٦) وقال الذين جحدوا وحدانية الله: أنحن وآباؤنا مبعوثون أحياء كهيتنا من بعد مماتنا بعد أن صرنا تراباً؟

(٦٨) لقد وعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل، فلم نر له حقيقة ولا وقوعاً، ما هذا الوعد إلا مما سطره الأولون من الأكاذيب في كتبهم وافتروه.

(٦٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض، فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من المجرمين، كيف كان عاقبة المكذبين

لرسل؟ أهلكهم الله بتكذيبهم، والله فاعل بكم مثلهم إن لم تؤمنوا.

(٧٠) ولا تحزن على إعراض المشركين عنك وتكذيبهم لك، ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصر لك عليهم.

(٧١) ويقول مشركو قومك -أيها الرسول-: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تعدنا به أنت وأنباعك إن كنتم صادقين فيها تعدونا به؟

(٧٢) قل لهم -أيها الرسول-: عسى أن يكون قد اقترب لكم بعض الذي تستعجلون من عذاب الله.

(٧٣) وإن ربك لذو فضل على الناس؛ بتركه معالجتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به، ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك، فيؤثروا به ويخلصوا له العبادة.

(٧٤) وإن ربك ليعلم ما تخفيه صدور خلقه وما يظهره.

(٧٥) ومما من شيء غائب عن أبصار الخلق في السماء والأرض إلا في كتاب واضح عند الله. قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان وما يكون.

(٧٦) إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها.

(٧٧) وإن هذا القرآن هداية من الضلال ورحمة من العذاب، لمن صدق به واهتدى بهده.

(٧٨) إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل، ويجازي المحسن. وهو العزيز الغالب، فلا يُردُّ قضاؤه، العليم فلا يلتبس عليه حق بباطل.

(٧٩) فاعتمد -أيها الرسول- في كل أمورك على الله، وثق به؛ فإنه كافيك، إنك على الحق الواضح الذي لا شك فيه.

(٨٠) إنك -أيها الرسول- لا تقدر أن تُسمع الحق من طبع الله على قلبه فأمانه، ولا تُسمع دعوتك من أصمَّ الله سمعه عن سماع الحق عند إدبارهم معرضين عنك؛ فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلاً، فكيف إذا كان معرضاً عنه مولياً مدبراً؟

(٨١) وما أنت -أيها الرسول- بهادٍ عن الضلالة من أعماه الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنك أن تُسمع إلا ما يصدق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجبون لما دعوتهم إليه.

(٨٢) وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتأديبهم في المعاصي والطفیان، وإعراضهم عن شرع الله وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي «الدابة»، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا

وَأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّمَا تَهْدِي أَلْفًا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعْ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمُوتُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَاوِلُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَجَرًا مِّنْ يَّكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَنُونَ ﴿٨٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطْ بِهَا عِلْمًا أَمْ آتَاكُمْ كِتَابٌ تَكْمُلُونَ ﴿٨٣﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يُطِيعُونَ ﴿٨٤﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرَاتٍ فِي ذَلِكَ لَا يَكْتُمُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٥﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَقَعَنَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ مِثَاءٌ مِّنَ اللَّهِ وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرٍ ﴿٨٦﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِأَلْفِ نَفْسٍ ذِكْرٌ وَهُوَ خَيْرٌ لِّمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٧﴾

بالحقران ومحمد صلى الله عليه وسلم ودينه لا يصدقون ولا يعملون.

(٨٣) ويوم نجمع يوم الحشر من كل أمة جماعة ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، يُجَسَّس أولهم على آخرهم؛ ليجتمعوا كلهم، ثم يساقون إلى الحساب.

(٨٤، ٨٥) حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: أَكذَّبْتُم بِآيَاتِي التي أنزلتها على رسلِي، وبالآيات التي أقمتها لدلالة على توحيدي واستحقاقي وحدي للعبادة، ولم تحيطوا علماً ببطلانها، حتى تُعرضوا عنها وتُكذِّبوا بها، أم أي شيء كنتم تعملون؟ وحَقَّتْ عليهم كلمة العذاب؛ بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فهم لا يتنطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم ما حل بهم من سوء العذاب.

(٨٦) ألم ير هؤلاء المكذِّبون بآياتنا أننا جعلنا الليل ليستقروا فيه وينامون، والنهار يبصرون فيه للسعي في معاشهم؟ إن في تصرفها لدلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الله ووحدانيته وعظيم نعمه.

(٨٧) واذكر -أيها الرسول- يوم ينفخ المَلَكُ في «القرن» ففرع من في السموات ومن في الأرض فرعاً شديداً من هول النفخة، إلا من استثناه الله من أكرمه وحفظه من الفرع، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين مطيعين.

(٨٨) وترى الجبال تظنها واقفة مستقرة، وهي تسير سيراً حثيثاً كسير السحاب الذي تسيرُه الرياح، وهذا من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه واتقنه. إن الله خير بما تفعلون أيها الناس من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهَرَمَ فَرَجَ يَوْمَئِذٍ آمَنُوا ۚ
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا
مَا كُتِبَ لَهُمْ لَا يَخْلُفُونَ ۚ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
۝ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
مِنْ نَّبَا مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهُ شِيعَةً يَتَّبِعُونَ ۝ إِنَّا
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذَّبُون ۝ ابْنَاءُ هُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ
رَكَانٌ ۝ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝

(٨٩) من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفزع الأكبر آمنون.
(٩٠) ومن جاء بالشرك والأعمال السيئة المنكرة، فجزاؤهم أن يكبهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة، ويقال لهم توبيخاً: هل تحزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا؟

(٩١، ٩٢) قل -أيها الرسول- للناس: إنما أُمِرْتُ أن أعبد رب هذه البلدة -وهي «مكة»- الذي حَرَّمَهَا على خلقه أن يسفكوا فيها دمماً حراماً، أو يظلموا فيها أحداً، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها، وله سبحانه كل شيء، وأُمِرْتُ أن أعبد وحده دون من سواه، وأُمِرْتُ أن أكون من المتقادين لأمره، المبادرين لطاعته، وأن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بها فيه واتباع ما جئت به، فإنها خير ذلك وجزاؤه لنفسه، ومن ضلَّ عن الحق قل -أيها الرسول-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء.

(٩٣) وقل -أيها الرسول-: الثناء الجميل لله، سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض، فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق وتبين لكم الباطل، وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

سورة القصص

(١) ﴿طَسَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذه آيات القرآن الذي أنزلته إليك -أيها الرسول-، مبيناً لكل ما يحتاج إليه العباد في دنياهم وأخراهم.

(٣) نقص عليك من خبر موسى وفرعون بالصدق لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه.

(٤) إن فرعون تكبر وطغى في الأرض، وجعل أهلها طوائف متفرقة، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، يذبح أبناءهم، ويستقي نساءهم؛ للخدمة والامتهان، إنه كان من المفسدين في الأرض.

(٥) ونريد أن ننفض على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه.

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِثْلَهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا اخْضَعَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾
فَالْقِطْعَةُ وَءَالَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْكُونَ لَهُمْ عَذَابًا وَحَدًّا ۖ إِنَّا
نَحْنُ مُنْذِرُونَ ۚ وَهَلَمَّ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ﴿١٢﴾
وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي ۖ وَلَئِنْ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ يَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ۖ إِن كَادَتْ لَتَسْدِي بِهِ لَوْلَا
أَنَّ رَبَّنَا عَلَّمَهَا السَّكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَقَالَتْ
لِأَخِيهِ فَصِيْبُهُ قَبَضَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهَرَّ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٥﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٦﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَتَعْلَمَنَّ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾

(٦) ونمكن لهم في الأرض، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه من هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل.

(٧، ٨) وأهمنّا أم موسى حين ولدته وخشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني إسرائيل: أن أَرْضِعِيهِ مَطْمَئِنَّةً، فإذا خشيت أن يُعرف أمره فضعيه في صندوق وألقيه في النيل، دون خوف من فرعون وقومه أن يقتلوه، ودون حزن على فراقه، إنا رادّو ولدك إليك وباعثوه رسولا. فوضعت في صندوق وألقت في النيل، فعثر عليه أعوان فرعون وأخذوه، فكانت عاقبة ذلك ما قَدَّرَهُ اللهُ بأن يكون موسى عدواً لهم بمخالفة دينهم، وموقعاً لهم في الحزن باغراقهم وزوال ملكهم على يده. إن فرعون وهامان وأعوانها كانوا آمنين مشركين.

(٩) ولما شاهدته امرأة فرعون ألقى الله محبة في قلبها، وقالت لفرعون: هذا الطفل سيكون مصدرا سروري ولك، لا تقتلوه؛ فقد نصيب

منه خيرا أو نتخذه ولداً، وفرعون وآله لا يدركون أن هلاكهم على يديه.

(١٠) وأصبح فؤاد أم موسى خالياً من كل شيء في الدنيا إلا من هم موسى وذكره، وقاربت أن تُظهِرَ أنه ابنها لولا أن ثبنتها، فصبرت ولم تُبْدِ به؛ لتكون من المؤمنين بوعده الله الموقنين به.

(١١) وقالت أم موسى لأخته حين ألقته في اليم: اتبعي أثر موسى كيف يُصْنَعُ به؟ فتتبع أثره فأبصرته عن بُعد، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته، وأنها تتبع خبره.

(١٢) وحَرَّمْنَا على موسى المراضع أن يرضع منهم من قبل أن نردّه إلى أمه، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه، وهم مشفقون عليه؟ فاجابوها إلى ذلك.

(١٣) فرددنا موسى إلى أمه؛ كي تَقَرَّ عَيْنُهَا به، ووفينا لها بالوعد؛ إذ رجع إليها سليماً من قتل فرعون، ولا تحزن على فراقه، ولتعلم أن وعد الله حق فيما وعدها من ردّه إليها وجعله من المرسلين. إن الله لا يخلف وعده، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق.

(١٤) ولما بلغ موسى أشد قوة وتكامل عقله، آتيناها حكماً وعلماً يعرف بها الأحكام الشرعية، وكما جزينا موسى على طاعته وإحسانه نجزي من أحسن من عبادنا.

(١٥) ودخل موسى المدينة مستخفياً وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدهما من قوم موسى من بني إسرائيل، والآخر من قوم فرعون، فطلب الذي من قوم موسى النصر على الذي من عدوه، فضربه موسى بجُمُع كفه فمات، قال موسى حين قتله: هذا من نزغ الشيطان، بأن هيج غضبي، حتى ضربت هذا فهلك، إن الشيطان عدو لابن آدم، مضل عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة. وهذا العمل من موسى عليه السلام كان قبل النبوة.

(١٦) قال موسى: رب إنني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاغفر لي ذلك الذنب، فغفر الله له. إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

(١٧) قال موسى: رب بما أنعمت عليّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة، فلن أكون معنياً لأحد على معصيته وإجرامه.

(١٨) فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفاً يترقب الأخبار مما يتحدث به الناس في أمره وأمر قتيله، فرأى صاحبه بالأمس يقاتل قبطياً آخر، ويطلب منه النصر، قال له موسى: إنك لكثير الغواية ظاهر الضلال.

(١٩) فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقبطي، قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس.

(٢٠) وجاء رجل من آخر المدينة يسعى، قال يا موسى: إن أشرف قوم فرعون يتآمرون بقتلك ويتشاورون، فاحرج من هذه المدينة، إني لك من الناصحين المشفقين عليك.

(٢١) فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه، فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْآخَرِ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ فَفَضَّىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَبْتَلِيكَ كَمَا فَعَلْتُ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنَّ الْأُمْلَاءَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ ذَٰلِكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

(٢٢) ولما قصد موسى بلاد «مدين» وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى «مدين».

(٢٣) ولما وصل ماء «مدين» وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين مفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تُصَدَّر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما موسى -عليه السلام- رَقَّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره.

(٢٤) فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة فاستظل بها وقال: ربّ إني مفقر إلى ما تسوقه إليّ من أي خير كان، كالطعام. وكان قد اشتد به الجوع.

(٢٥) فجاءت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما

تسير إليه في خفاء، قالت: إن أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا، فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباهما وقَصَّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له أبوهما: لا تَخَفْ نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه؛ إذ لا سلطان لهم بأرضنا.

(٢٦) قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى لك ماشيتك؛ إنَّ خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخاف خيافته فيها تأمنه عليه.

(٢٧) قال الشيخ لموسى: إني أريد أن أزوِّجك إحدى ابنتي هاتين، على أن تكون أجنبيَّة في رعي ماشيتي ثمان سنين مقابل ذلك، فإن أكملت عشر سنين فإحسان من عندك، وما أريد أن أشق عليك بجعلها عشرًا، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحة والوفاء بما قلتُ.

(٢٨) قال موسى: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك، أي المديتين أقضتها في العمل أكن قد وفيتك، فلا أطالب بزيادة عليها، والله على ما نقول وكيل حافظ براقبنا، ويعلم ما تعاقدا عليه.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ يَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَبِيلَ
الْأَسْبَلِ ﴿١٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْعَوْنَ وَوَجَدَنَهُمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ لِحَمَّتِهِمَا زَاوِيَةً
يَأْتِيَانِهَا بِخَبَرٍ مِّنْ شَرِّهِمَا كَفِيرٍ ﴿١٦﴾ فَجَاءَهُنَّ إِلَهُهُمَا
تَمَثَّلَ عَلَىٰ اسْتِحْبَابٍ وَقَالَتِ ابْنَتَانِ يُبَدِّلُ لَكُمَا الْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفَا بَجُودٍ مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ قَالَتَا إِخَذَ مِنْهُمَا
يَتِيمَتَانِ اسْتَجْرَا مِنْ خَيْرٍ مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكِكَ إِخَذَ ابْنَتَانِ هَتَمَتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ
تَأْجُرْنِي ثَمَنِي حَجَجْتُ فَإِنْ أَتَمَمْتُ عَشْرَ لَيْلٍ مِّنْ عِندِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عَلَيْكَ سَجْدَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّلَاحِ وَحِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْدَانِ
فَضَيْبٌ فَلَا عُدُونِ عَلَىٰ وَاللَّهِ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٠﴾

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾
 ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِيئِ الْأَوْدِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَىٰ آتَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
 ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ يَمْشِي الْأَقْبَلُ وَلَا تَخَفُ إِنْكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾
 ﴿ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
 ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾
 ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنْتِ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾
 ﴿ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصِيْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَلْعَلُّونَ ﴾

(٢٩) فلما وفى نبي الله موسى - عليه السلام - صاحبه المدة عشر سنين، وهي أكمل المدين، وسار بأهله إلى «مصر» أبصر من جانب الطور ناراً، قال موسى لأهله: تمهلوا وانتظروا إني أبصرت ناراً، لعلي آتيكم منها نبأ، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها.

(٣٠، ٣١) فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك، فألقاها موسى، فصارت حية تسعى، فلما رآها موسى تضطرب كأنها جانٌّ من الحيات ولَّى هارباً منها، ولم يلتفت من الخوف، فناداه ربه: يا موسى أقبل إلي ولا تخف؛ إنك من الآمنين من كل مكروه.

(٣٢) أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر، وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص، واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أريتكما يا موسى: من

تحول العصا حية، وجعل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آياتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه. إن فرعون وملاه كانوا قوماً كافرين.

(٣٣، ٣٤) قال موسى: رب إني قتلت من قوم فرعون نفساً فأخاف أن يقتلوني، وأخي هارون هو أفصح مني لفظاً، فأرسله معي عوناً يصدقني، ويبين لهم عني ما أحاط بهم به، إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم: إني أرسلت إليهم.

(٣٥) قال الله لموسى: سننطقك بأخيك، ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه فلا يصلون إليكما بسوء. أنتما - يا موسى وهارون - ومن آمن بكم المنتصرون على فرعون وقومه؛ بسبب آياتنا وما دللت عليه من الحق.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ
مُفَرَّدِي وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا أَفْءَابَاءُنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا يَأْتِيهِ مِنَ عِنْدِهِ وَمَنْ
تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِآيَاتِهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَكُنْ عَلَى الظِّلِّينَ فَأَجْعَلَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي
أُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا
أَنَّهُمْ إِلَهَانَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ
فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

(٣٦) فلما جاء موسى فرعون وملاؤه بأدلتنا وحججنا شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه، قالوا للموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افترته كذباً وباطلاً، وما سمعنا بهذا الذي تدعوننا إليه في أسلافنا الذين مضوا قبلنا.

(٣٧) وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالمحق منّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون بمطلوبهم.

(٣٨) وقال فرعون لأشراف قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة، فأشعل لي - يا هامان - على الطين ناراً، حتى يشتد، وأبني لي بناء عالياً؛ لعلني أنظر إلى معبود موسى الذي يعبدته ويدعو إلى عبادته، وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين.

(٣٩) واستعل فرعون وجنوده في أرض «مصر» بغير الحق عن تصديق موسى وأتباعه

على ما دعاهم إليه، وحسبوا أنهم بعد ماتهم لا يبعثون.

(٤٠) فأخذنا فرعون وجنوده، فألقيناهم جميعاً في البحر وأغرقتناهم، فانظر - أيها الرسول - كيف كان نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم؟

(٤١) وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يقتدي بهم أهل الكفر والفسق، ويوم القيامة لا ينصرون؛ وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك.

(٤٢) وأتبعنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيًا وغضباً منا عليهم، ويوم القيامة هم من المستقذرة أفعالهم، المبعدين عن رحمة الله.

(٤٣) ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت من قبله - كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب «مدین» - حال كون التوراة بصائرًا لبني إسرائيل، يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم، وفيها رحمة لمن عمل بها منهم؛ لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم، فيشكروه عليها، ولا يكفروه.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ فَضَيْتَنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرُ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا فِرْعَوْنَ وَقَطَّاعًا عَلَيْهِمُ الْعُرُومَ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيَاتٍ أَهْلَ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُؤَسِّلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمْنَا مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن نَّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً يَمَّا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَوْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلٍ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاظِمُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ قَالُوا يَكْتُبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

(٤٤) وما كنت -أيها الرسول- بجانب الجبل الغربي من موسى إذ كلّفناه أمرنا ونهينا، وما كنت من الشاهدين لذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.

(٤٥) ولكننا خلقنا أمماً من بعد موسى، فمكثوا زمناً طويلاً، فنسوا عهد الله، وتركوا أمره، وما كنت مقبياً في أهل «مدین» تقرأ عليهم كتابنا، فتعرف قصصهم وتخبر بها، ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى وحي، وشاهد على رسالتك.

(٤٦) وما كنت -أيها الرسول- بجانب جبل الطور حين نادينا موسى، ولم تشهد شيئاً من ذلك فعله، ولكننا أرسلناك رحمة من ربك؛ لتذرع قوماً لم يأثمهم من قبلك من نذير؛ لعلمهم يتذكرون الخير الذي جئت به فيفعلوه، والشر الذي نهيت عنه فيجتنبوه.

(٤٧) ولولا أن ينزل بهؤلاء الكفار عذاب بسبب كفرهم بربهم، فيقولوا: ربنا هلاً أرسلت

إلينا رسولاً من قبل، فتتبع آياتك المنزلة في كتابك، ونكون من المؤمنين بك.

(٤٨) فلما جاء محمد هؤلاء القوم نذيراً لهم، قالوا: هلاً أوتي هذا الذي أرسل إلينا مثل ما أوتي موسى من معجزات حسية، وكتاب نزل جملة واحدة! قل -أيها الرسول- لهم: أو لم يكفر اليهود بما أوتي موسى من قبل؟ قالوا: في التوراة والقرآن سحران تعاونوا في سحرهما، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون.

(٤٩) قل -أيها الرسول- لهؤلاء: فأتوا بكتاب من عند الله هو أقوم من التوراة والقرآن أتبعه، إن كنتم صادقين في زعمكم.

(٥٠) فإن لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالاً ممن اتبع أهواه يغير هدى من الله. إن الله لا يوفق لإصابة الحق القوم الظالمين الذين خالفوا أمر الله، وتجاوزوا حدوده.

(٥١) ولقد فضلنا وبيّنا القرآن رحمة بقومك أيها الرسول؛ لعلهم يتذكرون، فيتعطوا به.

(٥٢) الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن - وهم اليهود والنصارى الذين لم يبدلوا - يؤمنون بالقرآن ويمحمد عليه الصلاة والسلام.

(٥٣) وإذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب، قالوا: صدقنا به، وعملنا بما فيه، إنه الحق من عند ربنا، إنا كنا من قبل نزوله مسلمين موحدين، فدين الله واحد، وهو الإسلام.

(٥٤، ٥٥) هؤلاء الذين تقدّمت صفّتهم يؤثرون ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابتهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا، ومن أوصافهم أنهم يدفعون السيئة بالحسنة، وما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر. وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يصفنوا إليه، وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم ووزرها عليكم، فنحن لا تشغل أنفسنا بالرد عليكم، ولا نسمعون منّا إلا الخير، ولا نخاطبكم

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّنَا إِذَا نَاكُتُانَ مِنْ قَبْلِهِ مُسِيَّيْنِ ۝ أُولَئِكَ يَفْعَلُونَ ۝ أَخْرَجَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ۝ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ۝ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ۝ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمُ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ۝ وَلَئِنْ كَانَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَى مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمَاءَ إِنَّمَا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ يَظُنُّونَ مَعِيشَتَهُمْ فَإِنَّكَ مَسْكَنُهُمْ لَا تُسْكِنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كُنَّا بِمُهْلَكِ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا بِمُهْلِكِ الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝

بمقتضى جهلكم؛ لأننا لا نريد طريق الجاهلين ولا نجها. وهذا من خير ما يقوله الدعاة إلى الله.

(٥٦) إنك - أيها الرسول - لا تهدي هداية توفيق من أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي من يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.

(٥٧) وقال كفار «مكة»: إن تتبع الحق الذي جئتنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نُخْطَفُ من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، أولم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرّمتنا على الناس سفك الدماء فيه، تجلب إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا؟ ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر هذه النعم عليهم، فيشكروا من أنعم عليهم بها ويطيعوه.

(٥٨) وكثير من أهل القرى أهلكناهم حين ألّهمهم معيشتهم عن الإيمان بالرسول، فكفروا وطغوا، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً منها، وكنا نحن الوارثين للعباد نميّتهم، ثم يرجعون إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.

(٥٩) وما كان ربك - أيها الرسول - مهلك القرى التي حول «مكة» في زمانك حتى يبعث في أمها - وهي «مكة» - رسولاً، يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله ومعصيته، فهم بذلك مستحقون للعقوبة والنكال.

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتُمْ بِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَظِيهٍ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ هُنَا أَعُوتِنَا مَا عُوتِنَا نَبْرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَسَمْنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَوَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

(٦٠) وما أعطيتكم - أيها الناس - من شيء من الأموال والأولاد، فإنها هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينة يُتزين بها، وما عند الله لأهل طاعته ولولايته خير وأبقى؛ لأنه دائم لا نفاذ له، أفلا تكون لكم عقول - أيها القوم - تدبرون بها، فتعرفون الخير من الشر؟

(٦١) أفمن وعدناه ومن خلقنا على طاعته إيانا الجنة، فهو ملاقي ما وعدَّ، وصائر إليه، كمن تمتعنا في الحياة الدنيا بمتاعها، فتمتّع به، وأثر لذة عاجلة على آجلة، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والجزاء؟ لا يستوي الفريقان، فليختر العاقل لنفسه ما هو أولى بالاختيار، وهو طاعة الله وابتغاء مرضاته.

(٦٢) ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأولاد في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟ (٦٣) قال الذين حقّ عليهم العذاب، وهم دعاة الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما

ضللنا، تبرأنا إليك من ولايتهم ونصرتهم، ما كانوا إيانا يعبدون، وإننا كانوا يعبدون الشياطين.

(٦٤) وقيل للمشركين بالله يوم القيامة: ادعوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله، فدعوه فلم يستجيبوا لهم، وعانوا العذاب، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق لما عذبوا.

(٦٥) ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول: بأي شيء أجبتهم المرسلين فيما أرسلناهم به إليكم؟

(٦٦) ففطيت عليهم الحجج، فلم يدرؤا ما يحتاجون به، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتاجون به سؤال انتفاع.

(٦٧) فأما من تاب من المشركين، وأخلص لله العبادة، وعمل بما أمره الله به ورسوله، فهو من الفائزين في الدارين.

(٦٨) وربك يخلق ما يشاء أن يخلق، ويصطفي لولايته من يشاء من خلقه، وليس لأحد من الأمر والاختيار شيء، وإننا ذلك لله وحده سبحانه، تعالى وتزّه عن شركهم.

(٦٩) وربك يعلم ما تخفي صدور خلقه وما يظهره.

(٧٠) وهو الله الذي لا معبود بحق سواه، له الثناء الجميل والشكر في الدنيا والآخرة، وله الحكم بين خلقه، وإليه تُردّون بعد مماتكم للحساب والجزاء.

(٧١) قل -أيها الرسول-: أخبروني -أيها الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائماً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بضياء تستضيئون به؟ أفلا تسمعون سماع فهم وقبول؟

(٧٢) قل لهم: أخبروني إن جعل الله عليكم النهار دائماً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون وتهذون فيه؟ أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار؟

(٧٣) ومن رحمته بكم -أيها الناس- أن جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما، فجعل هذا الليل ظلاماً؛ لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم، وجعل لكم النهار ضياءً؛ لتطلبوا فيه معاشكم، ولتشكروا له على إنعامه عليكم بذلك.

(٧٤) ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟

(٧٥) ونزعنا من كل أمة من الأمم المكذبة شهيداً -وهو نبيهم-، يشهد على ما جرى في

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يُآتِيكُمْ بَضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يُآتِيكُمْ بَلِيلًا تَشْكُرُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ قَدْ رَأَوْكَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعِيَ عَلَيْهِمْ وَعَاتَبْنَاهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِمُتَوَّيِّعِي بِالْعِصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعْ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

الدنيا من شرهم وتكذيبهم لرسلهم، فقلنا لتلك الأمم التي كذبت رسلها وما جاءت به من عند الله: هاتوا حججتكم على ما أشركتكم مع الله، فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون على ربهم، فلم ينفعهم ذلك، بل ضرهم وأوردهم نار جهنم.

(٧٦) إن قارون كان من قوم موسى -عليه الصلاة والسلام- فتجاوز حدّه في الكبر والتعجب عليهم، وآتينا قارون من كنوز الأموال شيئاً عظيماً، حتى إن مفاتيحه لَيُنْقَلُ حِمْلُهَا على العدد الكثير من الأقوياء، إذ قال له قومه: لا تبطر فرحاً بما آتت فيه من المال، إن الله لا يحب من خلقه البطرين الذين لا يشكرون الله تعالى ما أعطاهم.

(٧٧) والتمس فيما آتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا، ولا تترك حظك من الدنيا، بأن تتمتع فيها بالاحلال دون إسراف، وأحسن إلى الناس بالصدقة، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة، ولا تلمس ما حرم الله عليك من الفساد في الأرض والبغي على قومك، إن الله لا يحب المفسدين، وسيجازيهم على سوء صنيعهم.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مِن هُوَ أَشَدُّ مِرَّةً فَوَسَّ وَأَكْثَرُ جَعًا
 وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٦﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتْنَا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَجِلَ
 صَلَاحًا وَلَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَسَفْنَا بَصِيرَتَهُ
 وَيَدَارُو الْأَرْضَ فَمَا كَانُوا مِنْهَا بِصُرُوفَةٍ ۖ وَرَدُّوا
 إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ أَلْمُسْتَضِيرِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
 مَكَانَهُ بِأَلَمٍ ۖ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاتُ
 وَكَانَتْ لَا تَقْلَعُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٠﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
 لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ۖ وَأَعْقِبَتْهُ لِمُسْتَقِيمٍ
 ﴿٨١﴾ مِّن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾

(٧٨) قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أعطيت هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة، أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشاً، وأكثر جعاً للأموال؟ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لعلم الله تعالى بها، إنما يسألون سؤال توبيخ وتقرير، ويعاقبهم الله على ما علمه منهم.

(٧٩) فخرج قارون على قومه في زينته، مريداً بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله، وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أَعْطَى قارون من المال والزينة والجاه، إن قارون لَدُو نصيب عظيم من الدنيا.

(٨٠) وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون؛ ولبكم اتقوا الله وأطيعوه، ثواب الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خير مما أوتي قارون، ولا يتقبل هذه النصيحة ويوفق إليها ويعمل بها إلا من مجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويحْتَنِبُ معاصيه.

(٨١) فخسفنا بقارون وبداره الأرض، فما كان

له من جند ينصرونه من دون الله، وما كان متمتعاً من الله إذا حُلَّ به نعمته.

(٨٢) وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم: إن الله يوسِّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على من يشاء منهم، لولا أن الله منَّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لخسف بنا كما فعل بقارون، ألم تعلم أنه لا يفلاح الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة؟

(٨٣) تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض ولا فساداً فيها. والعاقبة المحمودة - وهي الجنة - لمن اتقى عذاب الله وعمل الطاعات، وترك المحرمات.

(٨٤) من جاء يوم القيامة بإخلاص التوحيد لله وبالأعمال الصالحة وفق ما شرع الله، فله أجر عظيم خير من ذلك، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم، ومن جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزَى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

(٨٥) إن الذي أنزل عليك - أيها الرسول - القرآن، وفرض عليك تبليغه، والتمسك به، لئلا تجعلك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو «مكة»، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ربي أعلم من جاء بالهدى، ومن هو في ذهاب واضح عن الحق.

(٨٦) وما كنت - أيها الرسول - تؤمل نزول القرآن عليك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمك فأنزله عليك، فاشكر الله تعالى على نعمه، ولا تكوننَّ عوناً لأهل الشرك والضلال.

(٨٧) ولا يصرفك هؤلاء المشركون عن تبليغ آيات ربك وحججه، بعد أن أنزلها إليك، وبلغ رسالة ربك، ولا تكون من المشركين في شيء.

(٨٨) ولا تعبد مع الله معبوداً آخر؛ فلا معبود بحق إلا الله، كل شيء هالك وقانٍ إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون من بعد موتكم للحساب والجزاء. وفي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بكماله وعظمته جلالة.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَلَّا تَزُولَ إِيَّاهُ فَتَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا أَرْسَخْتَهُ مِنْ يَدِكَ فَلَا تُحِسُّ مِنْهُ لَظْمًا وَلَا أَثَمًا ۚ وَمَا كَانَ لِكَافِرِينَ أَنْ يُلَاحِظُوا أَعْيُنُكَ وَالْيَدِ اللَّهُ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رِبَاكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْرِكِينَ ۚ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَنَكَبُوتُ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لَاقِيَهُ فَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ وَمَنْ جَهِدَ فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝

سورة العنكبوت

- (١) ﴿الْعَنَكَبُوتُ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) أَظُنُّ النَّاسَ إِذْ قَالُوا: آمَنَّا، أَنْ اللَّهَ يَتْرَكُهُمْ بِلَا ابْتِلَاءٍ وَلَا اخْتِبَارٍ؟
- (٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَاخْتَبَرْنَا هُمْ، مِمَّنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلَنَا، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ عِلْمًا ظَاهِرًا لِلخَلْقِ صَدَقَ الصَّادِقِينَ فِي إِيَابِهِمْ، وَكَذَبَ الْكَاذِبِينَ؛ لِيَمِيزَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنَ الْآخِرِ.
- (٤) بَلْ أَظُنُّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِيَ مِنْ شَرِكٍ وَغَيْرِهِ أَنْ يَعْجِزُونَا، فَيَفْتُونَا بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِمْ؟ بِئْسَ حُكْمُهُمْ الَّذِي يَحْكُمُونَ بِهِ.
- (٥) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ، وَيَطْمَعُ فِي ثَوَابِهِ، فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ الَّذِي أَجَلَهُ لِبُعْثِ خَلْقِهِ لِلْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ لَاقِيَهُ قَرِيبًا، وَهُوَ السَّمِيعُ لِلْأَقْوَالِ، الْعَلِيمُ بِالْأَفْعَالِ.
- (٦) وَمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ بِحَمْلِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ عَلَى جِهَادِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ أَعْمَالِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَآتِ بَنُوكَ بِمَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَمَاهُمْ بِمَحْسِلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ
شَيْءٌ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنَّا لَا تَمَلُّعَ
أَثْقَالَهُمْ وَلَيْسَتْ لَنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَالٌ أَوْ يَقْتُرُونَن
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

(٧) والذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات لنمحو عنهم خطيئاتهم، ولنسيئهم على أعمالهم الصالحة أحسن ما كانوا يعملون.

(٨) ووصينا الإنسان بالديه أن يبرهما، ويحسن إليهما بالقول والعمل، وإن جاهدك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمثل أمرهما. ويلحق بطلب الإشراف بالله، سائر المعاصي، فلا طاعة لمخلوق كائن من كان في معصية الله سبحانه، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. إلى مصيركم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها، وأجازيكم عليها.

(٩) والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات من الأعمال، لندخلهم الجنة في جملة عباد الصالحين.

(١٠) ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذى منه، فارتدّ

عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولنّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم، أليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

(١١) وليعلمنّ الله علماً ظاهراً للخلق الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وليعلمنّ المنافقين؛ ليميز كل فريق من الآخر.

(١٢) وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعد الله ووعده، للذين صدّقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإننا نتحمل آثام خطاياكم، وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا.

(١٣) ولحملنّ هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصداً عن سبيل الله مع أوزارهم، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء، وليسألنّ يوم القيامة عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.

(١٤) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك، فلم يستجيبوا له، فأهلكهم الله بالطوفان، وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم وطغيانهم.

(١٥) فَأَنْجَيْنَا نُوحًا وَمَنْ تَبِعَهُ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، وَجَعَلْنَا ذَلِكَ عِبْرَةً لِّلْعَالَمِينَ.

(١٦) وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ: أَنْ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاتَّقُوا سَخَطَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ.

(١٧) مَا تَعْبُدُونَ - أَيُّهَا الْقَوْمُ - مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَصْنَامًا، وَتَفْتَرُونَ كَذِبًا بِتَسْمِيَتِكُمْ إِيَّاهَا آلِهَةً، إِنَّ أَوْتَانَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرْزُقَكُمْ شَيْئًا، فَالْتَمِسُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ لَا مِنْ عِنْدِ أَوْتَانِكُمْ، وَأَخْلَصُوا إِلَى الْعِبَادَةِ وَالشُّكْرِ عَلَى رِزْقِهِ إِيَّاكُمْ، إِلَى اللَّهِ تُرْجَوْنَ مِنْ بَعْدِ مَا تَكُمُ، فَيَجْزِيكُمُ عَلَى مَا عَمَلْتُمْ.

(١٨) وَإِنْ تَكْذِبُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - رَسُولُنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَقَدْ كَذَبْتَ جَمَاعَاتٍ مِنْ قَبْلِكُمْ رَسَلَهَا فَبِمَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَحَلَّ بِهِمْ سَخَطُ اللَّهِ،

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْافُونَ إِفْكَانًا الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاسْتَكْرِوْهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحُمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعَيَّبُوا اللَّهَ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَسْأَلُونَ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

وما على الرسول محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته البلاغ الواضح. وقد فعل.

(١٩) أولم يعلم هؤلاء كيف ينشئ الله الخلق من العدم، ثم يعيده من بعد فثائه، كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً، لا يتعذر عليه ذلك؟ إن ذلك على الله يسير، كما كان يسيراً عليه إنشاؤه.

(٢٠) قل - أيها الرسول - لمنكري البعث بعد المات: سيروا في الأرض، فانظروا كيف أنشأ الله الخلق، ولم يتعذر عليه إنشاؤه مبتدأ؟ فكذلك لا يتعذر عليه إعادة إنشائه النشأة الآخرة. إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أراده.

(٢١) يعذب من يشاء من خلقه على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحاً، وإليه ترجعون، فيجازيكم بما عملتم.

(٢٢) وما أنتم - أيها الناس - بمعجزتي الله في الأرض ولا في السماء إن عصيتموه، وما كان لكم من دون الله من وليٍ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءاً.

(٢٣) والذين جحدوا حجج الله وأنكروا أدلته، ولقاءه يوم القيامة، أولئك ليس لهم مطمع في رحمتي في الآخرة لمَّا عاينوا ما أعد لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مؤلم موجه.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
 فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا قَوْمَهُ بَنَيْكُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
 بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
 وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرٍ ﴿٢٥﴾ * فَتَمَرَّتْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
 إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
 النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا
 فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
 مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتَيْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ
 السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنَكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
 قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
 الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

(٢٤) فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرقوه بالنار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجائنا لإبراهيم من النار لأدلة وحججاً لقوم يصدقون الله ويعملون بشرعه.

(٢٥) وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم آهة باطلة اتخذتموها من دون الله، تتحابون على عبادتها، وتتوادلون على خدمتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ومصيركم جميعاً النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها.

(٢٦) فصلى لوط إبراهيم وتبع ملته. وقال إبراهيم: إني تارك دار قومي إلى الأرض المباركة وهي «الشام»، إن الله هو العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في تدبيره.

(٢٧) ووهبنا له إسحاق ولدًا، ويعقوب من بعده ولدًا ولدًا، وجعلنا في ذريته الأنبياء والكتب، وأعطيناها ثواب بلائه فينا، في الدنيا

الذكر الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

(٢٨، ٢٩) وأذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تقدّمكم بفعلها أحد من العالمين، أنكم لتأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث، وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة، وإيذا بهم بها لا يليق من الأقوال والأفعال؟ وفي هذا إعلام بأنه لا يجوز أن يجتمع الناس على المنكر مما بهى الله ورسوله عنه. فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تعد.

(٣٠) قال: رب انصُرني على القوم المفسدين بإنزال العذاب عليهم؛ حيث ابتدعوا هذه الفاحشة وأصرّوا عليها، فاستجاب الله دعاءه.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِنِّي فِيهَا لَوطٌ قَالُوا لَنْحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنْتَجِدَنَّه
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَدْرِكُهُ كَانَتْ مِنَ الْقَدِيرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَصَافٍ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 أَمْرًا تَكُنْ كَانَتْ مِنَ الْقَدِيرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِّنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ
 وَارْجِعُوا إِلَى الْيَوْمِ وَلَا تَتَعَوَّفُوا بِالْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
 ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
 مِّنْ مَّسَاسِكِهِمْ وَرِثَتِنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ ﴿٣٨﴾

(٣١) ولما جاءت الملائكة لإبراهيم بالخبر السار من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق ولده يعقوب، قالت الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية قوم لوط، وهي «سدوم»؛ إن أهلها كانوا ظالمين أنفسهم بمعصيتهم لله.

(٣٢) قال إبراهيم للملائكة: إن في لوطاً وليس من الظالمين، فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجيها وأهلها من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا أمرته كانت من الباقيين الهالكين.

(٣٣) ولما جاءت الملائكة لوطاً ساء ذلك؛ لأنه ظنهم ضيوفاً من البشر، وحزن بسبب وجودهم؛ لعلمه خبث فعل قومه، وقالوا له: لا تخف علينا لن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أننا مهلكوكم، إننا منجوك من العذاب النازل بقومك ومنجواً أهلك معك إلا أمرت، فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها.

(٣٤) إنا منزلون على أهل هذه القرية عذاباً من

السياء؛ بسبب معصيتهم لله وارتكابهم الفاحشة.

(٣٥) ولقد أبقينا من ديار قوم لوط آثاراً بينة لقوم يعقلون العبر، فينتفعون بها.

(٣٦) وأرسلنا إلى «مدین» أخاهم شعيباً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة، ما لكم من إله غيره، واراجوا بعبادتكم جزاء اليوم الآخر، ولا تكثرُوا في الأرض الفساد والمعاصي، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنبئوا.

(٣٧) فكذب أهل «مدین» شعيباً فيما جاءهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى هالكين.

(٣٨) وأهلكنا عاداً وثمود، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلأوها منهم، وحلول نعمتنا بهم جميعاً، وحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فصدهم عن سبيل الله وعن طريق الإتيان به وبرسله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

وَقَرُونْ وَفَرَعُونَ وَهَامَانْ،
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ جِيعًا مُوسَى بِالْآدِلَةِ الْوَاضِحَةِ،
 فَتَعَاظَمُوا فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَكْبَرُوا فِيهَا، وَلَمْ
 يَكُونُوا لِيَفُوتُونَنَا، بَلْ كُنَّا مُقْتَدِرِينَ عَلَيْهِمْ.
 (٤٠) فَأَخَذْنَا كُلًّا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ بِعَذَابِنَا
 بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ: فَمِنْهُمْ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 شَدِيدَةً تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَهُمْ
 قَوْمٌ لَوْطٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَهُمْ
 قَوْمٌ صَالِحٌ وَقَوْمٌ شُعَيْبٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا
 بِهِ الْأَرْضَ كَقَارُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا، وَهُمْ
 قَوْمُ نُوحٍ وَفَرَعُونَ وَقَوْمُهُ، وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَهْلِكَ
 هَؤُلَاءِ بِذُنُوبِ غَيْرِهِمْ، فَيُظْلَمُهُمْ بِإِهْلَاكِهَ إِيَّاهُمْ
 بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
 بِتَنَعُمِهِمْ فِي نِعَمِ رَبِّهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرِهِ.
 (٤١) مِثْلَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أَوْلِيَاءَ يَرَجُونَ نَصْرَهَا، كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي
 عَمَلَتْ بَيْتًا لِنَفْسِهَا لِيَحْفَظَهَا، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا شَيْئًا
 عِنْدَ حَاجَتِهَا إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَمْ
 يُغْنِ عَنْهُمْ أَوْلِيَائُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ أَضْعَفَ الْبُيُوتَ لَبِيتَ الْعَنْكَبُوتُ،

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، فَهَمَّ لَا يَنْفَعُونَهُمْ وَلَا يَضُرُّونَهُمْ.

(٤٢) إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَتَدَبَّرُهُ وَصَنَعَهُ.

(٤٣) وَهَذِهِ الْأَمْثَالُ نَضَرُهَا لِلنَّاسِ؛ لِيَنْتَفِعُوا بِهَا وَيَتَعَلَّمُوا مِنْهَا، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَشَرْعِهِ.

(٤٤) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ، إِنْ فِي خَلْقِهِ ذَلِكَ لَدَلَالَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَتَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَخَصَّصَ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ.

(٤٥) أَتَى مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ وَاعْمَلْ بِهِ، وَأَدِّ الصَّلَاةَ بِحُدُودِهَا، إِنْ الْحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ تَنْهَى صَاحِبَهَا عَنِ
 الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُقِيمَ لَهَا، لَمْ يَتِمَّ لِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا، بِسِتْنِ قَلْبِهِ، وَبِزَادِ إِيْمَانِهِ، وَتَقْوَى رَغْبَتِهِ
 فِي الْخَيْرِ، وَتَقَلُّ أَوْ تَنْعَدُّ رَغْبَتِهِ فِي الشَّرِّ، وَلَذَلِكَ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ وَأَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تَصْنَعُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَكْمَلَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ.

﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَآئِيهِمْ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَالْهَمَّ وَالْهَمَّ وَجِدْ وَفَقَّنْ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ وَكَذَلِكَ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ قَالِيزَاتٍ أَتَيْنَهُمْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْمُطِيلُ ﴿٣﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بِنِعْمَتِي وَرَبِّتِكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧﴾

(٤٦) ولا تجدوا - أيها المؤمنون - اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الحسن، والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك، إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمننا بالنبوة والإنجيل اللذين أنزلا إليكم، وإلها واحد لا شريك له في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسائه وصفاته، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به، ونهانا عنه.

(٤٧) وكما أنزلنا - أيها الرسول - الكتب على من قبلك من الرسل، أنزلنا إليك هذا الكتاب المصدق للكتب السابقة، فالذين آتيناهم الكتاب من بني إسرائيل فعرفوه حق معرفته يؤمنون بالقرآن، ومن هؤلاء العرب من قرش وغيرهم ممن يؤمن به، ولا ينكر القرآن أو يتشكك في دلائله وبراهينه البينة إلا الكافرون الذين دأبهم الجحود والعناد.

(٤٨) ومن معجزاتك البينة - أيها الرسول - أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حروفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك الميطلون، وقالوا: تعلمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها.

(٤٩) بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويمجدون عنه.

(٥٠) وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد دلائل وحجج من ربه نشاهدها كثافة صالح، وعصا موسى! قل لهم: إن أمر هذه الآيات لله، إن شاء أنزلها، وإن شاء منعها، وإنما أنا لكم نذير أحذركم شدة بأسه وعقابه، مبين طريق الحق من الباطل.

(٥١) أو لم يكف هؤلاء المشركين في علمهم بصدقك - أيها الرسول - أننا أنزلنا عليك القرآن يتلى عليهم؟ إن في هذا القرآن لرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذكرى يتذكرون بها فيه من عبرة وعظة.

(٥٢) قل: كفى بالله بيني وبينكم شاهداً على صدقي أي رسوله، وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جئت به من عند الله، يعلم ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شيء فيها. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله - مع هذه الدلائل الواضحة - أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ جِذَةَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أُنْجُلِهِمْ يَقُولُ دُوْعُوْا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِيَّ وَسِعَةً فَاغْبُدُونِىْ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَتْ مَوْتَئِهَا الْمَوْتَ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيْنَ مِنْ دَآئِلَةِ الْحِمْلِ
رَزَقَهَا اللَّهُ بِزُرْقَتِهَا وَإِنَّا لَهُمُ الْوَسِيْعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَيْكَ يَدْعُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأَ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

(٥٣) ويستعجلك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون من قولك بالعذاب استهزاء، ولولا أن الله جعل لعذابهم في الدنيا وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، لجاءهم العذاب حين طلبوه، وليأتينهم فجأة، وهم لا يشعرون به ولا يحسبون.

(٥٤) يستعجلونك بالعذاب في الدنيا، وهو آتيتهم لا محالة إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإن عذاب جهنم في الآخرة لمحيط بهم، لا مفر لهم منه.

(٥٥) يوم القيامة يغشى الكافرين عذاب جهنم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أقدامهم، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، ويقول الله لهم حينئذ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا: من الإشرار بالله، وارتكاب الجرائم والآثام.

(٥٦) يا عبادي الذين آمنوا! إن كنتم في ضيق من إظهار الإيثار وعبادة الله وحده، فهاجروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي. (٥٧) كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون للحساب والجزاء.

(٥٨) والذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا ما أمروا به من الصالحات لننزلنهم من الجنة غرفاً عالية تجري من تحتها الأنهار، ماكتين فيها أبداً،

نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف في جنات النعيم.

(٥٩) إن تلك الجنات المذكورة للمؤمنين الذين صبروا على عبادة الله، وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم.

(٦٠) وكم من دابة لا تدخر غداها لغد، كما يفعل ابن آدم، فله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم وخطرات قلوبكم.

(٦١) ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من الذي خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، ودلّل الشمس والقمر؟ ليقولن: خلقهن الله وحده، فكيف يصرفون عن الإتيان بالله خالق كل شيء ومدبره، ويعبدون معه غيره؟ فاعجب من إفكهم وكذبهم!!

(٦٢) الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيّق على آخرين منهم؛ لعلهم بها يصلح عباده، إن الله بكل شيء من أحوالكم وأموركم عليم، لا يخفى عليه شيء.

(٦٣) ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من الذي نزل من السحاب ماء فأنبث به الأرض من بعد جفافها؟ ليقولن لك معترفان: الله وحده هو الذي نزل ذلك، قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم، بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عقلوا ما أشركوا مع الله غيره.

(٦٤) وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تنزل سريعاً، وإن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، لو كان الناس يعلمون ذلك لما أثروا دار الفناء على دار البقاء.

(٦٥، ٦٦) فإذا ركب الكفار السفن في البحر، وخافوا الغرق، وحذوا الله، وأخلصوا له في الدعاء حال شدتهم، فلما نجاهم إلى البر، وزالت عنهم الشدة، عادوا إلى شركهم، إنهم بهذا يتناقضون، يوحدون الله ساعة الشدة، ويشركون به ساعة الرخاء. وشركهم بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته الكفر بما أنعمنا عليهم في أنفسهم وأموالهم، وليكملوا تمتعهم في هذه الدنيا، فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدّه الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة. وفي ذلك تهديد ووعد لهم.

(٦٧) أولم يشاهد كفار «مكة» أن الله جعل «مكة» لهم حرمًا آمنًا يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناس من حولهم خارج الحرم، يتحفظون غير آمنين؟ أقبال الشرك يؤمنون،

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ قَالَ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمَعُوا فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيمَا أَنهَدْنَاهُمْ عَنْ سُبُلِنَا وَإِنِ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ غَلَبَتِ الرُّومُ ٢ فِي أَذْفِ الْأَرْضِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ ٣ عَنَدَ عَلَيْهِمْ سَعِيرٌ ٤ فِي بَضْعِ سِنِينَ ٥ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٦ بَنَصْرٍ ٧ لِلَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٨

وبنعمة الله التي خصَّهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟

(٦٨) لا أحد أشد ظلمًا ممن كذب على الله، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذب بالحق الذي بعث الله به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، إن في النار لمسكنًا لمن كفر بالله، وجد توحيده وكذب رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم.

(٦٩) والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله، والنفس، والشيطان، وصبروا على الفتن والأذى في سبيل الله، سيهديهم الله سبيل الخير، ويثبتهم على الصراط المستقيم، ومن هذه صفته فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره. وإن الله سبحانه وتعالى لمع لمن أحسن من خلقه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.

﴿سورة الروم﴾

(١) «الْم» سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢-٥) غَلَبَتِ فارُس الروم في أدنى أرض «الشام» إلى «فارس»، وسوف يَغْلِبُ الروم الفرس في مدة من الزمن، لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث. الله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس. والله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالب، الرحيم بمن شاء من خلقه. وقد تحقق ذلك فعَلَبَتِ الروم الفرس بعد سبع سنين، وفرح المسلمون بذلك؛ لكون الروم أهل كتاب وإن حَرَفُوهُ.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَظَرُّوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْزَأُوا السُّوءَاتِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ فِي سُكْرَاهُمْ شُفْعَاءُ وَكَانُوا فِي شُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْعِدُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَمْشَرْنَا وَأَسْعَلُوا الصَّلَاحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٤﴾

(٦، ٧) وعَدَ اللهُ المؤمنين وعَدًا جازماً لا يتخلف، ينصر الروم النصارى على الفرس الوثنيين، ولكن أكثر كفار «مكة» لا يعلمون أن ما وعد الله به حق، وإنما يعلمون ظواهر الدنيا وزخرفها، وهم عن أمور الآخرة وما يتفعهم فيها غافلون، لا يفكرون فيها.

(٨) أولم يفكر هؤلاء المكذبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا لإقامة العدل والثواب والعقاب، والدلالة على توحيدة وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لجاهدون منكرون؟ جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

(٩) أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سيرة تأمل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذبوا برسل الله كعاد وثمود؟ وقد كانوا أقوى منهم أجساماً،

وأقدر على التمتع بالحياة حيث حرثوا الأرض وزرعوها، وبنوا القصور وسكنوها، فعمروا دنياهم أكثر مما عمروا أهل «مكة» دنياهم، فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم، وجاءتهم رسلهم بالحقج الظاهرة والبراهين الساطعة، فكذبوهم فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان.

(١٠) ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها؛ لتكذيبهم بالله وسخرتهم بآياته التي أنزلها على رسله.

(١١) الله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، وهو القادر وحده على إعادتها مرة أخرى، ثم إليه يرجع جميع الخلق، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

(١٢) ويوم تقوم الساعة يبليس المجرمون من النجاة من العذاب، وتصيبهم الحيرة فتقطع حجتهم.

(١٣) ولم يكن للمشركين في ذلك اليوم من ألهمتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شفعاء، بل إنها تتبرأ منهم، وتبرؤون منها. فالشفاعة لله وحده، ولا تُطلب من غيره.

(١٤، ١٥) ويوم تقوم الساعة يفرق أهل الإيثار وأهل الكفر، فأما المؤمنون بالله ورسوله، العاملون الصالحات فهم في الجنة، يكرمون ويسرون وينعمون.

(١٦) وأما الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاء به الرسل وأتوا بالبعث بعد الموت، فأولئك في العذاب مقيمون؛ جزءاً مما كذبوا به في الدنيا. (١٧، ١٨) فيا أيها المؤمنون سبِّحوا الله وزيِّدوه عن الشريك والصاحبة والولد، ووصِّفه بصفات الكمال بألستكم، وحقِّقوا ذلك بجوارحكم كلها حين تمسُّون، وحين تصبِّحون، ووقت العشي، ووقت الظهيرة. وله - سبحانه - الحمد والثناء في السموات والأرض، وفي الليل والنهار.

(١٩) يخرج الله الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي، كالنطفة من الإنسان والبيضة من الطير. ويحيي الأرض بالنبات بعد يُسبها وجفافها، ومثل هذا الإحياء تخرجون -أيها الناس- من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

(٢٠) ومن آيات الله الدالة على عظمته وكبر
قدرته أن خلق أبائكم آدم من تراب، ثم أنتم
بشر تتناسلون منتشرون في الأرض، تتغنون من

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
قَالُوا لَيْسَ فِي الْعَذَابِ مَحْضَرُونَ ﴿٥١﴾ فَسَيَحْنُ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ
حِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعِشْيَا وَإِذَا يُنْفَخُ الرَّبُّونُ ﴿٥٣﴾ يُخْرِجُ الْخَلْقَ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ اللَّيْلِ
وَيُخْرِجُ الْخَلْقَ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ اللَّيْلِ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ
الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُ
خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْبَتِ اللَّيْلِ وَالنَّوَارِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُ مِمَّاكُمْ
بِالْبَلِّ وَالْثَمَارِ وَأَتْبَعْنَا قُومًا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُ رِيحًا كَالْهَبِ
خَوَّافًا وَمَطْعًا وَمِنْ نَزْلِ السَّمَاءِ مَاءً فَيَخْرُجُ بِهِ الْأَرْضُ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٩﴾

فضل الله.

(٢١) ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لأجلكم من جنسكم -أيها الرجال- أزواجاً؛ لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون.

(٢٢) ومن دلائل القدرة الربانية: خَلَقَ السموات وارتفاعها بغير عمد، وَخَلَقَ الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلاف لغاتكم وتباين ألوأنكم، إن في هذا لَعِرة لكل ذي علم وبصرة.

(٢٣) ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار؛ إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تنتشرون فيه لطلب الرزق، إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته ليقوم بسمعون المواعظ سياء تأمل وتفكر واعتبار.

(٢٤) ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث، وينزل من السحاب مطراً فيحيي به الأرض بعد جفافها، إن في هذا الدليلاً على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل من لديه عقل بهتدى به.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهْفَيْنِ ثَنُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٢٧﴾ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِيْبَتَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَيَرْحُونَ ﴿٣٣﴾

(٢٥) ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارهما وثباتهما بأمره، فلم تنزلزلا، ولم تسقط السماء على الأرض، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين.

(٢٦) والله وحده كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، كل هؤلاء منقادون لأمره خاضعون لكرامته.

(٢٧) والله وحده الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيده حياً بعد الموت، وإعادة الخلق حياً بعد الموت أهون على الله من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هين. وله سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثلته شيء، وهو السميع البصير. وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير أمور خلقه.

(٢٨) ضرب الله مثلاً لكم -أيها المشركون- من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم وإمائكم من يشاركونكم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار

الشركاء في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكاً من خلقه؟ بمثل هذا البيان نبين البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها.

(٢٩) بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آباءهم بغير علم، فشاركونهم في الجهل والضلالة، ولا أحد يقدر على هداية من أضله الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس هؤلاء من أنصار يُخالصونهم من عذاب الله.

(٣٠) فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

(٣١) وكونوا راجعين إلى الله بالثوبة وإخلاص العمل له، واتقوه بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وأقيموا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وشروطها، ولا تكونوا من المشركين مع الله غيره في العبادة.

(٣٢) ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدلوا دينهم وغيروه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه؛ تبعاً لأهوائهم، فصاروا فرقاً وأحزاباً، ينشيعون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم، يعين بعضهم بعضاً على الباطل، كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون، يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل.

(٣٣) وإذا أصاب الناس شدة وبلاء دَعَوْا ربهم
مخلصين له أن يكشف عنهم الضر، فإذا رحمهم
وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون
إلى الشرك مرة أخرى، فيعبدون مع الله غيره.

(٣٤) ليكفروا بما آتيناهم ومثلاً به عليهم من
كشف الضر، وزوال الشدة عنهم، فتمتعوا
-أيها المشركون- بالرخاء والسَّعة في هذه
الدنيا، فسوف تعلمون ما تلقون منه من العذاب
والعقاب.

(٣٥) أم أنزلنا على هؤلاء المشركين برهاناً
ساطعاً وكتاباً قاطعاً، ينطق بصحة شركهم
وكفرهم بالله وآياته.

(٣٦) وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة
وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطيرٍ وأشجرٍ،
لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف
وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم
يَتَسَوَّن من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس
في الرخاء والشدة.

(٣٧) أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء
امتحاناً، هل يشكر أو يكفر؟ ويضيقه على من

يشاء اختباراً، هل يصبر أو يجزع؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق آيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته.
(٣٨) فأعط -أيها المؤمن- قريب حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير الذي لا يملك ما يكفيه ويسدُّ
حاجته، والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين
يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه.

(٣٩) وما أعطيتكم قرضاً من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند
الله، بل يمحقه ويبطله. وما أعطيتكم من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلباً لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله
ويضاعفه لكم أضعافاً كثيرة.

(٤٠) الله وحده هو الذي خلقكم -أيها الناس- ثم رزقكم في هذه الحياة، ثم يميتكم بانتهاء آجالكم، ثم يبعثكم من القبور
أحياء للحساب والجزاء، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ تنزه الله وتقُدَّس عن شرك هؤلاء المشركين به.
(٤١) ظهر الفساد في البر والبحر، كالجذب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة؛ وذلك بسبب المعاصي التي يفتريها
البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ كي يتوبوا إلى الله -سبحانه- ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح
أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَذِي بَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
 كَفَرَ فَلَيْسَ لَهُ مَكْرَهُهُ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْشِي فِيهَا ﴿٤٤﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيُنْجِزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلِيُنْذِرَكُمْ فِتْنَتَهُ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَتَاءَ وَهُمْ
 بِالْبَيْتِ قَاتِلَتُمْ فَأَنْتُمْ تَمُنُّونَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا قَبِيضًا يُمْسِكُهُ
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ السَّحَابَ مُبْرِسًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 حَتَاثٍ فَإِذَا أَصَابَ يَوْمٌ مِنْ يَوْمِهِمْ يَسْأَلُ عَنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِيتٍ
 ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بِعَدَمِ مَوْتِهَا
 إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

(٤٢) قل -أيها الرسول- للمكذبين بها جئت به: سيروا في أنحاء الأرض سير اعتبار وتأمل، فانظروا كيف كان عاقبة الأمم السابقة المكذبة كقوم نوح، وعاد وثمود، تجددوا عاقبتهم شر العواقب وما لهم شر مآل؟ فقد كان أكثرهم مشركين بالله.

(٤٣) فوجّه وجهك -أيها الرسول- نحو الدين المستقيم، وهو الإسلام، منفذاً أوامره مجتنباً نواهيه، واستمسك به من قبل مجيء يوم القيامة، فإذا جاء ذلك اليوم الذي لا يقدر أحد على رده تفرقت الخلائق أشتاتاً متفاوتين؛ لئروا أعمالهم.

(٤٤) من كفر فعليه عقوبة كفر، وهي خلوده في النار، ومن آمن وعمل صالحاً فلأنفسهم يهتدون منازل الجنة؛ بسبب تمسكهم بطاعة ربهم.

(٤٥) ليجزي الله الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من فضله وإحسانه. إنه لا يحب الكافرين لسخطه وغضبه عليهم.

(٤٦) ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال

الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس؛ وليذيقكم من رحمته بإنزاله المطر الذي نجا به البلاد والعباد، ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيتته، ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها؛ فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبده وحده.

(٤٧) ولقد أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- رسلاً إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعوهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، فجاءوهم بالمعجزات والبراهين الساطعة، فكفر أكثرهم بربهم، فانقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم فأهلكناهم، ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل، وكذلك تفعل بالمكذبين بك إن استمروا على تكذيبك، ولم يؤمنوا.

(٤٨) الله -سبحانه- هو الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً مثقالاً بالماء، فينشره الله في السماء كيف يشاء، ويجعله قطعاً متفرقة، فتري المطر يخرج من بين السحاب، فإذا ساقه الله إلى عباده إذا هم يستبشرون ويفرحون بأن الله صرف ذلك إليهم.

(٤٩) وإن كانوا من قبل نزول المطر لفي يأس وقنوط؛ بسبب احتباسه عنهم.

(٥٠) فانظر -أيها المشاهد- نظر تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزرع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويعشبها؟ إن الذي قَدَّر على إحياء هذه الأرض لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

وَلَيْنِ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَّاتُوهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
 (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَاتِ مِنَ الَّذِينَ لَا تَسْمَعُ الضَّرْعَ الدُّعَاءَ إِذَا رَأَوْا
 مُدِيرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ أَلْحَمِي عَنْ صَلَاحِهِمْ إِنْ سَمِعُ إِلَّا
 مَنْ يُؤْمِنُ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ مُسْلِمُونَ (٥٣) * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
 قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
 (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ
 سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ
 فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
 (٥٧) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
 وَلَئِنْ حِشْتُمْ بَيَاتٍ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
 (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

(٥١) ولئن أرسلنا ريحاً فزروهم مصفراً لظلوا من بعدهم ويكفرون
 مفسدة، فراءوا نباتهم قد فسد بتلك الريح،
 فصار من بعد خضرته مصفراً، مكثوا من بعد
 رؤيتهم له يكفرون بالله ويحذون نعمه.

(٥٢) فإنك - أيها الرسول - لا تسمع من مات
 قلبه، أو سدّ أذنه عن سماع الحق، فلا تجزع ولا
 تحزن على عدم إيمان هؤلاء المشركين بك، فإنهم
 كالصم والموتى لا يسمعون، ولا يشعرون ولو
 كانوا حاضرين، فكيف إذا كانوا غائبين عنك
 مدبرين؟

(٥٣) وما أنت - أيها الرسول - بمُرشد من أعماه
 الله عن طريق الهدى، ما تسمع سماع انتفاع إلا
 من يؤمن بآياتنا، فهم خاضعون ممثلون لأمر
 الله.

(٥٤) الله تعالى هو الذي خلقكم من ماء
 ضعيف مهين، وهو النطفة، ثم جعل من بعد
 ضعف الطفولة قوة الرجولة، ثم جعل من بعد
 هذه القوة ضعف الكبر والهرم، يخلق الله ما
 يشاء من الضعف والقوة، وهو العليم بخلقه،
 القادر على كل شيء.

(٥٥) ويوم نحیی القيامة وبيعث الله الخلق من قبورهم يقسم المشركون ما مكثوا في الدنيا غير فترة قصيرة من الزمن، كذبوا
 في قسمهم كما كانوا يكذبون في الدنيا، وينكرون الحق الذي جاءت به الرسل.

(٥٦) وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين: لقد مكثتم فيما كتب الله مما سبق في علمه من
 يوم خلقتم إلى أن بعثتم، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون، فأنكرتموه في الدنيا، وكذبتم به.

(٥٧) فيوم القيامة لا ينفع الظالمين ما يقدمونه من أعذار، ولا يطلب منهم إرضاء الله تعالى بالتوبة والطاعة، بل يعاقبون
 بسيئاتهم ومعاصيهم.

(٥٨) ولقد بيّنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جتتهم
 - أيها الرسول - بأي حجة تدل على صدقك ليقولن الذين كفروا بك: ما أنتم - أيها الرسول وأتباعك - إلا مبطلون فيما
 نحيوننا به من الأمور.

(٥٩) مثل ذلك الختم يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به - أيها الرسول - من عند الله من هذه العبر
 والآيات البينات.

(٦٠) فاصبر - أيها الرسول - على ما ينالك من أذى قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق
 لا شك فيه، ولا يستغفرك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدقون بالبعث والجزاء.

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمْرَ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ
فِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بَعِيرٌ عَلَيْهِ يَتَّخِذُهُا حُزُؤًا
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَ آيِ الْإِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بَعِيرٌ وَعَمَدٍ مَّرْفُوعًا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى
أَن يَتَيَدَّ بِكُرْسِيِّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝

سورة لقمان

(١) ﴿الْقَمْرَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذه الآيات آيات القرآن ذي الحكمة البالغة.

(٣) هذه الآيات هدى ورحمة للذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في القرآن، وما أمرهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون.

(٥) أولئك المتصفون بالصفات السابقة على بيان من ربههم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

(٦) ومن الناس من يشتري لهو الحديث - وهو كل ما يلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته - ليضل الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يمينهم ويخسرهم.

(٧) وإذا تلى عليه آيات القرآن أعرض عن طاعة الله، وتكبر غير معتبر، كأنه لم يسمع شيئاً، كأن في أذنيه صمماً، ومن هذه حاله فبشره - أيها الرسول - بعذاب مؤلم موجه في النار يوم القيامة.

(٨) إن الذين آمنوا ورسوله وعمِلُوا الصالحات التي أمروا بها، أولئك لهم نعيم مقيم في الجنات.

(٩) وحياتهم في تلك الجنات حياة أبدية لا تنقطع ولا تزول، وعندهم الله بذلك وعداً حقاً. وهو سبحانه لا يتجلف وعده، وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبيره.

(١٠) خلق الله السموات ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبلاً ثابتاً؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من السحاب مطراً، فأنبطنا به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر.

(١١) وكل ما تشاهدونه هو خلق الله، فأروني - أيها المشركون -: ماذا خلقت آهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ بل المشركون في ذهاب بين الحق والاستقامة.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَمًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِلَّذِي لِلدَّيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝ وَلَنْ جَهْدَكَ عَلَىٰ أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَبْنَىٰ إِلَيْهَا إِنَّكَ مُثْقَلٌ حَتَّىٰ تَمُنَّ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَبْنَىٰ أَقْرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ۝ وَلَا تَصْرَعْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَقِشْ فِي الْأَرْضِ مِرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝

(١٢) ولقد أعطينا عبداً صالحاً من عبادنا (وهو لقمان) الحكمة، وهي الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر لله نعمته عليك، ومن يشكر لربه فإنها يعود نفع ذلك عليه، ومن جحد نعمته فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال.

(١٣) واذكر - أيها الرسول - نصيحة لقمان لابنه حين قال له وأعطاً: يا بني لا تشرك بالله فنظلم نفسك؛ إن الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها.

(١٤) وأمرنا الإنسان ببر والديه والإحسان إليهما، حملته أمه ضعفاً على ضعف، وحمله وغطاه عن الرضاة في مدة عامين، وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إلى المرجع فأجازي كلاً بما يستحق.

(١٥) وإن جاهدك - أيها الولد المؤمن - والدك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به علم، أو أمرك بمعصية من معاصي الله فلا تطعها؛ لأنه لا طاعة للمخلوق في معصية

الخالق، وصاحبها في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه، واسلك - أيها الابن المؤمن - طريق من تاب من ذنبه، ورجع إلى وآمن برسولي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إلى مرجعكم، فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كل عامل بعمله.

(١٦) يا بني أعلم أن السبئية أو الحسنه إن كانت قدر حبة خردل - وهي المتناهية في الصغر - في باطن جبل، أو في أي مكان في السموات أو في الأرض، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويحاسب عليها. إن الله لطيف بعباده خير بأعمالهم.

(١٧) يا بني أقم الصلاة تامة بآركانها وشروطها واجباتها، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر بلطف ولين وحكمة بحسب جهدك، وتحمل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها.

(١٨) ولا تمل وجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك؛ احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم، ولا تمس في الأرض بين الناس مختالاً متبخراً، إن الله لا يحب كل متكبر متباهٍ في نفسه وهيئته وقوله.

(١٩) وتواضع في مشيك، واخفض من صوتك فلا ترفعه، إن أقيح الأصوات وأبغضها لصوت الحمير المعروفة ببلادها وأصواتها المرتفعة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا نَحَدِّثُكَ عَلَيْهِ أَبَدًا نَآ أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾ وَمِنَ الْيَسِيرِ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ ثُمَّ نَبِّئُهمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ لِلَّهِ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمُوا وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ مَا خَلَقَهُ وَلَا يَبْعَثُهُ ۚ إِلَّا كَتَفْقِيرٍ وَجَدُّوا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٩﴾

(٢٠) ألم تروا -أيها الناس- أن الله دّلّ لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدواب والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى، وعظّم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، وما أدّخره لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس من يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيّن حقيقة دعواه.

(٢١) وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله وإفراذه بالعبادة: اتبعوا ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: بل ننبع ما كان عليه آبائنا من الشرك وعبادة الأصنام، يفعلون ذلك، ولو كان الشيطان يدعوهم؛ بتزيينه لهم سوء أفعالهم، وكفرهم بالله إلى عذاب النار المستعرة؟

(٢٢) ومن يُخلّص عبادته لله وقصده إلى ربه تعالى، وهو محسن في أقواله متقن لأعماله، فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته. وإلى الله وحده تصير كل الأمور، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

(٢٣) ومن كفر فلا تأسّ عليه -أيها الرسول-

ولا تحزن؛ لأنك أدّيت ما عليك من الدعوة والبلاغ، إنيما مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها، إن الله عليم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله وإثارة طاعة الشيطان.

(٢٤) نمتنعهم في هذه الدنيا الفانية مدة قليلة، ثم يوم القيامة نلجئهم ونسوقهم إلى عذاب فظيع، وهو عذاب جهنم.

(٢٥) ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بالله: من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ الله، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: الحمد لله الذي أظهر الاستئلال عليكم من أنفسكم، بل أكثر هؤلاء المشركين لا ينظرون ولا يتدبرون من الذي له الحمد والشكر، فلذلك أشركوا معه غيره.

(٢٦) لله -سبحانه- كل ما في السموات والأرض ملكاً وعبيداً وإيجاداً وتقديراً، فلا يستحق العبادة أحد غيره. إن الله هو الغني عن خلقه، له الحمد والثناء على كل حال.

(٢٧) ولو أن أشجار الأرض كلها برئت أقلاماً والبحر مدادها، ويمد بسبعة أبحر أخرى، وكُتِبَ بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحُكْمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله؛ لتكسرت تلك الأقلام ولنفد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد. إن الله عزيز في انتقامه ممن أشرك به، حكيم في تدبير خلقه. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله -تعالى- حقيقة كما يليق بجلاله وكماله سبحانه.

(٢٨) ما خلّقتكم -أيها الناس- ولا بعتكم يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كخلّقت نفس واحدة وبعثتها. إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

(٢٩) ألم تر أن الله يأخذ من ساعات الليل، فيطول النهار ويقصّر الليل، ويأخذ من ساعات النهار، فيطول الليل ويقصّر النهار، وذلك لكم الشمس والقمر، يجري كل منهما في مداره إلى أجل معلوم محدد، وأن الله مُطَّلَع على كل أعمال الخلق من خير أو شر، لا يخفى عليه منها شيء؟ (٣٠) ذلك كله من عظيم قدرة الله؛ لتعلموا وتقروا أن الله هو الحق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن الله هو العلي بذاته وقدره وقهره فوق جميع مخلوقاته، الكبير على كل شيء، وكل ما عداه خاضع له، فهو وحده المستحق أن يُعبد دون من سواه.

(٣١) ألم تر -أيها المشاهد- أن السفن تجري في البحر بأمر الله نعمة منه على خلقه؛ ليربكم من عبده وحججه عليكم ما تعتبرون به؟ إن في جري السفن في البحر لدلالات لكل صبار عن محارم الله وعلى طاعته وعلى أقداره، شكور لنعمه.

(٣٢) وإذا ركب المشركون السفن وعَلَّتْهم الأمواج من حولهم كالسحب والجبال، أصابهم الخوف والذعر من الغرق، ففزعوا إلى الله، وأخلصوا دعاءهم له، فلما نجاههم إلى البر

فمنهم من سوط لم يحم بشكر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها، وما يكفر بآياتنا وحججنا الدالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا إلا كل غدار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.

(٣٣) يا أيها الناس اتقوا ربكم وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئاً، إن وعد الله حق لا ريب فيه، فلا تنخدعوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيمكم الأخرى، ولا يخدعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإانس.

(٣٤) إن الله -وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة، وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الأنثى، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأي أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَجْزِيَ إِلَيْنَا أَجَلٌ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبُطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهم مَوَجٌ
كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الْبَرَّةُ
فِيهِمْ مَّقْتَصِدٌ وَمَا يَحْتَفِلُ فِيهِ لَبِيتًا ۝ الْأَكْلُ خَتَارٌ كَقَوْرِ
۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمَ مَا لَا تَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَاوِزٌ عَنِ الْوَلَدِ هَ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ
الْفُتُورُ ۝ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عَلِمَ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ ۝ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلَكَ لَعَلَّهُمْ يُهْتَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا سَفِيحٍ ۝ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَأْخُذُكَ مِنْ ذَلِكَ عَالِيهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهِيدِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَحَّاهُ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي رُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝

﴿ سورة السجدة ﴾

(١) ﴿آلَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا شك أنه منزل من عند الله، رب الخلائق أجمعين.

(٣) بل يقول المشركون: اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن؟ كذبوا، بل هو الحق الثابت المنزل عليك -أيها الرسول- من ربك؛ لتذنب به أناساً لم يأتهم نذير من قبلك لعلهم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروا، ويؤمنوا بك.

(٤) الله الذي خلق السموات والأرض وما
 يبهيها في ستة أيام؛ لحكمته يعلمها، وهو قادر أن
 يخلقها بكلمة «كن» فتكون، ثم استوى سبحانه
 وتعالى -أي: علا وارتفع- على عرشه، استواء
 يليق بجلاله، لا كيف، ولا يشبه باستواء
 المخلوقين. ليس لكم -أيها الناس- من وئيلي
 أموركم، أوشفع يشفع لكم عند الله لتنجوا من
 عذابه، أفلا تتعظون وتفكرون -أيها الناس-،

فَتَقَرُّدُوا اللَّهَ بِالْإِلَهِيَّةِ وَتُخْلِصُوا إِلَهُ الْعِبَادَةِ؟

(٥) يدبر الله تعالى أسر المخلوقات من السَّاء إلى الأرض، ثم يصعد ذلك الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدُّونها.

(٦) ذلك الخالق المدير لشؤون العالمين، عالم بكل ما يغيب عن الأبصار، مما تُكِنُّه الصدور وتخفيه النفوس، وعالم بما شاهده الأبصار، وهو القوي الظاهر الذي لا يغالب، الرحيم بعباده المؤمنين.

(٧) الله الذي أَحْكَمَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وبدأ خَلْقَ الإنسان، وهو آدم عليه السلام من طين.

(٨) ثم جعل ذرية آدم متناسلة من نطفة ضعيفة رقيقة مهينة.

(٩) ثم أتم خلق الإنسان وأبدعه، وأحسن خلقته، ونفخ فيه من روحه بإرسال الملك له؛ لينفخ فيه الروح، وجعل لكم -أيها الناس- نعمة السمع والبصائر، يُميّز بها بين الأصوات والألوان والدوات والأشخاص، ونعمة العقل يُميّز بها بين الخير والشر والنافع والضار. قليلاً ما تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم.

(١٠) وقال المشركون بالله المكذوبون بالبعث: «إذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض أُنبت خلقاً جديداً؟ يستبعدون ذلك غير طالبي الوصول إلى الحق، وإنا هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بقاءهم - يوم القيامة - كافرون.

(١١) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تناخروا لحظة واحدة، ثم تُردُّون إلى ربكم، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ
الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُسْفُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
جَزَاءُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

(١٢) ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار قائلين: ربنا أبصرنا قباحتنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، وقد ثبتنا إليك، فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقننا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، أنك تبعث من في القبور. ولو رأيت -أيها المخاطب- ذلك كله، لرأيت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً.

(١٣) ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان، ولكن حق القول مني ووجب لأملأن جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفى الجن والإنس أجمعين؛ وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى.

(١٤) يقال هؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: فذوقوا العذاب؛ بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا، إنا تركناكم اليوم في العذاب، وذوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه.

(١٥) إنما يصدق بآيات القرآن ويعمل بها الذين إذا وُعظوا بها أو نُثيت عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين، وسبحوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له.

(١٦) ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم، يتجهدون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الثواب، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.

(١٧) فلا تعلم نفس ما أذن الله هؤلاء المؤمنين مما تقرر به العين، وينشرح له الصدر؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

(١٨) أأمن كان مطيعاً لله ورسوله مصداقاً بوعدته ووعدته، مثل من كفر بالله ورسوله وكذب باليوم الآخر؟ لا يستوتون عند الله.

(١٩) أما الذين آمنوا بالله وعملوا بها أمروا به فجزاؤهم جنات يأوون إليها، ويقيمون في نعيمها ضيافة لهم؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته.

(٢٠) وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم -توبيخاً وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هَدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ أَفْلا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنَخْرُجُ
بِهِ زُرْعًا كُلُّ مِمَّنْ أَعْنَمَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَتُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(٢١) ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعَذَّبُونَ في نار جهنم؛ لعلمهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم.

(٢٢) ولا أحد أشد ظملاً لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها، إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم يتفنعوا بها، متمقون.

(٢٣) ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك - أيها الرسول - القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

(٢٤) وجعلنا من بني إسرائيل هداة ودعاة إلى الخير يأتهم بهم الناس، ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده وطاعته، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية حين صبروا على أوامر الله، وترك زواجره، والدعوة إليه، وتحمل الأذى في سبيله، وكانوا بآيات الله وحججه مصدقين على وجه اليقين.

(٢٥) إن ربك - أيها الرسول - يقضي بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل وغيرهم يوم القيامة بالعدل فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، ويميز كل إنسان بعمله بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

(٢٦) أولم يتبين هؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عياناً تقوم هود وصالح ولوط؟ إن في ذلك لآيات وعظات يُستدل بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمعون هؤلاء المكذبون بالرسول مواعظه، وحججه، فينتفعون بها؟

(٢٧) أولم ير المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟ أفلا يرون هذه النعم بأعينهم، فيعلموا أن الله الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ونشرهم من قبورهم؟

(٢٨) يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضى بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم صادقين في دعواكم؟

(٢٩) قل لهم - أيها الرسول - يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم، ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة.

(٣٠) فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء، فسيخزيهم الله ويذلهم، وينصرك عليهم. وقد فعل فله الحمد والمنة.

سورة الأحزاب

(١) يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتناب محارمه، وليقتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان علياً بكل شيء، حكماً في خلقه وأمره وتدبيره.

(٢) واتبع ما يوحى إليك من ريك من القرآن والسنة، إن الله مطلع على كل ما تعملون ومجازيكم به، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(٣) واعتمد على ريك، وقوّض جميع أمورك إليه، وحسبك به حافظاً لمن توكل عليه وأتاب إليه.

(٤) ما جعل الله لأحد من البشر من قليلين في صدره، وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن (في الحرمة) كحرمة أمهاتكم، (والظهار أن يقول الرجل لامراته: أنت عليّ كظهر أمي، وقد كان هذا طلاقاً في الجاهلية، فبيّن الله أن الزوجة لا تصير أمّاً بحال)، وما جعل الله الأولاد المتبنيّين أبناء في الشرع، بل إن الظهار والتبني لا حقيقة لهما في التحريم الأبدي، فلا تكون الزوجة المظاهر منها كالأم في الحرمة، ولا يثبت النسب بالتبني من قول الشخص للدعي:

هذا ابني، فهو كلام بالفم لا حقيقة له، ولا يُعَدُّ به، والله سبحانه يقول الحق ويبيّن لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد.

(٥) انسبوا أديعائكم لأبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوههم -إذاً- بأخوة الدين التي تجمعكم بهم، فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تعمده، وإنما يؤاخذكم الله إذا تعمدتم ذلك. وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً لمن تاب من ذنبه.

(٦) النبي محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا، وحرمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كحرمة أمهاتهم، فلا يجوز نكاح زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده. وذو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرع من الإراث بالإيمان والهجرة (وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم تُسَخ ذلك بآية الموارث) إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به. وفي الآية وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم أحبّ إلى العبد من نفسه، ووجوب كمال الانقياد له، وفيها وجوب احترام أمهات المؤمنين وزوجاته صلى الله عليه وسلم، وأن من سبهن فقد بقاء بالخسران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۖ وَأَتَّبِعْ مَا يوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۖ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِآفْوِهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۖ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۖ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَ الْبَيْتِ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ

وَلَمَّا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٠﴾
لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿١١﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ جَاءَتْهُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
يَمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٢﴾ إِذْ جَاءَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ مِنْ أَسْفَلِ
مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَوُا الْعَذَابَ وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ
وَتَطَّنُونَ أَيُّهَا الظَّالِمُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُفِيقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ إِنَّا لَهُ لَمُقَامَرُونَ ﴿١٤﴾ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٥﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا النَّبِيَّ
لَا تُوْهَا وَمَا تَنْبِئُوهَا بِمَا لَا يَسِيرَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
لِللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يَكُونُونَ الْأَذْكُرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٧﴾

(٧) واذكر - أيها النبي - حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم (وهم أولو العزم من الرسل على المشهور)، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يصدق بعضهم بعضاً.

(٨) أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عما أجابهم به أهمهم، فيجزي الله المؤمنين الجنة، وأعد للكافرين يوم القيامة عذاباً شديداً في جهنم.

(٩) يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في «المدينة» أيام غزوة الأحزاب - وهي غزوة الخندق -، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج «المدينة»، واليهود والمنافقون من «المدينة» وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

(١٠) اذكروا إذ جاؤكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب، وإذ شخصت

الآبصار من شدة الحيرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

(١١) في ذلك الموقف العصيب اختبر إيمان المؤمنين ومحض القوم، وعُرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطراباً شديداً بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.

(١٢) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيثار: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلاً من القول وغروراً، فلا تصدقوه.

(١٣) واذكر - أيها النبي - قول طائفة من المنافقين منادين المؤمنين من أهل «المدينة»: يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم للمدينة) لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة»، ويستأذن فريق آخر من المنافقين الرسول صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها، والحق أنها ليست كذلك، وما قصدوا بذلك إلا الفرار من القتال.

(١٤) ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك مبادرين، وما تأخروا عن الشرك إلا يسيراً.

(١٥) ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله على يد رسوله من قبل غزوة الخندق، لا يفرون إن شهدوا الحرب، ولا يتأخرون إذا دعوا إلى الجهاد، ولكنهم خانوا عهدهم، وسيحاسبهم الله على ذلك، ويسألهم عن ذلك العهد، وكان عهد الله مسؤولاً عنه، محاسباً عليه.

(١٦) قل - أيها النبي - هؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من المعركة خوفاً من الموت أو القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر أجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة، وهو زمن يسير جداً بالنسبة إلى الآخرة.

(١٧) قل - أيها النبي - لهم: من ذا الذي يمنعكم من الله، أو يجيركم من عذابه، إن أراد بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمة، فإنه المعطي المانع الضار النافع؟ ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله ولياً يوليهم، ولا نصيراً ينصرهم.

(١٨) إن الله يعلم المشطين عن الجهاد في سبيل الله، والقائنين لإخوانهم: تعالوا وانضموا إلينا، واتركوا محمداً، فلا تشهدوا معه قتالاً؛ فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه، وهم مع تخذيلهم هذا لا يأفون القتال إلا نادراً؛ رياء وسمعة وخوف الفضيحة.

(١٩) يُخْلَاء عليكم - أيها المؤمنون - بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد؛ حباً في الحياة وكرهية للموت، فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفاً من القتل وفراراً منه، كدوران عين من حضره الموت، فإذا انتهت الحرب وذهب رمؤكم بالسنة حداد مؤذية، وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء وحسدة، أولئك

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِتَّ الْمَوْتُ أَوِ الْقَتْلُ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ يَتَوَلَّوْنَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ مِنْهُ الْمَوْتُ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ يَأْتَسِرُونَ حِدَادٌ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَا يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْا فِي الْأَحْزَابِ يَفْسَلُونَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

الموت، فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب رمؤكم بالسنة حداد مؤذية، وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء وحسدة، أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم، فأذهب الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيراً.

(٢٠) يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد الأحزاب إلى «المدينة» لتمنى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن «المدينة» بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم من بعيد، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلاً؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف بقيتهم.

(٢١) لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

(٢٢) ولما شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، وتذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر، فأنجز الله وعده، وصدق رسوله فيما بشر به، وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيماناً بالله وتسليماً لقضائه وانقياداً لأمره.

ثِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدْلًا ۖ لِّيَبْجِزَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يُرِيدُوا لُؤْلُؤًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٤﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَابِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّيْسَ لَكُمْ تَطْوُحُهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهُنَّ فَأُولَٰئِكَ أَتَمَّتْكُمْ وَأَنْسَرَ حُكْمُ سَرَاحٍ جَمِيلًا ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٨﴾

(٢٣) من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس: فمنهم من وقى بذنره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدّلوه، كما غيّر المنافقون.

(٢٤) ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلائهم وهم المؤمنون، ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت، فيموتوا على الكفر، فيستوجبوا النار، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، إن الله كان غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيماً بهم؛ حيث وفقهم للتوبة النصوح.

(٢٥) وردّ الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خاتين خاسرين مغتاضين، لم ينالوا خيراً في الدنيا ولا في الآخرة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب. وكان الله قوياً لا يُغالب ولا يُفهر، عزيزاً في ملكه وسلطانه.

(٢٦) وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهُزِمُوا، تقتلون منهم فريقاً، وتأسرون فريقاً آخر.

(٢٧) وملككم الله -أيها المؤمنون- أَرْضَهُمْ ومساكنهم وأموالهم المنقولة كالخلي والصلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمرارع والبيوت والحصون المنبئة، وأورثكم أرضاً لم تتمكنوا من وطنها من قبل؛ لمنعها وعزتها عند أهلها. وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

(٢٨) يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبلن أتمتعن شيئاً مما عندي من الدنيا، وأفارقكن دون ضرر أو إيذاء.

(٢٩) وإن كنتم تردن رضا الله ورضا رسوله، وما أعد الله لכן في الدار الآخرة، فاصبرن على ما أنشئ عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكم ثواباً عظيماً. (وقد اخترن الله ورسوله، وما أعد الله لهن في الدار الآخرة).

(٣٠) يا نساء النبي من يأت منكن بمعضية ظاهرة يُضَاعَف لها العذاب مرتين. فلم كانت مكانتهن رفيعة ناسب أن يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلظة؛ صيانة لجناهن وجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك العقاب على الله يسيراً.

(٣١) ومن قطع يمكن الله ورسوله، وتعمل بما أمر الله به، تُعْطَى ثواب عملها مثلي ثواب عمل غيرها من سائر النساء، وأعدنا لها رزقاً كريماً، وهو الجنة.

(٣٢) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ فِي الْفُصْلِ وَالْمَنْزِلَةِ
كَتَغْيِرِكُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، إِنْ عَمِلْتُنَّ بَطَاعَةَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَابْتَعَدْتُنَّ عَنْ مَعَاصِيهِ فَلَا تَحْدِثْنَ مَعَ
الْأَحْجَابِ بِصَوْتٍ لَيْتَ يُطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ فَجُورٌ
وَمُورُضٌ فِي الشَّهْوَةِ الْحَرَامِ، وَهَذَا أَدَبٌ وَاجِبٌ
عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَقَدْ
قَوْلًا بَعِيدًا عَنِ الرِّبَا، لَا تَنْكَرُهُ الشَّرِيعَةُ.

(٣٣) وَالزَّمَنُ بِيوتكن، ولا تخرجن منها إلا الحاجة، ولا تظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأُثِين - يانساء النبي - الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرها ونهيها، إنها أوصاكن الله بهذا؛ ليزيكن، ويبعد عنكن الأذى والسوء

والشر يا أهل بيت النبي - ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام -، وبطهر نفوسكم غاية الطهارة.

(٣٤) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واعملن به، واقدرنه حقَّ قدره، فهو مِن نِّعم الله عليكن، إن الله كان لطيفاً بكن؛ إذ جعلكنَّ في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والسنة، خبيراً بكنَّ إذ اختاركنَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم أزواجاً.

(٣٥) إن المتقادين لأوامر الله والمنقادات، والمصدّقين والمصدّقات، والمطيعين لله ورسوله والطيعات، والصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات، والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكروه والصابرات، والخائفين من الله والخائفات، والمتصدقين بالفرض والتّقلّ والمتصدقات، والصّائمين في الفرض والتّقلّ والصّائيات، والحافظين فروجهم عن الزّنى ومقدّماته، وعن كشف العورات والحافظات، والذاكرين الله كثيراً بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات، أعدّ الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثواباً عظيماً، وهو الجنة.

Σ 22

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صِلًا مُمِيزًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْكُمْ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

(٣٦) ولا ينبغي للمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم. ومن يعص الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بعداً ظاهراً.

(٣٧) وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي اعتقه وتبناه النبي صلى الله عليه وسلم- وأنعمت عليه بالعتق: أتبي زوجك زين بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -أيها النبي- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجته وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها، ثم انقضت عدتها، وزوجناها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يبتنئهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولاً، لا

عائق له ولا مانع. وكانت عادة التبني في الجاهلية، ثم أبطلت بقوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ﴾.

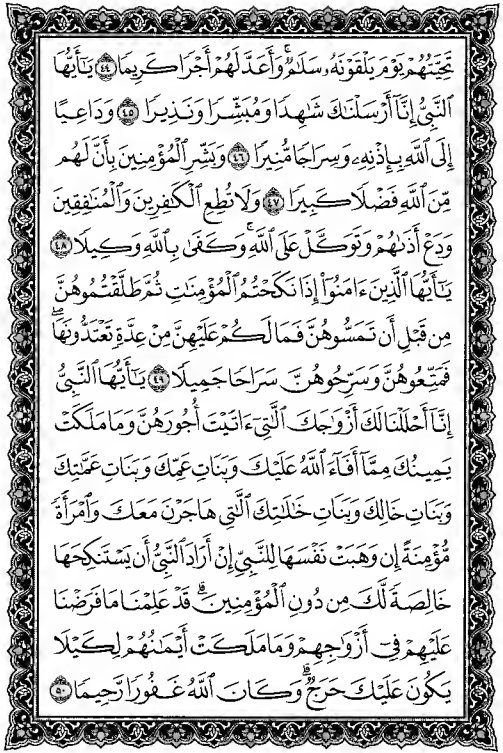
(٣٨) ما كان على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذنب فيما أحل الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها، كما أباحه للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً لا بد من وقوعه.

(٣٩) ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين، وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَايِعُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحداً سواه. وكفى بالله محاسباً عباده على جميع أفعالهم ومراقباً لها.

(٤٠) ما كان محمد أباً لأحد من رجالكم، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة. وكان الله بكل شيء من أفعالكم عليماً، لا يخفى عليه شيء.

(٤١، ٤٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكراً كثيراً، واشغلوا أوقانتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضة، وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الآثام، وتعين على كل خير.

(٤٣) هو الذي يرحمكم ويُنِيْكُمْ عليكم، وتدعو لكم ملائكته؛ ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام، وكان بالمؤمنين رحيماً في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين لمخلصين له.



(٤٤) تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سلام، وأمان لهم من عذاب الله، وقد أعد لهم ثواباً حسناً، وهو الجنة.

(٤٥، ٤٦) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشراً المؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيراً للكافرين والمكذبين من النار، وداعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك، وسراجاً منيراً لمن استنار بك، فأمرك ظاهر فيها جئت به من الحق كالشمس في إشرافها وإضاءتها، لا يحجبها إلا معاند.

(٤٧) وبشّر - أيها النبي - أهل الإيمان بأن لهم من الله ثواباً عظيماً، وهو روضات الجنات.

(٤٨) ولا تطع - أيها الرسول - قول كافر أو منافق واترك أذاهم، ولا يمنعك ذلك من تبليغ الرسالة، وثق بالله في كل أمورك واعتمد عليه؛ فإنه يكفيك ما أهتكت من كل أمور الدنيا والآخرة.

(٤٩) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا عقدتم على النساء ولم تدخلوا بهن

ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعهن، فإنا لكم عليهن من عدة تحسبونها عليهن، فأعطوهن من أموالكم متعة يتمتعن بها بحسب الوسع؛ جبراً لحواظهن، وخلوا سبيلهن مع الشتر الجميل، دون أذى أو ضرر.

(٥٠) يا أيها النبي إنا أبخنا لك أزواجك اللاتي أعطيتن مهورهن، وأبخنا لك ما ملكت يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك، وأبخنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأبخنا لك امرأة مؤمنة نتحت نفسها لك من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة. قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بالآيتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شاؤوا من الإماء، واشترط الوي والمهر والشهود عليهم، ولكننا رخصنا لك فيما أوجبنا عليهم، ووسعنا عليك ما لم نوسع على غيرك؛ لتلا يضيّق صدرك في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف. وهذا من زيادة اعتناء الله برسوله صلى الله عليه وسلم وتكريمه له. وكان الله غفوراً للذنوب عباده المؤمنين، رحياً بالتوسعة عليهم.

﴿ تُرْجَى مِنْ نِسَاءِ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّى إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمَنْ أَتَّبَعَتْ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُدْعَا لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ لِإِنَّهُ وَلَئِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرُوا وَلَا مَسْتَقْسِمِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِىء مِنْكُمْ
وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِىءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَائِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كُرِهًا عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣
إِنْ تُظْهَرُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥٤

(٥١) تؤخر من نساء من نساءك في القسم في البيت، وتضم إليك من نساء منهم، ومن طلبت عن آخرت قسمها، فلا إثم عليك في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرح ولا يحزن، ويرضين كلهن بما قسمت لهن، والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليماً بما في القلوب، حليماً لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

(٥٢) لا يحل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين، ولا أن تطلقهن وتزوج بدهن غيرهن - إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة - ولو أعجبك حسن غيرهن من النساء، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك. وكان الله على كل شيء رقيباً، لا يغيب عنه علم شيء.

(٥٣) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيت فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم

يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمته، إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله.

وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنب ما نهى الله عنه منه.

(٥٤) إن تظهروا شيئاً على المستنكح - أيها الناس - مما يؤذي رسول الله ما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم على ذلك.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءَ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا
 أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
 مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
 يُتْرَكْنَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ مِنْ جَلَدٍ بَيْنَهُنَّ ذَلِكَ أَتَىٰ أَنْ يَعْزَفَ فَلَآ
 يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّيْنٌ لِّوَيْتِهِ الْمُتَعَفِّفُونَ
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
 لَنُغَيِّرَنَّ بِهَوْنٍ أَرْجَاءَهُمْ وَلَنُجَاوِزَنَّ فِيهَا الْاَفْئِلَةَ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ
 إِنْ تَمَا قَفُّوا أَخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الْأَيَّامِ خَالُوا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

(٥٥) لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من
 آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء
 أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين
 هن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة. وخفف الله
 -أيها النساء- أن تتعدين ما حاد لكن، فتدين
 من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه، أو تترك
 الحجاب أمام من يجب عليكم الاحتجاب منه.
 إن الله كان على كل شيء شهيداً، يشهد أعمال
 العباد باطنها وظاهرها، وسيجزيم عليها.

(٥٦) إن الله تعالى يُثني على النبي صلى الله عليه
 وسلم عند الملائكة المقربين، وملائكته يُثنون
 على النبي ويدعون له، يا أيها الذين صدقوا الله
 ورسوله وعملوا بشره، صلُّوا على رسول الله
 وسلِّموا تسليماً، تحية وتعظيماً له. وصفة الصلاة
 على النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت في السنة
 على أنواع، منها: «اللهم صل على محمد وعلى
 آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد
 مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما
 باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(٥٧) إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من

المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة
 عذاباً يُبدِّلهم ويهينهم.

(٥٨) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقل أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنباً
 ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.

(٥٩) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن وجوههن من أردتِهن وملاحقهن؛ لستر
 وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميَّز بالسَّتر والصيانة، فلا يُتعرَّضَ لهن بمكروه أو أذى. وكان الله
 غفوراً رحيماً حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام.

(٦٠، ٦١) لئن لم يكف الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيذان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار
 الكاذبة في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبائحهم وشرورهم، لنسلطنك عليهم، ثم لا يسكنون معك فيها إلا
 زمناً قليلاً. مطرودين من رحمة الله، في أي مكان وجدوا فيه أُسِرُوا وقُتِلُوا تَقْتِيلًا ما داموا مقيمين على النفاق ونشر الأخبار
 الكاذبة بين المسلمين بغرض الفتنة والفساد.

(٦٢) سنة الله وطريقته في منافي الأمم السابقة أن يؤسروا ويُقتلوا أيُنَا كانوا، ولن نجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلاً
 ولا تغييراً.

سورة سبأ

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الشئ التام في الآخرة، وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه.

(٢) يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق. وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

(٣، ٤) وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول- بلى وري لتأتينكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح،

وهو اللوح المحفوظ؛ ليتبين الذين صدقوا بالله، وأتبعوا رسوله، وعملوا الصالحات. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وورق كريم، وهو الجنة.

(٥) والذين سعوا في الصدء عن سبيل الله وتكذبوا رسله وإبطال آياته مشاقين الله مغالين أمره، أولئك لهم أسوأ العذاب وأشدّه ألماً.

(٦) ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه.

(٧) وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل يريدون محمدًا صلى الله عليه وسلم) يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم ستحيون وتبعثون من قبوركم؟ قالوا ذلك من فرط إنكارهم.

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١٠﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ لَشَدِيدٌ ﴿١١﴾ أَوْ شَقِطَ عَلَيْهِمْ
 كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُودَ مِمَّا فَضَّلْنَا
 نَبِيَّ جِبَالٍ أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَالنَّارِ الْحَدِيدِ ﴿١٣﴾ أَنْ أَعْمَلَ
 سَلِطًا وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ أَعْمَلُوا أَصْلَحًا إِيَّيَ مَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١٤﴾ وَلَسَلِمِينَ الرَّيْحَ عُدُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ
 وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْفِظْرَ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ
 رَبُّهُ وَمِنْ بَنِي عَدْنٍ عَنْ أَمْرِنَا نَذَرُهُمْ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٥﴾
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَيَنْتَهِلُونَ جُنُوبَ
 وَقْدِهِمْ رَأْسِيتَ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَاحِزَ بَيْنَتِ الْجِنِّ
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٧﴾

(٨) هذا الرجل أخلق على الله كذباً أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟ ليس الأمر كما قال الكفار، بل محمد أصدق الصادقين. والذين لا يصدقون بالبعث ولا يعملون من أجله في العذاب الدائم في الآخرة، والضلال البعيد عن الصواب في الدنيا.

(٩) أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنها قد أحاطنا بهم؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو ننزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم. إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة.

(١٠) ولقد آتينا داود نبوة وكتاباً وعلماً، وقلنا للجبال والطير: سبّحي معه، وألنا له الحديد، فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء.

(١١) أن اعمل دروعاً تامات واسعات، وقدر

المسامير في جلق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقل على لابسها، واعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله، إني بما تعملون بصير لا يخفى علي شيء منها.

(١٢) وسخرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلمنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

(١٣) يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقدر ثابت لا تتحرك من أماكنها لعظمهم، وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامثال أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيراً، وكان داود وآله من القليل.

(١٤) فلما قضينا على سليمان بالموت ما دلّ الجنّ على موته إلا الأرض تآكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فوقع سليمان على الأرض، عند ذلك علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أقاموا في العذاب المذلل والعمل الشاق لسليمان؛ ظناً منهم أنه من الأحياء. وفي الآية إبطال لاعتقاد بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب لعلوموا وفاة سليمان عليه السلام، ولما أقاموا في العذاب المهين.

(١٥) لقد كان لقبيلة سبأ بـ«اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا: يستنانان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم؛ فإن بلدنكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم.

(١٦، ١٧) فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل، فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرب السد وأغرق البساتين، وبدلناهم بجنتيهم الثمريتين جنتين ذواتي أكل خيط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثل وهو شجر شبيه بالطرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر البتق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نعم الله، وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازي بفعله مثلاً بمثل.

(١٨) وجعلنا بين أهل «سبأ» - وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها - وهي «الشام» - مَدْنًا متصلة يترى بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل لا مشقة فيه، وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أي وقت

لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا لله بلدة طيبة ورب غفور ﴿١٥﴾ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خيط وأثل ونحى ومن سدر قليل ﴿١٦﴾ ذلك جزئناهم بما كانوا أهل تجزئ إلا الكفور ﴿١٧﴾ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير وسيرها فيها ليالي وأياماً آمناً ﴿١٨﴾ فقلوا ربنا أبعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقنة كل مرقفان في ذلك لآيت لكل صبار شكور ﴿١٩﴾ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴿٢٠﴾ وما كان له عليهم من سلطان إلا ليعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴿٢١﴾ وربك على كل شيء حفيظ ﴿٢٢﴾ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ﴿٢٣﴾

شتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدواً، ولا جوعاً ولا عطشاً.

(١٩) فبطغيانهم ملأوا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قرناً متباعدة؛ ليعبد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبراً وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وقرقناهم كل تفریق وخربت بلادهم، إن فيها حل «سبأ» لبرة لكل صبار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى.

(٢٠) ولقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصَدَّقَ ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله.

(٢١) وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.

(٢٢) قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء الله فعبدوهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقدوهم في حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم شراكة فيها، وليس لله من هؤلاء المشركين معين على خلق شيء، بل الله -سبحانه وتعالى- هو المتفرد بالإيجاد، فهو الذي يُعْبَدُ وحده، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْفِيَٰكُمْ لَعَلَّٰهُدًى أَوْفَىٰ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَأَسْتَأْذِنَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَشْتُلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ لَا أَبْأَلَّ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا قَاهٍ لِلنَّاسِ نُنَاشِرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا تَوْفِيقُ الْفُرْقَانِ وَلَا يَأْتِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَوْرَتِي إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُورُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ أَصْطَفَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْنُكُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

(٢٣) ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له. ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أُرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغثي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلو قدره، الكبير على كل شيء.

(٢٤) قل -أيها الرسول- للمشركين: مَنْ يرزقكم من السموات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟ فإنهم لا بد أن يُعْثِرُوا بأنه الله، وإن لم يُعْثِرُوا بذلك فقل لهم: الله هو الرزاق، وإن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى هدى متمكن منه، أو في ضلال بين منغمس فيه.

(٢٥) قل: لا تُسألون عن ذنوبنا، ولا تُسأل عن أعمالكم؛ لأننا يريئون منكم ومن كفركم.

(٢٦) قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل، وهو الفتاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يُقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية.

(٢٧) قل: أروني بالحجة والدليل الذين ألحقتهم بالله وجعلتهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئاً؟ ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه عن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

(٢٨) وما أَرْسَلْنَاكَ -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بشواب الله، ومنذراً بعقابه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.

(٢٩) ويقول هؤلاء المشركون مستهزئين: متى هذا الوعد الذي تعدونا أن يجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا، إن كنتم صادقين فيما تعدونا به؟

(٣٠) قل لهم -أيها الرسول-: لكم ميعاد هو آتيكم لا محالة، وهو ميعاد يوم القيامة، لا تستأخرون عنه ساعة للتوبة، ولا تستقدمون ساعة قبله للعذاب. فاحذروا ذلك اليوم، وأعِدُّوا له عدته.

(٣١) وقال الذين كفروا: لن نصدق بهذا القرآن ولا بالذي تَقَدَّمَ من التوراة والإنجيل والزيور، فقد كذبوا بجميع كتب الله. ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبسون عند ربهم للحساب، يراجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلقِي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئاً قظيعاً، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لولا أنتم أضللتُمونا عن الهدى لَكُنَّا مومنين بالله ورسوله.

(٣٢) قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعاكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم تختارين.

(٣٣) وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العباد، وأسر كل من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا. وفي الآية تحذير شديد من متابعة دعاة الضلال وأئمة الطغيان.

(٣٤) وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إلا قال المغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إننا بالذي جئتم به - أيها الرسل - جاحدون.

(٣٥) وقالوا: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاء عنا، وما نحن بمعبدئين في الدنيا ولا في الآخرة.

(٣٦) قل لهم - أيها الرسول -: إن ربي يوسع

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحَنُ صَدَدٌ نَكْرُ
عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعُّوهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ أَتِيلٌ وَالنَّهَارُ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ وَاسْتَرْوُا الدِّمَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يَخْرُجُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِئَلَّا لَهُمْ حِزَابٌ
أَلْيَصْغَفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْفُرْقَاتِ ءَامُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَجْرِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيّق على من يشاء، لا لمجة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختباراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

(٣٧) وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربى وترفع درجاتكم، لكن من آمن بالله وعمل صالحاً فهو لاء لهم ثواب الضعف من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان.

(٣٨) والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبين، هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها.

(٣٩) قل - أيها الرسول - هؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيّق على من يشاء؛ لحكمة يعلمها، ومهما أعطيت من شيء فيها أكرمكم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، وهو - سبحانه - خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعوا في الأسباب التي أكرمكم بها.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَآئِيكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْخَيْرَ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا يَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكَ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا دُعَاءُ عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ إِيْتِنَانًا يَبْتَلِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاقٌ مُفَرَّجَةٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَيِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَاءَ أَنْتِبَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قِتْلًا مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَبِعُوا مَعَاسِرَ مَا أَنْتِبَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ اللَّهِ تَعْمُوا لِلَّهِ مَتَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بِمَنْ يَدْعِي عَذَابَ سَعِيرٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْعُثُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

(٤٠) واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة، ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدتهم: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون من دوننا؟ (٤١) قالت الملائكة: نزهك يا الله عن أن يكون لك شريك في العبادة، أنت ولينا الذي نطيعه ونعبده وحده، بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين، أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون. (٤٢) ففي يوم الحشر لا يملك المعبدون للعابدين نفعاً ولا ضرراً، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون.

(٤٣) وإذا تلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الألهة التي كان يعبدوها آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مخلق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح. (٤٤) وما أنزلنا على الكفار من كُتب يقرؤونها قبل القرآن فتدفعهم على ما يزعمون من أن ما

جاءهم به محمد سحر، وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا.

(٤٥) وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا، وما بلغ أهل «مكة» عشر ما أتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر، وغير ذلك من النعم، فكذبوا رسلنا فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكارهم عليهم وعقوبيتي إياهم؟

(٤٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكاذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون، ما هو إلا مخوف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها.

(٤٧) قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جئتكم به من أجر فهو لكم، ما أجري الذي أنتظره إلا على الله المطلع على أعمالي وأعمالكم، لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع، كل بما يستحقه.

(٤٨) قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه، والله عالم الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

(٤٩) قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحَل سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبدؤه ويعيده.

(٥٠) قل: إن مِلْتُ عن الحق فلأنتم ضلالي على نفسي، وإن استقمتم عليه فبوحى الله الذي يوحى إلي، إن ربي سميع لما أقول لكم، قريب من دعاء وسأله.

(٥١) ولو ترى -أيها الرسول- إذ فرغ الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمراً عظيماً، فلا نجاة لهم ولا مهرب، وأخذوا إلى النار من موضع قريب التناول.

(٥٢) وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله، وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصوهم له من مكان بعيد؟ قد حبل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها.

(٥٣) وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

(٥٤) وحبل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأماثلهم من كفره الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، تحدث للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا.

سورة فاطر

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السموات والأرض ومبدعها، جاعل الملائكة رسلاً إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه، ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به، يزيد الله في خلقه ما يشاء. إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء.

(٢) ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى. وهو العزيز الفاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته.

(٣) يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُضَرُّون عن توحيده وعبادته؟

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرِضُ لَهُ الْحِجَةُ الَّذِينَ لَا يَعْرِضُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْعُرُوفُ ﴿٥﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا لِمَا يَدْعُو أَجْزَيْهِ رِيَالِكُمْ إِنَّ أَصْحَابَ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ رُبُّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ قُرْءَاهُ حَسَنًا أَمْ لَا إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَنْهُمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنْفِثُ سَحَابًا فَمِنْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَكَرَّ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

(٤) وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فقد كُذِّبَ رسل من قبلك، وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.
(٥، ٦) يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والشواب والعقاب حق ثابت، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها، ولا تخدعكم بالله الشيطان. إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه، إنما يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة.
(٧) الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة، والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم، وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة.
(٨) أقم حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فراه حسنًا جميلًا، كمن هداه الله تعالى،

فرأى الحسن حسنًا والسيئ سيئًا؟ فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء، فلا تهلك نفسك حزنًا على كفر هؤلاء الضالين، إن الله عليم ببقائهم عليها أسوأ الجزاء.

(٩) والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحابًا، ففسقناه إلى بلد جذب، فينزل الماء فأحيينا به الأرض بعد يئسها فتخضر بالنبات، مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة.

(١٠) من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فله العزة جميعًا، فمن اعتر بالخلق أدلّه الله، ومن اعتر بالخالق أعزه الله، إليه سبحانه يصعد ذكره والعمل الصالح يرفعه. والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك يهلك ويُسُفد، ولا يفيدهم شيئًا.

(١١) والله خلق أبائكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين، ثم جعلكم رجالاً ونساءً. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من مُعَمَّر فيطول عمره، ولا يُنْقِص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أنثى وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه قبل أن يخلقه، لا يُزاد فيها كتب ولا يُنْقِص. إن يخلقكم وعلم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله.

(١٢) وما يستوي البحران: هذا عذب شديد العذوبة، سهّل مروره في الخلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كل من البحرين تأكلون سمكاً طرياً شهياً الطعم، وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها، وترى السفن فيه شاقات المياه؛ لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها. وفي هذا دلالة على قدرة الله ووحدانيته؛ ولعلكم تشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

(١٣) والله يُدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل، ويُدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار، وذلك الشمس والقمر يجرّيان لوقت معلوم، ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله، والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النواة.

(١٤) إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات

من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يتبرؤون منكم، ولا أحد يجبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير.

(١٥) يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كل حال.

(١٦) إن يشأ يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده.

(١٧) وما إهلاككم والإتيان بخلق سواكم على الله بممتنع، بل ذلك على الله سهل يسير.

(١٨) ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى، وإن تسأل نفس مثقلة بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم يجد من يحمل عنها شيئاً، ولو كان الذي سألته ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنها تحذر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدوا الصلاة حتى أدائها. ومن تظهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنها يتطهر لنفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلأ بها يستحق.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿٢٤﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٥﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَةُ وَلَا الْإِخْوَةُ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٨﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَإِن يَكْفُرُوا لَكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٣٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٥﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾

(٢٤-٢٩) وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الظل ولا الريح الحارة، وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، وما أنت -أيها الرسول- بمسمع من في القبور، فكما لا تسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه. إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشراً بالجنة من صدقك وعمل بهديك، ومخدراً من كذبك وعصاك النار. وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذر عاقبة كفرها وضلالها.

(٢٥) وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، و جاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

(٢٦) ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب، فانظر كيف كان إنكاري لعملهم وحلول عقوبي بهم؟

(٢٧) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفة ألوانها، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها، وخلقنا من الجبال جبالات شديدة السواد.

(٢٨) وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الشار والجمال. إنما يخشى الله ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتبدرون ما فيها من عظام وعبر. إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

(٢٩، ٣٠) إن الذين يقرءون القرآن ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سراً وجهراً، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

(٣١) والذي أنزلناه إليك - أيها الرسول - من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك. إن الله خير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسجاز بهم عليها.

(٣٢) ثم أعطينا - بعد هلاك الأمم - القرآن من اخترناهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم: فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي مسارع بمجاهد في الأعمال الصالحة، فَرَضَهَا ونَفَلَهَا، ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير.

(٣٣-٣٥) جنات إقامة دائمة للذين أوردتهم الله كتابه، يُرَبُّونَ فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعناد في الجنة حرير أي: ثياب رقيقة. وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن، إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها. وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله، لا يمسنا فيها تعب ولا إعياء.

(٣٦) والذين كفروا بالله ورسوله هم نار جهنم

الموقدة، لا يُقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويسترجعوا، ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها، مثل ذلك الجزاء يجزي الله كل من هو مبالغ في الكفر متناد في الكفر مُصِرَّ عليه.

(٣٧) وهؤلاء الكفار يَصْرَحُونَ من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أولم نُمَلِّكم في الحياة قَدْراً وافياً من العُمُر، يتعطف فيه من انتعط، وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

(٣٨) إن الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فانقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تُصْمِرُونَ الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو أن تُغْصوه بها دون ذلك.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَبْدُوهُ لَا يَرْزُقْهُ إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ كَفَرُوهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَحْكُمُوا عَلَى الظَّالِمِينَ أَمْ يَعْزُبُ عَنْهُمْ بَعْضٌ إِنْ يَعْرِضُوا ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٣﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةً الْأُولَىٰ فَلَنْ يُجَادِلُنَا اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَنْ يُجَادِلُنَا اللَّهُ تَحْوِيلًا ﴿٤٤﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّه كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٥﴾

(٣٩) الله هو الذي جعلكم - أيها الناس - يخلف بعضكم بعضاً في الأرض، فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغيظاً، ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضلالاً وهلاكاً.

(٤٠) قل - أيها الرسول - للمشركين: أخبروني أي شيء خلق شركاؤكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركاً مع الله في خلق السموات، أم أعطيتهم كتاباً فهم على حجة منه؟ بل ما يعيد الكافرون بعضهم بعضاً إلا غروراً وخداعاً.

(٤١) إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا عن مكانها، ولئن زالت السموات والأرض عن مكانها ما يمسكها من أحد من بعده. إن الله كان حليماً في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفوراً لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

(٤٢) وأقسم كفار قريش بالله أشد الأيمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوفهم عقاب الله ليكون أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم ذلك إلا بُعداً عن الحق ونفوراً منه.

(٤٣) ليس إقسامهم لقصد حسن وطلباً للحق،

وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيئ والخذاع والباطل، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فهل ينتظر المستكبرون الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقوهم، فلن نجد لطريقة الله تبديلاً ولا تحويلاً، فلا يستطيع أحد أن يبدل، ولا أن يحول العذاب عن نفسه أو غيره.

(٤٤) أَوَلَمْ يَسِيرْ كُفَار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبيداهم من الخراب حين كذبوا الرسل، وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشاً من كفار «مكة»؟ وما كان الله تعالى ليُعجزه ويفوته من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليماً بأفعالهم، قديراً على إهلاكهم.

(٤٥) ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها، ولكن يُمهّلهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً، لا ينجفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

﴿سورة يس﴾

(١) ﴿يَسْ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
(٢-٤) يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده، على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام.
(٥) نزل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحاً.
(٦) أنزلناه عليك -أيها الرسول- لتحذره فوما لم يُنذَر أبأوهم من قبلك، وهم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيذان والاستقامة على العمل الصالح. وكل أمة يقطع عنها الإنذار تقع في الغفلة، وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يَس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْصَبْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخِشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿١١﴾ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ الْحَقُّ الْمَوْفِيُّ وَكَتُبْنَا مَا قَدْ كُتِبَ لَهُمْ وَنَحْنُ الْمَوَدَّةُ ﴿١٣﴾ وَأَنْذِرْهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٤﴾

وشرعه؛ لإيقاظ المسلمين من غفلتهم.

(٨،٧) لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِضَ عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه. إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرِضَ عليهم الحق فردُّوه، وأصرُّوا على الكفر وعدم الإيذان، كمن جُعِلَ في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه.

(٩) وجعلنا من أمام الكافرين سداً ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سُدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون. وكل من قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو حقيق بهذا العقاب.

(١٠) يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدقون ولا يعملون.
(١١) إننا نبشع تحذيرك من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله، فبشِّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.

(١٢) إنا نحن نحيا الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان، وكل شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أم الكتاب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ. فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا ﴿٣٢﴾ إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ إِيَّاكُمُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا عَلَيْنَا الْإِلْبَاطُ الْيَمِينُ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّاعُونَ لَكُمْ لَوْ كُنَّا لَوْ تَقْتَهُو الرِّجْسَ كُفَّرَ وَلَيْسَ لَكُم مَتَاعٌ إِلَّا الْيَمُومُ ﴿٣٧﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ﴿٣٨﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَدْعُوكمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَالِيَ لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدِ الْرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُفِيدُونِ ﴿٤٢﴾ إِنْ إِلَى إِلَهِكَ صُلَّابٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ إِنْ إِلَىَّ آمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا قَوْلَ الْحَكِيمِ ﴿٤٤﴾ قَالَ يَبْلَيْتُ قَوْمِي يُعَاقِبُونَ ﴿٤٥﴾ بِمَا عَصَوْا رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٤٦﴾

(١٤، ١٣) واضرب -أيها الرسول- لشركي قومك الراذنين لدعوتك مثلاً يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين، فقوتناهما برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم -أيها القوم- مرسلون. (١٥) قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلتنا، وما أنزل الرحمن شيئاً من الوحي، وما أنتم -أيها الرسل- إلا تكذبون.

(١٦، ١٧) قال المرسلون مؤكدين: ربنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده.

(١٨) قال أهل القرية: إنا نَشَاءُ مِنَّا بكم، لئن لم تَكْفُوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رمياً بالحجارة، وليصينكم منّا عذاب أليم موجه.

(١٩) قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشركاء معكم ومردودة عليكم، وإن أُعْظِمَ بها فيه خبركم تشاءمتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؛ بل أنتم قوم عادتكُم الإصراف في العصيان والتكذيب.

(٢٠، ٢١) وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع (وذلك حين علم أن أهل القرية هُتِموا بقتل الرسل أو تعذيبهم)، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده. وفي هذا بيان فضل مَنْ سعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢٢) وأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَنِي، وَإِلَيْهِ تَصِيرُونَ جَمِيعًا؟

(٢٣-٢٥) أعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً، إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؟ إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر. إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم، وأطيعوا بالإيمان. فلما قال ذلك وثب إليه قومه وقتلوه، فأدخله الله الجنة.

(۲۶) قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً له.

(٢٧) قال وهو في النعم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربّي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتِلْتُ، فَيُؤْمِنُوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَحِمدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَلَنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا قَيْمَةً يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ لَهَا مَوَاقِيتَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلِ وَمَا يُعْمِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(٢٨) وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون، وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذاباً يدرهم. (٢٩) ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة، فإذا هم ميتون لم يبق منهم باقية.

(٣٠) يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون.

(٣١) ألم ير هؤلاء المستهزئون ويعتبروا بمن قبلهم من القرون التي أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى هذه الدنيا؟

(٣٢) وما كل هذه القرون التي أهلكناها وغيرهم، إلا محضرون جميعاً عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٣٣) ودلالة هؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإزالة الماء، وأخرجنا منها أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام، ومن أحييا الأرض بالنبات أحييا الخلق بعد الممات.

(٣٤) وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعاب، وفجّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها.

(٣٥) كل ذلك، ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدّهم، ولا بحولهم وبقوتهم، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟

(٣٦) تنزه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض، ومن أنفسهم ذكوراً وإناثاً، وبما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق، فلا ينبغي أن يُشرك به غيره.

(٣٧) وعلامة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل ننزع من النهار، فإذا الناس مظلّمون.

(٣٨) وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه، ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء.

(٣٩) والقمر آية في خلقه، قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالاً ضئيلاً حتى يكمل قمراً مستديراً، ثم يرجع ضئيلاً مثل عذق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدّمه ويُنسّه.

(٤٠) لكل من الشمس والقمر والليل والنهار وقت قدره الله له لا يتعداه، فلا يمكن للشمس أن تلتحق بالقمر فتتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل من الشمس والقمر والكواكب في فللك يجرون.

وَأَيُّ لَهِمُّ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْجُونِ ﴿١١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمُ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَاصِرِحُ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴿١٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمُ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا مِنْ مَرْقَدٍ نَأْهَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا الصَّيْحَةُ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

(٤١) ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المستحق للعبادة، المنعم بالنعم، أننا حملنا من نجا من ولد آدم في سفينة نوح المملوءة بأجناس المخلوقات؛ لاستمرار الحياة بعد الطوفان.

(٤٢) وخلقنا هؤلاء المشركين وغيرهم مثل سفينة نوح من السفن وغيرها من المراكب التي يركبونها وتبلغهم أوطانهم.

(٤٣) وإن نشأ نغرقهم، فلا يجدون مغيباً لهم من غرقهم، ولا هم يخلصون من الغرق.

(٤٤) إلا أن نرحمهم فننجيهم ونمنعهم إلى أجل؛ لعلمهم يرجعون ويستدركون ما قرطوا فيه.

(٤٥) وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها؛ رجاء رحمة الله لكم، أعرضوا ولم يجيبوا إلى ذلك.

(٤٦) وما نجي هؤلاء المشركين من علامة واضحة من عند ربهم؛ لنهديم للحق، وتبين لهم صدق الرسول، إلا أعرضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

(٤٧) وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي من به الله عليكم، قالوا للمؤمنين محتجين: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟ ما أنتم -أيها المؤمنون- إلا في بُعد واضح عن الحق؛ إذ تأمرونا بذلك.

(٤٨) ويقول هؤلاء الكفار على وجه التكذيب والاستعجال: متى يكون البعث إن كنتم صادقين فيما تقولونه عنه؟

(٤٩) ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة، وهم يختصمون في شؤون حياتهم.

(٥٠) فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحداً بشيء، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم.

(٥١) ونُفِخَ في «القرن» النفخة الثانية، فَرُذُّ أرواحهم إلى أجسادهم، فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعاً.

(٥٢) قال المكذبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا من أخرجنا من قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون.

(٥٣) ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»، فإذا جميع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء.

(٥٤) في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، ولا تُجزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا.

(٥٥) إن أهل الجنة في ذلك اليوم مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم التي يتفكحون بها.

(٥٦) هم وأزواجهم متنعمون بالجلوس على الأسرة المرتبة، تحت الظلال الوارفة.

(٥٧) هم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة، وهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم.

(٥٨) ولهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم. وعند ذلك تحصل

لهم السلامة التامة من جميع الوجوه.

(٥٩) ويقال للكفار في ذلك اليوم: تميزوا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم.

(٦٠) ويقول الله لهم -توبيخاً وتذكيراً-: ألم أوصمكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة.

(٦١) وأمرتكم بعبادتي وحدي، فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجناتي.

(٦٢) ولقد أضل الشيطان عن الحق منكم خلقاً كثيراً، أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟

إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ۝ وَلَهُمْ مَائِدَتُونَ ۝ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ۝ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَى كُفْرَتِكُمْ يَدِي أَنْ لَوْلَا عَذَابِي ۝ وَأَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَإِنْ أَغْبَدُوا فِي هَذَا صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا ۝ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ أَصْلَاهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخِفُّ عَنْ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْ يَبْصُرُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ نَعْمَرْهُ نَتَكْسِفُ فِيهِ الْخَلْقَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ۝ لِيُنْذِرَ مَنِ كَانَ حَبِيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝

(٦٣) هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله.

(٦٤) ادخلوها اليوم وقاسوا حرها؛ بسبب كفركم.

(٦٥) اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون، ونُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ بها بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام.

(٦٦) ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم، فبادروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طُمِسَتْ أبصارهم؟

(٦٧) ولو شئنا لَنَزَرْنَا خلقهم وأعدناهم في أماكنهم، فلا يستطيعون أن يَمْضُوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم.

(٦٨) ومن نُطَلِّ عمره حتى يهرم نُعِيدُهُ إلى الحالة التي ابتدأ منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد، أفلا يعقلون أَنَّ مَنْ فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟

(٦٩، ٧٠) وما عَلَّمْنَا رسولنا حمداً الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعراً، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أو لو الألباب، وقرآن يَبَيِّنُ الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه؛ لينذر مَنْ كان حَيِّ القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاعِنَتِكِ يَدَيْنَا نَعْلَمُ أَنَّ لَهُمَا
 مَلَائِكَةً ۚ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمَن يَرَاهَا رُكُودًا ۚ فَلْيَبْصُرْ
 ۞٧١ ۚ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۚ أَفَلَا تَشْكُرُونَ ۞٧٢
 مِن دُونِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَدِيرُ ۞٧٣
 تَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحَضَّرُونَ ۞٧٤
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞٧٥
 خَلَقْنَاهُ مِن نُّفُثَةٍ إِذَا هُوَ حَصِيرٌ ۞٧٦
 مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقَهُ ۚ وَقَالَ مَنِ بِحُيِّ الْعُظْمَةِ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞٧٧
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۞٧٨
 الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ۚ إِذَا أَنشَأْتُمُ
 مِّنْهُ نُفُودًا ۚ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۞٧٩
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞٨٠
 فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞٨١

سُورَةُ الْاِنْفِصَامِ

(٧١) أولم ير الخلق أننا خلقنا لأجلهم أنعاماً
 ذللناها لهم، فهم مالكون أمرها؟

(٧٢) وسخرناها لهم، فمنها ما يركبون في
 الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، ومنها ما
 يأكلون.

(٧٣) ولهم فيها منافع أخرى يتنفعون بها،
 كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً
 ولباساً، وغير ذلك، ويشربون ألبانها، أفلا
 يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم،
 ويخلصون له العبادة؟

(٧٤) واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛
 طمعاً في نصرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله.

(٧٥) لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا
 أنفسهم ينصرون، والمشركون وأنهم جميعاً
 محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من
 بعض.

(٧٦) فلا تجزئك -أيها الرسول- كفرهم بالله
 وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك؛ إنا نعلم ما
 يخفون وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك.

(٧٧) أولم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه
 فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نقطة مرت
 بأطوار حتى كبر، فإذا هو كثير الخصام واضح
 الجلال؟

(٧٨) وضرب لنا المنكر للبعث مثلاً لا يتبغى
 ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق،

ونسي ابتداء خلقه، قال: من يحيي العظام البالية المتفتنة؟

(٧٩) قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة، وهو بجمع خلقه عليهم، لا يخفى عليه شيء.

(٨٠) الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة، فإذا أنتم من الشجر توفدون النار، فهو القادر على إخراج
 الضد من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

(٨١) أوليس الذي خلق السموات والأرض وما فيها بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى، إنه قادر على
 ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه شيء.

(٨٢) إنا أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: «كن» فيكون، ومن ذلك الإمامة والإحياء، والبعث والنشور.

(٨٣) فتنزه الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع، وقد
 ظهرت دلائل قدرته، وتما نعمته، وإليه ترجعون للحساب والجزاء.

سورة الصافات

(٤-١) أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفاً متراسة، وبالملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، وبالملائكة تلوذ ذكر الله وكلامه تعالى. إن معبودكم -أيها الناس- لواحد لا شريك له، فأخلصوا له العبادة والطاعة. ويقسم الله بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، فالخلف بغير الله شرك.

(٥) هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبر الشمس في مطالعها ومغارها.

(٦) إن ربنا السواء الدنيا بزينة هي النجوم.

(٧) وحفظنا السماء بالنجوم من كل شيطان متعمد عاب رجيح.

(٨، ٩) لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملا الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فتسمع إليهم إذا تكلموا بها بوحية الله تعالى من شرعه وقدره، ويُرْجَوْنَ بالشهب من كل جهة؛ طردا لهم عن الاستماع، ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجب.

(١٠) إلا من أخطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعونها من الساء بسرعة، فيلقونها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب المضيء قبل أن يلقيها، وربما ألغاهم بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ فَالتَّجَرَّتْ زَجْرًا ۖ فَالتَّلَيَّتْ ذِكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدَّرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ إِلَّا مَنْ خَطَفَ السَّخْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْ أَسْدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۖ كُلِّ عَجَبَةٍ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُؤْمِنٍ ۖ أَوَ ذَا مِثْنًا وَكَأَنَّا كَرَامٌ وَعَظْمَاءُ نَا لَمْبَعُونَ ۖ أَوَ آيَاتُنَا الْآلُوفُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَّا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ * أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَرْوَاهُ جَهَنَّمَ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاهْدِهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْحَجِيمِ ۖ وَقَفُّهُمْ أَهْمُ مَسْئُولُونَ ۖ

فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكهنة، فيكذبون معها مائة كذبة.

(١١) فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أنهم أشد خلقاً أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق ببعضه بعض.

(١٢) بل عجيبت -أيها الرسول- من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وأعجب من إنكارهم وأبلغ أنهم يستهزئون بك، ويسخرون من قولك.

(١٣) وإذا ذكروا بما نسوه أو غفلوا عنه لا ينتفعون بهذا الذكر ولا يتدبرون.

(١٤) وإذا رأوا معجزة دالة على نبوتك يسخرون منها ويعجبون.

(١٥-١٧) وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بين. إذا متنا وصيرنا تراباً وعظاماً بالية إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، أو بيعت آباؤنا الذين مضوا من قبلنا؟

(١٨) قل لهم -أيها الرسول-: نعم سوف تُبعثون، وأنتم أدلاء صاغرون.

(١٩) فإنها هي نفخة واحدة، فإذا هم قائمون من قبورهم ينظرون أهوال يوم القيامة.

(٢٠) وقالوا: يا هلاكتنا هذا يوم الحساب والجزاء.

(٢١) فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرونه.

(٢٢-٢٤) ويقال للملائكة: اجتمعوا للذين كفروا بالله ونظراءهم، وأهنتهم التي كانوا يعبدونها من دُونِ اللَّهِ، فسوقوهم سوقاً عنيقاً إلى جهنم، واحبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم؛ إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكيث لهم.

(٢٥) ويقال لهم توبيحاً: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً؟

(٢٦) بل هم اليوم منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يجحدون عنه، غير منتصرين لأنفسهم.

(٢٧) وأقبل بعض الكفار على بعض يتلاومون ويتخاصمون.

(٢٨، ٢٩) قال الأنبياء للمتبعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق، فتَهَوَّنُونَا علينا أمر الشريعة، وتَفَرَّقْنَا عنها، وتزنيون لنا الضلال. وقال المتبعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.

(٣٠) وما كان لنا عليكم من حجة أو قوة، فنصدكم بها عن الإيمان، بل كنتم -أيها المشركون- قوماً طاعين متجاوزين للحق. (٣١) فإِذَا مَنَّا جِيعاً وعيد ربنا، إنا لَنَذَاقُو الْعَذَابَ، نحن وأنتم، بما قدمنا من ذنوبنا ومعاصينا في الدنيا.

(٣٢) فأضللتناكم عن سبيل الله والإيمان به، إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكنّا بسبب كفرنا، وأهلكتناكم معنا.

(٣٣) فإن الأنبياء والمتبعين مشتركون يوم القيامة في العذاب، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

(٣٤) إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، فنذيقهم العذاب الأليم.

(٣٥) إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودُعُوا إِلَى اللَّهِ، وأُمرُوا بِتَرْكِ مَا يَنْفِيهَا، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها.

(٣٦) ويقولون: أَتُتركُ عِبَادَةَ أَهْلَتْنَا لقول رجل شاعر مجنون؟ يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣٧) كَذَّبُوا، ما محمد كما وصفوه به، بل جاء بالقرآن والتوحيد، وصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوحيده.

(٣٨) إنكم -أيها المشركون- بقولكم وكفركم وتكذيبكم لَنَذَاقُو الْعَذَابَ الأليم الموحج.

(٣٩) وما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.

(٤٠-٤٣) إِذَا عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم. أولئك المخلصون هم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع. ذلك الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون بكرامة الله لهم في جنات النعيم الدائم. (٤٤) ومن كرامتهم عند ربهم وإكرام بعضهم بعضاً أنهم على سرر متقابلين فيما بينهم.

(٤٥-٤٧) يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها، بيضاء في لونها، لذية في شربها، ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل.

(٤٨، ٤٩) وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن، حسان الأعين، كأنهن بَيضُ مَصُونٍ لم تمسه الأيدي. (٥٠، ٥١) فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة، وهذا من تمام الأنس. قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

مَا أَكُولُ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا أَتُكْفَرُونَ تَأْتُونَنَا نَاصِرِينَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ تَكُونُوا مَوْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَاكَ إِنَّا كُنَّا عَوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يُؤْمِدُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزِدُّكَ إِلَهًا إِنَّا إِلَهُنَا لِشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجَزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي حَتِِّ التَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَاسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءُ لَّدُنْهُ لِلشَّرَابِ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

(٥٢، ٥٣) يقول: كيف تصدّق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟ إذا متنا وتمزقنا وصرنا تراباً وعظاماً، نُبعث ونُحاسِب ونُجازى بأعمالنا؟

(٥٤، ٥٥) قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطلعون لئرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع فرأى قرينه في وسط النار.

(٥٦، ٥٧) قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربْتُ أن تهلكني بصدك إياي عن الإيمان لو أطلعنك. ولولا فضل ربي بهدائي إلى الإيمان وتبنيته عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك.

(٥٨-٦٠) أحفأ أننا مغلّدون منعّمون، فيما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَرُ العظيم.

(٦١) لئلهذا النعيم الكامل، والخلود الدائم، والفوز العظيم، فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصبروا إليه في الآخرة.

(٦٢) أذلك الذي سبق وصفه من نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام أهل النار؟

(٦٣) إنا جعلناها فتنه افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين:

يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُسَدِّينَ ﴿٥٢﴾ أَهَٰذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ۖ أَأَنْتَ لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلُوعَهُ ۗ فِي سَوَاءِ الْحَجِيرِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتَرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا تَخِى بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَتْنُكُمْ يُعَدَّدِينَ ﴿٥٩﴾ إِن هَٰذَا هُوَ الْقَوْدُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيَعْلَ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ لَّكَ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيرِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا لَٰوَنٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حِمِيرٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِن مَّرَجَعَهُمْ لَآلِ الْحَجِيرِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَقْوَاءُ آبَاءَهُمْ وَبَنِيَّائِهِمْ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَوْنَ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذِيرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنظَرَكُم مَّكَثَ كَافٍ عَقِيبَةِ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ لِإِعْبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلْيَنعَمْ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾

إن صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.

(٦٤-٦٨) إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فيآثون منها بطونهم. ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً خليطاً قبيحاً حاراً، ثم إن مردّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.

(٦٩، ٧٠) إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.

(٧١) ولقد ضلّ عن الحق قبل قومك - أيها الرسول - أكثر الأمم السابقة.

(٧٢) ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا.

(٧٣) فتأمل كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عُدّبت، وصارت للناس عبرة.

(٧٤) إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصّهم برحمته لإخلاصهم له.

(٧٥) ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه، فلنعم المجيبون له نحن.

(٧٦) ونجّيناه وأهله والمؤمنين معه من أذى المشركين، ومن الغرق بالطوفان العظيم.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٨ سَلِّمْ
عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۝٨٩ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝٩١ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِيْنَ ۝٩٢ وَلَوْ مِنْ
يَشْعَبِهِ لَا ذَرْبَهُمْ ۝٩٣ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٩٤ إِذْ قَالَ
لَأُيُوبُ وَقَوْمُهُ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٩٥ أَفَبِغَاءِ إِلَهَةٍ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ
۝٩٦ فَتَأْخُذُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٩٧ فَظَنَرَ تَقْطِرَةً فِي السَّحَابِ ۝٩٨
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٩٩ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝١٠٠ فَرَاغَ إِلَهُ الْفِتْنَةِ
فَقَالَ أَلَا تَأْتُونَ ۝١٠١ مَا لَكُمْ لَا تَطْفُونَ ۝١٠٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا
بِالْيَمِينِ ۝١٠٣ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ۝١٠٤ قَالَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ
۝١٠٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝١٠٦ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ
فِي الْجَحِيمِ ۝١٠٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝١٠٨
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝١٠٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
۝١١٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝١١١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتَّى
إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَأَنْظَرْ مَاذَا تَرَى ۝١١٢ قَالَ يَبْنَئُ
أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١١٣

(٧٧) وجعلنا ذرية نوح هم الباقين بعد عرف قومه.

(٧٨) وأبقينا له ذكراً جميلاً ونساءً حسناً فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به.

(٧٩) أمان لنوح وسلامة له من أن يُذكر بسوء في الآخرين، بل تُثني عليه الأجيال من بعده.

(٨٠) مثل جزاء نوح نجزي كل من أحسن من العباد في طاعة الله.

(٨١) إن نوحاً من عبادنا المصدقين المخلصين العاملين بأوامر الله.

(٨٢) ثم أعرَفنا الآخرين المكذِبين من قومه بالطوفان، فلم يبقَ منهم عين تُظرف.

(٨٣-٨٧) وإن من أشْياع نوح على منهاجه وملته نبيّ الله إبراهيم، حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخُلُق ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكراً عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهةً مختلفةً تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشرَكنتم به وعبدتم معه غيره؟

(٨٨-٩٠) فنظر إبراهيم نظرة في النجوم - على عادة قومه في ذلك - متفكراً فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض. وهذا تعريض منه، فتركوه وراء ظهورهم.

(٩١، ٩٢) فقال مسرعاً إلى أصنام قومه فقال مستهزئاً بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتمكم؟ ما لكم لا تنطقون ولا تحييون من يسألكم؟

(٩٣) فأقبل على آلهتهم يضربها ويكسرها بيده اليمنى؛ لثبث لقومه خطأ عبادتهم لها.

(٩٤) فأقبلوا إليه يُعبدون مسرعين غاضبين.

(٩٥، ٩٦) فلقبهم إبراهيم بنيات قائلاً: كيف تعبدون أصناماً تنحتونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟

(٩٧) فلما قامت عليهم الحجة لجؤوا إلى القوة، وقالوا: ابنوا له بُيوتاً، واملؤوه حطباً، ثم أَلْفَوْهُ فيه.

(٩٨) فأراد قوم إبراهيم به كيداً لإهلاكه، فجعلناهم المهقورين المغلوبين، وردَّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً.

(٩٩، ١٠٠) وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي؛ فإنه سيدلني على الخير في ديني ودنياي. رب أعطني ولداً صالحاً.

(١٠١) فأجبنا له دعوته، وبشّرناه بغلامٍ حلِيم، أي: يكون حليماً في كبره، وهو إسحاق.

(١٠٢) فلما كبر إسحاق ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ (وروي الأئمة حق) فقال إسحاق مُرضياً ربه، باراً بوالده، معيناً له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني - إن شاء الله - صابراً طائعاً محتسباً.

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَّاهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَبَّرَهُ أَنْ يَبْرِئَهُمْ ﴿١٠٤﴾
 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ
 هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَقَدَرْتَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَمَةً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ
 وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظِلًّا لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
 ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَمٌ عَلَى مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَاسِ لِمَنْ أَلْمَزْتَيْنِ ﴿١٢٣﴾
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَتَقُونِ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
 الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

(١٠٣) فلما استسلموا لأمر الله وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه - وهو جانب الجبهة - على الأرض؛ ليذبحه.

(١٠٤، ١٠٥) وناديناه إبراهيم في تلك الحالة العصبية: أن يا إبراهيم، قد فعلت ما أمرت به وصددت رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة.

(١٠٦) إن الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاق الذي أبان عن صدق إيمانك.

(١٠٧) واستغفنا إسما عيل، فجعلنا بديلاً عنه كبشاً عظيماً.

(١٠٨) وأبقينا لإبراهيم ثناءً حسناً في الأمم بعده.

(١٠٩) تحية لإبراهيم من عند الله، ودعاء له بالسلامة من كل آفة.

(١١٠) كما جزينا إبراهيم على طاعته لنا وامتناله أمرنا، نجزي المحسنين من عبادنا.

(١١١) إنه من عبادنا المؤمنين الذين أعطوا العبودية حقها.

(١١٢) وبشرنا إبراهيم بولده إسحاق نبياً من الصالحين؛ جزاء له على صبره ورضاه بأمر ربه، وطاعته له.

(١١٣) وأنزلنا عليها البركة. ومن ذريتها من

هو مطيع لربه، محسن لنفسه، ومن هو ظالم لها ظليماً نبياً بكفره ومعصيته. (١١٤، ١١٥) ولقد مَنَّا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة، ونجيناهما وقومهما من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومذلة.

(١١٦) ونصرناهم، فكانت لهم العزة والنصرة والغلبة على فرعون وآله.

(١١٧-١١٩) وآتيناهم التوراة البينة، وهديناهم الطريق المستقيم الذي لا عوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه، وأبقينا لهم ثناءً حسناً وذكرًا جليلاً فيمن بعدهما.

(١٢٠-١٢٢) تحية لموسى وهارون من عند الله، وثناءً ودعاءً لها بالسلامة من كل آفة، كما جزيناها الجزء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المخلصين لنا بالصدق والإيمان والعمل. إنهما من عبادنا الراسخين في الإيمان.

(١٢٣-١٢٦) وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة، إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تشرکوا معه غيره، كيف تعبدون صنناً ضعيفاً مخلوقاً، وتتركون أحسن الخالقين - المخلص بأحسن الصفات وأكملها، فلا تعبدونه! - الله ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم؟

فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ وَإِسْمَاعِيلَ ﴿١٣١﴾ وَإِسْحَاقَ ﴿١٣٢﴾
يَعْقُوبَ ﴿١٣٣﴾ وَهُدَّيْنَاهُمْ سَبْعَ سَبْعٍ وَآدَمَ الْكَلِيلَ ﴿١٣٤﴾ وَنَاوِلَ ﴿١٣٥﴾ وَنُوحَ ﴿١٣٦﴾ وَصَالِحَ ﴿١٣٧﴾ وَشُعَيْبَ ﴿١٣٨﴾ وَهَارُونَ ﴿١٣٩﴾ وَكَانَ
إِسْمُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ سَائِلٍ عَلَى الْمِيزَانِ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ نَسَخْنَا الْأَقْلَامَ وَكُنَّا بِكُلِّ بَشَرٍ خَفِيًّا ﴿١٤١﴾
وَمَا تَرَى إِلَّا أَلْفَ عَشَرَ وَالْغُلَامَ فِي الْمَقَامِ الْإِثْنَيْنِ ﴿١٤٢﴾ وَأَنَّا جَعَلْنَا مُوسَى ذَا الْكُرْسِيِّ إِذْ قَامَ
عَلَيْهِ وَرَأَى عِشْرِينَ مَقَامًا مُبِينًا ﴿١٤٣﴾ وَنَاوِلَ ﴿١٤٤﴾ وَنُوحَ ﴿١٤٥﴾ وَصَالِحَ ﴿١٤٦﴾ وَشُعَيْبَ ﴿١٤٧﴾ وَهَارُونَ ﴿١٤٨﴾ وَكَانَ
إِسْمُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ سَائِلٍ عَلَى الْمِيزَانِ ﴿١٤٩﴾ وَإِذْ نَسَخْنَا الْأَقْلَامَ وَكُنَّا بِكُلِّ بَشَرٍ خَفِيًّا ﴿١٥٠﴾
وَمَا تَرَى إِلَّا أَلْفَ عَشَرَ وَالْغُلَامَ فِي الْمَقَامِ الْإِثْنَيْنِ ﴿١٥١﴾ وَأَنَّا جَعَلْنَا مُوسَى ذَا الْكُرْسِيِّ إِذْ قَامَ
عَلَيْهِ وَرَأَى عِشْرِينَ مَقَامًا مُبِينًا ﴿١٥٢﴾ وَنَاوِلَ ﴿١٥٣﴾ وَنُوحَ ﴿١٥٤﴾ وَصَالِحَ ﴿١٥٥﴾ وَشُعَيْبَ ﴿١٥٦﴾ وَهَارُونَ ﴿١٥٧﴾ وَكَانَ
إِسْمُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ سَائِلٍ عَلَى الْمِيزَانِ ﴿١٥٨﴾

(١٢٧، ١٢٨) فكذب قوم إيلياس بينهم، فليجمعهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب، إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجون من عذابه.

(١٢٩-١٣٢) وجعلنا لإيلياس ثناءً جليلاً في الأمم بعده. تحية من الله، وثناءً على إيلياس. وكما جزينا إيلياس الجزء الحسن على طاعته، نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين. إنه من عباد الله المؤمنين المخلصين له العاملين بأوامره.

(١٣٣-١٣٥) وإن عبدنا لوطاً اصطفيناه، فجعلناه من المرسلين، إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب، إلا عجوزاً هريمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها.

(١٣٦) ثم أهلكنا الباقين المكذبين من قومه.

(١٣٧، ١٣٨) وإنكم -يا أهل مكة- لتمرون في أسفاركم على منازل قوم لوط وآثارهم وقت الصباح، وتمرون عليها ليلاً. أفلا تعقلون، فتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟

(١٣٩، ١٤٠) وإن عبدنا يونس اصطفيناه وجعلناه من المرسلين، إذ هرب من بلده غاضباً على قومه، وركب سفينة مملوءة ركاباً وأمتعة.

(١٤١) وأحاطت بها الأمواج العظيمة، فافتزع ركاب السفينة لتخفيف الحمولة خوف الغرق، فكان يونس من المغلوعين بالقرعة.

(١٤٢) فألقي في البحر، فابتلعه الحوت، ويونس عليه السلام آتٍ بها يلام عليه.

(١٤٣، ١٤٤) فلولا ما تقدم له من كثرة العباداة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه، وهو في بطن الحوت بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، لمكث في بطن الحوت، وصار له قبراً إلى يوم القيامة.

(١٤٥) فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن.

(١٤٦) وأنبئنا عليه شجرة من القرع تظله، ويتنفع بها.

(١٤٧، ١٤٨) وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزدون، فصَدَّقُوا وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ آجالهم.

(١٤٩) فاسأل -أيها الرسول- قومك: كيف جعلوا الله النبات اللاتي يكرهونهن، ولأنفسهم البنين الذين يريدونهم؟

(١٥٠) واسألهم أخلقنا الملائكة إنائاً، وهم حاضرون؟

(١٥١، ١٥٢) وإن من كذبهم قوهم: ولد الله، وإنهم لكاذبون؛ لأنهم يقولون ما لا يعلمون.

(١٥٣) لأي شيء يختار الله النبات دون البنين؟

(١٥٤) يئس الحكم ما تحكمونه - أيها القوم - أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم.

(١٥٥) أفلا تذكرون أنه لا يجوز ولا ينبغي أن يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١٥٦) بل ألكم حجة بيّنة على قولكم وإفرائكم؟

(١٥٧) إن كانت لكم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها، إن كنتم صادقين في قولكم؟

(١٥٨) وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسباً، ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضرون للعذاب يوم القيامة.

(١٥٩) تنزه الله عن كل ما لا يليق به ممّا يصفه به الكافرون.

(١٦٠) لكن عباد الله المخلصين له في عبادته لا يصفونه إلا بما يليق بجلاله سبحانه.

(١٦١ - ١٦٣) فإنكم - أيها المشركون بالله - وما تعبدون من دون الله من آلهة، ما أنتم بمضلين أحداً إلا من قدر الله عز وجل عليه أن يضلّ الجحيم؛ لكفره وظلمه.

(١٦٤ - ١٦٦) قالت الملائكة: وما منا أحد إلا

له مقام في الساء معلوم، وإنّا لنحن الواقفون صفوفاً في عبادة الله وطاعته، وإنّا لنحن المزّهون الله عن كل ما لا يليق به. (١٦٧ - ١٦٩) وإن كفار مكة ليقولون قبل بعثتك - أيها الرسول -: لو جاءنا من الكتب والأنبياء ما جاء الأولين قبلنا، لكننا عباد الله الصادقين في الإيمان، المخلصين في العبادة.

(١٧٠) فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، كفروا به، فسوف يعلمون ما هم من العذاب في الآخرة.

(١٧١ - ١٧٣) ولقد سبقت كلمتنا - التي لا مرد لها - لعبادنا المرسلين، أن هم النصرّة على أعدائهم بالحجة والقوة، وأنّ جندنا المجاهدين في سبيلنا هم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العقابة والمآل.

(١٧٤، ١٧٥) فأعرض - أيها الرسول - عَنّ عائد، ولم يقل الحق حتى تقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم، وأنظروهم وارتنّب ماذا يحمل بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يحمل بهم من عذاب الله.

(١٧٦، ١٧٧) أفبئزول عذابنا بهم يستعجلونك أيها الرسول؟ فإذا نزل عذابنا بهم، فبئس الصباح صباحهم.

(١٧٨، ١٧٩) وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم، وأنظروهم فسوف يرون ما يحمل بهم من العذاب والنكال.

(١٨٠) تنزه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المقترنون عليه.

(١٨١) وتحيّة الله الدائمة وثناؤه وأمانته لجميع المرسلين.

(١٨٢) والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة، فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

﴿سورة ص﴾

(٢، ١) ﴿صَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

يقسم الله سبحانه بالقرآن المشتعل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون. ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفون له.

(٣) كثيراً من الأمم أهلكتها قبل هؤلاء المشركين، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قبول توبة، ولا وقت فرار وخلاص مما أصابهم.

(٤، ٥) وعجب هؤلاء الكفار من بعث الله إليهم بشراً منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوفهم عذابه، وقالوا: إنه ليس رسولاً بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه، كيف يصير الآلهة الكثيرة إلهاً واحداً؟ إن هذا الذي جاء به ودعا إليه شيء عجيب.

(٦، ٧) وانطلق رؤساء القوم وكبراءهم يجرّضون قومهم على الاستمرار على الشرك والصبر على تعدد الآلهة، ويقولون إن ما جاء به

هذا الرسول شيء مدبر يقصد منه الرئاسة والسيادة، ما سمعنا بها يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب وافتراء.

(٨) أخصّ محمد بنزل القرآن عليه من دوننا؟ بل هم في ريب من وحيي إليك - أيها الرسول - وإرسالي لك، بل قالوا ذلك؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، فلو ذاقوا عذابه لما تجرّؤا على ما قالوا.

(٩) أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟

(١٠) أم هؤلاء المشركين ملئك السموات والأرض وما بينهما، فيعطوا ويمنعوا؟ فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع.

(١١-١٤) هؤلاء الجند المكذبون جند مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم، كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب القوة العظيمة، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب. أولئك الأمم الذين تجرّؤا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه. إن كل من هؤلاء إلا كذب الرسل، فاستحقوا عذاب الله، وحل بهم عقابه.

(١٥) وما ينتظر هؤلاء المشركون لخلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفخة واحدة ما لها من رجوع.

(١٦) وقالوا: ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم القيامة، وكان هذا استهزاء منهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عَذَابٍ وَشِقَاقٍ ۝
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ فَرَقْنًا دُورَ أُولَآئِ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَخِجْوَا
أَن جَاءَهُمْ مُّذِرُهُمْ فَهُمْ هَرَبُوا ۝ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ مُّكَذَّبٌ ۝
أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَيَّامِ الْأُولَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَحْيَالٌ ۝ أَنزَلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِن بَيْنِنَا لعلَّهُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّيْلًا وَمَوْعِدًا
۝ أَم عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُدُّ
مَا هُنَا لَكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ دُورًا لَاَوتَادٍ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِن كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابٌ ۝ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً مَّا لَهَا
مِنْ فَوَاقٍ ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا بَقُولِ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝

(١٧) اصبر - أيها الرسول - على ما يقولونه مما تكبره، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته، إنه ثواب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

(١٨، ١٩) إنا سنخرن الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه أول النهار وآخره، وسخرنا الطير معه مجموعة تسبح، وتطيع تبعاً له.

(٢٠) وقوينا له ملكه بالهبة والقوة والنصر، وآتيناه النبوة، والفصل في الكلام والحكم.

(٢١، ٢٢) وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين اللذين تسورا على داود في مكان عبادته، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تخف، فنحن خصمان ظلم أحدا الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تجز علينا في الحكم، وأرشدنا إلى سواء السبيل.

(٢٣) قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة، فطمع فيها، وقال: أعطينها، وغلبنى بحجته.

(٢٤) قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا ينبغي بعضهم على بعض، وهم قليل. وأيقن داود أننا فتناه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، وسجد تقرباً لله، ورجع إليه وتاب.

(٢٥) وفغرننا له ذلك، وجعلناه من المقربين عندنا، وأعدنا له حسن المصير في الآخرة.

(٢٦) يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملكنك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيضلك ذلك عن دين الله وشرعه، إن الذين يضلون عن سبيل الله هم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب.

وفي هذا توصية لولاة الأمر أن يحكموا بالحق المنزل من الله تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلوا عن سبيله.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَلْدَادِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ وَجَبَحْنَاهُ الْغَيْشَ وَالْإِشْرَاقَ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَبَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنبَتْنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَجَدَهُ فَقَالَ أَكْفَلْنَاهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنْ كُنَّا مِنْ لَاطِفَةِ يُسَبِّحُ بِعَصْفِهِ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَئِقًا رَحِيمًا ﴿٢٥﴾ يَذْكُرُ إِذْنَنَا وَجَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَا تَسُوؤُونَ الْحِسَابَ ﴿٢٦﴾

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَذَّبَ أَتْرَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُتْرِكًا لِيَذَرَ آلِهَتَهُ وَلِيَذَرَ كُرْهُهُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَاسِيِّ الصَّغِيرَتُ الْهَيْدُوتُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣١﴾ رَدُّهَا عَلَيَّ فَطَوَّقُ مَسْحًا بِالسُّوفِ وَالْأَعْنَقِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِي مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٤﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٥﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاسٍ ﴿٣٦﴾ وَآخَرِينَ مَقْرِينَ ﴿٣٧﴾ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ لَقِيَ اللَّهَ عِندَ الرُّبُوعِ وَحُسْنِ مَتَابٍ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ دَاكُ رِيَّهُ وَآلِي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِضَبٍّ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

(٢٧) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً وهواً، ذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل لهم من النار يوم القيامة؛ لظنهم الباطل، وكفرهم بالله.

(٢٨) أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل أهل التقوى المؤمنين كأصحاب الفجور الكافرين؟ هذه التسوية غير لائقة بحكمة الله وحُكمه، فلا يستون عند الله، بل يثيب الله المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

(٢٩) هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك؛ ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهدآياته ودلالته، وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلّفهم الله به.

(٣٠) وهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأفرنا به عينه، نِعَمَ الْعَبْدِ سُلَيْمَانَ، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه.

(٣١) اذكر حين غُرِضَ عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لنجابتها وخفتها، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس.

(٣٢، ٣٣) فقال: إنني آثرت حب الخيل عن ذكر ربّي حتى غابت الشمس عن عينيه، رُدُّوا عليّ الخيل التي غُرِضت من قبل، فرُدَّتْ عليه، فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قرّةً لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته. وكان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته.

(٣٤-٣٦) ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شقّ ولّد له حين أقسم ليطوفنَّ على نساته، وكلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقّ ولد، ثم رجع سليمان إلى ربه وتاب، قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكاً عظيماً خاصاً لا يكون مثله لأحد من البشر بعددي، إنك -سبحانك- كثير الجود والعطاء. فاستجنا له، وذلّلنا الريح تجري بأمره طيّعة مع قوتها وشدها حيث أراد.

(٣٧-٣٩) وسخَّرنا له الشياطين يستعملهم في أعماله: فمنهم البناءون والغواصون في البحار، وآخرون وهم مرءة الشياطين، موقوفون في الأغلال. هذا الملك العظيم والتسخير الخاص عطواناً لك يا سليمان، فأعط من شئت أو امنع من شئت، لا حساب عليك.

(٤٠) وإن لسليمان عندنا في الدار الآخرة قرّةً وحسن مرجع.

(٤١) واذكر -أيها الرسول- عبداً أيوب، حين دعا ربه أن الشيطان تسبب لي بتعب ومشقة، وألم في جسدي ومالي وأهلي.

(٤٢) فقلنا له: اضرب برجلك الأرض ينبع لك منها ماء بارد، فاشرب منه، واغتسلْ فيذهب عكك الضر والأذى.

(٤٣) فكشفنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة، كل ذلك رحمة منا به وإكراماً له على صبره، وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة، ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر.

(٤٤) وقلنا له: خذ بيدك حزمة من الخشيش ونحوه، فاضرب بها زوجك إبراراً يمينك، فلا تحث؛ إذ أقسم ليعضبها مائة جلدة إذا شفاه الله، لما غضب عليها من أمر يسير أثناء مرضه، وكانت امرأة سالحة، فرحمها الله ورحمه هذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، نعم العبد هو، إنه رجّاع إلى طاعة الله.

(٤٥) واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه.

(٤٦، ٤٧) إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكرّوهم بها. وإنهم عندنا لمن الذين اصطفيناهم لرسالتنا، واختارناهم لطاعتنا.

(٤٨) واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذو الكفل، بأحسن الذكر؛ إن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق،

ووهبنا له أهله، ومعلمهم معمر رحمة منا وذكرى لأولي الألباب

﴿٤٣﴾ وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحثث إنا وجدناه صابراً نعمت

العبد إله وأواب ﴿٤٤﴾ وأذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي

الأيدي والأبصار ﴿٤٥﴾ إنا آخضناهم جميعاً لاصصة ذكرى الدار ﴿٤٦﴾

وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴿٤٧﴾ وأذكر إسماعيل

واليسع وذو الكفل وكل من الأخيار ﴿٤٨﴾ هذا ذكر وإن للمتقين

لحسن مقاب ﴿٤٩﴾ جنت عدن مفتحة لهم الأبواب ﴿٥٠﴾ متكئين

فيها يبدؤن فيها بفتكحة كبيرة وشراب ﴿٥١﴾ وعندهم قسور

الظرف أثراب ﴿٥٢﴾ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴿٥٣﴾ إن هذا

لرؤفنا ماله من نقاد ﴿٥٤﴾ هذا وإن للظالمين لشر مقاب ﴿٥٥﴾

جهنم يصلونها فبئس أليهاذ ﴿٥٦﴾ هذا فليذوقوه حميم

وعساق ﴿٥٧﴾ وآخرين سكراباء أرواح ﴿٥٨﴾ هذا فوج

مفتحهم معكم لامرحبا بهم إنهم صالوا النار ﴿٥٩﴾ قالوا

بل أنتم لامرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار ﴿٦٠﴾

قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴿٦١﴾

واختار لهم أكمل الأحوال والصفات.

(٤٩-٥١) هذا القرآن ذكر وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك. وإن لأهل تقوى الله وطاقته لحسن مصير عندنا في جنات إقامة، مفتحة لهم أبوابها، متكئين فيها على الأرائك المزينات، يطلبون ما يشتهون من أنواع الفواكه الكثيرة والشراب، من كل ما تشتهي نفوسهم، وتلذذ أعينهم.

(٥٢) وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن.

(٥٣، ٥٤) هذا النعيم هو ما توعدون به -أيها المتقون- يوم القيامة، إنه لرؤفنا لكم، ليس له فناء ولا انقطاع.

(٥٥، ٥٦) هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحد في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعذبون فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم، فبئس الفرائش فراشهم.

(٥٧، ٥٨) هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه، ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان.

(٥٩) وعند توارد الطاغين على النار يشتتم بعضهم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة عظيمة من أهل النار داخله معكم، فيجيبون: لا مرحباً بهم، ولا اتسعت منازلهم في النار، إنهم مفاسون حرّ النار كما قاسيناها.

(٦٠) قال فوج الأنبياء للطاغين: بل أنتم لا مرحباً بكم؛ لأنكم قدمتم لنا سكنى النار لإضلالكم لنا في الدنيا، فبئس دار الاستقرار جهنم.

(٦١) قال فوج الأنبياء: ربنا من أضلّنا في الدنيا عن الهدى فضاعف عذابه في النار.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٣﴾ أَتَعَذَّلُكُمْ
 بِسِحْرِنَا أَمْ رَأَيْتُ عِزَّتَهُمْ أَلَّا يُنْصَرُ ﴿٦٤﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَنُحْشَرُهُمْ أَهْلُ
 النَّارِ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَمِمَّنْ أَلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٦﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقِيرُ ﴿٦٧﴾ قُلْ هُوَ يَتَوَكَّلُ
 عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٧٠﴾ إِنْ نُوحِيَ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧١﴾ إِذْ قَالَ
 رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٢﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
 فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٧٤﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ
 يَبْنَؤُا لَيْسَ بِأَمْرٍ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَفَكُنْتَ
 مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿٧٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
 ﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأْظَنِي فِي يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ ﴿٨١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
 لَأَعْرِضَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٤﴾

(٦٣، ٦٤) وقال الطاغون: ما بالنا لا نرى
 في النار رجالاً كنا نعددهم في الدنيا من الأشرار
 الأشقياء؟ هل تحقيرنا لهم واستهزأنا بهم
 خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم
 الأبصار؟

(٦٤) إن ذلك من جدال أهل النار وخصامهم
 حق واقع لا مرية فيه.

(٦٥) قل -أيها الرسول- لقومك: إنا أنا نذير
 لكم من عذاب الله أن يجلب بكم؛ بسبب كفركم
 به، ليس هناك إله مستحق للعبادة إلا الله وحده،
 فهو المفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله،
 القهار الذي فهر كل شيء وغلبه.

(٦٦) مالك السموات والأرض وما بينهما
 العزيز في انتقامه، الغفار للذنوب من تاب وأناب
 إلى مرضاته.

(٦٧، ٦٨) قل -أيها الرسول- لقومك: إن
 هذا القرآن خبر عظيم النفع. أنتم عنه غافلون
 منصرفون، لا تعملون به.

(٦٩) ليس لي علم باختصاص ملائكة السماء في
 شأن خلق آدم، لولا تعليم الله إياي، وإجاءه
 إلي.

(٧٠) ما يوحى إلي من علم ما لا علم لي به
 إلا لأني نذير لكم من عذابه، مبين لكم شرعه.

(٧١، ٧٢) أذكر لهم -أيها الرسول-: حين قال

ربك للملائكة: إني خالق بشر من طين. فإذا سويت جسده وخلقه ونفخت فيه الروح، فاسجدوا له
 سجود تحية وإكرام، لا سجود عبادة وتعظيم؛ فالعبادة لا تكون إلا لله وحده. وقد حرم الله في شريعة الإسلام السجود
 للتحية.

(٧٣، ٧٤) فسجد الملائكة كلهم أجمعون طاعة وامتثالاً غير إبليس؛ فإنه لم يسجد ثقةً وتكبراً، وكان من الكافرين في علم
 الله تعالى.

(٧٥) قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمتُه فخلقتُه بيدي؟ استكبرت على آدم، أم كنت من المتكبرين
 على ربك؟ وفي الآية إثبات صفة الدين لله تبارك وتعالى، على الوجه اللائق به سبحانه.

(٧٦) قال إبليس معارضاً لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، حيث خلقتني من نار، وخلقه من طين. والنار خير من
 الطين.

(٧٧، ٧٨) قال الله له: فأخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون، وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم الجزاء
 والحساب.

(٧٩) قال إبليس: رب فأخر أجلي، ولا تهلكني إلى حين تبعث الخلق من قبورهم.

(٨٠، ٨١) قال الله له: فإنك من المؤخرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق.

(٨٢، ٨٣) قال إبليس: فبعزتك يا رب -وعظمتك لأضلل بني آدم أجمعين، إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته
 من إضلائي، فلم تجعل لي عليهم سبيلاً.

(٨٤، ٨٥) قال الله: فالحق مني، ولا أقول إلا الحق، لأسألك جهنم منك ومن ذريتك ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

(٨٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجراً أو جزاء على دعوتكم وهدايتكم، ولا أدعي أمراً ليس لي، بل أتبع ما يوحى إلي، ولا أتكلف تحملاً وافتراءً.

(٨٧) ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم.

(٨٨) ولتعلمن -أيها المشركون- خبر هذا القرآن وصدقه، حين تغلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجاً، وكذلك حين يقع عليكم العذاب، وتنقطع عنكم الأسباب.

﴿سورة الزمر﴾

(١) تنزيل القرآن إنما هو من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه.

(٢) إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك.

(٣) ألا الله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك، والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع

الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة، فكفروا بذلك؛ لأن العبادة والشفاعة لله وحده، إن الله يفصل بين المؤمنين المخلصين والمشركين مع الله غيره يوم القيامة فيما يختلفون فيه من عبادتهم، فيجازي كلأباً يستحق. إن الله لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو مفتر على الله، كقار بأياته وحججه.

(٤) لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء، تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار الذي فخر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذل خاضع.

(٥) خلق الله السموات والأرض وما فيها بالحق، يحيي بالليل ويذهب بالنهار، ويحيي بالنهار ويذهب بالليل، ودلّل الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد، كل منها يجري في مداره إلى حين قيام الساعة. ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار لذنوب عباده النائيين.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ۖ لَا مَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ۖ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۖ

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ ۚ أَلَا
مَنْ عَصَاهُمْ أَلَّا يُلَاقُوا إِلَى اللَّهِ لُزُومًا ۚ إِنَّ اللَّهَ بِخُفْيَتِهِمْ
بَصِيرٌ ۚ فَمَنْ فِيهِمْ لَمْ يُفْلِتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَذِبٌ كَفَّارٌ ۚ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى
وَمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
ۖ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى
النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۖ

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُجْعَلٌ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ
 مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِيدَةً أَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَحْسَبُوا فِي بَطْنِ أَمْهَاتِكُمْ
 خَلْقًا قَرِينَ بَعْدَ خَلْقِ قَوْمِكُمْ تِلْكَ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِلُ الضَّالِّينَ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
 لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝
 * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۖ فَإِذَا حُوتَ بِهِ بِعَمَّةٍ
 مِّنْهُ شَيْءٍ مَا كَانَ يَقُولُ إِلَّا غَوِيًّا ۚ وَمَنْ يَدْعُوا لِلَّهِ مَعَ مَا أُتِيَ بِهِ
 عَنْ سَبِيلِهِ ۖ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ
 ۝ أَمَنْ هُوَ قَاتِلُ عَائِشَةَ ابْنَةَ أَبِي لَهَبٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَنْزِرُ الْأَخِرَةَ
 وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝

(٦) خلقكم ربكم - أيها الناس - من آدم، وخلق منه زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرنا وأنتى من الإبل والبقرة والضأن والمعز، يخلقكم في بطون أمهاتكم طورا بعد طور من الخلق في ظلمات البطن، والرحم، والمشيمة، ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء، ربكم المنفرد بالملك المتوحد بالالوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره من خلقه؟

(٧) إن تكفروا - أيها الناس - بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غني عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم به، وإنما يرضى لهم شكر نعمه عليهم. ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مصيركم، فيخبركم بعملكم، ومحاسبكم عليه. إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور.

(٨) وإذا أصاب الإنسان بلاء وشدة ومرض تذكر ربه، فاستغاث به ودعاه، ثم إذا أجابه وكشف عنه ضره، ومنحه نعمه، نسي دعاءه

لربه عند حاجته إليه، وأشرك معه غيره؛ ليضل غيره عن الإيمان بالله وطاعته، قل له - أيها الرسول - متوعداً: تمتع بكفرك قليلاً حتى موتك وانتهاء أجلك، إنك من أهل النار المخلدين فيها.

(٩) أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئاً من ذلك؟ لا يستون. إنما يتذكر الفرق أصحاب العقول السليمة.

(١٠) قل - أيها النبي - لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته. للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم وطاعة حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك. وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. إنما يعطى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حد ولا عد ولا مقدار، وهذا تعظيم لجزاء الصابرين وثوابهم.

(١١، ١٢) قل -أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبعني بإخلاص للعبادة له وحده دون سواه، وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة.

(١٣) قل -أيها الرسول- للناس: إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته والإخلاص في طاعته عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يعظم هوله.

(١٤، ١٥) قل -أيها الرسول-: إني أعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له عبادي وطاعتي، فاعبدوا انتم -أيها المشركون- ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فلا يضرني ذلك شيئاً. وهذا تهديد ووعيد لمن عبد غير الله، وأشرك معه غيره. قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين -حقاً- هم الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة هو الخسران البين الواضح.

(١٦) أولئك الخاسرون لهم يوم القيامة في جهنم من فوفهم قطع عذاب من النار كهية الظلل المبنية، ومن تحتهم كذلك. ذلك العذاب الموصوف بخوف الله به عباده؛ ليحذروه. يا عباد فاتقوا بامتثال أوامري واجتناب معاصي. (١٧، ١٨) والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، لهم البشرية في الحياة الدنيا بالبناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والتعيم الدائم في الجنة. فبشر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أمره، وأحسن الكلام وأرشده كلام الله ثم كلام رسوله. أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهادهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة. (١٩) أقمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيّه وعناده، فإنه لا حيلة لك -أيها الرسول- في هدايته، أفقدر أن تنقذ من في النار؟ لست بقادر على ذلك.

(٢٠) لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته- لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار، وعددها الله عبادته المتقين وعداً متحققاً، لا يخلف الله الميعاد.

(٢١) ألم تر -أيها الرسول- أن الله أنزل من السحاب مطراً فأدخله في الأرض، وجعله عيوناً نابعة ومياهاً جارية، ثم يخرج بهذا الماء زرعاً مختلفاً ألوانه وأنواعه، ثم يبيس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفراً لونه، ثم يجعله حطاماً متكسراً مفتتتاً؟ إن في فعل الله ذلك لذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، قَوَّلٌ
لِلْقَنَسَةِ فُلُوهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ ﴿٢٢﴾
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْسَعُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَدُّمْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ وَجْهَهُ سَوْءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَّا اللَّهُ الْحَزَنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَوَيْلٌ لَنَا عَرَبِيًّا
عَرَبِيٌّ عَوِجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ
مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَتَحْصَمُونَ ﴿٣١﴾

(٢٢) أفمن وسَّع الله صدره، فسعد بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان به، فهو على بصيرة من أمره وهدى من ربه، كمن ليس كذلك؟ لا يستوون. فويل وهلاك للذين قَسَّتْ قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله، أولئك في ضلال بين عن الحق.

(٢٣) الله تعالى هو الذي نزل أحسن الحديث، وهو القرآن العظيم، متشابهاً في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تَكَرَّرُ فيه القصص، والأحكام، والحجج والبيانات، وتُعَاد ثلاثه فلا يُمَلُّ على كثرة الترداد، تقسُّعُ من سماعه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم؛ تأثراً بما فيه من ترهيب ووعيد، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم؛ استبشاراً بما فيه من وعد وترغيب، ذلك التأثير بالقرآن هداية من الله لعباده. والله يهدي بالقرآن مَنْ يشاء من عباده. ومن يضلله الله عن الإيمان بهذا القرآن؛ لكفره وعناده، فما له مِنْ هاد يهديه ويوقفه.

(٢٤) أفمن يُلْقَى في النار مغلولاً - فلا يتهاى له أن يتقي النار إلا بوجهه؛ لكفره وضلاله - خير أم من ينعم في الجنة؛ لأن الله هداه؟ وقبل يومئذ للظالمين: ذوقوا وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

(٢٥، ٢٦) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ - أيها الرسول - رسلمهم، فجاءهم العذاب من حيث لا يشعرون بمحبته، فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعدَّ لهم عذاباً أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حُلَّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لاتعظوا.

(٢٧، ٢٨) ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفاً وتحذيراً؛ ليتذكروا فينزعوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. وجعلنا هذا القرآن عربياً واضح الألفاظ سهل المعاني، لا بُس فيه ولا انحراف؛ لعلهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢٩) ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لشركا متزاعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبداً خالصاً للمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان مثلاً؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حيرة وشك، والمؤمن في راحة واطمئنان. فالثناء الكامل التام لله وحده، بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه.

(٣٠، ٣١) إنك - أيها الرسول - ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم جميعاً - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف.

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِيهِمْ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿٣٢﴾
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَ اللَّهُ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ وَبِخَوَفِكَ بِالْذِّينِ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرَّتِهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ
قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ يَتَقَوُّوا
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِرِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾

(٣٢) لا أحد أظلم من افترى على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ولا أحد أظلم من كذب بالحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بها جاء به؟ بلى.

(٣٣) والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدق به إيماناً وعملاً، أولئك هم الذين جمعوا خصال التقوى، وفي مقدمة هؤلاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به، العاملون بشريعته من الصحابة، رضي الله عنهم، فمن بعدهم إلى يوم الدين.

(٣٤) هم ما يشاؤون عند ربهم من أصناف اللذات والمشتهات؛ ذلك جزاء من أطاع ربه حق الطاعة، وعبد حقه العبادة.

(٣٥) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال؛ بسبب ما كان منهم من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها، وبشيء الله على طاعتهم في الدنيا بأحسن ما كانوا

يعملون، وهو الجنة.

(٣٦) أليس الله بكاف عبده محمداً وعبد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟ بلى إنه سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من أراد به بسوء، ويخوفونك - أيها الرسول - بالهتهم التي زعموا أنها ستؤذيكم. ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق، فما له من هاد يهديه إليه.

(٣٧) ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتباع رسوله فما له من مضل عن الحق الذي هو عليه. أليس الله بعزيز انتقامه من كفره خلقه، ومن عصاه؟

(٣٨) ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: من خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ الله، فهم يقرّون بالخالق. قل لهم: هل تستطيع هذه الآلهة التي تشركونها مع الله أن تبعد عني أذى قدره الله عليّ، أو تزيل مكروهاً لحق بي؟ وهل تستطيع أن تمنع نفعاً يسره الله لي، أو تحبس رحمة الله عني؟ إنهم سيقولون: لا نستطيع ذلك. قل لهم: حسبي الله وكافي، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، وسيكفيني كل ما أهمني.

(٣٩، ٤٠) قل - أيها الرسول - لقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم من لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء، إني عامل على ما أمرت به من التوجه لله وحده في أقوالي وأفعالي، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب بينه في الحياة الدنيا، ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كُنْتُمْ أَنْزِلَ كُتُوبٌ سَبْعًا وَلَا يَتَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ اللَّهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيْهِ الْعِزَّةُ ۖ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كُنُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ سَوْءِ الْعَذَابِ ۖ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَّ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(٤١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ - أيها الرسول - القرآن بالحق هداية للعالمين، إلى طريق الرشاد، فمن اهتدى بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه، فنفع ذلك يعود على نفسه، ومن ضل بعد ما تبين له الهدى، فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يضر الله شيئا، وما أنت - أيها الرسول - عليهم بوكيل تحفظ أفعالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ.

(٤٢) الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يقبض الأنفس حين موتها، وهذه الوفاة الكبرى وفاة الموت بانقضاء الأجل، ويقبض التي لم تمت في منامها، وهي المنة الصغرى، فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس من مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها، إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وجسه نفس الميت لدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر.

(٤٣) أَمْ اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ مِنْ دُونِهِ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا شُفَعَاءَ، تشفع لهم عند الله في

حاجاتهم؟ قل - أيها الرسول - هم: اتَّخَذُونَهَا شُفَعَاءَ كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئا، ولا تعقل عبادتكم لها؟ (٤٤) قل - أيها الرسول - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: الله الشفاعة جميعا، له ملك السموات والأرض وما فيها، فالأمر كله لله وحده، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فهو الذي يملك السموات والأرض ويتصرف فيها، فالواجب أن تُطلب الشفاعة ممن يملكها، وأن تُخلص له العبادة، ولا تُطلب من هذه الآلهة التي لا تضر ولا تنفع، ثم إليه تُرجعون بعد عما كنتم للحساب والاجزاء.

(٤٥) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات، وإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقا لأهوائهم.

(٤٦) قُلْ: اللَّهُمَّ يَا خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ومبدعها على غير مثال سبق، عالم السر والعلانية، أنت تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك والإيمان بك وبرسوك، اهتدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. وكان هذا من دعائه صلى الله عليه وسلم، وهو تعليم للعباد بالالتجاء إلى الله تعالى، ودعائه بأسائه الحسنی وصفاته العلی.

(٤٧) وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْ مَالٍ وَذَخَائِرٍ، ومثله معه مضاعفا، لبذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوه وافتدوا به ما قُبِلَ منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئا، وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَ في الدنيا أنه نازل بهم.

(٤٨) وظهر هؤلاء المكذبين يوم الحساب جزاء سيئاتهم التي اقترفوها، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وارتكبوا المعاصي في حياتهم، وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقاباً لهم على استهزائهم بالإنذار بالعذاب الذي كان الرسول يعدّهم به، ولا يابهن له.

(٤٩) فإذا أصاب الإنسان شدة وضّر، طلب من ربه أن يُفرّج عنه، فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بريه كافراً، ولفضله منكراً، قال: إن الذي أوتيته إنما هو على علم من الله أني له أهل ومستحق، بل ذلك فتنة يبلي الله بها عباده؛ لينظر من يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم - لجهلهم وسوء ظنهم - لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم.

(٥٠) قد قال مقاتلهم هذه من قبلهم من الأمم الخالية المكذبة، فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال والأولاد.

(٥١) فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال،

فعوجلوا بالخزي في الحياة الدنيا، والذين ظلموا أنفسهم من قومك - أيها الرسول -، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضاً وبال سيئات ما كسبوا، كما أصاب الذين من قبلهم، وما هم بفاتنين الله ولا سابقيه.

(٥٢) أولم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده، صالحاً كان أو طالحاً، ويضيّع على من يشاء منهم؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لدلالات واضحات لقوم يُصدّقون أمر الله ويعملون به.

(٥٣) قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تمادوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تبتسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

(٥٤) وارجعوا إلى ربكم - أيها الناس - بالطاعة والتوبة، واخضعوا له من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصركم أحد من دون الله.

(٥٥) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم لا تعلمون به.

(٥٦) وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتنا على ما ضيعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصّرت في طاعته وحقه، وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

وَيَذَٰلِكَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥١﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ
نِعْمَةٌ مَّتَّأ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۗ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِن
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٤﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٥﴾ قُلْ يَتَّبِعَادِ الَّذِينَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ۚ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَتَأْتُمُوا لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٨﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي
عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٩﴾

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ
 حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
 بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَأً إِلَيْنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ
 مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
 اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
 وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيزَانٍ فِيهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَعَيَّاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
 أَغْفِرَ اللَّهُ تَمَرُّؤَ أَغْدَأُهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
 أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
 لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
 اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَائِشِرُكُونَ ﴿٦٧﴾

(٥٧) أو تقول: لو أن الله أرشدني إلى ديه لكنت من المتقين الشرك والمعاصي.

(٥٨) أو تقول حين ترى عقاب الله قد أحاط بها يوم الحساب: ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا، فأكون فيها من الذين أحسنوا بطاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.

(٥٩) ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذبت بها، واستكبرت عن قبولها واتباعها، وكنت من الكافرين بالله ورسله.

(٦٠) ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوهم مسودة. أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحده وطاعته؟ بل.

(٦١) وينجي الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائض واجتناب نواهيه بفوزهم وتحقق أمنيته، وهي الظفر بالجنة، لا يمسه من عذاب جهنم شيء، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٦٢) الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها، وهو على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

(٦٣) لله مفاتيح خزائن السموات والأرض، يعطي منها خلقه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخذلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار.

(٦٤) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أغفر الله أيها الجاهلون بالله تأمروني أن أعبد، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؟

(٦٥) ولقد أوحى إليك -أيها الرسول- وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره لبيطلن عملك، ولتكونن من الهالكين الخاسرين دينك وآخرتك؛ لأنه لا يقبل مع الشرك عمل صالح.

(٦٦) بل الله فاعبد -أيها النبي- مخلصاً له العبادة وحده لا شريك له، وكن من الشاكرين لله نعمه.

(٦٧) وما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، تنزه وتعظم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون. وفي الآية دليل على إثبات القبضة، واليمين، والطّي، لله كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تكليف ولا تشبيه.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَهَّاءُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا لَا نَبِيَّ لَنَا وَلَكِنَّ كَلِمَةً الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِمَا كُفَرْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُم مَّرَكَبُونَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَهَّاءُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَسَبَوُا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

(٦٨) ونُفِخَ في «الْقَرْنَ» فبات كُلُّ مَنْ في السموات والأرض، إلا مَنْ شاء الله عدم موته، ثم نفخ الملك فيه نفخة ثانية مؤذناً بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم؟

(٦٩) وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجلجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد، وجيء بالنبيين والشهود على الأمم؛ ليسأل الله النبين عن التبليغ وعما أجابتهم به أعمهم، كما تأتي أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لتشهد بتبليغ الرسل السابقين لأمتهم إذا أنكرت هذا التبليغ، فتقوم الحجة على الأمم، وقضى رب العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

(٧٠) ووفى الله كُلُّ نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية.

(٧١) وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم

جماعات، حتى إذا جاؤوها فتح الخزنة الموكلون بها أبوابها السبعة، وزجرهم قائلين: كيف تعصون الله وتحجودون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلاً منكم يتلون عليكم آيات ربكم، ويحذرونكم أهوال هذا اليوم؟ قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به.

(٧٢) قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالاً: ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها أبداً، ففُتِحَ مصير المتعالمين على الإيذان بالله والعمل بشريعة.

(٧٣) وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات، حتى إذا جاؤوها وُسِّفَع لهم بدخولها، فتحت أبوابها، فترحب بهم الملائكة الموكلون بالجنة، ويُخَوِّنهم بالبشر والسرور؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم، وسليمتم من كل آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنة خالدين فيها.

(٧٤) وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا إياه على السنة رسله، وأورثنا أرض الجنة ننزل منها في أي مكان نشاء، فنعيم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

وَنَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٢﴾ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِهِ اللَّهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْنَزِيكَ تَقْلِيدُهُمْ فِي الْيَلْدِ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْجُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦﴾

(٧٥) ونرى - أيها النبي - الملائكة محيطين بعرش الرحمن، ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، وقضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل، فأسكن أهل الإيمان الجنة، وأهل الكفر النار، وقيل: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به بين أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

﴿سورة غافر﴾

(١) ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
(٢) تنزيل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله - عز وجل - العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق، العليم بكل شيء.
(٣) غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على مَنْ تَجَرَأَ على الذنوب ولم يتب منها، وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضل على عباده الطائعين، لا معبود يستحق العبادة سواه، إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلًّا بما يستحق.
(٤) ما يخاصم في آيات القرآن وأدلته على وحدانية الله، ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده، فلا يغرك - أيها الرسول - ترددهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها.

(٥) كَذَّبَتْ قَبْلَهُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ قَوْمُ نُوحٍ وَمَنْ تَلَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ التي أعلنت حربها على الرسل كعاد وثمود، حيث عزموا على إيذائهم وتجمّعوا عليهم بالتعذيب أو القتل، وهَمَّتْ كل أمة من هذه الأمم المكذبة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا بالباطل؛ ليطلوا بجدهم الحق فعاقبتهم، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟
(٦) وكما حق العقاب على الأمم السابقة التي كذّبت رسلها، حق على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.
(٧) الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومن حول العرش من يَحُفُّ به منهم، ينزهون الله عن كل نقص، ويمجدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان، ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين، قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما، فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلوكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام، وتجنّبهم عذاب النار وأهوالها.

(٨) ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم، ومن صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وأولادهم. إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٩) واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها، ومن تصرف عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك، وذلك هو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

(١٠) إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، وصرفوا العبادة لغيره عندما يعابنون أهوال النار بأنفسهم، يَمَقُّون أنفسهم أشد المقت، وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم: لَمَقَّتْ لَكُمْ في الدنيا - حين طلب منكم الإيمان به واتباع رسله، فأبىتم - أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله وعذابه.

(١١) قال الكافرون: ربنا أمثنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نطعم قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا يوم ولدنا، ويوم بُعِثْنَا من قبورنا، فنحن الآن نُقَرُّ بأخطائنا السابقة، فهل لنا من

رَبَّنَا وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّعِيَاتُ وَمَنْ تَقَى السَّعِيَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادِلُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَبْصَرُ مِنْ مَقَّتْ كُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنَا وَأَحْيَيْنَا أَفْتِنَا فَأَعْرَفْنَا بِدُعَائِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَأَلْهَمْنَا اللَّهُ الْعَلِيَّ الْكَبِيرَ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَسْتَكْبِرُ إِلَّا مَنْ يَنْبَغِ ﴿١٣﴾ فَأَدْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَسَنَ الْمَلُوكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ ولكن هيئات أن ينفعهم هذا الاعتراف.

(١٢) ذلكم العذاب الذي لكم - أيها الكافرون - بسبب أنكم كنتم إذا دُعِيتُم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن يُجْعَلْ لله شريك تُصَدِّقُوا به وتبوعوه. فإله سبحانه وتعالى هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو الذي له علو الذات والقدْر والقهر، وله الكبرياء والعظمة.

(١٣) هو الذي يُظْهِرُ لكم - أيها الناس - قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها، ويُزِيلُ لكم من السماء مطراً تَرْتَرُّونَ به، وما يتذكر هذه الآيات إلا من يرجع إلى طاعة الله، ويخلص له العبادة.

(١٤) فأخلصوا - أيها المؤمنون - لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكتهم، ولو أغضبهم ذلك، فلا تبالوا

(١٥) إن الله هو العليُّ الأعلى الذي ارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وهو صاحب العرش العظيم، ومن رحمة عباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوف الرسل عباد الله، وتذريهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرين.

(١٦) يوم القيامة تظهر الخلائق أمام ربهم، لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء، يقول الله سبحانه: لسن الملك والتصرف في هذا اليوم؛ فيجيب نفسه: لله المنفرد بأسائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته.

الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لَظَلَمُوا مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِصَةَ الْعَيْنِ وَمَخِيطَةَ الصُّدُورِ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
 يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

(١٧) اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر، لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته. إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطنوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب.

(١٨) وحذر - أيها الرسول - أيها الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه، إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم، وهم ممتلئون غيًّا وحنًا. ما للظالمين من قريب ولا صاحب، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

(١٩) يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات، وما يضمرة الإنسان في نفسه من خير أو شر.

(٢٠) والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه، والذين يعبدون من دون الله من الآفة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك. إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

(٢١) ألم يبره هؤلاء المكذبون برسالتيك - أيها الرسول - في الأرض، فيظنوا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟ كانوا أشد منهم بطشًا، وأبقى في الأرض آثارًا، فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم، فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام، وما كان لهم من عذاب الله من واق يقيهم منه، فيدفعه عنهم.

(٢٢) ذلك العذاب الذي حلّ بالمكذبين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم، فكفروا بهم وكذبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

(٢٣) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا العظيمة الدالة على حقيقة ما أرسل به، وحجة واضحة بينة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه من أرسل إليهم.

(٢٤) إلى فرعون ملك «مصر»، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فأنكروا رسالته واستكبروا، وقالوا عنه: إنه ساحر كذاب، فكيف يزعم أنه أرسل للناس رسولاً؟

(٢٥) فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة من عندنا، لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها، بل قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق. وما تدبير أهل الكفر إلا في ذهاب وهلاك.

(٢٦) وقال فرعون لأشرف قومه: اتركوني أقتل موسى، ولیدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا، إني أخاف أن يُبدّل دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يُظهِر في أرض «مصر» الفساد.

(٢٧) وقال موسى لفرعون وملئه: إني استعجرت بربي وربكم - أيها القوم - من كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه.

(٢٨) وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتُم إيمانه منكرًا على قومه: كيف تستحلون قتل رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول؟ وإن يك موسى كاذبًا فإنّ وبالشك كذبه عائد عليه وحده، وإن يك صادقًا لحقكم بعض الذي يتوعدكم به، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ بَا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ صَادِقًا نُصَبِّحُكَ بِعُصَى الَّتِي يَبْعَثُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَتَقَوَّمُ لَكُمْ
الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّسَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْآخِرَاتِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَقَوْمٍ وَآلِيزِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾
وَيَقَوَّمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنَادُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

(٢٩) يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض «مصر» على رعيّتكم من بني إسرائيل وغيرهم، فمن يدفع عنا عذاب الله إن حلّ بنا؟ قال فرعون لقومه مجيباً: ما أريكم - أيها الناس - من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أَدْعُوكُمْ إلا إلى طريق الحق والصواب.

(٣٠) وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظاً ومُحذراً: إني أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على أنبيائهم.

(٣١) مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكتهم الله بسبب ذلك. وما الله سبحانه يريد ظلمًا للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه. تعالى الله عن الظلم والنقص علواً كبيراً.

(٣٢) وبيا قوم إني أخاف عليكم عقاب يوم القيامة، يوم ينادي فيه بعض الناس بعضاً من هول الموقف في ذلك اليوم.

(٣٣) يوم تولون ذاهبين هارين، ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم. ومن يجذله الله ولم يوفقه إلى رشد، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب.

وَلَقَدْ جَاءَكَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ يَا بَنِيَّ فَإِنَّمَا لَمْ يَكُنْ فِي
 شَيْءٍ مِمَّا جَاءَكَ بِهِ حَتَّى إِذَا هَكَاءَ فَلَمْ يَكُنْ يَبْعَثُ اللَّهَ
 مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
 أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
 يَطْعُمُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
 يَهْمَكُنْ أَنِّي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَسْجُدْ
 السَّمَوَاتِ فَأَطَاعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا
 وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
 وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ
 يَنْقُورُ أَتَجْعَلُ أَهْدَكُ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُورُ
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
 دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
 وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا أَنَا نُوْثِرُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالُوا لَيْكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(٣٤) ولقد أرسل الله إليكم النبي الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولاً، مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شاكاً في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد.

(٣٥) الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كبر ذلك الجدال مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا، كما حُتِمَ بالضلال وحجَبَ عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، ينجُمُ الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

(٣٦، ٣٧) وقال فرعون مَكْذِباً لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابني لي بناءً عظيماً؛ لعلِّي أبلغ أبواب السموات

وما يوصلني إليها، فَأَنْظَرُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى بِنَفْسِي، وَإِنِّي لِأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ أَنْ لَنَا رَبًّا، وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، وَهَكَذَا زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ عَمَلُهُ السَّيِّئَ فَرَأَاهُ حَسَنًا، وَصُدَّ عَنِ سَبِيلِ الْحَقِّ؛ بِسَبَبِ الْبَاطِلِ الَّذِي زُيِّنَ لَهُ، وَمَا احْتِيَالَ فِرْعَوْنُ وَتَدْبِيرُهُ لِإِهْمَامِ النَّاسِ أَنَّهُ حَقٌّ، وَمُوسَى مُبْطِلٌ إِلَّا فِي خَسَارٍ وَبَوَارٍ، لَا يَفِيدُهُ إِلَّا الشَّقَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٣٨) وقال الذي آمن معياداً نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم طريق الرشد والصواب.

(٣٩) يا قوم إن هذه الحياة الدنيا حياة يتنعم الناس فيها قليلاً، ثم تنقطع وتزول، فينبغي ألا تَرْكَبُوا إِلَيْهَا، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ بِهَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ هِيَ عِلَى الْإِقَامَةِ الَّتِي تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تُوْثِرُوهَا، وَتَعْمَلُوا لَهَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي يُسَعِّدُكُمْ فِيهَا.

(٤٠) من عصي الله في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فَلَا يُجْزَى فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عِقَابًا بِسَاوِي عَصِيَّتِهِ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَعَمِلَ صَالِحًا بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، ذَكَرْنَا أَنَّ أُنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مُوَحِّدٌ لَهُ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ فِيهَا مِنْ ثَمَرِهَا وَنَعِيمِهَا وَلِذَلِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(٤١) وبما قوم كيف أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة والبعد عن أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟ (٤٢) تدعونني لا كفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق العبادة من دونه - وهذا من أكبر الذنوب وأقبحها - وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته.

(٤٣) حقاً أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه، واعلموا أن مصير الخلائق كلها إلى الله سبحانه، وهو يجازي كل عامل بعمله، وأن الذين تعدوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار.

(٤٤) فلما نصحهم ولم يطيعوه قال لهم: فتذكرون أني نصحت لكم وذكركم، وسوف تندمون حيث لا ينفع الندم، وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه. إن الله سبحانه

وَيَقُولُ مَا إِلَىٰ أَذْعُوكُمْ إِلَىٰ النَّارِ وَتَدْعُونَنِي إِلَىٰ النَّارِ ۖ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ۚ وَأَنْ مَّرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ فَسْتَكْذُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ فَوَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا كُفَرُوا وَحَافٍ بِقَالَ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ۖ هَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا ۖ ضَعِيفَاتٌ فِي النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَدْحًا كَمِ بَيْتِ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ

وتعالى بصير بأحوال العباد، وما يستحقونه من جزاء، لا يخفى عليه شيء منها.

(٤٥) فوحي الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوبات مكر فرعون وآله، وحلَّ بهم سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم.

(٤٦) لقد أصابهم الغرق أولاً وهلكوا، ثم يُعذبون في قبورهم حيث النار، يُعرضون عليها صباحاً ومساءً إلى وقت الحساب، ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء. وهذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر.

(٤٧) وإذ يتخاصم أهل النار، ويعتاب بعضهم بعضاً، فيحتج الأتباع المقلدون على رؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم، وزَيَّنوا لهم طريق الشقاء، قائلين لهم: هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بتحملكم قسطاً من عذابنا؟

(٤٨) قال الرؤساء المستكبرون مبينين عجزهم: لا نتحمل عنكم شيئاً من عذاب النار، وكلنا فيها، لا خلاص لنا منها، إن الله قد قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحق كل منا بقضائه العادل.

(٤٩) وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يُخَفِّفْ عَنَّا يوماً واحداً من العذاب؛ كي نحصل لنا بعض الراحة.

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى
 قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝
 إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ
 وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 الْهُدَى وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۝ هُدًى
 وَذِكْرًا لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ فَأَصْرَفَتْ وَعَدَ اللَّهِ
 حَقًّا وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ
 وَالْإِبْكَرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِيءَ آيَاتِ اللَّهِ
 يَغْتَرِبُونَ فِيهَا سُلْطَانًا لَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
 مَا هُمْ بِبَلِغِينَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ۝ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ
 خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۝ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُوتَ ۝

(٥٠) قال خزنة جهنم لهم توبيحاً: هذا الدعاء لا ينفعكم في شيء، أولم تأتكم رسلكم بالحجج الواضحة من الله فكذبتموه؟ فاعترف الجاحدون بذلك وقالوا: بلى. فتبرأ خزنة جهنم منهم وقالوا: نحن لا ندعو لكم، ولا نشفع فيكم، فادعوا أنتم، ولكن هذا الدعاء لا يغني شيئاً، لأنكم كافرون. وما دعاء الكافرين إلا في ضياع لا يقبل، ولا يستجاب.

(٥١) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ونؤيدهم على مَنْ آذاهم في حياتهم الدنياه، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم.

(٥٢) يوم الحساب لا يتفجع الكافرون الذين تعدوا حدود الله بها بقدمونه من عذر لتكذيبهم رسل الله، ولهم الطرد من رحمة الله، ولهم الدار السيئة في الآخرة، وهي النار.

(٥٣، ٥٤) ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق

من التوراة والمعجزات، وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلفاً عن سلف، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

(٥٥) فاصبر - أيها الرسول - على أذى المشركين، فقد وعدناك بإعلاء كلمتك، ووعدنا حق لا يتخلف، واستغفر لذنبك، وذرهم على تنزيه ربك عما لا يليق به، في آخر النهار وأوله.

(٥٦) إن الذين يدفعون الحق بالباطل، ويردّون الحجج الصحيحة بالشبهة الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق؛ حسداً منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمهم بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه، فاعتصم بالله من شرهم؛ إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

(٥٧) لَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ.

(٥٨) وما يستوي الأعْمى والبصير، وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقِرُّونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ، ويستجيبيون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله، ولا يعملون بشرعه. قليلاً ما تذكرون - أيها الناس - حجج الله، فتعترون، وتتعتلون بها.

(٥٩) إن الساعة لأتية لا ريب فيها، فأيقنوا بمجيئها، كما أخبرت بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصدّقون بمجيئها، ولا يعملون لها.
(٦٠) وقال ربكم - أيها العباد -: ادعوني وحدي وخصّوني بالعبادة أستجب لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين.

(٦١) الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئاً؛ لتضئوا فيه أمور معاشكم. إن الله لذو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة.

(٦٢) الذي أنعم عليكم بهذه النعم إنما هو ربكم خالق الأشياء كلها، لا إله يستحق العبادة غيره، فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلائله؟

(٦٣) كما كذبتم بالحق - ياكفار فريش - وأعرضتم عنه إلى الباطل، يُصرف عن الحق

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَدْ ذُوقْتُ كَيْدَكَ يَوْمَكَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَادِبُ اللَّهُ يُخْجِدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَادِعُ عِوَاهُ الْمُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

والإيمان به الذين كانوا بحجج الله وأدلته يمجّدون.

(٦٤) الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويسر لكم الإقامة عليها، وجعل السماء سقفاً للأرض، وبث فيها من العلامات الهادية، وخلقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم، وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم، فتكاثر خيره وفضله وبركته، وتنزه عمّا لا يليق به، وهو ربُّ الخلائق أجمعين.

(٦٥) هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة لا إله غيره، فاسألوه واصرفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم. فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين.

(٦٦) قل - أيها الرسول - لمشركي قومك: إني نُهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، لمّا جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وأمرني أن أخضع وأتقاد بالطاعة التامة له، سبحانه رب العالمين.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ تَكُونُوا سُيُوفًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ أَفَّاكِمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحْدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُنْصَرَفُونَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِذَا الْأَغْصَانُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّيْلُ يَسْحَبُونَ ﴿٣٩﴾ فِي الْحَجِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَكْشَرٌ تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ دُونَ اللَّهِ قَالُوا أَصَلُّوا عَنَّا قُلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُونَا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٤٣﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَدْ قُدِّرَ لَكُمْ أَلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّاكَ فَأَيُّ تَارِكِ جَهَنَّمَ ﴿٤٥﴾

(٦٧) هو الله الذي خلق أباك آدم من تراب، ثم أوجدكم من المنى بقدرته، وبعد ذلك تنتقلون إلى طور الدم الغليظ الأحمر، ثم تجري عليكم أطوار متعددة في الأحرام، إلى أن تولدوا أطفالاً صغاراً، ثم تقوى ينشئكم إلى أن تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا هذه الأطوار المقدرة أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم، ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتديرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له. (٦٨) هو سبحانه المتفرد بالإحياء والإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له: «كن»، فيكون، لا راداً لقضائه.

(٦٩) ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذبين بآيات الله يخاصمون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته، كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

(٧٠-٧٢) هؤلاء المشركون الذين كذبوا بالقرآن والكتب السبائية التي أنزلها الله على

رسله لهداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم حين تجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية العذاب في الماء الحار الذي اشتد غليانه وحرقه، ثم في نار جهنم يوقد بهم.

(٧٣، ٧٤) ثم قيل لهم توبوا، وهم في هذه الحال العيسة: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ فادعهم؛ لينقذوكم من هذا البلاء الذي حلَّ بكم إن استطاعوا، قال المكذبون: غابوا عن عيوننا، فلم ينفقونا بشيء، ويعترفون بأنهم كانوا في جهالة من أمرهم، وأن عبادتهم لهم كانت باطلة لا تساوي شيئاً، كما أضل الله هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به.

(٧٥) ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تفرحونه من المعاصي والآثام، وبما أنتم عليه من الأثر والبطر والبغي على عباد الله.

(٧٦) ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها، فبئس جهنم نزلاً للمتكبرين في الدنيا على الله.

(٧٧) فاصبر -أيها الرسول- وامض في طريق الدعوة، إن وعد الله حق، وسيُنجز لك ما وعدك، فإمّا نربّيكَ في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفّيكَ قبل أن يحلَّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسندينهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

(٧٨) ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً كثيرين إلى قومهم يدعونهم، ويصبرون على أذاهم: منهم من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك، وكلهم مأمورون بتبليغ وحي الله إليهم. وما كان لأحد منهم أن يأتي بآية من الآيات الحسية أو العقلية إلا بإذن الله ومشيته، فإذا جاء أمر الله بعذاب المكذبين قُضي بالعدل بين الرسل ومكذبيهم، وخسر هنالك المبطولون؛ لافترانهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره.

(٧٩، ٨٠) الله سبحانه هو الذي جعل لكم الأنعام؛ لتنتفعوا بها: من منافع الركوب والأكل وغيرها من أنواع المنافع، ولتبلغوا بالحمولة على بعضها حاجة في صدوركم من الوصول إلى الأقطار البعيدة، وعلى هذه الأنعام تُحمَلون في البرية، وعلى السفن في البحر تُحمَلون كذلك. (٨١) ويرى الله تعالى دلائله الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه، فأي آية من آياته تنكرونها، ولا تعترفون بها؟

(٨٢) أفلم يَسِرْ هؤلاء المكذبون في الأرض

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُلٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ الْآيَةِ الَّتِي تَنْكُرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَّ رَوَابِعَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَأَلَتْ اللَّهُ أَلَيْ فِدْخَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟ وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عدداً وعدة وأثاراً في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حلَّ بهم بأس الله. (٨٣) فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل، وحلَّ بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلهم على سبيل السخرية والاستهزاء. وفي الآية دليل على أن كل علم يناقض الإسلام، أو يقدح فيه، أو يشكك في صحته، فإنه مذموم ممقوت، ومعتقد ليس من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

(٨٤) فلما رأوا عذاباً أقروا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده، وكفرتنا بما كنا به مشركين في عبادة الله. (٨٥) فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا؛ وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة، سنة الله وطريقته التي سنّها في الأمم كلها ألا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب، وهلك عند مجيء بأس الله الكافرون بربهم، الجاحدون توحيد حديده وطاعته.

﴿سورة فصلت﴾

(١) ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن الكريم تنزيل من الرحمن الرحيم، نزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) كتاب بُيِّنَتْ آياته تمام البيان، ووُضِّحَتْ معانيه وأحكامه، قرآنًا عريبًا ميسرًا ففهمه لقوم يعلمون اللسان العربي.

(٤) يشير بالثواب العاجل والآجل لمن آمن به وعمل بمقتضاه، ونذير بالعقاب العاجل والآجل لمن كفر به، فأعرض عنه أكثر الناس، فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة.

(٥) وقال هؤلاء المعززون الكافرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: قلونا في أغطية مانعة لنا من فهم ما تدعونا إليه، وفي أذاننا صمم فلا نسمع، ومن بيننا وبينك -يا محمد- سائر يحجبنا عن إجابة دعوتك، فاعمل على وفق دينك، كما أننا عاملون على وفق ديننا.

(٦، ٧) قل لهم -أيها الرسول-: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم الذي يستحق العبادة إله واحد لا شريك له، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته. وهلاك وعذاب للمشركين الذين عبدوا من دون الله أو ثأنا لا تنفع ولا تضر، والذين لم يظهروا أنفسهم بتوحيد ربهم، والإخلاص له، ولا يؤدون الصدقة إلى مستحقيها، فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للخلق، وهم لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار.

(٨) إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله فيها، لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا متنازع.

(٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين مويخاً هم ومتعجباً من فعلهم: أنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين، وتجعلون له نظراً وشركاء تعبدونهم معه؟ ذلك الخالق هو رب العالمين كلهم.

(١٠) وجعل سبحانه في الأرض جبالاً ثوابت من فوقها، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقدر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيها الأرض، ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أقواتها، سواء للسائلين أي: لمن أراد السؤال عن ذلك؛ ليعلمه.

(١١) ثم استوى سبحانه وتعالى، أي قصد إلى السماء وكانت دخاناً من قبل، فقال للساء وللأرض: انقادا لأمرى مختارين أو مجبرتين. قالنا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

(١٢) ففَضَّلَ اللهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَتَسْوِيَتِهِنَّ فِي يَوْمَيْنِ، فتم بذلك خلق السموات والأرض في ستة أيام، لحكمة يعلمها الله، مع قدرته سبحانه على خلقها في لحظة واحدة، وأوحى في كل سماء ما أَرَادَهُ وما أَمَرَ بِهِ فيها، وَرَبَّنَا السَّاءَ الدُّنْيَا بالنجوم المضئية، وحفظاً لها من الشياطين الذين يسترقون السمع، ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء.

(١٣) فَإِنَّ أَعْرَضَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بعدما بُيِّنَ لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم، فقل لهم: قد أنذرتكم عذاباً يستأصلكم مثل عذاب عاد وثمود حين كفروا بربهم وعصوا رسله.

(١٤) حين جاءت الرسل عاداً وثمود، يتبع بعضهم بعضاً متوالين، يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، قالوا لرسولهم: لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيئاً غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسالاً بها تدعوننا إليه،

فَفَضَّلَهُنَّ سَمِعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الذِّنْبَاءَ بِصَدِيقِهِ ۚ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا تَوَاسَّوْا شَاءَ رَبِّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِنَا أَرْسَلْنَاهُمْ بِهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا عَادُوا فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مَنَا فُورَةً أَوْ لَنُرْسِلَنَّهُ ۚ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُورَاتٍ لِّنَذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ ۖ فَأَعَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَكْوَافِهِمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ
الَّذِي بَيْنَهُمُ وَالنَّارَ فَهُمْ يَبُورُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ عَذَابُنَا
سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَجَلَدُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْْمَلُونَ ﴿١٩﴾

ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، فإنما بما أرسلكم الله به إلينا من الإيمان بالله وحده جاحدون.

(١٥) فَمَا عَادَ قَوْمُ هُودٍ فَقَدْ اسْتَعْلَوْا فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعِبَادِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وقالوا في غرور: مَنْ أَشَدُّ مَنَا فُورَةً؟ أُولَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَبِطْشًا؟ وَكَانُوا بِأَدْلَتِنَا وَحُجَّتِنَا يَجْحَدُونَ.

(١٦) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشؤومات عليهم؛ لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد ذلاً وهواناً، وهم لَا يُبْصِرُونَ بمنع العذاب عنهم.

(١٧) وَأَمَّا ثَمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ فَقَدْ بَيَّنَّا لَهُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَطَرِيقَ الرُّشْدِ، فاختاروا العمى على الهدى، فأهلكتهم صاعقة العذاب المهيبة؛ بسبب ما كانوا يقرءون من الآثام بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله.

(١٨) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَخَذَ عَادًا وَثَمُودَ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّاجُونَ بِخَافِئَةِ اللَّهِ وَيَتَّقُونَهُ.

(١٩) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ تَرَدُّ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ أَوْهَمَ عَلَى آخِرِهِمْ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوا النَّارَ، وَأُكْثِرُوا جَرَائِمَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

وَقَالُوا الْجُلُودُ دُهْنٌ يُحْشَرُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ جُلُودُهُمْ مَعَاتِينٌ: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَأَجَابَتْهُمْ جُلُودُهُمْ: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئاً، وَإِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ. ﴿٢٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِفُونَ عِنْدَ أَرْكَانِكُمْ الْمَعَاصِي: خَوْفاً مِنْ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ بَارِئِينَ بِأَرْكَانِكُمْ الْمَعَاصِي أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِنْ أَعْمَالِكُمْ الَّتِي تَعْبُونَ اللَّهَ بِهَا. وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ السَّيِّئُ الَّذِي ظَنَنْتُمُوهُ بِرَبِّكُمْ أَهْلَكَكُمْ، فَأُورِدَكُمْ النَّارَ، فَأَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ. ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا عَلَى الْعَذَابِ فَأَنْتُمْ مُوَاهِمٌ، وَإِنْ يَسْأَلُوا الرَّجْعَ إِلَى الدُّنْيَا؛ لَيْسَتْ أَنْفُسُكُمْ الصَّالِحَةُ لِيُجَابُوا إِلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقْبَلُ لَهُمْ أَعْدَارُ. ﴿٢٤﴾ وَهِيَئَا هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ الْجَاكِدِينَ قِرَاءَ

فاسدين من شياطين الإنس والجن، فزبنوا لهم قبائح أفعالهم في الدنيا، ودعّوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، وزينوا لهم ما خُلفهم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذكرها، ودعّوهم إلى التكذيب بالمعاد، وبذلك استحقوا دخول النار في جملة أمم سابقة من كفر الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين أفعالهم في الدنيا وأنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة.

﴿٢٦﴾ وقال الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيها بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، ولا تطيعوه، ولا تتقادوا لأوامره.

وارفعوا أصواتكم بالصياح والصفر والتخليط على حمد إذا قرأ القرآن؛ لعلكم تغلبوه، فتركوا القراءة، ومنتصر عليه.

﴿٢٧﴾ فلنذيقن الذين قالوا هذا القول عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، ولنجزينهم أسوأ ما كانوا يعملون من السيئات.

﴿٢٨﴾ هذا الجزء الذي يُجْزَى به هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا جِزَاءَ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ، لهم فيها دار الخلود الدائم؛ جزاء بما كانوا يحجبنا وأدلتنا يمحذون في الدنيا. والآية دالة على عظم جريمة من صرف الناس عن القرآن العظيم، وصدّهم عن تدبره وهدايته بأي وسيلة كانت.

﴿٢٩﴾ وقال الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِنَا؛ لِيَكُونُوا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
 الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
 الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُم فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمُ
 فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
 قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ
 بِالْأُخْرَىٰ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
 وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا
 إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ
 فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
 وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
 إِلَٰهَةً تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
 رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣٠) إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تخزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.

(٣١، ٣٢) وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسدكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهي أنفسكم مما تختارونه، وتقرّبه أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافة وإنعاماً لكم من غفور لذنوبكم، رحيم بكم.

(٣٣) لا أحد أحسن قولاً من دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين المتقادين لأمر الله وشرعه. وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة، وفق ما جاء عن

(٣٤، ٣٥) ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأسأوا إلى خلقه. أَدْفَعُ -أيها الرسول- بعفوك وحلمك وإحسانك من أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شقيق عليك. وما يُوقِفُ هذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحلوا أنفسهم على ما يحبه الله، وما يُوقِفُ لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة. (٣٦) وإمّا يلقين الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجِر بالله واعتصم به، إن الله هو السميع لاستعدادك به، العلم بأمر خلقه جميعها.

(٣٧) ومن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبها، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبها، كل ذلك تحت تسخير وقهره. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر -فإنها مبدّرات مخلوقات- واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم حقاً متقادين لأمره، سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

(٣٨) فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له، وينزهونه عن كل نقص بالليل والنهار، وهم لا يفترّون عن ذلك، ولا يملون.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهَا ۝ فَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرًا مِّن بَآئِنٍ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزُونَ ۝ لَا يَأْتِيهِمُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 ءَأَعَجَبِي وَعِزِّي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ ۝ وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقُرْهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
 يُتَادَرَسُونَ ۝ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَأَخْلَفَ فِيهِ ءَوَلَوَ كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُيُوسَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّمَّا مَرِيبٌ ۝ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ
 فَلِنَفْسِهِ ءَوَلَوْ أَسَاءَ فَعَلَهَا وَمَا تَكُ يَفْعَلُهُمُ لِلْعَبِيدِ ۝

(٣٩) ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، وانتفضحت وعلت، إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى.

(٤٠) إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَوْنَ علينا، بل نحن مُطَّلَعُونَ عليهم. أفتهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خبير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله، مستحقاً للثواب؛ لإيانه به وتصديقه بآياته؟ اعملوا -أيها الملحدون- ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك. وفي هذا وعيد وتهديد لهم.

(٤١، ٤٢) إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذبوا به حين جاءهم هالكون ومعذبون، وإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل، لا يأتيه الباطل من أي

ناحية من نواحيه ولا يطلعه شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزداد فيه، تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال.

(٤٣) ما يقول لك هؤلاء المشركون -أيها الرسول- إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم لرسولهم، فاصبر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله. إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب لمن أصرَّ على كفره وتكذيبه.

(٤٤) ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- أعجمياً، لقال المشركون: هلاً بُيِّنَتْ آياته، فنفقهه ونعلمه. أأعجمي هذا القرآن، ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ هذا لا يكون. قل لهم -أيها الرسول-: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض، والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره، وهو على قلوبهم عَمًى، فلا يهتدون به، أولئك المشركون كمن يُنادى، وهو في مكان بعيد لا يسمع داعياً، ولا يجيب منادياً.

(٤٥) ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم من آمن، ومنهم من كذب. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفُصل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال، وإن المشركين لفِي شك من القرآن شديد الريبة.

(٤٦) من عمل صالحاً فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله. وما ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

(٤٧) إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرجع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا يعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيحاً لهم وإظهاراً لكذبهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ قالوا: أعلمناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكاً.

(٤٨) وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم، وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا عجده.

(٤٩) لا يمل الإنسان من دعاء ربه طالباً الخير الدنيوي، وإن أصابه فقر وشدة فهو يؤوس من رحمة الله، فنوط بسوء الظن بربه.

(٥٠) ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغى ويقول: أأناني هذا؛ لأنني مستحق له، وما أعتقد أن الساعة آتية، وذلك إنكار منه للبعث، وعلى تقدير إتيان الساعة وأناي سأرجع إلى ربي، فإن لي عنده الجنة.

فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولندينهم من العذاب الشديد.

(٥١) وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرها أعرض وترفع عن الانقياد إلى الحق، وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضره، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء.

(٥٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذبتهم به، لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق بكفركم بالقرآن وتكذيبكم به.

(٥٣) سترى هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتحاح وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السموات والأرض، وما يجده الله فيها من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعته، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحى به من رب العالمين. أولم يكنهم دليلاً على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، شهادة الله تعالى؟ فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى.

(٥٤) ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد المات. ألا إن الله -جلّ وعلا- بكل شيء محيط علماً وقدره وعزّه، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿سورة الشورى﴾

(٢، ١) ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٣) كما أنزل الله إليك -أيها النبي- هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك، وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(٤) لله وحده ما في السموات وما في الأرض، وهو العلي بذاته وقدره وقهره، العظيم الذي له العظمة والكبرياء.

(٥) تكاد السموات يتشققن، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة للذنوب من في الأرض من أهل الإيابة. ألا إن الله هو الغفور للذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم.

(٦) والذين اتخذوا غير الله آلهة من دونه يتولونها، ويعبدونها، الله تعالى يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة، وما أنت -أيها الرسول- بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنها أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب.

(٧) وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك قرآناً عربياً؛ لتنذر أهل «مكة» ومن حولها من سائر الناس، وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه. الناس فيه فريقان: فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله وأتبعوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وفريق في النار المستعرة، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٨) ولو شاء الله أن يجمع خلقه على الهدى ويجعلهم على ملة واحدة مهتدية لفعل، ولكنه أراد أن يُدخل في رحمة من يشاء من خواص خلقه. والظالمون أنفسهم بالشرك ما هم من ولي يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله تعالى.

(٩) بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم، فالله وحده هو الولي يتولاه عبده بالطاعة، ويتولّى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم، وهو يحيي الموتى عند البعث، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

(١٠) وما اختلفتم فيه -أيها الناس- من شيء من أمور دينكم، فالحكم فيه مرده إلى الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ذلكم الله ربي وربكم، عليه وحده توكلت في أموري، وإليه أرجع في جميع شؤوني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ عَسَقٌ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَحْيَ الْكَرِيمِ ۝ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ أَعَزُّ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۝ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ
 يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُمُ الْوَلَاءُ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

(١١) الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ومبدعها بقدرته ومشيئته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ذكوراً وإناثاً، يكثركم بسبب هذا الزواج بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أساءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه من أفعال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجزيهم على ذلك.

(١٢) له سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسع رزقه على من يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء، إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

(١٣) شرع الله لكم -أيها الناس- من الدين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصى به نوحاً أن يعمل به ويبلغه،

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لِيَاسْئَلَكُمُنَّ شَيْءًا وَهُوَ
الْصَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ سَخَّرَ
لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَذَبَ عَلَى الْكَافِرِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَقْرَأُ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ
قَادَعُتْ وَأَسْتَقِمْتُ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أُعَدِّلَ بَيْنَكُمْ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

وما وصيناه إبراهيم وموسى وعيسى -هؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل على المشهور- أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون من سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، الله يصطفي للتوحيد من يشاء من خلقه، ويوفق للعمل بطاعته من يرجع إليه.

(١٤) وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعاً وأحزاباً إلا من بعدما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد، ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم. وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لففي شك من الدين والإيمان موقع في الريبة والاختلاف المذموم.

(١٥) فلي ذلك الدين القيم الذي شرعه الله للأنبياء ووصاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكوا في الحق وانحرفوا عن الدين، وقل: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم، الله ربنا وربكم، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعدما تبين الحق، الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه، وإليه المرجع والمآب، فيجزي كلأ بما يستحق.

وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَخُفَّتْ لَهُمْ دَاجِصَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝١٦ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا ذَرَفُوكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۝١٨ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝١٩ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝٢٠ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا فَلْيَنْفِقْ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝٢١ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٢ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝٢٣

(١٦) والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلت به محمداً صلى الله عليه وسلم، من بعد ما استجاب الناس له وأسلموا، حجتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم، وعليهم من الله غضب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو النار.

(١٧) الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزل بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإلصاف. وأي شيء يدريك ويعلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟

(١٨) يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكمًا واستهزاء، والذين آمنوا بها خائفون من قيامها، ويعلمون أنها الحق الذي لا شك فيه. ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق.

(١٩) الله لطيف بعباده، يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء وفق حكمته سبحانه، وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه.

(٢٠) من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نزل له في

عمله الحسن، ففضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة، ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نوته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب.

(٢١) بل أهؤلاء المشركون بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؟ ولولا قضاء الله وقدره بإيهاهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضي بينهم بتعجيل العذاب لهم. وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجه.

(٢٢) ترى -أيها الرسول- الكافرين يوم القيامة خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمال خبيثة، والعذاب نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة. والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة، لهم ما تشتهيهم أنفسهم عند ربهم، ذلك الذي أعطاه الله لهم من الفضل والكرامة هو الفضل الذي لا يوصف، ولا نهندي إليه العقول.

(٢٣) ذلك الذي أخبرتكم به - أيها الناس - من النعيم والكرامة في الآخرة هو البشري التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه. قل - أيها الرسول - للذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به عوضاً من أموالكم، إلا أن تؤدوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعداً. إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسانتهم وطاعتهم إياه.

(٢٤) بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوه علينا اختلاقاً من عند نفسه؟ فإن يشأ الله يطبع على قلبك - أيها الرسول - لو فعلت ذلك. ويذهب الله الباطل فيمحقه، ويحق الحق بكلماته التي لا تتبدل ولا تتغير، ووبوعده الصادق الذي لا يتخلف. إن الله عليم بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه.

(٢٥) والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ حَسَنَةً نَّزِدْهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٢٣ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُرِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ يَكْمُلْ إِلَيْهِ إِلَهُكُمْ عَلِيمٌ ۝٢٤ ذَاتُ الصُّدُورِ ۝٢٥ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٦ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝٢٧ وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝٢٨ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْعُنَاقَ مِن بَعْدِ مَا قُطِّعُوا وَيُنشِرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٩ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي دَائِرَةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝٣٠ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۝٣١ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣٢

خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيتكم به.

(٢٦) ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لِمَا دعاهم إليه وينقادون له، ويزيدهم من فضله توفيقاً ومضاعفة في الأجر والثواب. والكافرون بالله ورسوله لهم يوم القيامة عذاب شديد موجه مؤلم.

(٢٧) ولو بسط الله الرزق لعباده فوسعه عليهم، لبغوا في الأرض أشراً وبطراً، ولطغى بعضهم على بعض، ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفائيتهم. إنه بعباده خير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم.

(٢٨) والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما ينسوا من نزوله، وينشر رحمته في خلقه، فيجمعهم بالغيث، وهو الولي الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، الحميد في ولايته وتدبيره.

(٢٩) ومن آياته الدالة على عظمتهم وقدرته وسلطانه، خَلَقَ السموات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيها من أصناف الدواب، وهو على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.

(٣٠) وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في دينكم ودنياكم فبما كسبتم من الذنوب والآثام، ويعفو لكم ربكم عن كثير من السيئات، فلا يؤاخذكم بها.

(٣١) وما أنتم - أيها الناس - بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه، وما لكم من دون الله من وليٍّ يتولى أموركم، فيوصل لكم النافع، ولا نصير يدفع عنكم المضار.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٣٢ إِنَّ يَسْأَلُ سِوَاكَ الرَّيْحَ
فَيُطَلَّلَنَّ وَكَيْدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
٣٣ أَوْ يُوقِنُ أَنَّكُمْ سَعْبُ أَوْ يُعْفٍ عَنْ كَثِيرٍ ٣٤ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ
يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ قَحِيصٍ ٣٥ ثُمَّ أَوْتَيْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَفَتَحُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنفَقِي لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَيْبِهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرٌ أَلا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَهُوَ الْعَاقِبَةُ
غَضَبُوا لَهُمْ يَعْرِفُونَ ٣٧ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣٨ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبُخْسُ قَالُوا صَبْرًا ٣٩ وَرَجَزَ وَاسْتَبْرَأَ سَيِّئَةً مِّنْهَا ثُمَّ قَعَا
وَأَصْلَحَ فَآخِرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ وَلَمَّا اتَّخَذَ
بَعْدَ ظَلْمِهِ قَاوِلًا لِّكُلِّ مَاعٍ لَّهُمْ مِنْ سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَتَعَدَّوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢ وَلَمَّا صَبَرَ وَخَفَىٰ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَذَابِ
الْأُمُورِ ٤٣ وَمَنْ يَضِلْ فَلَهُ هُدًى مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى
الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ٤٤

(٣٢، ٣٣) ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانته القاهرة السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر. إن يسأل الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يسكن الريح، فتبقي السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري، إن في جري هذه السفن ووقوفها في البحر بقدرته الله لعظات وحججاً بيّنة على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله.

(٣٤) أو يهلك السفن بالغرق بسبب ذنوب أهلها، ويعف عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها.

(٣٥) ويعلم الذين يجادلون بالباطل في آياتنا الدالة على توحيدنا، ما لهم من محيد ولا ملجأ من عقاب الله، إذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به.

(٣٦) فما أوتيتهم -أيها الناس- من شيء من المال أو البين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، شرعان ما يزول، وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم يتوكلون.

(٣٧) والذين يجتنبون كثراً ما نهى الله عنه، وما فحش وقبح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على من أساء إليهم هم يغفرون الإساءة،

ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلباً لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق.

(٣٨) والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيدهم وطاعته، وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها، وإذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه، وما أعطيتهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

(٣٩) والذين إذا أصابهم الظلم هم يتصبرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا، وإن صبروا ففي عاقبة صبرهم خير كثير. (٤٠) وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الولد بينه وبين المغفوع عنه ابتغاء وجه الله، فأجر عفو ذلك على الله. إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسئون إليهم. (٤١) ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه له فاولئك ما عليهم من مؤاخذه.

(٤٢) إنسا المؤاخذه على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، ويتجاوزون الحد الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موعج.

(٤٣) ولمن صبر على الأذى، وقابل الإساءة بالعفو والصفح والستر، إن ذلك لمن عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورغب لها ثواباً جزيلاً وثناءً حميداً.

(٤٤) ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد. وترى -أيها الرسول- الكافرين بالله يوم القيامة -حين رأوا العذاب- يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ فلا يجابون إلى ذلك.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ
 مِنْ ظُرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَبِيرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُقْتَبِرٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَّةٍ يُنصِرُوهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَسْبِلِ ﴿٤٦﴾ أَسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَهَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ خَفِيمًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّبَهَا وَإِنْ نُضِيبُهُمْ سَيْئَةً
 يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثَارًا
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْدُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِثَارًا
 وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَزِيزٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ

(٤٥) وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين يُعْرَضُونَ على النار خاضعين متذللين ينظرون إلى النار من ظرف خفي. وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لَمَّا عَانُوا ما حَلَّ بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين - يوم القيامة - في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم ولا يزول.

(٤٦) وما كان هؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة من أعوان ونصراء ينصرونهم من عذاب الله. ومن فضله الله بسبب كفره وظلمه، فما له من طريق يصل به إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة؛ لأنه قد سَدَّتْ عليه طرق النجاة، فالهداية والإصلاح بيده سبحانه وتعالى دون سواه.

(٤٧) استجيبوا الربكم - أيها الكافرون - بالإنابة والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده، ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب، ولا مكان يستركم، وتنتكرون فيه. وفي الآية دليل على ذم التسويف، وفيها الأمر بالمبادرة إلى كل عمل صالح يعرض للعبء، فإن للتأخير آفات وموانع.

(٤٨) فإن أعرض هؤلاء المشركون - أيها الرسول - عن الإنابة بالله فما أرسلناك عليهم حافظاً لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها، ما عليك إلا البلاغ. وإننا إذا أعطينا الإنسان منا رحمة من غنى وسعة في المال وغير ذلك، فَرَحَ وَسُرَّ، وإن تصبهم مصيبة من فقر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدمته أيديهم من معاصي الله، فإن الإنسان جحود يعبّد المصائب، وينسى النعم.

(٤٩، ٥٠) الله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيها، يَخْلُقُ ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إنثاءً لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إنثاء معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل من يشاء عقيلاً لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُقُ، قدير على خَلْقِ ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

(٥١) وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحياً يوحى الله إليه، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كَلَّمَ سبحانه موسى عليه السلام، أو يرسل رسولا، كما ينزل جبريل عليه السلام إلى المرسل إليه، فيوحى بإذن ربه - لا بمجرد هواه - ما يشاء الله بإحاده، إنه تعالى عليّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللاتق بجلاله وعظيم سلطانه.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَأَنَّا كَلَّمْتَنِي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَنَافِي السَّمٰوٰتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٤﴾

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥٥﴾ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ ﴿٥٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّا فَتَنَّا الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٨﴾
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٩﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٦٠﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَاوُأَيْهِ بُسْتَهَزُّونَ ﴿٦٢﴾
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ لَعْنًا لَهُمْ بِطُغْيَانِهِمْ وَنُفُورِهِمْ ﴿٦٣﴾
وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٥﴾

(٥٢، ٥٣) وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها النبي - أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟ ولكن جعلنا القرآن ضياء للناس يهدي به من نشاء من عبادنا إلى الصراط المستقيم. وإنك - أيها الرسول - لَتَقْدِرُ وتُزَيِّدُ بإذن الله إلى صراط مستقيم - وهو الإسلام -، صراط الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. ألا إلى الله - أيها الناس - ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلًا بعمله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿سورة الزخرف﴾

(١) ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى.

(٣، ٤) إِنَّا أَنزَلْنَا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان العرب؛ لعلكم تفهمون، وتندبرون معانيه وحججه. وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعلِّي في قدره وشرفه، حكم لا اختلاف فيه ولا تناقض.

(٥) أفغرض عنكم، ونترك إنزال القرآن إليكم

لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم، وإسرافكم في عدم الإيمان به؟

(٦-٨) كثيراً من الأنبياء أرسلنا في القرون الأولى التي مضت قبل قومك أيها النبي. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك، فأهلكنا من كذبوا ورسلنا، وكانوا أشد قوة وبأساً من قومك أيها النبي، ومضت عقوبة الأولين بأن أهلكوا؛ بسبب كفرهم وطغيانهم واستهزائهم بأنبيائهم. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

(٩) ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ العزيز العليم. بن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.

(١٠) الذي جعل لكم الأرض فراشاً وبساطاً، وسهّل لكم فيها طرقاً لمعاشكم ومتاجركم؛ لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية.

(١١) والذي نزل من السماء ماءً بقدرٍ فأنشأنا به بلدةً مديناً كذلك نخزئهم من الغلک والآفة ما تركون ﴿١٢﴾ والذي خلق الأرواح كلها وجعل لكم من الغلک والآفة ما تركون ﴿١٣﴾ لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحن الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرين ﴿١٤﴾ وإننا إلى ربنا لمسلمون ﴿١٥﴾ وجعلوا له من عبادوه جزءاً إن الإنسان لكفور مُبِين ﴿١٦﴾ أم اتخذ ما يخلق بنات وأصقدهن بالبين ﴿١٧﴾ وإذا بشر أحدهم بإصا رب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسموداً وهو كظلم ﴿١٨﴾ أو من يشأ في الحيلة وهو في الخصام غير مبين ﴿١٩﴾ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتهم شهدتهم ويؤمنون ﴿٢٠﴾ وقالوا لوشة الرحمن ما عبدتهم ما لهم بذلك من علم إنهم إلا بخرصون ﴿٢١﴾ أم آتيناهم كتاباً فمن قبله فهم به مستمسكون ﴿٢٢﴾ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آئرها هم مهتدون ﴿٢٣﴾

(١٢) والذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات، وجعل لكم من السفن ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والحيل والبغال والحمير ما تركبون في البر.

(١٣، ١٤) لكي تستروا على ظهور ما تركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا ركبتم عليه، وتقولوا: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مطيعين، ولتقولوا أيضاً: وإنا إلى ربنا بعد عمانا لصاترون إليه راجعون.

وفي هذا بيان أن الله المنعم على عباده بشئى النعم، هو المستحق للعبادة في كل حال.

(١٥) وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً، وذلك قولهم للملائكة: بنات الله. إن الإنسان لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، مُظهر لجحوده وكفره، يعدد المصائب، وينسى النعم.

(١٦) بل أتزعمون -أيها الجاهلون- أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصكم بالبين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

(١٧) وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى -التي نسبها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله- صار وجهه مُسْوِداً من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكره. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعالى الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

(١٨) اتجترثون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرى في الزينة، وهو في الجدل غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

(١٩) وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أحصروا حين خلقهم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سكتهم شهدتهم، ويُسألون عنها في الآخرة.

(٢٠) وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه، وهذه حجة باطلة، فقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطال الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحريصاً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

(٢١) أحصروا خلق الملائكة، أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه، فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

(٢٢) بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا
 إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ وَأَنَّا عَلَىٰ آلِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
 * قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ مِثْلَ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُكُمْ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَنزَلْنَا مِنْهُمْ مِقْدَرًا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
 ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
 مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حُرًّا مِلًّا جَاءَ هُمْ أَكْفَرُ وَرَسُولٌ مِنْهُمْ
 وَلَمَّا جَاءَ هُمْ أَكْفَرُ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٠﴾ أَهَمْ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ حَقًّا قَسَمْنَا بِهِنَّ مَعِيَّتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَلَدَّهُمْ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سَوَاءً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ وَلَوْلَا
 أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِيُشَوِّطَهُمْ سُفُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾

(٢٣) وكذلك ما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - في قرية من نذير ينذرهم عقابنا على كفرهم بنا، فانذروهم وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا على ملة ودين، وإننا على منهاجهم وطريقهم مقتدون. (٢٤) قال محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الرسل لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: أتنبعون آباءكم، ولو جئتمكم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق وأدل على سبيل الرشاد مما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملّة؟ قالوا - في عناد: - إننا بما أرسلتم به جاحدون كافرون.

(٢٥) فانتقمنا من هذه الأمم المكذبة رسلها بإحلالنا العقوبة بهم خَسْفًا و غرقًا وغير ذلك، فانظر - أيها الرسول - كيف كان عاقبة أمرهم إذ كذبوا بآيات الله ورسله؟ وليحذر قومك أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

(٢٦) واذكر - أيها الرسول - إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبدونه قومه: إِنني براء مما تعبدون من دون الله.

(٢٧) إلا الذي خلقتني، فإنه سيوفقني لاتباع سبيل الرشاد.

(٢٨) وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية فيمن بعده؛ لعلهم يرجعون إلى طاعة ربهم وتوحيده، ويتوبون من كفرهم وذنوبهم.

(٢٩) بل متعت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

(٣٠) ولما جاءهم القرآن من عند الله قالوا: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، وليس بوحى من عند الله، وإننا به مكذبون.

(٣١) وقال هؤلاء المشركون من قريش: إن كان هذا القرآن من عند الله حقًا، فهل نُزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين «مكة» أو «الطائف».

(٣٢) أهم يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاؤوا؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات: هذا غني وهذا فقير، وهذا قوي وهذا ضعيف؛ ليكون بعضهم مُسخرًا لبعض في المعاش. ورحمة ربك - أيها الرسول - بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني.

(٣٣) ولولا أن يكون الناس جماعة واحدة على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُفُفًا من فضة وسلام عليها يصعدون.

وَيُؤْتِيهِمْ أَزْوَاجًا وَسُرَرًا عَلَيْهِمْ كُفُوفٌ ﴿٣٥﴾ وَزُخْرٌ فَأَوَانُ
كُلِّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِضْ لَهُ سَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ بَلَيْتَ بُيُوتِي وَلَبِثْتُ
بَعْدَ الْمَسْرِ قَرِينٌ فَبَشِّرْ الْقَرِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَنْكُرُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُونَ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِنَّمَا
نَذَرْنَاهُ يَدَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مَنْتَقِمُونَ ﴿٤٢﴾ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ نُنَبِّئُكَ ﴿٤٥﴾ وَسَمِعَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْبدُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٨﴾

(٣٥، ٣٤) وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وجعلنا لهم سرراً عليها يتكئون، وجعلنا لهم ذهباً، وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل، ونعيم الآخرة مذكر عند ربك للمتقين ليس لغرهم.

(٣٦) ومن يُعرض عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يُخَفِّ عقابه، ولم يَهْدِ بهديته، نجعل له شيطاناً في الدنيا يغويه؛ جزاء له على إعراضه عن ذكر الله، فهو له ملازم ومصاحب يمنعه الخلال، ويبيعه على الحرام.

(٣٧) وإن الشياطين ليصدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيئون لهم الضلالة، ويكرهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته، ويظن هؤلاء المعرضون بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال أنهم على الحق والهدى.

(٣٨) حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والجزاء، قال لقريته: وددت أن يبني وبينك بُعداً ما بين المشرق والمغرب، فبش القرين لي أنت؛ حيث أغويتني.

(٣٩) ولن ينفعكم اليوم - أيها المعرضون - عن ذكر الله إذ أشركم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون أتمم قرناؤكم، فلكل واحد نصيبه الأوفر من العذاب، كما اشرتكم في الكفر.

(٤٠) أفانت - أيها الرسول - تسمع من أصمّه الله عن سماع الحق، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى قلبه عن إبطاره، أو تهدي من كان في ضلال عن الحق بين واضح؟ ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

(٤١، ٤٢) فإن توفيناك - أيها الرسول - قبل نصرك على المكذبين من قومك، فإننا منهم منتقمون في الآخرة، أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر»، فإننا عليهم مقتدرون نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك. (٤٣) فاستمسك - أيها الرسول - بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك؛ إنك على صراط مستقيم، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام. وفي هذا تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم، وثناء عليه.

(٤٤) وإن هذا القرآن لكشف لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فنبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وسوف تُسألون أنت ومن معك عن الشكر لله عليه، والعمل به.

(٤٥) واسأل - أيها الرسول - أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا وحمله شرائعهم: أجاأت رسلهم بعبادة غير الله؟ فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع؛ فإن جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة ما سوا الله.

(٤٦، ٤٧) ولقد أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك - أيها الرسول - إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، فلما جاءهم بالبينات الواضحات الدالة على صدقه في دعوته، إذا فرعون وملؤه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون.

وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةِ الْإِلَهِ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأُخَذَ مِنْهُمْ
بِالْعَذَابِ أَلْعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا إِنَّا أَنَا السَّاحِرُ أَدْعَاكُنَا
رَبَّكَ بِمَا عَاهَدْتَ عَلَيْنَا أَنَّا لَمُهْذَبُونَ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا كَسَفْنَا
عَنَّهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٢﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ
قَالَ يَبْقَوِي فِي الْبَحْرِ مَلَكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ كَخَيْرِي مِنْ
نَحْوِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٣﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَمْهُودٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٤﴾ فَلَوْلَا الَّذِي عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْجَلَتْهُ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٥﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ
فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا أَسْفَوْنَا
انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَإِنَّا
هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِجْدَالًا يُدْرِكُ الْوَرْمَ فَصُمُونَّ ﴿٦٠﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أُعْثِمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦١﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مَلَكًا فِي الْأَرْضِ يَخْلُوفُ ﴿٦٢﴾

(٤٨) وما تُري فرعونَ وملائه من حجة إلا هي أعظم من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوهم موسى إليه، وأخذناهم بصنوف العذاب كالجراد والقمل والضفادع والظوفان، وغير ذلك؛ لعلمهم يرجعون عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته.

(٥٠، ٥١) وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم - وكان الساحر فيهم عظيمًا يؤقرونه، ولم يكن السحر صفة ذم - ادع لنا ربك بعهد الذي عهد إليك وما خصك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب، فإن كشف عنا العذاب فإننا لمهتدون مؤمنون بما جئتنا به. فلما دعا موسى برفع العذاب عنهم، ورفعناه عنهم إذا هم يغترون، ويصرّون على ضلالهم.

(٥٢، ٥٣) ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحاً مفتخراً بملك مصر: «ليس لي ملك مصر»، وهذه فروع نهر النيل تجري من تحت قصري ومن بين يدي في بساطتي، أفلا تبصرون عظمتي وقوتي، وضعف موسى وفقره؟ بل أنا خير من هذا الذي لا عرا معه، فهو يمتنن نفسه في حاجاته لضعفه وحقارته، ولا يكاد يُبين الكلام لعبيّ لسانه، وقد حمل فرعون على هذا القول الكفر والعناد والصد عن سبيل الله.

(٥٣) فهلاًّ أُلقي على موسى - إن كان صادقاً أنه رسول رب العالمين - أسوارة من ذهب، أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إلينا.

(٥٤) فاستحَفَّ فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم.

(٥٥، ٥٦) فلما أغضبونا - بعصياننا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات - انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر. فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلفاً لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وللآخرين.

(٥٧) ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلاً حين خاصموا محمداً صلى الله عليه وسلم، وحاجّوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولاجله يرتفع لهم جلبة وضجج فرحاً وسروراً، وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبَ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ وقال المشركون: رضينا أن تكون ألهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾، فالذي يُلقي في النار من آلهة المشركون من رضي بعبادتهم إياه، (٥٨) وقال مشركو قومك - أيها الرسول -: آلهتنا التي نعبدنا خير أم عيسى الذي يعبد قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وآلهتنا معه، ما ضربوا لك هذا المثل إلا جدلاً، بل هم قوم خصمون بالباطل.

(٥٩) ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يستدل بها على قدرتنا.

(٦٠) ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يُخَلِّف بعضهم بعضاً بدلاً من بني آدم.

وَأَنَّهُ لَئِذَا لَمَسَ السَّاعَةَ فَلَا تَمَتُّنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ عَنْهُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَئِنْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَافَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَعْجَبُونَ لَوْ جِئُوا بِآيَاتِنَا أَنَّهَا سِحْرٌ مِثْلُ سِحْرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٧٠﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

(٦١) وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قرب وقوع الساعة، فلا تشكروا أنها واقعة لا محالة، واتبعون فيما أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويم إلى الجنة، لا اعوجاج فيه.

(٦٢) ولا يصدكم الشيطان بوساوسه عن طاعتي فيها أمركم به وأنهاكم عنه، إنه لكم عدو بين العداوة.

(٦٣) ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة قال: قد جئتكم بالنبوة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعون فيها أمركم به من تقوى الله وطاعته.

(٦٤) إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعاً فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئاً، هذا الذي أمركم به من تقوى الله وإفراده بالالهوية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه.

(٦٥) فاختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعاً: منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله، وهو الحق، ومنهم من يزعم أنه ابن الله، ومنهم من يقول: إنه الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فهلاك وعذاب اليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير ما وصفه الله به.

(٦٦) هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة، وهم لا يشعرون ولا يفتنون؟

(٦٧) الأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يترأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة في الدنيا والآخرة.

(٦٨) يقال هؤلاء المتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

(٦٩، ٧٠) الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بما جاءهم به من رسلهم، وكانوا متقادين لله رب العالمين بقلوبهم وجوارحهم، يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرنائكم المؤمنون تتعمون وتُسرون.

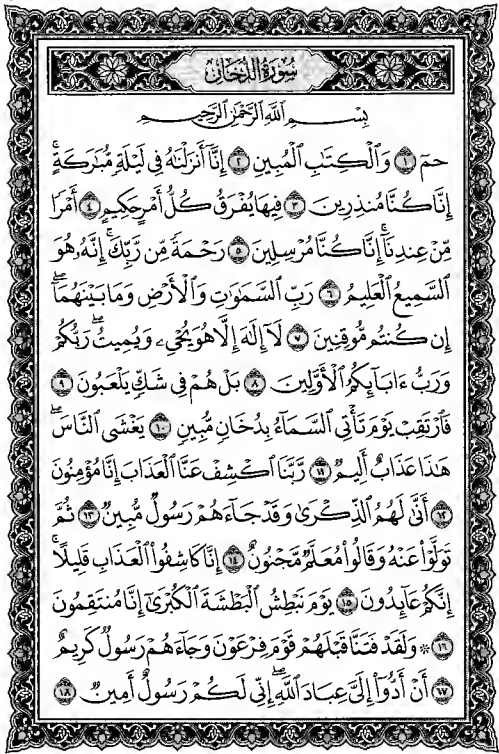
(٧١) يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوانٍ من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، وفيها لهم ما تشتهيهم أنفسهم وتلذذ أعينهم، وهم مأكثون فيها أبداً.

(٧٢) وهذه الجنة التي أورتكم الله إياها، بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الخيرات والأعمال الصالحات، وجعلها من فضله ورحمته جزاء لكم.

(٧٣) لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع منها تأكلون.

﴿سورة الدخان﴾

(١) ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
 (٢-٨) أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظاً ومعنى. إنا أنزلناه في ليلة القدر المباركة كثيرة الخيرات، وهي في رمضان. إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده. فيها يُقضى ويُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة من الملائكة كل أمر عَمَّكم من الأجل والأرزاق في تلك السنة، وغير ذلك مما يكون فيها إلى آخرها، لا يبدل ولا يغير. هذا الأمر الحكيم أمر من عندنا، فجميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحى فيه بأمره وإذنه وعلمه. إنا كنا مرسلين إلى الناس الرسل محمداً ومن قبله؛ رحمة من ربك -أيها الرسول- بالمرسل إليهم. إنه هو السميع يسمع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة. خالق السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، إن كنتم موقنين بذلك فاعلموا أن رب المخلوقات هو إلهها الحق. لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحمي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين، فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.
 (٩) بل هؤلاء المشركون في شك من الحق، فهم



يلهون ويلعبون، ولا يصدقون به.

(١٠-١٢) فانتظر -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعم الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإننا مؤمنون بك. وقد تحقق ذلك، فلم يؤمنوا كما وعدوا.

(١٣، ١٤) كيف يكون لهم التذكير والانتعاض بعد نزول العذاب بهم، وقد جاءهم رسول مبين، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ثم أعرضوا عنه وقالوا: علمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول؟
 (١٥) سترفع عنكم العذاب قليلاً، وسترون أنكم تعودون إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلال والتكذيب، وأنا سنعاقبكم على ذلك.

(١٦) يوم نعذب جميع الكفار العذاب الأكبر يوم القيامة وهو يوم انتقامنا منهم.

(١٧) ولقد اخترنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام، فكذبوه فهلكوا، فهكذا تفعل بأعدائك أيها الرسول، إن لم يؤمنوا.

(١٨) وقال لهم موسى: أن سلّموا إلى عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، إني لكم رسول أمين على وحيه ورسالته.

وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتَيْتُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَلَّمْتُ
 بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تَوْفَوْا مُوَالِيَّ فَأَعَرْتُوْنِ ﴿٢١﴾
 فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَمْسَرَ بَعَادَى لَيْلًا إِذْ كَمَرُ
 مُّتَبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبُوا
 تَرْكُؤًا مِنْ جَنَلَتِ وَيُحِبُّونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٌ
 كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
 بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
 نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْهَيْهِمْ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عَالِمٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَاهُمْ مِنَ الْأَلْأَمْتِ مَافِيهِ بَلَّوْنَا مُبْدِرٌ ﴿٣٣﴾
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَقِيْلُوتٌ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
 بِمُغْنِيَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَنَّا إِنَّا بَنَاءَنَا أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ
 حَزْرًا قَوْمٌ تُنْعِجُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 مُّجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَرِينِ
 ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(١٩-٢١) وَلَا تَتَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ بِتَكْذِيبِ
 رسله، إِنِّي آتَيْتُكُمْ بِرِهَانٍ وَاضِحٍ عَلَى صِدْقِ
 رسالتي، وَإِنِّي اسْتَجَرْتُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ
 تَقْتُلُونِي رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، وَإِنْ لَمْ تَصْدُقُونِي عَلَى
 مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَخَلُّوا سَبِيلِي، وَكُفُّوا عَنْ أَذَائِي.
 (٢٢) فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ - حِينَ كَذَبَهُ فِرْعَوْنُ
 وَقَوْمُهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ - قَائِلًا: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
 مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ كَافِرُونَ.

(٢٣) فَأَمْسَرَ - يَا مُوسَى - بَعَادَى - الَّذِينَ
 صَدَّقُواكَ، وَأَمَّنُوا بِكَ، وَاتَّبَعُواكَ، دُونَ الَّذِينَ
 كَذَّبُواكَ مِنْهُمْ - لَيْلًا، إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَجُنُودِهِ فَتَنَجُّونَ، وَيَغْرُقُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودَهُ.

(٢٤) وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ كَمَا هُوَ عَلَى حَالَتِهِ الَّتِي كَانَ
 عَلَيْهَا حِينَ سَلَكْتَهُ، سَاكِنًا غَيْرَ مُضْطَرَبٍ، إِنْ
 فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ مَغْرُقُونَ فِي الْبَحْرِ.

(٢٥-٢٧) كَمْ تَرَكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ
 وَإِغْرَاقِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَسَاتِينٍ وَجَنَاتٍ نَاضِرَةٍ،
 وَعُيُونٍ مِنَ الْمَاءِ جَارِيَةٍ، وَزُرُوعٍ وَمَنَازِلٍ جَمِيلَةٍ،
 وَعِيشَةٍ كَانُوا فِيهَا مُتَمَتِّعِينَ مَتَرَفِينَ.

(٢٨) مِثْلُ ذَلِكَ الْعِقَابِ بِعَاقِبِ اللَّهِ مَنْ كَذَّبَ
 وَبَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَأَوْرَثْنَا تِلْكَ النِّعَمَ مِنْ بَعْدِ
 فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ قَوْمًا آخَرِينَ خَلَفُوهُمْ مِنْ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ.

(٢٩) فَمَا بَكَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ حَزَنًا عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَمَا كَانُوا مُؤَخَّرِينَ عَنِ الْعُقُوبَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ.

(٣٠) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُدَّةِ لَهُمْ بِقَتْلِ آبَائِهِمْ وَاسْتِخْدَامِ نِسَائِهِمْ.

(٣١) مِنْ فِرْعَوْنَ، إِنَّهُ كَانَ جَبَّارًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مُسْرِفًا فِي الْعُلُوِّ وَالتَّكْبَرِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ.

(٣٢) وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى عِلْمٍ مِنَّا بِهِمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ.

(٣٣) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ عَلَى يَدِ مُوسَى مَا فِيهِ ابْتِلَاؤُهُمْ وَابْتِحَارُهُمْ؛ رِخَاءً وَشِدَّةً.

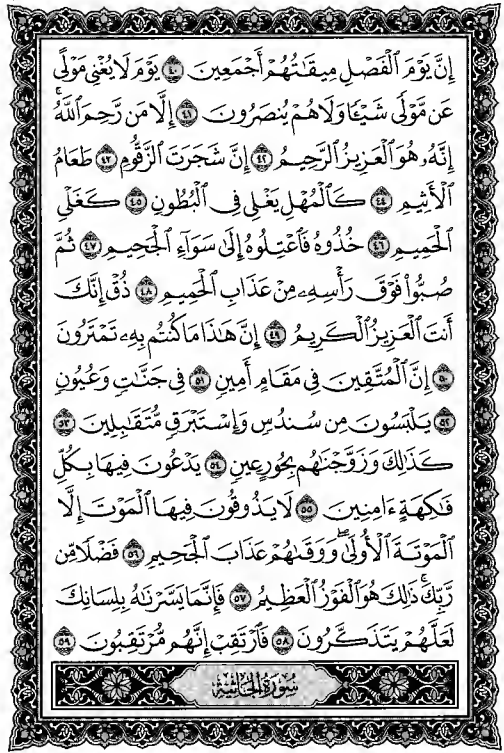
(٣٤، ٣٥) إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَيَقُولُونَ: مَا هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الَّتِي نَمُوتُهَا، وَهِيَ الْمَوْتَةُ الْأُولَى
 وَالْآخِرَةُ، وَمَا نَحْنُ بِعَدِمَاتِنَا بِمُتَّبِعِينَ لِلْحِسَابِ وَالتَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

(٣٦) وَيَقُولُونَ أَيْضًا: فَأَيُّ - يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ - بَابَائِنَا الَّذِينَ قَدِمَاتُوا، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنْ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ
 أَحْيَاءً.

(٢٧) أَهْوَاءُ الْمُشْرِكِينَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِجُ الْجِمَارِي وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ بَرَهًا؟ أَهْلَكْنَاهُمْ لِأَجْرَاهِمُ وَكَفَرِهِمْ،
 لَيْسَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِخَيْرٍ مِنْ أُولَئِكَ فَتَصْنَعُ عَنْهُمْ وَلَا تَهْلِكُهُمْ، وَهُمْ بِاللَّهِ كَافِرُونَ.

(٣٨، ٣٩) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَلَكِنْ
 أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَلِهَذَا لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا.

(٤٠) إن يوم القضاء بين الخلق بما قدموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين.
 (٤١، ٤٢) يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً، ولا ينصر بعضهم بعضاً، إلا من رحم الله من المؤمنين، فإنه قد شفع له عند رب بعد إذن الله له. إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته.
 (٤٣، ٤٤) إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، ثمرها طعام صاحب الآثام الكثيرة، وأكبر الآثام الشرك بالله.
 (٤٥، ٤٦) ثمر شجرة الزقوم كالمُعْدِن المذاب يغلي في بطون المشركين، كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة.
 (٤٧) خذوا هذا الأثيم الفاجر فادفعوه، وسوقوه بعنف إلى وسط الجحيم يوم القيامة.
 (٤٨) ثم صبوا فوق رأس هذا الأثيم الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.
 (٤٩) يقال لهذا الأثيم الشقي -على وجه التهكم والتوبيخ-: ذق هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم.
 (٥٠) إن هذا العذاب الذي تعذبون به اليوم هو



العذاب الذي كنتم تشككون فيه في الدنيا، ولا توقنون به.

(٥١) إن الذين اتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه في الدنيا، في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات والأحزان وغير ذلك.

(٥٢) في جنات وعيون جارية.

(٥٣) يَلْبَسُونَ مَا رَقَّ مِنَ الديباج وما غُلِّظَ منه، يقابل بعضهم بعضاً بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض، يدور بهم مجلسهم حيث داروا.

(٥٤) كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات وإلباسهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم بالחסان من النساء وأسعات الأعين جيلاتها.

(٥٥) يطلب هؤلاء المتقون في الجنة كل نوع من فواكه الجنة اشتهاه، آمنين من انقطاع ذلك عنهم وفنائها.

(٥٦-٥٨) لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم؛ فضلاً وإحساناً منه سبحانه وتعالى، هذا الذي أعطيناه المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده. فإنما سهلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزجرون.

(٥٩) فانظر -أيها الرسول- ما وعدتكم من النصر على هؤلاء المشركين بالله، وما يحلُّ بهم من العقاب، إنهم منتظرون موتك وقهرك، وسيعلمون لمن تكون النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، إنها لك -أيها الرسول- ولمن اتبعك من المؤمنين.

﴿سورة الجاثية﴾

- (١) ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) هذا القرآن منزل من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير أمور خلقه.
- (٣) إن في السموات السبع، والأرض التي منها خروج الخلق، وما فيها من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع، لأدلة وحججاً للمؤمنين بها.
- (٤) وفي خلقكم -أيها الناس- وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها، حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله وشرعه.
- (٥) وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبها عليكم، وما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بعد يئسها، فاهتزت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلة وحجج لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلتها.
- (٦) هذه الآيات والحجج نتلوها عليك -أيها الرسول- بالحق، فبأي حديث بعد الله وآياته وأدلتها على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟
- (٧) هلاك شديد لكل كذاب كثير الآثام.

- (٨) يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه، ثم يتأدى في كفره متعالياً في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما نزل عليه من آيات الله، فبشر -أيها الرسول- هذا الأفاك الأثيم بعذاب مؤلم موجه في نار جهنم يوم القيامة.
- (٩) وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً وسخرية، أولئك لهم عذاب يبينهم ويخزيهم يوم القيامة؛ جزاء استهزائهم بالقرآن.
- (١٠) من أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم، ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً من المال والولد، ولا أهلكهم التي عبدوها من دون الله، ولهم عذاب عظيم مؤلم.
- (١١) هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- هدى من الضلالة، ودليل على الحق، يهدي إلى طريق مستقيم من اتبعه وعمل به، والذين جحدوا بها في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يصدقوا بها، لهم عذاب مؤلم موجه من أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.
- (١٢) الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر لكم البحر؛ لتجري السفن فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون ربكم على تسخير ذلك لكم، فتعبده وحده، وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه.
- (١٣) وسخر لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعكم، جميع هذه النعم منة من الله وحده أنعم بها عليكم، وفضل منه تقصّل به، فإياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكاً. إن في سخره الله لكم لعلامات ودلالات على وحدانية الله لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها.

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ وَقُضِّيتْ لَهُمْ عَلَىٰ الْقَائِلِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَنِينَ مِنَ الْأُمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا يَفْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمْرِ فَأَتَيْنَاهَا مِنَّا نَبَأً فَاخْتَلَفْتُمْ ۚ فَلَوْلَا آلَاءُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُوقَتْ ۖ وَأَنَّ الْظَالِمِينَ لَيَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا صَبْرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَيِّ وَلِيَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(١٤) قل -أيها الرسول- للذين صدَّقوا بالله وأتبعوا رسوله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكره؛ ليجزي الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وإيذاء المؤمنين.

(١٥) من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى، ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

(١٦) ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيها، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

(١٧) وآتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم، وإنها تحملهم على ذلك بغنى بعضهم على بعض؛ طلباً للرفعة والرياسة، إن ربك -أيها الرسول- يحكم بين

المختلفين من بني إسرائيل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا. وفي هذا تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم. (١٨) ثم جعلناك -أيها الرسول- على منهاج واضح من أمر الدين، فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها، ولا تتبع أهواء الجاهلين بشرع الله الذين لا يعلمون الحق. وفي الآية دلالة عظيمة على كمال هذا الدين وشرفه، ووجوب الانقياد لحكمه، وعدم الميل إلى أهواء الكفرة والملاحدين.

(١٩) إن هؤلاء المشركين يربهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك -أيها الرسول- من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين ربهم بأداء قراضه واجتناب نواهيهم.

(٢٠) هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

(٢١) بل أظن الذين اكتسبوا السيئات، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونسأوهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار.

(٢٢) وخلق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر، وهم لا يُظلمون جزاء أعمالهم.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوًى وَأَصْلَحَ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَرَّ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا أَلْهَانُ النَّاسِ الَّذِينَ أَنْشَأَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ أَفْئِدَةً
يُلَاقُونَ بَهَا لَئِيْلَ الْذَّهْرِ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا أَظْهَارُ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَنَادَى
عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْبَسُ نَبَسَ مَنْ تَكُنَ الْفُتُورُ الْآخِرُ سَوَاءً مِمَّا بَقِيَ الْأَوَّلُ فَلَوْ أَثْنَاءُ يَاقِينَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ وَنُعِيدُ فَسْخَارَ الْمَبْطُلِينَ ﴿٢٧﴾
وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَكُرُوا لِي وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدِّينَ كَيْدًا فَاسْتَكْبَرُوا فَسُحْرُ قَوْمٍ
مُتَجَرِّمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُمْ مَا نَنْدُرُ مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنْظَرُ إِنَّ الْأَعَظْمَاءُ تَمَازُجُ يَسْتَفْتِحِينَ ﴿٣٢﴾

(٢٣) أفرأيت - أيها الرسول - من اتخذ الهواه إلها له، فلا يهوى شيئا إلا فعله، وأصله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجاج الله؟ فمن يوقفه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون - أيها الناس - فتعلموا أن من فعل الله به ذلك فلن يبتدي أبداً، ولن يجد لنفسه وليا مرشداً؟

والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أفعالهم.

(٢٤) وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، لا حياة سواها؛ تكذيباً منهم بالبعث بعد المات، وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يقينهم ويملكهم، وما هؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال.

(٢٥) وإذا تلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات، لم يكن لهم حجة إلا قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم: أخي أنت والمؤمنون معك آباءنا الذين قد هلكوا، إن كنتم صادقين فيها تقولون.

(٢٦) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى يبيحك في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها، ثم يجمعكم جميعاً أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إيمانهم، ثم بعثهم يوم القيامة.

(٢٧) والله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خلْقاً ومُلْكاً وعبودية. ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسبون، يخسر الكافرون بالله المجاحدون بها أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

(٢٨) وترى - أيها الرسول - يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جامعين على رُكبتهم، كل أمة تُدعى إلى كتاب أعمالها، ويقال لهم: اليوم تُحْجَرُونَ ما كنتم تعملون من خير أو شر.

(٢٩) هذا كتابنا ينطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، إننا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم. (٣٠) فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتلأوا وأوامره واجتنبوا نواهيه، فدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

(٣١) وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، يقال لهم - تقريباً وتوبيخاً -: أفلم تكن آياتي في الدنيا تلى عليكم، فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها، وكنتم قوماً مشركين تكسبون المعاصي ولا تؤمنون بنواب ولا عقاب؟

(٣٢) وإذا قيل لكم: إن وعد الله ببعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة؟ وما تنوقع وقوعها إلا توهاها، وما نحن بمحققين أن الساعة آتية.

(٣٣) وظهر هؤلاء الذين كانوا يكذبون بآيات الله ما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، ونزل بهم من عذاب الله جزاء ما كانوا به يستهزون. (٣٤) وقيل هؤلاء الكفرة: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا، ومسكنكم نار جهنم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله. (٣٥) هذا الذي حل بكم من عذاب الله؛ بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزواً ولعباً، وخذعتكم زينة الحياة الدنيا، فاليوم لا تخرجون من النار، ولا هم يُردُّون إلى الدنيا؛ ليتوبوا ويعملوا صالحاً.

(٣٦) فله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه، رب السموات والأرض وخالقها ومدبرهما، رب الخلائق أجمعين. (٣٧) وله وحده سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه، تعالى وتقدس، لا إله إلا هو.

﴿سورة الأحقاف﴾

(١) ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة

وَيَذَاهُتُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَآخَاقِيَهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
 ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا بَقَاةَ يَوْمٍ كَذَلِكَ هَذَا وَآوَاكُمْ إِلَيْنَا
 وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
 وَعَزَّوْا كُفْرًا وَلِئِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْيَوْمِ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَهُمْ فِيهَا سَعَتَانِ
 ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
 وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
 السَّمَوَاتِ أَتُنَبِّئُونَنَا بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ تَوَحِّشُونَ عَلِيمَ كُنُوزِ
 صَدُوقِهِمْ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾

في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن تنزيل من الله العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٣) ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لا عبثاً ولا سدى؛ بل ليعرف العباد عظمة خالقها فيعبدوه وحده، ويعلموا أنه قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم، وليقيموا الحق والعدل فيما بينهم وإلى أجل معلوم عنده. والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، عما أنذروهم به القرآن معرضون، لا يتعظون ولا يتفكرون.

(٤) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: أرايتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟ اتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقية من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

(٥) لا أحد أضل وأجهل ممن يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب دعاءه أبداً؛ لأنهم من الأموات أو الأحجار والأشجار ونحوها، وهي غافلة عن دعاء من يعبدوها، عاجزة عن نفعه أو ضره.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ إِبْنَتَا يُسُفَّاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ ثُمَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ إِلَٰهٌ إِنْ أَفَرَيْنَاهُ فَلَا تَقْلُقُوا لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاةِ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُونُ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ وَاسْتَكْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوْحًى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي ظَلَمُوا وَابْتُغِي لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(٦) وإذا حُشِرَ الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، تلعنهم وتبترأ منهم، وتكر علمها بعبادتهم إياها.

(٧) وإذا تنادى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر.

(٨) بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئاً، إن عاقبني على ذلك هو سبحانه أعلم من كل شيء سواه بما تقولون في هذا القرآن، كفى بالله شاهداً عليّ وعليكم، وهو الغفور لمن تاب إليه، الرحيم بعباده المؤمنين.

(٩) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنت أول رسل الله إلى خلقه، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا، ما أتبع فيما أمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ، وما أنا إلا نذير بين الإنذار.

(١٠) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام على مثل هذا القرآن، وهو ما في التوراة من التصديق بنوة محمد صلى الله عليه وسلم، فصدّق وعمل بها جاء في القرآن، وجحدتم ذلك استكباراً، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يوفق إلى الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله.

(١١) وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاء به خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به، وإذا لم يهتدوا بالقرآن ولم يتفعوا بما فيه من الحق فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين.

(١٢) ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بها فيها، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي؛ لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وبشرى للذين أطاعوا الله، فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا.

(١٣) إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد ما ماتهم من حظوظ الدنيا.

(١٤) أولئك أهل الجنة ماكثين فيها أبداً برحمة الله تعالى لهم، وبما قدّموا من عمل صالح في دنياهم.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اُسْدَاهُ وَبَلَغَ
 أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
 إِنِّي بُنِيتُ لَكَ وَلِيًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ
 عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقُ الَّذِي كَانُوا يُعْذَرُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
 لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّيْتُ الْقُرُونُ مِنْ
 قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيدَانِ اللَّهَ وَبِكَاءِ إِيَّانٍ وَعَدَ اللَّهُ حَتَّىٰ يَقُولُ
 مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
 فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الْبَنَىٰ وَالْإِنْسَ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ
 ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ
 ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِئَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
 الدُّنْيَا وَأَسْمَعْتُمْ بَهَا قَالُوا يَوْمَ نُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
 تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

(١٥) ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته
 لوالديه برًّا بها في حياتها وبعد مماتها، فقد
 حملته أمه جنيباً في بطنها على مشقة وتعب،
 وولده على مشقة وتعب أيضاً، ومدة حملها
 وطاقها ثلاثون شهراً. وفي ذكر هذه المشاق التي
 تتحملها الأم دون الأب، دليل على أن حقها
 على ولدها أعظم من حق الأب. حتى إذا بلغ
 هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ
 أربعين سنة دعا ربه قائلاً: ربّي ألهمني أن أشكر
 نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والديّ، واجعلني
 أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني
 تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك
 بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المتقادين
 لحكمك.

(١٦) أولئك الذين نتقبل منهم ما عملوا
 من صالحات الأعمال، ونصفح عن سيئاتهم في
 جملة أصحاب الجنة، هذا الوعد الذي وعدناهم
 به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه.

(١٧) والذي قال لوالديه إذ دعوا إلى الإيثار
 بالله والإقرار بالبعث: فبحاً لكم أتعداني أن أخرج من قبري حياً، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهل كوا فلم
 يُبعث منهم أحد؟ ووالده يسأل أن الله هدايته قائلين له: ويلي، آمن وصدق واعمل صالحاً، إن وعد الله بالبعث حق لا
 شك فيه، فيقول لها: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم.

(١٨) أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلّت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت من قبلهم من
 الجن والإنس على الكفر والتكذيب، إنهم كانوا خاسرين يبيعهم الهدى بالضلال، والنعيم بالعذاب.

(١٩) ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيامة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وفق
 مرتبته، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

(٢٠) ويوم يعرض الذين كفروا على النار للعداب، فيقال لهم توبيخاً: لقد أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
 بها، فاليوم - أيها الكفار - تُجْرُونَ عذاب الخزي والهوان في النار؛ بما كنتم تكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كنتم تخرجون
 عن طاعة الله.

﴿وَأَذْكُرُ الْأَعْمَادَ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ رَبِّ الْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ: أَلَا تَتَذَكَّرُ أَلَا اللَّهُ إِلَهِي أَحَافٍ عَلَيْكُمْ عَذَابُ بَوِّعٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ إِلَهِنَا فَاتِنَا بِمَا نَعْبُدُ إِنَّا كُنَّا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ مَا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطِيرٌ نَأْفِكُ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَآكِنَ كُفْرٍ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ أَذْبَنُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ أَفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

(٢١) واذكر - أيها الرسول - نبي الله هوداً أخطأ عاد في النسب لا في الدين، حين أنذر قومه أن يحل بهم عذاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ«الأحقاف»، وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل بإنذار قومه قبل هود وبعده: بأن لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم له، إني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يعظم هول، وهو يوم القيامة.

(٢٢) قالوا: أجيئنا بدعوتك؛ لنصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فأتانا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من أهل الصدق في قولك ووعدك.

(٢٣) قال هود عليه السلام: إنما العلم بوقت مجيء ما وعدتم به من العذاب عند الله، وإنما أنا رسول الله إليكم، أبلغكم عنه ما أرسلني به، ولكني أراكم قوماً تجهلون في استعجالكم العذاب، وجرأتكم على الله.

(٢٤) فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضاً في السماء متجهاً إلى أوديتهم قالوا: هذا سحب

مطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجه.

(٢٥) تدمر كل شيء، ثم به ما أرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشيتته، فأصبحوا لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها. مثل هذا الجزاء نجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرهم وطغيانهم.

(٢٦) ولقد يسرنا لعاد أسباب التمكين في الدنيا على نحو لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش، وجعلنا لهم سمعاً يسمعون به، وأبصاراً يبصرون بها، وأفئدة يعقلون بها، فاستعملوها فيما يسخط الله عليهم، فلم تغن عنهم شيئاً إذ كانوا يكذبون بحجج الله، ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه. وهذا وعيد من الله جل شأنه، وتحذير للكافرين.

(٢٧) ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل «مكة» من القرى كعاد وثمود، فجعلناها خاوية على عروشها، وبيئاتهم أنواع الحجج والدلائل؛ لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته.

(٢٨) فهلاً نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية ألهتهم التي اتخذوا عبادتها قرباناً يتقربون بها إلى ربهم؛ لتشفع لهم عنده، بل ضلّت عنهم ألهتهم، فلم يجيبوهم، ولا دافعوا عنهم، وذلك كذبهم وما كانوا يفترون في اتخاذهم إياهم آله.

(٢٩) واذكر - أيها الرسول - حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا! لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعوه وأثر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومخذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به.

(٣٠) قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، مصدقاً لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم.

(٣١) يا قومنا أجيئوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه، وصدقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم، وينقذكم من عذاب مؤلم موجع.

(٣٢) ومن لا يحب رسول الله إلى ما دعا إليه فليس بمعجز الله في الأرض إذا أراد عقوبته، وليس له من دون الله أنصار يمنعونه من عذابه،

وَأَذْهَبْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا أُفًّ قَالُوا أَفْضَىٰ وَلَوْ أَلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَتَوْنَا بِمَا نَآسِعُ مَتَّعَتْنَا رَبُّنَا زِينَةً مِنَّا وَمَا بِهَا مِنْ عَالٍ ﴿٣٠﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَتَيْنَا لِمَا نُبَدِّئُ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾ يَقُولُ مَتَّعُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ عَذَابِ الْبَرِّ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ لَرَبُّنَا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَرَبُّنَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَفْقَهُ مَا نُخْفِي الْمَوْتُفَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالُوا فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْتَوُونَ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَّغْ إِلَهُكَ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٦﴾

سورة الأحقاف

أولئك في ذهاب واضح عن الحق.

(٣٣) أغفلوا ولم يعلموا أنَّ الله الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق، ولم يعجز عن خلقهم، قادر على إحياء الموتى الذين خلقهم أولاً؟ بلى، ذلك أمر يسير على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء، إنه على كل شيء قدير.

(٣٤) ويوم القيامة يُعرض الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟ فيجيبون قائلين: بلى وربنا هو الحق، فيقال لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تحجدون عذاب النار وتكفرونه في الدنيا.

(٣٥) فاصبر - أيها الرسول - على ما أصابك من أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك - وهم على المشهور -: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنت منهم - ولا تستعجل لقومك العذاب؛ فحين يقع ويرونه كأنهم لم يمتوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، هذا بلاغ لهم ولغيرهم. ولا يُهلك بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته.

﴿سورة محمد﴾

(١) الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، أذهب الله أعمالهم وأبطلها، وأشقاهم بسببها.

(٢) والذين صدقوا الله وأتبعوا شرعه وصدقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق الذي لا شك فيه من ربهم، عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها، وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة.

(٣) ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى، كما بين الله تعالى فعله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم، فيُلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه.

(٤-٦) فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل، وكسرتهم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى: فلما أن تمثوا عليهم بفك أسرهم بغير

عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، وإما أن يُستَرْقُوا أو يُقتلوا، واستمرُّوا على ذلك حتى تنتهي الحرب. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال، ولكن جعل عقوبتهم على أيديكم، فشرع الجهاد ليختبركم بهم، ولينصر بكم دينه. والذين قتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبطل الله ثواب أعمالهم، سيوفهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويُصلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة، ويدخلهم الجنة عرفهم بها ونعتها لهم، ووفقهم للقيام بما أمرهم به -ومن جملته الشهادة في سبيله- ثم عرفهم إذا دخلوا الجنة منازلهم بها.

(٧) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتنال أوامره، واجتنب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال.

(٨، ٩) والذين كفروا فهلاكاً لهم، وأذهب الله ثواب أعمالهم؛ ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوا به، فأبطل أعمالهم؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان.

(١٠) أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟ دَرَّ الله عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم.

(١١) ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر؛ بسبب أن الله ولَّى المؤمنين ونصرهم، وأن الكافرين لا ولَّى لهم ولا نصير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَعَمَّاؤُا يُنْزِلُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَقَرْنِهِمْ سَبَّأْتَهُمْ وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ ۖ ذَلِكَ بَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ فَإِذَا الْقِيَمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرِبَ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا أَتَخَنَسُوا مِنْهُمْ فَشَدُّوا الرِّقَابَ فَإِنَّمَا مَنَاعُهُ حَتَّى يَضَعَ الْحَرْبُ
أَوْرَاقَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنْشِئُوا لَكُمْ
يَبْعَثُ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُضْلِعُ بِأَلْفِهِمْ ۖ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۖ تَبَايَأَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِنْ ضُرُّوا بِاللَّهِ يَضُرُّوهُ وَيُؤْتِيَتْ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّاءَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأَحْطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۖ فِي الْأَرْضِ قِصَصٌ وَكَيْفَ كَانَ
عَلَيْهِمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ۖ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحَمِلُوا الصَّلِيبَ جَنَّتِ تَحْرِيٍّ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
وَالنَّارُ مَوْجِيءٌ لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبَتِكَ
الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَ مِنْهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ
رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَوَّيَعَزَّ
طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ
فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلْدِيٍّ فِي النَّارِ وَسُقُوا
مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا
خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَا أُولَئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا
زَادَهُمْ هُدًى وَاتَّبَعُوا نِقْمَتَهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ
أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْزِلْ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ
ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

(١٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وحملوا الصلابة جنات تجري من
وقوعها الصالحات جنات تجري من تحت
قصورها وأشجارها الأنهار تجري من تحتهم، ومثل
الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل
الأنعام من البهائم التي لا هم لها إلا في الاعتلاف
دون غيره، ونار جهنم مسكن لهم ومأوى.

(١٣) وكثير من أهل قرى كانوا أشد بأساً من
أهل قرينك - أيها الرسول، وهي «مكة» - التي
أخرجتكم، دمرناهم بأنواع من العذاب، فلم
يكن لهم نصير ينصرهم من عذاب الله.

(١٤) أقمنا كان على برهان وأضح من ربه
والعلم بوحديته، كمن حسن له الشيطان
قبيل عمله، واتبع ما دعت إليه نفسه من معصية
الله وعبادة غيره من غير حجة ولا برهان؟ لا
يستون.

(١٥) صفة الجنة التي وعداها الله المتقين: فيها
أنهار عظيمة من ماء غير متغير، وأنهار من لبن لم
يتغير طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون،
وأنهار من عسل قد صُفِّي مما يخالطه من
الشوائب، وهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع
الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، وأعظم
من ذلك السر والنجاة عن ذنوبهم، هل من

هو في هذه الجنة كمن هو ماكن في النار لا يخرج منها، وسقوا ماء تنهى في شدة حره فقطع أعماهم؟

(١٦) ومن هؤلاء المنافقين من يستمع إليك - أيها النبي - بغير فهم؛ تهاوناً منهم واستخفافاً، حتى إذا انصرفوا من مجلسك
قالوا لمن حضروا مجلسك من أهل العلم بكتاب الله - على سبيل الاستهزاء -: ماذا قال محمد الآن؟ أولئك الذين ختم الله
على قلوبهم، فلا تفقه الحق ولا تهتدي إليه، واتباعوا أهواءهم في الكفر والضلال.

(١٧) والذين اهتدوا لاتباع الحق زادهم الله هدى، فقوي بذلك هدايتهم، ووفهم للتعقوى، ويسر لها لهم.

(١٨) ما ينتظر هؤلاء الكاذبون إلا الساعة التي وعدوا بها أن يحييهم فجأة، فقد ظهرت علاماتها ولم ينتفخوا بذلك، فمن
أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

(١٩) فاعلم - أيها النبي - أنه لا معبود بحق إلا الله، واستغفر لذنبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات. والله يعلم تصرفكم
في يقظتكم نهاراً، ومستقركم في نومكم ليلاً.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَنَظَرَ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّ صَدَفُوا اللَّهَ لَكَانَ خِثْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَعَلَّ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾

(٢٠، ٢١) ويقول الذين آمنوا بالله ورسوله: هَلَّا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مِنْ اللَّهِ تَأْمُرُنَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ بِالْبَيَانِ وَالْفَرِاضِ وَذُكِرَ فِيهَا الْجِهَادُ، رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ فِي دِينِ اللَّهِ وَنِفَاقٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - نَظَرَ الَّذِي قَدْ غَشِيَ عَلَيْهِ خَوْفُ الْمَوْتِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ يُطِيعُوا اللَّهَ، وَأَنْ يَقُولُوا قَوْلًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ. فَإِذَا وَجِبَ الْقِتَالُ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ يُقَرِّضُهُ كَرَهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ، فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ.

(٢٢) فَلَعَلَّكُمْ إِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَعْصُوا اللَّهَ فِي الْأَرْضِ، فَتَكْفُرُوا بِهِ وَتَسْفِكُوا الدِّمَاءَ، وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ.

(٢٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَجَعَلَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَبْصُرُونَ، فَلَمْ يَتَّبِعُوا حُجَجَ اللَّهِ مَعَ كَثَرَتِهَا.

(٢٤) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مُوَاعِظَ الْقُرْآنِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَّتِهِ؟ بَلْ هَذِهِ الْقُلُوبُ مَغْلَقَةٌ

لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْقُرْآنِ، فَلَا تَتَذَكَّرُ مُوَاعِظَ اللَّهِ وَغَيْرِهِ.

(٢٥) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، وَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ كُفَّارًا بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا وَصَّحَ لَهُمُ الْحَقُّ، الشَّيْطَانُ زَيَّنَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَمَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَلِ.

(٢٦) ذَلِكَ الْإِمْدَادُ لَهُمْ حَتَّى يَتَّيَدُوا فِي الْكُفْرِ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ: سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ خِلَافٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَخْفِيهِ هَؤُلَاءِ وَيَسْرُونَهُ، فَلْيَحْذَرِ الْمُسْلِمُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِ اللَّهِ فِيهَا يَخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢٧) كَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا قَبِضَتِ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَهُمْ وَهُمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ؟

(٢٨) ذَلِكَ الْعَذَابُ الَّذِي اسْتَحَقُّوه وَنَالُوهُ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، وَكَرَهُوا مَا يَرْضِيهِ عَنْهُمْ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمِنْهُ قِتَالُ الْكُفَّارِ بَعْدَ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ صَدَقَةِ وَصَلَةِ رَحِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٢٩) بَلْ أَظُنُّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُخْرِجَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؟ بَلَى فَإِنَّ اللَّهَ يُمَيِّزُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ.

(٣٠) ولو نشاء - أيها النبي - لأريناك أشخاصهم، فلعرقتهم بعلامات ظاهرة فيهم، ولتعرفتهم فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم. والله تعالى لا تخفى عليه أعمال من أطاعه ولا أعمال من عصاه، وسيجازي كلأباً يستحق.

(٣١) ولنختبرنكم - أيها المؤمنون - بالقتال والجهاد لأعداء الله حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز أهل الجهاد منكم والصبر على قتال أعداء الله، ونختبر أفعالكم وأفعالكم، فيظهر الصادق منكم من الكاذب.

(٣٢) إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاربوه من بعد ما جاءهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله، لن يضروا دين الله شيئاً، وسيظل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى.

(٣٣) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في أمرهما ونهيهما، ولا تبطلوا ثواب أعمالكم بالكفر

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَزِيْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَلٌ وَلَهُوَ لَنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِيَكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمْوهَا فَيَحْفَفْكُمْ يَنْحَلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَرَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰأَن تَسْأَلُوهُمْ يُدْعُونَ لِنُفْسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

والمعاصي.

(٣٤) إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له وصدوا الناس عن دينه، ثم ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقاباً لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

(٣٥) فلا تضعفوا - أيها المؤمنون بالله ورسوله - عن جهاد المشركين، وتجنبوا عن قتالهم، وتدعوهو إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم، والله تعالى معكم بنصره وتأييده. وفي ذلك بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء. ولن يُنقصكم الله ثواب أعمالكم.

(٣٦، ٣٧) إنما الحياة الدنيا لعب وغرور. وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يؤتكم ثواب أعمالكم، ولا يسألكم إخراج أموالكم جميعها في الزكاة، بل يسألكم إخراج بعضها. إن يسألكم أموالكم، فليخ عليكم ويجهدكم، تبخلوا بها وتمنعوه إياها، ويظهر ما في قلوبكم من الحقد إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

(٣٨) ها أنتم - أيها المؤمنون - تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم من يبخل بالنفقة في سبيل الله، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله تعالى هو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه، وإن تولوا عن الإيمان بالله وامثال أمره يهلككم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويمجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

﴿سورة الفتح﴾

(١) إنا فتحنا لك - أيها الرسول - فتحاً مبيناً، يُظهرُ الله فيه دينك، وينصرُك على عدوك، وهو هدنة «الحدبية» التي آمنَ الناس بسببها بعضهم بعضاً، فاستعنت دائرة الدعوة لدين الله، وتمكن من يريد الوقوف على حقيقة الإسلام من معرفته، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا؛ ولذلك سمَّاه الله فتحاً مبيناً، أي ظاهراً جلياً.

(٢، ٣) فتحنا لك ذلك الفتح، ويسرناه لك؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ بسبب ما حصل من هذا الفتح من الطاعات الكثيرة وبما تحملته من المشقات، ويتم نعمته عليك بإظهار دينك ونصرُك على أعدائك، ويرشدك طريقاً مستقيماً من الدين لا عوج فيه، وينصرُك الله نصراً قوياً لا يُضغف فيه الإسلام. (٤) هو الله الذي أنزل الطمانينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم «الحدبية» فسكنت، ورسخ اليقين فيها؛ ليزدادوا تصديقاً لله واتباعاً لرسوله مع تصديقهم واتباعهم. والله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض ينصرهم

عباده المؤمنين. وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه.

(٥) ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، ويمحو عنهم سيئ ما عملوا، فلا يعاقبهم عليه، وكان ذلك الجزاء عند الله نجاة من كل غم، وظرفاً بكل مطلوب.

(٦) ويعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين يظنون ظناً سيئاً بالله أنه لن ينصر نبيه والمؤمنين معه على أعدائهم، ولن يُظهر دينه، فعلى هؤلاء تدور دائرة العذاب وكل ما يسوءهم، وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وأعد لهم نار جهنم، وساءت منزلًا يصيرون إليه.

(٧) والله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض يؤيد بهم عباده المؤمنين. وكان الله عزيزاً على خلقه، حكيماً في تدبير أمورهم.

(٨، ٩) إنا أرسلناك - أيها الرسول - شاهداً على أمتك بالبلاغ، مبيناً لهم ما أرسلناك به إليهم، ومبشراً لمن أطاعك بالجنة، ونذيراً لمن عصاك بالعقاب العاجل والآجل؛ لتؤمنوا بالله ورسوله، وتنصروا الله بنصر دينه، وتعظموا الله، وتسبحوه أول النهار وآخره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ
 وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝
 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيُخْلِصَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
 بِاللهِ طَرَفَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَائِقَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَلَتُنْصِرُوهُ وَتُقَرِّوهُ وَلَتَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝

إِنَّا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
 أَيْدِيهِمْ فَمَن تَبَكَ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَى
 بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ فَمَن يَكْفُرْ عَظِيمًا ۝ سَيَقُولُ
 لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا
 فَاسْتَغْفِرُوا لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ
 فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
 نِعْمًا بَل كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ بَلْ طَنَنَّاكَ لِنَ
 يَقْبَلَ الرِّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي
 قُلُوبِهِمْ وَطَنَنَّا ظَنَ السُّوءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ۝ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنِ
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا
 انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَحَاوِرِنَا لَنَأْخُذْهَا ذُرًوًّا وَنَنصَبُ عَلَيْهَا بَرِيدُونَ
 أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مَن قُلْ
 فَمَن يَقُولُونَ بَلْ نَحْشُدْ وَنَسْأَلُ كُلًّا أَلْفَفَقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝

(١٠) إن الذين يبايعونك - أيها النبي -
 بال«الحديبية» على القتال إنما يبايعون الله،
 ويعقدون العقد معه ابتغاء جنته ورضوانه، يد
 الله فوق أيديهم، فهو معهم يسمع أقوالهم،
 ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم،
 فمن نقض بيعته فإنما يعود وبال ذلك على
 نفسه، ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر
 عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم، فيعطيه الله ثواباً جزيلاً،
 وهو الجنة. وفي الآية إثبات صفة اليد الله تعالى
 بما يليق به سبحانه، دون تشبيه ولا تكيف.

(١١) سيقول لك - أيها النبي - الذين تخلفوا
 من الأعراب عن الخروج معك إلى «مكة» إذا
 عاتبهم: شغلتنا أموالنا وأهلونا، فاسأل ربك
 أن يغفر لنا تخلفنا، يقولون ذلك بألسنتهم، ولا
 حقيقة له في قلوبهم، قل لهم: فمن يملك لكم
 من الله شيئاً إن أراد بكم شرّاً أو خيراً؟ ليس
 الأمر كما ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يعلم
 ما انطوت عليه بواطنهم من النفاق، بل إنه
 سبحانه كان بما يعملون خبيراً، لا يخفى عليه
 شيء من أعمال خلقه.

(١٢) وليس الأمر كما زعمتم من اشتغالكم بالأموال والأهل، بل إنكم ظننتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه
 من أصحابه سيهلكون، ولا يَزْجِعون إليكم أبداً، وحسن الشيطان ذلك في قلوبكم، وظننتم ظناً سيئاً أن الله لن ينصر نبيه
 محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على أعدائهم، وكنتم قوماً هلكي لا خير فيكم.

(١٣) ومن لم يصدق بالله وبها جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ويعمل بشره، فإنه كافر مستحق للعقاب، فإننا أعدنا
 للكافرين عذاب السعير في النار.

(١٤) والله ملك السموات والأرض وما فيها، يتجاوز برحمته عمن يشاء فيستر ذنبه، ويعذب بعدله من يشاء. وكان الله
 سبحانه وتعالى غفوراً لمن تاب إليه، رحياً به.

(١٥) سيقول المخلفون إذا انطلقت - أيها النبي - أنت وأصحابك إلى غنائم «خير» التي وعدكم الله بها: اتركوا نذهب
 معكم إلى «خير»، يريدون أن يغيروا بذلك وعد الله لكم. قل لهم: لن تخرجوا معنا إلى «خير»؛ لأن الله تعالى قال لنا من
 قبل رجوعنا إلى «المدينة»: إن غنائم «خير» هي لمن شهد «الحديبية» معنا، فسيقولون: ليس الأمر كما تقولون، إن الله لم
 يأمركم بهذا، إنكم تمنعوننا من الخروج معكم حسداً منكم؛ لئلا نصيب معكم الغنيمة، وليس الأمر كما زعموا، بل كانوا
 لا يفقهون عن الله ما لهم وما عليهم من أمر الدين إلا يسيراً.

قُلْ لِلْمُحَلِّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرٌ عَنِّي إِلَى قَوْمٍ أُوبِيٍّ بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَأِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمِنْ يَمُوتُ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا وَبَأْسًا ۝ وَمَعَازٍ
كَثِيرَةٌ يَأْخُذُ بِهَا ۝ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّ اللَّهُ
مَعَازٍ كَثِيرَةً تَأْخُذُ بِهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ۝ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ۝ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْلُوا الْأَدْبُرَ لَاصْبِرْتُمْ وَلَا تَأْتُوا بِغِيَاثٍ ۝ سَنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝

(١٦) قل للذين تحلفوا من الأعراب - وهم البدو - عن القتال: ستدعون إلى قتال قوم أصحاب بأس شديد في القتال، تقاتلونهم أو يسلمون من غير قتال، فإن طيعوا الله فيها دعاكم إليه من قتال هؤلاء القوم يؤتكم الجنة، وإن تعصوه كما فعلتم حين تخلفتم عن السير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، يعذبكم عذاباً موجعاً.

(١٧) ليس على الأعمى منكم - أيها الناس - إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم في أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومن يعص الله ورسوله، فيتخلف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذاباً مؤلماً موجعاً.

(١٨، ١٩) لقد رضي الله عن المؤمنين حين يبايعوك - أيها النبي - تحت الشجرة - وهذه هي بيعة الرضوان في «الحديبية» - فعلم الله ما في قلوب هؤلاء المؤمنين من الإيمان والصدق والوفاء، فأنزل الله الطمأنينة عليهم وثبت

قلوبهم، وعوّضهم عما فاتهم بصلح «الحديبية» فتحاً قريباً، وهو فتح «خيب»، ومغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود «خيب». وكان الله عزيزاً في انتقامه من أعدائه، حكيماً في تدبير أمور خلقه.

(٢٠-٢٢) وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها في أوقاتها التي قدرها الله لكم ففعل لكم غنائم «خيب»، وكف أيدي الناس عنكم، فلم ينلكنم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من المحاربة والقتال، ومن أن ينالوا من تركتموهم وراءكم في «المدينة»، ولتكون هزيمتهم وسلامتكم وغنيمتكم علامة تعتبرون بها، وتستدلون على أن الله حافظكم وناصركم، ويرشدكم طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه. وقد وعدكم الله غنيمة أخرى لم تقدروا عليها، الله سبحانه وتعالى قادر عليها، وهي تحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، ولا بد من وقوع ما وعد به. وكان الله على كل شيء قديرًا لا يُعجزه شيء. ولو قاتلكم كفار قريش بـ «مكة» لانهزموا عنكم ولتوكم ظهورهم، كما يفعل المنهزم في القتال، ثم لا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا ينصرونهم على حربكم، ولا نصيراً يعينهم على قتالكم.

(٢٣) سنة الله التي سنّها في خلقه من قبل بنصر جنده وهزيمة أعدائه، ولن تجد - أيها النبي - لسنة الله تغييراً.

(٢٤) وهو الذي كف أيدي المشركين عنكم، وأيديكم عنهم بطن «مكة» من بعد ما قُذِرتم عليهم، فصاروا تحت سلطانكم، وهؤلاء المشركون هم الذين خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ «الحدبية»، فأمسكهم المسلمون ثم تركوهم ولم يقتلوهم، وكانوا نحو ثمانين رجلاً، وكان الله بأعمالكم بصيراً، لا تخفى عليه خافية.

(٢٥) كفار قريش هم الذين جحدوا وتوحيد الله، وصدوكم يوم «الحدبية» عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى، وجسوه أن يبلغ مَجْلَ نحره، وهو الحرم. ولولا رجال مؤمنون مستضعفون ونساء مؤمنات بين أظهر هؤلاء الكافرين بـ «مكة»، يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم لم تعرفوهم؛ خشية أن تطوهم بجيشكم فقتلوهم، فيصيبكم بذلك القتل إثم وعيب وغرامة بغير علم، لكننا سلطناكم عليهم؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء فيؤمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، لومئذ هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن مشركي «مكة» وخرجوا من بينهم، لعذبنا الذين كفروا وكذبوا منهم عذاباً مؤلماً موجعاً.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُمْ فَمَا نَبْلَغُ مَجْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَيُضِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّبِّيَّ بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

(٢٦) إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الأتفة اتفة الجاهلية؛ لتلا يقرؤا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك امتناعهم أن يكتبوا في صلح «الحدبية» بسم الله الرحمن الرحيم» وأبو أن يكتبوا «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فأنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين معه، وألزمهم قول «لا إله إلا الله» التي هي رأس كل تقوى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه أحق بكلمة التقوى من المشركين، وكانوا كذلك أهل هذه الكلمة دون المشركين. وكان الله بكل شيء عليماً لا يخفى عليه شيء.

(٢٧) لقد صدق الله رسوله محمداً -صلى الله عليه وسلم- رؤياه التي أراها إياه بالحق لتدخل أنت وأصحابك بيت الله الحرام آمينين، لا تخافون أهل الشرك، محلقين رؤوسكم ومقصرين، فعلم الله من الخير والمصلحة -في صرفكم عن «مكة» عامكم ذلك ودخولكم إليها فيما بعد- ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون دخولكم «مكة» الذي وعدتم به، فتحاً قريباً، وهو هدنة «الحدبية» وفتح «خير».

(٢٨) هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، بالبيان الواضح ودين الإسلام؛ ليُغلبه على الملل كلها، وحسبك -أيها الرسول- بالله شاهداً على أنه ناصرك ومظهر دينك على كل دين.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْنَجٍ أَخْرَجَ شَطْلَهُ فَذَارَهُ وَخَاسِتِفَالُ فَاسْتَوَى عَلَى سُرُبَةٍ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥﴾

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْضُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتُمْ أَلِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَادَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ يَحْطَأَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

(٢٩) محمد رسول الله، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيهم بينهم، تراهم ركعاً سجداً لله في صلاتهم، يرجون ربه أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائماً على سيقانه جيلاً منظره، يعجب الزراع؛ ليغظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة - رضي الله عنهم -، لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وجد في حقه موجب الغيظ، وهو الكفر. وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثواباً جزيلاً لا ينقطع، وهو الجنة. ووعد الله حق مصدق لا يخلف، وكل من اتقى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

﴿سورة الحجرات﴾

- (١) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تقضوا أمراً دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا، وخافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالف أمر الله ورسوله، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم. وفي هذا تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يشرعوا ما لم يأذن به الله.
- (٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له، ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميزوه في خطابه كما تميز عن غيره في اصطفااته لحمل رسالة ربه، ووجوب الإتيان به، ومحبة وطاعة والافتقار به؛ خشية أن تبطل أعمالكم، وأنتم لا تشعرون، ولا تحسبون بذلك.
- (٣) إن الذين يحضنون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين اختبر الله قلوبهم وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل، وهو الجنة.
- (٤) إن الذين ينادونك - أي النبي - من وراء حجراتك بصوت مرتفع، أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوقيره.

(٥) ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم عند الله؛ لأن الله قد أمرهم بتوقيرك، والله غفور لما صدر عنهم جهلاً منهم من الذنوب والإخلال بالأداب، رحيم بهم حيث لم يعالجهم بالعقوبة.

(٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن جاءكم فاسق بखبر فثبتوا من خبره قبل تصديقه ونقله حتى تعرفوا صحته؛ خشية أن تصيبوا قوماً برأء بجنایة منكم، فتندموا على ذلك.

(٧) واعلموا أن بين أظهركم رسول الله فتأدبوا معه؛ فإنه أعلم منكم بما يصلح لكم، يريد بكم الخير، وقد تريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه، لو يطيعكم في كثير من الأمور مما تختارونه لأدى ذلك إلى مشقتكم، ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وحسنه في قلوبكم، فآمنتم، وكره إليكم الكفر بالله والخروج عن طاعته، ومعصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الراشدون السالكون طريق الحق.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ نَفْسًا عَلَى مَا فَتَقَلْتُمْ نَفْسًا ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّكَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَأْتِيَ إِلَى الْأَمْرِ لِلَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِأَعْدِلٍ وَأَفْضَلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنكُمْ وَلَا تَنْزِيلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا هُمُ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾

(٨) وهذا الخير الذي حصل لهم فضل من الله عليهم ونعمة. والله عليم بمن يشكر نعمه، حكيم في تدبير أمور خلقه.

(٩) وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا فأصلحوا -أيها المؤمنون- بينهما بدعوتها إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والرضا بحكمهما، فإن اعتدت إحدى الطائفتين وأبت الإجابة إلى ذلك، فقاتلوا حتى ترجع إلى حكم الله ورسوله، فإن رجعت فأصلحوا بينهما بالإنصاف، واعدلوا في حكمكم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله، إن الله يحب العادلين في أحكامهم القاضين بين خلقه بالقسط. وفي الآية إثبات صفة المحبة لله على الحقيقة، كما يليق بجلاله سبحانه.

(١٠) إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا، وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحوا.

(١١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعته لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين؛ عسى أن يكون المهزوء به منهم خيراً من الهازئين، ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات؛ عسى أن يكون المهزوء به منهن خيراً من الهازئات، ولا يعب بعضكم بعضاً، ولا يدع بعضكم بعضاً بما يكره من الألقاب، بشئ الصفة والاسم الفسوق، وهو السخرية واللمز والتنازع بالألقاب، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ومن لم يتب من هذه السخرية واللمز والتنازع والفسوق فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب هذه المناهي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَحَمَلَكُمْ فِي بُحُونَ جَيْدٍ وَإِن كَرِهَتْ أُمَمٌ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَخِفُوا اللَّهَ فِيهَا أَمْرُكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ آبٍ وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ، وَأُمُّ وَاحِدَةٍ هِيَ حَوَاءٌ، فَلَا تَفْضُلُ بَيْنَكُمْ فِي النِّسْبِ، وَجَعَلْنَاكُمْ لِتَتَنَاسَلُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ مُتَعَدَّةٌ لِّيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ، خَبِيرٌ بِهِمْ. ﴿١٥﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ - وَهَمَّ الْبَدْوُ - : آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّا إِبْنَاءُ كَامِلًا، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - : لَا تَدْعُوا لَأَنفُسِكُمُ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ، وَلَكِنْ قُولُوا: أَسْلَمْنَا، وَلَمْ يَدْخُلْ بَعْدُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنْقُصْكُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِّمَن تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، رَحِيمٌ بِهِ. وَفِي الْآيَةِ زَجْرٌ لِّمَن يُظْهِرُ الْإِيمَانَ، وَتَابِعَةُ السَّنَةِ، وَأَعْمَالُهُ تَشْهَدُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

(١٥) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَبَذَلُوا نَفَاسَ أَمْوَالِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ. (١٦) قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ: اتَّخَذْتُمْ اللَّهَ بَدِينَكُمْ وَبِهَا فِي ضَمَائِرِكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؟ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْ الْكُفْرِ، وَالْبَرِّ أَوْ الْفُجُورِ. (١٧) يَمُنُّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ عَلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - بِإِسْلَامِهِمْ وَتَابِعَتِهِمْ وَنَصَرَتِهِمْ لَكَ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُونَا عَلَى دُخُولِكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ الْمُنَّةُ عَلَيْكُمْ فِيهِ أَنْ وَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَرَسُولِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِيْمَانِكُمْ. (١٨) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، إِنْ خَيْرًا أَوْ خَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا أَفْشَرًا.

﴿سورة ق﴾

(١) ﴿ق﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

أقسم الله تعالى بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف.

(٢) بل عجب المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم أن جاءهم منذر منهم ينذرهم عقاب الله، فقال الكافرون بالله ورسوله: هذا شيء مستغرب يتعجب منه.

(٣) أإذا متنا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ ذلك رجوع بعيد الوقوع.

(٤) قد علمنا ما تنقص الأرض وتُفني من أجسامهم، وعندنا كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، بكل ما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

(٥) بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن حين جاءهم، فهم في أمر مضطرب مختلط، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار.

(٦) أغفلوا حين كفروا بالبعث، فلم ينظروا إلى الساء فوقهم، كيف بنيناها مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، وزيناها بالنجوم، وما لها من شقوق

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۚ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ إِنْ آمَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۚ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِظٌ ۚ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۚ أَفَأَنْتُمْ أَنْظِرُوهُنَّ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيْنَهَا وَأَنْتُمْ لَا تَوَعُّدُونَ ۚ وَمَا لَكُمْ مِنْ فُرُوجٍ ۚ وَالْأَرْضُ مَدَدُهَا وَالتِّينَتَانِ فَهَارُوسَتَانِ ۚ وَأَنْبَشْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَجْعٍ بَهِيْجٍ ۚ بَصِيرَةٌ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۚ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِرًا فَأَنْبَشْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۚ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۚ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۚ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۚ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودُ ۚ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ وَهُمْ يَتَّبِعُ كُلَّ كَذِبٍ أُتِرِلَ فِيهِ وَعِيدٌ ۚ أَفَعَيْنَا بِالْحَقِّ الْأَوَّلَ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ

وفتوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب؟

(٧) والأرض وسفناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبلاً ثواباً، لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يسر ويهيج الناظر إليه.

(٨) خلق الله السموات والأرض وما فيها من الآيات العظيمة عبرة يُبصر بها من عمى الجهل، وذكرى لكل عبد خاضع خائف ووجل، رجاء إلى الله عز وجل.

(٩) ونزلنا من السماء مطراً كثير المنافع، فأنبتنا به بساتين كثيرة الأشجار، وحب الزرع المحصول.

(١٠) وأنبتنا النخل طوالاً، لها طلع مترابك بعضه فوق بعض.

(١١) أنبتنا ذلك رزقاً للعباد يقتاتون به حسب حاجاتهم، وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات، كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

(١٢-١٤) كذبت قبل هؤلاء المشركين من فريش قوم نوح وأصحاب البئر وثمود، وعاد وفرعون وقوم لوط، وأصحاب الأيكة قوم شعيب، وقوم تبع الحميري، كل هؤلاء الأقوام كذبوا برسولهم، فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم.

(١٥) أفعمجرتنا عن ابتداء الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئاً، فتعجز عن إعادتهم خلقاً جديداً بعد فنائهم؟ لا يعجزنا ذلك، بل نحن عليه قادرون، ولكنهم في حيرة وشك من أمر البعث والنشور.

(١٦) ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تُحدث به نفسه، ونحن أقرب إليه عِزُّ في العنق متصل بالقلب.

(١٧) حين يكتب المَلَكُان المترصدان عن يمينه وعن شِماله أعماله. فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

(١٨) ما يلفظ من قول فيتكلم به إلا لديه مَلَكٌ يرقب قوله، ويكتبه، وهو مَلَكٌ حاضر مُعَدٌّ لذلك.

(١٩) وجاءت شدة الموت وغمرته بالحق الذي لا مردَّ له ولا مناص، ذلك ما كنت منه -أيها الإنسان- تهرب وتروغ.

(٢٠) ونُفِخ في «القرن» نفخة البعث الثانية، ذلك النفخ في يوم وقوع الوعيد الذي توعد الله به الكفار.

(٢١) وجاءت كل نفس معها مَلَكُان، أحدهما يسوقها إلى المحشر، والآخر يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير وشر.

(٢٢) لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان، فكشفنا عنك غطاءك الذي غطى قلبك، فزالَت الغفلة عنك، فبصرك اليوم فيها تشهد قوي شديد.

(٢٣) وقال المَلَكُ الكاتب الشهيد عليه: هذا ما عندي من ديوان عمله، وهو لدي مُعَدٌّ محفوظ حاضر.

(٢٤-٢٦) يقول الله للمَلَكَيْن السائق والشهيد بعد أن يفصل بين الخلائق: ألقيا في جهنم كل جاحد أن الله هو الإله الحق، كثير الكفر والتكذيب معاند للحق، متاع لآداء ما عليه من الحقوق في ماله، مُعْتَدٍ على عباد الله وعلى حدوده، شك في وعده ووعيده، الذي أشرك بالله، فعبد معه معبوداً آخر من خلقه، فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

(٢٧) قال شيطانه الذي كان معه في الدنيا: ربنا ما أضللتُه، ولكن كان في طريق بعيد عن سبيل الهدى.

(٢٨) قال الله تعالى: لا تختصموا لدي اليوم في موقف الجزاء والحساب؛ إذ لا فائدة من ذلك، وقد قَدِّمْتُ إليكم في الدنيا بالوعد لمن كفر بي وعصاني.

(٢٩) ما يُعَيَّرُ القول لدي، ولست أعدُّب أحداً بذنب أحد، فلا أعدُّب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

(٣٠) اذكر -أيها الرسول- لقومك يوم نقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وتقول جهنم: هل من زيادة من الجن والإنس؟ فيضع الرب -جل جلاله- قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطُّ قَطُّ، أي: حَسْبِي، قد امتلأت ليس فيَّ مزيد.

(٣١) وقرَّبَت الجنة للمُتَّقِينَ مكاناً غير بعيد منهم، فهم يشاهدونها زيادة في المسرة لهم.

(٣٢، ٣٣) يقال لهم: هذا الذي كنتم توعدون به -أيها المُتَّقُونَ- لكل نائب من ذنوبه، حافظ لكل ما قرَّبَه إلى ربه، من الفرائض والطاعات، مَنْ خاف الله في الدنيا ولقيه يوم القيامة بقلب نائب من ذنوبه.

(٣٤) ويقال لهؤلاء المؤمنين: ادخلوا الجنة دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشُرور، مأموناً فيه جميع المكارِه، ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع.

(٣٥) لهؤلاء المؤمنين في الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظمُهُ النظر إلى وجه الله الكريم.

(٣٦) وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش
أما كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة، فطوفوا
في البلاد وسلكوا كل طريق؛ طلباً للهرب من
الهلاك، هل من مهرب من عذاب الله حين
جاءهم؟

(٣٧) إن في إهلاك القرون الماضية لعبرة لمن
كان له قلب يعقل به، أو أصغى السمع، وهو
حاضر بقلبه، غير غافل ولا ساهٍ.

(٣٨) ولقد خلقنا السموات السبع والأرض
وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام،
وما أصابنا من ذلك الخلق تعب ولا نصب. وفي
هذه القدرة العظيمة دليل على قدرته - سبحانه -
على إحياء الموتى من باب أولى.

(٣٩، ٤٠) فاطر - أيها الرسول - على ما يقوله
المكذبون، فإن الله لهم بالمرصاد، وصل لربك
حامداً له صلاة الصبح قبل طلوع الشمس
وصلاة العصر قبل الغروب، وصل من الليل،
وسبح بحمد ربك عقب الصلوات.

(٤١، ٤٢) واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي
الملك بتفخه في «القرن» من مكان قريب، يوم
يسمعون صيحة البعث بالحق الذي لا شك فيه
ولا امتراء، ذلك يوم خروج أهل القبور من
قبورهم.

(٤٣، ٤٤) إنا نحن نحياي الخلق ونميتهم
في الدنيا، وللبنا مصيرهم جميعاً يوم القيامة للحساب والجزاء، يوم تصدع الأرض عن الموتى المقبورين بها، فيخرجون
مسرعين إلى الداعي، ذلك الجمع في موقف الحساب علينا سهل يسير.
(٤٥) نحن أعلم بما يقول هؤلاء المشركون من افتراء على الله وتكذيب بآياته، وما أنت - أيها الرسول - عليهم بمسلط؛
لتجبرهم على الإسلام، وإنا نبئت مبلغاً، فذكر بالقرآن من يخشى وعيدي؛ لأن من لا يخاف الوعيد لا يذكر.

وَكُرْهُلِكُمْ أَتَقْتُلُونَهُمْ قَرْنًا مِمَّنْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا
فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبُرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ نَشْفِقُ الْأَرْضَ
عَنْهُمْ سِرًّا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِبَتِ ذَرَوًا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَلَتْ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَأَلْجَزَتِ بُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمَقَّةَ سَمَدًا ﴿٤﴾ إِنَّا نُوَعِدُونَ لَصَادِقَ ﴿٥﴾ وَلَئِنْ لَدَيْنَا لَوَعْدٌ ﴿٦﴾

﴿سورة الذاريات﴾

(١-٦) أقسم الله تعالى بالرياح المثبرات للتراب، فالسحب الحاملات ثقلاً عظيماً من الماء، فالسفن التي تجري في البحار
جرياً ذا يسر وسهولة، فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. إن الذي توعدون به - أيها الناس - من البعث والحساب لكائن
حق يقين، وإن الحساب والثواب على الأعمال لكائن لا محالة.

(٧-٩) وأقسم الله تعالى بالسما ذات الخلق الحسن، إنكم -أيها المكذبون- لفي قول مضطرب في هذا القرآن، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم. يصرّف عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم من صُرف عن الإيمان بها؛ لإعراضه عن أدلة الله وبراهينه اليقينية فلم يوفق إلى الخير.

(١٠، ١١) لعن الكذابون الظانون غير الحق، الذين هم في لجة من الكفر والضلالة غافلون متبادون.

(١٢) يسأل هؤلاء الكذابون سؤال استبعاد وتكذيب: متى يوم الحساب والجزاء؟

(١٣، ١٤) يوم الجزاء، يوم يُعذبون بالأحراق بالنار، ويقال لهم: ذوقوا عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا.

(١٥، ١٦) إن الذين اتقوا الله في جنات عظيمة، وعيون ماء جارية، أعطاهم الله جميع ثمنهم من أصناف النعيم، فأخذوا ذلك راضين به، فرحة به نفوسهم، إنهم كانوا قبل ذلك النعيم محسنيين في الدنيا بأعمالهم الصالحة.

(١٧، ١٨) كان هؤلاء المحسنون قليلاً من الليل ما ينامون، يُصلّون لربهم قانتين له، وفي أواخر الليل قبيل الفجر يستغفرون الله من ذنوبهم.

(١٩) وفي أموالهم حق واجب ومستحب للمحتاجين الذين يسألون الناس، والذين لا يسألونهم حياءً.

(٢٠) وفي الأرض عبر ودلائل واضحة على قدرة خالقها لأهل اليقين بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والمصدقين لرسوله صلى الله عليه وسلم.

(٢١) وفي خلق أنفسكم دلائل على قدرة الله تعالى، وعبر تدلّكم على وحدانية خالقكم، وأنه لا إله لكم يستحق العباداة سواه، أغفلتم عنها، فلا تبصرون ذلك، فتعتبرون به؟

(٢٢) وفي السما رزقكم وما تودعون من الخير والشر والثواب والعقاب، وغير ذلك كله مكتوب مقدّر.

(٢٣) أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدكم به حق، فلا تُشْكروا فيه كما لا تُشْكُون في نطقكم.

(٢٤، ٢٥) هل أتاك -أيها الرسول- حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم -وكانوا من الملائكة الكرام- حين دخلوا عليه في بيته، فحيّوه قائلين له: سلاماً، فردّ عليهم التحية قائلاً: سلام عليكم، أنتم قوم غرباء لا نعرفكم.

(٢٦-٢٨) فعُدّل ومال خفية إلى أهله، فعمد إلى عجل سمين فذبحه، وشواه بالنار، ثم وضعه أمامهم، وتلطّف في دعوتهم إلى الطعام قائلاً: ألا تاكلون؟ فلما رآهم لا يأكلون أحسن في نفسه خوفاً منهم، قالوا له: لا نخف إنا رسل الله، وبشّروه بأن زوجته -سارة- ستلد له ولداً، سيكون من أهل العلم بالله وبدينه، وهو إسحاق عليه السلام.

(٢٩، ٣٠) فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالشارة أقبلت نحوهم في صيحة، فلطمّت وجهها تعجباً من هذا الأمر، وقالت: كيف ألدو وأنا عجوز عقيم لا ألد؟ قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك كما أخبرناك، وهو القادر على ذلك، فلا عجب من قدرته. إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، العليم بمصالح عباده.

(٣١-٣٤) قال إبراهيم عليه السلام، ملائكة الله: ما شأنكم وفيهم أرسلتم؟ قالوا: إن الله أرسلنا إلى قوم قد أجرموا لكفرهم بالله؛ لنهلكهم بحجارة من طين متحجّر، معلّمة عند ربك هؤلاء المتجاوزين الحدّ في الفجور والعصيان.

(٣٥) فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من أهل الإيوان.

(٣٦) فما وجدنا في تلك القرية غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط عليه السلام.

(٣٧) وتركتنا في القرية المذكورة أثراً من العذاب باقياً علامة على قدرة الله تعالى وانتقامه من الكفرة، وذلك عبرة لمن يخافون عذاب الله المؤلم الموجع.

(٣٨، ٣٩) وفي إرسالنا موسى إلى فرعون وملئه بالآيات والمعجزات الظاهرة آية للذين يخافون العذاب الأليم. فأعرض فرعون مغترّاً بقوته وجانبه، وقال عن موسى: إنه ساحر أو مجنون.

(٤٠) فأخذنا فرعون وجنوده، فطرحناهم في البحر، وهو آت ما يلام عليه؛ بسبب كفره وجحوده وفجوره.

(٤١، ٤٢) وفي شأن عاد وإهلاكهم آيات وعبر لمن تأمل، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا بركة

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿ لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ بِتَأْسِيرِ فِرْعَوْنَ ﴾ ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ وَتَرَكْنَاهُمْ آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿ وَفِي مِثْقَلِ ذَرَّةٍ إِذَا أُرْسِلَتْهُ إِلَى فِرْعَوْنَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ ﴾ ﴿ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ حُجُودٌ ﴾ ﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ ﴾ ﴿ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ ﴾ ﴿ مَا تَذَرْنَمُ شَيْءٌ أَنْتَ عَلَيْهِمْ إِلَّا جَحَاشَةٌ كَالرِّيمِ ﴾ ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ ﴿ فَتَعَوَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ ﴿ وَفَعَّرْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَمَا فَعَّرْنَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ ﴾ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهُ بِإِبْرَهِيمَ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَدِّدُونَ ﴾ ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ لَكُمْ عُذْرٌ يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرَهُمْ إِنَّهُمْ ضَالُّونَ ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿

فيها ولا تأتي بخير، ما تدع شيئاً مَرَّت عليه إلا صَبَرَتْه كالشيء البالي.

(٤٣، ٤٤) وفي شأن ثمود وإهلاكهم آيات وعبر، إذ قيل لهم -والقاتل بينهم صالح عليه السلام-: تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام حتى تنتهي آجالكم. فقصوا أمر ربهم، فأخذتهم صاعقة العذاب، وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم.

(٤٥) فما أمكنهم الحرب ولا النهوض مما هم فيه من العذاب، وما كانوا منتصرين لأنفسهم.

(٤٦) وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء، إنهم كانوا قوماً مخالفين لأمر الله، خارجين عن طاعته.

(٤٧) والساء خلقناها وأنقذناها، وجعلناها سقفاً للأرض بقوة وقدرة عظيمة، وإننا لموسعون لأرجائها وأنحائها.

(٤٨) والأرض جعلناها فراشاً للخلق للاستقرار عليها، فنعم الماهدون نحن.

(٤٩) ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين؛ لكي تذكروا قدرة الله، وتعتبروا.

(٥٠) ففروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبتوكله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بين الإنذار. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله.

(٥١) ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر، إني لكم من الله نذير بين الإنذار.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ تَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَحِيلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الطُّور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَشْهُورٍ ﴿٣﴾ وَأَلْبَيْتَ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرَ الْمُسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

(٥٢) كما كذبت قريش نبيها محمداً صلى الله عليه وسلم، وقالوا: هو شاعر أو ساحر أو مجنون، فعلت الأمم المكذبة رسلاً من قبل قريش، فأحل الله بهم نعمته.

(٥٣) أتواصى الأولون والآخرون بالكذب بالرسول حين قالوا ذلك جميعاً؟ بل هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فقال متأخروهم ذلك، كما قاله متقدموهم.

(٥٤) فأعرض - أيها الرسول - عن المشركين حتى يأتيك فيهم أمر الله، فما أنت بملوم من أحد، فقد بلغت ما أرسلت به.

(٥٥) ومع إعراضك - أيها الرسول - عنهم، وعدم الالتفات إلى تحذيلهم، دوام على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أرسلت إليهم، فإن التذكير والموعظة تنفع بها أهل القلوب المؤمنة، وفيها إقامة الحجة على المعرضين.

(٥٦) وما خلقت الجن والإنس وبعثت جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادتي وحدي دون من سواي.

(٥٧) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعموا، فانا الرزاق المعطي. فهو سبحانه غير محتاج إلى الخلق، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم والغني عنهم.

(٥٨) إن الله وحده هو الرزاق لخلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوة المتين، لا يقهر ولا يغالب، فله القدرة والقوة كلها.

(٥٩) فإن للذين ظلموا بتكذيبهم الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم نصيباً من عذاب الله نازلاً بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم، فلا يستجلبون بالعذاب، فهو آتيهم لا محالة.

(٦٠) فهلاك وشقاء للذين كفروا بالله ورسوله من يومهم الذي يوعدون فيه بنزول العذاب بهم، وهو يوم القيامة.

سورة الطُّور

(١-٦) أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه، وبكتاب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة، وبالبیت المعمور في السماء بالملائكة الكرام الذين يطوفون به دائباً، وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا، وبالحجر المسجور المملوء بالمياه.

(٧-١٠) إن عذاب ربك - أيها الرسول - بالكفار لواقِع، ليس له من مانع يمنعه حين وقوعه، يوم تتحرك السماء فيختل نظامها وتضطرب أجزاؤها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا، وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كسير السحاب.

(١١، ١٢) فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين الذين هم في خوض بالباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزواً ولعباً.

(١٣، ١٤) يوم يُدْفَع هؤلاء المكذبون دفْعاً بعنف ومهانة إلى نار جهنم، ويقال توبيخاً لهم: هذه هي النار التي كنتم بها تكذبون.

(١٥، ١٦) أفسح ما تشاهدونه من العذاب أم أنتم لا تظنونه؟ ذوقوا حرَّ هذه النار، فاصبروا على ألماها وشدها، أولا تصبروا على ذلك، فلن يُخَفَّفَ عنكم العذاب، ولن تخرجوا منها، سواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا، إنها تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا.

(١٧، ١٨) إن المتقين في جنات ونعيم عظيم، يتفكهون بها أتاهم الله من النعيم من أصناف الملائكة المختلفة، ونجاهم الله من عذاب النار. (١٩، ٢٠) كلوا طعماً هنيئاً، واشربوا شرباً سائغاً، جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا. وهم متكئون على سرر متقابلة، وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسناً.

(٢١) والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيثار، ألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم؛ لتقرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجتمع بينهم على أحسن الأحوال، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أفعالهم. كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس.

(٢٢، ٢٣) وزدناهم على ما ذكر من النعيم فواكه ولحوماً بما يستطاب ويُسْتَهَي، ومن هذا

أَقْبَحُ حَرْجٍ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَلَهُمْ فِيهَا مَا أُنْهَرَتْ بِهِ رُءُوسُهُمْ وَوَقَفَهُمْ رُءُوسُهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مَتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوعَةٍ وَزَوْجُهُمْ يَجُورِعِينَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلٌّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيهَا كَهَيَاةٍ وَلَوْ وَمَا يَنْسَوْنَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكُمْ مَكُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلٍ مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ تَأْوِيلًا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبُّصُ بِهِ رَبَّ رَبِّ الْمُتَوَّسِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

النعيم أنهم يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر، ينالوا أحدهم صاحبه؛ ليتيم بذلك سرورهم، وهذا الشرب مخالف لخم الدنيا، فلا يزول به عقل صاحبه، ولا يحصل بسببه لغو، ولا كلام فيه إثم أو معصية.

(٢٤) ويطوف عليهم غلمان مُعَدُّون لخدمتهم، كأنهم في الصفاء واليباض والتناسق لؤلؤ مصون في أصدافه.

(٢٥-٢٨) وأقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً ما هم فيه وسببه، قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا - ونحن بين أهلينا - خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة. فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ تَأْوِيلًا والتوفيق، ووقانا عذاب السموم جهنم، وهو نارها وحرارتها. إنا كنا من قبل نضرع إليه وحده لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السموم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، إنه هو البر الرحيم. فيون بره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا من سخطه والنار.

(٢٩) فَذَكِّرْ - أيها الرسول - مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ، فما أنت إلا نعمة الله عليك بالنبوة ورحمة العقل بكاهن يخبر بالغيب دون علم، ولا مجنون لا يعقل ما يقول كما يدَّعون.

(٣٠، ٣١) أم يقول المشركون لك - أيها الرسول - : هو شاعر نتنظر به نزول الموت؟ قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا الْغُبَاءِ أَهْوَ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ
 بَلْ لَا يَوْمُومُنَّ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
 ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوْمُومُنَّ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ
 رَبِّهِمْ أَمْ لَهُمُ الْمَصْيُطَرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُبُورٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
 مُسْمِعُهُمْ يُسْأَلُنْ مِنْهُمْ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ ﴿٣٩﴾
 أَمْ نَسْنَاهُمْ بِآخِرِهِمْ مَنْ مَعَرَفٍ مُقْبَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ
 فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْعَاكِدُونَ ﴿٤٢﴾
 أَمْ لَهُمْ آلَهِ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا
 مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ الْيَجِيذِ

(٣٢) بل أنا أمر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟ ذلك أن صفات الكهانة والشعر والجنون لا يمكن اجتماعها في آن واحد، بل هم قوم متجاوزون الحد في الطغيان.
 (٣٣) بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؟ بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه.
 (٣٤) فلأيتوا بكلام مثل القرآن، إن كانوا صادقين - في زعمهم - أن محمداً اختلفه.
 (٣٥) أخلق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وكلا الأمرين باطل ومستحيل. وبهذا يتعين أن الله سبحانه هو الذي خلقهم، وهو وحده الذي يستحق العبادة ولا تصلح إلا له.
 (٣٦) أم خلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟ بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون.
 (٣٧) أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء.
 (٣٨) أم هم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن الذي هم عليه حق؟ فلماذا من يزعم أنه استمع ذلك بحجة بينة تصدق دعواه.
 (٣٩) أليس سبحانه البنات والبنون كما تزعمون افتراء وكذبا؟

(٤٠) بل أتساءل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين أجزأ على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟
 (٤١) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم الغيب في السموات والأرض إلا الله.
 (٤٢) بل يريدون برسول الله وبالمؤمنين مكراً، فالذين كفروا يرجع كيدهم ومكرهم على أنفسهم.
 (٤٣) أم لهم معبود يستحق العبادة غير الله؟ تزعمون على عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الودانة والعبادة.
 (٤٤) وإن ير هؤلاء المشركون قطعاً من السماء ساقطاً عليهم عذاباً لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.
 (٤٥) فذرع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهلكون، وهو يوم القيامة.
 (٤٦) وفي ذلك اليوم لا يدفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئاً، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله.
 (٤٧) وإن هؤلاء الظلمة عذابا يلحقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسي والعذاب البرزخ وغير ذلك، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.
 (٤٨، ٤٩) واصبر - أيها الرسول - لحكم ربك وأمره فيها حُكْم من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك برأى منا وحفظ واعتناء، وسبح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبح بحمد ربك وعظمه، وصل له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم.
 وفي هذه الآية إثبات لصفة العينين لله تعالى بما يليق به، دون تشبيهه بخلقه أو تكييف لذاته، سبحانه وبحمده، كما ثبت ذلك بالسنّة، وأجمع عليه سلف الأمة، واللفظ ورد هنا بصيغة الجمع للتعظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَطُوعُ
 آلَهُؤَلَىٰ ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ مُّبِينٌ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝
 ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝
 مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتَعْمُرُونَ عَلَىٰ مِثْرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ
 نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ عِنْدَ هَاجَةِ الْمَأْوَىٰ ۝
 إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ
 مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ أَفَتَعْمُرُ اللَّتَّ وَالْعَكْوَىٰ ۝ وَمَنُوءَ
 الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ ۝ الْكَلِمَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ
 ضِيزَىٰ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْثَىٰ وَآبَاءُ وَكُم مَّا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأُنْفُسُ
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَيَلْهَى
 الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ وَكَمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْلَمُ
 شَيْعَةً مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِيَّادَنْ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝

سورة النجم

(٤-١) أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما
 حاد محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية
 والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية
 الاستقامة والاعتدال والسداد، وليس نطقه
 صادراً عن هوى نفسه، ما القرآن وما السنة
 إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه
 وسلم.

(٥-١١) علّم محمد صلى الله عليه وسلم ملك
 شديد القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل
 عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته
 الحقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم في الأفق
 الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا
 جبريل من الرسول صلى الله عليه وسلم، فزاد
 في القرب، فكان دنوه مقدار قوسين أو أقرب
 من ذلك. فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده
 محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى بواسطة
 جبريل عليه السلام، ما كذب قلب محمد صلى
 الله عليه وسلم ما رآه بصره.

(١٢-١٨) أتكذبون محمد صلى الله عليه وسلم،
 فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟
 ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل
 على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها مرة
 أخرى عند سدره المنتهى - شجرة تبقي - وهي في
 السماء السابعة، ينتهي إليها ما يُعْرَج به من الأرض، وينتهي إليها ما يُبْطِط به من فوقها، عندها جنة المأوى التي وُعد بها
 المتقون. إذ يغشى السدره من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم على
 صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يميناً ولا شمالاً، ولا جاوز ما أُمِر برؤيته. لقد رأى محمد صلى الله عليه
 وسلم ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك.

(١٩، ٢٠) أفرأيتم - أيها المشركون - هذه الآلهة التي تعبدونها: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، هل نفعت أو ضرت
 حتى تكون شركاء لله؟

(٢١-٢٣) أنجعلون لكم الذكر الذي ترضونه، وتجعلون لله بزعيمكم الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟ تلك إذا قسمة
 جائرة. ما هذه الأوثان إلا أسماء ليس لها من أوصاف الكمال شيء، إنما هي أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم
 الباطلة، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها. ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهو أنفسهم المنحرفة عن
 الفطرة السليمة، ولقد جاءهم من ربهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه هدايتهم، فما اتفقوا به.

(٢٤، ٢٥) ليس للإنسان ما تمناه من شفاعة هذه المعبودات أو غيرها عما تهاوى نفسه، قلله أمر الدنيا والآخرة.
 (٢٦) وكثير من الملائكة في السموات مع علو منزلتهم، لا تنفع شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة،
 ويرضى عن المشفوع له.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ۚ
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۚ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا ۚ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ قَوْلٍ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ
الذِّنْيَا ۚ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ۚ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ۚ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَفْتُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى ۚ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِشْرَاءِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَنْتُمْ أَجْنَةٌ ۚ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ أَنْتُمْ أَتَقُونَ ۚ أَقْرَبَ بِنْتِ الذِّى تَوَلَّى ۚ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى ۚ
أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ ۚ فَهَوِّدِي ۚ أَمْ لَمْ يُدَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَى ۚ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۚ إِلَّا نَزِيلَ وَرَارَةٍ وَزَرَّ أُخْرَى ۚ
وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ۚ
ثُمَّ يُخْرِجُكُمُ الْآخِرَةُ إِلَى الْآوْفَى ۚ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۚ
وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۚ

(٢٧، ٢٨) إن الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة من كفار العرب ولا يعملون لها ليسمؤن الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم جهلاً أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله. وما لهم بذلك من علم صحيح يصدق ما قالوه، ما يتبعون إلا الظن الذي لا يجدي شيئاً، ولا يقوم أبداً مقام الحق.

(٢٩، ٣٠) فأعرض عمن تولى عن ذكرنا، وهو القرآن، ولم يُرِدْ إلا الحياة الدنيا. ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم. إن ربك هو أعلم بمن حاد عن طريق الهدى، وهو أعلم بمن اهتدى وسلك طريق الإسلام.

وفي هذا إنذار شديد للعصاة المعرضين عن العمل بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المؤثرين لهوى النفس وحظوظ الدنيا على الآخرة.

(٣١، ٣٢) ولله سبحانه وتعالى ملك ما في السموات وما في الأرض؛ ليجزي الذين أسأوا وبعقابه على ما عملوا من السوء، ويجزي الذي أحسنوا بالجنة، وهم الذين يتعدون عن كثائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُبْصِرُ صاحبها عليها، أو يلم بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم

ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وحين أنتم أجنت في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم فتمدحوها وتصفوها بالتقوى، هو أعلم بمن اتقى عقابه من عباده فاجتنب معاصيه. (٣٣، ٣٤) أفرأيت - أيها الرسول - الذي أعرض عن طاعة الله وأعطى قليلاً من ماله، ثم توقف عن العطاء وقطع معرفته؟

(٣٥) أعند هذا الذي قطع عطاءه علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتى أمسك معرفته، فهو يرى ذلك عياناً؟ ليس الأمر كذلك، وإنما أسلك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة؛ بخلاً وشحاً. (٣٦، ٣٧) أم لم يُخْبَرْ بها جاء في أسفار التوراة وصحف إبراهيم الذي وفى ما أمر به وبلغه؟ (٣٨، ٣٩) أنه لا تؤخذ نفس بمأثم غيرها، ووزرها لا يحمله عنها أحد، وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه.

(٤٠) وأن سعيه سوف يرى في الآخرة، فميز حسنه من سيئه؛ تشرافاً للمحسن وتوبيخاً للمسيء. (٤١، ٤٢) ثم يجزي الإنسان على سعيه الجزء المستكمل لجميع عمله، وأن إلى ربك - أيها الرسول - انتهاء جميع خلقه يوم القيامة.

(٤٣) وأنه سبحانه وتعالى أضحك من شاء في الدنيا بأن سره، وأبكى من شاء بأن غمه. (٤٤) وأنه سبحانه أمات من أراد موته من خلقه، وأحيا من أراد حياته منهم، فهو المتفرد سبحانه بالإحياء والإماتة.

(٤٥، ٤٦) وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان، من نقطة نُصِبَ في الرحم.
(٤٧) وأن على ربك -أيها الرسول- إعادة خلقهم بعد مماتهم، وهي النشأة الأخرى يوم القيامة.
(٤٨) وأنه هو أغنى من شاء من خلقه بالمال، وملّكه لهم وأرضاهم به.
(٤٩) وأنه سبحانه وتعالى هو رب الشُّعْرَى، وهو نجم مضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله.

(٥٠-٥٤) وأنه سبحانه وتعالى أهلك عاداً الأولى، وهم قوم هود، وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يبق منهم أحد، وأهلك قوم نوح قبل. هؤلاء كانوا أشد تمرداً وأعظم كفراً من الذين جاؤوا من بعدهم. ومدائن قوم لوط قلبها الله عليهم، وجعل عاليها سافلها، فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من الساء كال مطر.

(٥٥) فبأي نعم ربك عليك -أيها الإنسان المكذب- تشك؟

(٥٦) هذا محمد صلى الله عليه وسلم، نذير بالحق الذي أُنذِر به الأنبياء قبله، فليس يبدع من الرسل.

(٥٧، ٥٨) قربت القيامة ودنا وقتها، لا يدفعها إذا من دون الله أحد، ولا يُطْلَع على وقت

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُّطْقَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ
وَأَن عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَىٰ ۖ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ وَأَنَّهُ
هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ ۖ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَثَمُودَ أَفْهَامَا
أَبْقَىٰ ۖ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۖ
وَأَلْمُوزِقَةَ أَهْوَىٰ ۖ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۖ أَرَأَيْتِ الْآزِفَةَ
ۚ لَيْسَ لَهَا مَن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۚ أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْخَلْقِ
تَعْبُورَتَ ۚ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَكُونُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ سَلِيمُونَ
فَاسْجُدْ وَابْتَغِ ۖ وَاعْبُدُوا ۚ

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةَ الْقَمَرُ ۚ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَكْفُرُوا
سِحْرًا مُّسْتَمَرًّا ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
النُّذُرَ ۚ فَمَقُولَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكِرٍ

وقوعها إلا الله.

(٥٩-٦٢) أفمن هذا القرآن تعجبون -أيها المشركون- من أن يكون صحيحاً، وتضحكون منه سخرية واستهزاء، ولا تكونوا خوفاً من وعيده، وأنتم لاهون معرضون عنه؟ فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلموا له أموركم.

﴿سورة القمر﴾

(١) دنت القيامة، وانفلق القمر فلتقتين، حين سأل كفار «مكة» النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فدعا الله، فأراهم تلك الآية.

(٢) وإن ير المشركون دليلاً وبرهاناً على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكبين، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له.

(٣) وكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب، وكل أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب.

(٤) ولقد جاء كفار قريش من أنباء الأمم المكذبة برسُلها، وما حلَّ بها من العذاب، ما فيه كفاية لردعهم عن كفرهم وضلالهم.

(٥) هذا القرآن الذي جاءهم بحكمة عظيمة بالغة غايتها، فأبى شيء تغني النذر عن قوم أعرضوا وكذبوا بها؟

(٦) فأعرض -أيها الرسول- عنهم، وانتظر بهم يوماً عظيماً. يوم يدعو الملوك بنفخه في «القرن» إلى أمر فظيع منكر، وهو موقف الحساب.

خُشَعًا أَصْبَرُ مَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ﴿٩﴾ فَدَعَا
 رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ
 ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَلْجِ وَدُسِرُ ﴿١٣﴾ فَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَرَادٌ لَمَّا كَانَ
 كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾
 كَذَبْتَ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَلْحَافٌ يَخُلُ
 مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبْتَ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا
 مِنَّا وَاحِدًا نَدْعُهُ؟ إِنَّا أَذْأَلْفَى ضَلَّالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ لَهُ لَقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ
 مِنْ بَيْنِنَا لَئِذَا هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ
 ﴿٢٦﴾ إِنَّا أَمْرُسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

(٨، ٧) ذليلة أبصارهم يخرجون من القبور كأنهم جراد منتشر كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جراد منتشر في الأفاق، مسرعين إلى ما دعوا إليه، يقول الكافرون: هذا يوم عسير شديد الهول.

(٩) كذبت قبل قومك - أيها الرسول - قوم نوح فكذبوا عبدنا نوحاً، وقالوا: هو مجنون، وانتهروه متوعدين إياه بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته.

(١٠) فدعا نوح ربه أني ضعيف عن مقاومة هؤلاء، فانتصر لي بعقاب من عندك على كفرهم بك. (١١، ١٢) فأجبت دعاءه، ففتحتنا أبواب السماء بهاء كثير متدفق، وشققنا الأرض عيوناً متفجرة بالماء، فالتمسقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدره الله لهم؛ جزاء شرهم.

(١٣، ١٤) وحملنا نوحاً ومن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شددت بها، تجري بمرأى منا وحفظ، وأغرقنا المكذبين؛ جزاء لهم على كفرهم وانتصاراً لنوح عليه السلام. وفي هذه الآية دليل على إثبات صفة العينين لله سبحانه وتعالى، كما يليق به.

(١٥، ١٦) ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلاً على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بسا حل هذه الأمة التي كفرت بربها،

فهل من متعظ يتعظ؟ فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بها جاءت به؟ إنه كان عظيماً مؤلماً. (١٧) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ وفي هذه الآية وما ناظرها من السورة حث على الاستكثار من تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه.

(١٨) كذبت عاد هوداً فعاقبناهم، فكيف كان عذابي لهم على كفرهم، ونذري على تكذيب رسولهم، وعدم الإيمان به؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

(١٩، ٢٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً شديدة البرد، في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك، تقتلع الناس من مواضعهم على الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم، وتفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المتعلق من أصله. (٢١) فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي، وكذب رسلي ولم يؤمن بهم؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

(٢٢) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ (٢٣، ٢٤) كذبت ثمود - وهم قوم صالح - بالآيات التي أنزلوا بها، فقالوا: أبشراً منا واحداً نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟ إنا إذاً لفي بُعد عن الصواب وجنون.

(٢٥، ٢٦) أنزل عليه الوحي وخُصَّ بالنبوة من بيننا، وهو واحد منا؟ بل هو كثير الكذب والتجبر. سيرون عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة من الكذاب المتجبر؟

(٢٧) إِنَّا مَخْرُجُوا النَّاقَةَ التي سألوها من الصخرة؛ اختباراً لهم، فانتظر - يا صالح - ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك.

(٢٨) وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم، كل شرب يحضره من كانت قسمته، ويحظر على من ليس بقسمه له.

(٢٩، ٣٠) فنادوا أصحابهم بالحض على عقراها، فتناول الناقة بيده، فتحرها فعاقبتهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم، وإنذاري لمن عصي رسلي؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

(٣١) إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة، فبادوا عن آخرهم، فكانوا كالزرع اليابس سريع الانكسار الذي يجعله صاحب الحظيرة سباحاً لحفظ المواشي.

(٣٢) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعاني لفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

(٣٣) كذّبت قوم لوط بآيات الله التي أنزلوا بها. (٣٤، ٣٥) إنا أرسلنا عليهم رجلاً شديداً ترميهم بالحجارة إلا آل لوط، نجيّناهم من العذاب في آخر الليل، نعمة من عندنا عليهم، كما أثبتنا لوطاً وأله وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم من عذابنا، نئيب من آمن بنا وشكرنا.

(٣٦) ولقد خوّف لوط قومه بأس الله وعذابه، فلم يسمعوا له، بل شكّوا في ذلك، وكذّبوه. (٣٧) ولقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة

بضيوفه من الملائكة، فطمسنا أعينهم فلم يبصروا شيئاً، فقبل لهم: ذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

(٣٨، ٣٩) ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُقضى بهم إلى عذاب الآخرة، وذلك العذاب هو رجهم بالحجارة وقلب فراهم وجعل أعلاها أسفلها، فقبل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

(٤٠) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعاني لفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل من متعظ به؟

(٤١) ولقد جاء أنبياء فرعون وقومه إنذاراً بالعقوبة لهم على كفرهم.

(٤٢) كذبوا بآدلتنا كلها الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائنا، فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالب، مقتدر على ما يشاء.

(٤٣) أكفاركهم - يا معشر قريش - خير من الذين تقدّم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم، أم لكم براءة من عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟

(٤٤) بل أيقول كفار «مكة»: نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع، فنحن جماعة متصرة لا يغلبنا من أرادنا بسوء؟

(٤٥) سيهزم جمع كفار «مكة»: أمام المؤمنين، ويولون الأدبار، وقد حدث هذا يوم «بدر».

(٤٦) والساعة موعدهم الذي يُجازون فيه بما يستحقون، والساعة أعظم وأقى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر».

(٤٧، ٤٨) إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب. يوم يُجرّون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم.

(٤٩) إنا كل شيء خلقناه بمقدار قدرناه وقضيناه، وسبق علمنا به، وكتابتنا له في اللوح المحفوظ.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۖ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ
ۖ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ۖ

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ۖ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۖ
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۖ
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۖ وَالْأَرْضُ
وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ۖ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۖ
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۖ فَيَأْتِيهِ الْآءُ رِزْقًا مُكْدَبَانِ ۖ
ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۖ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ۖ فَيَأْتِيهِ الْآءُ رِزْقًا مُكْدَبَانِ ۖ رَبُّ
السَّمَرَاتِ ۖ رَبُّ الْمَغْرِبِينَ ۖ فَيَأْتِيهِ الْآءُ رِزْقًا مُكْدَبَانِ ۖ

(٥٠) وما أمرنا للشيء إذا أردناه إلا أن نقول
قوله واحدة وهي «كن»، فيكون كلمح البصر،
لا يتأخر طرفة عين.

(٥١) ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم
الخالية، فهل من منعظ بها حل بهم من التكال
والعذاب؟

(٥٢) وكل شيء فعله أشباهكم الماضون من خير
أو شر مكتوب في الكتب التي كتبها الحفظة.

(٥٣) وكل صغير وكبير من أعمالهم مُسْطَرٌّ في
صحائفهم، وسيجازون به.

(٥٤) إن المتقين في بساتين عظيمة، وأنهار واسعة
يوم القيامة.

(٥٥) في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم عند
الله الملك العظيم، الخالق للأشياء كلها،
المقتدر على كل شيء تبارك وتعالى.

سورة الرحمن

(١، ٢) الرحمن عَلَّمَ الإنسان القرآن؛ بتيسير
تلاوته وحفظه وفهم معانيه.

(٣، ٤) خلق الإنسان، عَلَّمَهُ البيانَ عَمَّا في نفسه
تمييزاً له عن غيره.

(٥) الشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب
متقن، لا يختلف ولا يضطرب.

(٦) والنجوم التي في السماء أو النبات الذي يَنْجُمُ وَيَطْلُعُ من الأرض ولا ساق له، وأشجار الأرض التي لها ساق، تعرف
ربها وتسجد له، وتقاد لما سخرها له من مصالح عبادته ومنافعهم.

(٧) والسماء رفعها فوق الأرض، ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده.

(٨، ٩) ثلاثا تعدوا وتخونوا من وزنتهم، وأقيموا الوزن بالعدل، ولا تُخْصِصُوا الميزان إذا وزنت للناس.

(١٠-١٢) والأرض وضعها ومهدّها؛ ليستقر عليها الخلق. فيها فاكهة والنخل ذات الأوعية التي يكون منها الثمر، وفيها
الحب ذو القشر؛ رزقاً لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

(١٣) فبأي نعم ربك! الدينونة والدينية - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟ وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فكلما مرّ بهذه الآية، قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد»، وهكذا ينبغي
للعباد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يُقرّ بها، ويشكر الله ويمجده عليها.

(١٤، ١٥) خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالْفَخَّارِ، وخلق إبليس، وهو من الجن من هب النار المختلط بعضه ببعض.

(١٦) فبأي نعم ربك! - يا معشر الإنس والجن - تكذبان؟

(١٧) هو سبحانه وتعالى ربُّ مشرقَي الشمس في الشتاء وال الصيف، ورب مغربَيها فيها، فالجمع تحت تدبيره وربوبيته.

(١٨) فبأي نعم ربك! - أيها الثقلان - تكذبان؟

مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يَمِيغَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ
رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ
رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾
فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلٌّ مِنْ عِلَّيْهَا فَايَنٌ ﴿٢٦﴾ وَيَتَقَى وَجْهُ
رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسْتَلْهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي
ءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٠﴾ سَفَرُكُمْ لَكُمْ أَيْهَةُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَيَأْتِي
ءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَفْغَدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْغَدُوا فَاتَفْغَدُونَ
إِلَّا يَسْأَطِرْنَ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاطِدٍ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْصَرِفَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا
تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾
فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَ لَا يُسْأَلُ عَنْ
ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالْوُصِيِّ وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾

(١٩، ٢٠) خلط الله ماء البحرين - العذب والمِلْح - متلاقيين، لا فاصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك بينهما حاجز، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ويذهب بخصائصه، بل يبقى العذب عذباً، والمِلْح ملحاً مع تلاقيهما.
(٢١) فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٢) يخرج من البحرين بقدره الله اللؤلؤ والمرجان.
(٢٣) فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٤) وله تعالى ملك تسخير السفن الضخمة التي تجري في البحر بمنافع الناس، رافعة سواربها وأشرعتها كالجبال.
(٢٥) فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٦، ٢٧) كل من على وجه الأرض من الخلق هالك، ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى بما يليق به سبحانه، دون تشبيه ولا تكييف.

(٢٨) فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٩، ٣٠) يسأله من في السموات والأرض حاجاتهم، فلا غنى لأحد منهم عنه سبحانه. كل يوم هو في شأن: يُعَزُّ وَيُذِلُّ، ويعطي ويمنع. فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣١، ٣٢) سَفَرُكُمْ لِحَسَابِكُمْ ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، أيها الثقلان - الإنس والجن -، فنعاقب أهل المعاصي، ونُثيب أهل الطاعة. فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٣، ٣٤) يا معشر الجن والإنس، إن قد زُيِّرَ على النفاذ من أمر الله وحكمه هاريين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنتى لكم ذلك، وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضراً؟ فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٥، ٣٦) يُرْسِلُ عَلَيْكُم هَب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضاً يا معشر الجن والإنس. فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٧، ٣٨) فإذا انشقت السماء وتفطرت يوم القيامة، فكانت حمراء كلون الورد، وكالزيت المغلي والرماس المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة. فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٩، ٤٠) ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم. فَيَأْتِي نَعَم رَبِّكُمَا - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٤١) تُعْرِفُ الملائكة المجرمين بعلا ماتهم، فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وأقدامهم، فترميهم في النار.

فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ جَمِيعِ آءِ الْآءِ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ
 رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِيءُ
 آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانٌ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ
 ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ
 لَمْ يُطْمَئِئِرْ إِنْسٌ فِيهَا وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدَّاهَا مَتْنَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ صَضَاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

(٤٢) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٤٣) يُطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ جَمِيعِ آءِ الْآءِ - تَوْبِيخًا
 وتحقيرًا لهم -: هذه جهنم التي يكذب بها
 المجرمون في الدنيا: تارة يُعَذِّبُونَ في الجحيم،
 وتارة يُسْقُونَ من الحميم، وهو شراب بلغ
 منتهى الحرارة، يقطع الأمعاء والأحشاء.
 (٤٤) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٤٥) وَلَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،
 فَخَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأُطَاعَهُ وَتَرَكَ مَعَاصِيَهُ،
 جَنَّاتٍ.

(٤٧) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٤٨) الْجَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَغْصَانٍ نَضْرَةٌ مِنَ الْفَوَاكِهَةِ
 وَالشَّارِ.

(٤٩) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٠) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ مِنَ الْمَاءِ تَجْرِيَانِ
 خِلَافَهُمَا.

(٥١) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٢) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْفَوَاكِهَةِ
 صَفَانٍ.

(٥٣) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٤) وَلِلَّذِينَ خَافُوا مَقَامَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ يَدْخُلُونَ
 فِيهَا، مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ مَبْطُنَةٍ مِنْ غَلِيظِ الدِّيَارِ،
 وَثَمَرِ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبٌ إِلَيْهِمْ.

(٥٥) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٦) فِي هَذِهِ الْفُرُشِ زَوْجَاتٌ قَاصِرَاتُ أَبْصَارِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ مُتَعَلِّقَاتٌ بِهِمْ، لَمْ يَطْهَرْنَ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
 وَلَا جَانٌّ.

(٥٧) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٨) كَانَ هُوَ لَا زَوْجَاتٍ مِنَ الْحُورِ الْبَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ فِي صَفَائِهِنَّ وَجَاهِهِنَّ.

(٥٩) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٠، ٦١) هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ بِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ؟ فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٢، ٦٣) وَمِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ جَنَّاتٌ أُخْرَى. فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٤، ٦٥) هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ خَضْرَاوَانِ، قَدْ اسْتَدْبَرَتْ خَضِرَتُهُمَا حَتَّى مَالَتْ إِلَى السَّوَادِ. فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ -
 تُكَذِّبَانِ؟

(٦٦، ٦٧) فِيهِمَا عَيْنَانِ فَوَارَتَانِ بِالْمَاءِ لَا تَنْقَطِعَانِ. فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٨) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ أَنْوَاعُ الْفَوَاكِهِ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ.

(٦٩) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟

- (٧٠) في هذه الجنان الأربع زوجات طيبات الأخلاق حسان الوجوه.
- (٧١) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
- (٧٢) حور مستورات مصونات في الحيام.
- (٧٣) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
- (٧٤) لم يطق هؤلاء الحور إنس قبل أزواجهن ولا جان.
- (٧٥) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
- (٧٦) متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر، وفرش بدعية فائقة الصنع في غاية الحسن.
- (٧٧) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
- (٧٨) تكاثرت بركة اسم ربك وكثر خبره، ذي الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه.

﴿سورة الواقعة﴾

- (١-٣) إذا قامت القيامة، ليس لقيامها أحد يكذب به، هي خافضة لأعداء الله في النار، رافعة لأوليائه في الجنة.
- (٤-٦) إذا حُرّكت الأرض تحريكاً شديداً، وفُتّت الجبال فتيةً دقيقاً، فصارت غباراً متطيراً في الجو قد ذرّته الريح.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ۚ لَمْ يَطْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۖ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مَتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ
 وَعَبَقَرِيُّ حِسَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝
 تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۚ
 إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَسُئِلَ الْجِبَالُ إِنْسًا ۖ فَكَانَتْ
 هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ وَكُنُفُهُمْ أَرْجَافًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
 مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ ۖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ
 عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۖ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ۖ

(٧) وكنتم - أيها الخلق - أصنافاً ثلاثة:

- (٨، ٩) فأصحاب اليمين أهل المنزل العالية، ما أعظم مكانتهم!! وأصحاب الشمال أهل المنزل الدنيا، ما أسوأ حالهم!!
- (١٠-١٢) والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة، أولئك هم المقربون عند الله، يُدخلهم ربهم في جنات النعيم.
- (١٣-١٦) يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى، وقليل من آخر هذه الأمة على سرر منسوجة بالذهب، متكئين عليها يقابل بعضهم بعضاً.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
 لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيهَا مِنْ مِمَّا يَحْتَدُونَ
 وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٩﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٠﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
 الْمَكْنُونِ ﴿٢١﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
 وَلَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٣﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
 الْيَمِينِ ﴿٢٤﴾ فِي سِدْرٍ مَفْضُودٍ ﴿٢٥﴾ وَطَلْحٍ مْقْطُودٍ ﴿٢٦﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٢٧﴾
 وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٢٨﴾ وَفِيهَا كَثِيرٌ مِمَّا لَا تُحْصَوْنَ ﴿٢٩﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
 وَفُورٍ مَرْجُوعَةٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣١﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٢﴾
 وَنُفُوسًا غَرِيبًا ﴿٣٣﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٤﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَلَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾
 وَثَلَاثَةٌ مِنْ آخِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٣٧﴾
 فِي سُمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴿٣٨﴾ وَظِلِّ مَنْ تَحْمُورٍ ﴿٣٩﴾ لَا بَارِدٍ
 وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤١﴾ وَكَانُوا
 يُصْرُونَ عَلَى الْخَنَثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾ وَكَانُوا يُعْوُونَ أَيْدِيًا مِتًّا وَكُنَّا
 تُرَايَا وَعِظْمَاءَ تَا مَبْعُوعُونَ ﴿٤٣﴾ أَوْءَا أَبَاؤُنَا أَلَوُّونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّ
 أَلَوَّلِينَ وَآخِرِينَ ﴿٤٥﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٤٦﴾

(١٧-١٩) يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة، لا تصدع منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم.

(٢٠-٢٤) ويطوف عليهم الغلمان بها يتخيرون من الفواكه، ويلحم طير مما ترغب فيه نفوسهم. ولهم نساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصنوع في أصدافه صفاء وجمالاً، جزء لهم بها كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا.

(٢٥، ٢٦) لا يسمعون في الجنة باطلاً، ولا ما يتأثمون بسأعه، إلا قولاً سالماً من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض.

(٢٧-٣٤) وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في سدر لا شوك فيه، وموز مترابك بعضه على بعض، وظل دائم لا يزول، وماء جار لا ينقطع، وفاكهة كثيرة لا تنفذ ولا تنقطع عنهم، ولا يمنعهم منها مانع، وفرش مرفوعة على السرور.

(٣٥-٣٨) إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة

غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء، فجعلناهن أبكاراً، متحبات إلى أزواجهن، في سنٍّ واحدة، خلقناهن لأصحاب اليمين.

(٣٩، ٤٠) وهم جماعة كثيرة من الأولين، وجماعة كثيرة من الآخرين.

(٤١-٤٤) وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم وجزاءهم!! في ريح حارة من حر نار جهنم تأخذ بأنفاسهم، وماء حار يغلي، وظل من دخان شديد السواد، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

(٤٥) إنهم كانوا في الدنيا متنعّمين بالحرام، معرّضين عما جاءتهم به الرسل.

(٤٦) وكانوا يقيمون على الكفر بالله والإشراك به ومعصيته، ولا ينوون التوبة من ذلك.

(٤٧) وكانوا يقولون إنكاراً للبعث: أثبت إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية؟ وهذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له.

(٤٨) أثبت نحن وأبائنا الأقدمون الذين صاروا تراباً، قد تفرّق في الأرض؟

(٤٩، ٥٠) قل لهم -أيها الرسول-: إن الأولين والآخرين من بني آدم سيُجمعون في يوم مؤقت بوقت محدد، وهو يوم القيامة.

ثُمَّ أَذْكُرْ أَهْلَ الصَّالُونَ الْمَكْذُوبِينَ ۝ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقْمٍ ۝
فَالْوَنُ فِيهَا الْبُطُونُ ۝ فَشَرُّبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ ۝ فَشَرُّبُونَ
شَرِبَ الْهَبِيرِ ۝ هَذَا أَزْهَقُهُمْ قَوْمَ الدِّينِ ۝ تَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ۝ تَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا تَحْنُ بِمُسَبِّحِينَ ۝
عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْتَلِكُوا وَتُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ
عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ أَوَّلَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
۝ ءَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَلًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ۝ إِنَّا لَمَغْرُومُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ
شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۝ تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا
لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ فَلَا أَفْئِسُ
بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝

(٥١-٥٥) ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعد الله ووعدته، لأكلون من شجر من زقوم، وهو من أقبح الشجر، فهاثون منها بطونكم، لشدة الجوع، فشاربون عليه ماء متناهياً في الحرارة لا يروي ظمأ، فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها.

(٥٦) هذا الذي يلقونه من العذاب هو ما أعد لهم من الزاد يوم القيامة. وفي هذا توبيخ لهم وتهمكم بهم.

(٥٧) نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئاً، فهلاً تصدقون بالبعث.

(٥٨، ٥٩) أفأريتم التطف التي تقذفونها في أرحام نساكنكم، هل أنتم تخلقون ذلك بشراً أم نحن الخالقون؟

(٦٠، ٦١) نحن قدرنا بينكم الموت، وما نحن بعاجزين عن أن نغير خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيها لا تعلمونه من الصفات والأحوال.

(٦٢) ولقد علمتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئاً، فهلاً تذكرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى.

(٦٣-٦٧) أفأريتم الحرث الذي تحرثونه هل أنتم تئبونه في الأرض أم نحن نُقِرُّ قراره وننبته في الأرض؟ لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيئاً، لا يُتفع به في مطعم، فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم، وتقولون: إنا لخاسرون معذبون، بل نحن محرومون من الرزق.

(٦٨، ٦٩) أفأريتم الماء الذي تشرّبونه لتحبوا به، أنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟

(٧٠) لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُتفع به في شرب ولا زرع، فهلاً تشكرون ربكم على إنزاله الماء العذب لنفعكم.

(٧١، ٧٢) أفأريتم النار التي توقدون، أنتم أوجدتم شجرتها التي تُقَدح منها النار، أم نحن الموجودون لها؟

(٧٣) نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيراً لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين.

(٧٤) فتره -أيها النبي- ربك العظيم كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات.

(٧٥، ٧٦) أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاربهها في السماء، وإنه لقسم لو تعلمون قدره عظيم.

إِنَّهُ لَقَرِءٌ أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَيْهِذَا الْحَدِيثُ
أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا
إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ قَالُوا لَا إِنْ كُنْتُمْ عَذَابِ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَزَلٌّ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلَةٌ جَهِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَا لَكَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ نَبِيٌّ، وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(٧٧-٧٩) إن هذا القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مضمون مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة. لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يمسّه أيضاً إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث.

(٨٠) وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه.

(٨١) أفهكذا القرآن أنتم -أيها المشركون- مكذبون؟

(٨٢) وتجعلون شكركم لنعم الله عليكم أنكم تكذبون بها وتكفرون؟

وفي هذا إنكار على من يتهاون بأمر القرآن ولا يبالي بدعوته.

(٨٣-٨٥) فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزاع، وأنتم حضور تنظرون إليه، أن تمسكوا روحه في جسده؟ لن تستطيعوا ذلك، ونحن أقرب إليه منكم بما لا تلتفتون، ولكنكم لا تروهم.

(٨٦، ٨٧) وهل تستطيعون إن كنتم غير محاسبين ولا تجزبن بأعمالكم أن تعيدوا الروح إلى الجسد، إن كنتم صادقين؟ لن ترجعوها.

(٨٨، ٨٩) فأما إن كان الميت من السابقين المقربين، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه، وله جنة النعيم في الآخرة.

(٩٠، ٩١) وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين، فيقال له: سلامة لك وأمن؛ لكونك من أصحاب اليمين.

(٩٢-٩٤) وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، فله صياغة من شراب جهنم المغلي المتناهي الحرارة، والتأثر يحرق بها، ويقاسى عذابها الشديد.

(٩٥، ٩٦) إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- هو حق اليقين الذي لا مرية فيه، فسبح باسم ربك العظيم، ونزّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿سورة الحديد﴾

(١) نزّه الله عن السوء كل ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته، وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم.

(٢) له ملك السموات والأرض وما فيها، فهو المالك المتصرف في خلقه، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا يتعذر عليه شيء أراد، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

(٣) هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم.

(٤) هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى -أي: علا وارتفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثبار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال، وهو سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها.

(٥) له ملك السموات والأرض، وإلى الله مصير أمور الخلائق في الآخرة، وسيجازيهم على أعمالهم.

(٦) يُدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل، وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكنه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

(٧) آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنفقوا مما رزقكم الله من المال، واستخلفكم فيه، فالذين آمنوا منكم أيها الناس، وأنفقوا من ما لهم، لهم ثواب عظيم.

(٨) وأي عذر لكم في أن لا تصدقوا بوحداية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ قَالَتِ أَمْ أُلْمُوهَا أَنْفَقُوا لَكُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ أَيْلِينَ يَمُوتُ لِيَخْرُجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلَئِكَ أَكْثَرُ ۚ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا ۚ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝

ذلك، وقد أخذ الله ميثاقكم على ذلك، إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم؟

(٩) هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات مفصلات وأصحات من القرآن؛ ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وإن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور ليرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وآجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء.

(١٠) وأي شيء يمنحكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السموات والأرض يرث كل ما فيها، ولا يبقى أحد ما كالأشياء فيها. لا يستوي في الأجر والثوبة منكم من أنفق من قبل فتح «مكة» وقتل الكفار، أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقتلوا الكفار، وكلًا من الفريقين وعد الله الجنة، والله بأعمالكم خير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

(١١) من ذا الذي ينفق في سبيل الله محسبًا من قلبه بلا من ولا أذى، فيضاعف له ربه الأجر والثواب، وله جزاء كريم، وهو الجنة؟

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا لِّكَمَالٍ يَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا وَانفَتِحْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَارْأَوْكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورَةٍ بِأَبْ بَابٍ بَاطِنَةٍ فِيهِ رَحْمَةٌ
وَبُظْهَرَةٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يَتَادَوْهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ قَالُوا بَلَىٰ
وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَضَوْنَ عَنْ نِعَمَةِ اللَّهِ عَنِ الْأَمَانِ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُخَذُّ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلىٰكُمْ
وَيَسَّ السَّيْرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنْ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدِقَاتِ
وَأَقْرَبُوا اللَّهَ فَضًّا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

(١٢) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيامهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأنهارها الأنهار، لا تخرجون منها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة.

(١٣) يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضيء من نوركم، فتقول لهم الملائكة - على وجه السخرية منهم -: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً، ففصل بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب.

(١٤) ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نوذي شعائر الدين مثلكم؟ قال المؤمنون لهم: بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكم أنفسكم بالفاق والمعاصي، وتربصتم بالنبي الموت والمؤمنين

الدوائر، وشككنتم في البعث بعد الموت، وخدعتمكم أمانيكم الباطلة، ويقتم على ذلك حتى جاءكم الموت وخدعكم بالله الشيطان.

(١٥) قاليوم لا يُقبل من أحد منكم - أيها المنافقون - عوض؛ ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله، مصيركم جميعاً النار، هي أولى بكم من كل منزل، ويس السَّيْر هي.

(١٦) ألم يحن الوقت للذين صدقوا الله ورسوله وأتبعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسماع القرآن، ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم - من اليهود والنصارى - الذين طال عليهم الزمان فبدلوا كلام الله، فقسست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟ وفي الآية الحث على الرقة والخشوع لله سبحانه عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والحذر من التشبه باليهود والنصارى في قسوة قلوبهم، وخروجهم عن طاعة الله.

(١٧) اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالمطر بعد موتها، فتخرج النبات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها. قد بينّا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتنتعظوا.

(١٨) إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى، يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة.

(١٩) والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كُمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقاداً وقولاً وعملاً، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة، والذين كفروا وكذبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم ولا نور.

(٢٠) اعلموا -أيها الناس- أنها الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وزينة تنزبون بها، وتفاخر بينكم بمتاعها، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد، مثلها كمثل مطر أعجب الزرع نباته، ثم يهيج هذا النبات فيبیس، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يكون ثنائاً يابساً متهشماً، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان. وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسياً آخرته إلا متاع الغرور.

(٢١) سابقوا -أيها الناس- في السعي إلى

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَتُهُمْ وَقَاخِرُ بَيْنِكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَغْبَىٰ أَغْبَىٰ الْكُفَّارِ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لَيْسَ كَلَمًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ إِنَّكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ لِيُتَجَزَّوْا مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي مُعَدَّة للذين وُحِّدوا الله وأتبعوا رسله، ذلك فضل الله الذي يؤتیه مَنْ يشاء من خلقه، فالجنة لا تُنَال إلا برحمة الله وفضله، والعمل الصالح. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين.

(٢٢) ما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تَخْلُقَ الخليفة. إن ذلك على الله تعالى يسير.

(٢٣، ٢٤) لكي لا نخزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا نفرحوا بما آتاكم فرحاً بطراً وأشراً. والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخوراً على غيره. هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بأهلهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. ومن يتوَلَّى عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمده عليه.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْلَهُمُ مَّهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم
رُسُلَنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَ اتُّفَةٍ
اتَّبَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَمَن رَّعَاهَا فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفَ عَنْكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ يَعْلَمُ
أَهْلُ الْكِتَابِ الْآيِقْدَرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٢٥) لقد أرسلنا رسلنا بال الحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علماً ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يُقهر، عزيز لا يغالب.

(٢٦) ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلّة، فمن ذريتهما مهتدٍ إلى الحق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

(٢٧) ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات، وقفينا بعيسى بن مريم، وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليناً وشفقة، فكانوا متواذنين فيما بينهم، وابتدعوا رهبانية بالغلو في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصَدُهم بذلك رضا الله، فما قاموا بها حق القيام، فآتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم حسب إيمانهم، وكثير منهم

خارجون عن طاعة الله مكذبون بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢٨) يا أيها الذين آمنوا امثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، وآمنوا برسوله، يؤتكم ضعفين من رحمته، ويجعل لكم نوراً تهتدون به، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٢٩) أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم، وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه.

﴿سورة المجادلة﴾

(١) قد سمع الله قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعك في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، وهو قوله لها: «أنت علي كظهر أمي»، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى؛ لتفريج كربتها، والله يسمع تخاطبكها ومراجعتكها. إن الله سميع لكل قول، بصير بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

(٢) الذين يظاهرون منكم من نسائهم، فيقول الرجل منهم لزوجته: «أنت علي كظهر أمي»، أي: في حرمة النكاح - قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونسأوهم كسُن في الحقيقة أمهاتهم، وإنما هن زوجاتهم، ما أمهاتهن إلا اللاتي ولدنهم. وإن هؤلاء المظاهرين ليقولون قولاً كاذباً فظيعاً لا تُعرف صحته. وإن الله لعفو غفور عَمَّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

(٣) والذين يحرمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهرة منهم، ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون

على وطء نسائهم، فعلى الزوج المظاهر - والحالة هذه - كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يظاهر زوجته التي ظاهر منها، ذلكم هو حكم الله - فيمن ظاهر من زوجته - تو عظون به أيها المؤمنون؛ لكي لا تقفوا في الظهار وقول الزور، وتُكفروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه، والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

(٤) فمن لم يجد رقبة يعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متوالين من قبل أن يظاهر زوجته، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم ما يشبههم، ذلك الذي بيناه لكم من أحكام الظهار؛ من أجل أن تصدقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللمجاهدين بها عذاب موعج.

(٥) إن الذين يشاققون الله ورسوله ويخالفون أمرهم أخذوا وأهينوا، كما خذل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وقد أنزلنا آيات واضحات الحجة تدل على أن شرع الله وحدوده حق، ولجاحدي تلك الآيات عذاب مُدَل في جهنم.

(٦) واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة، يوم يحبي الله الموتى جميعاً، ويجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيخبرهم بما عملوا من خير وشر، أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم، وهم قد نسوه. والله على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمْ وَلَا يَشَاءُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا تُمَّ يَسْتَعِينُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نُهِوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ بِمَا لَمْ يَجِئَكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَتَكُنُ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ بَيَّانُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
تَنَجَّوْا فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْبُزْءِ وَالْغَفْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا
الَّتِي جَاءَتْ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِصَارِفٍ
شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بَيَّانُهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَقَسَّوْا فِي الْمَجَالِسِ فَاقْسَحُوا بِقُحُفِ
اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥﴾

(٧) ألم تعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء في السموات والأرض؟ ما يتناجى ثلاثة من خلقه بحديث سرٍّ إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثر منها إلا هو معهم بعلمه في أي مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ويجازيهم عليه. إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية.

(٨) ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين هُجروا عن الحديث سرًّا بها يثير الشك في نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما هُجروا عنه، ويتحدثون سرًّا بها هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول؟ وإذا جاءك - أيها الرسول - هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيّوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، فقالوا: (السلام عليك) أي: الموت لك، ويقولون فيما بينهم: هلاً يعاقبنا الله بها نقول لمحمد إن كان رسولا حقاً، تكفيهم جهنم يدخلونها، ويقاسون حرها، فبئس المرجع هي.

(٩) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا تحدثتم فيما بينكم سرًّا، فلا تتحدثوا بها فيه إثم من القول، أو بها هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول، وتحدثوا بها فيه خير وطاعة وإحسان، وخافوا الله بامثالكم أو أمره واجتنابكم نواهي، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها.

(١٠) إنما نتحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيّن لها، والحامل عليها؛ ليُدخل الحزن على قلوب المؤمنين، وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته. وعلى الله وحده فليفوّه المؤمنين به جميع أمورهم.

(١١) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا طُلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا طُلب منكم - أيها المؤمنون - أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا، يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان، والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها. وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم، ورفع درجاتهم.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرِّسُولَ فَقَدْ مُوْثِقِينَ يَدَيَّ نَحْنُكُمْ
صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَحْنُكُمْ صَدَقْتُ فَإِذَا لَوْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ
وَهُمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نَقْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فِي حِلْفُونٍ لَهُ، كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَى قَيِّءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَوْهُمُ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَّا وَرُسُلُ آبَائِكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

(١٢) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا
بشره، إذا أردتم أن تُكلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم سرّاً بينكم وبينه، فقدّموا قبل ذلك
صدقة لأهل الحاجة، ذلك خير لكم لما فيه من
الثواب، وأزكى لقلوبكم من المأثم، فإن لم تجدوا
ما تصدقون به فلا حرج عليكم؛ فإن الله غفور
لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

(١٣) أخشيتكم الفقر إذا قدّمتم صدقة قبل
مناجاتكم رسول الله؟ فإذا لم تفعلوا ما أمّرت به،
وتاب الله عليكم، ورخص لكم في ألا تفعلوه،
فأثابوا وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة
وطاعة الله ورسوله في كل ما أمّرت به، والله
سبحانه خير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.

(١٤) ألم تر إلى المنافقين الذين اتّخذوا اليهود
أصدقاء وألّوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا
من المسلمين ولا من اليهود، ويخلفون كذباً أنهم
مسلمون، وأنت رسول الله، وهم يعلمون أنهم
كاذبون فيما حلفوا عليه.

(١٥) أعد الله هؤلاء المنافقين عذاباً بالغ الشدة
والألم، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق
والحلف على الكذب.

(١٦) اتّخذ المنافقون أيانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم، فبسبب
ذلك صدّوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مُدَلٍّ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله
وصدّهم عن سبيله.

(١٧) لن تدفع عن المنافقين أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، أولئك أهل النار يدخلونها فيبقون فيها أبداً، لا
يخرجون منها. وهذا الجزاء يعم كل من صدّ عن دين الله بقله أو فعله.

(١٨) يوم القيامة يبعث الله المنافقين جميعاً من قبورهم أحياء، فيحلفون له أنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يخلفون لكم -أيها
المؤمنون- في الدنيا، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم في الدنيا عند المسلمين، ألا إنهم هم البالغون في
الكذب حدّاً لم يبلغه غيرهم.

(١٩) غلب عليهم الشيطان واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله والعمل بطاعته، أولئك حزب الشيطان وأتباعه. ألا إن
حزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٢٠) إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله، أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة.

(٢١) كتب الله في اللوح المحفوظ وحكم بأن النصر له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين. إن الله سبحانه قوي لا يعجزه
شيء، عزيز على خلقه.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
 أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ
 بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 الْحِلَالَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

(٢٢) لا تجد -أيها الرسول- قوماً يصدقون بالله واليوم الآخر، ويعملون بما شرع الله لهم، يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم، أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثبت في قلوبهم الإيمان، وقواهم بنصر منه وتأيد على عدوهم في الدنيا، ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها زماناً عتداً لا ينقطع، أحل الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم، ورضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفع الدرجات، أولئك حزب الله وأوليأوه، وأولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

﴿سورة الحشر﴾

(١) نَزَّهَ اللهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُ، الْحَكِيمُ فِي قُدْرَةِ وَتَدْبِيرِهِ وَصَنَعِهِ وَتَشْرِيعِهِ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا.

(٢) هو - سبحانه - الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاؤوا بها المسلمين حول «المدينة»، وذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام»، ما ظننتم -أيها المسلمون- أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان؛ لشدة بأسهم وقوة منعتهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله ولا يقدر عليها أحد، فجاءهم من أمر الله ما لم يخطر لهم بال، وألقى الله في قلوبهم الخوف والفرع الشديد، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم.

(٣) ولولا أن كتب الله عليهم الخروج من ديارهم وقضاء، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسي، ولهم في الآخرة عذاب النار.

(٤) ذلك - الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرونهم في الآخرة - لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشدَّ المخالفة، وحاربوا وسعوا في معصيتها، ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له.

(٥) ما قطعتم - أيها المؤمنون - من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فيأذن الله وأمره؛ ولئذٍ بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها.

(٦) وما أفاء الله على رسوله من أموال يهود بني النضير، فلم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من أعدائه، فيستسلمون لهم بلا قتال، والفيء ما أخذ من أموال الكفار بحق من غير قتال. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(٧) ما أفاء الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل فله

ولرسوله، يُصرف في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى وهم الأطفال الفقراء الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين وهم أهل الحاجة الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نفدت نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكاً متداولاً بين الأغنياء وحدهم، ويُحرّم منه الفقراء والمساكين. وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذِه أو فعله فانتهاوا عنه، واتقوا الله بامثال أوامره وترك نواهيه. إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه. والآية أصل في وجوب العمل بالسنّة: قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

(٨) وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرون، الذين اضطروهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة، ويصرون دين الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك هم الصادقون الذين صدّقوا قولهم بفعلهم.

(٩) والذين استوطنوا «المدينة»، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين - وهم الأنصار - يمجون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسداً لهم مما أعطوا من مال الفيء وغيره، ويُقدّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقير، ومن سلّم من البخل ومنع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أَخْرَجْتُمُ الْكَافِرِينَ مِنْ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُوا فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَلَنْ تُؤْمِنُوا كَمَا نُؤْمِنُ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أَخْرَجُوا بِالْإِيمَانِ مِنْهُمْ وَلَئِنْ فَرَّقُوا لَا يَضَعُوا وَفَاءَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ وَهُمْ لَيُؤْلَوْنَ أَلَدْبَرْتُمْ لَا يُنصِرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ
أَوْ مِنْ وَكَلَةٍ جَدِيدٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذُكِّرُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَمْرُهُمْ عَذَابُ
أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

(١٠) والذين جاءوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حسداً وحقداً لأحد من أهل الإيمان، ربنا إنك ترحم عبادك رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم.

وفي الآية دلالة على أنه ينبغي للمسلم أن يذكر سلفه بخير، ويدعو لهم، وأن يحب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكرهم بخير، ويترضى عنهم.

(١١) ألم تنظر إلى المنافقين، يقولون لإخوانهم في الكفر من يهود بني النضير: لئن أخرجكم محمد ومن معه من منازلكم لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أحداً أبداً سألناخذلكنكم أو ترك الخروج معكم، ولئن قاتلوكم لنعاوننكم عليهم؟ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به يهود بني النضير.

(١٢) لئن أخرج اليهود من «المدينة» لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قاتلوا لا يقاتلون معهم كما وعدوا، ولئن قاتلوا معهم ليؤلن الأديار فراراً منهزمين، ثم لا ينصرهم الله، بل يخذلهم، ويذلهم.

(١٣) لخوف اليهود والمنافقين وخشيتهم إياكم - أيها المؤمنون - أعظم وأشد في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من الله؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله والإيمان به، ولا يرهبون عقابه.

(١٤) لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قري محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الحيطان التي يتسترون بها؛ لجبنهم وللرعب الذي تمكّن من قلوبهم، عداوتهم فيما بينهم شديدة، تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة، ولكن قلوبهم متفرقة؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون أمر الله ولا يتدبرون آياته.

(١٥) مثل هؤلاء اليهود فيما حل بهم من عقوبة الله كمثل كفار قريش يوم «بدر»، ويهود بني قينقاع، حيث ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع.

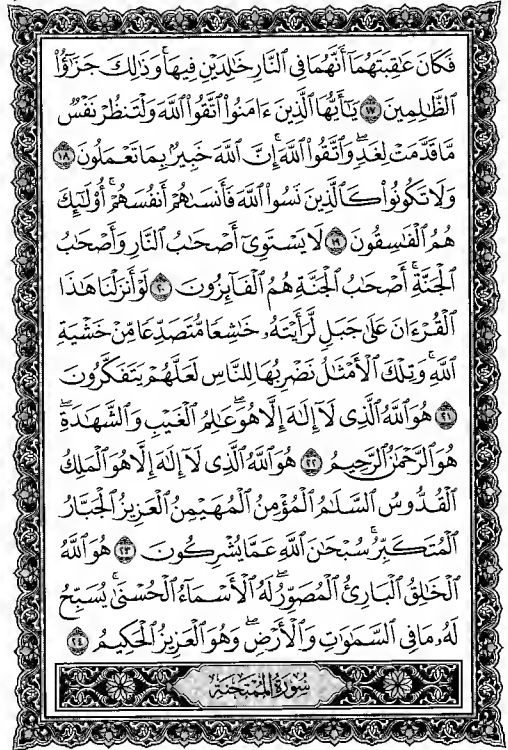
(١٦) ومثل هؤلاء المنافقين في إغراء اليهود على القتال ووعدهم بالنصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمثل الشيطان حين زين للإنسان الكفر ودعاه إليه، فلما كفر قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب الخلق أجمعين.

(١٧) فكان عاقبة أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أنها في النار، ماكتبن فيها أبداً، وذلك جزاء المعتدين المتجاوزين حدود الله.

(١٨) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، واحذروا عاقبه بفعل ما أمركم به وما ترك ما نهاكم عنه، ولتتدبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة، وخافوا الله في كل ما تاتون وما تذرّون، إن الله سبحانه خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

(١٩) ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة، أولئك هم الموصوفون بالفسق، الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله.

(٢٠) لا يستوي أصحاب النار المعدّبون، وأصحاب الجنة النعمّعون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.



(٢١) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه من وعد ووعيد، لأبصرته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعاً ذليلاً متشققاً من خشية الله تعالى. وتلك الأمثال نصربها، ونوصحها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته. وفي الآية حث على تدبر القرآن، وتفهم معانيه، والعمل به.

(٢٢) هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.

(٢٣) هو الله المعبود بحق الذي لا إله إلا هو، الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، المنزه عن كل نقص، الذي سلّم من كل عيب، المصدّق رسله وأنبياءه بما أرسلهم به من الآيات والبيّنات، الرقيب على كل خلقه في أعمالهم، العزيز الذي لا يغالب، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة. تنزه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته.

(٢٤) هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته، المصور خلقه كيف يشاء، له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، يسبح له جميع ما في السموات والأرض، وهو العزيز شديد الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه.

﴿سورة المنتحنة﴾

(١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا عدوي وعدوكم خلاصاً وأحباء، تُفَضُّون إليهم بالمودة، فتخبرونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وسرائر المسلمين، وهم قد كفروا بها جاءكم من الحق من الإيذان بالله ورسوله وما نزل عليه من القرآن، يخرجون الرسول ويخرجونكم -أيها المؤمنون- من «مكة»؛ لأنكم تصدقون بالله ربكم، وتوحدونه، إن كنتم -أيها المؤمنون- هاجرتم مجاهدين في سبيلي، طالبين مرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، تُفَضُّون إليهم بالمودة سراً، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم، ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل.

(٢) إن يظفر بكم هؤلاء الذين تُسُرُّون إليهم بالمودة يكونوا حرباً عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والسبي، وألستهم بالسب والشتم، وهم قد تمثَّوا -على كل حال- لو تكفرون مثلهم.

(٣) لن تنفعكم قربانكم ولا أولادكم شيئاً حين توالون الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. والله بها يعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأعمالكم.

(٤) قد كانت لكم -أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين، حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا يريثون منكم وممَّا تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ما دمتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده، لكن لا يدخل في الاقتداء استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك إنما كان قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ربنا عليك اعتمادنا، وإليك رجعنا بالتوبة، وإليك المرجع يوم القيامة.

(٥) ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا أو تسليط الكافرين علينا، فيفتنونا عن ديننا، أو يظهرنا علينا فيفتنوا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق، ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفراً، واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا، إنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُلُوْبِ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِنَّا كُنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهْدًا فِي سَبِيلِي
وَأَتَّبِعَاءَ مَنْ صَاحَّبَنِ السُّرُورَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
يَتَّقُوا رَبَّ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوْا إِلَيْكُمْ يَدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ
بِالسُّوءِ وَوَدُوْا لَوْتَ كُفْرُوْنَ ۝ لَنْ تَفْعَهُمْ أَحَادُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ
لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
بُرِّءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفِّرْنَا بَكُم مِّن دِينِنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۝ إِنْ قُلْ
إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَعْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۝
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ عَنَّا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا آسَوةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢﴾ لَا يَهْدِي اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٣﴾ إِنَّمَا يَهْدِي اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجُرَاتٍ
فَاصْجَوْهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ جِلَّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاوَهُنَّ
مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوهُنَّ أَفْقُوهُنَّ وَلَا تَقْفُوهُنَّ
ذَلِكُمْ كَرِهَ اللَّهُ لِحُكْمِكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن قَاتَلَكُمْ
شَيْءٌ فَمِن زُوجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُهُنَّ فَفَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ فَمِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(٦) لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في إبراهيم عليه السلام والذين معه قدوة حيدة لمن يطعم في الخير من الله في الدنيا والآخرة، ومن يُعرض عما نده الله إليه من التأسى بأنبيائه، ويوال أعداء الله، فإن الله هو الغني عن عباده، الحميد في ذاته وصفاته، المحمود على كل حال.

(٧) عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد البغضاء، وألفة بعد الشحنة بانسراح صدورهم للإسلام، والله قدير على كل شيء، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٨) لا ينهاكم الله - أيها المؤمنون - عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرمهم بالخير، وتعدلو فيهم بإحسانكم إليهم ويركم بهم. إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم.

(٩) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار،

على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة، ومن يتخذهم أنصاراً على المؤمنين وأحباباً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، الخارجون عن حدود الله.

(١٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبيانات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكافرين، فالنساء المؤمنات لا يحلُّ لهن أن يتزوجن الكفار، ولا يحلُّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات، وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تزوجوهن إذا دفعتمهن من مهورهن. ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات، واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نساكنكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نساكنهم اللاتي أسلمن ولحقن بكم، ذلكم الحكم المذكور في الآية هو حكم الله بحكمه بينكم فلا تخالفوه. والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله.

(١١) وإن لحقت بعض زوجانكم من مردات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن، ثم طُفِرتم بهؤلاء الكفار أو غيرهم وانصرتهم عليهم، فأعطوا الذين ذهب أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك، وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُسْلِمَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يَشْرُكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْسُدُنَّ بِهِنَّ بِعَازِرُهُنَّ يَتْنَّ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ وَلَا يَعْصِمَنَّكَ مِنْ مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَكْسِبُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَكْسِبُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَآلَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُوفٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ لِي تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

(١٢) يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بالله ورسوله يعاهدنك على ألا يجعلن مع الله شريكاً في عبادته، ولا يسرقن شيئاً، ولا يزني، ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها، ولا يلحقن بأزواجهن أولاداً ليسوا منهم، ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به، فعاهدن على ذلك، واطلب لهن المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

(١٣) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأحلاء، قد يتسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يش الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يش الكفار من بعث موتاهم - أصحاب القبور -؛ لاعتقادهم عدم البعث.

سورة الصف

(١) نَزَّهَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُ الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

(٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، لِمَ تَعِدُونَ وَعَدًا، أَوْ تَقُولُونَ قَوْلًا وَلَا تَفْعَلُونَ بِهِ؟! وَهَذَا إِنكَارٌ عَلَى مَنْ يَخَالِفُ فِعْلُهُ قَوْلَهُ.

(٣) عَظُمَ غَضَبُ اللَّهِ أَنَّ تَقُولُوا بِالسُّتُكْمِ مَا لَا تَفْعَلُونَهُ.

(٤) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْتَصِفٌ حَكَمٌ لَا يَنْفُذُ مِنْهُ الْعَدُوُّ. وَفِي الْآيَةِ بَيَانُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ؛ لِحُبِّهِ لِعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا صَفُّوا مُوَاجِهِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ، يُقَاتِلُونَهُمْ فِي سَبِيلِهِ.

(٥) وَادَّكَرَ لِقَوْمَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حِينَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: لِمَ تُوَدُّونَنِي بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَلَمَّا عَدَلُوا عَنِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَأَصْرُوا عَلَى ذَلِكَ، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ قَبُولِ الْهُدَايَةِ؛ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى زِيغِهِمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ وَمَنْهَاجِ الْحَقِّ.

(٦) واذكر -أيها الرسول لقومك- حين قال عيسى بن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما جاء قبلي من التوراة، وشاهداً بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه «أحمد»، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وداعياً إلى التصديق به، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئنا به سحر بين.

(٧) ولا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العبادته لله وحده. والله لا يوفق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم.

(٨) يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن- بأقوالهم الكاذبة، والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره الجاحدون المكذوبون.

(٩) الله هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله

وَلَا قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَشَرًا لَّنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِهِ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلًا ذُكِّرُوا عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجِّلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذُكِّرُوا خَيْرًا لَّئِنْ كَفَرُوا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفًا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على كل الأديان المخالفة له، ولو كره المشركون ذلك.

(١٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعمِلُوا بِشَرَعِهِ، هل أُرشدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب موحج؟

(١١) تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس، ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون مضارَّ الأشياء ومنافعها، فامتثلوا ذلك.

(١٢، ١٣) إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومسكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. ونعمة أخرى لكم -أيها المؤمنون- تحبونها هي نصر من الله يأتيكم، وفتح عاجل يُبشِّرُ على أيديكم. وبشِّرُ المؤمنين -أيها النبي- بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

(١٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعمِلُوا بِشَرَعِهِ، كونوا أنصارَ دين الله، كما كان أصفياء عيسى وخُصَصَ أصحابه أنصارَ دين الله حين قال لهم عيسى: مَنْ يتولى منكم نصري وإعاني فيما يُقَرَّبُ إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار دين الله، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلَّت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على مَنْ عاداهم من فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

سورة الجمعة

(١) ينزّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، وهو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٢، ٣) الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعا، يقرأ عليهم القرآن، ويظهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق. وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعد، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم. والله تعالى -وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(٤) ذلك البعث للرسول صلى الله عليه وسلم، في أمة العرب وغيرهم فضل من الله، يعطيه من يشاء من عباده. وهو -وحده- ذو الإحسان والعطاء الجزيل.

(٥) شبه اليهود الذين كلفوا العمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كسبه الحمار الذي يحمل كتبا لا يدري ما فيها، فتح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، ولم ينتفعوا بها، والله لا يوفق القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته.

(٦) قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالمللة اليهودية المحرفة: إن ادعيتهم -كذبا- أنكم أعباء الله دون غيركم من الناس، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في ادعائكم حب الله لكم.

(٧) ولا يتمنى هؤلاء اليهود الموت أبدا إشارا للحياة الدنيا على الآخرة، وخوفا من عقاب الله لهم؛ بسبب ما قدموه من الكفر وسوء الفعال. والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من ظلمهم شيء.

(٨) قل: إن الموت الذي تهربون منه لا مفر منه، فإنه آت إليكم عند مجيء آجالكم، ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْمُسَلِّمُونَ
الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ كَانُوا
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعِمْتُمْ أَنتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا تَمَنَّوْهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقٍ كَرِهْتُمْ ثُمَّ تَرَدُّونَ
إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

(٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِهِ، إِذَا نَادَى الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَامْضُوا إِلَى سَمَاعِ الْخُطْبَةِ وَأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَاتْرَكُوا الْبَيْعَ، وَكَذَلِكَ الشَّرَاءَ وَجَمِيعَ مَا يَشْغَلُكُمْ عَنْهَا، ذَلِكَ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ غَفْرَانِ ذُنُوبِكُمْ وَثُوبَةِ اللَّهِ لَكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَصَالِحَ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا ذَلِكَ.

وفي الآية دليل على وجوب حضور الجمعة واستماع الخطبة.

(١٠) فإِذَا سَمِعْتُمْ الْخُطْبَةَ، وَأَدَيْتُمُ الصَّلَاةَ، فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ، وَاطْلُبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ بِسَعْيِكُمْ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ تَفُوزُونَ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١١) وَإِذَا رَأَى بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ تِجَارَةً أَوْ شَيْئًا مِنْ هُوِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا تَفَرَّقُوا إِلَيْهَا، وَتَرَكَوْكَ -أَيُّهَا النَّبِيُّ- قَائِمًا عَلَى الْمَبْرِ تَخْطُبُ، قُلْ لَهُمْ -أَيُّهَا النَّبِيُّ-: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ أَنْفَعُ لَكُمْ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ، وَاللَّهُ -وَحْدَهُ- خَيْرٌ مَنْ رِزْقٍ وَأَعْطَى، فَاطْلُبُوا مِنْهُ، وَاسْتَعِينُوا بِطَاعَتِهِ عَلَى نَيْلِ مَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دُعِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنْ نَبْهُتَكَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ حُنَّةً فَأَصْدَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ فَتَنْسَوْنَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعُدُوَّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ بُذِيَ عَنْكُمْ

﴿سورة المنافقون﴾

(١) إِذَا حَضَرَ مَجْلِسُكَ الْمُنَافِقُونَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- قَالُوا بِالْإِسْتِثْمِ: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِيمَا أَظْهَرَهُ مِنْ شَهَادَتِهِمْ لَكَ، وَحَلَفُوا عَلَيْهِ بِالْإِسْتِثْمِ، وَأَضْمَرُوا الْكُفْرَ بِهِ.

(٢، ٣) إِنَّمَا جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ أَيْمَانَهُمُ الَّتِي أَقْسَمُوا هَاسِتَةً وَوَقَايَةَ لَهُمْ مِنَ الْمُواخَاظَةِ وَالْعَذَابِ، وَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ، وَمَنَعُوا النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، إِنَّهُمْ بَشَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا فِي الظَّاهِرِ، ثُمَّ كَفَرُوا فِي الْبَاطِنِ، فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

(٤) وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ تُعْجِبُكَ هَيْئَتُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ، وَإِنْ تَحَدَّثُوا تَسْمَعُ لِحَدِيثِهِمْ؛ لِفَصَاحَةِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ لِفَرَاغِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَعَقُولُهُمْ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ كَالْأَشْجَابِ الْمُلَاقَاةِ عَلَى الْخَاطِطِ، الَّتِي لَا حَيَاةَ فِيهَا، يَنْظُنُّ كُلُّ صَوْتٍ عَالٍ وَأَقْعًا عَلَيْهِمْ وَضَارًّا بِهِمْ؛ لِعِلْمِهِمْ بِحَقِيقَةِ حَالِهِمْ، وَلِفِرْطِ جُبْنِهِمْ، وَالرَّعْبِ الَّذِي تَمَكَّنَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، هُمْ الْأَعْدَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ شَدِيدُو الْعَادَاةِ لَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَخُذْ حَذْرَكَ مِنْهُمْ، أَخْزَاهُمُ اللَّهُ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، كَيْفَ يَنْصَرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّفَاقِ وَالضَّلَالِ؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْتُمْ وَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ صُذِّدُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَوْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا أَعْلَىٰ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خِزَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ
مِنْهَا أَلَاذِلٌّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ تَابَ أُنْثَى الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهَكُوا
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِمَّنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

(٥) وإذا قيل هؤلاء المنافقين: أقبِلوا تائبين معتذرين عما بدر منكم من سيئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاء واستكباراً، وأبصرهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلب إليهم.

(٦) سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبداً، لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر. إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.

(٧) هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة»: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى ينفروا عنه. والله وحده خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون أن الرزق من عند الله؛ لجهلهم به سبحانه وتعالى.

(٨) يقول هؤلاء المنافقون: لنسعدنا إلى «المدينة» ليخرجنا فريقاً من المؤمنين الأذل، والله تعالى العزة ورسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين بالله ورسوله لا غيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لقرط جهلهم.

(٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك، فأولئك هم الغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته.

(١٠) وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته، فيقول نادماً: ربِّ هلاً أهملتني، وأجلت موتي إلى وقت قصير، فأتصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء.

(١١) ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها، والله سبحانه خبير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
 تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوِّكُمْ
 لَكُمْ فَاخْتَرُوا لَهُمْ مَوَاطِنَ تَقْبَلُوهُمْ وَنَصِبْخُوا وَتَغْفِرُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
 فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
 وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرَّبُوا
 إِلَى اللَّهِ قَرَّبًا حَسَنًا يَنْفَعِكُمْ لَكُمْ وَتَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
 حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

(١٠) والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا بدلائل ربيوبته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله، أولئك أهل النار ما كنتم فيها أبداءً وساء المرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم.

(١١) ما أصاب أحداً شيء من مكروه يحل به إلا بإذن الله وقضائه وقدره. ومن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويهديه لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأن أصل الهداية للقلب، والجوارح تبع. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(١٢) وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما يبلغكم به عن ربه، فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغاً واضح البيان.

(١٣) الله وحده لا معبود بحق سواه، وعلى الله فليعتمد المؤمنون بوحدانيته في كل أمورهم.

(١٤) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويشطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم، وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عنها، وتستروها عنهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة.

(١٥) ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة غيره، وأدى حق الله في ماله.

(١٦) فابذلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم، واسمعوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تدبر وتفكير، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيراً لكم. ومن سلّم من البخل وضع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

(١٧) إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم. والله شكور لأهل الإنفاق يحسن الجزاء على ما أنفقوا، حلیم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

(١٨) وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

﴿سورة الطلاق﴾

(١) يا أيها النبي إذا أردتم - أنت والمؤمنون - أن تطلقوا نساءكم فطلقوهن مستقبلاً لعدتهن - أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حمل ظاهر - واحفظوا العدة؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن، وخافوا الله ربكم، لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكن فيها إلى أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والأيسة والحامل، ولا يجوز من الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى، وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك. لا تدري - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمراً لا تتوقعه فراجعها.

(٢، ٣) فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارة بهن، وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة

رجلين عدلين منكم، وأدوا - أيها الشهود - الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويحنت ما نهاه عنه، يجعل له مخرجاً من كل ضيق، ويسر له أسباب الرزق من حيث لا يحظر على باله، ولا يكون في حسبانته. ومن يتوكل على الله فهو كافيه ما أهمته في جميع أموره. إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل شيء أجلاً ينتهي إليه، وتقديراً لا يجاوز.

(٤) والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهن دم الحيض؛ لكبر سنهن، إن شككنكم فلم تدرُوا ما الحكم فيهن؟ فعدتهن ثلاثة أشهر، والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحمل من النساء عدتهن أن يضعن حملهن. ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسراً في الدنيا والآخرة.

(٥) ذلك الذي ذكر من أمر الطلاق والعدة أمر الله الذي أنزله إليكم - أيها الناس -؛ لتعملوا به. ومن يخف الله فيتنه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح عنه ذنوبه، ويجزل له الثواب في الآخرة، ويدخله الجنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِغَشْوَ مُبَيَّنَةٍ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ بَعُدَ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝
فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ يَعْرِفُونَ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ۝ وَالَّذِي يُبَيِّنُ مِنَ الْمُحْضِينَ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ
الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝

أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَىٰ حِمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِهِتُمْ كَمَا يَمْعُرُونَ وَإِنْ تَعَاسَرَفْتُمْ فَتَسَرَّضْ لَهُنَّ آخَرَىٰ ۖ إِنْ يَنْفِقُوا مِنْ دُونِ سَعَتِهِمْ مِنْ قُدْرَتِهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقُوا مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۚ وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ زَيْهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُتْرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ سَوْ لَا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ الْآمُرُ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝

(٦) أسكنوا المطلقات من نساكنكم في أثناء عدتهن مثل سكناكم على قدر سعتكم وطافتكم، ولا تلحقوا بهن ضرراً؛ لتضييقوا عليهن في المسكن، وإن كان نساؤكم المطلقات ذوات حمل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن، وليأمر بعضكم بعضاً بما عرف من سباحة وطيب نفس، وإن لم تنفقوا على إرضاع الأم، فسترضع للاب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة.

(٧) لينفق الزوج مما وسع الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سعة في الرزق، ومن ضيق عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق، لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني، سيجعل الله بعد ضيق وشدة سعة وغنى.

(٨، ٩) وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر رسله وتمادوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حساباً شديداً، وعذبناهم عذاباً عظيماً منكرًا، فتجرعوا سوء عاقبة عتوهم وكفرهم، وكان عاقبة كفرهم هلاكاً وخسراناً لا خسران بعده.

(١٠، ١١) أعدَّ الله هؤلاء القوم الذين طغوا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذاباً بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة الذين صدقوا الله ورسله وعملوا بشرعه. قد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- ذكراً يذكركم به، وينبهكم على حطكم من الإيثار بالله والعمل بطاعته. وهذا الذكر هو الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل؛ كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن يؤمن بالله ويعمل عملاً صالحاً، يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كثر فيها أبداً، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقه في الجنة.

(١٢) الله وحده هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعاً من الأرضين، وأنزل الأمر مما أوحاه الله إلى رسله وما يدبر به خلقه بين السموات والأرض؛ لتعلموا -أيها الناس- أن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته.

﴿سورة التحريم﴾

(١) يا أيها النبي لم تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك، بتغيي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك.

(٢) قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. والله ناصركم ومتولي أموركم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(٣) وإذا أسر النبي إلى زوجته حفصة -رضي الله عنها- حديثاً، فلما أخبرت به عائشة رضي الله عنها، وأطلعته الله على إفشائها سره، أعلم حفصة بعض ما أخبرت به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكرماً، فلما أخبرها بها أفشت من الحديث، قالت: من أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية.

(٤) إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد

وجد منكم ما يوجب التوبة، حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إفشاء سره، وإن تعاونا عليه بما يسوءه، فإن الله وليه وناصره، وجبريل، وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصرته الله أعوان له ونصراء على من يؤذيه ويعاديه.

(٥) عسى ربه إن طلقكن -أيها الزوجات- أن يزوجه بدلاً منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله من طاعته، كثيرات العبادة له، صائئات، منهن الثيبات، ومنهن الأبقار.

(٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهلكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

(٧) ويقال للذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكفروا به عند إدخالهم النار: لا تلتمسوا المعاذير في هذا اليوم؛ إنها تعطون جزاء الذي كنتم تعملون في الدنيا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصَوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمْمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفَ رَثَايَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَا وَدَّهَرُكُمْ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصْدُورُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَأَتٍ فُوجٍ وَأُمْرَأَتٍ لَوِطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنَيْنَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيَةِ ﴿١٠﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أُمْرَأَتٍ فَرْعَوَاتٍ إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ أُنْزِلْ لِي آيَةً مِنْ رَبِّي إِنَّكِ فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ وَبِخْنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرجَهَا فَفَخَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
 وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَدِّينَ ﴿١٢﴾

(٨) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعاً لا معصية بعده، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم، وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأنسجارها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم، بل يعلي شأنهم، نور هؤلاء يسير أمامهم وبأيامهم حال مشيهم على الصراط بقدر أعمالهم، يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة، واعف عنا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا، إنك على كل شيء قدير.

(٩) يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادها، ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم، وقُبِحَ ذلك المرجع الذي يرجعون إليه.

(١٠) ضرب الله مثلاً لحال الكفرة - في مخالطتهم

المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله - بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط: حيث كانتا في عصمة عبدّين من عبادنا صالحين، فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين، فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئاً، وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها.

وفي ضرب هذا المثل دليل على أن القرب من الأنبياء، والصالحين، لا يفيد شيئاً مع العمل السيئ.

(١١) وضرب الله مثلاً لحال المؤمنين - الذين صدّقوا الله، وعبدوه وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم - بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله، حين قالت: رب أنبي لي داراً عندك في الجنة، وأنقذني من سلطان فرعون وفتنته، وما يصدر عنه من أعمال الشر، وأنقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال، ومن عذابهم.

(١٢) وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعمسى عليه السلام، وصدقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزل على رسله، وكانت من الطيعين له.

سُورَةُ الْمَالِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ۝
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
 تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
 يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَا نُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
 السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ۝
 إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا سَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا لِمَ يَكُونُ بَدْرٌ ۝
 قَالُوا لِمَ فَدَجَّاءَ تَائِيذٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْشَأْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ
 الَّذِينَ يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَقْعَرٌ وَاُجْرٌ كَبِيرٌ ۝

﴿سورة المُلْك﴾

(١) تكاثر خبر الله وبرُّه على جميع خلقه، الذي بيده مُلك الدنيا والآخرة وسلطانها، نافذ فيها أمره وقضاؤه، وهو على كل شيء قدير.

ويستفاد من الآية ثبوت صفة اليد لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله.

(٢) الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم - أيها الناس -: أيكم خيرٌ عملاً وأخلصه؟ وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء، الغفور لمن تاب من عباده.

وفي الآية ترغيب في فعل الطاعات، وزجر عن اقتراف المعاصي.

(٣) الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض، ما ترى في خلق الرحمن - أيها الناظر - من اختلاف ولا تباين، فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟

(٤) ثم أعد النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى نقصاً، وهو متعب قليل.

(٥) ولقد زيننا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم عظيمة مضئية، وجعلناها شهياً محرقة لمستلقي السمع من الشياطين، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرَّها.

(٦) وللكافرين بخالقهم عذاب جهنم، وساء المرجع لهم جهنم.

(٧) إذا طُرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتاً شديداً منكراً، وهي تغلي غلياناً شديداً.

(٨) تكاد جهنم تتمزق من شدة غضبها على الكفار، كلما طُرح فيها جماعة من الناس سألهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟

(٩) أجابوهم قائلين: بلى قد جاءنا رسول من عند الله وحذّرنا، فكذبناه، وقلنا فيما جاء به من الآيات: ما نزل الله على أحد من البشر شيئاً، ما أنتم - أيها الرسل - إلا في ذهاب بعيد عن الحق.

(١٠) وقالوا معترفين: لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدعى إليه، ما كنا في عداد أهل النار.

(١١) فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به عذاب النار، فبعداً لأهل النار عن رحمة الله.

(١٢) إن الذين يخافون ربهم، فيعبودونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويحشون العذاب في الآخرة قبل معابنته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.

وَأَمِرُوا قَوْمَكُمُ وَأَجْمَعُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣
يَعْلَمَنَّ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ١٥
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرٍ ١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ١٨
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوَقَّهُمْ ضَرْفَاتٍ وَبِقِصْنٍ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ١٩ أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ
يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ هُوَ الْإِلَافُ ٢٠ أَمَنْ هَذَا
الَّذِي يَزْعُمُ أَنْ إِنْ آتَاكُمْ رِزْقٌ بَلَّ لُجُوفَ عُيُوفٍ وَنُفُورٍ ٢١ أَمَنْ
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ٢٢ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢٦

(١٣) وأخفوا قوالمكم - أيها الناس - في أي أمر من أموركم أو أعلنوه، فهما عند الله سواء، إنه سبحانه عليهم بمضمرات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟

(١٤) ألا يعلم رب العالمين خلقه وشؤونهم، وهو الذي خلقهم وأنقن خلقهم وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم.

(١٥) الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وكلوا من رزق الله الذي يخرجكم منها، وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء.

وفي الآية إيهاء إلى طلب الرزق والمكاسب، وفيها دلالة على أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وعلى قدرته، والتذكير بنعمه، والتحذير من الركون إلى الدنيا.

(١٦، ١٧) هل أمتم - يا كفار «مكة» - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟ هل أمتم الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحجارة الصغيرة، فستعلمون - أيها الكافرون - كيف تحذيري لكم إذا عابتنكم العذاب؟ ولا ينفعكم العلم حين ذلك.

وفي الآية إثبات العلو لله تعالى، كما يليق بجلاله سبحانه.

(١٨) ولقد كذب الذين كانوا قبل كفار «مكة» ققوم نوح وعاد وثمود رسلهم، فكيف كان إنكارهم عليهم، وتغيري ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟

(١٩-٢١) أغفل هؤلاء الكافرون، ولم ينظروا إلى الطير فوقهم، باسطات أجنحتها عند طيرانها في الهواء، ويضممنها إلى جُنُوبِها أحيانا؟ ما يحفظها من الوقوع عند ذلك إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير لا يرى في خلقه نقص ولا تفاوت. بل من هذا الذي هو في زعمكم - أيها الكافرون - حزب لكم ينصركم من غير الرحمن، إن أراد بكم سوءا؟ ما الكافرون في زعمهم هذا إلا في خداع وضلال من الشيطان. بل من هذا الرازق المزعوم الذي يرزقكم إن أسلك الله رزقه ومنعه عنكم؟ بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق، لا يسمعون له، ولا يتبعونه.

(٢٢) أمتن يمشي منكسا على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، أشد استقامة على الطريق وأهدى، أم من يمشي مستويا منتصب القائمة سالما على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟ وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن.

(٢٣، ٢٤) قل لهم - أيها الرسول - الله هو الذي أوجدكم من العدم، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها، قليلا - أيها الكافرون - ما تؤدون شكر هذه النعم لربكم الذي أنعم بها عليكم. قل لهم: الله هو الذي خلقكم ونشركم في الأرض، وإليه وحده تجمعون بعد هذا التفرق للحساب والجزاء.

(٢٥، ٢٦) ويقول الكافرون: متى يتحقق هذا الوعد بالحرش يا محمد؟ أخبرونا بزمانه أيها المؤمنون، إن كنتم صادقين فيها تدعون، قل - أيها الرسول - هؤلاء: إن العلم بوقت قيام الساعة اختص الله به، وإننا أنا نذير لكم أخوفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان.

(٢٧) فلما رأى الكفار عذاب الله قريباً منهم وعابوه، ظهرت الذلة والكآبة على وجوههم، وقيل توبيخاً لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا.

(٢٨) قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكافرين: أخبروني إن أمأتني الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحنا فأخر أجالنا، وعافانا من عذابه، فمن هذا الذي يحميكم، ويمنعكم من عذاب اليم مخرج؟

(٢٩) قل: الله هو الرحمن صدقنا به وعملنا بشره، وأطعناه، وعليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا، فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أي الفريقين منا ومنكم في بُعد واضح عن صراط الله المستقيم؟

(٣٠) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهباً في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة، فمن غير الله يبيحكم بهاء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟

﴿سورة القلم﴾

(٤-١) ﴿ت﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

أقسم الله بالقلم الذي يكتب به الملائكة والناس، وبما يكتبون من الخير والنفع والعلوم. ما أنت

-أيها الرسول- بسبب نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعيف العقل، ولا سفية الرأي، وإن لك على ما تلقاه من شدائد على تبليغ الرسالة لنواباً عظيماً غير منقوص ولا مقطوع، وإنك -أيها الرسول- لعل خلق عظيم، وهو ما اشتمل عليه القرآن من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له يأتمر بأمره، وينتهي عما ينهى عنه.

(٦، ٥) فمن قريب سترى -أيها الرسول-، ويرى الكافرون في أيكم الفتنة والجنون؟

(٧) إن ربك -سبحانه- هو أعلم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى، وهو أعلم بالنقي المهتدي إلى دين الحق.

(٨) فاثبت على ما أنت عليه -أيها الرسول- من مخالفة المكذبين ولا تطعهم.

(٩) تمثّلوا وأحبوا لو تلاينهم، وتسانعهم على بعض ما هم عليه، فيلبثون لك.

(١٠-١٥) ولا تطع -أيها الرسول- كل إنسانٍ كثير الخلف كذاب حقير، مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة، وينقل حديث بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم، بخيل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير، متجاوز حده في العدوان على الناس وتناول المحرمات، كثير الأثام، شديد في كفره، فاحش لثيم، منسوب إلى غير أبيه. ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين، طغى وتكبر عن الحق، فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم. وهذه الآيات وإن نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة، إلا أن فيها تحذيراً للمسلم من موافقة من اتصف بهذه الصفات الذميمة.

(١٦) سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له؛ ليكون مفتضحاً بها أمام الناس.

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ۝ فَنُفِثَ عَلَيْهِمُ الطَّيْفُ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ اعْبُدُوا عَلٰى حَرْوٍ لَّيْنٍ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ۝ فَأَنظَلُّوهُمُ يُخَفِّفُونَ ۝ أَن لَّا يَدْعَاهُمَا الْيَوْمَ عَلَيْهِمُ وَيَسْكِبِينَ ۝ وَعَدُوا عَلٰى حَرْوٍ قَدِيرِينَ ۝ فَلَمَّا رَاوَاهَا قَالُوا إِنَّا لَنَصَاوُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْ لَا تَسْتَعِينُونَ ۝ قَالُوا أَسْتَغِيثُ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۝ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ أَفَتَجْعَلُ الْمُتَسَاءِلِينَ كَالْمُخْرَجِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَنذِرُونَ ۝ إِنَّ فِيهِ لَمَآخِزٌ لِّمَنْ يَعْلَمُ ۝ أَمْ لَكُمْ أَئِمْنٌ عَلَيْنَا بَلِغْهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ إِنَّ لَكُمْ لَمَآخِزَ كُفُومٍ ۝ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ۝ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَىٰ الشُّجُورِ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝

(١٧، ١٨) إِنَّا اخْتَبَرْنَا أَهْلَ «مَكَّةَ» بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ، كَمَا اخْتَبَرْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيقَةِ حِينَ حَلَفُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ، لِيَقْطَعُنَّ ثَمَارَ حَدِيقَتِهِمْ مُبَكِّرِينَ فِي الصَّبَاحِ، فَلَا يَطْعَمَ مِنْهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَنَحْوِهِمْ، وَلَمْ يَقُولُوا: إِن شَاءَ اللَّهُ. (١٩، ٢٠) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَارًا أَحْرَقَتْهَا لَيْلًا، وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ مُحْتَرَقَةً سُودَاءَ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ.

(٢١، ٢٢) فَتَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقْتَ الصَّبَاحِ: أَنْ اذْهَبُوا مُبَكِّرِينَ إِلَى زَرْعِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُصْرِمِينَ عَلَى قِطْعِ الثَّمَارِ.

(٢٣، ٢٤) فَانْدَفَعُوا مَسْرِعِينَ، وَهُمْ يَتَسَاءَلُونَ بِالْحَدِيثِ فِيهَا بَيْنَهُمْ: بِأَنْ لَا نَحْكُمُوا الْيَوْمَ أَحَدًا مِنَ الْمَحْتَاجِينَ مِنْ دُخُولِ حَدِيقَتِكُمْ.

(٢٥) وَسَارُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى حَدِيقَتِهِمْ عَلَى قَصْدِهِمُ السَّيِّئِ فِي مَنَعَ الْمَسَاكِينَ مِنْ ثَمَارِ الْحَدِيقَةِ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْقُدْرَةِ عَلَى تَنْفِيزِهِ فِي زَعْمِهِمْ.

(٢٦-٣٣) فَلَمَّا رَأَوْا حَدِيقَتَهُمْ مُحْتَرَقَةً أَنْكَرُوهَا، وَقَالُوا: لَقَدْ أَطْغَأْنَا الطَّرِيقَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهَا هِيَ جَنَّتُهُمْ، قَالُوا: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ خَيْرَهَا؛ بِسَبَبِ عِزْمِنَا عَلَى الْبَخْلِ وَمَنَعِ الْمَسَاكِينَ. قَالَ أَعْدَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ هَلَّا تَسْتَشْنُونَ وَتَقُولُونَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ؟ قَالُوا بَعْدَ أَنْ عَادُوا إِلَى رُشْدِهِمْ: تَنَزَّهَ اللَّهُ رَبَّنَا عَنِ الظُّلْمِ فِيهَا أَصَابِنَا، بَلْ نَحْنُ كُنَا

الظَّالِمِينَ لِأَنفُسِنَا بَرَكِ الْاِسْتِثْنَاءِ وَقَصْدِنَا السَّيِّئِ. فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يُلُومُ كُلُّ مَنَّهُمُ الْآخَرَ عَلَى تَرْكِهِمُ الْاِسْتِثْنَاءَ وَعَلَى قَصْدِهِمُ السَّيِّئِ، قَالُوا: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا مُتَجَاوِزِينَ الْحُدُودَ فِي مَنَعِنَا الْفُقَرَاءَ وَخَالَفَةَ أَمْرَ اللَّهِ، عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُعْطِينَا أَفْضَلَ مِنْ حَدِيقَتِنَا؛ بِسَبَبِ تَوْبَتِنَا وَاعْتِرَافِنَا بِخَطِيئَتِنَا. إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا وَحْدَهُ رَاغِبُونَ، رَاجُونَ الْعَفْوَ، طَالِبُونَ الْخَيْرِ. مِثْلُ ذَلِكَ الْعِقَابُ الَّذِي عَاقَبْنَا بِهِ أَهْلَ الْحَدِيقَةِ يَكُونُ عِقَابِنَا فِي الدُّنْيَا لِكُلِّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، وَبَخَلَ بِأَمْرِهِ مِنَ النِّعَمِ فَلَمْ يُوَدِّحْهُ حَقُّ اللَّهِ فِيهَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لِأَنَّهُمْ جَاءُوا عَنْ كُلِّ سَبَبٍ يُوجِبُ الْعِقَابَ.

(٣٤) إِنَّ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عِقَابَ اللَّهِ بِفَعْلِهِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، لَمْ يَحْدِثْ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَاتُ النَّعِيمِ الْفَقِيمِ. (٣٥، ٣٦) أَفَتَجْعَلُ الْخَاطِعِينَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ كَالْكَافِرِينَ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ حُكْمَتُمْ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِزَ، فَسَاوَيْتُمْ بَيْنَهُمْ فِي الثَّوَابِ؟ (٣٧، ٣٨) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ مِّنْ دُونِ السَّيِّئِ تَجِدُونَ فِيهِ الْمَطِيعَ كَالْعَاصِي، فَاتَّيْتُمْ تَدْرُسُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ؟ إِنْ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِذَا مَا تَشْتَهُونَ، لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ.

(٣٩) أَمْ لَكُمْ عَهْدٌ وَمَوَاقِيعٌ عَلَيْنَا فِي أَنَّهُ سَيَحْصِلُ لَكُمْ مَا تَرِيدُونَ وَتَشْتَهُونَ؟ (٤٠، ٤١) سَلِّ الْمَشْرُوكِينَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ-: أَيُّهُمْ بِذَلِكَ الْحُكْمِ كَثِيرٌ وَضَامِنٌ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ؟ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَكْفُلُ لَهُمْ مَا يَقُولُونَ، وَتَعِينُهُمْ عَلَى إِدْرَاكِ مَا طَلَبُوا، فَلْيَأْتُوا بِهَا إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ؟

(٤٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ وَيَصْغُبُ هَوْلُهُ، وَيَأْتِي اللَّهُ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ الْكَرِيمَةُ الَّتِي لَا يَشَبِّهُهَا شَيْءٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا؛ رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيُذْهِبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

خَاشِعَةً أَبْصَرَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ
سَاطُونَ ﴿٥٠﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْخَبِيرِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴿٥١﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ أَكْذَى مَتْنٍ ﴿٥٢﴾ أَمْ تَتْلُوهُمْ
أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَقَرِّمْ مُتَنَبِّلُونَ ﴿٥٣﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكِيدُونَ
﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى
وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٥٥﴾ لَوْلَا أَنْ نَنْذَرُكَ رِجْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَبَدَّلْنَا الْعَذَابَ
وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٥٦﴾ فَاجْتَنِبْ رَبَّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ
﴿٥٧﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَأَعُوا
الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥٨﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمَّا فَتَتْهُ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ وَمَا أَزْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ
فَإِذَا ثَمُودُ فَاهْلِكُوا بِأَطْغَاهُ ﴿٣﴾ وَأَمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا بِرِيحِ
صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٤﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَةً يَابِغَةً فَانْهَارَتْ مَوَافِقُهَا
فَرَأَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ عِجَابٌ غَاوٍ ﴿٥﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٦﴾

(٤٣) منكسرة أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلة شديدة من عذاب الله، وقد كانوا في الدنيا يُدْعَوْنَ إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحاء قادرون عليها فلا يسجدون؛ تعظماً واستكباراً. (٤٤، ٤٥) فذري -أيها الرسول- ومن يكذب بهذا القرآن، فإن عليّ جزاءهم والانتقام منهم، سنمدهم بالأموال والأولاد والنعم؛ استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم، وأمهالهم وأطيل أعمارهم؛ ليزدادوا إثماً. إن كيدي بأهل الكفر قويّ شديد.

(٤٦، ٤٧) أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين أجراً دنيوياً على تبليغ الرسالة فهم من غرامة ذلك مكلفون جلاً ثقيلاً؟ بل أعتدهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكمون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟

(٤٨-٥٠) فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس -عليه السلام- في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمّاً طالباً تعجيل العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها لطرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة،

وهو آتٍ بما يلام عليه، فاصطفاه ربه لرسالته، فجعله من الصالحين الذين صلحت نباتهم وأقوالهم وأعمالهم.

(٥١) وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك -أيها الرسول- بالعين؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله وحايته لك، ويقولون: -حسب أهوائهم- إنه لمجنون.

(٥٢) وما القرآن إلا موعظة وتذكير للعالمين من الإنس والجن.

﴿سورة الحاقة﴾

(١-٣) القيامة الواقعة حقاً التي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ما القيامة الواقعة حقاً في صفتها وحالها؟ وأي شيء أدراك -أيها الرسول- وعرفك حقيقة القيامة، وصوّرك لها هوها وشدتها؟

(٤) كذبت ثمود وهم قوم صالح، وعاد وهم قوم هود بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

(٥-٨) فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها، وأمّا عاد فأهلكوا بريح شديدة الهبوب، سلّطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، لا تنقُط ولا تنقطع، ترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خربة متأكلة الأجواف. فهل ترى هؤلاء القوم من نفس باقية دون هلاك؟

وَجَاءَ رَعُودُ مَن قَبْلَهُ، وَالْمُوتُ فَكَتَبَ بِالْحَاطِطَةِ ﴿٩﴾ فَغَصَّوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمُلَاطِعَا الْمَاءِ حَمَلَكُوكُمُ فِي الْخَابِرَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَنَعْبَهَا أَذُنٌ وَعِيَةً ﴿١٢﴾ فَإِذَا تَنَفَّسُ فِي الصُّورِ
نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿١٣﴾ وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَكَانَ ذَلِكَ كِدًّا وَجِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾
وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ
بِإِمِينَةٍ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِئَةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي طُنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي حِجَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ نَظُوفُهُ إِذَا دُنِيَ ﴿٢٣﴾
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى
كِتَابَهُ بِشِمَائِلِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَزَأْتُ كِتَابِيَّةٍ ﴿٢٥﴾ وَلَوْلَا ذِمَّةُ حِسَابِيَّةٍ
يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٧﴾ هَؤُلَاءِ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٨﴾
خُذُوهُمُ فَغُلُّوهُمُ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُمُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُمُ ﴿٣١﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُزْكَرُونَ بِاللَّهِ أَنْظِرُوا ﴿٣٢﴾
وَلَا يَخْضَعْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٣﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

(٩، ١٠) وجاء الطاغية فرعون، ومن سبقه من الأمم التي كفرت برسالتها، وأهل قرى قوم لوط الذين انقلبتم بهم ديارهم بسبب الفعلة المنكرة من الكفر والشرك والفتوحات، فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، فأخذهم الله أخذه بالغة في الشدة.

(١١، ١٢) إننا لما جاوز الماء حمده، حتى علا وارتفع فوق كل شيء، حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء؛ لتجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة، وتحفظها كل أذن من شأنها أن تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت.

(١٣-١٨) فإذا نفض الملك في «القرن» نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورُفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكُترت، ودُقَّتْ دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من

الملائكة العظام. في ذلك اليوم تُعرضون على الله -أيها الناس- للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم. (١٩-٢٤) فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجاً وسروراً: خذوا أقرؤوا كتابي، إني أبقيت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيوان والعمل الصالح، فهو في عيشة هنيئة مرضية، في جنة مرتفعة المكان والدرجات، ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. يقال لهم: كلوا أكلاً، واشربوا شرباً بعيداً عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية.

(٢٥-٢٩) وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول نادماً متحسراً: يا ليتني لم أعط كتابي، ولم أعلم ما جزائي؟ يا ليت الموتة التي مني في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أبعث بعدها، ما نفعتني مالي الذي جمعته في الدنيا، ذهبت عني حجتِي، ولم يُعَدَّ لي حجة أحتج بها.

(٣٠-٣٤) يقال لحزنه جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الحميم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً فأدخلوه فيها؛ إنه كان لا يصدق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولا يعمل بهديه، ولا يبحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.

(٣٥) فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب.

(٣٦، ٣٧) وليس له طعام إلا من صديد أهل النار، لا يأكله إلا المذنبون المصرون على الكفر بالله.

(٣٨-٤٣) فلا أقسم بما تبصرون من المراتب، وما لا تبصرون مما غاب عنكم، إن القرآن لكلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، وليس بقول شاعر كما تزعمون، قليلاً ما تؤمنون، وليس بسجع كسجع الكهان، قليلاً ما يكون منكم تذكُّر وتأمل للفرق بينها، ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤٤-٤٨) ولو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله، لا نتقمن منه وأخذناه بالقوة والقُدرة؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا. وإن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمشلون أوامر الله ويحجبون نواهيه.

(٤٩-٥٢) وإننا لنعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن مع وضوح آياته، وإن التكذيب به لندامة عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم.

ويرون نعيم المؤمنين به، وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه. فنزه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، واذكره باسمه العظيم.

﴿سورة الماعج﴾

(١-٤) دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم، وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنعه من الله ذي العلو والجلال، تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا، وهو على المؤمن مثل صلاة مكتوبة.

(٥) فاصبر -أيها الرسول- على استهزائهم واستعجالهم العذاب صبراً لا جزع فيه، ولا شكوى منه إلى غير الله.

(٦، ٧) إن الكافرين يستبعدون العذاب ويرونه غير واقع، ونحن نراه واقعاً قريباً لا محالة.

(٨، ٩) يوم تكون السماء سائلاً مثل خثالة الزيت، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش الذي ذرته الريح.

(١٠) ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه؛ لأن كل واحد منها مشغول بنفسه.

يَصْرُوهُمْ يُؤْذُونَ الْمُجْرِمَ ثَوَابَتِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ يُصْبِحُ يَسْئِلُهُ
وَصَلَاتِهِ ۖ وَآخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ۖ نَزَّاعَةً لِّلْسَوَى ۖ تَتَّبِعُونَ مِنْ أَذْنِ
وَتَوَلَّى ۖ وَجَمْعَ قَاوُنِ ۖ إِنْ إِلَّا السِّنْ خَلَقَ هَلْوَ ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
جَزْوَعا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ
عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِّلنَّسَائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الْيَوْمِ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ
رَّبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُومِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُكُونُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ
ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ۖ وَأُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ ۖ
فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ مِنْ مَّهْطَعِينَ ۖ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
عِزِينَ ۖ يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمُ أَنْ يُدْخِلَ جَنَّةَ بَعِيرٍ ۖ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِمَّا يَعْلَمُونَ ۖ فَلَا أَمْسِرَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۖ

(١١-١٤) يرونهم ويعرفونهم، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحداً. بمعنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها في القرابة، وبجميع من في الأرض من البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب الله.

(١٥-١٨) ليس الأمر كما تمناء -أيها الكافر- من الافتداء، إنها جهنم تلتظى نارها وتلتهب، تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن، تنادي من أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله، وجمع المال، فوضعه في خزائنه، ولم يؤد حق الله فيه.

(١٩-٣٠) إن الإنسان جليل على الجزع وشدة الحرص، إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى، وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإسكاف، إلا المقيمين للصلاة الذين يحافظون على أدائها في جميع الأوقات، ولا يشغلهم عنها شاغل، والذين في أموالهم نصب معين فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم

المعونة، ولم يتعفف عن سؤالها، والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة، والذين هم خائفون من عذاب الله. إن عذاب ربهم لا ينبغي أن يأمنه أحد. والذين هم حافظون لفروجهم عن كل ما حرم الله عليهم، إلا على أزواجهم وإمائهم، فإنهم غير مؤاخذين.

(٣١-٣٥) فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون للحلال إلى الحرام. والذين هم حافظون لأمانات الله وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد، والذين يؤدون شهاداتهم بالحق دون تغيير أو كتمان، والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يخلون بشيء من واجباتها. أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم.

(٣٦-٣٩) فأني دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيروا نحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مددوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقاً متعددة وجاعات متفرقة يتحدثون ويتعجبون؟ أطمع كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله جنة النعيم الدائم؟ ليس الأمر كما يطمعون، فإنهم لا يدخلونها أبداً. إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ من ماء مهين غيرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول جنة النعيم؟

(٤٠) أقسم تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغرب للشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرات الدالة على البعث، إِنَّا لَقَادِرُونَ قُدْرَةً تَامَةً.

(٤١) على أن نستبدل بهم قوماً أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نأتي بقوم آخرين خير منهم.

(٤٢-٤٤) لكن سبق في علمنا ومشيئتنا تأخير عقوبة هؤلاء الكفار، وعدم تبديلهم بقوم آخرين، فتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يعدون فيه بالعذاب، يوم يخرجون من القبور مسرعين، كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى آلهتهم التي اختلقوها للعبادة من دون الله، يهرولون ويسرعون، ذليلة أبصارهم منكسرة إلى الأرض، تغشاهم الحقارة والمهانة، ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويكذبون.

﴿سورة نوح﴾

(١-٤) إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، وقلنا له: حذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب موجع. قال

نوح: يا قومي إني نذير لكم بين الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده، وخافوا عقابه، وأطيعوني فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن أطيعتموني واستجبتم لي، يصفح الله عن ذنوبكم ويغفر لكم، ويمدد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى، إن الموت إذا جاء لا يؤخر أبداً، لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة.

(٥-١٠) قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار، فلم يزدهم دعائي لهم إلى الإيمان إلا هرباً وإعراضاً عنه، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك، ليكون سبباً في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم، كي لا يسمعوا دعوة الحق، وتغطوا بأبياهم، كي لا يروني، وأقاموا على كفرهم، واستكبروا عن قبول الإيمان استكباراً شديداً، ثم إني دعوتهم إلى الإيمان ظاهراً علناً في غير خفاء، ثم إني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال، وأسررت بها بصوت خفي في حال أخرى، فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفاراً لمن تاب من عباده ورجع إليه.

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ لَكُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ
يَحْضُوا وَهُمْ يَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَآهِنَهُ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ ﴿٤٣﴾
خَشِيعَةً أَصْحَرُ مِنْ هَافِهِمْ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُعَدُّونَ ﴿٤٤﴾

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَوْفِيكُمْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَ فِي
ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُ أَنِّي أُنْصِرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا وَسْتَكْبَرُوا
سُتُورًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ أَشْرَارًا ﴿٧﴾ فَكُنْتُ أَسْتَغْفِرُ وَأَرْجِي أَنَّهُ كَانَ عَاقِرًا ﴿٨﴾

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ ذُرًّا ذَرًّا ۖ وَيَبْدُدْكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَيَسْجَلْ
لَكُمْ حَسَبَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۖ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَثْوَارًا ۖ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ
طَبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ
وَاللَّهُ أُنْتَبِذَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَتِاجًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۖ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَالًا ۖ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۖ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ۖ وَقَالُوا
لَا تَذَرْنَا الْهَتَكَ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوعًا وَلاَ يُعْوثُ وَيَعُوقُ
وَلَسَرَّا ۖ وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۖ
يَمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُونَاكَ فَاتَّبَعُوا الْهَمُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَنْصَارًا ۖ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دِيَارًا ۖ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ۖ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۖ

(١١-١٦) إن تتوبوا وتستغفروا يُنْزِلُ اللهُ عَلَيْكُمْ المطر غزيراً متتابعاً، ويكثر أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم حداثاً تتعمسون بشمارها وجمالها، ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها زرعكم ومواشيكم. ما لكم -أيها القوم- لا تخافون عظمة الله وسلطانه، وقد خلقكم في أطوار متدرجة: نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً ولحاً؟ ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في هذه السموات نوراً، وجعل الشمس مصباحاً مضيئاً يستضيء به أهل الأرض؟

(١٧-٢٠) والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشاء، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت، ويخرجكم يوم البعث إخراجاً محققاً. والله جعل لكم الأرض ممهدة كالسباط؛ لتسلكوا فيها طرقات واسعة.

(٢١-٢٥) قال نوح: رب إن قومي بالغوا في عصياني وتكذيبي، واتبع الضعفاء منهم الرؤساء الضالين الذين لم تردهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وعقابي في الآخرة، ومكر رؤساء الضلال بتابعيهم من الضعفاء مكر عظيم، وقالوا لهم: لا تتركوا عبادة ألفتكم إلى

عبادة الله وحده، التي يدعو إليها نوح، ولا تتركوا ودّاً ولا سُوعاً ولا يغوث ويعوق وتسراً، وهي أساءة أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، وكانت أساءة رجال صالحين، لما ماتوا أو حوى الشيطان إلى قومهم أن يقيموا لهم التماثيل والصور؛ لينشطوا -بزعمهم- على الطاعة إذا رآوها، فلما ذهب هؤلاء القوم وطال الأمد، وحلّهم غيرهم، وسوس لهم الشيطان بأن أسلافهم كانوا يعبدون التماثيل والصور، ويتوسلون بها. وهذا من حِكَمِ تحريم التماثيل، وتحريم بناء القباب على القبور؛ لأنها تصير مع تطاول الزمن معبودة للجهال. وقد أضل هؤلاء المتبوعون كثيراً من الناس بما زوّوا لهم من طرق الغواية والضلال. ثم قال نوح عليه السلام: ولا تزد -يا ربنا- هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد إلا بُعداً عن الحق. فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان أغرقوا بالطوفان، وأدخلوا عقب الإغراق ناراً عظيمة اللهب والإحراق، فلم يجدوا من دون الله مَنْ ينصرهم، أو يدفع عنهم عذاب الله.

(٢٦-٢٨) وقال نوح -عليه السلام- بعد يأسه من قومه: رب لا تترك من الكافرين بك أحداً حياً على الأرض يدور ويتحرك. إنك إن تركتهم دون إهلاك عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا ماثل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك. رب اغفر لي، ولوالدي، ولمن دخل بيتي مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكاً وخسراناً في الدنيا والآخرة.

﴿سورة الجن﴾

(٢، ١) قل - أيها الرسول - : أوحى الله إلي أن جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن، فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنا مبدياً في بلاغته وفصاحته، وحكمه وأحكامه وأخباره، يدعوا إلى الحق والهدى، فصدّقنا بهذا القرآن وعملنا به، ولن نشرك بربنا الذي خلقنا أحداً في عبادته.

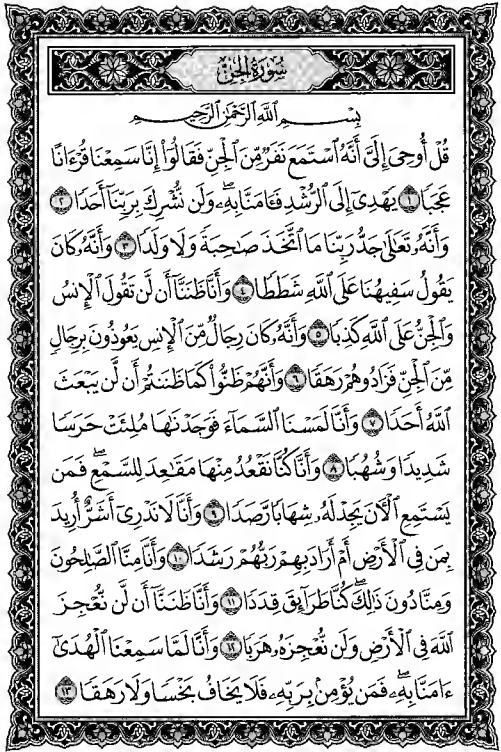
(٣) وأنه تعالّت عظمة ربنا وجلاله، ما اتخذ زوجة ولا ولداً.

(٤) وأن سفيهاً - وهو إبليس - كان يقول على الله تعالى قولاً بعيداً عن الحق والصواب، من دعوى الصاحبة والولد.

(٥) وأنا حسبن أن أحداً لن يكذب على الله تعالى، لا من الإنس ولا من الجن في نسبة الصاحبة والولد إليه.

(٦) وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن، فزاد رجال الجن الإنس باستعادتهم بهم خوفاً وإرهاباً ورعباً.

وهذه الاستعادة بغير الله التي نعاها الله على أهل الجاهلية، من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله



إلا بالتوبة النصوح منه. وفي الآية تحذير شديد من اللجوء إلى السحرة والمشعوذين وأشباههم.

(٧) وأن كفار الإنس حسبوا كما حسبتم - يا معشر الجن - أن الله تعالى لن يبعث أحداً بعد الموت.

(٨) وأنا - معشر الجن - طلبنا بلوغ النساء، لاستماع كلام أهلها، فوجدناها ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يجرسونها، وبالشهب المحرقة التي يرمى بها من يقرب منها.

(٩) وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع؛ لنستمع إلى أخبارها، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهباً بالمرصاد، يحرقه ويهلكه. وفي هاتين الآيتين إبطال مزاعم السحرة والمشعوذين، الذين يدعون علم الغيب، ويفترون بضعفة العقول؛ بكذبهم وافتراءهم.

(١٠) وأنا - معشر الجن - لا نعلم: أشراً أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، أم أراد بهم خيراً وهدى؟

(١١) وأنا منا الأبرار المنقون، ومنا قوم دون ذلك كفار وفساق، كنا فرقاً ومذاهب مختلفة.

(١٢) وأنا أيقنا أن الله قادر علينا، وأنا في قبضته وسلطانه، فلن نفوته إذا أراد بنا أمراً أينما كنا، ولن نستطيع أن نُقْلِبَ مِنْ عِقَابِهِ هَرَبًا إِلَى السَّاءِ، إن أراد بنا سوءاً.

(١٣) وأنا لما سمعنا القرآن آمناً به، وأقررنا أنه حق من عند الله، فمن يؤمن بربه، فإنه لا يخشى نقصاناً من حسناته، ولا ظملاً يلحقه بزيادة في سيئاته.

وَأَنَّا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
تَحَرَّوْا رِسْدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝
وَالَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ۖ لَنَقْبِتَنَّهُمْ
فِيهِ ۖ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۖ وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۖ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ۖ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رِشْدًا ۖ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ إِلَّا بَلَّغَا
مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۖ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۖ قُلْ إِنْ أَدْرِي أُوتِيبَ مَا تُوعَدُونَ
أَمْ يُجْعَلُ لَهُ رِزْقٌ أَمَدًا ۖ عَلَيْهِ الْأَعْيَابُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ عِيبِهِ
أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنَ أَرَقَصْتُمْ مِنْ رِزْوَالِهِ ۖ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ يَلْعَلُ أَنْ قَدْ أبلغُوا رِسَالَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَخَاطِبَ بَعَالِدِيهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۖ

(١٤، ١٥) وأنا من الخاضعون لله بالطاعة، ومن الجاثرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق، فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه، وأما الجاثرون عن طريق الإسلام فكانوا وقوداً لجهم.

(١٦، ١٧) وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يحيدوا عنها لأنزلنا عليهم ماء كثيراً، ولو سألنا عنهم الرزق في الدنيا؛ لنختبرهم: كيف يشكرون نعم الله عليهم؟ ومن يعرض عن طاعة ربه واستماع القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذاباً شديداً شاقاً.

(١٨) وأن المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛ فإن المساجد لم تبن إلا ليعبد الله وحده فيها، دون من سواه. وفي الآية وجوب تنزيه المساجد من كل ما يشوب الإخلاص لله، ومتابعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٩) وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم،

يعبد ربه، كاد الجن يكونون عليه جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض، من شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه.

(٢٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحداً.

(٢١-٢٣) قل -أيها الرسول- لهم: إنني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرراً، ولا أجلب لكم نفعاً، قل: إنني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأً أفتر إليه من عذابه، لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمري بتبليغه لكم، ورسالته التي أرسلني بها إليكم. ومن يعص الله ورسوله، ويعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبداً.

(٢٤) حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جنداً؟

(٢٥-٢٨) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه، أم يجعل له ربي مدة طويلة؟ وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحداً من خلقه، إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه. فإنه يطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن؛ لئلا يسترقوه ويهسوا به إلى الكهنة؛ ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حفظ كما تحفظوا من الجن، وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهراً وباطناً من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عدداً، فلم يخف عليه منه شيء.

﴿سورة الزمّل﴾

(١-٤) يا أيها المتغطي بثيابه، قم للصلاة في الليل إلا سيرا منه، قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، وقرأ القرآن بؤدّة وتمهل ميّناً الحروف والوقوف.

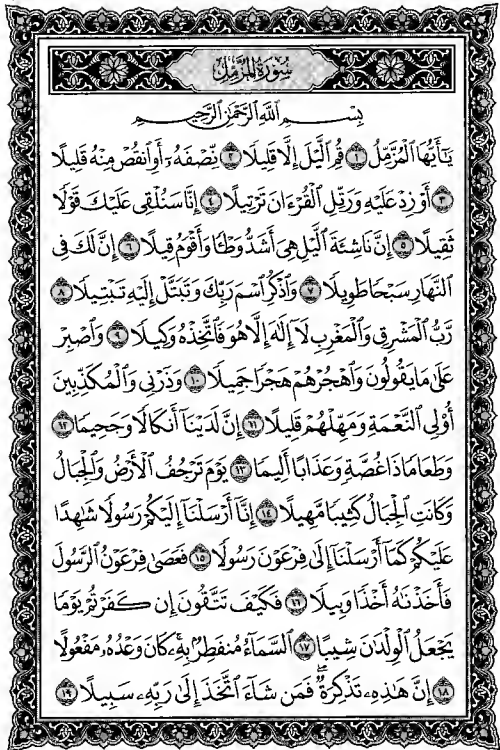
(٥) إنا سننزل عليك -أيها النبي- قرآناً عظيماً مشتتلاً على الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية.

(٦) إنا العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيراً في القلب، وأبين قولاً؛ لفرغ القلب من مشاغل الدنيا.

(٧) إنا لك في النهار تصرفاً وتقلباً في مصالحك، واشتغلاً واسعاً بأمر الرسالة، ففرغ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

(٨، ٩) واذكر -أيها النبي- اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعاً تاماً في عبادتك، وتوكل عليه. هو مالك المشرق والمغرب لا معبود بحق إلا هو، فاعتمد عليه، وفوّض أمورك إليه.

(١٠) واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي



دينك، وخالفتهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم.

(١١) ودعني -أيها الرسول- وهؤلاء المكذّبين يأتاني أصحاب النعيم والترف في الدنيا، ومهلهم زمناً قليلاً بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعداهم.

(١٢، ١٣) إنا لهم عندنا في الآخرة قيوداً ثقيلاً وناراً مستعرة يحرقون بها، وطعاماً كريهاً ينشَب في الخلق لا يستساغ، وعذاباً موجعاً.

(١٤) يوم تضطرب الأرض والجال وتزلزل حتى تصير الجبال تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت صلبة جامدة.

(١٥، ١٦) إنا أرسلنا إليكم -يا أهل «مكة»- محمداً رسولاً، شاهداً عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان، كما أرسلنا موسى رسولاً إلى الطاغية فرعون، فكذب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره، فأهلكناه إهلاكاً شديداً.

وفي الآية تحذير من معصية الرسول محمد صل الله عليه وسلم؛ خشية أن يصيب العاصي مثل ما أصاب فرعون وقومه.

(١٧) فكيف تتقون أنفسكم -إن كفرتم- عذاب يوم القيامة الذي يشيب فيه الولدان الصغار؛ من شدة هوله وكرهه؟

(١٨) النساء متصدعة في ذلك اليوم؛ لشدة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعاً لا محالة.

(١٩) إن هذه الآيات المحوّقة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاعتاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقاً توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه ورباه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَإِلَهُهُ وَطَافُهُ
مِنَ اللَّيْلِ مَعَكَ، وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَيَّ أَنْ أَحْصُوهُ قَاتَبَ
عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَيَّ أَنْ سَيَكُونَ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
وَأَخْرُونَ بِضُرِّيٍّ فَيُؤْنِسُ الْإِنْسَافُ بَيْنَهُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ
يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

سورة المذثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيَّأَهَا اللَّهُ لِمَنْ يُرِيدُ ﴿١﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٣﴾ وَلَا تَنْتَسِكُونَ ﴿٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ فَاصِبرٌ ﴿٥﴾ فَإِذَا قَرَأَ
فِي النَّفَاسِ ﴿٦﴾ فَإِنَّكَ يَوْمَئِذٍ وَعِيدٌ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدَّ لَهُ يَدًا ﴿٩﴾ وَبَنَيْتُ
سُوءَهُ ﴿١٠﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ تَطَّعَ أَنْ أَرِيدَ ﴿١٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ
كَانَ لَا يَكْتَنِبُ عَبْدًا لِي شَاهِدًا ﴿١٣﴾ سَاءَ هُفُهُ ﴿١٤﴾ صَعُودًا ﴿١٥﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٦﴾

سورة المذثر

(١-٧) يا أيها المتغطي بثيابه، قم من مضجعك، فحذر الناس من عذاب الله، وحُصِّ ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة، وطهر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، وذم على هجر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها، ولا تطع العطية؛ كي تلتمس أكثر منها، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي.

(٨-١٠) فإذا نُفِخ في «القرن» نفخة البعث والنشور، فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين، غير سهَّل أن يخلصوا عما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأحوال.

(١١-١٧) دعني -أيها الرسول- أنا والذي خلقت في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد، وجعلت له مالاً مهسوطاً واسعاً وأولاداً حضوراً معه في «مكة» لا يغيبون عنه، ويسرت له سبل العيش تيسيراً، ثم يأمل بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي. ليس الأمر كما يزعم هذا الفاجر الأثيم، لا أزيد على ذلك؛ إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معانداً مكذباً، سألَّه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها. والمراد بهذا الوعيد الوليد بن المغيرة المعاند للحق المبارز لله ولرسوله بالمحاربة. وهذا جزء كل من عاند الحق ونابذه.

(١٨) إنه فكر في نفسه، وهماً ما يقوله من الطعن في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

(١٩- ٢٥) فُلِعْنِ، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعدّ في نفسه هذا الطعن؟ ثم لِعْنِ كذلك، ثم تأمل فيها قدرَ وهباً من الطعن في القرآن، ثم قطب وجهه، واشتدّ في العبوس والكُلُوح لِمَا ضاقت عليه الخيل، ولم يجد مطعناً يطعن به في القرآن، ثم رجع معرضاً عن الحق، وتعاضل أن يعترف به، فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُثْقَلُ عن الأولين، ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلّمه محمد منهم، ثم ادّعى أنه من عند الله.

ويحترق بنارها، وما أعلمك أي شيء جهنم؟ لا تبقي لحياً ولا تترك عظماً إلا أحرقت، مغيرة للبشر، مسودة للجلود، حرقه لها، يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكاً من الزانية الأشداء.

(٣١) وما جعلنا خزانة النار إلا من الملائكة
الغلاظ، وما جعلنا ذلك العدد إلا اختباراً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ؛ وَلِيَحْصَلَ الْيَقِينَ لِلَّذِينَ
أَعْطُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّ مَا جَاءَ

في القرآن عن خزنة جهنم إنها هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم، ويزداد المؤمنون تصديقاً بالله ورسوله وعملًا بشره، ولا يشك في ذلك الذين أعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ولا المؤمنون بالله ورسوله؛ وليقول الذين في قلوبهم غشاق والكافرون: ما الذي أراد الله بهذا العدد المستغرب؟ يمثل ذلك الذي دُكر يضلُّ الله من أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته، وما يعلم عدد جنود ربك - ومنهم الملائكة - إلا الله وحده. وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس.

(٣٢-٣٧) ليس الأمر كما ذكرنا من التكذيب للرسل فيما جاء به، أقسم الله سبحانه بالقمر، وبالليل إذ ولَّى وذهب، وبالصبح إذا أضاء وانكشف، إن النار لإحدى العظام؛ إنذاراً وتخويفاً للناس، لمن أراد منهم أن يتقرب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي.

(٣٨-٤٧) كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لَا تَفُكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكروا راقهم بالطاعة، هم في جنات لَا يَذْرُكُ وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن الكافرين الذين أُجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلين في الدنيا، ولم تكن تصدق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل القَوَاية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ فُرْتُ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ فُرْتُ نَظَرَ ۖ فُرْتُ عَبَسَ وَسِرَّ ۖ
فُرْتُ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا لَاسِيحُ خُرُوتٍ ۖ إِنْ هَذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۖ الْوَاحِدَ لِلْبَشَرِ ۖ عَلَيْهِمَا ثِسْعَةُ عَشْرَ ۖ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْجُوا
الَّذِينَ آمَنُوا وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا يَعْلَمُ خُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۖ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْبَشَرِ ۖ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۖ وَالْبَلِّ إِذَا ذُكِّرَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا اسْفَرَ ۖ إِنَّهَا
لِأَحْزَى الْكِبَرِ ۖ يَذْكُرُ الْبَشَرِ ۖ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
ۖ كُلِّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ رَهِينَةً ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ
يَسَّاءُونَ ۖ عَنِ الْمَجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لَوْ نَدْرَأُ
عَنِ الْمُصْطَلِينَ ۖ وَلَوْ نَدْرَأُكَ نُطْعِمُ الْمُسْكِينِ ۖ وَكُنَّا تَخَوِّصُ مَعَ
الْحَافِضِينَ ۖ وَكَذَّا كَذِبٌ يَوْمَ الدِّينِ ۖ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۖ

فَمَا تَتَعَفُّهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُرُوفُ سِدْرٍ مَلَمَسَةٍ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنتَشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنبَغِ لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ فَانَّهُمْ لَنَذَكَّرُ فِيهِ مَنَاسِكَةٍ ﴿٥٣﴾ فَتَنَ شَاءَ ذِكْرُهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَلْبَةِ ﴿٥٥﴾

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدْ رَأَىٰ عَن سُورِيبَاتِهِ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا مَّامَرَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَتَىٰ أَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرَ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ رُجِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْتَوَىٰ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِّمَّا قَدَّمْ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلَىٰ لِلْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحْرَكَ بِهِ لِسَانُكَ لِيَتَعَجَّلَ بِهٖ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

﴿سورة القيامة﴾

(١-٤) أقسم الله سبحانه بيوم الحساب والجزاء، وأقسم بالنفس المؤمنة التقية التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات، أن الناس سيعبثون. أيظن هذا الإنسان الكافر أن لن نقدر

على جمع عظامه بعد تفرقها؟ بل سنجمعها، قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله -بعد جمعها وتأليفها- خلقاً سوياً، كما كانت قبل الموت.

(٥، ٦) بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره، يسأل هذا الكافر مستبعداً قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟

(٧-١٠) فإذا تحير البصر وذهش فزعاً عما رأى من أهوال يوم القيامة، وذهب نور القمر، وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟

(١١، ١٢) ليس الأمر كما تمناه -أيها الإنسان- من طلب الفرار، لا ملجأ لك ولا منجى. إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلًّا بما يستحق.

(١٣) يُخَبِّرُ الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله: من خير وشر، ما قدَّمه منها في حياته وما أخره.

(١٤، ١٥) بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك، ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك.

(١٦-١٩) لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلت منك. إن علينا جمعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت. فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمع لقرآته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه، ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه.

(٢٠، ٢١) ليس الأمر كما زعمتم - يا معشر المشركين - أن لا بعث ولا جزاء، بل أنتم قوم تحبون الدنيا وزينتها، وتتركون الآخرة ونعيمها.

(٢٢، ٢٣) وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة، ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك.

(٢٤، ٢٥) ووجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة، تنوق أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم قفار الظهر.

(٢٦-٣٠) حقاً إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل من راق يرقبه ويشفيه عما هو فيه؟ وأيقن المحتضر أن الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعايته ملائكة الموت، واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

(٣١-٣٥) فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا آذى الله تعالى فرائض الصلاة، ولكن كذب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان، ثم مضى إلى أهله يتختر غتلاً في مشيته. هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك.

كَلَّا لَنَنبَحُنَّ بِالْعَاجِلَةِ ۖ وَنَذْرُونَ الْآخِرَةَ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۚ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۚ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ ۚ كَلَّا إِنَّا بَلَعْتَ أَلْتَرَافِ ۚ وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ ۚ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۚ وَالتَّفَقَّتْ السَّائِقُ بِالسَّاقِ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۚ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ۚ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۚ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ فَاقُولِي ۚ يُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ فُتْقَةٌ مِّن مَّيْنٍ يَّمْنَىٰ ۚ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَخْلَقٍ فَنَسَوَىٰ ۚ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُنْجِيَ الْعَمَاقَ ۚ

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَوِ كُنْ شَيْئًا مَّكُورًا ۚ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۚ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا ۚ وَلَا أَغْلَاوْ سَعِيرًا ۚ إِنَّ الْآخِرَ لَشَرٌّ مِّنَ الْأَوَّلِ ۚ كَانُوا مَرَاكِبًا كَافُورًا ۚ

(٣٦-٤٠) أبطأ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يترك همتاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟ ألم يك هذا الإنسان نقطة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام، ثم صار قطعة من دم جامد، فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟ فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى، أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فناهم؟ بل إنه - سبحانه وتعالى - لقادر على ذلك.

﴿سورة الإنسان﴾

- (١) قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان قبل أن تُنفَخ فيه الروح، لم يكن شيئاً يُذكر، ولا يُعرف له أثر.
- (٢، ٣) إنا خلقنا الإنسان من نقطة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد، فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل، إنا نبينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر؛ ليكون إما مؤمناً شاكراً، وإما كفوراً جاحداً.
- (٤) إنا أعدنا للكافرين قيوداً من حديد تُشدُّ بها أرجلهم، وأغلالاً تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم، ونارا يُحرقون بها.
- (٥) إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، يشربون يوم القيامة من كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكافور.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿١٠٦﴾ وَيُفَوِّنُ بِالْآنِهِ رِمَاقًا ﴿١٠٧﴾
يَوْمَا كَانَ مَثَرُ الْمُتَسَطِّيرِ ﴿١٠٨﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حِدَةٍ مُسَكِّنًا
وَيَتَنَمَّوْنَ أَسِيرًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّمَا طَعِمُوا لَوَاجِئِهِ لَا بِذِيكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا
﴿١١٠﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا وَعَمَّا نَتَّقِي ﴿١١١﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ قَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١٢﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَدْرُ لَجْنَةٍ وَخَرَّيْرًا ﴿١١٣﴾
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا تَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١١٤﴾
وَدَلِيلًا عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَمْطُلُهَا تَذِيلًا ﴿١١٥﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَّةٍ
مِّنْ فَضِيَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا ﴿١١٦﴾ فَوَارِيرٌ مِّنْ فَضِيَّةٍ قَدَّرُهَا تَقْدِيرًا ﴿١١٧﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجًا ﴿١١٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١١٩﴾
﴿١٢٠﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَذُنَّ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا
﴿١٢١﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرَهُمْ رَأَيْتَ رِجْمًا كَاسِرًا ﴿١٢٢﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ
خُضْرٌ وَأَسَافِرٌ صَلَوَاتُ أَسَافِرٍ مِّنْ فَضِيَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿١٢٣﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿١٢٤﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١٢٥﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْفَكَ كُفُورًا ﴿١٢٦﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢٧﴾

(١٠٦-١٠٧) هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويخبرونها حيث شاؤوا إجراء سهلاً. هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله، ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيراً، وشره فاشياً منتشراً على الناس، إلا من رحم الله، ويطعمون الطعام مع جهنم له وحاجتهم إليه، فقيراً عاجزاً عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلاً مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيراً أسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إننا نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضاً ولا نقصد هدواً ولا ثناء منكم. إننا نخاف من ربنا يوماً شديداً نجس فيه الوجوه، وتتقلب الجباه من فظاعة أمره وشدة هول.

(١١٠-١١١) فواقهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسناً ونوراً في وجوههم، وبهجة وفرحاً في قلوبهم، وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويكسبون فيها الحرير الناعم، متكئين فيها على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور، لا يرون

فيها حر شمس ولا شدة برد، وقرية منهم أشجار الجنة مظلة عليهم، وشغل لهم أخذ ثمارها تسهلاً.

(١١٨-١١٩) ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضية، وأكواب الشراب من الزجاج، زجاج من فضة، قدّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص، ويسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأساً مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل، يشربون من عين في الجنة تسمى سلسبيلًا؛ لسلامة شرابها وسهولة مساعده وطيبه.

(١٢٠) ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم، إذا أبصرتهم ظننتهم -حسنتهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- اللؤلؤ المفرق المضيء.

(٢٠) وإذا أبصرت أي مكان في الجنة رأيت فيه نعيماً لا يُذكره الوصف، ومثلها عظيماً واسعاً لا غاية له.

(٢١) يعلوهم ويحمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ، ويؤننون من الخلي بأساور من الفضة، وسقاهم رهم فوق ذلك النعيم شراباً لا رجس فيه ولا دنس.

(٢٢) ويقال لهم: إن هذا أعد لكم مقابل أعمالكم الصالحة، وكان عملكم في الدنيا عند الله مرضياً مقبولاً.

(٢٣) إننا نحن نزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن تنزيلاً من عندنا؛ لتذكر الناس بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب.

(٢٤، ٢٥) فاصبر لحكم ربك القدري وأقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمساً في الشهوات أو مبالغاً في الكفر والضلال، وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره.

(٢٦) ومن الليل فاسجد له، وسبحه ليلاً طويلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
وَتَهْجَدُ لَهُ زَمناً طويلاً فيه.

(٢٧) إن هؤلاء المشركين يحبون الدنيا،
وينشغلون بها، ويتركون خلف ظهورهم
العمل للأخرة، ولما فيه نجاتهم في يوم عظيم
الشدائد.

(٢٨) نحن خلقناهم، وأحكمنا خلقهم، وإذا
شنا أهلكتناهم، وجنتنا بقوم مطيعين ممثلين
لأوامر الله.

(٢٩-٣١) إن هذه السورة بها فيها من ترغيب
وترهيب، ووعد ووعيد عظة للعالمين، فمن
أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان
والتقوى طريقاً يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه.
وما تريدون أمراً من الأمور إلا بتقدير الله
ومشيئته. إن الله كان عليماً بأحوال خلقه، حكيماً
في تدبيره وصنعه، يُدخل مَنْ يشاء من عباده في
رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون، وأعد للظالمين
المتجاوزين حدود الله عذاباً موجعاً.

﴿سورة المرسلات﴾

(١-٧) أقسم الله تعالى بالرياح حين تهب
متتابعة يققو بعضها بعضاً، وبالرياح الشديدة

المحبوب المهلكة، وبالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله، وبالملائكة التي تنزل من عند الله بها يفرق بين الحق
والباطل والحلال والحرام، وبالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه؛ إعداراً من الله إلى خلقه وإنذاراً
منه إليهم؛ لئلا يكون لهم حجة. إن الذي توعدون به من أمر يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء لنازل بكم لا محالة.

(٨-١٥) فإذا النجوم طُمست وذهب ضياؤها، وإذا الساء تصدعت، وإذا الجبال تطايرت وتناثرت وصارت هباء تذرره
الرياح، وإذا الرسل عُيِّن لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم، يقال: لأي يوم عظيم أُخْرِت الرسل؟ أُخْرِت ليوم
القضاء والفصل بين الخلائق. وما أعلمك -أيها الإنسان- أي شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟ هلاك عظيم في ذلك
اليوم للمكذبين بهذا اليوم الموعود.

(١٦-١٨) ألم تهلك السابقين من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم للرسل كقوم نوح وعاد وثمود؟ ثم نلحق بهم المتأخرين ممن
كانوا مثلهم في التكذيب والعصيان. مثل ذلك الإهلاك الفظيع نفعل بهؤلاء المجرمين من كفار «مكة»؛ لتكذيبهم الرسول
صلى الله عليه وسلم.

(١٩) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة لكل مكذِّب بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والنبوة، والبعث،
والحساب.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَبِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ
وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَنَةً قَبِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا شَاءَ وَنَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَاللَّظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عَمَكُ ﴿١﴾ فَأَلْصَقْتَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَاللَّشْرَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَرْقَتُ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَقِيتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْذَرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوْعَدُونَ كَوْفَعًا ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَالِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ﴿١٢﴾
لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُلَيْعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ۖ فَعَلَّاهُمْ فِي فِرَارٍ مَكِينٍ ۖ إِلَى قَدِيرٍ
مَعْلُومٍ ۖ فَقَدَرْنَا فِعْزَ الْقَدَرُونَ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ
أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ۖ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْصًا
شَّجَرًا ۖ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ
أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ أَنْظِلُوا إِلَى طَلِيٍّ ذِي ثَلَاثِ
شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۖ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ
كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ
هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۖ وَلَا يُؤْدِنُ لَهُمْ فِعْزَتُهُمْ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۖ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فِكِيدُون ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ إِنْ الْمُنَاقِبَ
فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ۖ وَفَوَكَهُمَا نَسِيمٌ ۖ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا
يَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِنْ أَكَاذِكُمْ تَحْزَى ۖ لِلْمُحْسِنِينَ ۖ وَقِيلَ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ كَلُوا وَشَبَّوْا قَلِيلًا ۖ إِنَّكُمْ جَزَاءُكُمْ ۖ وَقِيلَ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ وَأَذِيقْ لَهُمْ رَكْعُوا لَا يَزْكُون ۖ
وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۖ

(٢٠-٢٣) ألم تخلقكم - يا معشر الكفار - من ماء ضعيف حقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة، إلى وقت محدد ومعلوم عند الله تعالى؟ فقد رنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعلم القادرون نحن. (٢٤) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بقدرتنا.

(٢٥-٢٧) ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أمواتاً لا يحصرون، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات، لئلا تضطرب بكم، وأسقينكم ماء عذباً سائغاً؟

(٢٨) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بهذه النعم.

(٢٩-٣٣) يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، سيروا فاستظفوا بدخان جهنم الذي يتفرع منه ثلاث قطع، لا يظلل ذلك الظل من حر ذلك اليوم، ولا يدفع من حر اللهب شيئاً. إن جهنم تقذف من النار بشر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العظم والارتفاع. كان شر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصفرة.

(٣٤) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بوعيد الله.

(٣٥، ٣٦) هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذبون بكلام ينفعهم، ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتلون؛ لأنه لا عذر لهم.

(٣٧) هلاك وعذاب شديد يومئذ للمكذبين بهذا اليوم وما فيه.

(٣٨، ٣٩) هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلاق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه - يا معشر كفار هذه الأمة - مع الكفار الأولين من الأمم الماضية، فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتالوا، وأنقذوا أنفسكم من بطش الله وانتقامه.

(٤٠) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم القيامة.

(٤١-٤٥) إن الذين خافوا ربه في الدنيا، واتقوا عذابه بامثال أوامره واجتنب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وعيون الماء الجارية، وفواكه كثيرة مما تشتهيهم أنفسهم يتنعمون. يقال لهم: كلوا أكلاً لذيقاً، واشربوا شرباً هنيئاً؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال. إننا بمثل ذلك الجزاء العظيم نجزي أهل الإحسان في أعمالهم وطاعتهم لنا. هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الجزاء والحساب، وما فيه من النعيم والعذاب.

(٤٦) ثم هدّد الله الكافرين فقال: كلوا من لثائد الدنيا، واستمتعوا بشهواتها الفانية زمناً قليلاً؛ إنكم مجرمون بإشراككم بالله.

(٤٧) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الحساب والجزاء.

(٤٨) وإذا قبل هؤلاء المشركين: صلّوا الله واخلشوا له، لا يخشعون ولا يصلّون، بل يصرون على استكبارهم.

(٤٩، ٥٠) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله. إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كتاب وكلام بعده يؤمنون؟ وهو المبيّن لكل شيء، الواضح في حكمه وأحكامه وأخباره، المعجز في ألفاظه ومعانيه.

﴿سورة النبا﴾

(١-٣) عن أي شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو القرآن العظيم الذي ينبئ عن البعث الذي شك فيه كفار قريش وكذبوا به.
(٤، ٥) ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم سيتأكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من القرآن والبعث.
وهذا تهديد ووعد لهم.

(٦) ألم نجعل الأرض مهاداً لكم كالفرش؟
(٧) والجبال رواسي؟ كي لا تنحرك بكم الأرض؟

(٨) وخلقناكم أصنافاً ذكراً وأنثى؟
(٩) وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم، فيه تهدؤون وتسكنون؟

(١٠) وجعلنا الليل لباساً لتلبسكم ظلمته، وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسهُ؟

(١١) وجعلنا النهار معاشاً تنتشرون فيه لمعاشكم، وتسعون فيه لمصالحكم؟

(١٢) وبنينا فوقكم سبع سموات متينة البناء محكمة الخلق، لا صدوع لها ولا فطور؟

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۚ
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۚ اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مَهْدًا ۚ
وَالْجِبَالَ اَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْنَاكُمْ اَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۚ
وَجَعَلْنَا اَيَّامًا لِّبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ۚ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۚ وَاَنْزَلْنَاهُ
اَلْمُعَصِرَ ۚ مَاءً ثَجَّاجًا ۚ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۚ وَجَعَلْنَا
اَلْغُلَّاقَ ۚ اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۚ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ اَفْوَاجًا ۚ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ اَبْوَابًا ۚ وَسُيِّرَتِ
اَلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِّطَّلَعِ
مَعَابَا ۚ لِّبَيْنِهَا اَحْقَابًا ۚ لَا يَدْخُلُوهَا بِرْدًا وَّلَا شَرَابًا ۚ
اِلَّا اَحْيَمًا وَّعَسَافًا ۚ جَزَاءُ ۚ وَفَاقًا ۚ اِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ
اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ۚ

(١٣) وجعلنا الشمس سراجاً وقاداً مضيئاً؟

(١٤-١٦) وانزلنا من السحب المطرة ماء منصّباً بكثرة؛ لنخرج به حباً مما يقات به الناس وحشائش مما تأكله الدواب، وسباين متنوعة بعضها ببعض لتشعب أغصانها؟

(١٧، ١٨) إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتاً وميعاداً محدداً للأولين والآخرين، يوم ينفخ المثلّك في «القرن» إذاً بالبعث فتأتون أمماً، كل أمة مع إمامهم.

(١٩) وفتحت السماء، فكانت ذات أبواب كثيرة لتزول الملائكة.

(٢٠) وُسِفَت الجبال بعد ثبوتها، فكانت كالسراب.

(٢١-٢٦) إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعدَّت لهم، للكافرين مرجعاً، ما كثر فيها دهوراً متعاقبة لا تنقطع، لا يقطعون فيها ما يُؤد حرّ السعير عنهم، ولا شراباً يرويههم، إلا ماء حاراً، وصديد أهل النار، يجازون بذلك جزاء عادلاً؛ موافقاً لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

(٢٧-٣٠) إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له، وكذبوا بما جاءهم به الرسل تكذيباً، وكلّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم.

إِنِّ الْمُقَيَّنَ مَقَارًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۖ بَابًا ۖ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ
حِسَابًا ۖ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنَهُ خِطَابًا ۖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَن أَدْنَىٰ لَهُ الرُّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۖ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَن
شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ۖ إِنَّا أَنذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا ۖ يُنْظَرُ
الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَكَلِّمُنِي كُنْتُ نَذِيرًا ۖ

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَلَكَ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا تَنَاسَلَ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَاسَلَا ۖ
فَالسَّيْفِ إِذَا سَبَّحَا ۖ فَالْمَدْرِي إِذَا أَمَرَا ۖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجَجَةُ ۖ
تَتَّبِعُهَا الرَّاكِبَةُ ۖ قُلُوبٌ يُّومِدُ وَاجِفَةٌ ۖ أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ۖ
يَقُولُونَ إِنَّا نَأْمُرُ دُونَكُمْ فِي الْمَقَرَّةِ ۖ لَوْ ذَاكَ عِظَامُ نَحْوَةٍ ۖ قَالُوا
تِلْكَ إِذْكَرَةُ خَاسِرَةٍ ۖ فَلَمَّا هِيَ رَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَأَذَاهُمْ وَالسَّاهِرَةُ
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأُولَىٰ ۖ الْمَقْدِسِ طُوًى ۖ

(٣١-٣٥) إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحاً، فوزاً بدخولهم الجنة. إن لهم بساتين عظيمة وأعناباً، ولهم زوجات حديشات السن قد استدارت أثداؤهن مع ارتفاع يسير، مستويات في سن واحدة، ولهم كأس مملوءة خمراً. لا يسمعون في هذه الجنة باطلاً من القول، ولا يكذب بعضهم بعضاً.

(٣٦-٣٩) لهم كل ذلك جزاء ومئة من الله وعطاء كثيراً كافياً لهم، رب السموات والأرض وما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه، يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين، لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقاً وسداداً. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة من أهواله فليخذ إلى ربه مرجعاً بالعمل الصالح.

(٤٠) إِنَّا حَذَرْنَاكَ عَذَابَ الْآخِرَةِ الْقَرِيبِ الذي يرى فيه كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت تراباً فلم أبعث.

سورة النازعات

(١-٧) أقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزاعاً شديداً، والملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق، والملائكة التي تسحب في نزولها من السماء وصعودها إليها، فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله، فالملائكة المنفذات أمر ربهما فيما أوكل إليها تديره من شؤون الكون، -ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير خالقه، فإن فعل فقد أشرك- لتبعن الخلائق وتُحاسب، يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء.

(٨، ٩) قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف، أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى.

(١٠-١٢) يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنرُدُّ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟ أنرُدُّ وقد صرنا عظاماً بالية؟ قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذا خائبنا كاذبة.

(١٣، ١٤) فإنها هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

(١٥، ١٦) هل أتاك -أيها الرسول- خبر موسى؟ حين ناداه ربه بالوادي المطهر المبارك «طوى».

(١٧-١٩) فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان، فقل له: أتود أن تطهر نفسك من النقائص وتحلبها بالإيمان، وأرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتيقه؟

(٢٠-٢٢) فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد، فكذب فرعون نبي الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عزَّ وجلَّ، ثم ولَّى معرضاً عن الإيمان مجتهداً في معارضة موسى.

(٢٣-٢٦) فجمع أهل مملكته وناداهم، فقال: أنا ربكم الذي لا ربَّ فوقه، فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عبرة ونكالاَ لأمثاله من المتمردين. إن فرعون وما نزل به من العذاب لموعظة لمن يتعظ وينزجر.

(٢٧-٣٣) أَيُتُخَمَكُم - أيها الناس - بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق الساء؟ رفعها فوقكم كالبناء، وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور، وأظلم ليلها بغروب شمسها، وأبرز نهارها بشروقها. والأرض بعد خلق الساء بسطها، وأودع فيها منافعها، وفجَّر فيها عيون الماء، وأنبت فيها ما يُرعى من النباتات، وأثبت فيها الجبال أوتادا لها. خلق سبحانه كل هذه النعم منفعه لكم ولأنعامكم.

إن إعادة خلقكم يوم القيامة أهون على الله من خلق هذه الأشياء، وكله على الله هين يسير.

(٣٤-٣٦) فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية، عندئذ يُعرض على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيذكره ويعترف به، وأظهرت جهنم لكل مُبْصِر ثرى عياناً.

(٣٧-٣٩) فأما من مُرَّد على أمر الله، وفُضِّل الحياة الدنيا على الآخرة، فإن مصيره إلى النار.

(٤٠، ٤١) وأما من خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة، فإن الجنة هي مسكنه.

(٤٢-٤٦) يسألك المشركون - أيها الرسول - استخفافاً - عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها. لست في شيء من علمها، بل مرد ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ، وإننا شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها من يخافها. كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ هول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن نَزَّلَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدَيْكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَادَ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢٢﴾ فَخَشِرْنَا قِوَايَا ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ أَنشَأْنَا سِدْرًا خَلْقًا أَوْ الشَّجَرَةَ بَيْنَهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صَحْهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لِّكُم وَلَآئِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُورِيتِ الْجَبَرُ لِمَن بَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٣٧﴾ وَوَاتَرِ الْجَنَّةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَبْرِ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ سَأَلُواكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَا أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَآتِمُهُمْ وَوَفِّرُ وَهْلَهُمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَاشِيَةً أَوْ صَحَاةً ﴿٤٦﴾

سُورَةُ التَّارُوتِ

﴿سورة عبس﴾

(١، ٢) ظهر التغير والعبوس في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعرض لأجل أن الأعمى عبدالله بن أم مكتوم جاء مسترشداً، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم منشغلاً بدعوة كبار قريش إلى الإسلام.

(٣، ٤) وأي شيء يجعلك عالماً بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر، أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار.

(٥-٧) أما من استغنى عن هديك، فأنت تعرض له وتصني إلى كلامه، وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟

(٨-١٦) وأما من كان حريصاً على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد، فأنت عنه تتشاغل. ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة بما اشتملت عليه من الهداية موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ. فمن شاء ذكر الله وأتم بوحيه، هذا الوحي، وهو القرآن

في صحف معظمه، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي ملائكة كتبه، سفراء بين الله وخلق، كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة.

(١٧-٢٣) لعن الإنسان الكافر وعذب، ما أشد كفره بربه!! ألم ير من أي شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المني- فقدّره أطواراً، ثم بيّن له طريق الخير والشر، ثم أماته فجعل له مكاناً يقبر فيه، ثم إذا شاء سبحانه أحياءه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء. ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يؤدّ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته.

(٢٤-٣٢) فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ بأننا صببنا الماء على الأرض صباً، ثم شققناها بها أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبثنا فيها حباً، وعبأ وعلفنا للدواب، وزيتونا ونخلاً، وحدائق عظيمة الأشجار، وثباراً وكلاً، تنعمون بها أنتم وأنعامكم.

(٣٣-٣٧) فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصم من هولها الأسباع، يوم يفر المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه. لكل واحد منهم يومئذ أمر يمنعه من الانشغال بغيره.

(٣٨-٤٠) وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستتيرة، مسرورة فرحة، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودة.

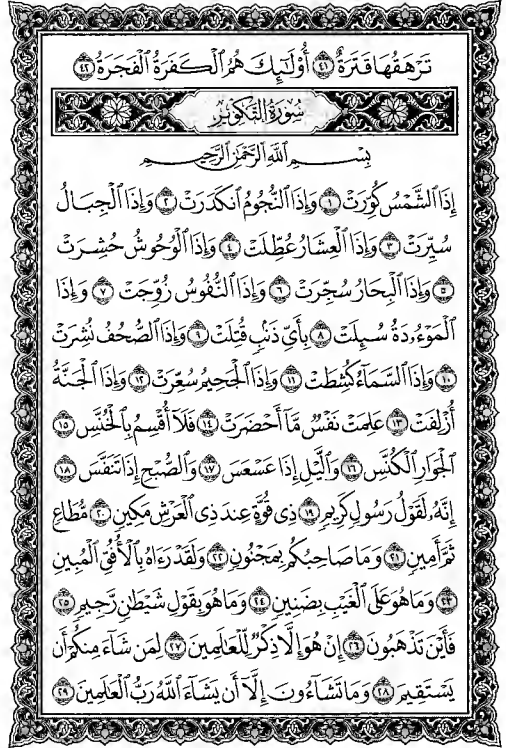
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ۚ (٣)
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ (٥) فَأَن تَلَهُ وَصَدَّى ۚ (٦)
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۚ (٧) وَأَمَّا تَبَاءُكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يُجَنَّبُنِي ۚ (٩)
فَأَن تَغَنَّبَنِي ۚ (١٠) أَفَأَن تَذَكَّرَ ۚ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ (١٢) فِي صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ۚ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ (١٦)
قِيلَ لِلْإِنسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ۚ (١٧) مِن أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُ ۚ (١٩) فَقَدَرَهُ ۚ (٢٠) فَرَسَدَ ۚ (٢١) فَمَّا تَلَأَمْنَا فَاقْبَرَهُ ۚ (٢٢) ثُمَّ إِذَا
شَاءَ أَنْشَرَهُ ۚ (٢٣) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۚ (٢٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ (٢٥)
أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ (٢٦) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ (٢٧) فَأَنْبَثْنَا فِيهَا
حَبًّا ۚ (٢٨) وَعَبًّا وَقَضَبًا ۚ (٢٩) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ (٣٠) وَحَدَائِقَ غُلَبًا ۚ (٣١) وَفَجًّا
وَأَبَّا ۚ (٣٢) مَتَّعْنَا لَهُمْ أَجْالَهُمْ ۚ (٣٣) فَلَا تُعْمِدُ لَهُمْ أَسْوَاحُ ۚ (٣٤) يُومِرُ
أَلْمَرُّهُ مِن أُخِيهِ ۚ (٣٥) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ (٣٦) وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ۚ (٣٧) لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ (٣٨) وَرُجُوءُ يَوْمٍ مَّيْدٍ مُّسْفَرَةٍ ۚ (٣٩)
صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٍ ۚ (٤٠) وَرُجُوءُ يَوْمٍ مَّيْدٍ عَلَيْهَا غَرَرَةٌ ۚ (٤١)

(٤١، ٤٢) تغشاها ذلّة، أولئك الموصوفون بهذا الوصف هم الذين كفروا بنعم الله وكذبوا بآياته، ونجروا على محارمه بالفجور والطغيان.

﴿سورة التكويد﴾

(١-١٤) إذا الشمس لُفت وذهب ضوؤها، وإذا النجوم ناثرت، فذهب نورها، وإذا الجبال سَيرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً، وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت، وإذا الحيوانات الوحشية جُملت واختلطت؛ ليقصص الله من بعضها لبعض، وإذا البحار أوقدت، فصارت على عَظمتها ناراً تتوقد، وإذا النفوس قُربت بأمثالها ونظائرها، وإذا الطفلة المدفونة حية سُملت يوم القيامة سؤال تطيب لها وتبكي لولائها: بأيّ ذنب كان دنسها؟ وإذا صفح الأعمال عُرِضت، وإذا السماء قُلت وأزيلت من مكانها، وإذا النار أوقدت فأضرمّت، وإذا الجنة دار النعيم قُربت من أهلها المتقين، إذا وقع



ذلك، تيقنت ووجدت كل نفس ما قدّمت من خير أو شر.

(١٥-٢١) أقسم الله تعالى بالنجوم المخفية أنوارها نهاراً، الجارية والمسترة في أبراجها، والليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا ظهر ضياؤه، إن القرآن لتبليغ رسول كريم - هو جبريل عليه السلام -، ذي قوة في تنفيذ ما يؤمر به، صاحب مكانة رفيعة عند الله، تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به.

(٢٢-٢٥) وما محمد الذي تعرفونه بمجنون، ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بـ «مكة»، وهي الرؤية الأولى الواقعة بـ «غار حراء». وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل في تبليغ الوحي. وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه.

(٢٦-٢٩) فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟ ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس، لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان، وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين.

﴿سورة الانفطار﴾

(١-٥) إذا السماء انشقت، واختل نظامها، وإذا الكواكب تساقطت، وإذا البحار فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها، وإذا القبور قلبت بيعت من كان فيها، حينئذ تعلم كل نفس جميع أعمالها، ما تقدم منها وما تأخر، وجوزيت بها.

(٦-٨) يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتر بربك الجواد كثير الخير، الحقيق بالشكر والطاعة، اليس هو الذي خلقك فسوى خلقك فذلك، وركبك لأداء وظائفك، في أي صورة شاءها خلقك؟

(٩-١٢) ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله محبون، بل تكذبون بيوم الحساب والجزاء. وإن عليكم للملئكة رقباء كراماً على الله كاتبين لما وكلوا بإحصائه، لا يفوتهم من أعمالكم شيء، يعلمون ما تفعلون من خير أو شر.

(١٣) إن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم.

(١٤-١٦) وإن الفجار الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم، يصيبهم فيها يوم الجزاء، وما هم عن عذاب جهنم بغائبين لا بخروج ولا بموت.

(١٧-١٩) وما أدراك ما عظمة يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمة يوم الحساب؟ يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد، والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد.

﴿سورة المطففين﴾

(١-٤) عذاب شديد للذين يبغسون المكيال والميزان، الذين إذا اشتروا من الناس مكيالاً أو موزوناً يوفون لأنفسهم، وإذا باعوا الناس مكيالاً أو موزوناً ينقصون في المكيال والميزان، فكيف بحال من يسرقها ويختلسها، ويبخس الناس أشياءهم؟ إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان. ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعهم ومحاسبهم على أعمالهم؟

(٦٥، ٦٤) سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين. (٧-٩) حقاً أن مصير المُفْجَارِ وأَوهام لفي ضيق، وما أدراك ما هذا الضيق؟ إنه سجن مقبم وعذاب أليم، وهو ما كُتِبَ لهم المصير إليه، مكتوب مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا يُنقص. (١٠-١٧) عذاب شديد يومئذ للمكذبين، الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء، وما يكذب به إلا كل ظالم كثير الإثم، إذا تسلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين. ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غَشَّاهَا من كثرة ما يرتكبون من الذنوب. ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم -جل وعلا- لمحجوبون. وفي هذه الآية دلالة على رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها، ثم يقال لهم: هذا

يَوْمٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحِبْنَاهُ ۝ كِتَابٌ مَرُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الْبُرْجِ ۝ وَمَا يَكُذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكْذِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْنَا ۝ كِتَابٌ مَرُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّرُونَ ۝ إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرْكَ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيٍّ خَمْرٍ ۝ خَتَمُهُمْ مِسْكَ ۝ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْغَحُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ حَفِظِينَ ۝

الجزء الذي كنتم به تكذبون.

(١٨-٢١) حقاً أن كتاب الأبرار -وهم المتقون- لفي المراتب العالية في الجنة. وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه المراتب العالية؟ كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا يُنقص، يُطَّلَعُ عليه المقربون من ملائكة كل سماء. (٢٢-٢٨) إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتمتعون، على الأسرة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعد لهم من خيرات، ترى في وجوههم بهجة النعيم، يُسْقَوْنَ من خر صافية يحكم إناءها، آخره رائحة مسك، وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون. وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعَرَّفُ لعلوها بـ «تسنيم»، عين أعدت؛ ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها.

(٢٩-٣٣) إن الذين أجروا كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين، وإذا مروا بهم يتغامزون سخريه بهم. وإذا رجع الذين أجروا إلى أهلهم وذويهم تفكَّهوا معهم بالسخريه من المؤمنين. وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبعوا الهدى قالوا: إن هؤلاء لتاتهنون في اتباعهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وما بُعث هؤلاء المجرمون رقباء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١﴾ عَلَى
الْأَرْدَاكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ هَلْ يُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ
رُكْبَتَهُ وَيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُجَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَقْلُبُ
إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ رُكْبَتَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو نُؤُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

سورة الانشقاق

(١-٥) إذا السماء تصدّعت، وتفتّرت بالغيام يوم القيامة، وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الانشقاق، وحقاً لها أن تنقاد لأمره. وإذا الأرض بسطت ووُسّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم، وقذفت ما في بطنها من الأموات، وتخلّصت عنهم، وانقادت لربها فيما أمرها به، وحقاً لها أن تنقاد لأمره.

(٦) يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى الله، وعامل أعمالاً من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو عدله. أن لن يرجع

(٧-٩) فأما من أعطي صحيفة أعماله يمينته، وهو المؤمن بربه، فسوف يحاسب حساباً سهلاً، ويرجع إلى أهله في الجنة مسروراً. (١٠-١٥) وأما من أعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره، وهو الكافر بالله، فسوف يدعو بالهلاك والنبور، ويدخل النار مقاسياً حرها. إنه كان في أهله في الدنيا مسروراً مغروراً، لا يفكر في العواقب، إنه ظن أن لن يرجع إلى خالقه حياً للحساب. بل سيعيده الله كما بدأه ويمجّزه على أعماله، إن ربه كان به بصيراً عليماً بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه.

(١٦-١٩) أقسم الله تعالى باحمرار الأفق عند الغروب، وبالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك، وبالقمر إذا تكامل نوره، لتركبنَّ -أيها الناس- أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث والنشور. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله، ولو فعل ذلك لأشرك.

(٢٠-٢٤) فأَيُّ شيء يمنعه من الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُصّحت لهم الآيات؟ وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلّمون بها جاء فيه؟ إنها سجية الذين كفروا التكذيب ومخالفة الحق. والله أعلم بما يكتُمون في صدورهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق، فبشرهم -أيها الرسول- بأن الله -عز وجل- قد أعدَّ لهم عذاباً موجعاً.

(٢٥) لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدوا ما فرضه الله عليهم، لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا منقوص.

﴿سورة البروج﴾

(١-٩) أقسم الله تعالى بالسَّاءِ ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه، -ويقسم الله -سبحانه- بما يشاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يُقسم بغير الله، فإن القسم بغير الله شرك -لِعَنِ الَّذِينَ شَفَّوْا فِي الْأَرْضِ شَفًّا عَظِيمًا؛ لتعذيب المؤمنين، وأوقدوا النار الشديدة ذات الوقود، إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تكليلٍ وتعذيبٍ حضورٌ. وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه،

الذي له ملك السموات والأرض، وهو -سبحانه- على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

(١٠) إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا، فلهم في الآخرة عذاب جهنم، ولهم العذاب الشديد المحرق.

(١١) إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ذلك الفوز العظيم.

(١٢-١٦) إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم أعظم شديد، إنه هو يُبدئ الخلق ثم يعيده، وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه، صاحب العرش، المجيد الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم، فعَالٌ لما يريد، لا يتمتع عليه شيء يريد.

(١٧-٢٢) هل بلغك -أيها الرسول- خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلَّ بهم من العذاب والهلاك، لم يعتبر القوم بذلك، بل الذين كفروا في تكذيب متواصل كذاب مَن قبلهم، والله قد أحاط بهم علماً وقدره، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء. وليس القرآن كما زعم المكذبون المشركون بأنه شعر وسحر، فكذبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم، في لوح محفوظ، لا يناله تبدل ولا تحريف.

﴿سورة الطارق﴾

(٤-١) أقسم الله سبحانه بالسَّاء والنجم الذي يطرق ليلاً، وما أدراك ما عظم هذا النجم؟ هو النجم المضيء المتوَّج. ما كل نفس إلا أوكل بها ملك رقيب يحفظ عليها أفعالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة.

(٥-٨) فلينظر الإنسان المنكر للبعث مم خلق؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أولاً، خلق من مني منصب بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة. إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.

(٩، ١٠) يوم تختبر السرائر فيها أخفئته، ويُمَيِّز الصالح منها من الفاسد، فالإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله.

(١١-١٤) والسَّاء ذات المطر المتكرر، والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات، إن القرآن لقول فصل بين الحق والباطل، وما هو بالهزل. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله، وإلا فقد أشرك.

(١٥-١٧) إن المكذِبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقُرآن يكيدون ويدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق ويؤيدوا الباطل، وأكيد كيداً لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم، بل أمهلهم وأنظرهم قليلاً، ولا تستعجل لهم، وسترى ما يحلُّ بهم من العذاب والنعك واللعنة والعقوبة والهلاك.

﴿سورة الأعلى﴾

(١-٥) نَزَّه اسم ربك الأعلى عن الشريك والنقص تنزيهاً يليق بعظمته سبحانه، الذي خلق المخلوقات، فأتقن خلقها، وأحسنه، والذي قَدَّر جميع المقدرات، فهدى كل خلق إلى ما يناسبه، والذي أنبت الكَلأ الأخضر، فجعله بعد ذلك هشيأً جافاً متغيِّراً إلى السَّواد بعد أخضراره.

(٦، ٧) سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسها لمصلحة يعلمها. إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفى منها.

(٨) ونيسرك ليسرى في جميع أمورك، ومن ذلك تسهيل تلقِّي أعباء الرسالة، وجعل دينك يسراً لا عسر فيه. (٩، ١٠) فِعْظ قومك -أيها الرسول- حسبنا يسرنا لك بما يوحى إليك، واهداهم إلى ما فيه خيرهم. وخُصَّ بالتذكير مَنْ يُرجى منه التذكُّر، ولا تُتعب نفسك في تذكير مَنْ لا يورثه التذكير إلا عتواً ونفوراً. سيتعظ الذي يخاف ربه.

(١١-١٥) ويتعدد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه، الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرّها، ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه. قد فاز من طهر نفسه من الأخلاق السيئة، وذكر الله، فوحد دعوته وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرعه.

(١٦) إنكم -أيها الناس- تفضلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة.

(١٧) والدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم، خير من الدنيا وأبقى.

(١٨، ١٩) إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصحف التي أنزلت قبل القرآن، وهي صحف إبراهيم وموسى عليها السلام.

﴿سورة الغاشية﴾

(١) هل أتاك -أيها الرسول- خبر القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟

(٢-٧) وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب، مجعدة بالعمل متعبة، تصيبها نار شديدة

التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة، ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو من شر الطعام وأخفها، لا يُسمن بدن صاحبه من الهزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه.

(٨-١٦) وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين، ووسائل مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، وبُسُط كثيرة مفروشة.

(١٧-٢٠) أفلا ينظر الكافرون المكذبون إلى الإبل: كيف خُلِقَ هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَ هذا الرفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطَتْ ومُهَدَّتْ؟ (٢١، ٢٢) فِعْظٌ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم، ليس عليك إكراههم على الإيمان.

وَيَجْعَلُهَا أَتَقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى التَّارُ الْكَوْبَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ حَاشِيَةٍ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَى نَارًا رَاحِمَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيرٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وَجُوعٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ ۝ لَسَعَاهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغْوَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ ۝ مَوْسُوعَةٌ ۝ وَنِجَارٌ مَصْفُوفٌ ۝ وَزَوَاجٌ مُتَبَوِّئَةٌ ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ ۝ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَعِذْبُهُ أَلَدُّ أَلَمَ الْاَكْبَرِ ۝
إِنَّا إِنَّمَا جِئَابُهُم ۝ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْهِمْ جَسَابُهُم ۝

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ ۝
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَشُعُوبَ الَّذِينَ
جَاءُوا الصَّخِرَ بِأَوَادٍ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي
الْبِلَادِ ۝ فَأَكْبَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لِبَاسٍ لِّلْمُرْسَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ فَقَاتَلَ ۝ فَكَّرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْدَانِ ۝ كَلَّا لَبَلَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ
الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ
الْزُّرْنَ أَكْثَرَ لِّمَاءٍ ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمَامٍ ۝ كَلَّا إِذَا
دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

(٢٣، ٢٤) لكن الذي أعرض عن التذكير
والموعظة وأصرَّ على كفره، فיעذبه الله العذاب
الشديد في النار.

(٢٥، ٢٦) إِنَّا إِنَّمَا جِئَابُهُم بِالْعَنَانِ فَمَا كُنَّا
عَلَيْنَا جَزَاءَهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا.

﴿سورة الفجر﴾

(١-٥) أقسم الله سبحانه بوقت الفجر، والليالي
العشر الأول من ذي الحجة وما شرفت به،
وبكل شفع وفرد، وبالليل إذا يسري بظلامه،
أليس في الأقسام المذكورة متقن لذي عقل؟

(٦-٨) ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل
ربك بقوم عاد، قبيلة إرم، ذات القوة والأبنية
المرفوعة على الأعمدة، التي لم يُخلق مثلها في
البلاد في عظم الأجساد وقوة البأس؟

(٩) وكيف فعل بشمود قوم صالح الذين قطعوا
الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتاً؟

(١٠) وكيف فعل بفرعون مَلِك «مصر»،
صاحب الجنود الذين ثبَّتوا مُلْكَه، وقوَّوا له
أمره؟

(١١-١٤) هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثرُوا فيها بظلمهم الفساد، فصب عليهم ربك عذاباً شديداً. إِنَّ
ربك - أيها الرسول - لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلاً، ثم يأخذه أَخَذَ عزيز مقتدر.

(١٥) فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه،
فيقول: ربي أَكْرَمَنِ.

(١٦) وأما إذا ما اختبره، فضيَّقَ عليه رزقه، فيظن أن ذلك هوانه على الله، فيقول: ربي أَهَانَنِ.

(١٧-٢٠) ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته، وأنتم لا تكرمون اليتيم الذي مات
أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته، ولا تحبُّ بعضهم بعضاً على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسدُّ حاجته،
وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلاً شديداً، وتحبون المال حباً مغرطاً.

(٢١، ٢٢) ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم. فإذا زُلِزِلَت الأرض وكسرت بعضُها بعضاً، وجاء ربك لفصل القضاء بين خلقه،
والملائكة صفواً صفواً.

(٢٣، ٢٤) وحيء في ذلك اليوم العظيم بجهنم، يومئذ ينظر الكافر ويتوب، وكيف ينفعه الانعاط والتوبة، وقد فرط فيها في الدنيا، وفات أوانها؟ يقول: يا ليتني قدمت في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياي في الآخرة.

(٢٥، ٢٦) ففي ذلك اليوم العاصب لا يستطيع أحد ولا يقدر أن يُعذَّب مثل تعذيب الله من عصاه، ولا يستطيع أحد أن يوثق مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحد مبلغه في ذلك.

(٢٧-٣٠) يا أيها النفس المطمئنة إلى ذكر الله والإيمان به، وبما أعدّه من النعيم للمؤمنين، ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك، فادخلي في عداد عباد الله الصالحين، وادخلي معهم جنتي.

﴿سورة البلد﴾

(١-٤) أقسم الله بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»، وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت، ولم يُخلّ له إلا ساعة من نهار. وفي الآية إشارة للنبي صلى الله عليه وسلم

بفتح «مكة» على يديه، وحلّها له في القتال. وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد، لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

(٥) أيظنُّ بما جمعه من مال أن الله لن يقدر عليه؟

(٦، ٧) يقول -متباهياً-: أنفقت مالا كثيراً. أيظنُّ في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟

(٨-١٠) ألم نجعل له عيين ينصر بها، ولساناً وشفقتين ينطق بها، وبيئاً له سبيلَي الخير والشر؟

(١١) فهلاً تجاوز مشقة الآخرة بإتفاق ماله، فيأمن.

(١٢) وأي شيء أعلمك: ما مشقة الآخرة، وما يعين على تجاوزها؟

(١٣) إنه عتق رقبة مؤمنة من أسر الرّق.

(١٤-١٦) أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، يتيماً -مات أبوه وهو صغير- من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم، أو فقيراً معدماً لا شيء عنده.

(١٧) ثم كان مع فعل ما ذكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا الإيمان الله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وتواصوا بالرحمة بالخلق.

(١٨) الذين فعلوا هذه الأفعال، هم أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَسْجِدِ ۖ عَلَيْهِمْ نَارُ مُوسَى ۖ

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّاسِ وَصُحُفَهَا ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۖ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۖ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَتْهَا ۖ وَالْأَرْضَ
وَمَا طَحَتْهَا ۖ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۖ
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۖ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَغَوَّاهَا ۖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۖ

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ
إِنْ سَعَيْكُمْ لَتَشْكُنَنَّ ۖ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ
فَسَنِّيئِرُهُ لِلْسُرَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ

(١٩) والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار.
(٢٠) جزاؤهم جهنم مطبقة مغلقة عليهم.

﴿سورة الشمس﴾

(١-١٠) أقسم الله بالشمس ونهارها وإشراقها صبحي، وبالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول، وبالنهار إذا جلى الظلمة وكشفها، وبالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلمًا، وبالسما وبنائها المحكم، وبالأرض وبسطها، وبكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها، فيبين لها طريق الشر وطريق الخير، قد فاز من طهرها ونماها بالخير، وقد خسر من أخفى نفسه في المعاصي.

(١١-١٥) كذبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا

أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم. فشق عليهم ذلك، فكذبوه فيها توعدهم به فنحروها، فأطبق عليهم ربه العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُفْلِت منهم أحد. ولا يخاف -جلت قدرته- تبعة ما أنزله بهم من شديد العقاب.

﴿سورة الليل﴾

(١-٤) أقسم الله سبحانه بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها، وبالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضياته، وبخلق الزوجين: الذكر والأنثى. إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة.
(٥-٧) فأما من بذل من ماله واتقى الله في ذلك، وصدق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء، فسنشده ونوفقه إلى أسباب الخير والصالح، ونيسر له أموره.
(٨، ٩) وأما من بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه، وكذب بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء.

(١٠، ١١) فَسَيُسِّرُ لَهُ أَسْبَابَ الشَّقَاءِ، وَلَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ الَّذِي يَخْلُ بِهِ إِذَا وَقَعَ فِي النَّارِ.

(١٢، ١٣) إِنْ عَلَيْنَا بِفَضْلِنَا وَحُكْمَتِنَا أَنْ نَبِيِّنَ طَرِيقَ الْهَلْدَى الْمَوْصِلِ إِلَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَإِنْ لَنَا مَلِكُ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(١٤) فَحَذَّرَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَخَوَّفَكُمْ نَارَ أَتَوْجَع، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ.

(١٥، ١٦) لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ شَدِيدَ الشَّقَاءِ، الَّذِي كَذَّبَ نَبِيَّ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَطَاعَتِهِمَا. (١٧-٢١) وَسَيُحْزَنُ عَنْهَا شَدِيدَ الْحُزَنِ، الَّذِي يَبْذُلُ مَالَهُ ابْتِغَاءَ الْمَزِيدِ مِنَ الْخَيْرِ. وَلَيْسَ إِنْفَاقُهُ ذَلِكَ مِثْلَ مِثْلِهِ لِمَنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، لَكِنَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَرِضَاهُ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مَا يَرْضَى بِهِ.

﴿سورة الضحى﴾

(١-٣) أَقْسَمَ اللَّهُ بِوَقْتِ الضُّحَى، وَالْمُرَادُ بِهِ

النَّهَارُ كُلُّهُ، وَبِالْإِلَهِيَّةِ إِذَا سَكَنَ بِالْخَلْقِ وَاشْتَدَّ ظُلَامُهُ. وَيُقَسَّمُ اللَّهُ بِهَا بِشَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْسِمَ بِغَيْرِ خَالِقِهِ، فَإِنَّ الْقِسْمَ بِغَيْرِ اللَّهِ شُرْكٌ. مَا تَرَكْتُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - رَبِّكَ، وَمَا أَبْغَضْتُكَ بِإِبْطَاءِ الْوَحْيِ عَنْكَ.

(٤، ٥) وَلَلْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - مِنْ أَنْوَاعِ الْإِنْعَامِ فِي الْآخِرَةِ، فَتَرْضَى بِذَلِكَ.

(٦-٨) أَلَمْ يَجِدْكَ مِنْ قَبْلُ يَتِيمًا مَاتَ أَبُوكَ وَأَنْتَ حُلٌّ فِي بَطْنِ أُمَّكَ، فَأَوَّاكَ وَرَعَاكَ؟ وَوَجَدَكَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، فَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَوَفَّقَكَ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ؟ وَوَجَدَكَ فَقِيرًا، فَسَاقَ إِلَيْكَ رِزْقَكَ، وَأَعْنَى نَفْسَكَ بِالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ؟ (٩-١١) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَيْسَّرْ مَعَامَلَتَهُ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَزْجِرْهُ، بَلْ أَطْعَمْهُ، وَاقْضِ حَاجَتَهُ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْهَا عَلَيْكَ فَتَحَدِّثْ بِهَا.

﴿سورة الشرح﴾

(١، ٢) أَلَمْ نَوْسِعْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لَكَ صَدْرَكَ لِشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَحِطِّطْنَا عَنْكَ بِذَلِكَ جَهْلَكَ.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۚ

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ ۝
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَكُن يَعْلَمُ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَظَلِيمٌ ۝ أَن رَأٰهُ اسْتَعْصَمَ ۝
۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ۝

(٤، ٣) الذي أنقل ظهرك، وجعلناك - بما أنعمنا عليك من المكارم - في منزلة رفيعة عالية؟
(٦، ٥) فلا يثنيك أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛ فإن مع الضيق فرجاً، إن مع الضيق فرجاً.
(٨، ٧) فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فجدّ في العبادة، وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده.

﴿سورة التين﴾

(٦ - ١) أقسم الله بالتين والزيتون، وهما من الشجار المشهورة، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف، وهي «مكة» مهبط الوحي. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص.
(٧) أي شيء يملك - أيها الإنسان - على أن تكذب بالبعث والجزاء مع وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على ذلك؟

(٨) أليس الله الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس بأحكام الحاكمين في كل ما خلق؟ بلى. فهل يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ لا يصح ذلك ولا يكون.

﴿سورة العلق﴾

(٥ - ١) أيها النبي - ما أنزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمراً. اقرأ - أيها النبي - ما أنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علّم خلقه الكتابة بالقلم، علّم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.
(٨ - ٦) حقاً أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى، فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله، فيجازي كل إنسان بعمله.

(٩ - ١٢) أرايت أعجب من طغيان هذا الرجل، وهو أبو جهل، الذي ينهى عبداً لنا إذا صلى لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم؟ أرايت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟ أو إن كان أمراً غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟

(١٣-١٩) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ يَبْرَأُ ۖ كَلَّالِينَ لَمْ يَنْتَهِ
لِنَسْمَاعِهَا بِالنَّاصِيَةِ ۖ نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ۖ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ
سَدَّعَ الرَّيَابِيَّةَ ۖ كَلَّا لَا تَطْعُمُهُ ۖ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۖ
سُورَةُ الْقَدْرِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۖ
لَيْلَةُ الْقَدْرِ رَحْمَةٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۖ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۖ
سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ
قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِلَّا مَوْلَايَ الْكِتَابِ إِلَّا مَن بَعَدَ مَاجَاءَهُمْ
الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الَّذِينَ
حُفَّتْهُمُ الْقُلُوبُ وَالْبَغْيُ وَلَهُمُ الْفُكْرُ ۖ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۖ

﴿سورة القدر﴾

- (١) إنا أنزلنا القرآن في ليلة الشرف والفضل، وهي إحدى ليالي شهر رمضان.
- (٢) وما أدراك - أيها النبي - ما ليلة القدر والشرف؟
- (٣) ليلة القدر ليلة مباركة، العمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر.

وهو تفصل من الله تعالى على هذه الأمة.

(٤) يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام فيها، بإذن ربهم من كل أمر قضاء في تلك السنة.

(٥) هي آمن كلها، لا شر فيها إلى مطلع الفجر.

﴿سورة البينة﴾

- (١) لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وعدوا بها في الكتب السابقة.
- (٢) وهي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، يتلو قرآنًا في صحف مطهرة.
- (٣) في تلك الصحف أخبار صادقة وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.
- (٤) وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً حقاً؛ لما يجدونه من نعته في كتبهم، إلا من بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وعدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعث تفرقوا: فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته بغياً وحسداً.
- (٥) وما أُمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيثار، وقيموا الصلاة، ويؤدوا الزكاة، وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَبِيَ رَيْبُهُ ۖ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا ۖ وَقَالَ الْأَنْسُ مَا لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۖ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ تُصَدِّرُ النَّاسَ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۖ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۖ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۖ فَأَنْتَرْنَ بِهِنَّ نَافَعًا ۖ فَتَوَسَّطْنَ بِهِنَّ جَمْعًا ۖ

(٦) إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين عقابهم نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخليفة شراً.

(٧) إن الذين صدّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات، أولئك هم خير الخلق.

(٨) جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في متهى الحسن، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها أبداً، رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

﴿سورة الزلزلة﴾

(١-٣) إِذَا زُجِلَتِ الْأَرْضُ رَجًّا شَدِيدًا، وَأَخْرِجَتِ مَا فِي بطنها من موتى وكنوز، وتساءل الإنسان فرعاً: ما الذي حدث لها؟ (٤، ٥) يوم القيامة تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر، وبأن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تخبر بما عمل عليها.

(٦) يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافاً متفرقين؛ ليرى الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويجازيهم عليها.

(٧، ٨) فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيراً، يرثوا به في الآخرة، ومن يعمل وزن نملة صغيرة شراً، يرعابه في الآخرة.

﴿سورة العاديات﴾

(١) أقسم الله تعالى بالخليل الجاريات في سبيله نحو العدو، حين يظهر صوت أنفاسها من سرعة عدوها. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم إلا بالله؛ فإن القسم بغير الله شرك.

(٢) فالخيل اللاتي تنقذ النار من صلاية حوافرها؛ لشدة عدوها.

(٣) فالخيل التي تُعبر برُكبانها على الأعداء عند الصبح.

(٤) فهيجن بهذا العدو غباراً.

(٥) فتوسطن برُكبانهن جوع الأعداء.

(٦-٨) إن الإنسان ليعم ربه لجحود، وإنه بجحوده ذلك لمقر. وإنه حب المال لشديد.
(٩) أفلا يعلم الإنسان ما ينتظره إذا أخرج الله الأموات من القبور للحساب والجزاء؟
(١٠) واستخرج ما استتر في الصدور من خير أو شر.

(١١) إن ربهم بهم وبأعمالهم يومئذ خير، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿سورة القارعة﴾

(١) الساعة التي تفرع قلوب الناس بأهوالها.
(٢) أي شيء هذه القارعة؟
(٣) وأي شيء أعلمكم بها؟
(٤) في ذلك اليوم يكون الناس في كثرتهم وتفرقهم وحركتهم كالفرش المنتشر، وهو الذي يتساقط في النار.
(٥) وتكون الجبال كالصوف متعدد الألوان الذي يُنفَس باليد، فيصير هباءً ويزول.
(٦، ٧) فأما من رجحت موازين حسناته، فهو

إِنَّا الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَوَدٌ ۖ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۚ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْغَيْرِ لَشَدِيدٌ ۚ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ إِلَىٰ الْقُبُورِ ۚ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۚ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَذِٰلِكَ خَبِيرٌ ۚ

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْقَارِعَةُ ۚ مَا الْقَارِعَةُ ۚ وَمَا أَزْكَرُكَ مَا الْقَارِعَةُ ۚ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۚ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ ۚ فَمَا مَن تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ ۚ فَهَوِيَ
عِشَّةً رَّاغِبَةً ۚ وَمَا مَن خَفَّتْ مُوزِنُهُ ۚ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ۚ
وَمَا أَزْكَرُكَ مَا هِيَ ۚ نَارُ حَامِيَةٍ ۚ

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَتَرُونَ الْجِجَمِ ۚ
فَلَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۚ

في حياة مرضية في الجنة.

(٨، ٩) وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته، فأواه جهنم.

(١٠) وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه الهاوية؟

(١١) إنها نار قد تحيت من الوقود عليها.

﴿سورة التكاثر﴾

(١) شغلكم عن طاعة الله التفاخر بكثرة الأموال والأولاد.
(٢) واستمر اشتغالكم بذلك إلى أن صرتم إلى المقابر، ودُفنتم فيها.
(٣) ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، سوف تتبينون أن الدار الآخرة خير لكم.
(٤) ثم احذروا سوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عنها.
(٥-٨) ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، لو تعلمون حق العلم لانزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك. لتبصرن الجحيم، ثم لتبصرن ما دون رب، ثم لتسألن يوم القيامة عن كل أنواع النعيم.

﴿سورة القصص﴾

(١، ٢) أقسم الله بالدهر؛ لما فيه من عجائب قدرة الله الدالة على عظمته، على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان. ولا يجوز للعبد أن يقسم إلا بالله؛ فإن القسم بغير الله شرك.

(٣) إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملاً صالحاً، وأوصى بعضهم بعضاً بالاستمسك بالحق، والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك.

﴿سورة الهزمية﴾

(١) شر وهلاك لكل مغتاب للناس، طعان فيهم.

(٢) الذي كان همه جمع المال وتعداده.

(٣) يظن أنه صَمِنَ لنفسه بهذا المال الذي جمعه، الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب.

(٤) ليس الأمر كما ظن، ليطرحن في النار التي تهشم كل ما يُلقى فيها.

(٥) وما أدراك - أيها الرسول - ما حقيقة النار؟

(٦، ٧) إنها نار الله المشتعلة الشديدة اللهب، التي من شدة حرّها تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

(٨، ٩) إنها عليهم مطبقة في سلاسل وأغلال مطوّلة؛ لنلا يخرجوا منها.

﴿سورة الفيل﴾

(١) ألم تعلم - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟

(٢) ألم يجعل ما دبروه من شر في إبطال وتضييع؟

(٣، ٤) وبعث عليهم طيراً في جماعات متتابعة، تقذفهم بحجارة من طين متحجّر.

(٥) فجعلهم به عظمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

﴿سورة قريش﴾

(١) اعجبوا لإلف قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء إلى «اليمن»، وفي الصيف إلى «الشام»، وتيسير ذلك؛ لجلب ما يحتاجون إليه.

(٣) فليشكروا، وليعبدوا رب هذا البيت الذي يعتزون به - وهو الكعبة -، وبسببه نالوا الشرف والرِّفعة، وليوحدوه ويخلصوا له العبادة.

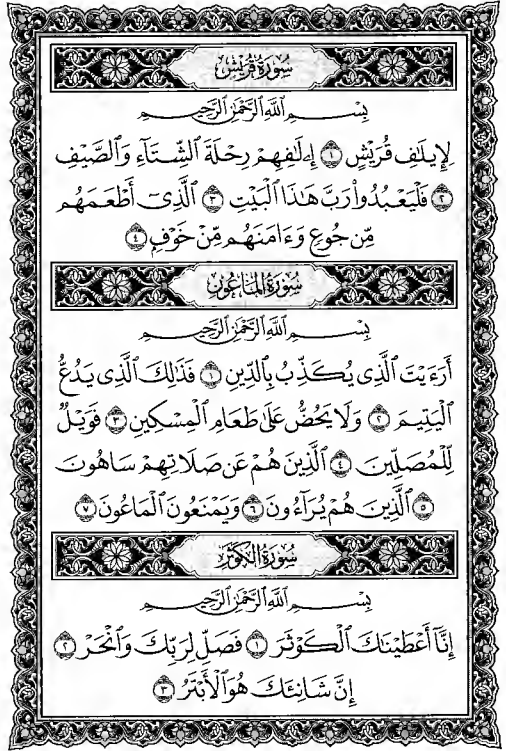
(٤) الذي أطعمهم من جوع شديد، وأمنهم من فزع وخوف عظيم.

﴿سورة الماعون﴾

(١) أرايت حال ذلك الذي يكذب بالبعث والجزاء؟

(٢) فذلك الذي يدفع اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه.

(٣) ولا يحض غيره على إطعام المحتاج الذي لا



يملك ما يكفيه ويسد حاجته، فكيف له أن يطعمه بنفسه؟

(٤) فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها.

(٦) الذين هم ينظاهرون بأعمال الخير مراعاة للناس.

(٧) ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

﴿سورة الكوثر﴾

(١) إنا أعطيناك - أيها النبي - الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة الذي حافتاه خيام اللؤلؤ المجوف، وطينه المسك.

(٢) فأخلص لربك صلاتك كلها، واذبح ذبيحتك له وعلى اسمه وحده.

(٣) إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المقطع أثره، المقطوع من كل خير.

﴿سورة الكافرون﴾

- (١) قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله ورسوله: يا أيها الكافرون بالله.
- (٢) لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والآلهة الزائفة.
- (٣) ولا أنتم عابدون ما أعبد من إله واحد، هو الله رب العالمين المستحق وحده للعبادة.
- (٤) ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام والآلهة الباطلة.
- (٥) ولا أنتم عابدون مستقبلاً ما أعبد.
- وهذه الآية نزلت في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً.
- (٦) لكم دينكم الذي أصرتم على اتباعه، ولي ديني الذي لا أبغي غيره.

﴿سورة النصر﴾

- (١) إذا تم لك - أيها الرسول - النصر على كفار قريش، وتم لك فتح «مكة».
- (٢) ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات.
- (٣) إذا وقع ذلك فتبهاً للقاء ربك بالإنكار من التسييح بحمده والإكثار من استغفاره، إنه كان كثير التوبة على المسيحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم.

﴿سورة المسد﴾

- (١) خسرت بدا أبي هب وشقي بإيذائه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تحقق خسران أبي هب.
- (٢) ما أغنى عنه ماله وولده، فلن يردّ عنه شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.
- (٣، ٤) سيدخل نار جهنم ذات اللهب المشتعل، هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأذيته.
- (٥) في عنقها حبل محكم الفتل من ليف شديد خشن، تُرْفَع به في نار جهنم، ثم تُرمى إلى أسفلها.

﴿سورة الإخلاص﴾

- (١) قل -أيها الرسول-: هو الله المتفرد بالالوهية والربوبية، والأسماء والصفات لا يشاركه أحد فيها.
- (٢) الله الذي كُمُلَ في صفات الشَّرَفِ والمجد والعظمة، الذي يقصده الخلائق في قضاء الحوائج والرغائب.
- (٣) ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.
- (٤) ولم يكن له ممانلاً ولا مشابهاً أحد من خلقه، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدس.

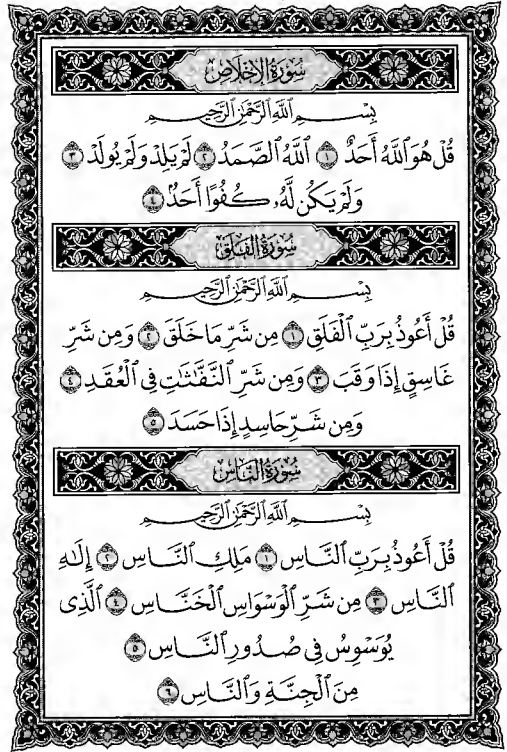
﴿سورة الفلق﴾

- (١) قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الفلق، وهو الصبح.
- (٢) من شر جميع المخلوقات وأذاها.
- (٣) ومن شر ليل شديد الظلمة إذا دخل وتغلغل، وما فيه من الشرور والمؤذيات.

- (٤) ومن شر الساحرات اللاتي ينفخن فيها يعقدن من عَقْدٍ بقصد السحر.
- (٥) ومن شر حاسد مبغض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نِعَمٍ، يريد زوالها عنهم وإيقاع الأذى بهم.

﴿سورة الناس﴾

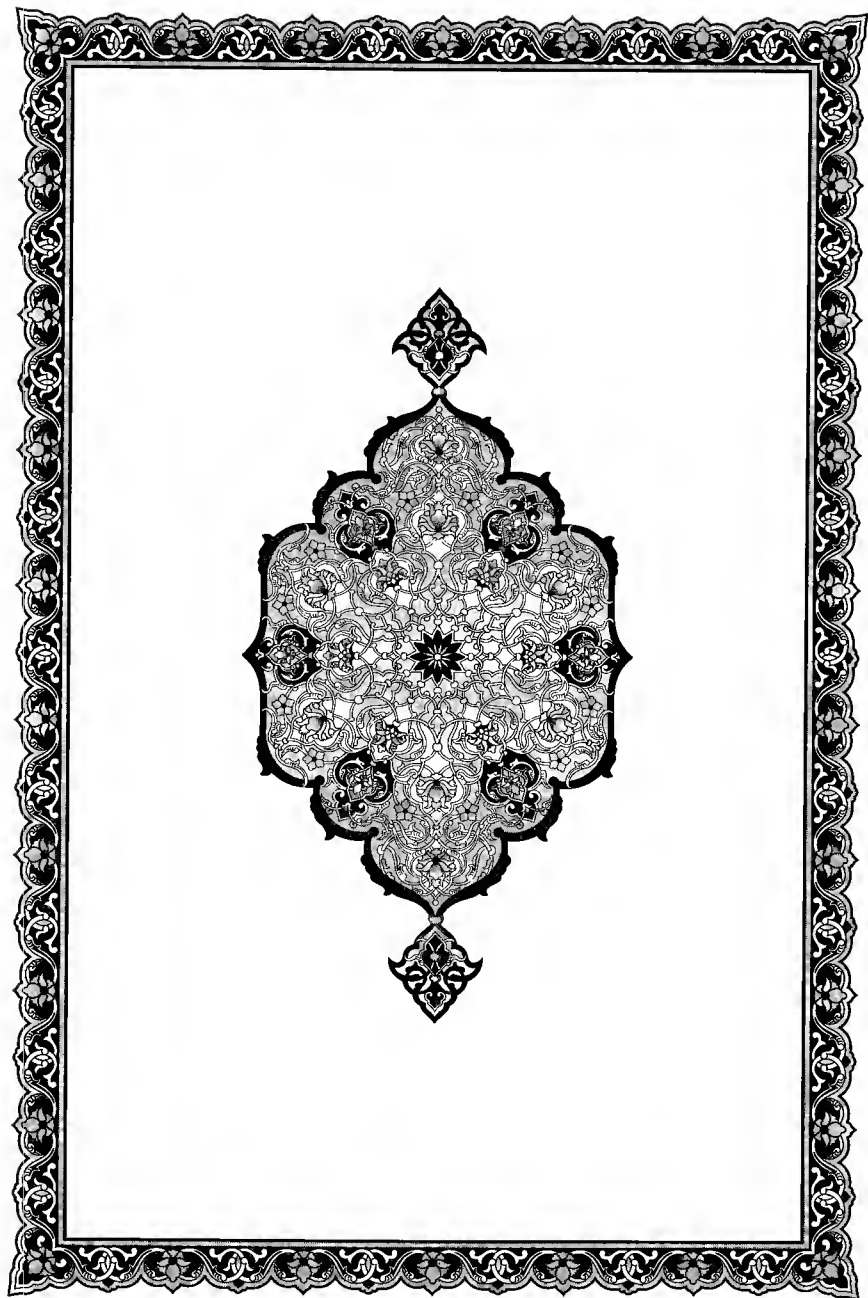
- (١) قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الناس، القادر وحده على ردِّ شر الوسواس.
- (٢) ملك الناس المتصرف في كل شؤونهم، الغني عنهم.
- (٣) إله الناس الذي لا معبود بحق سواه.
- (٤) من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله.
- (٥) الذي يثُّ الشر والشكوك في صدور الناس.
- (٦) من شياطين الجن والإنس.



فَهَرَسْ أَسْمَاءُ السُّورِ وَبَيَّانُ الْبَيَانِ وَالْمَدَنِيَّةِ مِنْهَا

السُّورَةُ	رَفْعُهَا	الصفحة	البيان	السُّورَةُ	رَفْعُهَا	الصفحة	البيان
الفاتحة	١	١	مكية	العنكبوت	٢٩	٣٩٦	مكية
البقرة	٢	٢	مدنية	الزُّمَر	٣٠	٤٠٤	مكية
آل عمران	٣	٥٠	مدنية	لقمان	٣١	٤١١	مكية
النساء	٤	٧٧	مدنية	السجدة	٣٢	٤١٥	مكية
المائدة	٥	١٠٦	مدنية	الأحزاب	٣٣	٤١٨	مدنية
الأنعام	٦	١٢٨	مكية	سبا	٣٤	٤٢٨	مكية
الأعراف	٧	١٥١	مكية	فاطر	٣٥	٤٣٤	مكية
الأفقال	٨	١٧٧	مدنية	يسر	٣٦	٤٤٠	مكية
التوبة	٩	١٨٧	مدنية	الصفافات	٣٧	٤٤٦	مكية
يونس	١٠	٢٠٨	مكية	ص	٣٨	٤٥٣	مكية
هود	١١	٢٢١	مكية	الرؤم	٣٩	٤٥٨	مكية
يوسف	١٢	٢٣٥	مكية	غافر	٤٠	٤٦٧	مكية
الرعد	١٣	٢٤٩	مدنية	فصلت	٤١	٤٧٧	مكية
إبراهيم	١٤	٢٥٥	مكية	الشورى	٤٢	٤٨٣	مكية
الحجر	١٥	٢٦٢	مكية	الزخرف	٤٣	٤٨٩	مكية
التحل	١٦	٢٦٧	مكية	الدخان	٤٤	٤٩٦	مكية
الاسراء	١٧	٢٨٢	مكية	الحائثة	٤٥	٤٩٩	مكية
الكهف	١٨	٢٩٣	مكية	الأحقاف	٤٦	٥٠٢	مكية
مریم	١٩	٣٠٥	مكية	محمد	٤٧	٥٠٧	مدنية
طه	٢٠	٣١٢	مكية	الفتح	٤٨	٥١١	مدنية
الأنبياء	٢١	٣٢٢	مكية	الحجرات	٤٩	٥١٥	مدنية
الحج	٢٢	٣٣٢	مدنية	ق	٥٠	٥١٨	مكية
المؤمنون	٢٣	٣٤٢	مكية	الذاريات	٥١	٥٢٠	مكية
التور	٢٤	٣٥٠	مدنية	الطور	٥٢	٥٢٣	مكية
الفرقان	٢٥	٣٥٩	مكية	التجم	٥٣	٥٢٦	مكية
الشعراء	٢٦	٣٦٧	مكية	القمر	٥٤	٥٢٨	مكية
النمل	٢٧	٣٧٧	مكية	الرحمن	٥٥	٥٣١	مدنية
القصص	٢٨	٣٨٥	مكية	الواقعة	٥٦	٥٣٤	مكية

السُّورَة	رَفْعُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان	السُّورَة	رَفْعُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان
الحديد	٥٧	٥٣٧	مَدْنِيَة	الطارق	٨٦	٥٩١	مَكِّيَة
المجادلة	٥٨	٥٤٢	مَدْنِيَة	الأعلى	٨٧	٥٩١	مَكِّيَة
الحشر	٥٩	٥٤٥	مَدْنِيَة	الغاشية	٨٨	٥٩٢	مَكِّيَة
الممتحنة	٦٠	٥٤٩	مَدْنِيَة	الفجر	٨٩	٥٩٣	مَكِّيَة
الصَّف	٦١	٥٥١	مَدْنِيَة	البلد	٩٠	٥٩٤	مَكِّيَة
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مَدْنِيَة	الشمس	٩١	٥٩٥	مَكِّيَة
المنافون	٦٣	٥٥٤	مَدْنِيَة	الليل	٩٢	٥٩٥	مَكِّيَة
التغابن	٦٤	٥٥٦	مَدْنِيَة	الضحى	٩٣	٥٩٦	مَكِّيَة
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مَدْنِيَة	الشرح	٩٤	٥٩٦	مَكِّيَة
التحريم	٦٦	٥٦٠	مَدْنِيَة	الزین	٩٥	٥٩٧	مَكِّيَة
الملک	٦٧	٥٦٢	مَكِّيَة	العلق	٩٦	٥٩٧	مَكِّيَة
القلم	٦٨	٥٦٤	مَكِّيَة	القدر	٩٧	٥٩٨	مَكِّيَة
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مَكِّيَة	البينة	٩٨	٥٩٨	مَدْنِيَة
المعارج	٧٠	٥٦٨	مَكِّيَة	الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مَدْنِيَة
نوح	٧١	٥٧٠	مَكِّيَة	العاديات	١٠٠	٥٩٩	مَكِّيَة
الجن	٧٢	٥٧٢	مَكِّيَة	القارعة	١٠١	٦٠٠	مَكِّيَة
المرزق	٧٣	٥٧٤	مَكِّيَة	النكاثر	١٠٢	٦٠٠	مَكِّيَة
المدثر	٧٤	٥٧٥	مَكِّيَة	العصر	١٠٣	٦٠١	مَكِّيَة
القيامة	٧٥	٥٧٧	مَكِّيَة	الهجرة	١٠٤	٦٠١	مَكِّيَة
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مَدْنِيَة	الفيل	١٠٥	٦٠١	مَكِّيَة
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مَكِّيَة	قريش	١٠٦	٦٠٢	مَكِّيَة
النبل	٧٨	٥٨٢	مَكِّيَة	الماعون	١٠٧	٦٠٢	مَكِّيَة
التازعات	٧٩	٥٨٣	مَكِّيَة	الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مَكِّيَة
عبس	٨٠	٥٨٥	مَكِّيَة	الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مَكِّيَة
التكوير	٨١	٥٨٦	مَكِّيَة	النصر	١١٠	٦٠٣	مَدْنِيَة
الانقطار	٨٢	٥٨٧	مَكِّيَة	المسد	١١١	٦٠٣	مَكِّيَة
الطهفين	٨٣	٥٨٧	مَكِّيَة	الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مَكِّيَة
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مَكِّيَة	الفلق	١١٣	٦٠٤	مَكِّيَة
البروج	٨٥	٥٩٠	مَكِّيَة	الناس	١١٤	٦٠٤	مَكِّيَة



إِنَّ فِرَاقَ الشُّوْرَنِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْأَوْقَافِ وَالِدَعْوَةَ وَالْإِسْلَامَ

فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

الْمَشْرُفَةِ عَلَى مَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهَيْدِ

إِطْبَاعَةَ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

إِذْ يُسْرُّهَا أَنْ يُصْدَرَ الْمَجْمَعُ هَذِهِ الطَّبْعَةُ مِنَ التَّفْسِيرِ لِلْيَسَّرِ

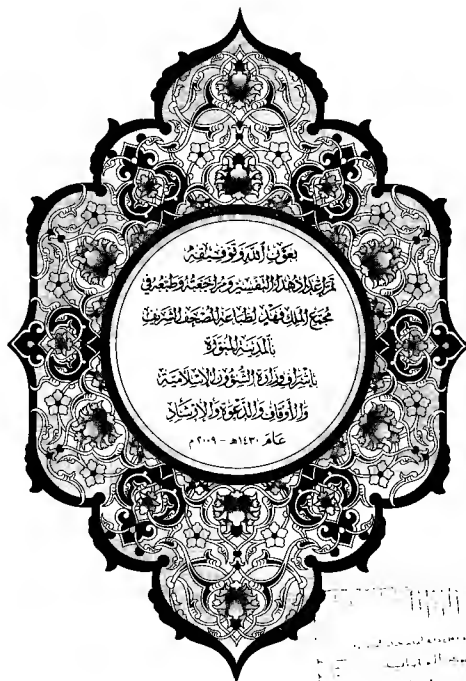
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُمُومَ الْمُتَسَلِّمِينَ

وَأَنْ يَجْزِيَ

خَلَامَةَ الْحَرَمِيِّ الشَّرِيفِيِّ الْمَلِكِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّعُودِيِّ

أَحْسَنَ الْجَزَاءِ عَلَى جُهِودِهِ الْعَظِيمَةِ فِي تَشْرِكَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَعُلُومِهِ

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْتَوَفِيقِ



مُحَمَّدٌ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص. ب ٦٢٢٢ - المدينة المنورة
www.qurancomplex.org
kfcpqh@qurancomplex.org